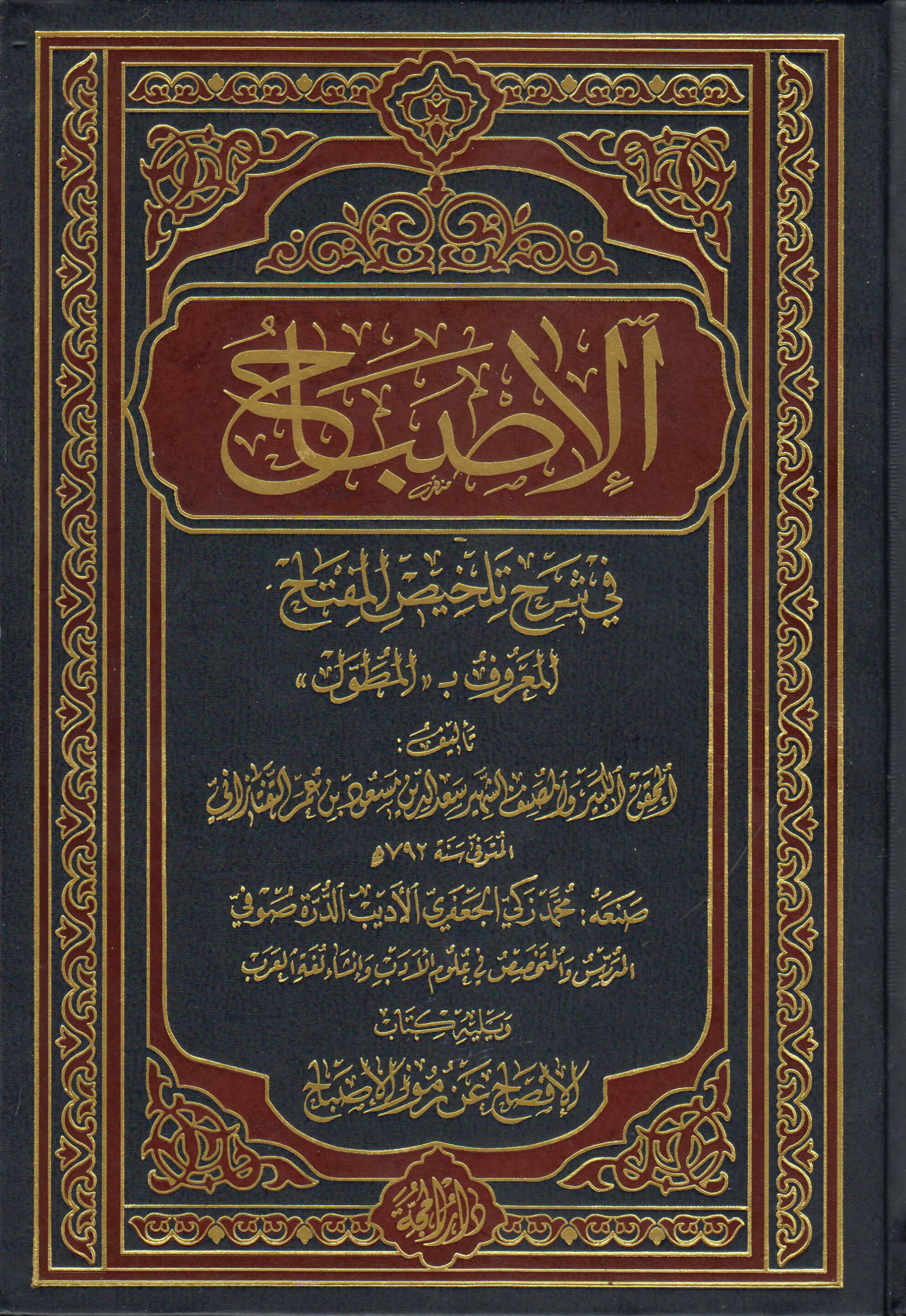
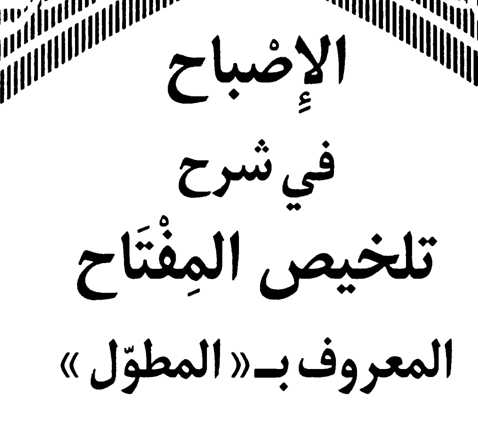

الإصباح
في شرح تلخيص المفتاح
المعروف بـ «المطول»
تأليف:
المحقق الكبير والمصنف الشهير سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني
المتوفى سنة ٧٩٢هـ
صنعه: محمد زكي الجعفري الأديب الدرة صوفي
المدرس والمتخصص في علوم الأدب وإنشا لغة العرب
ويليه كتاب
الإفصاح عن رموز الإصباح
دار المحجة



الإصْباح
في شرح
تلخيص المِفْتَاح

المعروف بـ« المطوّل »

تأليفُ

المحقّق الكبير والمصنّف الشّهير سَعْد الدّين مسعود بن عُمَرَ التَّفْتَازانِيّ

المتوفّى سنة ٧٩٢ هـ

ويليه كتابُ
«الإفصاح عن رموز الإصباح»

صنعة

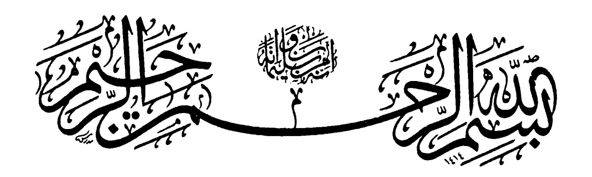
محمّد زكي الجعفريّ الأديب الدَّرّه صُوْفِيّ

المدرّس والمتخصّص

في

علوم الأَدَب وإنشاء لُغَة العَرَب

الجزء الرّابع


بسم الله الرحمن الرحيم


شبكة الفكر
alfeker.net


يا علي يا فاطمة

تفتازانی، مسعود بن عمر، ۷۲۲-۷۹۲ ق - شارح
الاصباح فی شرح تلخیص المفتاح المعروف بـ (المطول)، ویلیه کتاب الافصاح عن رموز الاصبابح / تالیف سعدالدین مسعود بن عمر التفتازانی الخرسانی ؛ محمد زکی الجعفری.- قم : دارالحجة، ۱٤۳٤هـ = ۲۰۱۳ م = ۱۳۹۲.
٤ج.
ISBN: 978-600-5136-25-8 (دوره):
ISBN: 978-600-5136-24-1 (جلد چهارم):
فهرست نویسی براساس اطلاعات فیپا
اثر حاضر شرح تلخیص المفتاح خطیب قزوینی است و آن نیز خود تلخیص مفتاح العلوم سکاکی است و در ادامه کتاب الافصاح عن رموز الاصباح محمد زکی جعفری می باشد.
کتابنامه . عربی.
۱. خطیب قزوینی، محمد بن عبدالرحمن، ٦٦٦-۷۳۹ ق ، - تلخیص المفتاح - نقد و تفسیر ۲. زبان عربی - معانی و بیان
۳. زبان عربی - بدیع . الف . سکاکی، یوسف بن ابوبکر، ۵۵۵-٦۲٦ ق مفتاح العلوم. تلخیص. ب . خطیب قزوینی، محمد بن عبدالرحمن، ٦٦٦-۷۳۹ ق .تلخیص المفتاح، شرح. ج . جعفری، محمد زکی. د . عنوان . هـ عنوان: مفتاح العلوم . تلخیص. و . عنوان: الافصاح عن رموز الاصباح.
۸۰۸/٤۰۲۷
۸۰۲۲۸٤ت ٦خ / ۲۰۲۸ PJA ۱۳۹۲
۲۹۸۹۲۲۸



اسم الكتاب : شرح المطول المجلد الرابع

المؤلف : سعدالدين تفتازاني

الناشر : دارالحجة (عج)

المطبعة : گل وردي

الطبعة : الاولى

تاريخ النشر : ١٤٣٥هـ. ق

الكمية : ١٠٠٠ نسخة

القطع و عدد الصفحات : وزيرى ٦٣٠ صفحة

شابک : ٩٧٨-٦٠٠-٥١٣٦-٢٤-١

مؤسسة دارالحجة (عج) للثقافة : قم ، سوق القدس ، محل رقم ٣٥

تلفن : ٣٧٧٣٧٥٤٠ - ٣٧٧٣٤٧٢٧ - ٠٢٥

٠٩١٢١٥٣٢٨٩٦

﴿الفنّ الثَّالث : علم البديع[1]﴾

﴿وهو علم يُعْرَفُ به وجوه تحسين الكلام﴾ أي: يتصوّر معانيها[2] ويعلم

---

(١) **قوله: «الفنّ الثّالث علم البديع»**. اللّام فيه للعهد الذّكريّ أو الحضوريّ كما تقدّم. قال الهنديّ في شرح قول المصنّف: «الفنّ الأوّل علم المعاني»: وجه حمل «علم المعاني» على «الفنّ الأوّل» دون العكس أنّ الشّيء إذا كان أعرف فالأصل جعل الأعرف مبتدأً وغيره خبراً، نحو: «زيد المنطلق» لمن يعرف زيداً دون انطلاقه، ونحو: «المنطلق زيد» لمن يعرف المنطلق دون زيد، وهاهنا عكس ذلك الأصل، لأنّ «الفنّ الأوّل» مذكور فيما سبق كناية و«علم المعاني» صراحةً.

والجواب أنّ «الفنّ الأوّل» هنا أعرف من «علم المعاني» من جهة أُخرى، لأنّ الخطاب هنا بالنّظر إلى من يعرف «الفنّ الأوّل» ولا يعرف «علم المعاني» لأنّ المخاطب يجوز أن يعرف أنّ المصنّف ألّف مختصراً مشتملاً على ثلاثة فنون ولا يعرف أنّ الفنّ ما هو؟ فأجاب؛ بأنّ: الفنّ علم المعاني. وأنّ الحمل مفيد بحيث يندفع جميع الشّكوك الّتي عرضت للنّاظرين.

ثمّ ما ذكره الشّارح من انحصار مقصود الكتاب في الفنون الثّلاثة إن كان انحصار الكلّيّ في جزئيّاته ـ كما هو الظّاهر ـ فالمقصود والفنون متّحدان، إذ كلّ منهما عبارة عن المعاني أو الألفاظ، فصحّة الحمل في قوله: «الفنّ الأوّل علم المعاني» ظاهرة، لأنّه من حمل المعاني على المعاني أو حمل الألفاظ على الألفاظ. وإن كان انحصار المظروف في الظّرف بأن يكون أحدهما عبارةً عن الألفاظ والآخر عن المعاني يكون الحمل المذكور حمل اللّفظ على المعنى أو بالعكس على سبيل التّسامح بعلاقة الدّالّيّة والمدلوليّة مع الإشارة إلى أنّ نظم المختصر في غاية الوضوح كأنّه عين المعنى، وأنّه لا يزيد اللّفظ على المعنى، فيكون مستدركاً، ولا المعنى على اللفظ فيكون قاصراً.

وقال الجرجانيّ: يسمّى «البديع» بديعاً، لكونه باحثاً عن الأُمور المستغربة.

(٢) **قوله: «أي: يتصوّر معانيها»**. قال الهنديّ: يعني: ليس قوله: «علم» بمعنى الملكة، أو

⇐

أعدادها وتفاصيلها بقدر الطّاقة.

فوجوه تحسين الكلام إشارة إلى الوجوه المذكورة[١] في صدر الكتاب في قوله: «ويتبعها وجوه أُخَرُ تورث الكلام حسناً».

وقولُهُ: ﴿بعد رِعاية المطابقة﴾ أي: مطابقة الكلام لمقتضى الحال **﴿و﴾** رعاية **﴿وضوح الدّلالة﴾** أي: بالخلوّ عن التّعقيد المعنويّ[٢] **للتّنبيه على أنّ هذه الوجوه**

⇐ التّصديقات بالمسائل، أو نفسها، و«المعرفة» بمعنى الإدراك الجزئيّ الّذي يحصُلُ من استخراج الفروع من القواعد الكليّة ـ كما في تعريف العلمين السّابقين ـ إذ ليس في علم البديع إلّا تصوّرات المحسّنات وبيان عددها وتفصيلها، فهو علم تبيّن فيه مفهومات المحسّنات العرضيّة وأقسامها وأعدادها، فليس فيه مسألة فضلاً عن أن يستخرج منه فروع، ولذا جعل السّكّاكيّ بيان المحسّنات من توابع علم البيان ولم يجعله علماً برأسه.

فالمعرفة بمعنى الإدراك التّصوّري، كما أنّ العلم قد يطلق على الإدراك التّصديقيّ مناسباً لما تسمعه من أئمّة اللغة من أنّ «المعرفة» تتعدّى إلى مفعول واحدٍ و«العلم» إلى مفعولين.

وما قالوا مِن أنّ لكلّ علم مسائل فإنّما هو في العلوم الحِكْمِيَّة، وأمّا العلوم الشّرعيّة فلا يتأتّى في جميعها ذلك، فإنّ اللغة ليس إلّا ذكر الألفاظ ومفهوماتها، وكذا التّفسير، والحديث، اهـ.

(١) **قوله: «إشارة إلى الوجوه المذكورة»**. قال الجرجاني: قد مرّ في تحقيق معنى التّعريف أنّ الإضافة ـ كاللّام ـ في الإشارة إلى المعهود، والجنس، وما يتفرّع عليه، والمناسب هاهنا أن تجعل الإضافة للعهد ـ لما سنذكره ـ.

(٢) **قوله: «أي: بالخلوّ عن التّعقيد المعنويّ»**. قال الجرجاني: كأنّه خصّ وضوح الدّلالة بالخلوّ عن التّعقيد المعنويّ مع أنّه بحسب مفهومه يتناول الخلوّ عن التّعقيد اللّفظيّ أيضاً، ليكون إشارة إلى علم البيان ـ على ما ذكر في صدر الكتاب ـ كما أنّ رعاية المطابقة إشارة إلى علم المعاني، فيكون تنبيهاً على أنّ رتبة هذا الفنّ بعدهما، فقوله: «بعد» هاهنا بمنزلة قوله: ⇐

إنّما تُعَدُّ مُحَسِّنَةً للكلام بعد رعاية الأمرين، وإلّا لكان كتعليق الدُّرَر على أعناق الخَنَازِير، فقوله: «بعد» متعلّق بالمصدر ـ أعني: تحسين الكلام ـ.

ولا يجوز أن يكون المراد بوجوه التّحسين مفهومها الأعمّ الشّامل للمطابقة لمقتضى الحال والخلوّ عن التّعقيد وغير ذلك ممّا يورث الكلام حسناً ـ سواء كان داخلاً في البلاغة أو غير داخل ـ ويكون قوله: «بعد رعاية المطابقة ووضوح الدّلالة» احترازاً عمّا يكون داخلاً في البلاغة[1] ـ ممّا يتبيّن في «علم المعاني» و«البيان» و«اللّغة» و«الصّرف» و«النّحو»: ـ لأنّه يدخل[2] فيها حينئذٍ بعض ما ليس

⇐ «وتتبعها وجوه أُخر».

وقد علم بذلك أيضاً أنّ وضوح الدّلالة المذكورة في تعريف البيان يجب حمله على الخلوّ عن التّعقيد المعنويّ اعتماداً على ما سبق في مباحث المقدّمة فتأمّل.

(١) **قوله: «احترازاً عمّا يكون داخلاً في البلاغة»**. وهو المطابقة ووضوح الدّلالة، أعني: الخلوّ عن التّعقيد المعنويّ، والخلوّ عن الغرابة، وعن مخالفة القياس، وعن ضعف التّأليف، وعن التّنافر، أمّا عن المطابقة ووضوح الدّلالة فلأنّ الشّيء لا يكون بعد نفسه، وأمّا عن البواقي فلأنّها ليست بعد المطابقة، ووضوح الدّلالة، إذ كلّ واحد منها لكونه داخلاً في البلاغة ليس تابعاً لها في إيراث الحسن الذّاتي.

(٢) **قوله: «لأنّه يدخل»**. قال الهنديّ: دليل لقوله: «ولا يجوز» إلى آخره... أي: يدخل ـ حين أُريد بوجوه التّحسين مفهومها الأعمّ الشّامل ـ بعضُ ما ليس من المحسّنات التّابعة لبلاغة الكلام، وهو ما سوى المطابقة ووضوح الدّلالة، وذلك لأنّ «بَعْدَ» ليس ظرفاً مستقرّاً، إذ المحسّنات التّابعة ليس حصولها بعد المطابقة والوضوح، فلا يشملها التّعريف، فهو ظرف لغوٍ متعلّق بالتّحسين، ولا شكّ أنّ تحسين ما عدا المطابقة والوضوح ممّا يوجب الفصاحة بعد المطابقة والوضوح، لما مرّ في المقدّمة من أنّ الكلام الّذي ليس مطابقاً لمقتضى الحال وإن كان فصيحاً يلتحق بأصوات الحيوانات، ليس له حسن عند البلغاء، فالمحسّنات الدّاخلة في البلاغة ـ سوى المطابقة والوضوح ـ وإن كانت غير تابعةٍ ⇐

من المُحَسِّنات التّابعة لبلاغة الكلام كالخلوّ عن التّنافر[١] ـ مثلاً ـ مع أنّه ليس من «علم البديع».

[تقسيم المُحَسّنات]

﴿ وهي ﴾ أي: وجوه تحسين الكلام ﴿ ضربان: معنويّ ﴾ أي: راجع إلى تحسين المعنى بحسب العَرَاقة والأَصَالة وإن كان بعضها لا يخلو عن تحسين مّا للّفظ ﴿ ولفظيّ ﴾ أي: راجع إلى اللّفظ كذلك.

[المحسّنات المعنويّة]

وبدأ بالمعنويّ لأنّ المقصود الأصلي والغرض الأوّلي هو المعاني، والألفاظ توابع وقوالب لها، فقال:

⇐ للمطابقة والوضوح في الوجود تابعةٌ لهما في تحسين الكلام فيدخل كلّها في التّعريف. فافهم، فإنّه خفي على النّاظرين وجه الاحتراز ووجه الدّخول.

وقال الجرجانيّ: «يدخل فيها» أي: في وجوه تحسين الكلام «حينئذٍ» ـ أي: حين يراد بها مفهومها الأعمّ ـ بعض ما ليس من المحسّنات التّابعة لبلاغة الكلام كالخلوّ عن التّنافر ـ مثلاً ـ. بل نقول: لا يخرج منها إلّا مطابقة مقتضى الحال، والخلوّ عن التّعقيد مطلقاً ـ بأن يجري وضوح الدّلالة أيضاً على مفهومه المتبادر ـ فيبقى الخلوّ عن التّنافر بين الحروف أو الكلمات، والخلوّ عن مخالفة القياس، والخلوّ عن ضعف التّأليف كلّها مندرجة فيها مع أنّها ليست من «علم البديع»، وأمّا الخلوّ عن الغرابة فيمكن إدراجه في وضوح الدّلالة.

(١) **قوله: «كالخلوّ عن التّنافر»**. قال الهنديّ: أراد به الخلوّ عن الغرابة ومخالفة القياس وضعف التّأليف، فإنّ كلّها يدخل في وجوه التّحسين على تقدير حملها على مفهومها الشّامل ـ كما عرفت ـ.

فالإضراب الّذي ذكره السّيّد ـ الجرجانيّ ـ بقوله: «بل نقول» إلخ ... لا وجه له، فإنّ كاف التّمثيل ولفظ «مثلاً» ينادي على أنّ الشّارح أراد دخول جميع الخلوّات في وجوه التّحسين.

[الطِّباق]

﴿أمّا المعنويّ﴾ فالمذكور منه في الكتاب تسعة وعشرون[١] **﴿فمنه المطابقة[٢] ويُسمّى الطِّباق والتّضادّ أيضاً﴾** والتّطبيق والتّكافؤ أيضاً **﴿وهي الجمع بين متضادّين[٣] ـ أي: معنيين متقابلين في الجملة[٤] ـ﴾** يعني: ليس المراد بالمتضادّين[٥] هاهنا الأمرين الوجوديّين المتواردين على محلّ واحد بينهما غاية الخلاف ـ كـ«السّواد» و«البياض» ـ بل أعمّ من ذلك، وهو ما يكون بينهما تقابل وتنافٍ في الجملة وبعض الأحوال، سواء كان التّقابل حقيقيّاً أو اعتباريّاً[٦]، وسواء كان تقابل التّضادّ أو تقابل الإيجاب والسّلب أو تقابل العدم والمَلَكة[٧] أو تقابل

---

(١) هكذا في النّسخ، وهذا غير صحيح؛ لأنّ المذكور في هذا الكتاب ثلاثون.

(٢) **قوله: «المطابقة»**. وهي في اللّغة المطابقة، وطابقت بين الشّيئين: جعلت أحدهما على حذو الآخر، ومطابقة الفرس في جريه وضعُ رجليه مكان يديه، وفي ذكر المعنيين المتضادّين إيقاع توافق بين ما هو في غاية التّخالف ـ كما في شرح المفتاح للشّارح ـ.

(٣) **قوله: «الجمع بين متضادّين»**. وهذا بيان أقلّ ما يمكن فيه الجمع وإلّا فالمطابقة جائز في ما فوق المتضادّين، كما قالوا في تعريف الكلام: «الكلام ما تضمّن كلمتين بالإسناد» وقال ابن مالك في باب التّنازع:

إن عاملان اقتضيا في اسم عمل ... قبلُ فللواحد منهما العمل

وكلّ واحد منها أخذ بالأقلّ، ولا يدلّ على الحصر.

(٤) **قوله: «في الجملة»**. قال الهندي: أي: ولو بالواسطة.

(٥) **قوله: «يعني ليس المراد بالمتضادّين»**. قد تقدّم بيانه نقلاً عن الشّيخ المظفّر ـ رحمه الله ـ في المنطق.

(٦) **قوله: «أو اعتباريّاً»**. مثل الإحياء والإماتة فإنّهما عبارتان عن الخلق سمّي باعتبار تعلّقه بالحياة إحياءً، وباعتبار تعلّقه بالممات إماتةً.

(٧) **قوله: «تقابل العدم والملكة»**. مثل الإيمان والكفر.

التّضايف[١] أو ما يشبه شيئاً من ذلك ـ على ما يجيء من الأمثلة ـ.

ويكون ذلك الجمع ﴿ **بلفظين من نوع** ﴾ من أنواع الكلمة ﴿ **اسمين نحو:** ﴿ **وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً**[٢] **وَهُمْ رُقُودٌ** ﴾[٣] **أو فعلين نحو:** ﴿ **يُحْيِي وَيُمِيتُ** ﴾[٤] **أو حرفين نحو:** ﴿ **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾[٥] ﴾ فإنّ في اللّام معنى الانتفاع، وفي «على» معنى التّضرّر، أي: لها ما كسبت من خير، وعليها ما اكتسبت من شرّ، لا ينتفع بطاعتها[٦] ولا يتضرّر بمعصيتها غيرها، وتخصيص الخير بالكسب والشّرّ بالاكتساب لأنّ الاكتساب فيه اعتمال[٧] والشّرّ تشتهيه الأنفس وتنجذب إليه فكانت أجدّ في تحصيله وأعمل. ﴿ **أو من نوعين** ﴾ عطف على قوله: «من نوع»

---

(١) **قوله: «تقابل التّضايف»**. قال الجرجاني: فيه بحث، لأنّ الجمع بين الأب والابن لا يسمّى في الظّاهر مطابقةً بل بمراعاة النظير أقرب.

والجواب ـ كما قرّره الهنديّ ـ: أنّه باعتبار كونهما لا يجتمعان في محلّ واحدٍ يكون الجمع بينهما مطابقة، وباعتبار تلازمهما في الوجود خارجاً وذهناً يكون بينهما مراعاة النّظير.

(٢) **قوله: «أيقاظاً»**. جمع «يقظ» وزان «عَضُد» أو «كَتِف» بمعنى اليقظان و«رقود» جمع مكسّر «راقد».

(٣) الكهف: ١٨.

(٤) البقرة: ٢٥٨.

(٥) البقرة: ٢٨٦.

(٦) **قوله: «لا ينتفع بطاعتها»**. قال الهنديّ: الحصر مستفاد من تقديم الجارّ والمجرور، والانتفاع الّذي يحصل من الدّعاء، والصّدقة للغير، انتفاع بثمرة الطّاعة لا بنفسها، وكذا التّضرّر بالمعصية.

(٧) **قوله: «فيه اعتمال»**. أي: كثرة عمل؛ لأنّ زيادة اللّفظ تدلّ على زيادة المعنى كما نصّ عليه الزّمخشري في تفسير «الرحمن» و«الرّحيم» من «الكشّاف» وقد بيّنّا ذلك في حاشية «شرح النِّظام» المسمّاة بتبيين المرام، فراجع.

والقسمة تقتضي أن يكون هذا ثلاثة أقسام: اسم مع فعل، واسم مع حرف، وفعل مع حرف، لكنّ الموجود هو الأوّل فقط ﴿نحو: ﴿أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[1]﴾ فإنّ «الموت» و«الإحياء» ممّا يتقابلان في الجملة[2]، وقد ذكر الأوّل بالاسم والثّاني بالفعل.

[تقسيم الطِّباق]

﴿وهو﴾ أي: الطّباق ﴿ضربان: طِباق الإيجاب كما مرّ، وطِباق السّلب﴾ وهو أن تجمع بين فعلي مصدرٍ واحدٍ أحدهما مثبت والآخر منفي، أو أحدهما أمر والآخر نهي، فالأوّل: ﴿نحو: ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ﴾ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنيا﴾[3][4] ﴿و﴾ الثّاني: ﴿نحو: ﴿فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي﴾[5]﴾.

[التّدبيج]

﴿ومن الطِّباق﴾ ما سمّاه بعضهم تدبيجاً من «دَبَّج المَطَرُ الأرضَ» ـ زيّنها ـ وفسّره بأن يذكر في معنىً ـ من المدح أو غيره ـ ألوان؛ لقصد الكناية أو التّورية. وأراد بالألوان ما فوق الواحد.

ولمّا كان هذا داخلاً في تفسير الطِّباق لما بين اللّونين من التّقابل **صرّح** المصنّف بأنّه من أقسام الطِّباق وليس قسماً من المعنويّ برأسه.

---

(١) الأنعام: ١٢٢.

(٢) **قوله: «ممّا يتقابلان في الجملة»**. أي: باعتبار استلزام الإحياء للحياة ـ كما قرّره الهنديّ ـ.

(٣) الرّوم: ٦ و٧.

(٤) **قوله: «ظاهراً من الحياة الدّنيا»**. «من» في الآية يحتمل أن تكون بيانيّةً، أي: الظاهر الّذي هي الحياة الدّنيا، أو ابتدائيّةً، أي: ظاهر الدّنيا ـ وهو التّلذّذ باللّذّات ـ لا باطنها، وهو كونها مزرعة الآخرة.

(٥) المائدة: ٤٤.

[تدبيج الكناية]

فتدبيج الكناية ﴿ **نحو قوله** ﴾ أي: قول أبي تَمَّام في مرثية أبي نهشل محمّد بن حُمَيْد حين استشهد: ﴿ **تَرَدّىٰ ثِيَابَ المَوْتِ**[1] **حُمْراً فَمَا أَتىٰ * لَـهَا** ﴾ أي: لتلك

---

(١) **قوله: «تردّى ثياب الموتِ»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب التّامّ، والقائل أبو تمّام الطّائيّ الشّاعر المشهور من الشّيعة الإماميّة في مرثية محمّد بن حُمَيْد الطّائي من قصيدة طويلة وهي:

كَذا فَلْيَجِلَّ الخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الأَمْرُ ... فليسَ لِعَيْنٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ
تُوفِّيَتِ الآمالُ بعدَ مُحمَّد ... وأصبحَ في شُغْل عنِ السَّفر السَّفْرُ
وما كانَ إلّا مالَ مَنْ قَلَّ مالُهُ ... وذُخْراً لِمَنْ أمسَى وليسَ له ذُخْرُ
وما كانَ يَدْرِي مُجْتَدِي جُودِ كَفِّهِ ... إذا ما استهلَّتْ أَنَّه خُلِقَ العُسْرُ
أَلا في سَبِيلِ اللهِ مَنْ عُطِّلَتْ له ... فِجَاجُ سَبِيلِ اللهِ وانثغَرَ الثَّغْرُ
فَتًى كُلَّمَا فاضَتْ عُيونُ قَبيلةٍ ... دَماً ضَحِكَتْ عنه الأَحادِيثُ والذِّكْرُ
فَتًى ماتَ بينَ الضَّرْبِ والطَّعْنِ مِيتَةً ... تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِذْ فاتَه النَّصْرُ
وما ماتَ حتَّى ماتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ ... مِنَ الضَّرْبِ واعتلَّتْ عليهِ القَنا السُّمْرُ
وقد كانَ فَوْتُ المَوْتِ سَهْلاً فَردَّهُ ... إليهِ الحِفاظُ المُرُّ والخُلُقُ الوَعْرُ
ونَفْسٌ تَعَافُ العَارَ حتَّى كأنَّه ... هوَ الكُفْرُ يومَ الرَّوعِ أَوْ دُونَه الكُفْرُ
فأثبتَ في مُسْتَنْقَعِ المَوْتِ رِجْلَه ... وقالَ لها مِنْ تحت أَخْمُصِكِ الحَشْرُ
غَدَا غَدْوَةً والحَمْدُ نَسْجُ رِدائِهِ ... فلم يَنْصَرِفْ إلَّا وأكفانُه الأَجْرُ
تَردَّى ثِيَابَ المَوْتِ حُمْراً فما أَتَى ... لها الليلُ إلّا وهْيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ
كأَنَّ بَنِي نَبْهَانَ يومَ وَفاتِه ... نُجومُ سَماءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِها البَدْرُ
يُعَزَّوْنَ عن ثَاوٍ تُعَزَّى بهِ العُلى ... ويَبكي عليهِ الجُودُ والبأسُ والشِّعْرُ
وأَنَّى لَهُمْ صَبْرٌ عليه وقد مَضَى ... إلى المَوْتِ حتَّى استُشْهِدَا هُوَ والصَّبْرُ
فتًى كانَ عَذْبَ الرُّوحِ لا مِنْ غَضَاضَةٍ ... ولكنَّ كِبْراً أَنْ يُقالَ بهِ كِبْرُ!

⇐

الثّياب ﴿ اللّيل إلّا وهي من سُنْدُسٍ خُضْرُ ﴾ أي: ارتدى الثّياب الملطّخة بالدّم فلم ينقض يوم قتله ولم يدخل في ليلته إلّا وقد صارت الثّياب من سندس خضر، أي: من ثياب الجنّة.

فقد ذكر لون الحُمْرة والخُضْرة، والقصد من الأوّل الكناية عن القتل، ومن الثّاني الكناية عن دخول الجنّة، وما في هذا البيت من الكناية قد بلغ من الوضوح إلى حيث يستغنى عن البيان، ولا ينفيه إلّا من لا يعرف معنى الكناية.

⇐ فَتًى سَلَبَتْهُ الخيلُ وهْوَ حِمًى لها ... وبَزَّتْهُ نارُ الحَرْبِ وَهْوَ لها جَمْرُ
وقَدْ كانتِ البِيْضُ المآثيرُ في الوَغَى ... بَواتِرَ فهْيَ الآنَ مِن بَعْدِهِ بُتْرُ
أَمِنْ بَعْدِ طَيِّ الحَادِثَاتِ مُحمَّداً ... يَكُونُ لأثوابِ النَّدَى أبداً نَشْرُ؟!
إذَا شَجَراتُ العُرْفِ جُذَّتْ أُصُولُها ... فَفِي أيِّ فَرْعٍ يُوجَدُ الوَرَقُ النَّضْرُ؟
لَئِنْ أُبغِضَ الدَّهْرُ الخَؤُونُ لِفقْدِه ... لَعَهْدِي بهِ مِمَّنْ يُحَبُّ له الدَّهْرُ
لَئِنْ غَدَرَتْ في الرَّوْعِ أيَّامُه بهِ ... لَما زَالتِ الأيَّامُ شِيمتُها الغَدْرُ
لَئِنْ أُلبِسَتْ فيهِ المُصِيبَةَ طَيِّئٌ ... لَمَا عُرِّيَتْ منها تَمِيمٌ ولا بَكْرُ
كذلكَ ما نَنفَكُّ نَفْقدُ هالِكاً ... يُشارِكُنا في فَقْدِهِ البَدْوُ والحضْرُ
سَقَى الغَيْثُ غَيْثاً وارَتِ الأرضُ شَخْصَه ... وإنْ لم يَكُنْ فيهِ سَحَابٌ ولا قَطْرُ
وكيفَ احتمالي للسّحابِ صَنِيعَةً ... بإسقائِها قَبْراً وفي لَحدِهِ البَحْرُ؟!
مَضَى طاهِرَ الأثوابِ لم تَبْقَ رَوْضَةٌ ... غَداةَ ثَوَى إلَّا اشتَهتْ أنَّها قَبْرُ
ثَوَى في الثَّرَى مَنْ كان يَحيا بهِ الثَّرَى ... ويَغْمُرُ صَرْفَ الدَّهْرِ نائِلُهُ الغَمْرُ
عليك سَلامُ اللهِ وَقْفاً فإنَّني ... رَأيتُ الكريمَ الحُرَّ ليسَ له عُمْرُ

قال الجرجاني: «خُضْرُ» مرفوع في البيت خبر بعد خبر لأنّ القصيدة على حركة الضّمّ اهـ محلّ الحاجة.

[تدبيج التّورية]

وأمّا تدبيج التّورية فكقول الحريريّ[1]: «فَمُذِ آغْبَرَّ العيش الأخضر، وازورّ

(١) قوله: «فكقول الحريريّ». أي: في المقامة الثّالثة عشرة المسمّاة بالبغداديّة وهذا نصّه:

روى الحارثُ بنُ همام قال: نَدَوْتُ بضَواحِي الزَّوراءَ * مَعَ مَشْيَخَةٍ مِنَ الشُّعَراء * لا يَعْلَقُ لَهُمْ مُبارٍ بِغُبارٍ * ولا يَجْرِي مَعَهُمْ مُمارٍ في مِضْمار * فَأَفَضْنا في حَدِيثٍ يَفْضَحُ الأَزْهار * إلى أنْ نَصَفْنا النَّهار * فلمّا غاضَ دَرُّ الأَفْكار * وصَبَتِ النُّفُوسُ إلى الأَوْكار * لَمَحْنا عَجُوزاً تُقْبِلُ مِنَ البُعْد * وتُحْضِرُ إحْضَارَ الْجُرْد * وقَد اسْتَتْلَتْ صِبْيَةً أَنْحَفَ مِنَ الْمغازِل * وأَضْعَفَ مِنَ الْجَوازِل * فَما كَذَّبَتْ إذ رَأَتْنا * أنْ عَرَتْنا * حَتَّى إذا ما حَضَرَتْنا * قالَتْ حَيَّا اللهُ الْمَعارِف * وإنْ لم يَكُنَّ مَعَارِف * اعْلَمُوا يا مآلَ الآمِلِ * وثِمالَ الأَرامِلِ * أنّي مِن سَرَواتِ القَبائل * وسَرِيَّات العَقائل * لم يَزَلْ أهْلي وبَعْلِي يَحُلُّون الصَّدْر * وَيسِيرُونَ القَلْب * ويُمْطُونَ الظَّهر * ويُولُونَ اليد * فلمَّا أَرْدَى الدَّهْرُ الأَعْضاد * وفَجَعَ بالْجَوارِحِ الأَكْباد * وانْقَلَبَ ظَهْراً لِبَطْن * نَبَا النَّاظِر * وجَفا الْحَاجِب * وذَهَبَتِ العَيْن * وفُقِدَت الرَّاحَة * وصَلَدَ الزَّنْد * ووهَبَتِ اليَمِين * وضَاعَ اليَسار * وبانَت الْمَرافِق * ولم يَبْقَ لنا ثَنِيَّةٌ ولا نَاب * فَمُذِ اغْبَرَّ العَيْشُ الأَخْضَر * وازْوَرَّ الْمَحْبُوبُ الأَصْفَر * اسْوَدَّ يومي الأَبْيَض * وابْيَضَّ فَوْدِي الأَسْوَد * حَتَّى رَثَى لي العَدُوُّ الأَزْرَق * فَحَبَّذَا الْمَوْتُ الأَحْمَر * وتِلْوِي مَنْ تَرَضوْنَ عَيْنُهُ فُرارُه * وتَرْجُمانُه اصْفرارُه * قُصْوَى بِغْيَةِ أَحَدِهِم ثُرْدَة * وقُصارَى أُمْنِيَّتِهِ بُرْدَة * وكُنْتُ آلَيْتُ أنْ لا أبْذُلَ الْحُرَّ إلَّا لِلْحُرّ * ولَوْ أنِّي مُتُّ مِنَ الضُرّ * وقَدْ نَاجَتْني الْقَرُونَة * بِأَنْ تُوجَدَ عِنْدَكُمُ الْمَعُونة * وآذَنَتْني فِراسَةُ الْحَوْباء * بِأَنَّكُمْ يَنابيعُ الْحِباء * فَنَضَّرَ اللهُ امْرَأً أَبَرَّ قَسَمي * وصَدَّقَ تَوَسُّمِي * ونَظَرَ إليَّ بِعَينٍ يُقْذِيها الْجُمود * ويُقَذِّيها الْجُود * قالَ الحارِثُ بنُ همام: فَهِمْنا لِبَراعَةِ عِبارَتِها * ومُلَح اسْتعارَتِها * وقُلْنا لها قد فَتَنَ كَلامُكِ * فَكَيْفَ إلْحَامُكِ * فقالَتْ أُفَجِّرُ الصَّخْر * ولاَ فَخْرَ * فَقُلْنا إنْ جَعَلْتِنا مِنْ رُواتِكِ * لَمْ نَبْخَلْ بمُواساتكِ * فَقَالَتْ لأُرِيَنَّكُمْ أوّلاً شِعاري * ثمّ لأُرَوِّيَنَّكُمْ أشْعارِي * فَأَبْرَزَتْ رُدْنَ دِرْعٍ دَرِيسٍ * وبَرَزَتْ بِرْزَةَ عَجوزٍ دَرْدَبيس وأنْشَأَتْ تَقُولُ:

⇐

⇐ أشْكُو إلَى اللهِ اشْتكاءَ الْمَريض ... رَيْبَ الزَّمانِ الْمُتَعَدِّي الْبَغِيضْ
يا قَوْمِ إنّي مِنْ أُناسٍ غَنَوْا ... دَهْراً وجَفْنُ الدَّهْرِ عَنْهُمْ غَضِيضْ
فَخارُهُمْ لَيْسَ لَهُ دافِعٌ ... وصِيتُهُمْ بَيْنَ الْوَرَى مُسْتَفِيضْ
كانوا إذا ما نُجْعَةٌ أعْوَزَتْ ... في السَّنَةِ الشَّهْباءِ رَوْضاً أريضْ
تُشَبُّ لِلسَّارِينَ نِيرانُهُمْ ... ويُطْعِمُون الضَّيْفَ لَحْماً غَرِيضْ
ما باتَ جَارٌ لَهُمْ ساغِباً ... ولا لِرَوْعٍ قالَ حالَ الْجَرِيضْ
فَغَيَّضَتْ مِنْهُمْ صُروفُ الرَّدَى ... بِحارَ جُودٍ لَمْ نَخَلْها تَغيضْ
وَأُوْدِعَتْ مِنْهُمْ بُطُونُ الثَّرَى ... أُسْدَ التَّحامي وأُساةَ الْمَرِيضْ
فَمَحْمِلي بَعْدَ الْمَطايا الْمَطا ... ومَوْطِنِي بَعْدَ الْيَفَاعِ الْحَضِيضْ
وَأفْرُخي ما تَأْتَلي تَشْتَكي ... بُؤْساً لَهُ في كُلِّ يَوْمٍ وَمِيضْ
إذا دَعا الْقَانِتُ في لَيْلِهِ ... مَوْلاهُ نادَوْهُ بِدَمْعٍ يَفيضْ
يا رازِقَ النَّعَّابِ في عُشِّهِ ... وجابِرَ الْعَظْمِ الكَسيرِ الْمَهيضْ
أتِحْ لَنا اللَّهُمَّ مَنْ عِرْضُهُ ... مِنْ دَنَسِ الذَّمِّ نَقيٌّ رَحِيضْ
يُطْفِئُ نارَ الْجُوعِ عَنَّا وَلَوْ ... بِمَذْقَةٍ مِنْ حازِرٍ أوْ مَخِيضْ
فَهلْ فَتًى يَكْشِفُ ما نابَهُمْ ... ويَغْنَمُ الشُّكْرَ الطَّوِيلَ الْعَرِيضْ
فَوَالَّذِي تَعْنُو النَّواصي لهُ ... يَوْمَ وُجُوهُ الْجَمْعِ سُودٌ وبِيضْ
لَوْلاهُمُ لَمْ تَبْدُ لِي صَفْحَةٌ ... ولَا تَصَدَّيْتُ لِنَظْمِ الْقَرِيضْ

قال الرَّاوي فَوَاللهِ لَقَدْ صَدَّعَتْ بِأَبْيَاتِهَا أَعْشارَ القُلُوب * واسْتَخْرَجَتْ خَبَايا الْجُيُوب * حَتَّى ماحَها مَنْ دِينُه الإمْتِياح * وارْتاحَ لِرِفْدِهَا مَنْ لم نَخَلْهُ يَرْتَاح * فلمَّا افْعَوْعَمَ جَيبُهَا تِبرَا * وأوْلَاها كُلٌّ مِنَّا بِرًّا * تَوَلَّتْ يَتْلُوها الأَصَاغِر * وفُوها بِالشُّكْرِ فاغِر * فاشْرَأَبَّتِ الْجَمَاعَةُ بَعْدَ مَمَرِّها * إلَى سَبْرِها لتَبْلُوَ مَوَاقِعَ بِرِّها * فَكَفَلْتُ لَهُمْ بِاسْتِنْبَاطِ السِّرِّ الْمَرْمُوز * ونَهَضْتُ أَقْفُو أثَرَ العَجُوز * حَتَّى انْتَهَتْ إلَى سُوقٍ مُغْتَصَّةٍ بِالْأَنام * مُخْتَصَّةٍ بِالزِّحام * فانْغَمَسَتْ في الغُمَار * وامَّلَسَتْ مِنَ الصِّبْيَةِ الأَغْمَار * ثمّ عاجَتْ بخُلُوٍّ بَال * إلَى مَسْجِدٍ خال * فَأَماطَتِ

⇐

المحبوب الأصفر، اسودّ يومي الأبيض، وابيضّ فَوْدِي الأسود، حتّى رثى لي العدوّ الأزرق، فيا حبّذا الموت الأحمر».

فالمعنى القريب للمحبوب الأصفر هو الإنسان الّذي له صُفْرة، والبعيد هو الذَّهَب وهو المراد هاهنا، فيكون تورية.

⇐ الْجِلبَاب * ونَضَت النِّقَابِ وأنَا ألْمَحُهَا مِنْ خَصَاص البَاب * وأرْقُبُ ما سَتُبْدِي مِنَ العُجَاب * فلمَّا انْسَرَتْ أُهْبَةُ الخَفَر * رَأيْتُ مُحيًّا أبِي زَيْدٍ قَدْ سَفَر * فَهَمَمْتُ بِأَنْ أهْجُمَ عَلَيْه * لأُعَنِّفَهُ على ما أجْري إلَيْه * فاسْلَنْقَى اسْلِنْقَاءَ الْمُتَمَرِّدِين * ثمّ رَفَعَ عَقِيرَةَ الْمُغَرِّدِين * وانْدَفَعَ يُنْشِدُ:

يا لَيْتَ شِعْرِي أدَهْرِي	أحاطَ عِلْماً بِقَدْرِي
وهَلْ دَرَى كُنْه غَوْرِي	في الْخَدْعِ أمْ لَيْس يَدْرِي
كَمْ قَدْ قَمَرْتُ بَنِيهِ	بِحِيلَتِي وبِمَكْرِي
وكَمْ بَرَزْتُ بِعُرْف	عَلَيْهِم وبِنُكْرِ
أصْطادُ قَوْماً بِوَعْظٍ	وآخَرِينَ بِشِعْرِ
وأسْتَفِزُّ بِخَلٍّ	عَقْلا وعَقْلا بِخَمْرِ
وتارَةً أنَا صَخْرٌ	وتارَةً أُختُ صَخْر
ولو سَلَكْتُ سَبِيلاً	مَأْلُوفةً طُولَ عُمْري
لَخَابَ قِدْحِي وقَدْحِي	ودَامَ عُسْرِي وخُسْرِي
فَقُلْ لِمَنْ لامَ هٰذا	عُذْرِي فَدُونك عُذْرِي

قال الحارِثُ بنُ همَّامٍ فلمَّا ظَهَرْتُ على جَلِيَّةِ أمْرِه * وبَدِيعَةِ إمْرِهِ * وما زَخْرَفَ في شِعْرِهِ مِنْ عُذْرِهِ * عَلِمْتُ أنَّ شَيْطَانَه الْمَرِيد * لا يَسْمَعُ التَّفْنِيد * ولا يَفْعَلُ إلَّا مَا يُرِيد * فَثَنَيْتُ إلَى أصْحَابِي عِنَانِي * وأبْثَثْتُهُم ما أثْبَتَهُ عِيَانِي * فَوَجَمُوا لِضَيْعَةِ الْجَوائِز * وتَعَاهَدُوا على مَحْرَمَةِ العَجائِز.

[ملحق الطّباق]

﴿ ويلحق به ﴾ أي: بالطّباق شيئان:

أحدهما: الجمع بين معنيين يتعلّق أحدهما بما يقابل الآخر نوعَ تعلّقٍ، مثل السّببيّة واللّزوم ﴿ نحو: ﴿ **أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾[١] فإنّ الرّحمة ﴾ وإن لم تكن مقابلة للشّدّة لكنّها ﴿ مسبّبة عن اللّين ﴾ الّذي هو ضدّ الشّدّة.

ونحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ** ﴾[٢] فإنّ ابتغاء الفضل وإن لم يكن مقابلاً للسّكون لكنّه يستلزم الحركة المضادّة للسّكون.

ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً** ﴾[٣] لأنّ إدخال النّار يستلزم الإحراق المضادّ للإغراق.

﴿ و ﴾ **الثّاني:** الجمع بين معنيين غير متقابلين عبّر عنهما بلفظين يتقابل معنياهما الحقيقيّان ﴿ نحو قوله ﴾ أي: قول دِعْبل:

﴿ **لَا تَعْجَبِيْ يا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ** ﴾[٤] يعني نفسه.

---

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) القصص: ٧٣.

(٣) نوح: ٢٥.

(٤) **قوله: «لا تعجبي يا سَلْمُ مِن رجلٍ»**. البيت من الكامل على العروض الثّانية الحذّاء مع الضّرب الأحذّ ـ فَعِلُن ـ والقائل شاعر أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ دعبل بن عليّ الخُزاعي، قال في الشّيب والشّباب:

أَيـنَ الشَّـبابُ؟ وأَيَّـةً سَلَكا ... لاَ، أَينَ يُطلبُ؟ ضَلَّ بَلْ هلكا

لا تَعجَبي يا سَلمُ مِنْ رجلٍ ... ضَحِكَ المَشِيبُ برأسِهِ فبَكَى

⇐

﴿ **ضَحِكَ المَشِيبُ بِرَأْسِهِ** ﴾ أي: ظهر ظهوراً تامّاً ﴿ **فبَكَىٰ** ﴾ ذلك الرّجل.

فإنّه لاتقابل بين البكاء وظهور المشيب، لكنّه عبّر عن ظهورالمشيب بالضِّحْكِ الّذي يكون معناه الحقيقي مضاداً لمعنى البكاء.

﴿ **ويُسمّى الثّاني إيهام التّضادّ** ﴾ لأنّ المعنيين المذكورين وإن لم يكونا متقابلين ـ حتّى يكون التّضادّ حقيقياً ـ لكنّهما قد ذكرا بلفظين يوهمان بالتّضادّ، نظراً إلى الظّاهر والحمل على الحقيقة.

[المقابلة]

﴿ **ودخل فيه** ﴾ أي: في الطّباق بالتّفسير الّذي سبق ﴿ **ما يختصّ باسم المقابلة** ﴾ الّذي جعلها[1] السّكّاكيّ وغيره قسماً برأسه من المحسّنات المعنويّة.

[تعريفها]

﴿ **وهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر** ﴾ أي: بمعان متوافقة ﴿ **ثمّ بما يقابل ذلك** ﴾ أي: ثمّ يؤتى بما يقابل المعنيين المتوافقين، أو المعاني المتوافقة ﴿ **على التّرتيب** ﴾ فيدخل في الطّباق؛ لأنّه حينئذٍ يكون جمعاً بين معنيين متقابلين في الجُملة.

⇐ قد كانَ يَضحكُ في شبيبتهِ ... وأَتَى المشيبُ فقلَّما ضَحِكَا

يا سَلمُ ما بالشَّيبِ منقصةٌ ... لا سُوقَةً يُبقي وَلاَ مَلِكا

قَصَر الغَوايَةَ عَنْ هَوَى قَمَرٍ ... وَجَد السَّبيلَ إِلَيْهِ مُعْتَرِكا

وَعداً بأُخرى عزَّ مَطلبُها ... صبّاً يطا مِنْ دُونِها الحَسَكَا

يا ليتَ شِعري كيفَ نومُكما ... يا صاحبيَّ إذا دَمي سُفِكا؟

لا تأخذا بظُلامَتي أَحداً ... قلبي وطرفي في دمي اشتركا

و«سَلْمُ» مرخّم «سَلْمَى» وفيه لغتان: ـ سَلْمُ وسَلْمَ ـ: من ينتظر، ومن لا ينتظر.

(١) في مطلع علم البديع من «المفتاح»: ٥٣٣.

[معنى التّوافق]

﴿ والمراد بالتّوافق خلاف التّقابل ﴾ لا أن يكونا متناسبين ومتماثلين، فإنّ ذلك غير مشروط ـ كما يجيء من الأمثلة ـ.

[أنواع المقابلة]

ثمّ يخصّ اسم المقابلة بالإضافة إلى العدد الّذي وقع عليه المقابلة، مثل: مقابلة الاثنين بالاثنين، ومقابلة الثّلاثة بالثّلاثة، والأربعة بالأربعة، إلى غير ذلك.

فمقابلة الاثنين بالاثنين ﴿ نحو: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً ﴾[١] ﴾ أتى بالضّحك والقلّة المتوافقين، ثمّ بالبكاء والكثرة المتقابلين لهما.

﴿ و ﴾ مقابلة الثّلاثة بالثّلاثة ﴿ نحو قوله ﴾ أي: قول أبي دُلَامة[٢]:

﴿ مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا[٣] إِذَا اجْتَمَعَا وَأَقْبَحَ الْكُفْرَ وَالإِفْلاَسَ بِالرَّجُلِ ﴾

---

(١) التّوبة: ٨٢.

(٢) **قوله: «أبي دلامة»**. اسمه زند بن الجون الكوفيّ الأسديّ بالولاء، نبغ في أيّام بني العبّاس: السّفّاح، والمنصور، والمهديّ، وكان أبو دلامة ـ مثل كلّ المتّصلين ببني العبّاس ـ فاسد الدّين، رديء المذهب، مرتكباً للمحارم، مجاهراً بذلك، وأوّل ما حفظ من شعره وأُسنيت له الجائزة به قصيدة مدح بها المنصور الدّوانيقيّ وذكر قتله أبا مسلم:

أبا مسلم خوّفتني القتلَ فانْتَحَى عليك بما خوّفتني الأسدُ الوَرْدُ

أبا مسلم ما غيّر اللهُ نعمةً على عبده حتّى يغيّرها العَبْدُ

وأنشدها المنصورَ في محفل من النّاس، فقال له: احتكم؟ فقال له: عشرة آلاف درهم، فأمر له بها، فلمّا خلا به قال له: أما والله لو تعدّيتها لقتلتك.

(٣) **قوله: «ما أحسن الدّين والدّنيا»**. البيت من البسيط على العروض المخبونة مع الضّرب المشابه وهو منسوب إلى أبي دُلامة، حكي أنّ المنصور الدّوانيقي ـ لعنه الله ـ سأله عن أشعر بيت قالته العرب في المقابلة، فقال: بيت يلعب به الصّبيان، قال: وما هو على ذاك؟

⇐

قابل الحُسْن والدِّين والغنى بالقبح والكفر والإفلاس على التّرتيب.

﴿ و ﴾ مقابلة الأربعة بالأربعة ﴿ نحو: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ** ﴾[1] ﴾.

ولمّا كان التّقابل في الجميع ظاهراً إلّا مقابلة الاتّقاء والاستغناء بيّنه بقوله: ﴿ **المراد بـ«استغنى» أنّه زَهِدَ فيما عند الله كأنّه مستغن عنه** ﴾ أي: عمّا عند الله ـ تعالى ـ ﴿ **فلم يتّق، أو استغنى بشهوات الدُّنيا عن نعيم الجنّة فلم يتّق** ﴾ فيكون الاستغناء مستلزماً لعدم الاتّقاء المقابل للاتّقاء، ففي هذا المثال تنبيه على أنّ المقابلة قد يركّب من الطّباق، وقد يركّب ممّا هو ملحق بالطِّباق، لما مرّ من أنّ مثل

⇐ قال: قول الشّاعر، وأنشده البيت. وأحسن منه قول المتنبّي:

فلا الجود يفني المالَ والجَدُّ مُقْبِلٌ ... ولا البخلُ يبقي المالَ والجَدُّ مُدْبِرُ

وقال أبو تمّام:

يا أُمّةً كان قبحُ الجور يسخطها ... دَهْراً فأصبح حُسنُ العدل يُرْضِيْها

وقال النّابغة:

فتىً تمّ فيه ما يسرُّ صديقه ... على أنّ فيه ما يسوءُ الأعاديا

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول المتنبّي:

أزُورُهم وسَواد الليل يشفَعُ لي ... وأنثني وبياض الصّبح يُغْرِي بي

ومن مقابلة ستّة بستّة ما أورده الصّاحب شرف الدّين المستوفي:

على رأس عبدٍ تاجُ عِزٍّ يزينهُ ... وفي رجل حرٍّ قيدُ ذُلٍّ يَشِينُهُ

والصّاحب لمّا أنشد لغيره هذا البيت قال هو بديهاً:

تسرّ لئيماً مكرماتٌ تزينه ... وتبكي كريماً حادثاتٌ تهينه

ومن مقابلة خمسة بخمسةٍ قول القائل في عمر بن الخطّاب:

يأتي إلى الأحرار يجلس فوقهم ... وينامُ من تحت العبيد ويُؤتَى

(١) اللّيل: ٥ ـ ١٠.

مقابلة الاتّقاء والاستغناء من قبيل الملحق بالطّباق ـ مثل مقابلة الشّدّة والرّحمة ـ.

[شرط المقابلة عند السّكّاكيّ]

﴿**وزاد السّكّاكيّ**﴾ في تعريف المقابلة قيداً آخر حيث قال[1]: هي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضدّيهما ﴿**وإذا شرط هاهنا**﴾ أي: فيما بين المتوافقين أو المتوافقات ﴿**أمر شرط ثمّة**﴾ أي: فيما بين الضدّين أو الأضداد ﴿**ضدّه**﴾ أي: ضدّ ذلك الأمر ﴿**كهاتين الآيتين فإنّه**﴾ لمّا ﴿**جعل التّيسير مشتركاً بين الإعطاء والاتّقاء والتّصديق جعل ضدّه**﴾ أي: ضدّ التّيسير ـ وهو التّعسير المعبّر عنه بقوله ﴿**فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرىٰ**﴾ ـ ﴿**مشتركاً بين أضدادها**﴾ أي: أضداد تلك المذكورات، وهي: البُخْلُ، والاستغناء، والتّكذيب.

فعلى هذا لا يكون بيت أبي دُلامَة من المقابلة؛ لأنّه اشترط في الدّين والدّنيا الاجتماع، ولم يشترط في الكفر والإفلاس ضدّه.

[مراعاة النّظير]

﴿**ومنه**﴾ أي: من المعنويّ ﴿**مُراعاة النّظير**[2] **ويُسمّى التّناسب والتّوفيق**

---

(١) وهذا نصّه في مطلع «علم البديع» من «المفتاح» ٥٣٣: ومنه «المقابلة» وهي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر، وبين ضدّيهما، ثمّ إذا شرطت هنا شرطاً شرطت هناك ضدّه، كقوله ـ عزّ وعلا ـ: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطىٰ وَاتَّقىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرىٰ * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرىٰ**﴾ لمّا جعل التّيسير مشتركاً بين الإعطاء والاتّقاء والتّصديق، جعل ضدّه وهو التعسير مشتركاً بين أضداد تلك وهي المنع، والاستغناء، والتّكذيب، اهـ.

(٢) **قوله: «مراعاة النّظير»**. ومن أبدع ما قيل في مراعاة النّظير قول بعضهم في آل النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ:

⇐

أيضاً ﴾ والائتلاف والتّلفيق أيضاً ﴿ **وهي جمع أمر وما يناسبه لا بالتّضادّ** ﴾ والمناسبة بالتّضادّ أن يكون كلّ منهما مقابلاً للآخر، وبهذا القيد يخرج الطِّباق.

وذلك قد يكون بالجمع بين الأمرين ﴿ **نحو: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾**(١) ﴾.

وقد يكون بالجمع بين ثلاثة أُمور ﴿ **نحو قوله** ﴾ أي: قول البُحْتُرِيّ في صفة الإبل:

﴿ **كالقِسِيّ المُعَطَّفات** ﴾(٢) أي: المحنيّات، من «عطف العُود» و«عطفه» ـ حناه ـ

⇐ أنتم بنو طٰه ونُونَ والضُّحَى … وبنو تبارَكَ والكتاب المحكم

وبنو الأباطح والمشاعر والصَّفَا … والرّكن والبيت العتيق وزمزم

فإنّه أحسن في المناسبة في البيت الأوّل بين أسماء السُّوَر، وفي الثّاني بين الجهات الحجازيّة.

(١) الرّحمن: ٥.

(٢) **قوله: «كالقِسِيّ المُعَطَّفات»**. البيت من مدوّر الخفيف على العروض الأُولى مع الضّرب المماثل الدّاخل عليه التّشعيث، والقائل: أبو عُبادة البُحْتُرِيّ من قصيدة يمدح بها أبا جعفر بن حُمَيد ويستوهبه غلاماً، مطلعها:

أبُكاءً في الدّار بعد الدِّيار … وسُلُوّاً بزينبٍ عن نَوارِ

لا هَنَاكَ الشُّغْلُ الجديدُ بِحُزْوَى … عن رُسُوم برامتين قِفَارِ

ما ظَنَنْتُ الأهواءَ قبلك تُمْحَى … في صُدُوْرِ العُشَّاقِ مَحْوَ الدِّيار

نظرةٌ ردَّتِ الهَوَى الشّرقَ غرباً … وأمالَتْ نهج الدّموع الجواري

رُبَّ عيشٍ لنا برامةَ رَطْبٍ … وليالٍ فيها طِوالٍ قِصَارِ

قَبْلَ أن يُقْبِلَ المشيب وتغدو … هَفَواتُ الشّباب في إدْبار

كُلُّ عُذْرٍ من كُلِّ ذنبٍ ولكن … أُعْوِزَ العُذْرُ من بياض العِذارِ

كان حُلْواً هذا الهَوَى وأَرَاهُ … عادَ مُرّاً، والسُّكْرُ قبل الخُمَارِ

⇐

﴿بل الأَسْهُمِ مَبْرِيّة﴾ أي: منحوتة، من «بَرَاه» نَحَتَهُ ﴿بل الأوتـار﴾ جمع بين القوس، والسّهم، والوَتَر.

⇐ وإذا مـا تـنكَّرتْ لي بِـلادٌ ... أو خـليْلٌ فـإنّني بـالخَيار
وَخَـدَانُ القِـلاص حـولاً إذا قـا ... بَلْنَ حَـوْلاً مِـنْ أَنْـجُمِ الأسْحارِ
يَتَرَقْرَقْنَ كـالسَّرَابِ وقـد خُـضْـ ... ـنَ غِماراً من السَّرَابِ الجارِي
كـالقِسِيِّ المُـعَطَّفَاتِ بَـلِ الأسْـ ... ـهُم مَـبْرِيَةٌ بـل الأَوْتَـارِ
قـد مَـلِلْنَاك يـا غُـلامُ فـغادِ ... بِسَـلامٍ أو رائـحٌ أو سَـارِ
سَـرِقَاتٌ مـنّي خـصوصاً فـإلّا ... مـن عَـدُوٍّ أو صـاحبٍ أو جـارِ
أنـا مـن يـاسرٍ ويُسْـرٍ وفَـتْحٍ ... لَسْتُ مـن عـامرٍ ولا عَـمَّارِ
لا أُرِيْـدُ النَّـظِيرَ يُـخْرِجُهُ الشَّـتْـ ... ـمُ إلى الاحـتجاج والافـتخارِ
وإذا رُعْـتُهُ بـناحية السَّـوْ ... طِ عـلى الذَّنْبِ راعـني بـالفِرار

قال:

يـا أبـا جـعفرٍ ومـا أنت بـالمَدْ ... عُـوِّ إلّا لِكُـلِّ أَمْـرٍ كُـبَارِ
شمسُ شـمسٍ وبـدرُ آلِ حُـمَيْدٍ ... يـوم عـدّ الشّموس والأقـمارِ
وفـتى طـيِّئٍ وشـيخُ بـني الصَّـا ... مِتِ أهـل الأحسـاب والأقـمار
لك مـن حـاتِمٍ وأَوْسٍ وزيـدٍ ... إرْثُ أُكْـرُوْمَةٍ وإرْثُ فَـخَارِ
سُـمُحٌ بـينَ بُـرْمةٍ أعشـارٍ ... تَـتَكفًا وجَـفْنَةٍ أَكْسَـارِ
وسـيوف مـطبوعة للـمنايا ... واقـعات مـواقـع الأقْـدارِ
تـلك أفـعالُهُم عـلى أوّل الدَّهْـ ... ـرِ وكـانوا جـداوِلاً مـن بِـحارِ
أَمَـلي فـيكم وحـقّي عـليكم ... ورواحـي إليكُـم وابـتكاري
واضطرابي في النّاس حتّى إذا عد ... تُ إلى حـاجةٍ فأنـتم قُـصَارِي
ولَـعَمْرِي لَـلْجُودُ بـالنّاس للـنّا ... سِ سِـواه بـالثّوب والدِّيـنارِ
وعـزيزٌ إلّا لديك بـهذا الـ ... فَـتْحِ أخـذُ الغِـلْمان بـالأشعارِ

* * *

وقد يكون بين أربعة كقول بعضهم لِلْمُهَلَّبِيِّ الوزير[1]: «أنتَ أيّها

---

(١) قوله: «لِلْمُهَلَّبِيِّ الوزير». هو أبو محمّد الحسن بن هارون بن إبراهيم بن عبدالله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن الملهّب بن أبي صُفرة الأزديّ، كان وزير معزّ الدّولة، تولّى وزارته يوم الاثنين لثلاث بقين من جمادى الأُولى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة هـ.

وكان من ارتفاع القدر، واتّساع الصّدر، وعلوّ الهمّة، وفيض الكفّ، على ما هو مشهور به، وكان غايةً في الأدب والمحبّة لأهله، وكان قبل اتّصاله بمعزّ الدّولة في شدّةٍ عظيمة من الضُّرّ والفاقة، واشتهى اللّحم فلم يقدِر عليه فقال ارتجالاً:

ألا موت يُبَاعُ فأشتريه ... فهذا العيشُ ما لا خيرَ فيه

ألا موت لذيذ الطّعم يأتي ... يُخَلِّصُني من الموت الكريهِ

إذا أبصرتُ قبراً من بعيدٍ ... وَدِدْتُ بأنّني ممّا يليه

ألا رَحِمَ المُهَيْمِنُ نفس حُرٍّ ... تصدّق بالوفاء على أخيه

وكان معه رفيق يقال له: أبو عبدالله الصّوفي، فاشترى له بدرهم لحماً وتفارقا وتقلّبت بالمُهَلَّبِيّ الأحوال وتولّى الوِزارة وضاقت الأحوال برفيقه فكتب إليه:

ألا قُل للوزير فَدَتْهُ نفسي ... مقالَ مُذَكِّرٍ ما قد نَسِيْهِ

أتذكر إذ تقول لضيق عيشٍ: ... ألا موت يُبَاعُ فأشْتريْهِ

فتذكّر وأمر له بسبع مائة درهم، ووقّع في رقعته: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ** ﴾ [البقرة: ٢٦١].

ومحاسن الوزير كثيرة، وكانت ولادته ليلة الثّلاثاء لأربعٍ بَقِيْنَ من المحرّم سنة ٢٩١هـ بالبصرة، وتوفّي يوم السّبت لثلاثٍ بَقِيْنَ من شعبان من سنة ٣٥٩هـ في طريق واسط، وحمل إلى بغداد فوصل إليها ليلة الأربعاء لخمس خلت من شهر رمضان من السّنة المذكورة ودفن في مقابر قريش في المقبرة النّوبختيّة ـ رحمه الله ـ.

والمُهَلَّبِيّ: بضمّ الميم وفتح الهاء وتشديد اللّام المفتوحة وبعدها باء موحّدة. وقال الحسين بن الحجّاج أبو عبدالله الشّاعر الشّيعيّ في مرثيته:

يا معشر الشّعراء داء موجِعٌ ... لا يُرتجى فَرَجُ السُلُوّ لديه

⇐

الوزير[١] إسماعيليّ الوَعْد، شُعَيْبِيّ التّوفيق، يُوْسُفِيّ العَهْد[٢]، محمّديّ الخُلْق».

⇐ عَزُّوا القوافي بالوزير فإنّها — تبكي دماً بعد الدُّمُوع عليه
مات الّذي أمسى الثّناء وراءه — والعفو ـ عفو الله ـ بين يديه
هدم الزّمان بموته الحصن الّذي — كُنّا نَفِرُّ من الزّمان إليه
فَلْيَعْلَمَنَّ بنو بُوَيْهٍ أنّه — فُجِعَتْ به أيّامُ آل بُوَيْهِ

وكانت وزارته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر، وكان كريماً ذا عقلٍ. وفي عاشر المحرّم من سنة ٣٥٢هـ أمر معزّ الدّولة النّاس أن يُغْلِقوا دكاكينهم، وأن يظهروا النّياحة، وأن تخرج النّسوة منتشرات الشّعور مسودّات قد شققن ثيابهنّ ويلطمن وجوههنّ على الحسين بن عليّ ـ عليهما السّلام ـ ففعل النّاس ذلك، ولم يقدر النّواصب على منع ذلك ـ لكثرة الشّيعة ـ والسّلطانُ منهم.

وفي ثامن عشر ذي الحجّة منها أمر معزّ الدّولة بإظهار الزّينة في البلد والفرح بِعِيْدِ غدير خُمٍّ، وضربت الدّبادب والبوقات ـ كما في المختصر لأبي الفداء ـ.

وقال صاحب الحُلَل السُّنْدُسيّة: وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة مات محمّد الصّيمريّ وزير معزّ الدّولة واستوزر أبا محمّد الحسن المهلّبي.

قال: وفي سنة ٣٥١هـ كتب عامّة الشّيعة بأمر معزّ الدّولة على المساجد ما هذه صورته: «لعن الله معاوية بن أبي سفيان، ولعن من غصب فاطمة فدكاً، ومن منع أن يدفن الحسن عند قبر جدّه، ومَنْ نفى أباذرّ الغِفَاريّ ومَنْ أخرج العبّاس من الشّورى»، فلمّا جنّ اللّيل حكّه النّواصب، فأشار الوزير المهلّبي على معزّ الدّولة أن يكتب على موضع المحو: «لعن الله الظّالمين لآل محمّد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ» ولا يذكر أحداً في اللّعن إلّا معاوية، ففعل ذلك.

(١) **قوله: «أنت أيّها الوزير»**. قال الثّعالبيّ في فصل القصّاص والمذكّرين والمتصوّفين من «خاصّ الخاصّ»: ومدح ابن سمعون القاصّ المهلّبي الوزير فقال: «إبراهيميّ الجود، وإسماعيليّ الصّدق، شعيبيّ التّوفيق، محمّدي الخلق».

(٢) **قوله: «يوسفيّ العهد»**. وفي بعض النّسخ: «يوسفيّ العفو» بدل «العهد» روي عن ابن ⇐

وقد يكون بين أكثر كقول ابن رَشِيْق[1]:

⇐ عبّاس أنّ إسماعيل وعد صاحباً له أن ينتظره في مكانٍ فانتظر الوعد حتّى مضت سنة. ووعد أباه إبراهيم بالصَّبْرِ على الذَّبْح ووفاه بذلك العهد، وخصّ شعيباً بالتّوفيق لقوله ـ تعالى ـ حكايةً عنه: ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ**﴾ [هود: ١١٨]، وأمّا حديث خلق نبيّنا محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ فحسبك فيه قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: ٤]. وفي شرح العلّامة زيادة وهي: «إبراهيميّ الجود» فعلى هذا يكون من قبيل الجمع بين خمسة ـ كذا قرّره الرّوميّ ـ.

(١) **قوله: «ابن رشيق»**. هو أبو عليّ الحسن بن رشيق القيروانيّ ٣٩٠ ـ ٤٦٢هـ صاحب «العمدة» في محاسن الشّعر وآدابه، و«قراضة الذّهب» في النّقد، و«الشّذور» في اللّغة، وغيرها.

والمراد من الممدوح ـ كما في البداية والنهاية لابن كثير ـ هو تميم بن المعزّ بن باديس صاحب إفريقيّة، كان من خيار الملوك حلماً وكرماً وإحساناً، ملك ستّاً وأربعين سنةً وعمّر تسعاً وتسعين سنة، وترك من البنين أنهد من مائةٍ ومن البنات ستّين بنتاً، وملك من بعده ولده يحيى. وذكر ابن الآبار في «الحلّة السّيراء» أنّ أبا الطّاهر تميم بن المعزّ توفّي منتصف رجب سنة إحدى وخمسمائة هـ وهو ابن تسع وسبعين سنة، مولده المنصوريّة يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من رجب سنة ٤٢٢هـ.

وقال اليافعيّ في «مِرْآة الجِنان» في حوادث سنة إحدى وخمس مائة: وفيها توفّي أبو عليّ تميم بن معزّ بن السّلطان أبي يحيى الحِمْيَرِيّ الصُّنْهاجيّ ملك إفريقيّة وما والاها بعد أبيه، وكان حسن السّيرة، محمود الآثار، محبّاً للعلماء، معظّماً للفضلاء، مقصداً للشّعراء، كامل الشَّجَاعة، وافر الهيبة، عاش تسعاً وتسعين سنة وكانت دولته ستّاً وخمسين سنة وخلّف من البنين أكثر من مائة ومن البنات ستّين ـ على ما ذكر ابن شدّاد في تاريخ القيروان ـ وتملّك بعده ابنه يحيى وفيه يقول أبو عليّ الحسن بن رشيق القيرواني:

أصحّ وأقوى ما سمعناه في النَّدَى ... من الخبر المأثور منذ قديم

أحاديث ترويها السُّيُول عن الحيا ... عن البحر عن كفّ الأمير تميم

وذكره اليمانيّ في «نسمة السَّحَر» من شعراء الشّيعة وذكر نسبه هكذا: أبو يحيى تميم ابن المعزّ بن باديس بن المنصور الحِمْيَرِيّ الصُّنهاجيّ.

أَصَحُّ وَأَقْوىٰ ما سَمِعْناهُ[١] في النَّدىٰ ۝ مِنَ الخَبَرِ المأثُورِ مُنْذُ قَدِيمِ

أحاديث تَرويها السُّيُولُ عَنِ الحَيا ۝ عَنِ الْبَحْرِ عَنْ كَفِّ الأَمِيرِ تَمِيمِ

فإنّه ناسب فيه بين الصّحّة، والقوّة، والسّماع، والخبر المأثور، والأحاديث، والرِّواية.

وكذا ناسب أيضاً بين السَّيْل، والحَيَا، والبحر، وكفّ تميم، مع ما في البيت الثّاني من صحّة التّرتيب في العَنْعَنَة، إذ جعل الرِّواية لصاغر عن كابر ـ كما يقع في سَنَدِ الأحاديث ـ فإنّ السُّيُول أصلها المَطَر، والمَطَر أصله البحر ـ على ما يقال ـ والبحر أصله كفّ الممدوح على ادّعاء الشّاعر.

[تشابه الأطراف]

﴿ **ومنها** ﴾ أي: ومن مُراعاة النّظير ﴿ **ما يسمّيه بعضهم تَشَابُهَ الأطراف، وهو أن يختم الكلام بما يناسب ابتداءه في المعنى** ﴾.

والتّناسب قد يكون ظاهراً ﴿ **نحو**: ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾[٢] ﴾ فإنّ اللّطيف يناسب كونه غير مُدْرَك بالأبصار، والخبير يناسب كونه مُدْرِكاً للأشياء؛ لأنّ المُدْرِكَ للشّيء يكون خبيراً به.

وقد يكون خفيّاً كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[٣] فإنّ قوله: «إن تغفر لهم» يوهم أنّ الفاصلة «الغفور الرّحيم» لكن يعرف بعد التّأمّل أنّ الواجب هو العزيز الحكيم؛ لأنّه لا يغفر لمن يستحقّ

---

(١) **قوله: «أصحّ وأقوى ما سمعناه»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة ـ مفاعلن ـ مع الضّرب المحذوف ـ فعولن ـ.

(٢) الأنعام: ١٠٣.

(٣) المائدة: ١١٨.

العذاب إلّا مَنْ ليس فوقه أحد يردّ عليه حكمه فهو العزيز ـ أي: الغالب من «عزّه، يَعِزُّه» غَلَبه ـ ثمّ وجب أن يوصف بالحكيم على سبيل الاحتراس؛ لئلّا يتوهّم أنّه خارج عن الحكمة؛ إذ الحكيم مَن يَضَعُ الشّيء في محلّه ـ أي: إن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا اعتراض عليك لأحد في ذلك، والحكمة فيما فعلته ـ.

[إيهام التّناسب]

﴿ **ويلحق بها** ﴾ أي: بمراعاة النّظير أن يجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظين يكون لهما معنيان متناسبان وإن لم يكونا مقصودين هاهنا ﴿ **نحو**: ﴿ **وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ** ﴾ أي: النّبات الّذي يَنْجُمُ ـ أي: يظهر ـ من الأرض ولا ساق له كالبُقُول ﴿ **وَالشَّجَرُ** ﴾ الّذي له ساق ﴿ **يَسْجُدَانِ** ﴾[1] ﴾ أي ينقادان للّه ـ تعالى ـ فيما خُلِقَا له، فالنّجم بهذا المعنى وإن لم يكن مناسباً للشّمس والقمر لكنّه قد يكون بمعنى الكوكب وهو مناسب لهما ﴿ **ولهذا يُسمّى إيهام التّناسب** ﴾ ـ كما مرّ في إيهام التّضادّ ـ.

ومن إيهام التّناسب بيت السَّقْط:

وَحَرْفٍ كَنُونٍ[2] تَحْتَ رَاءٍ وَلَمْ يَكُنْ ... بِدَالٍ يَؤُمُّ الرَّسْمَ غَيَّرَهُ النَّقْط

---

(١) الرّحمن: ٥ ـ ٦.

(٢) **قوله**: «**وحَرْفٍ كنونٍ**». البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب التّامّ والقائل المعرّي في القصيدة الثّامنة والستّين من «سَقْطِ الزَّنْدِ»، قال وهو محتجب بـ «مَعَرَّة النُّعْمَان» يخاطب خازن دار العلم ببغداد، ويصف حال الفتنة الكائنة بالشّام، وأمر الزّورق الّذي كان نزل فيه إلى بغداد، ومعاونة أبي أحمد الحكاري له على تخليصه من أصحاب الأعشار:

لِمَنْ جِيرَةٌ سِيموا النَّوَالَ فَلَمْ يُنْطوا ... يُظَلِّلُهُمْ مَا ظَلَّ يُنْبِتُهُ الخَطُّ

⇐

⇒ رَجَوْتُ لهمْ أنْ يَقْرُبوا، فتباعدوا   وأنْ لا يَشِطّوا بالمَزارِ، فقد شَطّوا

يَمانونَ أحياناً، شآمونَ تارةً   يُعالُونَ عن غَوْرِ العِراقِ ليَنْحَطّوا

بنازِلَةٍ سِقْطَ العَقيقِ بمِثْلِها   دعا أدمُعَ الكِنْديّ في الدِّمَنِ السِّقْطُ

تَجِلّ عن الرَهْطِ الإمائيّ غادةٌ   لها مِن عَقيلٍ في ممالِكِها رَهْطُ

وحَرْفٍ كنونٍ تحتَ راءٍ، ولم يَكُنْ   بدالٍ، يؤمّ الرَسْمَ، غَيّرَهُ النَقْطُ

قُرَيْطِيَةُ الأخْوالِ، ألمَعَ قُرْطُها   فسَرَّ الثُرَيّا أنّها أبداً قُرْط

إذا مَشَطَتْها قَيْنَةٌ بَعْدَ قَيْنَةٍ   تَضَوّعَ مِسْكاً من ذوائِبها المِشْطُ

تُقَلّدُ أعناقَ الحَواطِبِ في الدُّجى   فَريداً، فما في عُنْقِ ماهِنَةٍ لَطُّ

ويُرْفَعُ إعْصارٌ مِن الطِّيبِ لا يُرى   عليه انتِصارٌ، كلّما سُحِبَ المِرْط

غَدَتْ تحتَ راحٍ يَجْذِبُ السِّترَ مثلما   تَنَسَّمَ راحٌ بالمدير لها تَسْطو

وقد ثَمِلَ الحادي بها من نسيمِها   كأنْ غالَهُ من كَرْمِ بابِلَ إسْفِنْطُ

رأتْ كَوْثَرَيْ خَمْرٍ ورِسْلٍ بجَنّةٍ   شآمِيَّةٍ ما أُكْلُ ساكِنِها خَمْط

يُصَبّحُها سَيْلا حَليبٍ وقَهْوَةٍ   على أنّها تُعْطي الصَّبوحَ فما تَعْطو

كتابعِ أُمٍّ، تَبْتَغي تُبَّعاً له   وما ضاعَها نَجْلٌ سواه، ولا سِبْطُ

إذا شَرِبَ الأُرْفِيَّ مالَ به الكَرى   إلى سِدْرَةٍ، أفْنانُها فَوْقَهُ تَغْطو

أجارَتَنا، أنْ صابَ دارَةَ قَوْمِنا   رَبيعٌ، فأضْحى من مَنازلنا السَّنْط

إذا حَمَلَتْكِ العيسُ أوْدى بأيْدِها   جَلالُكِ، حتّى ما تكادُ به تَخْطو

خَدَتْ بسِواكِ النّاقِلاتُكِ في الضّحى   بمَشْي سِواكِ، لا تَجِدُّ ولا تَمْطو

إذا ما عَصَتْ حُكْمَ العَصا، فأعادَها   لها ضارِبٌ، كانتْ إجابتُها النَّحْط

أمِنْ أرَبٍ، في حَملِ خِدْرِكِ دائماً   تَثاقَلُ حتّى لا يُلِمّ به حَطُّ ؟

خليلَيّ لا يخْفى انحِساري عنِ الصِّبا   فحُلّا إساري، قد أضَرّ بيَ الرَّبْط

ولي حاجَةٌ عندَ العِراقِ وأهْلِهِ   فإنْ تَقْضِياها، فالجزاءُ هوَ الشّرْط

سَلا عُلَماءَ الجانِبَيْنِ وفِتْيَةً   أبَنُّوهُما، حتّى مَفارِقُهمْ شُمْط

⇐

⇐ أعندَهُمُ عِلْمُ السُّلُوِّ لِسائلٍ ... به الرَّكْبَ، لم يَعْرِفْ أماكنَه قَطّ ؟

وما أربي إلّا مُعَرَّسُ مَعْشَرٍ ... همُ النّاسُ لا سُوقُ العروس ولا الشطّ

وما سار بي إلّا الذي غرّ آدماً ... وحَوّاءَ، حتّى أدرَكَ الشّرَفَ الهَبْطُ

أخازنَ دارِ العِلْمِ كمْ مِن تَنُوفةٍ ... أتَتْ دونَنا فيها العَوازِفُ واللّغْطُ

ومَحْواةِ أرْضٍ صَدّ محْوَةَ بُعدُها ... وَحِيُّ المَنايا مِن أساوِدِها نَشْطُ

إذا جَمَحَتْ خَيْلُ الكَلامِ فإنّما ... لَدَيْكَ يُعانِي مِن أعِنّتها الضَّبْطُ

وما أذْهَلتْني عن وِدادِكَ رَوْعَةٌ ... وكيف ؟ وفي أمثالِهِ يجِبُ الغَبْطُ

ولا فِتْنَةٌ طائيّةٌ عامِرِيّةٌ ... يُحَرَّقُ في نيرانِها الجَعدُ والسَّبْطُ

وقد طَرَحتْ حوْلَ الفراتِ جِرانَها ... إلى نِيلِ مِصْرٍ فالوَساعُ بها تَقْطُو

فوارسُ طَعّانونَ ما زالَ للقَنا ... مع الشيبِ يوماً في عوارِضِهمْ وَخْطُ

وكلُّ جَوادٍ شَفّهُ الرّكْضُ فيهِمُ ... وَجٍ، يَتمنّى أنّ فارسَه سَقْطُ

ونَبّالَةٍ مِن بُحْتُرٍ، لو تَعَمّدوا ... بِلَيْلٍ، أناسِيَّ النواظِرِ لم يُخْطُو

ألا ليْتَ شِعْري هل أدِينُ ركائباً ... أمُطّ بها، حتّى يُطَلّحَها المَطّ

وهل يُنْشِطَنّي من عقالي إلَيْكُمُ ... رِضى زَمَني أمْ كلُّ شِيمتِهِ سُخْط ؟

إذا أنا عالَيْتُ القُتُودَ لِرِحْلةٍ ... فدونَ عُلَيّانَ القَتادَةُ والخَرْط

وإنْ خَلَطَتْني بالتّرابِ مَنِيّةٌ ... فبَعْضُ تُرابي من مَوَدّتكُمْ خِلْطُ

فيا لَيْتني طارَتْ بِكُوري إذا دَنا ... بُكُوري، قَطاةٌ، بالصَّراةِ لها وَقْطُ

لأقْضِيَ هَمَّ النفسِ قبْلَ مَجَلّةٍ ... كأنّ عِظامي البالِياتِ بها خَطُّ

إخالُ فؤادي ذاتَ وَكْرٍ هَوَى لها ... مِن الطيرِ أقْنى الأنفِ مِخْلَبُه سَلْطُ

تحُتّ جَناحاً مِن حِذارِ مُغاوِرٍ ... صَباحاً فقَبْضٌ يجْمَعُ الرّيشَ أو بَسْطُ

تَذَكَّرُ أنْ خافَتْ من الموْتِ أفْرُخاً ... بِيَهْماءَ لم يُمْكِنْ أصاغرَها اللقْطُ

تَجاوَبُ فيها الزُّغْبُ من كلّ وِجْهَةٍ ... سُحَيْراً كما صاحَ النَّبيطُ أو القِبْطُ

تُبادِرُ أوْلاداً وتَرْهَبُ مارِداً ... يَهُونُ عليها عندَ أفعالِه السّخْطُ

⇐

«الحرف» النّاقة المهزولة، وهي مجرورة معطوفة على «الرّهط» في البيت السّابق:

تَجِلّ عَنِ الرَّهْطِ الإمَائيّ غَادَةٌ ... لَهَا مِنْ عَقِيلٍ فِي مَمَالِكِها رَهْطُ

و«النّون» هو المعروف من حروف المُعْجَم شبّه به النّاقة المهزولة في الدّقّة والانحناء، وليس المراد بها الحُوْت ـ على ما وُهِم ـ.

و«راءٍ» اسم فاعل من «رَأَيْتُهُ» ـ أَصَبْتُ رِئَتَهُ ـ وكذلك «دال» اسم فاعل من «دَلاَ الرّكائب» ـ إذا رَفَقَ بِسَوْقِها ـ وأراد بالنَّقط ما تقاطر على الرّسوم من المطر، وقوله «يَؤُمُّ الرّسم» صفة «راءٍ».

والمعنى: تَجِلُّ هذه الحبيبة عن أن تركَبَ من النُّوْق ما هي في الضُّمْرِ والانحناء كالنُّون يركَبها الأعرابيّ لزيارة الأطلال فيضرِب رِئَتَها؛ إذ لا حَرَاك بها من شدّة الهُزال، يريد أنّ مراكب هذه الحبيبة سِمان ذوات أَسْنِمة.

ففي ذكر الحرف والنّون والرّاء والدّال والنّقط إيهام أنّ المراد بها معانيها المتناسبة.

⇐ وعَنْ آلِ حَكّارٍ جَرى سَمَرُ العُلى ... بأكمَلِ معنًى، لا انتِقاصٌ ولا غَمْطُ
فإنْ يُنْسِهِمْ أمْرَ السفينةِ فَضْلُهُمْ ... فليس بمُنْسِيَّ الفِراقُ ولا الشحْطُ
أُولئكَ إن يَقعُدْ بكَ الجاهُ يَنْهَضُوا ... بجاهٍ وإنْ يُبْخَلْ بنائلَةٍ يُعْطوا
يَروقونَ ألْفاظاً وإنْ لم يُفكّروا ... وكَتْباً وإن لم يُصْلِحِ القَلَمَ القطّ
وما قَسَطوا إلّا على المالِ وَحْدَهُ ... وذلكَ مِنهمْ في مكارِمِهِمْ قِسطُ
نَعَمْ حبّذا بُؤسَى أزارَتْ بلادَهُمْ ... ولا حَبّذا نُعْمى بدارِهِم تَنْطُو
شكَرْتُهُمُ شُكْرَ الوَلِيدِ بفارِسٍ ... رِجالاً بحِمْصٍ، كان جَدَّهمُ السِّمْط
ولا خَيرَ فيمَنْ ليس يَبْسُطُ شُكرَهُ ... على القُلّ؛ إنّ الخَيْرَ ناقَتُهُ بِسطُ

[التّفويف]

وأمّا ما يسمّيه بعضهم بالتّفويف من قولهم: «بُرْدٌ مُفَوَّف» للّذي على لون وفيه خطوط بِيْض على الطُّول ـ وهو أن يؤتى في الكلام بمعان متلائمة، وجُمَل مستوية المقادير، أو متقاربة المقادير **كقول مَن يصف سحاباً:**

تَسَرْبَلَ وَشْياً مِنْ خُزُوزٍ تَطَرَّزَتْ مَطَارِفُهَا طَرْزاً مِنَ الْبَرْقِ كَالتِّبْرِ(١)

---

(١) البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب التّامّ، والقائل النّاشئ الأكبر أبو العبّاس عبدالله بن محمّد النّاشئ الأنباري المتوفّى سنة ٢٩٣هـ:

خليليَّ هل للمُزْنِ مُقْلَةُ عاشقٍ أم النّار في أحشائها وهي لا تدري

أشارَتْ إلى أرض العِراق فأصبحَتْ وكاللؤلؤ المنثور أدمُعها تجري

سَحابٌ حكَتْ ثَكْلَى أُصِيبَتْ بواحدٍ فعاجَتْ له نحو الرِّياض على قَبْرِ

تَسَرْبَلَ وَشْياً من خُزُونٍ تطرَّزَتْ مطارِفُهَا طُرْزاً من البرق كالتّبر

فوشيٌ بلا رَقْم، ورَقْمٌ بلا يدٍ ودمع بلا عينٍ وضِحْكٌ بلا ثَغْرِ

ونسب الأبيات إلى أبي العبّاس أحمد بن محمّد الدارمي المصيصيّ المعروف بالنامي ٣٠٩ـ٣٩٩هـ باختلاف يسير:

«وكاللؤلؤ المبتول أدمعها تجري»

«تسربل وشياً من خُزُوزٍ تطرّزت ...»

و«مطارف» جمع «مِطْرَف» بكسر الميم وضمّها وفتح الرّاء، قال الفرّاء: وأصله: الضّمّ، لأنّه في المعنى مأخوذ من «أطرف» أي: جعل في طرفيه العلمان، لكنّهم استثقلوا الضّمّ، فكسروه.

ومن التّفويف قول عبدالباقي العمريّ:

قِفْ بالمطيّ إذا جِئْتَ العشيّ إلى أرْض الغريّ على باب الوصيّ علي

وزُرْ وصَلِّ، وسَلِّم، وٱبْكِ، وٱدْعُ، وسَلْ به لك الخيرَ يا موسى الكليم ولي

وقول دعبل في رثاء أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ:

⇐

فَوَشْيٌ بِلا رَقْمٍ وَنَقْشٌ بِلاَ يَدٍ وَدَمْعٌ بِلا عَيْنٍ وَضِحْكٌ بِلاَ ثَغْرِ

«تسربل» أي: لَبِسَ[1] السِّرْبال، و«الوشي» ثوب منقوش[2]، و«الخُزُوز» جمع «خزّ»، و«تطرّزت» أي: اتّخذت الطِّراز، و«المَطَارف» جمع «مِطْرَف» وهو رِداء من خزّ مربّع له أعلام، و«الطُّرُز»[3] جمع «طِراز» وهو عَلَم الثّوب.

وكقول ديك الجنّ[4]:

⇐ وليس حيّ من الأحياء نعلمه من ذي يمانٍ ولا بكرٍ ولا مُضَرِ
إلّا وهم شركاء في دمائهم كما تشارك أيسار على جُزُرِ
قتلاً وأسراً وتحريقاً ومنهبةً فعلَ الغُزَاة بأرض الرّوم والخَزَرِ

(١) ويجوز أن يقرأ: «تَسَرْبَلُ» بصيغة المضارع، أي: «تتسربلُ» بدليل قوله في البيت السابق: «سحاب حكت».

(٢) النقش: في الحائط، والرّقش: في القِرطاس، والوشي: في الثّوب والوشم: في اليد، والوسم: في الجلد، والرّشم: في الحنطة أو الشّعير، والطّبع: في الطّين والشّمع، والأثر: في النّصل ـ كما في «فقه اللّغة» للثّعالبي جاحظ نيسابور ـ.

(٣) الطُّرُز: بضمّتين جمع «طِراز» مثل «كِتاب» و«كُتُب» وسكون الرّاء في البيت ضرورة.

(٤) **قوله: «ديك الجنّ»**. هو أبو محمّد عبدالسّلام بن رَغْبَان الكلبيّ الحِمْصِيّ الشّاعر الشّيعيّ المولود ١٦١هـ والمتوفّى سنة ٢٣٦هـ، واختلف في سبب تلقيبه به فقيل: إنّه لخروجه المستمرّ إلى البساتين. قال الدّميريّ في «حياة الحيوان»: ديك الجنّ دويبّة توجد في البساتين.

وقيل: إنّه لحمرة عينيه وبياض شعر رأسه، وحمرة العين من صفات الدّيك والبياض على زعمهم شبه صفات الجنّ.

وقيل: إنّه لقول شعر قاله في ديك ذبحه له عمير بن جعفر:

دعانا أبو عمروٍ، عميرُ بن جعفرٍ على لَحْم ديكٍ دعوةً بعد مَوْعِدِ
فقدّم ديكاً عُدْمُلِيّاً مُلَدَّحاً مُبَرْنَسَ أثْوابِ مؤذّن مسجِدِ
⇐

أَحْلُ وَامْـرُرْ وَضُـرَّ وَانْـفَعْ وَلِـنْ وَاخْـ ـشُنْ وَرِشْ وَابْرِ وَانْتَدِبْ لِـلْمَعَالي (١)

⇐ يـحدّثنا عـن قـومِ هـودٍ وصـالحٍ وأغْـرَبِ مَـن لاقـاه عـمرو بـن مَـرْثَدِ
وقـال : لقـد سـبّحتُ دهـراً مـهلّلاً وأسْـهَرْتُ بـالتّأذين أعـيُنَ هُـجَّدِ
أيُـذْبَحُ بـين المسـلمين مـؤذِّنٌ مـقيمٌ عـلى ديـن النّـبيِّ مُـحَمَّدِ
فـقلتُ له يـا ديكُ إنّك صـادقٌ وإنّك فـيما قُـلْتَ غـيرُ مُـفَنَّدِ
ولا ذنبَ للأضـياف إن نـالك الرَّدَى فـإنّ المـنايا للـدّيوك بـمرصَدِ

* * *

(١) البيت من الخفيف على العروض الأُولى مع الضّرب الأوّل والقائل ديك الجنّ من قصيدة قالها في الحكمة :

أُحْلُ وَامْرُرْ وضُرَّ وانْفَعْ ولِـنْ واخْـ ـشُنْ وَرِشْ وابْرِ وانْتَدِبْ للمَعالِي
وأغِثْ واسْـتَغِثْ بـربِّكَ فـي الأزْ لِ إذا جَـلَّحَتْ صُـروفُ اللّـيالي
لا تَـقِفْ للـزَّمانِ فـي مَـنْزِلِ الضَّـيْـ ـمِ ولا تَسْـتَكِنْ لِـرِقَّةِ حَـالِ
وإذا خِـفْتَ أَنْ يُـراهِـقَكَ العُـدْ مُ فَـعُدْ بـالمُثَقَّفَاتِ العَـوالي
وأَهِـنْ نَـفْسَكَ الكَـرِيمَةَ للـمو تِ وقَـحِّمْ بـها عـلى الأَهْـوالِ
فَـلَعَمْرِي لَـلْمَوْتُ أزْيَـنُ للـحُرْ رِ مِـنَ الذُّلِّ ضَـارِعاً للـرِّجَالِ
أيُّ مـاءٍ يـدورُ فـي وَجْـهِكَ الحُـرْ رِ إذا مَـا امْـتَهَنْتَهُ بـالسُّؤالِ
ثُـمَّ لاسِـيَّما إذا عَـصَفَ الدَّهْـ ـرُ بأَهْـلِ النَّـدَى وأَهْـلِ النّـوالِ
غاضَتِ المكْـرُماتُ وانْـقَرضَ النَّا سُ ، وبـادَتْ سَـحائبُ الإفْـضَالِ
فـقَليلٌ مِـنَ الوَرَى مَـنْ تَـراه يُـرْتَجى أَوْ يَـصُونُ عِـرْضاً بـمالِ
وكَـذاكَ الهِـلالُ أوَّلَ مـا يَـبْـ ـدُو نَـحيلاً فـي دِقَّـةِ الخَـلْخَالِ
ثُـمَّ يَـزْدادُ ضَـوْءهُ فـتراهُ قَـمَراً فـي السَّـماءِ غَـيْرَ هِـلَالِ
عـادِ تَـدْمِيثَكَ المضَاجِعَ للـجَنْـ ـبِ فَـعَالَ الخَـرِيدَةِ المِكْسَالِ
وادَّرِعْ يَـلْمَقَ اجْـتِيابِ دُجَـى اللَّـيْـ ـلِ بِـطرفٍ مُـضَبَّرِ الأَوْصَـالِ
عَـامِلِيِّ النِّـتَاجِ تُـطْوَى لَـهُ الأَرْ ضُ إذا مـا اسْـتُعِدَّ للأَثْـقالِ

⇐

أي: كُن حُلْواً للأولياء، مُرّاً على الأعداء، ضارّاً للمخالف، نافعاً للموافق، ليِّناً لمن يُلَايِن، خَشِناً لمن يُخَاشِن، و«رِشْ» أي: أصلح حال مَن يختلّ حاله، و«ابْرِ» من «بَرَى القلم» ـ نَحَتَه ـ أي: أفْسِدْ حال المفسدين، و«انتدب» أي: أجب للمعالي واجمعها، يقال: «نَدَبَه لأمرٍ، فانتدب» أي: دعاه له فأجاب.

فالأوّل: داخل في مراعاة النّظير؛ لكونه جمعاً بين الأُمور المتناسبة.

والثّاني داخل في الطِّباق؛ لكونه جمعاً بين الأُمور المقابلة.

[الإرصاد]

﴿**ومنه**﴾ أي: من المعنويّ ﴿**الإرصاد**﴾ وهو نصب الرّقيب في الطّريق من «رَصَدْتَهُ» رَقَبْتَهُ، و«الرّصيد» السَّبُعُ الّذي يَرْصُدُ لِيَثِبَ، و«الرَّصَد» القوم الّذين يَرْصُدُون ـ كـ«الحَرَس» ـ يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنّث.

[التّسهيم]

﴿**ويُسمّيه بعضهم التّسهيم**﴾[1] و«بُرْدٌ مُسَهَّم» فيه خطوط مستوية ﴿**وهو أن**

⇐ جُرْشُعٍ لاحِقِ الأَياطِلِ كالأَغـ ـفَرِ ضَافي السَّبِيبِ غَيرِ مُذَالِ
واتَّخِذ ظَهْرَهُ مِنَ الذُّلِّ حِصْناً نِعْمَ حِصْنُ الكَريم في الزِّلْزالِ
لا أُحِبُّ الفَتَى أَراهُ إذا ما عضَّهُ الدَّهرُ جاثِماً في الضَّلالِ
مُسْتَكِيناً لذي الغِنَى خَاشِعَ الطَّرْ فِ ذَليلَ الإِدْبارِ والإِقْبالِ
أَيْنَ جَوْبُ البلاد شَرْقاً وغَرباً واعْتِسافُ السُّهول والأَجْبَالِ
واعْتِراضُ الرِّقَاقِ يُوضَعُ فيها بِظِبَاءِ النِّجَادِ والعَمَّالِ
ذَهَبَ النَّاسُ فاطْلُبِ الرِّزْقَ بالسَّيْـ ـفِ، وإلّا فَمُتْ شَدِيدَ الهُزَالِ

(١) **قوله: «ويسمّيه بعضهم التّسهيم»**. وهو أُسامة بن منقذ صاحب كتاب «البديع في نقد الشّعر» المتوفّى سنة ٥٨٤هـ والمولود سنة ٤٨٨هـ.

يجعل قبل العَجُز من الفِقْرَة ﴾ وهي في النّثر بمنزلة البيت من الشّعر[١] مثلاً قوله: «وهو يَطْبَعُ الأَسْجَاعَ بجواهِرِ لَفْظِهِ»[٢] فِقْرة، و«يَقْرَعُ الأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعْظِهِ» فِقْرةٌ

---

(١) **قوله: «بمنزلة البيت من الشّعر»**. في أنّ رعاية القافية واجبة فيهما، بخلاف المصراع، إلّا أنّه فرق بينهما؛ فإنّ البيت يكون بيتاً واحداً، والفقرة لا تكون فقرة بدون الأُخرى ـ كما قرّره الهنديّ ـ.

(٢) **قوله: «وهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه»**. القول قول الحريريّ في المقامة الأُولى المسمّاة بالصنعانيّة حيث قال: حَدّثَ الحارِثُ بنُ هَمَّام قال لَمَّا اقْتَعَدْتُ غارِبَ الاغْتِراب * وأنْأَتْنِي المَتْرَبَةُ عَنِ الأَتْراب * طَوَّحَتْ بي طَوَائِحُ الزَّمَن * إلى صَنْعاءِ اليَمن * فَدَخَلْتُها خَاوِيَ الْوِفاض * بادِيَ الإِنْفاض * لا أمْلِكُ بُلْغَة * ولَا أجِدُ في جِرَابي مُضْغَة * فَطَفِقْتُ أجُوبُ طُرُقاتِها مِثْلَ الهائِم * وأجُولُ في حَوْماتِها جَوَلانَ الحائِم * وأرُودُ في مَسارِحِ لَمَحاتي * ومَسايِحِ غَدَواتي وَرَوْحاتي * كَرِيماً أُخْلِقُ لَهُ دِيباجَتي * وأبوحُ إلَيْه بِحاجَتي * أوْ أديباً تُفَرِّجُ رُؤْيَتُه غُمَّتي * وتُرْوِي رِوايَتُهُ غُلَّتي * حتّى أدَّتْني خَاتِمَةُ الْمَطاف * وهَدَتْني فاتِحَةُ الأَلْطاف * إلى نادٍ رَحِيب * مُحْتَوٍ على زِحَام ونَحِيب * فَوَلَجْتُ غابَةَ الْجَمْع * لِأَسْبُر مَجْلَبَة الدَّمْع * فَرأيْتُ في بُهْرَةِ الْحَلْقَةِ * شَخْصاً شَخْتَ الْخلْقَةِ * عليه أُهْبَة السِّياحَةِ * ولَهُ رَنَّةُ النِّيَاحَةِ * وهو يَطْبَعُ الأَسْجَاعَ بِجَواهِرِ لَفْظِه * وَيَقْرَعُ الأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعْظِه * وقَدْ أحاطَتْ به أخْلاطُ الزُمَرِ * إحَاطَةَ الهالَةِ بالْقَمر * والأَكمامِ بالثَّمَر * فَدَلَفْتُ إلَيْهِ لِأَقْتَبِسَ من فَوائِدِه * وألْتَقِطَ بَعْضَ فَرَائِدِهِ * فَسَمِعْتُه يَقولُ حينَ خَبَّ في مجالِهِ * وهَدَرتْ شَقَاشِقُ ارْتِجالِهِ * أيُّها السَّادِرُ في غُلَوَائِهِ * السَّادِلُ ثَوْبَ خُيَلائِهِ * الجامِحُ في جَهَالاتِهِ * الجانِحُ إلى خُزَعْبِلاته * إلَامَ تَسْتَمِرُّ على غَيِّك * وتَسْتَمْرِئُ مَرْعَى بَغْيِك * وحَتَّامَ تَتَنَاهَى في زَهْوِك * ولَا تَنْتَهِي عَنْ لَهْوِك * تُبارِزُ بِمَعْصِيَتِك * مالِكَ ناصِيَتِك * وتَجْتَرِئُ بِقُبْحِ سِيرتِك * على عالِمِ سَرِيرَتِك * وتَتَوارَى عَنْ قَرِيبِك * وأنْتَ بِمَرْأى رَقِيبِك * وتَسْتَخْفِي من مملوكِك * وما تَخْفَى خَافِيَةٌ على مَلِيكِك * أتَظُنُّ أن سَتَنْفَعُكَ حَالُك * إذَا آن ارْتِحَالُك * أوْ يُنْقِذُكَ مالُك * حين تُوبِقُكَ أعْمالُك * أوْ يُغْنِي عَنْكَ نَدَمُك * إذَا زَلَّتْ قَدَمُك * أوْ يَعْطِفُ عَلَيْكَ مَعْشَرُك يَوْم يَضُمُّكَ مَحْشَرُك * هلَّا انْتَهَجْتَ مَحَجَّةَ اهْتِدَائِك * وعَجَّلْتَ مُعالَجَةَ دائِك *

⇐

⇐ وفَلَلْتَ شَبَاةَ اعْتِدَائك * وقَدَعْتَ نَفْسَك فهي أكبَرُ أعْدَائك * أمَا الْحِمامُ مِيعادُك * فما إعْدَادُك * وَبالمَشِيبِ إنْذارُك * فما أَعْذارُك * وفي اللَّحْدِ مَقِيلُك * فما قِيلُك * وإلى الله مَصيرُك * فَمَنْ نَصيرُك * طالَما أيْقظَكَ الدَّهْرُ فَتَنَاعَسْت * وجَذَبَكَ الْوَعْظُ فَتَقَاعَسْت * وتَجَلَّتْ لكَ العِبَرُ فَتَعامَيْت * وحَصْحَصَ لكَ الْحَقُّ فَتَمارَيْتَ * وَأذْكَرَكَ الموْتُ فَتَناسَيْتَ * وأمْكَنَكَ أنْ تُواسِيَ فما آسَيْتَ * تُؤْثِر فَلْساً تُوْعِيهِ * علَى ذِكْرٍ تَعِيهِ * وتَخْتارُ قَصْراً تُعْلِيهِ * علَى بِرّ تُولِيهِ * وتَرْغَبُ عَنْ هادٍ تَسْتَهْديهِ * إلى زادٍ تَسْتَهْديهِ * وتُغَلِّبُ حُبَّ ثَوْبٍ تَشْتَهِيهِ * على ثَوابٍ تَشْتَرِيه * يَوَاقِيتُ الصِّلات * أعْلَقُ بِقَلْبِك مِنْ مَواقِيتِ الصَّلاة * ومُغالاةُ الصَّدُقات * آثَرُ عندَكَ من مُوَالاةِ الصَّدَقاتِ * وصِحَافُ الألْوانِ * أشْهَى إلَيْك مِنْ صَحائِفِ الْأَدْيانِ * ودُعابَةُ الْأَقْرانِ * آنَسُ لكَ من تلاوةِ الْقُرْآنِ * تَأْمُرُ بِالْعُرْفِ وتَنْتَهِك حِماهُ * وتَحْمِي عَنِ النُّكْرِ ولا تَتَحاماهُ * وتُزَحْزِحُ عن الظُّلْم ثمّ تَغْشاهُ * وتَخْشَى النَّاسَ واللهُ أحَقُّ أن تَخْشاه * ثمّ أنْشَد:

تَبّاً لِطَالِبِ دُنْيَا ... ثَنَى إليْها انْصِبابَه
ما يَسْتَفِيقُ غَراماً ... بِها وفَرْطَ صَبابَه
ولَوْ دَرَى لَكَفَاهُ ... ممَّا يَرُومُ صُبَابَه

ثمّ إنَّهُ لَبَّدَ عَجَاجَتَه * وغَيَّضَ مُجَاجَتَه * واعْتَضَدَ شَكْوَتَه * وتَأَبَّطَ هِرَاوَتَه * فَلَمَّا رَنَت الْجَماعَةُ إلى تَحَفُّزِه * ورأتْ تأَهُّبَهُ لِمُزَايَلَةِ مَرْكَزِه * أدْخَلَ كُلٌّ منْهم يَدَهُ في جَيْبِه * فَأَفْعَمَ لَهُ سَجْلاً من سَيْبِه * وقال اَصْرِفْ هذا في نَفَقَتِك * أو فَرِّقْهُ على رُفْقَتِك * فَقَبِلَه مِنْهُم مُغْضِياً * وانْثَنَى عنْهُم مُثْنِياً * وجَعَل يُوَدِّعُ مَنْ يُشَيِّعُه * لِيَخْفى عليه مَهْيَعُه * وَيُسَرِّبُ مَنْ يَتْبَعُه * لِكَيْ يُجْهَلَ مَرْبَعُه * قال الْحَارِث بنُ هَمَّام فَاتَّبَعْتُه مُوارِياً عنه عِيَانِي * وقَفَوْتُ إثْرَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَانِي * حتَّى انْتَهَى إلى مَغارةٍ * فانْسابَ فيها على غَرَارَةٍ * فأمْهَلْتُه رَيْثَما خَلَع نَعْلَيْه * وغَسَل رِجْلَيْه * ثمّ هَجَمْتُ عليه * فوجدتُهُ مُثافِناً لِتِلْمِيذٍ * على خُبزٍ سَمِيذٍ * وجَدْيٍ حَنِيذٍ * وقُبالَتُهُما خَابِيَةُ نَبِيذ * فَقُلْتُ لَهُ يا هذا أيَكُونُ ذاكَ خَبَرَك * وهذا مَخْبَرَك * فَزَفَرَ زَفْرَةَ القَيْظِ * وكادَ يَتَمَيَّزُ من الغَيْظِ * ولم يَزَلْ يُحَمْلِقُ إليَّ * حتَّى خِفْتُ أنْ يَسْطُوَ عليَّ

⇐

أُخرى، وهي في الأصل حَلْي [١] يُصاغ على شكل فِقْرَة الظّهر **﴿أو من البيت ما يدلّ عليه﴾** أي: على العَجُزِ، وهو آخر كلمة من البيت أو الفِقْرَة **﴿إذا عرف الرَّوِيّ﴾** [٢] الظّرف متعلّق بـ«يدلّ» أي: إنّما يجب فهم العَجُز في «الإرصاد» بالنّسبة إلى من يعرف «الرَّوِيّ» وهوالحرف الّذي يبنى عليه أواخر الأبيات أو الفِقَر ويجب تكراره في كلّ منها، فإنّه قد يكون من «الإرْصاد» ما لا يعرف فيه العَجُز لعدم معرفة حرف الرّوي كقوله ـ تعالى ـ: **﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾** [٣] فإنّه لو لم يعرف [٤] أنّ حرف «الرّوي»

⇐ * فلمّا أنْ خَبَتْ نارُه وتَوَارَى أُوارُه * أنشد:

لِبِسْتُ الْـخَمِيصَةَأبْغِي الْـخَبِيصه ... وأنْشَبْتُ شِصِّيَ فـي كُـلِّ شِيصَه

وصَـيَّرْتُ وَعْـظِيَ أُحْـبُولَةً ... أُرِيـغُ القَـنِيص بِـها والقَـنِيصه

وألْـجَأَنِي الدَّهـر حـتَّى وَلجْتُ ... بِـلُطْفِاحـتِيالي عَلَى اللَّيْث عِيصَه

عـلَى أنَّـنِي لم أهَبْ صَـرْفَهُ ... ولَا نَـبَضْتْ لِـيَ مـنه فَـرِيصه

وَلَا شَـرَعَتْ بـي عـلَى مَـوْرِدٍ ... يُـدنِّس عِـرْضِيَ نَـفْسٌ حَـرِيصه

ولَـوْ أنْـصَفَ الدَّهْـرُ فـي حُكْـمِه ... لمـا مـلَّك الْـحُكْمَ أهْـلَ النَّـقِيصه

ثمّ قال لي اُدْنُ فكُلْ * وَإنْ شِئْتَ فقُم وقُلْ * فالتَفَتُّ إلى تِلْمِيذِه وقُلْتُ عَزمْتُ عليك بِمَنْ تَسْتَدْفِعُ به الْأَذَى * لتُخبِرَنّي مَنْ ذا * فقال هذا أبو زيدٍ السَّروجِيُّ سِراجُ الغُرَباء * وتاجُ الأُدباء * فانْصَرَفْتُ من حَيْثُ أتَيْتُ * وقَضَيْتُ الْعَجَبَ ممَّا رَأيْتُ *

(١) **قوله: «حَلْي»**. بفتح الحاء وسكون اللّام يقال له بالفارسيّة: «زيور» وجمعه: «حلي» بضمّ الحاء وكسرها وتشديد الياء مع كسر اللّام.

(٢) **قوله: «إذا عرف الرّويّ»**. قال الهنديّ: أي: من حيث إنّه رويّ. بأن يعرف القافية أيضاً، لأنّ الرّويّ آخر القافية، فلا يرد أنّ معرفة الرّويّ وهو النّون في الآية والميم في البيت لا تدلّ على أنّ العجز «يختلفون» و«حرام» لجواز أن يكون «مختلفون» و«محرّم» وإلى ما ذكرنا أشار الشّارح بقوله: إذ لو لم يعرف أنّ القافية مثل «سلام» إلخ...

(٣) يونس: ١٩.

(٤) أي: لو لم يعرف من سائر الفواصل في الآيات.

النّون لربّما توهّم أنّ العَجُزَ هاهنا «فيما فيه اختلفوا» أو «فيما اختلفوا فيه».

وكقوله:

أَحَلَّتْ دَمي[1] مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَحَرَّمَتْ   بِــلا سَــبَبٍ يَــوْمَ اللِّــقاءِ كَــلامِي

---

(١) **قوله:** «**أحلّت دمي**». البيتان من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المحذوف والقائل أبو عُبادة البُحْتُرِيّ الطّائي ٢٨٤هـ من قصيدة يمدح بها المتوكّل ـ لعنه الله ـ ويصف الزَّوّ الذي عُمِلَ له وهو قصر في سفينة:

أَلاَ هَــلْ أَتَــاهَا بِالْمَغِيبِ سَــلاَمِي   وَهَلْ خَبَرَتْ وَجْدِي بِهَا وَغَرَامِي؟

وَهَــلْ عَــلِمَتْ أَنِّــي ضَــنِيتُ وَأَنَّــهَا   شِــفَائِيَ مِــنْ دَاءِ ٱلضَّــنَى وَسَــقَامِي

وَمَــهْزُوزَةٍ هَــزَّ ٱلْــقَضِيبِ إذَا مَشَتْ   تَــثَنَّتْ عَــلَى دَلٍّ وَحُــسْــنِ قَــوَامِ

أَحَلَّتْ دَمِي مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَحَرَّمَتْ   بِــلاَ سَــبَبٍ يَــوْمَ ٱللِّــقَاءِ كَــلاَمِي

فِــدَاؤُكِ مَــا أَبْــقَيْتِ مِــنِّي فَــإِنَّهُ   حُشَاشَةُ جِسْمٍ فِي نُحُولِ عِظَامِ

صِلِي مُغْرَماً قَدْ وَاتَرَ ٱلشَّوْقُ دَمْعَهُ   سِجَاماً عَلَى ٱلْخَدَّيْنِ بَعْدَ سِجَامِ

فَــلَيْسَ ٱلَّــذِي حَــلَّلْتِهِ بِــمُحَلَّلٍ   وَلَــيْسَ ٱلَّــذِي حَــرَّمْتِهِ بِــحَرَامِ

وَإِنِّــــي لأَبَّــاءٌ عَــلَى كُــلِّ لاَئِــمٍ   عَــلَيْكِ وَعَــصَّاءٌ لِكُــلِّ مَــلاَمِ

وَكُنْتُ إذَا حَدَّثْتُ نَفْسِي بِسَلْوَةٍ   خَلَعْتُ عِذَارِي أَوْ فَضَضْتُ لِجَامِي

وَأَسْــبَلْتُ أَثْــوَابِي لِكُــلِّ عَــظِيمَةٍ   وَشَــمَّرْتُ مِــنْ أُخْــرَى لِكُــلِّ غَــرَامِ

هَــلِ ٱلْعَيْشُ إلَّا مَــاءُ كَــرْمٍ مُــصَفَّقٌ   يُــرَقْرِقُهُ فِــي ٱلْكَأْسِ مَــاءُ غَــمَامِ

وَعُــودُ بَــنَانٍ حِــينَ سَــاعَدَ شَــدْوُهُ   عَــلَى نَــغَمِ ٱلْأَلْــحَانِ نَــايَ زُنَــامِ

أَبَــى يَــوْمُنَا بِــالزَّوِّ إِلَّا تَــحَسُّناً   لَــنَا بِسَــمَاعٍ طَــيِّبٍ وَمُــدَامِ

غَــنِينَا عَــلَى قَــصْرٍ يَسِــيرُ بِفِتْيَةٍ   قُــعُودٍ عَــلَى أَرْجَــائِهِ وَقِــيَامِ

تَظَلُّ ٱلْبُزَاةُ ٱلْبِيضُ تَــخْطَفُ حَــوْلَنَا   جَآجِــئَ طَــيْرٍ فِــي ٱلسَّــمَاءِ سَــوَامِ

تَــحَدَّرُ بِــالدُّرَّاجِ مِــنْ كُــلِّ شَــاهِقٍ   مُــخَضَّبَةٌ أَظْــفَارُهُنَّ دَوَامِ

فَــلَمْ أَرَ كَــالقَاطُولِ يَــحْمِلُ مَــاؤهُ   تَــدَفُّقَ بَــحْرٍ بِــالسَّمَاحَةِ طَــامِ

وَلاَ جَــبَلاً كَــالزَّوِّ يُــوقَفُ تَــارَةً   وَيَــنْقَادُ إِمَّــا قُــدْتَهُ بِــزِمَامِ

⇐

فَـــلَيْسَ الَّــذِي حَــلَّلْتِهِ بِــمُحَلَّلٍ　　وَلَـــيْسَ الَّــذِي حَــرَّمْتِهِ بِــحَرامِ

فإنّه لو لم يعرف أنّ القافية مثل «سَـلام» و«كَـلام» لربّـما يـتوهّم أنّ العَـجُز «بمحرّم».

فالإرصاد في الفِقْرة ﴿ **نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾**[1] ﴾.

وفي البيت ﴿ **نحو قوله** ﴾ أي: قول عمرو بن معدي كَرِب[2]:

⇐ لَقَدْ جَمَعَ اللهُ ٱلْـمَحَاسِنَ كُـلَّهَا　　لِأَبْـــيَضَ مِــنْ آلِ ٱلنَّــبِيِّ هُــمَامِ

نُــطِيفُ بِــطَلْقِ ٱلْـوَجْهِ لاَ مُـتَجَهِّمٍ　　عَـــلَيْنَا وَلاَ نَـــزْرِ ٱلْـعَطَاءِ جَـــهَامِ

يُـــحَبِّبُهُ عِـــنْدَ ٱلرَّعِـــيَّةِ أَنَّـــهُ　　يُــذَبِّبُ عَــنْ أَطْــرَافِـهَا وَيُـحَامِي

وَأَنَّ لَـــهُ عَـــطْفاً عَـلَيْهَا وَرِقَّـــةً　　وَفَـــضْلَ أَيَــادٍ بِــالْعَطَاءِ جِسَـــامِ

لَقَدْ لَجَأَ ٱلإِسْلاَمُ مِنْ سَـيْفِ جَـعْفَرٍ　　إِلَــى صَـارِمٍ فِـي ٱلنَّـائِبَاتِ حُسَـامِ

يَسُدُّ بِـهِ ٱلثَّـغْرَ ٱلْـمَخُوفَ ٱنْـثِلاَمُهُ　　وَإِنْ رَامَـــهُ ٱلْأَعْــدَاءُ كُــلَّ مَـــرَامِ

إِلَـــيْكَ أَمِــينَ ٱللهِ مَــالَتْ قُــلُوبُنَا　　بِـــإِخْلاَصِ نُــزَّاعٍ إِلَــيْكَ هُــيَامِ

نُــصَلِّي وَإِتْـمَامُ ٱلصَّـلاةِ ٱعْـتِقَادُنَا　　بِأَنَّكَ عِـــنْدَ ٱللهِ خَـــيْرُ إِمَـــامِ

حَلَفْتُ بِـمَنْ أَدْعُـوهُ رَبّـاً وَمَـنْ لَـهُ　　صَلاَتِي وَنُسْكِي خَـالِصاً وَصِـيَامِي

لَقَدْ حُـطْتَ دِيـنَ ٱللهِ خَـيْرَ حِـيَاطَةٍ　　وَقُـــمْتَ بِأَمْـــرِ ٱللهِ خَـيْرَ قِـيَامِ

(١) العنكبوت: ٤٠.

(٢) **قوله: «عمرو بن معدي كرب»**. هو أبو ثور عمرو بن معدي كَـرِب بـن ربـيعة بـن عـبدالله الزّبيديّ المتوفّى سنة ٢١هـ وكان من المخضرمين، وفد المدينة سنة ٩هـ فأسلم مع سـائر بني زبيد، ولمّا توفّي رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وتغلّب عتيق على الخلافة ثار عليه في الثّائرين واتّهموه بالارتداد مثل مالك بن نويرة ـ رحمه الله ـ وكان أبيّ النّفس، شريفاً، ثمّ لم يستطيعوا قتله، فبقي فـي أيّـام المـتغلّبين عـلى الخـلافة حتّى تـوفّي فـي السّـنة المذكورة.

⇐

﴿إذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئاً فَدَعْهُ[١] وَجَاوِزْهُ إلىٰ مَا تَسْتَطِيعُ

⇐ وقوله: «مَعْدِيْ كَرِبَ» اسم مركّب، من العرب مَنْ يجعل إعرابه في آخره، ومنهم من يضيف «مَعْدِيْ» إلى «كَرِبَ». قال ابن جنّي: «معديكَرِبَ» فيمن ركّبه ولم يُضِفْ صدره إلى عجزه يكتب متّصلاً ـ أي: «معديكرب» ـ. فإذا كان يكتب كذلك مع كونه اسماً ومن حكم الأسماء أَنْ تُفْرَدَ ولا توصل بغيرها، لقوّتها وتمكّنها، فالفعل في «قَلَّمَا» و«طالما» لاتّصاله في كثير من المواضع بما بعده ـ نحو: «ضربت» و«ضربنا» و«لَتُبْلَوُنَّ» و«هما يقومان» و«هم يقعدون» و«أنتِ تذهبين» ونحو ذلك ممّا يدلّ على شدّة اتّصال الفعل بفاعله ـ أَحْجَى بجواز خلطه بما وُصِلَ به في «طالما» و«قَلّما». وقال ابن منظور: فيه ثلاث لغات:

١ ـ «معدي كَرِبُ» ـ برفع الباء ـ لا يُصرف. ٢ ـ ومنهم من يقول: «معدي كربٍ» يضيف ويصرف «كَرِباً». ٣ ـ ومنهم من يقول: «معدي كرِبَ» يضيف ولا يصرف «كَرِباً» يجعله مؤنّثاً معرفة، والياء من «مَعْدِي» ساكنة على كلّ حال. راجع اللّسان في مادّة «كرب».

(١) **قوله: «إذا لم تستطع شيئاً فدعه»**. البيت من الوافر على العروض المقطوفة، مع الضّرب المشابه، والمشهور أنّ أوّل من قاله عمرو بن معدي كرب من قصيدة طويلة يقول فيها:

أمِنْ ريحانةَ الدّاعي السَّميعُ ... يُؤَرِّقُني وأحبابي هُجُوْعُ
ينادي من براقِشَ أو مَعِيْنٍ ... فأسْمَعَ واتْلأَبَّ بنا مَلِيْعُ
وقد جاوَزْنَ من غُمْدانَ داراً ... لأبوال البِغَالِ بها وقيعُ
ورُبَّ مُحَرِّشٍ في جَنْبِ سَلْمَى ... يَعُلُّ بعيبها عندي شَفِيْعُ
أشاب الرَّأسَ أيّام طِوالٌ ... وهَمٌّ ما تَبَلَّغَهُ الضُّلُوْعُ
وسوقُ كتيبةٍ دلفت لأُخرى ... كأنّ زُهَاءَها رأسٌ صَلِيْعُ
وإسنادُ الأسنّةِ نَحْوَ نحري ... وهَزُّ المَشْرَفِيّة والوُقُوْعُ
فإن تَنُبِ النّوائِبُ آلَ عُصْمٍ ... تُرَى حَكَمَاتُهُمْ فيها رُفُوْعُ
إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيعُ
وصِلْهُ بالزِّماعِ فكُلُّ أَمْرٍ ... سَمَالَكَ أو سَمَوْتَ له وَلُوْعُ

⇐

[المشاكلة]

ومنه ﴾ أي: من المعنويّ ﴿ **المشاكلة، وهو ذكر الشّيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته** ﴾ أي: لوقوع ذلك الشّيء في صحبة ذلك الغير ﴿ **تحقيقاً أو تقديراً** ﴾ أي: وقوعاً محقّقاً أو مقدّراً.

﴿ **فالأوّل: كقوله: «قالوا اقترح**[1] **شيئاً»** ﴾ من «اقترحت عليه شيئاً» ـ إذا سَأَلْتَهُ

⇐ وهي طويلة لا حاجة إلى ذكر جميعها.

وضمّنه إبراهيم بنُ هَرْمَةَ الشّاعر المشهور المتوفّى سنة ١٧٦هـ في قطعةٍ:

فــهَلّا إذْ عَــجَزْتَ عــن المَـعَالي ... وعــمّا يَــفْعَلُ الرَّجُــلُ القــريعُ

أخذتَ برأي عــمروٍ حــين ذَكّـى ... وشَبَّ لنـــاره الشَّــرَفُ الرَّفــيعُ

إذا لم تســـتطِعْ شــيئاً فــدَعْهُ ... وجـــاوزه إلى مـــا تســـتطيعُ

وضمّنه ابن الرّومي ـ رحمه الله ـ أيضاً في قطعةٍ لا حاجة إليها.

(١) **قوله: «قالوا اقترح»**. البيت من الكامل على العروض الأُولى مع الضّرب المقطوع والقائل جَحْظة ـ كما نصّ عليه العسكري في «جمهرة الأمثال» ـ ونسبه الثّعالبيّ في «لباب الآداب» إلى أبي حامد أحمد بن محمّد. ونسبه العبّاسي في «معاهد التّنصيص» إلى أبي الرّقعمق.

قال السّريّ الرّفّاء في كتاب «المحبّ والمحبوب»: كان عبيدالله بن عبدالله بن طاهر يشرب في متنزّهٍ وعنده ماني المُوَسْوِس، فقال عبيدُالله:

أرى غــيماً تُـؤَلِّفُهُ جَنُوْبٌ ... بــلا شكٍّ ســيأتينا بِــهَطْلِ

فحَزْمُ الرّأي أن تدعو بِرَطْلٍ ... فــتشربَهُ وتأمـر لي بِـرَطْلِ

فقال ماني: ما هكذا قال الشّاعر، إنّما هو:

أرى غَــيْماً تــؤلّفه جَــنُوبٌ ... أراه عـــلى مســـاءتنا حــريصا

فــحزمُ الرّأي أن تـدعو بـرطلٍ ... فــتشرَبُهُ وتكســوني قــميصا

وطريق هذا الخبر ما كتب جَحْظَةُ إلى قومٍ استدعَوْهُ إلى شراب، فقال:

وجـماعة نشـطَتْ لِشُرْبِ مُـدَامـةٍ ... بـــعثوا رســولَهم إليّ خــصوصا

⇐

إيّاه من غيرِ رويّة، وطَلَبْتَهُ على سبيل التّكليف والتّحكّم ـ لا من «اقترح الشّيء» ـ ابتدعه ـ ومنه اقتراح الكلام لارتجاله، فإنّه غير مناسب على ما لا يخفى ﴿«نُجِدْ﴾ مجزوم على أنّه جواب الأمر من «الإجادة» وهو تحسين الشّيء ﴿لَكَ طَبْخَه * قُلْتُ اطْبَخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصاً﴾ أي: خِيْطُوْا، ذكر خِياطة الجُبّة بلفظ الطّبخ لوقوعها في صحبة طبخ الطّعام.

﴿ونحوه: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[١]﴾ حيث أطلق النّفس على ذات الله ـ تعالى ـ.

﴿والثّاني﴾: وهو ما يكون وقوعه في صحبة[٢] الغير تقديراً ﴿نحو﴾ قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُولُو آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾[٣] إلى قوله: ﴿﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ وَمَنْ

⇐ قالوا اقترحْ لوناً يُـجَادُ طَبِيْخُهُ ... قـلتُ آطْـبَخُوا لي جُـبَّةً وقَـمِيْصا

وروَاه الثّعالبي في «خاصّ الخاصّ» هكذا:

وعـصابةٍ عـزموا الصّـبوح بسـحرةٍ ... بـعثوا إليّ مع الصّباح خـصوصا

صـرّح لنـا لونـاً نُـجَوِّدُ طـبخه ... قـلتُ اطـبخوا لي جُـبَّةً وقـميصا

وقال بعضهم: إنّ قوماً دعوا جحظة البرمكيّ إلى مجلس شرابٍ وقالوا له: اقْـتَرِحْ مـا نَطْبَخُ لك اليوم فكتب إليهم:

وجماعة نشطَتْ لشرب مُدامـةٍ ... بـعثوا رسـولهم إليّ خـصوصا

قالوا اقترح شيئاً يُـجَادُ طَـبِيْخُه ... قلتُ اطبخوا لي جُـبَّةً وقـميصَا

(١) المائدة: ١١٦.

(٢) أي: صحبة ذلك الغير في قصد المتكلّم، بأن يكون ذلك الغير سابقاً إمّا محقّقاً أو مـقدّراً وقصد المتكلّم وقوع شيءٍ في صحبته، فاندفع ما يتوهّم من أنّ الوقوع في صحبته بعد الذّكر فكيف يكون علّةً له؟

(٣) البقرة: ١٣٦.

أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾[١] ﴿ **وهو** ﴾ أي: قوله ـ تعالى ـ «صبغة الله» ﴿ **مصدر** ﴾ لأنّه فِعْلَة من «صَبَغَ» كـ «الجِلْسَة» من «جلس» وهي الحالة[٢] الّتي تقع عليها الصَّبْغ ﴿ **مؤكّد لـ «آمنّا باللّه»** ﴾ أي: تطهير اللّه ﴿ **لأنّ الإيمان يطهِّر النّفوس** ﴾ فيكون «آمنّا» مشتملاً على تطهير الله لنفوس المؤمنين ودالاًّ عليه، فيكون «صبغة الله» ـ بمعنى: تطهير الله ـ مؤكّداً لمضمون قوله: «آمنّا باللّه» فيكون قوله: «لأنّ الإيمان» تعليلاً لكونه مؤكّداً لـ «آمنّا» باللّه.

ثمّ أشار إلى بيان المشاكلة ووقوع تطهير الله في صحبة ما يعبّر عنه بالصَّبْغ تقديراً بقوله: ﴿ **والأصل فيه** ﴾ أي: في هذا المعنى وهو ذكر التّطهير بلفظ الصَّبْغ ﴿ **أنّ النّصارى كانوا يَغْمِسُونَ أولادهم في ماء أصفر يسمّونه المَعْمُوْدِيَّةَ ويقولون: إنّه** ﴾ أي: الغمس في ذلك الماء ﴿ **تطهير لهم** ﴾ فإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال: «الآن صار نصرانياً حقّاً» فَأُمِرَ المسلمون بأن يقولوا[٣] لهم: قولوا: آمنّا وصَبَغَنا الله بالإيمان صِبْغَةً لا مثل صِبْغتنا[٤]، وطهّرنا به تطهيراً لا مثل تطهيرنا، هذا إذا كان الخطاب في قوله: «آمنّا باللّه» للكافرين.

وأمّا إذا كان الخطاب للمسلمين فالمعنى: أنّ المسلمين أُمروا بأن يقولوا: صَبَغَنَا الله بالإيمان صِبْغَةً ولم يَصْبُغْ صِبْغَتَكُم أيّها النّصارى.

﴿ **فعبّر عن «الإيمان باللّه» بـ «صبغة الله» للمشاكلة** ﴾ لوقوعه في صحبة

---

(١) البقرة: ١٣٨.

(٢) قال الهنديّ: لأنّ المصدر الّذي يكون على «فِعْلَة» بكسر الفاء يكون للحالة أو النّوع ولا منافاة بينه وبين التّأكيد، لاشتماله على التّأكيد.

(٣) **قوله: «فأمر المسلمون بأن يقولوا»**. أي: أمر الّذين أسلموا بعد أن كانوا نصارى بأن يقولوا للنّصارى الّذين لم يُسْلِمُوْا بعدُ.

(٤) أي: صَبَغَنا الله صِبْغَةً لا مثل صبغتنا لأنفسنا حين كنّا نصارى، وكذا الجملة بعد هذه.

النّصارى تقديراً ﴿بهذه القرينة﴾ الحاليّة الّتي هي سبب النّزول من غَمْس النّصارى أولادهم في الماء الأصفر[١] وإن لم يذكر ذلك لفظاً.

وهذا كما تقول لمَنْ يَغرِسُ الأشجار: «اِغْرِسْ كما يَغْرِسُ فلان» تريد رجلاً يصطنع إلى الكِرام ويحسن إليهم، فتعبّر عن «الاصطناع» بلفظ «الغرس» للمشاكلة بقرينة الحال وإن لم يكن له ذكر في المقال.

[المزاوجة]

﴿ومنه﴾ أي: من المعنويّ ﴿المزاوجة، وهي أن يزاوج﴾ أي: يوقع المزاوجة ـ على أنّ الفعل مسند إلى ضمير المصدر كما في قولهم: «حِيْل بين العَيْرِ والنَّزَوان»[٢] ـ ﴿بين معنيين في الشّرط والجزاء﴾ أي: يجعل معنيان واقعان في الشّرط والجزاء مزدوجَيْن في أن يرتّب على كلّ منهما معنى رتّب على الآخر ﴿كقوله﴾ أي: قول البُحْتُرِيّ:

---

(١) ويقال له: غسل التّعميد أيضاً.

(٢) جزء من بيت قاله صخر أخو الخنساء:

أَهُـمُّ بأمـر الحـزم لو أسـتطيعه ... وقـد حيل بين العَيْرِ والنَّزَوان

وقبله:

أرى أُمَّ صَـخْرٍ لا تَـمَلُّ عِـيادتي ... ومَلَّتْ سليمي مضجعي ومكاني

فأيّ امـرئٍ سـاوى بأمٍّ حـليلةً ... فـلا عـاش إلّا في شَقىً وهـوانِ

وما كنتُ أخشى أن أكون جنازةً ... عـليكِ ومَـن يُـغْتَرُّ بـالحَدَثان

لعمري لقد نـبّهتِ من كان نـائماً ... وأسـمعتِ مـن كـانت له أُذُنَـانِ

أهـم بأمـر الحـزم لو أسـتطيعه ... وقـد حـيل حين العير والنَّزَوان

فـللموت خـير من حـياةٍ كأنّـها ... مـحلّةُ يـعسوبٍ بِـرأس سِـنانِ

وحـيٍّ حـريدٍ قد صبحتُ بـغارةٍ ... كـرجـل جـرادٍ أودَبـاً كَـتِفان

فـلو أنّ حـيّاً فـائتَ المـوت فـاته ... أخو الحربِ فوق القارح العَدَوانِ

﴿إِذَا مَا نَهَى النَّاهِي﴾(١) ومنعني عن حبّها **﴿فَلَجَّ بِيَ الْهَوىٰ﴾** ولزمني.

---

(١) **قوله: «إذا ما نهى النّاهي»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب التامّ، قاله البحتري من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان:

مَتَى لاَحَ بَرْقٌ أَوْ بَدَا طَلَلٌ قَفْرُ ... جَرَى مُسْتَهَلٌّ لاَ بَكيٌّ وَلاَ نَزْرُ

وَمَا ٱلشَّوْقُ إلَّا لَوْعَةٌ بَعْدَ لَوْعَةٍ ... وَغُزْرٌ مِنَ ٱلآمَاقِ يَتْبَعُهَا غُزْرُ

فَلاَ تَذْكُرَا عَهْدَ ٱلتَّصَابِي فَإِنَّهُ ... تَقَضَّى وَلَمْ نَشْعُرْ بِهِ ذٰلِكَ ٱلْعَصْرُ

سَقَى ٱللهُ عَهْداً مِنْ أُنَاسٍ تَصَرَّمَتْ ... مَوَدَّتُهُمْ إلَّا ٱلتَّوَهُّمُ وَٱلذِّكْرُ

وَفَاءٌ مِنَ ٱلْأَيَّامِ رَجْعُ عُهُودِهِمْ ... عَلَى أَنَّ تَشْرِيدَ ٱلزَّمَانِ بِهِمْ غَدْرُ

هَلِ ٱلْعَيْشُ إلَّا أَنْ تُسَاعِفَنَا ٱلنَّوَى ... بِوَصْلِ سُعَادٍ أَوْ يُسَاعِدَنَا ٱلدَّهْرُ

عَلَى أَنَّهَا مَا عِنْدَهَا لِمُوَاصِلٍ ... وِصَالٌ وَلاَ عَنْهَا لِمُصْطَبِرٍ صَبْرُ

إذَا مَا نَهَى ٱلنَّاهِي فَلَجَّ بِيَ ٱلْهَوَى ... أَصَاخَتْ إلَى ٱلْوَاشِي فَلَجَّ بِهَا ٱلْهَجْرُ

وَيَوْمَ تَثَنَّتْ لِلْوَدَاعِ وَسَلَّمَتْ ... بِعَيْنَيْنِ مَوْصُولٍ بِلَحْظِهِمَا ٱلسِّحْرُ

تَوَهَّمْتُهَا أَلْوَى بِأَجْفَانِهَا ٱلْكَرَى ... كَرَى ٱلنَّوْمِ أَوْ مَالَتْ بِأَعْطَافِهَا ٱلْخَمْرُ

لَعَمْرُكَ مَا ٱلدُّنْيَا بِنَاقِصَةِ ٱلْجَدَى ... إذَا بَقِيَ ٱلْفَتْحُ بْنُ خَاقَان وَٱلْقَطْرُ

فَتًى لاَ يَزَالُ ٱلدَّهْرُ حَوْلَ رِبَاعِهِ ... أَيَادٍ لَهُ بِيضٌ وَأَفْنِيَةٌ خُضْرُ

أَضَاءَ لَنَا أُفْقَ ٱلْبِلاَدِ وَكَشَّفَتْ ... مَشَاهِدُهُ مَا لاَ يُكَشِّفُهُ ٱلْفَجْرُ

بِوَجْهٍ هُوَ ٱلْبَدْرُ ٱلْمُنِيرُ نَفَى ٱلدُّجَى ... سَنَاهُ وَأَخْلاَقٍ هِيَ ٱلْأَنْجُمُ ٱلزُّهْرُ

غَمَامُ سَماحٍ مَا يَغُبُّ لَهُ حَياً ... وَمِسْعَرُ حَرْبٍ مَا يَضِيعُ لَهُ وِتْرُ

وَحَارِسُ مِلْكٍ مَا يَزَالُ عَتَادَهُ ... مُهَنَّدَةٌ بِيضٌ وَخَطِّيَّةٌ سُمْرُ

تَصُونُ بَنُو ٱلْعَبَّاسِ صَوْلَةَ بَأْسِهِ ... لِشَغْبٍ غَدَا يَعْتَادُ أَوْ حَادِثٍ يَعْرُو

يَبِيتُ لَهُمْ حَيْثُ ٱلْأَمَانَةُ وَٱلتُّقَى ... وَيَغْدُو لَهُمْ حَيْثُ ٱلْكِلاَءَةُ وَٱلنَّصْرُ

يَعُدُّ ٱنْتِقَاصاً أَنْ تُطَاوِلَهُمْ يَدٌ ... وَيَعْتَدُّ وِتْراً أَنْ يَغُشَّهُمُ صَدْرُ

تَوَاضَعَ مِنْ مَجْدٍ فَإِنْ هُوَ لَمْ يَكُنْ ... لَهُ ٱلْكِبْرُ فِي أَكْفَائِهِ فَلَهُ ٱلكِبْرُ

وَذُو رِعَةٍ لاَ يَقْبَلُ ٱلدَّهْرَ خُطَّةً ... إذَا ٱلدَّهْرُ لَمْ يَدْلُلْ عَلَيْهَا وَلاَ ٱلْأَجْرُ

⇐

﴿أَصَاخَتْ إِلَى الْوَاشِي﴾ استمعت إلى النّمّام الّذي يَشِيْ حديثه ويزيّنه وصدّقته فيما افترى عَلَيَّ **﴿فَلَجَّ بِهَا الْهَجْرُ﴾**.

زاوج بين «نهي النّاهي» و«إصاختها إلى الواشي» الواقعين في الشّرط والجزاء في أن رتّب عليهما لَجَاج شيء.

ومثله قوله أيضاً:

⇐ فِدَاكَ رِجَالٌ بَاعَدَ ٱلْمَنْعُ رِفْدَهُمْ   فَلاَ ٱلْخُمْسُ وِرْدٌ مِنْ نَدَاهُمْ وَلاَ ٱلْعُشْرُ
أَلاَمَتْ سَجَايَاهُمْ وَضَنَّتْ أَكُفُّهُمْ   فَإِحْسَانُهُمْ سُوْءٌ وَمَعْرُوفُهُمْ نُكْرُ
يَكُونُ وُفُورُ ٱلْعِرْضِ هَمّاً وَدُونَهُمْ   إِذَا كَانَ هَمُّ ٱلْقَوْمِ أَنْ يَفِرَ ٱلْوَفْرُ
وَلَوْ ضَرَبُوْا فِي ٱلْمَكْرُمَاتِ بِسُهْمَةٍ   لَكَانَ لَهُم فِيهَا ٱللَّفَا وَلَكَ ٱلْكُثْرُ
بَقَاءُ ٱلْمَسَاعِي أَنْ يُمَدَّ لَكَ ٱلْمَدَى   وَعُمْرُ ٱلْمَعَالِي أَنْ يَطُولَ بِكَ ٱلْعُمْرُ
لَقَدْ كَانَ يَوْمُ ٱلنَّهْرِ يَوْمَ عَظِيمَةٍ   أَطَلَّتْ وَنَعْمَاءٍ جَرَى بِهِمَا ٱلنَّهْرُ
أَجَزْتَ عَلَيْهِ عَابِراً فَتَشَاغَبَتْ   أَوَاذِيُّهُ لَمَّا طَمَا فَوْقَهُ ٱلْبَحْرُ
وَزَالَتْ أَوَاخِي ٱلْجِسْرِ وَٱنْهَدَمَتْ بِهِ   قَوَاعِدُهُ ٱلْعُظْمَى وَمَا ظَلَمَ ٱلْجِسْرُ
تَحَمَّلَ حِلْماً مِثْلَ قُدْسٍ وَهِمَّةً   كَرَضْوَى وَقَدْراً لَيْسَ يَعْدِلُهُ قَدْرُ
فَلَوْلاَ دِفَاعُ ٱللهِ عَنْكَ وَمِنَّةٌ   عَلَيْنَا وَفَضْلٌ مِنْ مَوَاهِبِهِ غَمْرُ
لأَظْلَمَتِ ٱلدُّنْيَا وَلاَنْقَضَّ حُسْنُهَا   وَلاَنْحَتَّ مِنْ أَفْنَائِهَا ٱلْوَرَقُ ٱلْخُضْرُ
وَلَمَّا رَأَيْتَ ٱلْخَطْبَ ضَنْكاً سَبِيلُهُ   وَقَد عَظُمَ ٱلْمَكْرُوهُ وَٱسْتُفْظِعَ ٱلأَمْرُ
عَزَمْتَ فَلَمْ تَقْعُدْ بِعَزْمِكَ حيرَةُ ٱلْـ   ـمَرُوعِ وَلَمْ يَسْدُدْ مَذَاهِبَكَ ٱلذُّعْرُ
وَلاَ كَانَ ذَاكَ ٱلْهَوْلُ إِلَّا غَيَابَةً   بَدَا طَالِعاً مِنْ تَحْتِ ظُلْمَتِهَا ٱلْبَدْرُ
فَإِنْ نَنْسَ نُعْمَى ٱللهِ فِيكَ فَحَظَّنَا   أَضَعْنَا وَإِنْ نَشْكُرْ فَقَدْ وَجَبَ ٱلشُّكْرُ
أَرَاكَ بِعَيْنِ ٱلْمُكْتَسِي وَرَقَ ٱلْغِنَى   بِآلاَئِكَ ٱللَّاتِي يُعَدِّدُهَا ٱلشِّعْرُ
وَيُعْجِبُنِي فَقْرِي إِلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ   لِيُعجِبَنِي لَوْلاَ مَحَبَّتُكَ ٱلْفَقْرُ
وَوَاللهِ لاَ ضَاعَتْ أَيَادٍ أَتَيْتَهَا   إِلَيَّ وَلاَ أَزْرَى بِمَعْرُوفِهَا ٱلْكُفْرُ
وَمَا لِيَ عُذْرٌ فِي جُحُودِكَ نِعْمَةً   وَلَوْ كَانَ لِي عُذْرٌ لَمَا حَسُنَ ٱلْعُذْرُ

إِذَا احْتَرَبَتْ يَوْماً فَفَاضَت دِمَاؤُهَا[١] تَـذَكَّـرَتِ الْـقُرْبىٰ فَـفَاضَتْ دُمُـوعُهَا

---

(١) قوله: «إذا احتربت يوماً ففاضت دِماؤها». البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المشابه، والقائل البحتريّ من قصيدة في المتوكّل العبّاسي ـلعنه الله ـوصُلْح بني تَغْلِب:

مُنَى النَّفْسِ في أسماء لو تستطيعها ... بها وَجْدُهَا مِنْ غادةٍ، ووَلُوْعُهَا
وقد راعني منها الصُّدودُ، وإنّما ... تَصُدُّ لِشَيْبٍ في عِذاري يروعُهَا
حملتُ هَواها يومَ مُنْعَرَجِ اللِّوى ... على كَبِدِيْ قد أَوْهَنَتْهَا صُدُوْعُها

قال:

أَسِيْتُ لأخوالي ربيعةَ إذْ عَفَتْ ... مَصَانِعُها منها وأَقْوَتْ رُبُوْعُها
بِكُرْهِيَ أن باتَتْ خَلَاءً دِيارُها ... ووَحْشاً مَغَانِيْها، وشَتَّى جميعُها
وأَمْسَتْ تَسَاقى الموتَ مِنْ بعدما غَدَتْ ... شُرُوْباً تَسَاقَى الرَّاحَ رِفْهاً شُرُوْعُها
إذا افترقَتْ عن وَقْعَةٍ جمعَتْهُمُ ... لِأُخْرَى دِماءٌ ما يُطَلُّ نجيعُها
تَذُمُّ الفتاةُ الرُّوْدُ شِيْمَةَ بعلِها ... إذاباتَ دون الثَّأْرِ وَهْوَ ضَجِيْعُها
حميَّةُ شَغْبٍ جاهليٍّ وعِزَّةٍ ... كُلَيْبِيَّةٍ أَعيا الرِّجالَ خُضُوْعُهَا
وفُرْسَانُ هَيْجاءٍ تجيش صدورُها ... بأحقادِها حتّى تضيق دروعُها
تُقَتِّلُ من وِتْرٍ أعزَّ نُفُوسِها ... عليها بأيدٍ ما تكاد تُطِيْعُها
إذا احتربَتْ يوماً ففاضَتْ دِماؤُها ... تذكّرتِ القُرْبَى ففاضت دمُوعُها
شواجِرُ أرماحٍ تُقَطِّعُ بينهم ... شواجِرَ أرحامٍ مَلُوْمٍ قَطُوْعُها

«الاحتراب»: الدّخول في الحرب، وضمير المؤنّث في «احتربت» للفُرْسان في البيت السّابق، والمراد أنّ الفُرسان قتل بعضهم بعضاً وهم أقارب ولمّا تذاكروا ما بينهم من القرابة فاض دموعهم إشفاقاً على أرحامهم، والمعنى في هذا البيت وقبله وبعده مأخوذ من أمير المؤمنين ـعليه السّلام ـفي «نهج البلاغة» حيث يقول في كلام له مع الخوارج ـلعنهم الله ـ:

«فلقد كنّا مع رسول الله ـصلّى الله عليه وآله ـوإنّ القتلَ لَيدور على الآباء، والأبناء، ⇐

زواج بين «الاحتراب» و«تذكّر القربى» الواقعين في الشّرط والجزاء في ترتّب فيضان شيء عليهما.

[نقد]

ومن تتبّع الأمثلة المذكورة للمزاوجة عَلِمَ أنّ معناها ما ذكرنا، لا ما يسبق إلى الوهم مِن أنّ معناها أن تجمع بين معنيين في الشّرط ومعنيين في الجزاء كما جمع في الشّرط بين نهي النّاهي ولَجَاج الهَوَى، وفي الجزاء بين إصاختها إلى الواشي ولَجاج الهَجْر؛ إذ لا يعرف أحد يقول بالمزاوجة مثل قولنا: «إذا جاءني زيد فسلّم عَلَيَّ أجلسته فأنعمت عليه».

[العكس]

﴿**ومنه**﴾ أي: من المعنويّ ﴿**العكس**﴾[1] والتّبديل ﴿**وهو أن يقدَّم في الكلام جزء**﴾ على جزء آخر ﴿**ثمّ يؤخّر**﴾ ذلك المتقدّم عن الجزء الأخير.

والعبارة الصّريحة ما ذكره القوم ـ حيث قالوا ـ: هو أن تقدّم في الكلام جزءاً ثمّ تَعْكِسُ فتُقَدِّم ما أخّرتَ وتُؤَخِّر ما قدّمتَ.

وأمّا ظاهر عبارة المصنّف فيصدق على مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ**﴾[2] وقول الشّاعر:

⇐ والإخوان والقرابات، فما نزداد على كلّ مصيبةٍ وشدّةٍ إلّا إيماناً ومُضيّاً على الحقّ، وتسليماً للأمر، وصبراً على الجراح». والباقي واضح، والشّاهد بيّنه الشارح.

(١) قال الهنديّ: ففيه تبديل المعنى وتعكيسه أوّلاً ثمّ يتبعه وقوع التّبديل في اللّفظين؛ بخلاف ردّ العجز على الصّدر، فإنّه إيراد اللّفظين أحدهما في أوّل الكلام والثّاني في آخره كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ**﴾ فلذا كان العكس من المحسّنات المعنويّة وردّ العجز على الصّدر من المحسّنات اللّفظيّة.

(٢) الأحزاب: ٣٧.

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ[(١)] وَلَـيْسَ إِلىٰ دَاعِـي النَّـدىٰ بِسَـرِيعِ

ولا عكس فيه[(٢)].

---

(١) **قوله: «سريع إلى ابن العمّ يلطِمُ وجهه»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المحذوف والقائل: الأقيشر الأسديّ أبو مُعْرِض المغيرة بن عبدالله بن مُعْرِض المتوفّى سنة ٨٠هـ في بيتين:

سريع إلى ابن العمّ يَلْطِمُ وجهَه وليس إلى داعي النَّدَى بِسَـريعِ
حريصٌ على الدُّنْيَا مُضِيْعٌ لدينه وليس لما في بيته بـمُضِيْعِ

ويقال له: الأقيشر، لأنّه كان أحمر الوجه أقشر، وكان عثمانيّاً خبيثاً، وأدرك دولة عبد الملك بن مروان ـ لعنه الله ـ وهجاه.

قال الخطيب في «الإيضاح»: قاله في ابن عمّ له مُوسر، سأله فمنعه وقال: كم أعطيك مالي وأنت تُنْفِقُهُ فيما لا يعنيك، والله لا أعطيتك، فتركه حتّى اجتمع القوم في ناديهم وهو فيهم فشكاه إلى القوم وذمّه، فوثب إليه ابن عمّه فلطمه فأنشأ يقول: سريع إلى ابن العمّ، البيتين...

وما أحسن من يقول في المديح:

سـريع إلى ابـن العـمّ يَـجْبُرُ كسـره وليس إلى داعـي الخَـنَى بسـريعِ

قال صاحب «الأغاني»: وكان خليعاً، ماجناً، فاسقاً، فاجراً، مُدْمِنَ الخمر، قبيح المنظر.

قال الجعفريّ صاحب هذا التّعليق: وكذلك كلّ من انحرف عن أهل البيت ومال إلى أعدائهم، لأنّهم أصحاب النّار بلا شكٍّ بدليل قوله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من رَكِبَها نجا ومن تخلّف عنها غَرِقَ وهَوَى».

(٢) بل الآية والبيت من قبيل «ردّ العجز على الصّدر» كقول سيّد الشّهداء وسيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين ـ عليه السّلام ـ في مرثية أخيه الأكبر الإمام الحسن المجتبى ـ عليه السّلام ـ:

غريب وأكناف الحِجاز تَحُوْطُهُ ألا كلّ مَنْ تحت التُّرابِ غريب

[وجوه العكس]

﴿ويقع﴾ أي: العكس ﴿على وجوه:

[الأوّل]

منها: أن يقع بين أحد طَرَفَي جملة وما أُضيف إليه ذلك الطّرف نحو: «عادات السّادات[١] سادات العادات»﴾ فإنّ العكس قد وقع بين «العادات» وهوأحد طرفي الكلام وبين «السّادات» وهو الّذي أُضيف إليه «العادات» ومعنى[٢] وقوعه بينهما: أنّه قدّم «العادات» على «السّادات» ثمّ عكس فَقُدِّمَ «السّادات» على «العادات».

[الثّاني]

﴿ومنها﴾ أي: ومن الوجوه ﴿أن يقع بين متعلِّقَي فعلين في جملتين نحو: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾[٣]﴾ فقد وقع العكس بين «الحيّ» و«الميّت» بأن قدّم «الحيّ» وأخّر «الميّت» ثمّ عكس فقدّم «الميّت» وأخّر «الحيّ» وهما متعلّقان لفعلين في جملتين.

---

(١) **قوله: «عادات السّادات»**. قال الشّيخ بِهاءُ الدّين العامليّ ـ رحمه الله ـ في كشكوله: من كلام أبي الفتح البُسْتيّ المتوفّى سنة ٤٠٠هـ: «من أصلح فاسده، أرغم حاسده، عادات السّادات، سادات العادات، من سعادة جَدّك وقوفك عند حدّك، الرَّشْوة رِشَاءُ الحاجة، اشتغل عن لذّاتك بعمارة ذاتك».

ونسبه إلى أبي الفتح البُسْتيّ أيضاً: الثّعالبيّ في «اللطف واللطائف» و«خاصّ الخاصّ». والدّميريّ في «حياة الحَيَوان».

(٢) أي: ليس معناه أنّه يقع في شيءٍ كائن بين الطّرفين.

(٣) يونس: ٣١.

[الثّالث]

﴿ومنها﴾ أي: ومن الوجوه **﴿أن يقع بين لفظين في طرفَي جملتين نحو: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾[1]﴾** قد وقع العكس بين «هنّ» و«هم» حيث قدّم «هنّ» على «هم» ثمّ عكس فأخّر «هنّ» من «هم» وهما لفظان واقعان في طرفي جملتين.

[الرّابع]

ومنها: أن يقع بين طرفي الجملة كما قلتُ:

طَوَيْتُ بإحْرازِ الفُنُونِ[2] وَنَيْلِها رِداءَ شَبابي والجُنُونُ فُنُونُ

---

(١) الممتحنة: ١٠.

(٢) **قوله: «طويت بإحراز الفنون»**. البيتان من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المحذوف والقائل: الشّارح التّفتازاني ـ كما نصّ عليه في هذا المقام ـ. ورواه ابن العماد الحنبليّ في «شذرات الذّهَب»:

طويت بإحراز العلوم وكسبها رِداء شبابي والجُنون فنون
فلمّا تحصّلت العلوم ونِلْتُها تبيّن لي أنّ الفنون جُنون

وروى الشّوكاني في «البدر الطّالع»:

طويت بإحراز العلوم ونيلها رِداء شبابي والجنون فنون
وحين تعاطيت الفنون ونيلها تبيّن لي أنّ الفنون جنون

«الإحراز»: الجمع والحفظ، و«الفنون»: جمع «الفن» وهو القسم من الشّيء والمراد هنا أقسام العلوم، و«نيلها» تحصيلها. «رِداء شبابي» مفعول «طويت» وهو من إضافة المشبّه به إلى المشبّه، ووجه الشّبه هو أنّ كلّاً منهما ستر وزينة لصاحبه. وذكر «الطّي» ترشيح للتّشبيه والمراد: صرفت بهجة شبابي في تحصيل الفنون. و«تعاطيت»: تناولت وأخذت، و«الحظّ» النّصيب و«الفنون جنون» أي: الفنون الّتي يمنع الإنسان عن الوصول

⇐

فَحِينَ تَعاطَيْتُ الْفُنُونَ وَحَظَّهَا تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الفُنُونَ جُنُونُ

[الرّجوع]

﴿ومنه﴾ أي: ومن المعنويّ ﴿الرّجوع، وهو العود إلى الكلام السّابق بالنّقض﴾ أي: بنقضه وإبطاله ﴿لنكتة كقوله﴾ أي: قول زهير:

﴿قِفْ بِالدِّيَارِ الّتي لَمْ يَعْفُهَا الْقِدَمُ[1] بلى وغيّرها الأرواحُ وَالدِّيَمُ﴾

⇐ إلى الحقائق مثل ما كان للغَزَالي والفخر الرازيّ، وابن سيناء البلخيّ وسائر المنحرفين عن أهل البيت ـ لعنهم الله جميعاً ـ.

وروى له أيضاً يعرّض بـ«تمور لنگ» ـ لعنه الله ـ:

إذا خاض في بحر التّفكّر خاطري على درّة من معضلات المطالب
حقرت ملوك الأرض في نيل ما حووا ونِلْتُ المُنَى بالكُتْب لا بالكتائب

(١) قوله: «قِفْ بالدّيار الّتي لَمْ يَعْفُهَا القِدَمُ». البيت من البسيط على العروض المخبونة مع الضّرب المشابه، والقائل زهير بن أبي سُلْمَى المُزَني صاحب المعلّقة يمدح هرم بن سنان والبيت مطلع القصيدة وبعده:

لا الدّار غيّرها بعدُ الأنيس ولا بالدّار لو كلّمَتْ ذا حاجةٍ صَمَمُ
دار لأسماءَ بالغمرَيْن ماثِلَةٌ كالوحي ليس لها من أهلها أَرِمُ

قال:

إنّ البخيل مَلُوْمٌ حيث كان ولـ ـكِنَّ الجواد على عِلّاتِه هَرِمُ
هو الجواد الّذي يعطيك نائله عَفْواً ويُظْلَمُ أحياناً فَيَظَّلِمُ
فإن أتاه خليلٌ يوم مَسْأَلَةٍ يقول لا غائبٌ مالي ولا حَرِمُ

و«الأرواح»: جمع «ريح» ويجمع على «أرياح» ـ أيضاً ـ مراعاة للمفرد في القلب وعدمه ـ و«رياح» و«رِيح» ـ بكسر الرّاء وفتح الياء ـ.

و«الدِّيَم»: جمع دِيْمَة وهي المطر الدّائم في سكون.

ومعنى المصراع الثّاني من المطلع هو ما ذكره الحكيم الطّوسي أبو القاسم الفردوسيّ ⇐

دلّ الكلام السّابق على أنّ تطاول الزّمان وتقادم العهد لَمْ يَعْفُ الدّيار، ثمّ عاد إليه ونقضه بأنّه قد غيّرها الرّياح والأمطار؛ لنكتة وهو إظهارالكآبة والحزن والحيرة والدّهشة حتّى كأنّه أخبر أوّلاً بما لم يتحقّق ثمّ رجع إليه عقله وأفاق بعض الإفاقة فنقض كلامه السّابق قائلاً: لا بل عفاها القِدَمُ، وغيّرها الأرواح والدِّيَمُ.

ومثله: *** فَأُفٍّ لهذا الدّهر لا بل لأهله[1] ***

[التّورية]

﴿ ومنه ﴾ أي: من المعنويّ **﴿ التّورِية، ويُسمّى الإيهام أيضاً، وهو أن يطلق لفظ له معنيان[2]: قريب وبعيد، ويراد البعيد ﴾** اعتماداً على قرينة **﴿ خفيّة وهي ضربان ﴾**:

⇐ الشّاعر الخراسانيّ المشهور:

بناهاى آباد گردد خراب   زباران و از تابش آفتاب
پى افكندم از نظم كاخى بلند   كه از باد و باران نيابد گزند

والمراد حماسته الفارسيّة المعروفة بـ«شاهنامه».

(١) **قوله: «فَأُفٍّ لهذا الدّهر لا بل لأهله»**. المصراع من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المماثل، لأنّ بعده ـ كما ذكره السيّد في «أنوار الرّبيع» ـ:

* وإن كنتُ منهم ـ ما أملَّ وأعذرا *

والقائل غير معلوم.

(٢) حقيقيّان، أو مجازيّان، أو أحدهما حقيقيّ والآخر مجازيّ لا يعتبر بينهما لزوم وانتقال من أحدهما إلى الآخر، وبه يمتاز التّورية عن المجاز والكناية، وبهذا ظهر أنّ التّورية ليست من إيراد المعنى بطرق مختلفة في وضوح الدّلالة حتّى تكون من «علم البيان» نعم إنّه إذا كان المعنيان مجازيين أو أحدهما مجازياً كانت من علم البيان بالنّسبة إلى المعنى الحقيقيّ لهما أو لأحدهما، وأمّا بالنّسبة إلى المعنى الّذي هو تورية بالقياس إليه فلا إذ لا علاقة بينهما ولا انتقال من أحدهما إلى الآخر فتدبّر، فإنّه ممّا خفي على بعض الأذكياء ـ كما قرّره الهنديّ ـ.

[التّورية المجرّدة]

﴿ **مجرّدة وهي** ﴾ التّورية ﴿ **الّتي لا تجامع شيئاً ممّا يلائم المعنى القريب نحو:** ﴿ **الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** ﴾[(١)] ﴾ فإنّه أراد بـ«استوى» معناه البعيد وهو «استولى» ولم يقرن به شيء ممّا يلائم المعنى القريب الّذي هو الاستقرار.

[التّورية المرشّحة]

﴿ **ومرشّحة** ﴾ - عطف على «مجرّدة» - ﴿ **وهي الّتي تجامع شيئاً ممّا يلائم المعنى القريب** ﴾ المُوَرَّى به عن البعيد المراد.

إمّا بلفظ قبله ﴿ **نحو:** ﴿ **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ** ﴾[(٢)] ﴾ فإنّه أراد «بأيد» معناها البعيد - أعني: القدرة - وقد قرن بها ما يلائم المعنى القريب - أعني: الجارحة المخصوصة - وهو قوله: «بنيناها».

أو بلفظ بعده كقول القاضي أبي الفضل بن عِياض[(٣)] يصف ربيعاً بارداً[(٤)]:

---

(١) طه: ٥.

(٢) الذّاريات: ٤٧.

(٣) **قوله: «القاضي أبي الفضل بن عِياض»**. هو عِياض بن موسى بن عِياض بن عُمَرَ اليَحْصُبِيّ، السَّبْتِيّ، الغِرناطيّ، المالكيّ قاضي «سَبْتَة» بالمغرب، مولده بـ«سَبْتَة» في منتصف شعبان من سنة ٤٧٥هـ/٤٧٦هـ فهو سَبْتِيّ الدّار والبلاد، أندَلُسيّ الأصل، نشأ جدوده بالأندلس ثمّ انتقلوا إلى «فاس» وكان لهم استقرار بالقيروان وانتقل إلى «سَبْتَة» بعد سُكْنَى «فاس»، توفّي بـ«مراكش» يوم الجمعة سنة ٥٤٤هـ - كما نصّ عليه الخفاجي صاحب «نسيم الرّياض في شرح الشّفا للقاضي عِياض». واشهر كتبه: «الشّفا بتعريف حقوق المصطفى».

(٤) **قوله: «يصف ربيعاً بارداً»**. قال الخطيب في «الإيضاح»:

كلفظ «الغَزالة» في قول القاضي الإمام أبي الفضل عِياضٍ في صَيْفيّة باردةٍ:

⇐

أو الغَزَالَة من طُوْلِ المَدَى خَـرِفَتْ   فما تُـفرِّقُ بـينَ الجَـدْي والحَـمَلِ

يعني كأنّ الشّمس من كِبَرِها وطول مدّتها صارت خَرِفة، قليلة العقل، فنزلت في بُرْجِ الجَدْيِ في أوان الحلول ببرج الحَمَل، أراد بالغَزَالة معناها البعيد، أعني: «الشّمس» وقد قرن بها ما يلائم المعنى القريب ـ الّذي ليس بمراد ـ أعني: «الرَّشأ»[1] حيث ذكر الخِرَافة، وكذا ذكر الجَدْي، والحَمَل.

وقد يكون كلّ من التّوريتين ترشيحاً للأُخرى كبيت السَّقْط:

إِذَا صَدَقَ الْجَدُّ افْتَرىٰ العَمُّ لِـلْفَتىٰ[2]   مكـارِمَ لاَ تَـخْفىٰ وَإِنْ كَـذِبَ الخَـالُ

⇐ كأنّ كـانونَ أهـدَى مـن مـلابِسِه   لِشَـهْرِ تَـمُّوزَ أنـواعاً مـن الحُـلَلِ

أو الغزالة مِـنْ طُـوْلِ المَـدَى خَـرِفَتْ   فـما تُـفرِّقُ بـين الجَـدْي والحَـمَلِ

والبيتان من البسيط على العروض المخبونة مع الضّرب المشابه.

(١) الرَّشَأ: مهموز ولد الظَّبْيَة إذا تحرّك ومشى وهو الغَزال.

(٢) **قوله: «إذا صدق الجَدُّ افترى العمّ للفتى»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب التّامّ وهو آخر بيت من القصيدة التّاسعة والخمسين من قصائد السّقط وقد تقدّم منها شواهد مطلعها:

مغاني اللِّوى من شخصكِ اليوم أطلالُ   وفي النّوم مَغْنًى مـن خَـيالِكِ مِـحْلَالُ

مـعانيكِ شَتّى والعـبارة واحـد   فـطرفُكِ مُـغْتَال وزَنْـدكِ مُـغْتَالُ

قال:

فَسَـقْياً لكأسٍ مِـنْ فَـمٍ مِـثْلِ خَـاتَمٍ   مـن الدُّرِّ لَـمْ يَـهْمُمْ بـتقبيله خـالُ

قال:

فـيا وَطَـني إن فـاتني بك سـابقٌ   مـن الدَّهْـر فَـلْيَنْعَمْ لسـاكنك البَـالُ

فـإنْ أسـتطع فـي الحَشْـرِ آتِكَ زائـراً   وهـيهات، لي يـوم القـيامة أشـغالُ

وكم مـاجدٍ فـي سِـيْف دِجْـلَةَ لم أَشِـمْ   له بـارقاً، والمـرءُ كـالمُزْن هَـطَّالُ

مـن الغُـرِّ، تَـرَّاكُ الهـواجـرِ، مُـعْرِضٌ   عن الجَهْلِ، قذّاف الجـواهـرِ مِـفْضَالُ

⇐

أراد بالجدّ الحظّ، وبالعمّ الجماعة من النّاس، وبالخال المَخِيْلَة[1].

فإن قلت: قد ذكر صاحب «الكشّاف»[2] في قوله - تعالى - ﴿ **الرَّحْمَٰنُ عَلَى**

⇐ سَيَطْلُبُني رِزْقي الّذي لو طَلَبْتُهُ لمـا زادَ، والدُّنْيَا حُظُوظٌ وإقبال

إذا صَدَقَ الجَدُّ افترى العَمُّ للفتى مكارِمَ لا تُكْرِي وإن كَذَبَ الخالُ

لا تُكْرِي: لا تنقص. وقد تقدّم الأبيات غير مرّةٍ في الفنّ الأوّل.

(١) وهي المَظِنّة، والظّنّ.

(٢) **قوله: «قد ذكر صاحب «الكشّاف»»**. وهذا نصّه في تفسير الآية الخامسة من سورة طه:

قرئ «الرّحمن» مجروراً صفة لـ«مَن خلق» والرّفع أحسن؛ لأنّه إمّا أن يكون رفعاً على المدح على تقدير: «هو الرّحمن». وإمّا أن يكون مبتدأ مشاراً بلامه إلى «من خلق».

فإن قلت: الجملة الّتي هي «على العرش استوى» ما محلّها إذا جررت «الرّحمن» أو رفعته على المدح؟ قلت: إذا جررت فهي خبر مبتدأ محذوف لا غير. وإن رفعت جاز أن تكون كذلك، وأن تكون مع الرّحمن خبرين للمبتدأ **لمّاكان** الاستواء على العرش - وهو سرير الملك - ممّا يَرْدَفُ الملك - أي: يلزمه - **جعلوه** كناية عن الملك فقالوا: «استوى فلان على العرش» يريدون: «مَلَك» وإن لم يقعد على السّرير البتّة.

وقالوه أيضاً لشهرته في ذلك المعنى ومساواته «ملك» في مؤدّاه، وإن كان أشرح وأبسط، وأدلّ على صورة الأمر.

ونحوه قولك: «يد فلان مبسوطة» و«يد فلان مغلولة» بمعنى: أنّه جواد أو بخيل.

لا فرق بين العبارتين إلّا فيما قلت، حتّى أنّ مَنْ لم يبسط يده قطّ بالنّوال، أو لم تكن له يد رأساً، قيل فيه: «يده مبسوطة» لمساواته عندهم قولهم: «هو جَواد» ومنه قول الله - عزّ وجلّ -: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ** ﴾ أي: «هو بخيل» ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ أي: «هو جواد» من غير تصوّر يد، ولا غلّ، ولا بسط، والتّفسير بالنّعمة والتمحّل للتّثنية من ضيق العَطَن، والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام.

وقال - في تفسير قوله - تعالى -: ﴿ **وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾ [الزّمر: ٦٧] -: والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته

⇐

الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[1] أنّه تمثيل[2] لأنّه لمّا كان الاستواء على العرش ـ وهو سرير المُلْك ـ ممّا يَرْدَفُ[3] المُلْك جعلوه كناية عن الملك، ولمّا امتنع هاهنا المعنى

⇐ ومجموعه تصوير عظمته والتّوقيف على كنه جلاله، لا غير، من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو مجاز.

وكذلك حكم ما يروى أنّ جبرئيل جاء إلى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فقال: «يا أبا القاسم إنّ الله يمسك السّماوات يوم القيامة على إصْبَع والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، والشّجر على إصبع والثّرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع ثمّ يهزّهنّ فيقول: أنا الملك» فضحك رسول الله تعجّباً ممّا قال ثمّ قرأ تصديقاً له: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ الآية [الأنعام: ٩١]. وإنّما ضحك أفصح العرب ـ صلّى الله عليه وآله ـ وتعجّب لأنّه لم يفهم منه إلّا ما يفهمه علماء البيان من غير تصوّر إمساكٍ ولا إصبع ولا شيءٍ من ذلك ولكن فهمه وقع أوّل شيءٍ وآخره على الزّبدة والخلاصة الّتي هي الدّلالة على القدرة الباهرة، وأنّ الأفعال العظام الّتي تتحيّر فيها الأفهام والأذهان ولا تكتنهها الأوهام هيّنة عليه هواناً لا يوصل السّامع إلى الوقوف عليه إلّا إجراء العبارة في مثل هذه الطّريقة من التخييل. ولا ترى باباً في علم البيان أدقّ ولا أرقّ ولا ألطف من هذا الباب، ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله ـ تعالى ـ في القرآن وسائر الكتب السّماويّة وكلام الأنبياء، فإنّ أكثره وعليّته تخييلات قد زَلَّتْ فيها الأقدام قديماً، وما أُوتِيَ الزّالّون إلّا من قلّة عنايتهم بالبحث والتّنقير، حتّى يعلموا أنّ في عِداد العلوم الدقيقة عِلْماً لو قدّروه حقّ قدره لما خفي عليهم أنّ العلوم كلّها مفتقرة إليه وعيال عليه إذ لا يحلّ عقدها المؤربة ولا يفك قيودها المكربة إلّا هو، وكم آيةٍ من آيات التّنزيل، وحديث من أحاديث الرّسول قد ضيم وسيم الخسف بالتّأويلات الغثة والوجوه الرّثّة، لأنّ من تأوّل ليس من هذا العلم في عير ولا نفير، ولا يعرف قبيلاً منه من دبير اه.

(١) طه: ٥.

(٢) أي: تصوير، لما صرّح به في قوله: «تمثيل وتصوير لعظمته» وليس المراد أنّه استعارة تمثيليّة أو تشبيه تمثيليّ لعدم علاقة التّشبيه ـ كما في الهندي ـ.

(٣) أي: يلزَمُهُ ويتبعه، لأنّه إذا ملك الإنسان استوى بعقبه على العرش، ويقال: رَدِفْتُهُ ـ بالكسر ـ لَحِقْتُهُ وتَبِعْتُهُ.

الحقيقيّ صار مجازاً كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ أي: هو بخيل ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[1] أي: هو جواد، من غير تصوّر يدٍ ولا غُلٍّ ولا بَسْطٍ، والتّفسير بالنّعمة والتّمحّل[2] للتّثنية من ضِيْقِ العَطَن، والمسافرة من «علم البيان» مسيرة أعوام.

وكذا قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾[3] تمثيل وتصوير لِعَظَمَتِهِ وتوقيف على كُنْهِ جلاله من غير ذَهَاب بالأيدي إلى جهة حقيقة أو مجاز، بل يذهب إلى أخذ الزُّبْدَة والخُلَاصَة من الكلام من غير أن يتمحّل لمفرداته حقيقة أو مجاز.

وقد شدّد النّكير على من يفسّر «اليد» بالنّعمة و«الأيدي» بالقدرة و«الاستواء» بالاستيلاء و«اليمين» بالقدرة.

وذكر الشّيخ[4] في «أسرار البلاغة» أنّهم وإن كانوا يقولون المراد بـ«اليمين»

---

(١) المائدة: ٦٤.

(٢) أي الاحتيال لصيغة التّثنية في «يداه» بأن يراد النّعمة الدّنيويّة والأخرويّة.

(٣) الذّاريات: ٤٧.

(٤) **قوله: «وذكر الشّيخ»**. ذكره في فصل في حدَّي الحقيقة والمجاز من أواخر «أسرار البلاغة» ـ لا «دلائل الإعجاز» كما في بعض النّسخ ـ بعد أن ذكر أنّ «اليد» تستعمل مجازاً بمعنى النّعمة: فأمّا ما تكون «اليد» فيه للقدرة على سبيل التّلويح بالمَثَل دون التّصريح حتّى ترى كثيراً من النّاس يطلق القول أنّها بمعنى القدرة ويجريها مجرى اللفظ يقع لمعنيين فكقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزّمر: ٦٧]، تراهم يطلقون أنّ اليمين بمعنى القدرة ويصلون إليه قول الشَّمَّاخ:

إذا ما راية رفعت لِمَجْدٍ ... تلقّاها عرابة باليمين

كما فعل أبو العبّاس في «الكامل» فإنّه أنشد البيت ثمّ قال: قال أصحاب المعاني: معناه:

⇐

القدرة فذلك تفسير منهم على الجملة، وقصدهم إلى نفي الجارحة بسرعة؛ خوفاً على السّامع من خطرات تقع للجهّال وأهل[1] التّشبيه وإلّا فكلّ ذلك من طريق التّمثيل.

قلت: قد جرى المصنّف في جعل الآيتين مثالين للتّورية على ما اشتهر بين أهل الظّاهر من المفسّرين[2].

⇐ بالقوّة، وقالوا مثل ذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾ وهذا منهم تفسير على الجملة وقصد إلى نفي الجارحة بسرعة خوفاً على السّامع من خطرات تقع للجهّال وأهل التّشبيه ـ جلّ الله وتعالى عن شبه المخلوقين ـ. ولم يقصدوا إلى بيان الطّريقة والجهة الّتي منها يحصل على القدرة والقوّة، وإذا تأمّلت علمت أنّه على طريقة المثل اهـ. [أسرار البلاغة: ٣٠٢ـ٣٠٣].

(١) أي: المشبّهة، وهم فرقة من العُمَرِيّين النَّوَاصب ـ لعنهم الله ـ.

(٢) وحاصل السّؤال والجواب: أنّ هاهنا سؤالين:

الأوّل: أنّهم اختلفوا في التّمثيل على أربعة أقوال ـ كما تقدّم في «علم البيان» ـ وكان الزّمخشريّ يقول: إنّه مرادف للتّشبيه، ولكنّه عبّر في تفسير ﴿**الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ**﴾ بعباراتٍ مختلفة؛ فمرّةً عبّر بالتّمثيل وأخرى بالمجاز، وثالثةً بالكناية، وكلّ غير الآخر فما وجهه؟

والثّاني: أنّ الجمهور ـ وتبعهم المصنّف ـ عدّوا الآية من التّورية والزّمخشري من الكناية وأيّ القولين صحيح؟

والجواب عن الأوّل: أنّ مذهب الزّمخشري في تلك الموارد هو الكناية، والتعبير بالتّمثيل والمجاز سهو منه وغفلة، لأنّه صرّح بعدم ذهاب بها إلى حقيقة أو مجاز ـ كما تقدّم كلامه ـ.

والجواب عن الثّاني: أنّ المصنّف تبع هاهنا أهل الظّاهر من المفسّرين، والتحقيق ما ذهب إليه الشّيخ والزّمخشريّ من القول بالكناية لا التّورية ـ كما زعمه أهل الظّاهر ـ.

[الاستخدام]

﴿ ومنه ﴾ أي: من المعنويّ ﴿ **الاستخدام، وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما** ﴾ أي: أحد المعنيين ﴿ **ثمّ يراد بضميره** ﴾ أي: بالضّمير الرّاجع إلى ذلك اللّفظ ﴿ **معناه الآخر** ﴾.

﴿ **أو يراد بأحد ضميريه** ﴾ أي: ضميرَي ذلك اللّفظ ﴿ **أحدهما** ﴾ أي: أحد المعنيين ﴿ **ثمّ** ﴾ يراد ﴿ **بالآخر** ﴾ أي: بالضّمير الآخر ﴿ **معناه الآخر** ﴾.

﴿ **فالأوّل كقوله** ﴾:

﴿ **إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ**[1] **رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِضَاباً** ﴾

---

(١) **قوله: «إذا نزل السّماء بأرض قومٍ»**. البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب المماثل، والقائل: جرير من قصيدة يقول فيها:

أَقِلِّي اللوم عاذل والعتابا ... وقولي إن أصبتُ لقد أصَابَا
أَجِدَّكَ ما تذكّر عهد نَجْدٍ ... وحَيّاً طالما انتظروا الإيابا
بلى فارفضْ دمعك غير نَزْرٍ ... كما عيّنتَ بالسّرب الطِّبابا
وهاج البرق ليلة أَذْرِعاتٍ ... هوى ما تستطيع له طِلابا

ونسبه المفضّل بن محمّد الضبّي في اختياراته إلى معاوية بن مالك بن جعفر معوّد الحكماء، وساقه في قصيدة طويلة مطلعها:

أَجِدَّ القلبُ من سَلْمَى اجتنابا ... وأقصر بعد ما شابَتْ وشابا
وشابَ لِدَاتُه وعدلن عنه ... كما أَنْضَيْتُ من لُبْسٍ ثيابا
فإن يك نبلها طاشَتْ ونبلي ... فقد نَرْمِي بها حِقَباً صِيابا
فتصطاد الرّجال إذا رمتهم ... وأصطادُ المُخَبَّأة الكِعابا

قال:

وكنتُ إذا العظيمةُ أفزعَتْهُم ... نهضتُ ولا أدِبُّ لها دِبابا

⇐

أراد بـ«السّماء» الغيث وبالضّمير الرّاجع إليه في «رعيناه» النّبت.

﴿ والثّاني كقوله ﴾ أي: قول البُحْتُرِيّ:

﴿ فَسَقَا الغَضَا وَالسَّاكِنِيه وَإِنْ هُمُ[1] شَــبُّوهُ بَـيْنَ جَـوَانِـحٍ وَقُـلُوْبِ ﴾

⇐ بحمد الله ثمّ عطاء قوم يـــفكّون الغـــنائم والرّقـــابا

إذا نـــزل السّــماء بأرْضِ قــوم رعـــيناه وإن كـــانوا غِـــضابا

بكـــلّ مُـــقَلّصٍ عَـبْلٍ شَــواه إذا وُضِـــعَتْ أعـــنّتهنّ ثـــابا

* * *

(١) قوله: «فسقى الغَضَا والسّاكنيه وإنْ هُمُ». البيت من الكامل على العروض التّامّة الصّحيحة مع الضّرب المقطوع والقائل: البُحْتُرِيّ من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إسماعيل بن نوبخت:

كم بـالكثيب مـن اعـتراض كـثيبِ وقَـوامِ غُـصْنٍ فـي الثّياب رَطِـيبِ

وبـذي الأَراكـة مـن مَـصِيْفٍ لابسٍ نَسْـجَ الرِّيَـاحِ ومَـرْبَعٍ مَـهْضُوْبِ

دِمَـنٌ لزيـنبَ قـبلَ تشـريد النَّـوَى مِـنْ ذي الأراكِ بـزينبٍ ولَـعُوْبِ

تأبى المنازِلُ أن تُجِيْبَ ومِنْ جَـوىً يــومَ الدِّيـار دعـوتُ غـير مُجِيْبِ

هـــل تُـــبْلِغَنَّهُمُ السَّـلَامَ دُجُـنَّةٌ وَطْـــفَاءُ ســـاريةٌ بـريحِ جَـنُوْبِ

أو تُــدْنِيَنَّهُمُ نَـوازعُ فـي البُـرَى عُـجُلٌ كـواردة القَـطَا المَسْـرُوْبِ

فسَقَى الغَضَا والسّاكنيه وإنْ هُـمُ شـــبّوه بـين جـوانـحٍ وقُـلُوْبِ

وقِـــصار أيّـام بـه سُـرِقَتْ لنـا حَسَـــنَاتُهَا مـــن كـــاشحٍ ورقـــيبِ

خُـــضْراً يُســاقِطُها الصَّــبَا وكأنّـها وَرَقٌ يُسَـــاقِطُها اهـتزازُ قَـضِيْبِ

قال:

يَغْشَى عن المَجْدِ الغَبِيُّ ولَـنْ تـرى فـــي سُـــؤْدَدٍ أَرَبـاً لغـير أَرِيبِ

لا تَـغْلُ فــي جُـوْدِ الرِّجـال فـإنّه لَـمْ أَرْضَ جُـوْداً غـير جُـوْدِ أَدِيْبِ

والأرْضُ تُخْرِجُ في الوِهاد، وفي الرُّبا عَـمَمُ النَّـبات وجُـلُّ ذلك يُـوْبِي

وإذا أبـو الفـضل اسـتعار سجيّةً لـلـمكرُمَاتِ فـمن أبـي يـعقوبِ

⇐

أراد بأحد الضّميرين الرّاجعين إلى «الغَضَا» وهو المجرور في «السّاكنيه» المكان، وبالآخر وهو المنصوب في «شبّوه» النّار، أي: أوقدوا بين جوانحي نار الغَضَا، يعني: نار الهوى الّتي تشبه نار الغَضَا.

[اللّفّ والنَّشر]

﴿ ومنه ﴾ أي: من المعنويّ **﴿ اللّفّ والنّشر، وهو ذكر متعدّد على التّفصيل أو الإجمال ثمّ ذكر ما لكلّ ﴾** من آحاد هذا المتعدّد **﴿ من غير تعيينٍ ثِقَةً بأنّ السّامع يردّه إليه ﴾** أي: يردّ ما لكلٍّ من آحاد هذا المتعدّد إلى ما هو له.

﴿ فالأوّل ﴾ وهو أن يكون المتعدّد على سبيل التّفصيل **﴿ ضربان، لأنّ النّشر إمّا على ترتيب اللّفّ ﴾** بأن يكون الأوّل من النّشر للأوّل من اللّفّ والثّاني للثّاني وهكذا على التّرتيب **﴿ نحو: ﴿ وَمِن رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ﴾[1] ﴾** ذكر «اللّيل» و«النّهار» على التّفصيل ثمّ ذكر ما للّيل ـ وهو السّكون فيه ـ وما للنّهار ـ وهو الابتغاء من فضل الله ـ على التّرتيب.

⇐ «الكثيب»: التّلّ من الرّمل «الكثيب» الثّانية كناية عن المرأة العظيمة الكفل. «ذو الأراكة»: اسم موضعٍ. «المهضوب» المُصَاب بالمَطَر. «الدّمن»: الآثار الباقية بعد الرّحيل. «زينب» و«لَعوب» اسمان. «تأبى المنازِلُ» المنازل خالية لا تجيب ومع ذلك ناديت من حُرْقة قلبي. «الدّجنَة» الغيم المطبّق الرّيّان المظلم «الوَطْفاء» ذات الذّيول لكثرة مائها. «السّارية»: السّحابة تأتي ليلاً. «البُرَى»: مفردها «البُرَة» الحلقة. «عجل» مفردها «عَجْلاء». «النوازع» النّوق النّجائب. «القطا»: مفردها «القَطاة» نوع من الحمام «المسروب»: الآتي على شكل أسراب. «الغضا»: نوع قاسٍ من الشَّجَر. «الكاشح» العدوّ الّذي يضمر عداوته. «يعشى» يكلّ بصره «أَرَباً» قصداً وغايةً «الأديب» ابن نوبخت. «العمم»: الكثرة من العموم «يوبى» يحلّ الوباء بالمكان.

(١) القصص: ٧٣.

﴿ وإمّا على غير ترتيبه ﴾ أي: ترتيب اللّفّ وهو ضربان:

لأنّه إمّا أن يكون الأوّل من النّشر للآخر من اللّفّ والثّاني لما قبله[1] وهكذا على التّرتيب وليسمّ **معكوس التّرتيب** ﴿كقوله﴾ أي: قول ابن حَيُّوس[2]:

---

(١) وفي بعض النّسخ: «والثّاني للثّاني» ومعناه ـ بالنّظر إلى قول ابن حيّوس ـ: «أنّ الثّاني للثّاني والثّالث للأوّل» لأنّ فيه ثلاثة أُمور. ولا ينطبق على المشتمل للأمرين والأربعة وما فوقها، ولذا صحّحوا العبارة بعد ذلك فقالوا: «والثّاني لما قبله» أي: لما قبل الآخر من اللّفّ «وهكذا» أي: الثّالث ـ مثلاً ـ لما قبل الثّاني من اللّفّ وهكذا.

(٢) **قوله: «ابن حَيُّوس»**. هو الأمير مصطفى الدّولة أبو الفِتْيَان محمّد بن سلطان بن محمّد بن حَيُّوس بن محمّد بن المرتضى بن محمّد بن الهيثم بن عثمان الغَنَويّ الدّمشقيّ، ولد بدمشق يوم السّبت سلخ صفر سنة ٣٩٤هـ وتوفّي في شعبان سنة ٤٧٣هـ بحلب وهو ابن الثّمانين ولم يعقّب ولداً، وهذا الشّاعر من شعراء الشيعة البارزين المخلصين، المتديّنين، يقول في القصيدة الميمية في مدح سيّد الوزراء وتاج الأصفياء مشيراً إلى مظلمة أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ ومنقصة بني العبّاس وبني أُميّة أتباع أصحاب السّقيفة ـ لعنهم الله ـ:

ومَنْ أبوه عليٌّ لا ينازِعُهُ ... ميراثَ أحمدَ باغٍ عمّه قُثَمُ

قد انطوى زَمَنٌ عَزَّ الضَّلالُ به ... ففاتَ آلَ رسولِ الله حَقُّهُمُ

ولو تولّيتَ أُوْلَى الدَّهْرِ أمرَهُمُ ... لم يهتضِمْ ولدَ الزَّهْراءِ مُهْتَضِمُ

ولم تَصِلْ غِيَرُ الأيّام عاديةً ... فَالبُطْلُ مُدَّعمٌ والحقّ مُدَّغَمُ

حوادِثٌ وَرَّثَتْ مروانَ ظالمةً ... خلافةً لم يُخَلِّفْهَا له الحَكَمُ

وعاودَتْ ببني العبّاس قاهرةً ... بني أُمَيَّةَ حتّى زالَ مُلْكُهُمُ

قال:

تعلو بها وُزَراءً أنت سيّدهم ... كما سَمَا أصفياءٌ أنت تاجُهُم

* * *

﴿كَيْفَ أَسْلُو وَأَنْتِ حِقْفٌ[1] وَغُـصْنٌ وغَـزَالٌ لَـحْظاً وَقَـدّاً وَرِدْفـاً﴾

---

(١) **قوله: «كيف أَسْلُو، وأَنْتِ حِقْفٌ»**. البيت يتيم من الخفيف على العروض الأُولى مع الضّرب المشابه والقائل: أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري المتوفّى سنة ٣٩٥هـ وليس البيت لابن حَيُّوس كما نسبه إليه الشّارح ـ تبعاً لغيره ـ.

وعلى منهاج هذا القول قول ابن الرّومي ـ رحمه الله ـ:

آراؤكم، ووجوهكم، وسيوفكم ... في الحادثات إذا دَجَوْنَ نُجُومُ
فيها معالم للهُدَى ومصابحٌ ... تجلو الدُّجَى والأُخْرَيات رُجُومُ

ومن اللفّ والنّشر بين ثلاثة قول ابن حيّوس:

ومُقَرْطَقٍ يَغْنَى النّديمُ بوجهه ... عن كأسه الملأى وعن إبريقه
فعلُ المدام ولونها ومذاقها ... من مُقْلَتيه، ووجنتيه وريقه

وبين أربعة وأربعة قول الشّاعر:

ثَغْرٌ، وخدٌّ، ونَهْدٌ، واحمرارُ يدٍ ... كالطَّلْع. والوَرْد. والرّمّان والبَلَحِ

ولأبي جعفر الغِرناطيّ بين خمسة وخمسة:

ملك يجيء بخمسة من خمسةٍ ... لَقِيَ الحسودَ بها فماتَ لما بِهِ
من وَجْهه، ووقارِهِ وجَوَادِه ... وحُسامه بيديه يوم ضِرابِهِ
قمرٌ على رَضْوَى تسير به الصَّبَا ... والبرقُ يلمع من خلال سحابه

ولابن جابر الأندلسيّ بين ستّة وستّة:

إن شئت ظَبْياً أو هلالاً أو دُجَى ... أو زهرَ غُصْنٍ في الكثيب الأملد
فللحظها، ولوجهه، ولشعرها ... ولخدّها، والقدّ، والرّدف اقصد

لصفيّ الدّين الحلّي بين ثمانية وثمانية:

وظبيٍ بقَفْرٍ فوقَ طِرْفٍ مُفَوَّقٌ ... بقوسٍ رَمَى في النَّقْع وَحْشاً بأسهم
كبدرٍ بأُفْقٍ فوقَ برقٍ بكفّه ... هلالٌ رمى في اللّيل جنّاً بأنجم

ولبعضهم بين عشرة وعشرة:

شَعْر، جبينٌ، محيًا، معطفٌ، كَفَلٌ ... صُدْغٌ، فَمٌ، وجنات، ناظِر، ثَغْرُ

⇐

فـ«اللّحظ» للغَزَال و«القدّ» للغُصْن و«الرّدف» للحِقْف ـ وهو النّقا من الرَّمْل ـ شبّه به الكفل في العِظَم والاستدارة.

أو لا يكون كذلك وليسمّ **مختلط التّرتيب** كقولك: «هو شمس وأَسَد وبحر جُوْداً وبِهَاءً وشَجَاعةً».

﴿ والثّاني ﴾ وهو أن يكون ذكر المتعدّد على سبيل الإجمال **﴿ نحو: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارىٰ ﴾[١] ﴾** فإنّ الضّمير في «قالوا» لليهود والنّصارى، فذكر الفريقان على طريق الإجمال دون التّفصيل، ثمّ ذكر ما لكلّ منهما فالمتعدّد المذكور إجمالاً هو الفريقان.

ولك أن تجعله قول الفريقين فإنّه قد لفّ بين القولين في «قالوا» ـ أي: قالت اليهود وقالت النّصارى ـ وهذا معنى قوله ـ في «الإيضاح»[٢] ـ: «فَلَفَّ بين القولين» فإنّ ما لفّ بينهما في هذا الباب هو المتعدّد المذكور أوّلاً على ما صرّح به صاحب «المفتاح» حيث قال: «هو أن تلفّ بين الشّيئين في الذّكر ثمّ تتبعهما كلاماً مشتملاً على متعلّق بأحدهما[٣] ومتعلّق بآخر من غير تعيين»[٤].

⇐ ليل، صباحٌ، هلالٌ، بانةٌ ونَقاً   آسٌ، أَقَاحٍ، شقيقٌ، نرجسٌ، دُرُّ

ولابن جابر بين اثني عشر واثني عشر:

فروعٌ، سَناً، قَدٌّ، كلامٌ، فمٌ، لَمىً   حُليٌ عُنُقٌ، ثَغْرٌ، شَذاً، مقلةٌ، خَدُّ

دُجىً، قمرٌ، غُصْنٌ، جَنىً، خاتم، طَلاً   نجومٌ، رَشاً، دُرٌّ، صَباً، نرجس، وردُ

* * *

(١) البقرة: ١١١.

(٢) الإيضاح: ٥٢٠.

(٣) وفي «المفتاح»: «على متعلّق بواحدٍ».

(٤) مفتاح العلوم: ٥٣٤.

﴿أي: وقالت اليهود لن يدخل الجنّة إلّا مَن كان هوداً، وقالت النّصارى لن يدخل الجنّة إلّا من كان نصارى، فلفّ﴾ بين الفريقين أو القولين إجمالاً **﴿لعدم الالتباس و﴾** الثّقة بأنّ السّامع يردّ إلى كلّ فريق أو كلّ قول مقوله **﴿للعلم بتضليل كلّ فريقٍ صاحبه﴾** واعتقاد أنّه إنّما يدخُلُ الجنّة هو لا صاحبه **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارىٰ عَلىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصارىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلىٰ شَيْءٍ﴾**[1] وهذا الضّرب[2] لا يتصوّر فيه التّرتيب وعدمه.

[نوع آخر من اللّفّ لطيف المسلك تنبّه له الزّمخشريّ]

وهاهنا نوع آخر من اللّفّ لطيف المسلك وهو أن يذكر متعدّد على التّفصيل، ثمّ يذكر ما لكلٍّ، ويؤتى بعده بذكر ذلك المتعدّد على الإجمال ـ ملفوظاً أو مقدّراً ـ فيقع النّشر بين لفّين: أحدهما مفصّل، والآخر مجمل، وهذا معنى لطف مسلكه، وذلك كما تقول: «ضربتُ زيداً، وأعطيتُ عَمْراً، وخرجتُ عن بلد كذا، وللتّأديب والإكرام ومخافة الشّرّ فعلت كذا».

وعليه قوله ـ تعالى ـ: **﴿فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**[3].

---

(١) البقرة: ١١٣.

(٢) أي: الضّرب الثّاني ـ وهو أن يكون ذكر المتعدّد على سبيل الإجمال ـ لا يتصوّر فيه التّرتيب وعدمه كما في قول دعبل ـ رحمه الله ـ:

قبران في طوس خير النّاس كلّهم   وقبر شرّهم هذا من العبر

(٣) البقرة: ١٨٥.

[كلام صاحب الكشّاف]

قال صاحب «الكشّاف»[1]: الفعل المُعَلَّلُ محذوف، مدلول عليه بما سبق، تقديره: «ولتكملوا العدّة ولتكبّروا الله على ما هداكم ولعلّكم تشكرون شرّع ذلك» يعني: جملة ما ذكر من أمر الشّاهد بصوم الشّهر، وأمر المرخّص له بمراعاة عدّة ما أفطر فيه، ومن التّرخيص في إباحة الفِطْر.

فقوله: «لتكملوا» علّة الأمر بمراعاة العدّة و«لتكبّروا» علّة ما علم من كيفيّة القضاء والخروج عن عهدة الفِطْر و«لعلّكم تشكرون» ـ أي: إرادة أن تشكروا ـ علّة التّرخيص والتّيسير، وهذا نوع آخر من اللّفّ لطيف المسلك لا يكاد يهتدي إلى تبيّنه إلّا النِّقَابُ[2] المُحَدَّث من علماء البيان.

[نقد كلامه]

هذا كلامه، وعليه إشكال، وهو: أنّه جعل الأوّل من تفاصيل المعلّلات «أمر الشّاهد بصوم الشّهر» ولم يجعل شيئاً من العِلَلِ راجعاً إليه، وجعل «ولتكبّروا» علّة ما علم من «كيفيّة القضاء» وهو ممّا لم يذكر في تفصيل المعلّلات، فما ذكره في بيان تطبيق العِلَلِ غير موافق لما ذكره من تقدير الكلام.

---

(١) أي: في تفسير هذه الآية من «الكشّاف» وما أورده عين حروفه فلا حاجة إلى نقل عبارته.

(٢) قال ابن منظور: النِّقاب: العالم بالأمور، و«النِّقاب» و«المِنْقَب» ـ بالكسر والتّخفيف ـ الرّجل العالم بالأشياء، الكثيرُ البحث عنها، والتّنقيب عليها، وقال أبو عبيد: النقاب هو الرّجل العلّامة. وقال غيره: هو الرّجل العالم بالأشياء، المُبَحِّثُ عنها، الفَطِنُ الشّديد الدّخول فيها، قال أوس بن حجر يمدح رجلاً:

نجيح، جواد، أخو ماجدٍ ... نِقابٌ يحدِّث بالغائبِ

و«المحدَّث» بصيغة المفعول، أي: من يحدّثه الملائكة.

[الجواب عنه]

ويمكن التّفصّي عنه بأن يقال: إنّ ذكر «أمر الشّاهد بصوم الشّهر» في تفصيل المعلّلات ليس لأنّه باستقلاله معلّل بشيء من العلل المذكورة، بل هو توطئة وتمهيد لتفرّع التّرخيص، ومراعاة العدّة، وكيفيّة القضاء عليه، ويشهد بذلك أنّه لم يقل: «ومن أمر المرخّص» ـ بإعادة حرف الجرّ ـ كما قال: «ومن التّرخيص».

فالحاصل أنّ المذكور فيما سبق من الكلام ـ بعد «أمر الشّاهد بصوم الشّهر» ـ هو التّرخيص، وأمر المرخّص له بمراعاة عدّة ما أفطر ليصومها في أيّام أُخر، وفي هذا دلالة واضحة على تعليم كيفيّة القضاء، فصار المذكور بعد الأمر بصوم الشّهر ثلاثة.

أحدها: أمر المرخّص له بمراعاة العدّة.

والثّاني: تعليم كيفيّة القضاء.

والثّالث: التّرخيص، وجميع ذلك متفرّع على الأمر بصوم الشّهر، فجعل كلّاً من العِلَلِ راجعاً إلى واحدة من هذه الثّلاثة.

[جواب آخر]

وقد يقال: إنّ قوله: «ولتكملوا علّة الأمر بمراعاة العدّة» شامل لأمر الشّاهد بصوم الشّهر، بناءً على أنّ العدّة هي الشّهر كلّه في الشّاهد وعدّة أيّام الإفطار في المرخّص له.

[نقده]

وفيه نظر؛ إذ لا معنى لتعليل أمر الشّاهد بصوم الشّهر بإكمال عدّة أيّام الشّهر.

على أنّه لا ارتياب في أنّ الأمر بمراعاة العدّة في قوله «ولتكملوا علّة الأمر بمراعاة العدّة» إشارة إلى المذكور قبله، وهو أمر المرخّص له بمراعاة عدّة ما أفطر فيه.

[الجمع]

﴿ ومنه ﴾ أي: من المعنويّ **﴿ الجمع، وهو أن يجمع بين متعدّد في حكم ﴾** وذلك المتعدّد قد يكون اثنين **﴿كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[1] ﴾** وقد يكون أكثر **﴿ نحو ﴾** قول أبي العتاهية[2]:

---

(١) الكهف: ٤٦.

(٢) **قوله: «أبي العتاهية»**. هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، كنيته أبو إسحاق، وأبو العتاهية كنية يخاطبه بها بنو العبّاس وأخصّ بالذكر منهم المهديّ العبّاسيّ ـ لعنه الله ـ وكان زاهداً جدّاً وأكثر شعره في الزّهد والأمثال، وكان غزير البحر، كثير المعاني لطيفها، سهل الألفاظ، كثير الافتنان، قليل التكلّف، وكان يمتنع عن خدمة بني العبّاس شعراً حتّى أرغموه على ذلك وضربوه لذلك ضرباً مبرحاً.

وقال: حبسني الرّشيد العبّاسي ـ لعنه الله ـ لمّا تركت قول الشّعر، فأُدْخِلْتُ السّجن وأُغلق الباب علَيّ، فدَهِشْتُ كما يَدْهَشُ مثلي لذلك الحال فإذا أنا برجل جالس في جانب الحبس مقيّدٍ، فجعلت أنظر إليه ساعةً ثمّ تمثّل وقال:

تعوّدتُ مسّ الضُّرّ حتّى أَلِفْتُهُ ... وأسلمني حُسْنُ العَزاء إلى الصَّبْرِ

وصيّرني يأسي من النّاس راجياً ... لحسن صنيع الله من حيث لا أدري

فقلت له: أعد ـ أعزّك الله ـ هذين البيتين، فقال لي: ويلك يا أبا العتاهية ما أسوأ أدبك وأقلّ عقلك، دخلتَ علَيّ الحبس فما سلّمت تسليم المسلم على المسلم، ولا سألت مسألة الحرّ للحرّ، ولا توجّعت توجّع المبتلى للمبتلى، حتّى إذا سمعت بيتين من الشّعر الّذي لا فضل فيك غيره لم تصبر عن استعادتهما، ولم تقدم قبل مسألتهما عذراً لنفسك في طلبهما، فقلت: يا أخي إنّي دَهِشْتُ لهذا الحال فلا تَعْذُلْني واعذِرْني متفضّلاً بذلك، فقال: والله أنا أولى بالدَّهَش والحيرة منك؛ لأنّك حبست في أن تقول الشّعر، فإذا قلت أَمِنْتَ، وأنا مأخوذ بأن أدُلّ على ابن رسول الله ليقتل أو أُقتل دونه، ووالله لا أدلّ عليه أبداً والسّاعة يُدعى بي فأُقتل فأيّنا أحقّ بالدَّهَش؟ فقلت: أنت ـ والله ـ أولى، سلّمك الله

⇐

عَـــلِمْتَ يَـا مُـجَاشِعَ بْـنَ مَسْـعَدَهْ ﴿أَنَّ الشَّبَابَ وَالفَرَاغَ وَالْجِدَهْ[1]﴾

⇐ وكفاك، ولو علمت أنّ هذه حالك ما سألتك، فقال: لا نَبْخَلُ عليك إذن، ثمّ أعاد البيتين حتّى حَفِظْتُهُما، فسألته مَنْ هو؟ قال: أنا داعية عيسى بن زيد وابـنه أحـمد. ولم نلبث أن سمعت صوت الأقفال، فقام فسكب عليه ماءً كان عنده في جَرَّةٍ ولَبِسَ ثوباً نظيفاً ودخل الحَرَسُ والجُند معهم الشّمع، فأُخْرِجنا جميعاً وقُدِّم قبلي إلى الرّشيد ـ لعنه الله ـ فسأله عن أحمد بن عيسى فقال: لا تسألني عنه واصنَعْ ما أنت صانع، فلو أنّه تحت ثوبي هذا ما كشفت عنه، فأمر بضرب عنقه فضُرِبت. وأعطيتهم ما سألوا فنجوت، كان مولده سنة ١٣٠هـ ووفاته يوم الاثنين لثمانٍ خلون من جُمَادَى الأُولى، وقيل لثلاث من جُمادَى الآخرة سنة ٢١١هـ ببغداد. وقيل: سنة ٢١٣هـ.

(١) **قوله: «إنّ الشّباب والفراغ والجدة»**. هذه الأشطر من أُرجوزة لأبي العتاهية. قال صاحب الأغاني: إنّ هذه الأُرجوزة من بدائع أبي العتاهية ويقال إنّ فيها أربعة آلاف مثل. وإنّما ذكرنا منها ما أمكن الحصول عليه:

حَسبُكَ، مِمّا تَبْتَغيهِ، القُوتُ، ... مـا أكـثرَ القُوتَ لمَنْ يَمُوتُ
الفَقْرُ فيما جاوَزَ الكَفافا؛ ... مَنِ اتّقى الله رَجا وخافا
إنْ كانَ لا يُغنيكَ ما يَكْفيكا، ... فكُلّ ما في الأَرْضِ لا يُغنيكا
إنّ القَليلَ، بالقَليلِ، يكْثُرُ؛ ... إنّ الصّفاءَ، بالقَذى، ليَكْدُرُ
هيَ المَقاديرُ، فلُمني، أوْ فذَرْ، ... إنْ كنتُ أخطأتُ فما أَخطا القَدَرْ
ما انْتَفَعَ المَرْءُ بمِثْلِ عَقْلِهِ، ... وخَيرُ ذُخرِ المَرْءِ حُسنُ فِعلِهِ
إنّ الفَسادَ ضِدّهُ الصّلاحُ؛ ... ورُبّ جِدٍّ جَرّهُ المُزاحُ
يُغنيكَ عن كلّ قَبيحٍ تَرْكُهُ، ... يَرْتَهِنُ الرّأيَ الأصيلَ شَكّهُ
لكُلّ قَلْبٍ أَمَلٌ يُقَلّبُهْ، ... يَصْدُقُهُ طَوْراً، وطَوْراً يكذِبُهْ
يا رُبَّ مَنْ أَسْخَطَنا بجُهْدِهِ، ... قَدْ سَرّنا اللهُ بغَيْرِ حَمْدِهِ
مَنْ لم يَصِلْ، فارْضَ إذا جفاكا ... لا تَقْطَعَنَّ، للهَوى، أخاكا
لَنْ يَصلُحَ النّاسُ، وأنتَ فاسِدُ، ... هَيهاتَ ما أَبْعَدَ ما تُكابِدُ

⇐

⇐ لِكُلِّ ما يُؤذي، وإنْ قَلَّ، أَلَمْ، ... ما أطوَلَ اللّيلَ على مَنْ لَمْ يَنَمْ

لا تَطلُعُ الشّمسُ، ولا تَغيبُ، ... إلّا لأمْرٍ شأنُهُ عَجيبُ

لكُلِّ شيءٍ مَعْدِنٌ وجَوْهَرْ، ... وأَوْسَطٌ، وأَصغَرٌ، وأَكبرُ

وكلِّ شيءٍ لاحِقٌ بجَوْهَرِهْ، ... أصغَرُهُ مُتّصِلٌ بأَكْبَرِهْ

مَن لكَ بالمحضِ، وكلٌّ مُمتَزِجْ، ... وَساوِسٌ في الصّدرِ منه تختَلِجْ

ما زالتِ الدُّنْيا لَنا دارَ أذى، ... مَمزُوجَةَ الصّفْوِ بأَلوانِ القَذى

الخَيْرُ والشّرّ بها أَزْواجُ، ... لِذا نِتاجٌ، ولِذا نِتاجُ

مَنْ لَكَ بالمَحضِ، وليس مَحْضُ، ... يَخبُثُ بَعضٌ، ويَطيبُ بَعضُ

لكُلِّ إنْسانٍ طَبيعَتانِ: ... خَيرٌ وشَرٌّ، وهُما ضِدّانِ

إنّكَ لَوْ تَستَنْشِقُ الشّحيحا، ... وَجَدْتَهُ أنْتَنَ شيءٍ ريحا

والخَيرُ والشّرُّ، إذا ما عُدّا، ... بَيْنَهُما بَوْنٌ بَعيدٌ جِدّا

عَجبتُ حتّى غمّني السّكوتُ، ... صِرْتُ كأنّي حائِرٌ مَبْهوتُ

كذا قَضى اللهُ، فكَيفَ أصنَعُ، ... الصّمتُ، إن ضاقَ الكَلامُ، أوْسعُ

التَّرْكُ للدُّنْيا النّجاةُ منها، ... لَمْ تَرَ أَنْهى لَكَ مِنها عَنْها

مَنْ لاحَ، في عارِضِهِ، القَتيرُ، ... فَقَدْ أتاهُ بالبِلى النّذيرُ

مَنْ جَعَلَ النَّمّامَ عَيناً هَلَكا، ... مُبلِغُكَ الشّرَّ كَباغِيهِ لَكا

المَكْرُ والعَتْبُ أداةُ الغادِرِ، ... والكَذِبُ المَحضُ سِلاحُ الفاجرِ

سامحْ، إذا سمتَ، وَلا تخشَ الغَبَنْ، ... لم يَغلُ شيءٌ هوَ مَوْجودُ الثَّمَنْ

مَنْ عاشَ لم يَخلُ مِنَ المُصيبَهْ، ... وقَلّما يَنْفَكُّ عَنْ عَجيبَه

يا طالِبَ الدُّنْيا بدُنْيا الهِمَّهْ! ... أيْنَ طَلَبْتَ اللهَ كانَ ثَمّهْ؟!

يُوسِّعُ الضّيقَ الرّضا بالضّيقِ، ... وإنّما الرّشدُ مِنَ التّوْفيقِ

أسْتَوْدِعُ اللهَ أُموري كُلّها، ... إنْ لم يكُنْ رَبِّي لَها، فَمَنْ، لَها؟

ما أبْعَدَ الشيء إذا الشيءُ فُقِدْ؛ ... ما أقرَبَ الشيءَ إذا الشيءُ وُجِدْ

⇐

أي: الاستغناء، يقال: «وَجَدَ في المال وِجْداً» و«وُجْداً» و«وَجْداً»[١] و«جِدَةً»

⇐ يَعيشُ حَيٌّ بتُراثِ مَيْتِ، يُعْمَرُ بَيْتٌ بخَرابِ بَيْتِ
صُلْحُ قَرينِ السّوءِ للقَرين، كَمِثْلِ صُلْحِ اللَّحْمِ والسِّكِّينِ
لم يَصْفُ للمَرْءِ صَديقٌ يَمذُقُهْ؛ ليسَ صَديقُ المَرْءِ مَن لا يَصْدُقُهْ
مَعرُوفُ مَنْ مَنّ بِهِ خِداجُ، ما طابَ عَذْبٌ شابَهُ أُجاجُ
ما عَيشُ مَنْ آفَتُهُ بَقاؤُهُ، نَغَّصَ عَيشاً طَيِّباً فَناؤُهُ
إنّا لنَفْنَى نَفَساً، وطَرَفَا، لَنْ يَترُكَ المَوْتُ لإلْفٍ إلْفا
وللكَلامِ باطِنٌ وظاهِرُ، في ساعَةِ العَدْلِ يَمُوتُ الجائِرُ
إنّ الشّبابَ، والفراغَ، والجِدَه، مَفسَدَةٌ للعَقْلِ أيّ مَفْسَدَهْ
إنّ الشّبابَ حُجّةُ التّصابي، رَوائِحُ الجَنّةِ في الشّبابِ
اصْحَبْ ذوي الفضلِ وأهلَ الدِّينِ فالمَرْءُ مَنْسُوبٌ إلى القَرِينِ
إيّاكَ والغِيْبَةَ والنّميمهْ، فإنّها مَنْزِلَةٌ ذَميمَهْ
لا تَذْهَبَنّ في الأُمورِ فَرَطا؛ لا تَسْأَلَنّ إنْ سأَلْتَ شَطَطا
وكُنْ مِنَ النَّاسِ جَميعاً وَسَطا

ذكر سليمان بن أبي شيخ قال: قلت لأبي العتاهية: أيّ شعر قلته أجود وأعجب إليك؟

قال: قولي:

إنّ الشّبابَ، والفراغَ، والجِدَه، مَفسَدَةٌ للعَقْلِ أيّ مَفْسَدَهْ

وقولي أيضاً:

إنّ الشّبابَ حُجّةُ التّصابي، رَوائِحُ الجَنّةِ في الشّبابِ

قال عمرو بن بحرالجاحظ: وفي قول أبي العتاهية: «روائح الجنّة في الشباب»: معنىً لمعنى الطَّرَب الّذي لا يقدِر على معرفته إلّا القلوب وتَعْجِزُ عن ترجمته الألسنة إلّا بعد التّطويل، وإدامة الفكر الجليل، والتفكّر الجزيل، وخير المعاني ما كان إلى القلب أسرع من اللسان.

(١) هكذا في «لسان العرب» والصّحيح ما في «المصباح»: «وجدتُهُ، أجِدُهُ، وِجْداناً» ـ بالكسر ـ و«وُجُوداً» و«وَجَدْتُ الضَّالَّة، أَجِدُهَا، وِجْداناً» ـ أيضاً ـ وَ«وَجَدْتُ» ـ في المال ـ «وُجْداً» ⇐

أي: استغنى. ﴿مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَهْ﴾ هي ما يدعو صاحبه إلى الفساد.

[التّفريق]

﴿**ومنه**﴾ أي: من المعنوي ﴿**التّفريق، وهو إيقاع تباين بين أمرين من نوع في المدح أو غيره كقوله**﴾ أي: قول الوَطْوَاط(١):

﴿مَا نَوَالُ الْغَمَامِ وَقْتَ رَبِيعٍ(٢) كَنَوَالِ الأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءِ

⇐ بالضّمّ، والكسر لغة، و«جِدَةً» ـ أيضاً ـ و«وَجَدْتُ عليه، مَوْجِدَةً»: غَضِبْتُ.

ومنه قول البخاريّ في صحيحه: «ماتت فاطمة واجِدةً عليهما» ـ أي: غاضبة على أبي بكر وعمر ـ و«وَجِدْتُ به» ـ في الحُزْنِ ـ «وَجْداً» بالفَتح.

(١) **قوله: «الوَطْواط»**. هو رشيد الدّين محمّد بن محمّد بن عبد الجليل بن عبد الملك البلخيّ المعروف بالرّشيد الوَطْواط، أنهى السّيوطيّ في «بُغْيَة الوعاة» نسبه إلى عمر بن الخطّاب العدويّ ثاني المتغلّبين على الخلافة، وقال ياقوت الحمويّ في «معجم الأُدباء»: كان من نوادر الزّمان وعجائبه، وأفراد الدّهر وغرائبه، أفضل أهل زمانه في النّظم والنّثر، وأعلم النّاس بدقائق كلام العرب، وأسرار النّحو والأدب، طار في الآفاق صِيْتُهُ، وسار في الأقاليم ذكره، وكان ينشئ في حالةٍ واحدةٍ بيتاً بالعربيّة من بحر، وبيتاً بالفارسيّة من آخر ويمليهما معاً، وله من التّصانيف «حدائق السّحر في دقائق الشّعر» قال: مولده ببلخ ومات بخوارزم سنة ٥٧٣هـ ومن أبياته في مدح الزمخشريّ:

لقد حاز جار الله دام جماله فضائل فيها لا يُشَقُّ غُبارُهُ

تجدّد رسم الفضل بعد اندراسه بأيّام جار الله، فاللّهُ جارُهُ

وفيه يقول أيضاً:

أتى العيدُ جارَ الله وهو مجدّدٌ بخدمته عهدَ المهيمن تجديدا

فلستُ بعيدٍ لا يدوم مُهَنّئاً لصدر محيّاه يدومُ لنا عيدا

* * *

(٢) **قوله: «ما نَوَال الغَمَام وقت ربيع»**. البيت من الخفيف على العروض المخبونة مع الضّرب ⇐

﴿ فَـنَوالُ الأمِـيرِ بَـدْرَةُ عَـيْنٍ ﴾

هي عشرة آلاف درهم.

﴿ وَنَوَالُ الْغَمَامِ قَـطْرَة مـاءِ ﴾

[التّقسيم]

﴿ ومنه ﴾ أي: من المعنويّ ﴿ **التّقسيم، وهو ذكر متعدّد، ثمّ إضافة ما لكلٍّ إليه على التّعيين** ﴾.

وبهذا القيد[1] يخرج عنه اللّفّ والنّشر، وقد أهمله[2] السّكّاكيّ فيكون التّقسيم عنده أعمّ من اللّفّ والنّشر.

ولقائلٍ أن يقول[3]: إنّ ذكر الإضافة مُغْنٍ عن هذا القيد؛ إذ ليس في اللّف

⇐ المماثل. و«البَدْرَة» اختلف في معناها فقيل: كيس فيه ألف دينار، وقيل: عشرة آلاف، وقيل: سبعة آلاف درهم، وقيل: سبعة آلاف دينار.

(١) **قوله: «وبهذا القيد»**. أي: قيد «على التّعيين» يخرج عن التّقسيم اللفّ والنّشر، لأنّ اللفّ والنشر ذكر متعدّد، ثمّ ذكر ما لكلّ واحدٍ من غير تعيين من طرف المتكلّم ثقةً بأنّ السّامع يَرُدّه إليه، فيكون النّسبة بينهما التّباين.

(٢) **قوله: «وقد أهمله»**. أي: أهمل هذا القيد السّكّاكيّ، فيكون التّقسيم عنده أعمّ من اللفّ والنّشر، لأنّ التّقسيم عنده ذكر متعدّدٍ، ثمّ إضافة ما لكلٍّ إليه، سواء أعيّنه المتكلّم أم لم يعيّنه، واللفّ والنّشر مشروط بعدم التّعيين فيكون نوعاً من التّقسيم، فكلّ لفٍّ ونشر تقسيمٌ ولا عكس. راجع «المفتاح»: ٥٣٥.

(٣) **قوله: «ولقائل أن يقول»**. أي: يقول: السّكّاكيّ موافق لما ذكره المصنّف لأنّ ذكر الإضافة في تعريف التّقسيم بقوله: «ثمّ إضافة ما لكلّ إليه» يغني عن قيد «على التّعيين» لأنّ «الإضافة» أن يقصِد المتكلّم نسبة ما لكلٍّ إليه، وهي عبارة أُخرى عن قصد التّعيين، ففي التّقسيم يضيف المتكلّم ما لكلٍّ إليه وهي تستلزم التّعيين أي: يكون التّقسيم إضافة وتعييناً ⇐

والنّشر إضافة ما لكلٍّ إليه، بل يذكر فيه ما لكلٍّ حتّى يضيفه السّامع إليه ويردّه عليه، فليتأمّل فإنّه دقيق ﴿كقوله﴾ أي: قول المتلمّس[1]: ﴿وَلاَ يُقِيمُ عَلىٰ ضَيْمٍ﴾ أي:

⇐ من المتكلّم بخلاف اللفّ والنّشر، فإنّ المتكلّم إنّما يذكر ما لكلّ واحدٍ من غير إضافة وتعيين، فلا يشمل التّعريف اللفّ والنّشر.

(١) **قوله: المتلمّس**». وهو جرير بن عبدالمسيح الضُّبَعيّ وهو أحد الثّلاثة المقلّين الّذين اتّفق الخبراء بالشّعر على أنّه أشعرهم وهم المتلمّس والمُسَيَّبُ بن علس وحصين بن الحُمَام، وسبب تلقيبه بالمتلمّس قوله:

وذاك أوانُ العِرْض طَنَّ ذُبابُهُ ... زنابيرُهُ والأزرق المتلمّس

وكان هو وطرفة بن العبد ـ ابن أُخته ـ يتنادمان مع عمرو بن هند ملك الحِيْرَة، وكان الملك سيّئ الخلق وحَرَقَ من تميم مائة رجل فهَجَوْه وكان ممّا هجاه به المتلمّس قوله:

إنَّ الخِيانة والمَغَالة والخَنَا ... والغَدْرَ نتركه ببلدَةِ مُفْسِدِ

مَلِكٌ يلاعب أُمّه وقطينها ... رِخْوُ المفاصل بطنه كالمزْوَدِ

فإذا حَلَلْتُ فدُوْنَ بيتي غارةٌ ... فابرُقْ بأرْضِكَ ما بدا لك وَارْعَدِ

وهجاه طرفة أيضاً بقوله:

وليت لنا مكان الملكِ عمروٍ ... رَغوثاً حول قُبَّتنا تخُورُ

لعَمْرُك إنّ قابوس بن هندٍ ... لَيَخْلَطُ مُلْكَهُ نوك كثيرُ

فاستحيا أن يقتلهما بحضرته وبينه وبينهما إدلال المنادمة فكتب لهما صحيفتين وختمهما لئلّا يعلما ما فيهما، ويقال: هو أوّل من ختم الكتاب، وقال لهما: إذهَبا إلى عاملي بالبحرين فقد أمرته أن يصلكما بالجوائز، فذهبا فمرّا في طريقهما بشيخ يُحْدِثُ ويأكل من خبز بيده ويتناول القَمْل من ثيابه، فقال المتلمّس: ما رأيتُ شيخاً أحمق من هذا. فقال الشّيخ: ما رأيت من حُمْقي، أخرج الدَّاءَ وأدخل الدَّواء، وأقتل الأعداء. وروي: أطرح خبيثاً، وأدخل طيّباً، وأقتل عدوّاً. ثمّ قال: أحمق منّي من يحمل حتفه بيده، فاستراب المتلمّس بقوله، فطلع عليهما غلام من أهل الحيرة من كُتَّاب العرب، فقال له المتلمّس: أتقرأ يا غلام؟ قال: نعم، ففكّ الصّحيفة فإذا فيها: «إذا أتاك المتلمّس فاقطع

⇐

ظلم ﴿ يُرَادُ بِهِ ﴾[1] الضّمير راجع إلى «المستثنى منه» المقدّر العامّ، أي: لا يقيم

⇐ يديه ورجليه وادفنه حيّاً» فقال لطرفة: اِدْفَعْ إليه صحيفتك فإنّ فيها مثل هذا، فقال طرفة: كلّا لم يكن ليجترئ عليّ، وكان غرّاً صغير السّنّ، فقذف المتلمّس بصحيفته في نهر الحيرة وقال:

قذفتُ بها بالثّني من جنب كافر كذلك أُقْنِيْ كلَّ قِطٍّ مُضَلَّلِ
رَضِيتُ بها لمّا رأيتُ مدادها يجولُ به التيّار في كلّ جَدْوَلِ

«الثّني»: منعطف النّهر، و«كافر» اسم لنهر الحيرة و«أقنى» بضمّ همزة المضارعة بمعنى: أحفظ، و«القِطّ» بكسر القاف الكتاب وكأنّه يقول: لا أحفظ الكتاب الّذي يضلّلني إلّا بقذفه في النّهر. وأخذ نحو الشّام وقال:

ألقى الصّحيفة كي يخفّف رَحْله والزّاد حتّى نعله ألقاها

يريد: أنّه تخفّف للفِرار، وألقى ما يثقل وما لابدّ للسّفر منه.

وأمّا طرفة فمضى بالكتاب فأخذه الرّبيع بن حوثرة عامل عمرو بن هندٍ على البحرين فسقاه الخمر حتّى أثمله، ثمّ فصد أكحله فقبره بالبحرين.

(١) **قوله: «ولا يقيم على ضيم يراد به»**. البيتان من البسيط على العروض المخبونة مع الضّرب المماثل وهما من أبيات يقول فيها المتلمّس:

إنّ الهَوانَ حِمارُ الأهل يعرِفه والحرَ يُنْكِره والرَّسْلَةُ الأُجُدُ
كونوا كسامةَ إذ ضنك منازلُهُ إذ قيل جَيْشٌ وجَيْشٌ حافِظٌ عتدُ
شدّ المطيّة بالأنساع فانحرفَتْ عَرْضَ التَّنُوْفَةِ حتّى مسّها النَّجَدُ
كونوا كبكرٍ كما قد كان أوّلكم ولا تكونوا كعبد القيس إذ قعدوا
يُعْطُوْنَ ما سئلوا والبحر محتدهم كما أكبَّ على ذي بَطْنِهِ الفهدُ
ولا يقيم على ضيم يراد به إلّا الأذلّان عير الحيّ والوتد
هذا على الخسف مربوط برمّته وذا يشجّ فلا يرثي له أحد
وفي البلاد إذا ما خِفْتَ ثائرة مشهودة عن وُلاة السّوء تنتقد

والباقي واضح. وهذه رواية، ورواية الدّيوان:

⇐

أحد على ظلم يراد ذلك الظّلم بذلك الأحد ﴿إِلَّا الأَذَلَّانِ﴾ هذا استثناء مفرّغ وقد أسند إليه الفعل ـ أعني: «لا يقيم» ـ في الظّاهر، وإن كان في الحقيقة مسنداً إلى العامّ المحذوف ﴿عَيرُ الحَيِّ﴾ العَيْر: الحِمار الوحشيّ والأهليّ وهو المناسب هاهنا

⇐ إنّ الهَوانَ حِمارُ القوم يعرِفُهُ — والحُرُّ يُنْكِرُهُ والرَّسْلَةُ الأُجُدُ
كُوْنُوا كَبَكْرٍ كما قد كان أوّلَكم — ولا تكونوا كعبد القيس إذ قعدوا
يُعطُون ما سُئِلُوا والخَطُّ منزِلُهُم — كما أكبَّ على ذي بطنِهِ الفَهَدُ
ولن يُقِيْمَ على خَسْفٍ يُسَامُ به — إلّا الأذلّان عَيْرُ الحَيِّ والوَتِدُ
هذا على الخَسْفِ مربوط برُمَّتِهِ — وذا يُشَجُّ فما يَرْثِي له أَحَدُ
فإن أقمتم على ضَيْم يُرَادُ بكم — فإنّ رَحْلي لكم والٍ ومُعْتَمَدُ
كونوا كسامةَ إذْ شَعف منازِلَهُ — إذْ قيل جَيْشٌ وجَيْشٌ حافِظٌ رَصَدُ
شَدَّ المطيّة بالأنساع فانحرفَتْ — عُرْضَ التّنوفَةِ حتّى مَسَّها النَّجَدُ
وفي البِلاد إذا ما خِفْتَ نائرةً — مشهورةً عن وُلاة السُّوْءِ مُبْتَعَدُ

قال الجعفري صاحب هذا التّعليق: ومن أمثلة هذا القسم قول ابن أبي الحديد المعتزليّ في تقريظ كتاب «الحجّة على الذّاهب، إلى تكفير أبي طالب» للسيّد فَخَار بن مَعَدّ الموسويّ ـ رحمه الله ـ:

ولولا أبو طالب وابنه — لَمَا مُثِّلَ الدّينُ شخصاً وقاما
فذاك بمكّة آوى وحامى — وهذا بيثرب جسّ الحماما

وقول الشّاعر:

محمّد خير بني غالب — وبعده ابن أبي طالب
هذا نبيّ ووصيّ له — وتعزل ا العالم في جانب

وقول الآخر:

فإن كُنْتِ لا تَدْرِيْنَ ما الموت فَانْظُرِي — إلى هانئٍ في السّوق وابن عقيلِ
إلى بَطَلٍ قد هشّم السّيف وجهه — وآخَرَ يُهْوَى من طَمَارِ قتيلِ

* * *

﴿ وَالْوَتِدُ * هٰذا ﴾ أي: عير الحيّ ﴿ عَلَى الْخَسْفِ ﴾ أي: الذُّلّ ﴿ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ ﴾ هي قِطْعة حبل بالية ﴿ وَذا ﴾ أي: الوتِد ﴿ يُشَجّ ﴾ أي: يُدَقُّ ويُشَقُّ رأسه ﴿ فَلا يَرْثي ﴾ أي: لا يَرِقُّ ولا يَرْحَمُ ﴿ لَهُ أَحَدُ ﴾.

ذكر «العَيْر» و«الوتِد» ثمّ أضاف إلى الأوّل الرَّبْطَ مع الخَسْفِ، وإلى الثّاني الشّجّ على التّعيين.

فإن قلت: «هذا» و«ذا» متساويان في الإشارة إلى القريب وكلّ منهما يحتمل أن يكون إشارة إلى «العَيْر» وإلى «الوتِد» فلا يتحقّق التّعيين، وحينئذٍ يكون البيت من قبيل اللّفّ والنّشر.

قلت: لا نسلّم التّساوي بل في حرف التّنبيه إيماء إلى أنّ القرب فيه أقلّ، وأَنّه يفتقر إلى تنبيه مّا، فيكون إشارة إلى «عير الحيّ» ولو سلّم فسواء جعلتَ «هـذا» إشارةً إلى «عَيْر الحيّ» و«ذا» إلى «الوتِد» أو بالعكس يحصل التّعيين، غاية ما في الباب أنّ التّعيين محتمل، ومثل هذا ليس في اللّفّ والنّشر، فليتأمّل.

[الجمع مع التّفريق]

﴿ ومنه ﴾ أي: من المعنويّ ﴿ **الجمع مع التّفريق، وهو أن يدخل شيئان في معنىً ويفرّق بين جهتي الإدخال، كقوله** ﴾ أي: قول الوَطْوَاط:

﴿ فَوَجْهُكِ كَالنَّارِ فِي ضَوْئِهَا[١] وَقَلْبِي كَالنّار فـي حَرِّها ﴾

أدخل قلبه ووجه الحبيب في كونهما كالنّار، ثمّ فرّق بينهما بأنّ إدخال الوجه فيه من جهة الضّوء، وإدخال القلب من جهة الحرّ والاحتراق.

---

(١) **قوله: «فوجهك كالنّار في ضوئها»**. البيت من المتقارب، والعجب من العبّاسيّ في «معاهد التّنصيص» حيث يقول: إنّه من الخفيف، وهو غلط لا يخفى على العروضيّ الحاذق. والشّاهد بيّنه الشّارح.

[الجمع مع التّقسيم]

﴿ ومنه ﴾ أي: من المعنويّ **﴿ الجمع مع التّقسيم، وهو جمع متعدّد تحت حكمٍ، ثمّ تقسيمه، أو بالعكس ﴾** أي: تقسيم متعدّد، ثمّ جمعه تحت حكم.

﴿ فالأوّل: كقوله ﴾ أي: الجمع ثمّ التّقسيم كقول أبي الطّيّب: **﴿ حَتّىٰ[1] أَقَامَ ﴾** الممدوح وهو سيف الدّولة ولتضمين «الإقامة» معنى التّسليط عدّاها بـ«على»

---

(١) **قوله: «حتّى أقام على أرباض خَرْشَنَةٍ»**. البيت من البسيط على العروض المخبونة مع الضّرب المماثل، والقائل أبو الطّيّب المتنبّي من قصيدة يمدح بها سيف الدّولة الحَمْدانيّ أوّلها:

غيري بأكثر هذا النّاس يَنْخَدِعُ ... إن قاتلوا جَبُنُوْا أو حدّثوا شَجُعُوا

أهل الحفيظة إلّا أن تُجَرِّبَهُمْ ... وفي التّجارِبِ بعد الغيِّ ما يَزَعُ

وما الحياةُ ونفسي بعد ما علمت ... أنّ الحياة كما لا تُشْتَهَى طَبَعُ

ليس الجَمَالُ لوجهٍ صحّ مارِنُهُ ... أنف العزيز بقطع العزّ يُجْتَدَعُ

أأطرَحُ المجد عن كَتِفِي وأطلُبُه ... وأترُكُ الغَيْثَ في غمدي وأنتَجِعُ

والمشرفيّة لا زالت مشرّفةً ... دواءُ كلّ كريم أو هي الوَجَعُ

وفارس الخيل مَنْ خفَّتْ فوقّرها ... في الدّرب والدّمُ في أعطافها دُفَعُ

وأوجدته وما في قلبه قَلَقٌ ... وأغضبته وما في لفظه قَذَعُ

بالجيش يَمْتَنِعُ السّاداتُ كلّهم ... والجيشُ بابن أبي الهيجاء يمتنع

قادَ المقانِبَ أقصى شُرْبها نَهَلٌ ... على الشّكيم وأدنى سيرها سَرَعُ

لا يعتقي بَلَدٌ مَسْراه عن بَلَدٍ ... كالموتِ ليس له ريٌّ ولا شَبَعُ

حتّى أقامَ على أرباضِ خَرْشَنَةٍ ... تَشقىٰ بِهِ الرّومُ والصُّلبانُ والبِيَعُ

لِلسَّبْيِ مَا نَكَحُوا وَالْقَتْلِ مَا وَلَدُوا ... وَالنَّهْبِ مَا جَمَعُوا وَالنَّارِ مَا زَرَعُوا

والقصيدة طويلة جدّاً وقد ذكرنا بعض أبياته في باب «غير» من «علم المعاني» فراجعه.

ومعنى «لا يعتقي»: لا يعوق، والباقي أوضحه الشّارح.

فقال: ﴿عَلىٰ أَرْبَاض﴾ جمع «رَبَض» وهو ما حول المدينة ﴿خَرْشَنَةٍ[١]﴾ من بِلاد الرُّوْمِ ﴿تَشقىٰ بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبانُ﴾ جمع «صليب» النّصارى ﴿وَالْبِيَعُ﴾ جمع «بيعة» ـ بكسر الباء وسكون الياء ـ وهي معبد النّصارى و«حتّى» متعلّق بالفعل في البيت السّابق أعني: «قادَ المَقانِب» يعني: قاد العساكر حتّى أقام حول هذه المدينة وقد شَقِيَتْ به الرّوم وهذه الأشياء.

فقد جمع في هذا البيت شَقَاء الرّوم بالممدوح إجمالاً؛ لأنّه يَشْمَلُ القَتْلَ، والنَّهْبَ، والسَّبْيَ، وغير ذلك، ثمّ قسّم في البيت الثّاني وفصّله فقال: ﴿لِلسَّبْيِ مَا نَكَحُوا وَالْقَتْلِ مَا وَلَدُوا﴾ لم يقل: «مَنْ نكحوا» و«مَنْ ولدوا» ليوافق قوله: ﴿وَالنَّهْبِ مَا جَمَعُوا وَالنَّارِ مَا زَرَعُوا﴾ ولأنّ في التّعبير عنهم بلفظ «ما» دلالةً على الإهانة وقلّةِ المبالاة بهم، حتّى كأنّهم ليسوا من جنس ذوي العقول.

وذكر صاحب «المفتاح»[٢] قبل هذا البيت قوله:

الدَّهْرُ مُعْتَذِرٌ وَالسَّيْفُ مُنْتَظِرٌ ... وَأَرْضُهُمْ لَكَ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبَعُ

وقال: قد جمع فيه أرض العدوّ، وما فيها ـ في كونها خالصة للممدوح ـ ثمّ قسّم في هذا البيت.

والمذكور فيما رأينا من نُسَخ ديوان أبي الطيّب وما وقع عليه الشّرح[٣] موافق لما أورده المصنّف، وقوله: «الدّهر معتذر» بعد قوله: «للسّبي ما نكحوا» بأبيات كثيرة.

﴿والثّاني: كقوله﴾ أي: التّقسيم ثمّ الجمع كقول حسّان بن ثابت: ﴿قَوْمٌ إِذَا

---

(١) غير منصرفٍ للعلمية والتّأنيث والتّنوين هاهنا للضّرورة، كما قال ابن مالك:

ولاضطرارٍ وتَناسُبٍ صُرِفْ ... ذو المنع، والمصروفُ قد لا يَنْصَرِفْ

(٢) ٥٣٦.

(٣) راجع ديوان المتنبّي بشرح أبي العلاء المعرّي الموسوم بـ«معجز أحمد» ٣: ١٧٦ ـ ١٩٢.

حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ[(١)] * أو حاوَلُوا ﴾ أي: طلبوا ﴿ النَّفْعَ فـي أَشْـيَاعِهِمْ ﴾ أي:

---

(١) **قوله: «قومٌ إذا حاربوا ضرّوا عدوّهم»**. من البسيط على العروض المخبونة مع الضّرب المماثل، والقائل حسّان بن ثابت الأنصاريّ من قصيدة حين قَدِمَ وفد تميم على رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وفيهم الأقرع بن حابس والزِّبرْقان بن بدر، وعُطَارِد بن حاجب، وأرادوا المفاخرة بخطيبهم ـ وهو عُطَارِد ـ وشاعرهم ـ وهو الزِّبرْقان ـ في خبر طويل، والقصيدة مطلعها:

إنّ الذّوائب من فهرٍ وإخوتهم ... قد بيّنوا سُنَّةً للنّاس تُتَّبَعُ
يرضى بها كلّ من كانَتْ سريرته ... تقوى الإله وبالأمر الّذي شَرَعُوا

وبعده البيتان، وبعدهما:

لا يرقَع النّاس ما أَوْهَتْ أكفُّهُم ... عند الدّفاع ولا يُوْهُوْنَ ما رقعوا
إن كان في النّاس سبّاقون بعدهم ... فَكُلُّ سَبْقٍ لأدنى سَبْقهم تَبَعُ
أعفّة ذكرت في الوحْي عفّتهم ... لا يطبعون ولا يُزْرَى بهم طَبَعُ
ولا يَضَنُّون عن جارٍ بفضلهم ... ولا يمسُّهم من مطمعٍ طَمَعُ
يسمُون للحرب تبدوا وهي كالحة ... إذ الزّعانف من أظفارها خشعوا
لا يفرحون إذا نالوا عدوّهم ... وإن أُصيبوا فلا خورٌ ولا جُزُعُ
كأنّهم في الوَغَى والموت مكتنعٌ ... أُسُود بيشةَ في أرساغها فَدَعُ
خُذْ منهُمُ ما أَتَوْا عَفْواً وما مَنَعُوا ... فلا يكُنْ هَمُّك الأمرَ الّذي مَنَعُوا
فإنّ في حربهم ـ فاترُك عداوتهم ـ ... سُمّاً يخاضُ عليه الصّاب والسَّلَعُ
أكرِمْ بقومٍ رسول الله قائدهم ... إذا تفرّقت الأهواءُ والشِّيَعُ
أهدي لهم مِدْحتي قلب يُؤَازِرُهُ ... فيما أراد لِسانٌ حاذق صَنَعُ
وأنّهم أفضَلُ الأحياء كلّهم ... إنْ جَدَّ بالنَّاس جِدُّ القولِ أو شَمَعُوا

ولمّا أنشد حَسَّان القصيدة بعد أن خطب ثابت بن شَمَّاس خطبته المشهورة، قال الأقرع بن حابس: إنّ هذا الرّجل لمؤتًّى له، والله لَشاعرُهُ أشعر من شاعرنا، ولخطيبه أخطَبُ من خطيبنا، ولأصواتهم أرفع من أصواتنا، أعطني يا محمّد، فأعطاه، فقال: زِدْنِي، فزاده، فقال: اللهمّ إنّه سيّد العرب، والشّاهد بيّنه الشّارح.

أتباعهم وأنصارهم ﴿ نَفَعُوا * سَجِيَّةٌ ﴾ أي: غريزة وخُلق ﴿ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحْدَثَةٍ * إنَّ الْخَلائِقَ ﴾ جمع «خليقة» وهي الطّبيعة والخلق ﴿ فَاعْلَمْ شَرُّهَا البِدَعُ ﴾ جمع «بِدْعة» وهي في الأصل الحَدَث في الدّين بعد الاستكمال، والمراد هاهنا مستحدثات الأخلاق، لا ما هو كالغرائز منها.

قسّم في البيت الأوّل صفة الممدوحين إلى ضرّ الأعداء ونفع الأولياء، ثمّ جمعها في البيت الثّاني في كونها سجيّة حيث قال: «سجيّة تلك منهم».

[الجمع مع التّفريق والتّقسيم]

﴿ ومنه ﴾ أي: من المعنويّ ﴿ الجمع مع التّفريق والتّقسيم ﴾ ولم يتعرّض لتفسيره؛ لكونه معلوماً ممّاسبق من تفسيرات هذه الأُمورالثّلاثة ﴿ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ ﴾ يعني: يأتي الله ـ أي: أمره ـ أو يأتي اليوم ـ أي: هَوْلُهُ ـ والظَّرف منصوب بإضمار «اُذكر» أو بقوله: ﴿ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ ﴾ بما ينفع من جواب، أو شفاعة ﴿ إلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ أي: بإذن الله، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَا يَتَكَلَّمُونَ إلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ ﴾[1].

[إشكالات ثلاثة]

[الإشكال الأوّل وجوابه]

وهذا في مَوْقِفٍ[2] وقوله: ﴿ يَوْمَ لاَ يَنْطِقُونَ وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾

---

(١) النّبأ: ٣٨.

(٢) **قوله: «هذا في موقف»**. أراد الإجابة عن الإشكالات الثّلاثة في الآية:

الأُولى: أنّ قوله: «لا تكلّم نفس إلّا بإذنِهِ» يعارض الآية الأُخْرَى مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [المرسلات: ٣٦]، والجواب: أنّ المواقف في القيامة مختلفة ⇐

في مَوْقِفٍ آخَرَ، أو المأذون فيه هو الجواب الحقّ والممنوع عنه هو العذر الباطل.

﴿ فَمِنْهُمْ ﴾ أي: من أهل الموقف ﴿ شَقِيٌّ ﴾ وَجَبَتْ له النّار[1] بمقتضى الوعيد ﴿ وَسَعِيدٌ * ﴾ وجبت له الجنّة بمقتضى الوعد ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * ﴾ ـ «الزّفير» إخراج النَّفس، و«الشّهيق» ردّه ـ ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾.

[الإشكال الثّاني وجوابه]

أي: سماوات الآخرة وأرضها؛ لأنّها دائمة مخلوقة للأبد، أو هي عبارة عن

⇐ وكلّ آيةٍ باعتبار موقف، وقد ذكر العلّامة في «البحار» أنّ المواقف خمسون موقفاً ـ أعاذنا الله منها، بمحمّدٍ وآله ـ نظير ما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لاَ يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلاَ جَانٌّ ﴾ [الرحمن: ٣٩]، وقوله ـ عزّ وعلا ـ: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ ﴾ [الصّافّات: ٢٤].

الثّانية: أنّه ذكر التأبيد في الآية بقوله: ﴿ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾ [هود: ١٠٧]، وكيف يكون في الآخرة أرض وسماء وهو يقول: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وقوله ـ عزّ وعلا ـ: ﴿ وَإِذا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً ﴾ [الواقعة: ٤]؛ وأجاب: بأنّ المراد: سماوات الآخرة وأرضها والدّليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

والثّالثة: أنّه كيف يصحّ الاستثناء على مذهب المعتزلة وهو يخالف رأيهم في أنّ من دخل النّار لا يخرج منها أبداً وهو الكافر وصاحب الكبيرة ـ إذا لم يتب ـ وما سواهما لا يدخل النّار. والجواب يأتي مفصّلاً ـ بإذن الله ـ.

(١) **قوله: «وجبت له النّار»**. يعني: ثبتت. لأنّ الشّارح أشعريّ وهم لا يوجبون على الله شيئاً وينكرون الحسن والقبح العقليّين، قال الهنديّ: ومعنى «وجبت»: ثبتت ولزمت، إذ لا وجوب على الله ـ تعالى ـ عندنا، ولا معنى للوجوب للعبد اهـ مختصراً.

التّأبيد[١] ونفي الانقطاع كقول العرب: «ما أقام ثبيرٌ[٢] وما لاحَ كوكَبٌ» ونحو ذلك.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا ما شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[٣] أي: غير مقطوع، ولكنّه ممتدّ إلى غير النِّهاية[٤].

[الإشكال الثّالث وجوابه؛ نقد الاستثناء]

فإن قلت: ما معنى الاستثناء في قوله: «إلّا ما شاء ربّك»[٥]؟

---

(١) **قوله: «عبارة عن التّأبيد»**. وهو تعليق الشّيء بأمرٍ يفيد الأبديّة كما في قول أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ: «أتأمرونني أن أطلب النّصر بالجور، لا والله لا أفعل ما طلعت شمس وما لاح في السّماء نجم»، وقول دعبل في أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ:

سأبكيهم ما ذَرَّ في الأرض شارق ... ونادى منادي الخير بالصَّلَواتِ

وما طَلَعَتْ شَمْسٌ وحَانَ غُرُوْبُها ... وباللّيل أبكيهم وبالغُدُواتِ

وما دام السّماء سماء والأرضُ أرضاً يَسْمُرُ السّمير، ويَؤُمُّ النّجم نجماً، وتطلُعُ الشّمس، ويلوح في السّماء نجم، ويَذُرُّ في الأرض شارق، وينادي منادي الخير بالصّلوات، ويحين الغروب، فإذا فعل القائل ما أراد فعله معلّقاً على هذه الأُمور فقد فعله إلى آخر الدّهر وهذا معنى التّأبيد.

(٢) ثبيرٌ: جَبَلٌ بمكّة، يقال: «أَشْرِقْ ثَبِيْر، كيما نُغِيْر» وهي أربعة أَثْبِرَة: ثبير غَيْنَاء، وثَبِيْرُ الأَعْرَج، وثبيرُ الأَحْدَبْ، وثَبِيْرُ حِراء.

(٣) هود: ١٠٧ـ١٠٨.

(٤) **قوله: «ولكنّه ممتدّ إلى غير النّهاية»**. كلمة لكن لمجرّد التّأكيد كما في قولك: «لو جئتني لأكرمتك لكنّك لم تجئ» على ما نصّ عليه ابن هشام في «المغني».

(٥) **قوله: «ما معنى الاستثناء في قوله: «إلّا ما شاء ربّك»**. هذا الإشكال أورده الزّمخشريّ دِفاعاً عن مذهبه المعتزليّ وتوضيح ذلك أنّ المعتزلة قسّموا النّاس إلى صنفين: المخلّدون في الجنّة، والمخلّدون في النّار، ولا واسطة بينهما فكيف يصحّ الاستثناء؟

⇐

[جوابه عن الزّمخشريّ]

قلت: هو استثناء من الخلود في عذاب النّار، ومن الخلود في نعيم الجنّة، يعني: أنّ أهل النّار[(١)] لا يخلّدون في عذاب النّار وحده، بل يعذّبون بالزَّمْهرير ونحوه سوى عذاب النّار، وكذا أهل الجنّة لهم سوى الجنّة ما هو أكبر منها وأجلّ وهو رِضْوان الله، وما يتفضّل به الله عليهم، ممّا لا يعرف كُنهَه إلّا الله[(٢)]؛ كذا ذكره

⇐ فأجاب بأنّ الاستثناء من الخلود المقيّد ـ أي: خالدين مقيّداً بالمتعلّق، أي: بكونه في النّار أو في الجنّة ـ وحينئذٍ يكون معنى الاستثناء أنّ أصحاب النّار مخلّدون في النّار إلّا أن يشاء ربّك تغيير عذابهم من النّار إلى الزمهرير وغيره، وأصحاب الجنّة مخلّدون في الجنّة إلّا أن يشاء ربّك تغيير نعمتهم من نعيم الجنّة إلى الرّضوان واللّقاء وغير ذلك، فلا واسطة بينهما ـ بين الصّنفين المخلّدين ـ ولا اعتراض وصحّ الاستثناء في الموضعين.

وأمّا الشّيعة والأشاعرة ـ تبعاً لهم في هذا المقام ـ فقسّموا النّاس إلى ثلاثة أقسام: المخلّدون في النّار وهم الكفّار، والمخلّدون في الجنّة وهم المؤمنون، وغير المخلّدين فيهما وهم فسّاق المؤمنين، حيث يدخلون النّار، ثمّ يخرجون منها، فالاستثناء على قولهم يصحّ من الخلود المطلق، أي: خالدين من دون التّقييد بالمتعلّق ـ أي: في النّار أو في الجنّة ـ.

(١) **قوله: «يعني إنّ أهل النّار»**. قال الهنديّ: يعني أنّ مقتضى الاستثناء من الخلود في عذاب النّار أن لا يعذّبوا بها في جميع الأوقات، بل أن يعذّبوا في بعضها بعذاب آخر كعذاب الزّمهرير، وعذاب سخط الله وخشيته وإهالته، وهذا لا يقتضي الخروج من جهنّم. وكذا مقتضى الاستثناء من الخلود في نعيم الجنّة ـ أي: اللّذّات الجسمانيّة ـ أن ينعموا بنعيم آخر من اللّذّات الرّوحانيّة كرضوان الله ويتلذّذوا بها بحيث ينقطع عنهم اللّذّات الجسمانيّة وهو لا يقتضي خروجهم من الجنّة اهـ.

(٢) **قوله: «لا يعرف كُنهَه إلّا الله»**. بدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُم مِن قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾ [السّجدة: ١٧].

صاحب[1] «الكشّاف» بناءً على مذهبه.

[جواب التّفتازاني]

وأمّا عندنا فمعناه: أنّ فُسَّاق المؤمنين لا يخلّدون في النّار، وهذا كافٍ في صحّة الاستثناء؛ لأنّ صرف الحكم عن الكلّ في وقتٍ مّا[2] يكفيه صرفه

---

(١) قال في تفسير هذه الآية من «الكشّاف»: ﴿ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ [هود: ١٠٨]، فيه وجهان:

أحدهما: أن تراد سماوات الآخرة وأرضها، وهي دائمة مخلوقة للأبد، والدّليل على أنّ لها سماواتٍ وأرضاً، قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْض وَالسَّمَاوات ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وقوله: ﴿ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْض نَتَبَوَّأ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء ﴾ [الزّمر: ٧٤]، ولأنّه لابدّ لأهل الآخرة ممّا يقلّهم ويظلّهم؛ إمّا سماء يخلقها الله، أو يظلّهم العرش، وكلّ ما أظلّك فهو سماء.

والثّاني: أن يكون عبارة عن التّأبيد، ونفي الانقطاع، كقول العرب: «ما دام تعار، وما أقام ثبير، وما لاح كوكب» وغير ذلك من كلمات التّأبيد.

فإن قلت: فما معنى الاستثناء من الخلود في قوله: «إلّا ما شاء ربّك» وقد ثبت خلود أهل الجنّة والنّار في الأبد من غير استثناءٍ؟ قلت: هو استثناء من الخلود في عذاب النّار، ومن الخلود في نعيم الجنّة، وذلك أنّ أهل النّار لا يخلّدون في عذاب النّار وحده، بل يعذّبون بالزّمهرير، وبأنواعٍ من العذاب، سوى عذاب النّار بما هو أغلظ منها كلّها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم وإهانته إيّاهم، وكذلك أهل الجنّة لهم سوى الجنّة ما هو أكبر منها وأجلّ موقعاً منهم وهو رضوان الله كما قال: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التّوبة: ٧٢] ولهم ما يتفضّل الله به عليهم سوى ثواب الجنّة ممّا لا يعرف كنهه إلّا هو، فهو المراد بالاستثناء، والدّليل عليه قوله: ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: ١٠٨] اهـ.

(٢) **قوله: «صرف الحكم عن الكلّ في وقتٍ مّا»**. الحكم هو الخلود، وصرفه ـ أي: الاستثناء ⇐

عن البعض[١].

وكذا الاستثناء الثّاني معناه: أنّ بعض أهل الجنّة لا يخلّدون فيها، وهم المؤمنون الفاسقون الّذين فارقوا الجنّة أيّام عذابهم، والتّأبيد من مبدأ معيّن[٢] كما ينتقض

⇐ منه ـ عن كلّ المخلّدين يصحّ باعتبار البعض في وقتٍ مّا، وبتعبير آخر: إنّه يصحّ أن تصرف الحكم عن الكلّ باعتبار البعض، أي: تنسب الصّرف الذي هو للبعض في بعض الأحيان إلى الكلّ مجازاً بعلاقة الكلّ والجزء، فصرف الخلود عن أهل النّار وأهل الجنّة ـ بكلمة الاستثناء ـ باعتبار صرفه عن بعضهما وهم فسّاق المؤمنين، بعلاقة الكلّ والجزء وذلك أيضاً في بعض الأحيان حيث إنّ الفسّاق لا يكون في النّار إلى الأبد كما لم يكن في الجنّة دائماً، لأنّه قضى شطراً في النّار ويقضي الشّطر الباقي في الجنّة ـ أي: يتمتّع به فيها ـ وذلك معنى قوله: «في وقتٍ مّا».

(١) **قوله: «يكفيه صرفه عن البعض»**. ولا يقتضي صرفه عن الكلّ في وقتٍ مّا حتّى يلزم خروج الكفّار من النّار.

(٢) **قوله: «والتّأبيد من مبدأ معيّن»**. أي: التّأبيد منتقض بـ«إلّا» عند أهل الجنّة من فسّاق المؤمنين باعتبار الابتداء، وعند أهل النّار منهم باعتبار الانتهاء، وذلك مثل «الشّهر» حيث يكون ثلاثون يوماً فمتى انتقص منه يوم من أوّله أو آخره لم يكن ثلاثين يوماً.

وقال الهنديّ: يريد أنّ قوله ـ تعالى ـ: «خالدين فيها» حال مقدّرة؛ لعدم مقارنته بالعامل، فالتّقدير: «أمّا الّذين سعدوا ففي الجنّة مقدّرين الخلود فيها ما دامت السّماوات والأرض» والخلود المقدّر لا يقتضي سابقة الدّخول، بل تقديره.

ولأجل الإشارة إلى هذا عبّر عن الخلود بالتّأبيد، فإنّ الخلود المقدّر مرجعه التّأبيد، أي: ثبوت الحكم السّابق وهو الكون في الجنّة أبداً ـ أي: في جميع الأوقات المستقبلة من وقت دخول أهل الجنّة فيها، والتّأبيد من وقت معيّن كما ينتقض باعتبار الانتهاء كما في الاستثناء الأوّل ينتقض باعتبار الابتداء، لعدم بقاء التّأبيد من الوقت المعيّن.

فحينئذٍ اندفع ما أورده السّيّد متابعةً لصاحب «الكشّاف» من أنّ الاستثناء يقتضي إخراجاً من الخلود وهو لا محالة بعد الدّخول ـ لأنّ ذلك إنّما هو في الخلود المحقّق دون ⇐

باعتبار الانتهاء فكذلك ينتقض باعتبار الابتداء، وإطلاق السّعادة[1] عليهم باعتبار تشرّفهم بسعادة الإيمان والتّوحيد وإن شقوا بسبب المعاصي.

[محلّ الشّاهد]

فقد جمع الأنفس بعدم التّكلّم بقوله: «لا تكلّم نفس» لأنّ النّكرة في سياق النّفي تعمّ، ثمّ فرّق بأنْ أوقع التّباين بينها بأنّ بعضها شقيّ وبعضها سعيد بقوله: «فمنهم شقيّ وسعيد» إذ الأنفس وأهل المَوْقِفِ واحد، ثمّ قسّم وأضاف إلى السُّعَداء ما لهم من نعيم الجنّة، وإلى الأشقياء ما لهم من عذاب النّار بقوله: «وأمّا الّذين شقوا» إلى آخره.

[إطلاق التّقسيم على قسمين آخرين]

﴿**وقد يطلق**﴾ التّقسيم ﴿**على أمرين آخرين**﴾:

﴿**أحدهما: أن تذكر أحوال الشّيء مضافاً إلى كلّ**﴾ من تلك الأحوال ما يليق به ﴿**كقوله**﴾ أي: قول أبي الطّيّب:

⇐ المقدّر.

وكذا ما أورده ـ من أنّه لا دلالة في اللّفظ على المبدأ المعيّن ـ فإنّ المتبادر من الآية خلود الفريقين من وقت الدّخول اهـ مختصراً.

(١) **قوله: «وإطلاق السّعادة»**. دفع وهم، وهو الّذي أشار إليه البيضاويّ الشافعيّ في تفسيره: لا يقال: فعلى هذا لم يكن قوله: «فمنهم شقيّ وسعيد» تقسيماً صحيحاً، لأنّ من شرطه أن يكون صفة كلّ قسم منتفية عن قسيمه، لأنّ ذلك الشّرط حيث التّقسيم لانفصال حقيقيّ أو مانع من الجمع، وهاهنا المراد أنّ أهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وأنّ حالهم لا تخلو عن الشّقاوة والسّعادة، وذلك لا يمنع اجتماع الأمرين في شخص بالاعتبارين اهـ وخلاصته أنّ التّفريق باعتبار الوصفين لا باعتبار الذّات.

﴿سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالقَنَا وَمَشَايِخٍ[1]   كَأَنَّهُمُ مِنْ طُولِ مَا التَثَمُوا مُرْدُ﴾

---

(١) **قوله:** «**سأطلُبُ حقّي بالقَنَا ومشايخ**». البيتان من الطّويل على العروض التّامّة مع الضّرب المماثل للتّصريع بالزّيادة، وهما من قصيدة يقولها المتنبّي في مدح عليّ بن محمّد بن سيّار التميميّ مطلعها:

أَقَلُّ فَعالي ـ بَلْهَ أَكْثَرَهُ ـ مَجْدُ   وذا الجِدُّ فيه نِلْتُ أَمْ لَمْ أَنَلْ جَدُّ
سأطلُبُ حقّي بالقَنَا ومَشَايخ   كأنّهم من طول ما التَثَمُوا مُرْدُ
ثِقَالٍ إذا لَاقَوْا، خِفَافٍ إذا دُعُوْا   كثيرٍ إذا شَدُّوْا قليلٍ إذا عُدُّوْا
وطَعْنٍ كأنّ الطَّعْن لا طعنَ عنده   وضربٍ كأنّ النّار مِن حَرّه بَرْدُ
إذا شِئْتُ حَفَّتْ بي على كلّ سابح   رِجالٌ كأنَّ الموتَ في فمها شَهْدُ
أَذُمُّ إلى هذا الزّمان أُهَيْلَهُ   فأَعْلَمُهُمْ فَدْمٌ وأَحْزَمُهُمْ وَغْدُ
وأَكْرَمُهُمْ كَلْبٌ وأَبْصَرُهُمْ عَمٍ   وأسهَدُهُم فَهْدٌ وأَشْجَعُهُم قِرْدُ
ومِنْ نَكَدِ الدُّنيا على الحُرِّ أن يرى   عدوّاً له ما من صداقته بُدُّ
بقلبي وإن لم أَرْوَ منها ملامةٌ   وبي عن غوانيها وإن وصلَتْ صَدُّ

قال:

ويَمْنَعُني ممّن سوى ابن محمّدٍ   أيادٍ له عندي تَضِيْقُ بها عِنْدُ
توالَى بلا وعدٍ ولكنّ قَبْلَها   شمائلُهُ من غير وعدٍ بها وَعْدُ

وهي طويلة لا حاجة إلى إيراد الباقي. قال الرَّبَعي: كنت يوماً عند المتنبّي بـ«شيراز» فقيل له: أبو علي الفارسيّ بالباب، وكانت تأكّدت بينهما المودّة، فقال: بادِرُوْا إليه فأَنْزِلُوْه، فدخل أبو عليٍّ وأنا جالسٌ عنده، فقال: يا أبا الحسن خُذْ هذا الجزءَ ـ وأعطاني جزءاً من كتاب «التّذكرة» ـ وقال: اكتب عن الشّيخ البيتين اللّذَين ذكّرتك بهما وهما:

سأطلُبُ حقّي بالقَنَا ومَشَايخ   كأنّهم من طول ما التَثَمُوا مُرْدُ
ثِقَالٍ إذا لَاقَوْا، خِفَافٍ إذا دُعُوْا   كثيرٍ إذا شَدُّوْا قليلٍ إذا عُدُّوْا

قيل: أراد أنّه يطلب حقّه بنفسه وبغيره، فكنّى بالقنا عن نفسه وبالمشايخ عن أصحابه. وقال المهلّبي: لم يُكَنِّ بالقَنا عن نفسه وإنّما كنّى بها عن الحرب، أي: أطلب حقّي ـ وهو

⇐

﴿ ثِقال ﴾ لشدّة وَطْأَتِهِمْ على الأعداء وثَبَاتهم على اللّقاء ﴿ إذا لاقَوْا ﴾ أي: حاربوا الأعداء ﴿ خِفافٍ ﴾ مسرعين إلى الإجابة ﴿ إذا دُعُوا ﴾ إلى كفاية مهمّ ومدافعة خطبٍ ﴿ كثيرٍ إذا شَدُّوا ﴾ لأنّ واحداً منهم يقوم مقام جماعة ﴿ قَليلٍ إذا عُدُّوا ﴾.

ذكر أحوال المشايخ وأضاف إلى كلّ منها ما يناسبها وهو ظاهر.

﴿ **والثّاني: استيفاء أقسام الشّيء كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً ﴾[1]** ﴾ فإنّ الإنسان إمّا أن يكون له ولد أو لا يكون، وإذا كان فإمّا أن يكون ذكراً أو أُنثى، أو ذكراً وأُنثى، وقد استوفى جميع الأقسام[2] وذكرها.

وإنّما قدّم ذكر الإناث؟ لأنّ سياق الآية على أنّه ـ تعالى ـ يفعل ما يشاء لا ما يشاءُهُ الإنسان، فكان ذكر الإناث اللّاتي هنّ من جملة ما لا يشاءه الإنسان أهمّ، لكنّه لجبر تأخير الذّكور عرّفهم؛ لأنّ في التّعريف تنويهاً بالذّكر، فكأنّه قال: «ويهب لمن يشاء الفرسان الّذين لا يخفى عليكم» ثمّ أعطى كلا الجنسين حقّهما

⇐ أشبه بالمعنى ـ بالإباء والقهر والقتال، لا بالتّذلّل والتّضرّع والسّؤال.

ولا يجوز همز «مشايخ» لأنّ الياء أصليّة وهي متحرّكة في الواحد، والمعنى: أنّ هؤلاء المشايخ من طول تلثّمهم مُرْدٌ لا لِحَى لهم، لأنّ لِحاهم مستورة باللثم، و«المُرْد» جمع «أَمْرَد» وهو الغلام إذا احتلم ولم ينبت في وجهه الشّعر، يقال: غُصْنٌ أَمْرَد، إذا لم يكن عليه ورق. ورملة مَرْدَاء لا تنبت شيئاً. و«اللّقاء» هاهنا مقصور على لقاء الحرب، والمراد أنّهم: يخفّون إذا دُعُوا للنَّجْدة ولا يتثاقلون دون النّصرة، و«شدّوا» إذا حملوا في الحرب، والباقي والشّاهد واضحان.

(١) الشّورى: ٤٩ ـ ٥٠.

(٢) **قوله: «وقد استوفى جميع الأقسام»**. استدلّ بعضهم بهذه الآية على نفي الخنثى المشكل والحقّ وجوده، واختلف فيه أهو قسم ثالث غير الذّكر والأُنثى أو لا، والصّحيح أنّه لا يخرج عنهما، لَمْ يصرّح به، لأنّ الآية في الفرد الغالب، والخنثى المشكل نادر.

من التّقديم؛ فقدّم الذّكور وأخّر الإناث؛ تنبيهاً على أنّ تقديم الإناث لم يكن لتقدّمهنّ، بل لمقتضٍ آخر.

[التّجريد]

﴿ومنه﴾ أي: من المعنويّ ﴿**التّجريد، وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة**﴾ أمر آخر ﴿**مثله فيها**﴾ أي: مماثل لذلك الأمر ذي الصّفة في تلك الصّفة ﴿**مبالغةً لكمالها فيه**﴾ أي: لأجل المبالغة لكمال تلك الصّفة في ذلك الأمر ذي الصّفة، حتّى كأنّه بلغ من الاتّصاف بتلك الصّفة إلى حيث يصحّ أن ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصّفة.

[أقسام التّجريد]

[القسم الأوّل]

﴿**وهو**﴾ أي: التّجريد ﴿**أقسام: منها:**﴾ أن يكون بـ«من» التّجريديّة[١] ﴿**نحو قولهم: «لي مِن فلانٍ صديقٌ حميم»**﴾ في «الصّحاح»[٢]: حَميمُكَ: قريبك الّذي تهتمّ لأمره ﴿**أي: بلغ فلان من الصّداقة حدّاً صحّ معه**﴾ أي: مع ذلك الحدّ ﴿**أن يستخلص منه**﴾ أي: من فلان صديق آخر ﴿**مثله فيها**﴾ أي: في الصّداقة.

[القسم الثّاني]

﴿**ومنها**﴾ ما يكون بالباء التّجريديّة الدّاخلة على المنتزع منه ﴿**نحو قولهم:**

---

(١) **قوله: «من التّجريديّة»**. جعل بعضهم التّجريد معنى مستقلّاً لكلمة «من» والصّحيح أنّ تكون للابتداء وذلك أنّ المناسب لكلمة «من» حيث دخلت على المنتزع منه أن تكون للابتداء، لأنّ المنتزع مبتدأ وناشئ من المنتزع منه الّذي هو مدخول «من».

(٢) ٥: ١٩٠٥.

«لئن سألتَ فلاناً لَتَسْأَلَنَّ به البحر» بالغ في اتّصافه بالسّماحة حتّى استنزع منه بحراً في السّماحة.

وزعم بعضهم أنّ «من» التّجريديّة والباء التّجريديّة على حذف مضاف؛ فمعنى قولهم: «لَقِيْتُ من زيد أسداً»: «لَقِيْتُ من لقائه أسداً» والغرض تشبيهه بالأسد، وكذا معنى: «لقيت به أسداً»: «لقيت بلقائه أسداً».

[القسم الثّالث]

﴿**ومنها**﴾ ما يكون بدخول الباء المعيّة والمصاحبة في المنتزع ﴿**نحو قوله**﴾:

﴿**وَشَوْهَاءَ**﴾ من «شاهَتِ الوجوه» قَبُحَتْ، و«فرس شَوْهَاء» صفة محمودة يراد بها سِعَة أشداقها، وقيل: أراد بها فرساً قبيح الوجه لما أصابها من شدائد الحرب ﴿**تَعْدُو**﴾ أي: تسرع ﴿**بِي إِلىٰ صَارِخِ الْوَغىٰ**﴾[1] أي: مستغيث في الوَغَى وهو

---

(١) **قوله: «وشوهاء تعدو بي إلى صارخ الوَغَى»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المقبوض والقائل ذو الرُّمَّة الشّاعر المشهور من قصيدة طويلة مطلعها:

قِفِ العَنْسَ في أطلال ميّة فَاسْأَلِ ... رُسُوماً كأخلاق الرِّداء المُسَلْسَلِ

أَظُنُّ الّذي يُجْدي عليك سؤالُها ... دموعاً كتبذير الجُمَان المُفَصَّلِ

وما يومُ حُزْوى إن بكيتَ صبابةً ... لعِرْفَانِ رَبْعٍ أو لعِرْفان منزِلِ

بأوّل ما هاجَتْ لك الشَّوْقَ دِمْنَةٌ ... بأجْرَعَ مِرْبَاعٍ مَرَبٍّ مُحَلَّلِ

قال:

لعلّك يا عبد امرئ القيس مُقْعِياً ... بمرأة فعلَ الخامِلِ المتذلِّلِ

مُسَامٍ إذا اصطكّ العِراك وأزحلَتْ ... أباك بنو سَعْدٍ إلى شرّ مَزْحَلِ

بقومٍ كقومي أو لعلّك فاخر ... بخالٍ كزاد الرَّكْب أو كالشَّمَرْدَلِ

ومُعْتَدُّ أيّامٍ كأيّامنا التي ... رَفَعْنَا بها سَمْكَ السَّمَاء المُطوَّلِ

كيومِ ابن هندٍ والجِفار وقَرْقَرَى ... ويومٍ بذي قارٍ أغرَّ مُحَجَّلِ

⇐

الحرب ﴿بِمُسْتَلْئِمٍ﴾ أي: لابس لَأْمَةٍ وهي الدِّرْع، والباء للملابسة والمصاحبة ﴿مِثلِ الفَنِيقِ﴾ هو الفحل المكرّم عند أهله ﴿المُرَحَّل﴾ من «رحّل البعير» أشخصه عن مكانه وأرسله، أي: تعدو بي ومعي من نفسي لابس دِرْعٍ لكمال استعدادي للحرب.

بالغ في اتّصافه بالاستعداد للحرب حتّى انتزع منه مستعدّاً آخَرَ لابس دِرْعٍ.

⇐ إذا الخَيْلُ من وَقْعِ الرِّماحِ كأنّها ... وُعُوْلٌ أُشَارَى، والوَغَى غيرُ مُنْجَلِ

وقد جرّد الأَبْطَالُ بيضاً كأنّها ... مصابيحُ تذكُو في الذُّبَال المُفَتَّلِ

على كُلِّ مُنْشَقِّ النَّسَا مُتَمَطِّرٍ ... أجشَّ كصوب الوابل المتهلِّل

وَشَوْهَاءَ تعدو بي إلى صارخ الوَغَى ... بمُسْتَلْئِمٍ مثل البعير المُدَجَّل

متى ما يُواجِهْهَا ابن أُنثَى رَمَتْ به ... مع الجَيْشِ يبغيها المغانم تَثْكَلِ

وهي طويلة جداً لا حاجة إلى إيراد البقيّة، وهذه رواية أبي نصر الباهليّ يقول: «البِيْض»: السّيوف «تذكو» توقّد، «الذّبال»: الفتائل، «منشقّ النّسا» الفرس السّمين صار نساه مثل الجدول لأنّ اللحم تفرج عنه، «التمطّر»: الذّاهب في السّير كالمطر. «أجش»: غليظ الصّوت ويستحبّ ذلك في الخيل. الشّوهاء الفرس الطّويلة، وقال غير الأصمعي: الحديدة النّفس الذكيّة، و«مستلئم» رجل عليه لأْمة، أي: دِرْع. قال الأُستاذ: «المستلئم» إمّا وصف من الضّمير في «بي» وهو صحيح على رأي الكسائي، والمشهور يقول: الضّمير لا يوصف ولا يوصف به. وإمّا بدل اشتمال منه وهو صحيح بالاتّفاق، قال ابن مالك:

ومن ضمير الحاضر الظّاهر لا ... تُبْدِلْه إلّا ما إحاطةً جَلَا

أو اقتضى بعضاً أو اشتمالا ... كأنّك ابتهاجك استمالا

و«المُدَجَّل» المَطْلِيّ بقَطِران، ويقول: متى ما يوجِّهُ هذه الفرس ابن أُنثى، أي: رجل، «يبغي»: يطلب لأُمّه المغانم. «تَثْكَلُ» أي: تَثْكَلُ ابنها، يريد: متى ما يوجّهها المستلئم، وهو ذو الرُّمّة، رَمَتْ به مع الجيش، يعني هذه الفرس. وقوله: «رمت به مع الجيش» صلة لأُنثى وهي أُمّ الّذي تثكله، و«أُنثى» نكرة، فصيّرت «رَمَتْ» صلتها وموضع «يبغيها» حال، أي: رَمَتْ به مع الجيش باغياً المغانِمَ. راجع الديوان ٢: ١٨٢ شرح أبي نصر الباهلي.

[القسم الرّابع]

﴿ **ومنها** ﴾ما يكون بدخول «في» في المنتزع منه ﴿ **نحو قوله ـ تعالى ـ**: ﴿ **لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ** ﴾ ﴾ أي: في جهنّم وهي دار الخُلْدِ، لكنّه انتزع منها داراً أُخرى وجعلها معدّة في جهنّم لأجل الكفّار، تهويلاً لأمرها، ومبالغةً في اتّصافها بالشّدّة.

[القسم الخامس]

﴿ **ومنها** ﴾ما يكون بدون توسّط حرف ﴿ **نحو قوله** ﴾ أي: قول قتادة بن مسلمة الحنفي:

﴿ **فَلَئِنْ بَقِيتُ لَأَرْحَلَنَّ بِغَزْوَةٍ**[(١)] * **تَحْوِي** ﴾ أي: تجمع ﴿ **الغَنَائِمَ** ﴾ الجملة صفة

---

(١) **قوله: «فلئن بقيت لأرحلنّ بغزوةٍ»**. البيت من الكامل على العروض الصّحيحة التّامّة مع الضّرب المقطوع والقائل ـكما نصّ عليه أبو تَمَّام في باب الحماسة من كتاب «الحماسة» ـ قتادة بن مسلمة الحنفيّ من قصيدة يقول فيها مفتخراً بقومه ويُسفّه امرأته:

بكرَتْ عليّ من السَّفَاهِ تَلُوْمُني ... سَفَهاً تُعَجِّزُ بَعْلَها وتلوم
لمّا رأتْني قد رُزِئْتُ فوارسي ... وبَدَتْ بجسمي نَهْكَةٌ وكُلُوْمُ
ما كنتُ أوّلَ من أصابَ بنكبةٍ ... دهرٌ وحَيٌّ باسِلُوْنَ صميم
قاتلتُهم حتّى تكافأ جمعهم ... والخيل في سيل الدّماء تعوم
إذ تتّقي بسَراة آل مقاعس ... حذر الأسنّة والسّيوف تميمُ
لم ألق قبلَهم فوارس مثلهم ... أحمي وهنّ هوازمٌ وهزيم
لمّا التقى الصّفّان واختلف القنا ... والخيل في رَهَج الغُبار أَزُوْمُ
في النّقع ساهمة الوجوه عوابسٌ ... وبهنّ من دعس الرّماح كُلُوم
يمّمت كبشهم بطعنة فيصل ... فهوى لحرّ الوجه وهو ذميمُ
ومعي أُسودٌ من حنيفةَ في الوَغَى ... للبِيْضِ فوق رؤوسهم تسويمُ
قومٌ إذا لبسوا الحديد كأنّهم ... في البِيْض والحلق الدِّلاص نُجُوْمُ

⇐

«غَـزْوَة» وروي: «نـحو الغـنائم» فـالظّرف مـنصوب بـ«أرحـلنّ» ﴿أَوْ يَـمُوتَ ﴾ منصوب بـ«أنْ» مضمرة كأنّه قال: إلّا أن يموتَ ﴿كَرِيمُ﴾ يعني بـالكريم نـفسه، فكأنّه انتزع من نفسه كريماً ـ مبالغةً في كرمه ـ ولهذا لم يقل: «أو أموت» وهذا بخلاف قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾[1] إذ لا معنى للانتزاع فيه.

﴿وقيل: تقديره: «أو يموت منّي كريم»﴾ فيكون مـن القسـم الأوّل، أعـني: ما يكون بـ«من» التّجريديّة.

﴿وفيه نظر﴾ إذ لا حاجة إلى هذا التّقدير ـ لحصول التّجريد بدونه ـ ولا قرينة عليه.

وبهذا يسقط ما قيل[2]: إنّه أراد: أنّ في البيت نظراً؛ لأنّه من باب الالتفات من

⇐ ولئن بقيت لأرحلنّ بـغَزْوَةٍ   تحوي الغـنائم أو يـموتَ كـريمُ

«الغنائم» جمع «غنيمة» وهي الفوز بالشّيء بلا مشقّة.

(١) الكوثر: ١ ـ ٢.

(٢) **قوله: «وبهذا يسقط ما قيل»**. أي: بما ذكرنا في وجه النّظر يسقط ما أفادوه فيه ـ من أنّه من باب الالتفات من التّكلّم في «لأرحلنّ» إلى الغيبة في «يموتَ كـريم» ـ لأنّـه أراد بـالكريم نفسه فلا تعدّد فيه، فليس من باب التَّجريد، لأنّ التّجريد مبتنٍ على التّعدّد.

وتوضيحه: أنّ الالتفات مبنيّ على الاتّحاد والتّجريد مـبنيّ عـلى التّـعدّد، والاتّـحاد والتّعدّد متنافيان، فإنّ المعنى المعبّر عنه فـي الالتـفات بـالطّريق الأوّل والثّـاني واحـد، والمعبّر عنه باللّفظ الدّالّ على المنتزع منه وباللّفظ الدّالّ على المنتزع متعدّد اعتباراً، لأنّ الغرض من التّجريد أنّ المنتزع شيء آخر غير المنتزع منه.

والجواب عن هذا القيل: أنّ التّجريد والالتفات غير متنافيين، لأنّ التّعدّد في التّجريد اعتباريّ لا حقيقيّ فيجتمعان، بل الاجتماع واقع حاليّاً، ولذا قال الأُستاذ: إنّ النّسبة بين ⇐

التّكلّم إلى الغَيْبَة؛ لأنّه أراد بالكريم نفسه.

ورُدّ بأنّ التّجريد لا ينافي الالتفات، بل هو واقع بأن يجرّد المتكلّم نفسه من ذاته، ويجعلها مخاطباً؛ لنكتة: كالتّوبيخ في:

*** تطاول ليلك بالأثمد ***

والنُّصْح في قوله:

أَقُولُ لَهَا -إِذَا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ -[1]: مَكَانَكِ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

⇐ التّجريد والالتفات هي العموم والخصوص من وجهٍ. فالتّجريد بدون الالتفات كما في قول قَتَادة بن مَسْلَمَة الحنفيّ: «أو يموت كريم» والالتفات بدون التّجريد كما في قوله - تعالى -: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ النّازلة في رسول الله - صلّى الله عليه وآله - وشانئه الحكم ابن أبي العاصي - لعنه الله - فأعطى الله لرسوله - صلّى الله عليه وآله الكوثر وهي فاطمة وأولادها حيث بقي منها نسل رسول الله - صلّى الله عليه وآله - وجعل الحَكَم وجميع بني أُميّة - لعنهم الله - بُتْراً وقطع نسلهم قبل زماننا بكثير. والالتفات والتّجريد معاً نحو قول امرئ القيس المتقدّم في باب الالتفات من علم المعاني:

* تطاول ليلك بالأَثْمِدِ *

ومثّل بعض الأفاضل للتّجريد دون الالتفات بقول امرئ القيس:

* تطاول ليلك بالأثمد» *

عند الجمهور لا السّكّاكي، وللالتفات دون التّجريد في نحو: «تكلّفني ليلي» ولهما معاً بقوله - تعالى -﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾.

(١) **قوله: «أقول لها إذا جَشَأَتْ وجاشت»**. البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب المقطوف والقائل عمرو بن عامر بن زيد مناة الكعبيّ الخزرجيّ الشّاعر الجاهليّ المشتهر بنسبته إلى أُمّه الإطنابة بنت شهاب من بني القين، وهو من قطعةٍ يقول فيها:

ألا مَنْ مُبْلِغُ الأكفاء عنّي فقد تهدى النَّصيحة للنّصيح

فإنّكم وما تُزْجُون نحوي من القول المُرَغَّى والصَّريح

⇐

[القسم السّادس]

﴿ومنها﴾ ما يكون بطريق الكناية ﴿نحو﴾ قوله:

﴿يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ المَطِيَّ وَلاَ[1] يَشْرَبُ كَأْساً بِكَفِّ مَنْ بَخِلاَ﴾

⇐ سَيَنْدَمُ بعضكم عَجَلاً عليه ... ومـا أثـر اللسانُ إلى الجُرُوْحِ
أَبَتْ لي عِفَّتي وأبى بَلائي ... وأخذي الحمدَ بالثَّمَنِ الرَّبيح
وإقدامي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البَطَل المُشِيْحِ
بذي شَطَبٍ كلون المِلْح صافٍ ... ونفسٍ ما تقرّ على القبيحِ
وقولي كلّما جَشَأَتْ وجاشت ... مكانَكِ تُحْمَدِي أو تستريحي
لأدفَعَ عن مآثِرَ صالحاتٍ ... وأَحْمِي بعدُ عن عِرْضٍ صحيحِ
أُهِينُ المالَ فيما بين قومي ... وأدفَعُ عنهم سُنَنَ المَنِيحِ
أبت لي أنْ أُقَضِّي في فعالي ... وأن أُغْضِي على أمرٍ قبيحِ
فإمّا رحتُ بالشَّرَفِ المُعلَّى ... وإمّا رُحْتُ بالموت المُرِيحِ

«جَشَأَتْ» أي: اضطربت، و«جاشت» أي: خافت، «مكانكِ» اسم فعل بمعنى: أُثْبُتي، والزَمِيْ مكانك تُحْمَدي على الشَّجاعة أو تستريحي بالموت.

(١) **قوله: «يا خير من يركب المطيّ ولا»**. البيت من المنسرح على العروض الثّانية المطويّة مع الضّرب المماثل، والقائل الأعشى الشّاعر المشهور من القصيدة التي تقدّم في باب المسند من «علم المعاني» مطلعها:

إنّ محلّاً وإنّ مرتحلاً ... وإنّ في السَّفْرِ إذْ مَضَوْا مَهَلا

قال:

أُزْجِي سراعيفَ كالقِسِيّ من الـ ... شَوْحطِ صَكّ المُسَفَّع الحَجَلا
والهَوْزَبَ العَوْدَ أمتطيه بها ... والعَنْتَرِيْسَ الوَجْناء والجَمَلا
يَنْضَحُ بالبَوْلِ والغُبَار على ... فَخِذَيه نَضْحَ العبديّةِ الجُلَلا
وَسَّاج سابٍ إذا هبطتَ به الـ ... سّهلَ وفي الحَزْن مِرْجَماً حَجَلا

⇐

⇐ بسيرِ مَنْ يَقْطَعُ المَفَاوِز والـ بُـعْدَ إلى مـن يُـثْبِتُهُ الإبـلا
والهـيْكل النَّـهدَ والوليـدة والـ عـبدَ ويُـعْطِيْ مَطَافِلاً عُـطُلا
يُكْرِمُهَا مـا ثَـوَتْ لديـه ويـجـ ـزيها بـما كـان خُـفُّها عَـمَلا
أصبَحَ ذو فـائشٍ سـلامة ذو الـ ـتَفْضَال هَشّـاً فـؤادُهُ جَـذِلا
أبـيضُ لا يـرهب الهُـزالَ ولا يـقطع رِحـماً ولا يـخون إلا
يا خير مَنْ يَـرْكَبُ المـطيّ ولا يشربُ كأساً بكـفّ مـن بَـخِلا
قلّدتك الشّـعر يـا سـلامة ذا الـ تفضال والشّيء حـيثما جُـعِلا
والشّعر يستنزل الكريم كما اسـ تـنزل رعـدُ السّحابة السَّبَلا
لو كُـنْتَ مـاءً عـدّاً جـمعت إذا مـا ورد القـوم لم تكـن وَشَـلا
أَنْـجَبَ أيّـامُ والديـه بـه إذ نـجلاه فـنعم مـا نَـجَلا
قد علمت فـارِسٌ وحِـمْيَرُ والـ أعـرابُ بـالدَّشْت أيّـهم نَـزَلا
هل تذكر العهد فـي تَـنَمُّصَ إذ تـضرِبُ لي قـاعداً بـها مَـثَلا
ليث لدى الحرب أو تـدوخَ له قسـراً وبَـذَّ المـلوك مـا فَـعَلا

قال الجرجاني: مقصود الشّاعر وصف الممدوح بنفي البخل وإثبات الجود، وقد نفى عنه الشّرب بكفّ البخيل، ولا شكّ أنّه يشرب بكفّه فلا يكون بخيلاً، لأنّ كـونه بـخيلاً يستلزم شربه بكفّ البخيل فكنّى بنفي اللّازم عن نفي الملزوم، ويلزم من نفي البخل عنه كونه جواداً بحسب اقتضاء المقام، وبهذا المقدار يَتِمُّ المقصود، ولا دليل على أنّه جعل نفي الشّرب عن كفّ البخيل كنايةً عن إثبات الشّرب له بكفّ كريم منتزع مـنه مـغاير له ادّعاءً ليكون تجريداً، بل هو تطويل للمسافة بلا ثَبَتٍ.

ويؤيّد ما ذكرناه أنّك إذا قلت: «يا من يشرب بكفّ كريم» يتبادر منه أنّه يشرب بكفّه فهو كريم، لا أنّه يشرب بكفّ كريم آخر منتزع عنه ـ وإن كان محتملاً للكلام ـ فظهر أنّ كونه كنايةً عن كون الممدوح غير بخيلٍ لا يجامع كونه تجريداً، نعم كونه كنايةً عن إثبات شربه بكفّ كريم منتزع منه يجامعه، والفرق ظاهر، فصحّ ما ادّعـاه ذلك البـعض، وأمّـا

⇐

أي: يشرب الكأس بكفّ جواد، فقد انتزع من الممدوح جواداً يشرب هو الكأس بكفّه على طريق الكناية؛ لأنّه إذا نفى عنه الشّرب بكفّ البخيل فقد أثبت له الشّرب بكفّ كريم، ومعلوم أنّه يشرب بكفّه فهو ذلك الكريم.

وقد خَفِيَ هذا على بعضهم[1] ـ لدقّته ـ فزعم أنّ الخطاب[2] إن كان لنفسه فهو تجريد، وإلّا فليس من التّجريد في شيء وإنّما هو كناية عن كون الممدوح غير بخيل.

ولم يعرف أنّ كونه كناية لا ينافي التّجريد، وأنّه إن كان الخطاب لنفسه لم يكن قسماً برأسه ويكون داخلاً في قوله:

[القسم السّابع]

﴿ **ومنها مخاطبة الإنسان نفسه** ﴾ وبيان التّجريد أنّه ينتزع فيها من نفسه شخصاً

⇐ قوله: وإن كان الخطاب لنفسه إلخ ... فإنّما يرد عليه إذا كان مراده ممّا ذكره توجيه ما في الكتاب وأمّا إذا أراد به ردّه فلا.

(١) **قوله**: «**وقد خفي هذا على بعضهم**». أي: المعنى الّذي ذكرناه وهو أنّه انتزع من الممدوح جواداً آخر يشرب الممدوح الخمر بكفّه.

(٢) **قوله**: «**فزعم أنّ الخطاب**». أي: الخطاب بالنّداء في قوله: «يا خير من يركب المطيّ» وحاصل زعمه أنّ جعل قوله: «ولا يشرب كأساً بكفّ من بخِلا» تجريداً بطريق الكناية خَطَأٌ، لأنّ الخطاب ـ في قوله: «يا خير من يركب» ـ إن كان لنفسه فهو تجريد، لأنّه جعل نفسه شخصاً آخر أمامه فخاطبه بقوله: «يا خير من يركب» وإذا كان هذا تجريداً فيكون قوله: «ولا يشرب كأساً بكفّ من بخلا» كنايةً عن الكريم فيكون وصفاً لذلك الشّخص المنتزع ـ أي: المخاطب ـ ولا تجريد في هذه الكناية بل وقع التّجريد قبلها، والكلام إنّما يكون فيما إذا كانت الكناية نفسها متضمّنةً للتّجريد ولم يدلّ ذلك على هذا.

وإن كان الخطاب لغيره كان قوله: «ولا يشرب كأساً بكفّ من بخلا» كناية عن الكريم الّذي هو ذلك المخاطب، فلا يكون من التّجريد في شيء.

آخر مثله ـ في الصّفة الّتي سبق لها الكلام ـ ثمّ يخاطبه ﴿كقوله﴾ أي: قول أبي الطّيّب:

﴿لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيها وَلاَ مَالُ[١]   فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ﴾

---

(١) قوله: «لا خيل عندك تهديها ولا مال». البيت من البسيط على العروض التامّة المقطوعة للتّصريع مع الضّرب المماثل والقائل المتنبّي في مطلع قصيدة يمدح بها فاتكاً الأخشيدي المعروف بالمجنون، وهي:

لا خيلَ عندكَ تهديها ولا مالُ   فليُسْعِدِ النُّطْقُ إن لم تُسْعِدِ الحالُ
واجزِ الأمير الّذي نُعماه فاجئة   بغير قولٍ ونُعمى النّاس أقوالُ
فربّما جَزِيَ الإحسانَ مُوْلِيَه   خريدةٌ من عذاري الحيّ مِكْسَالُ
وإن تكن محكماتُ الشُّكْل تمنعني   ظُهُورَ جَرْيٍ فلي فيهنّ تَصْهَالُ
وما شكَرْتُ لأنّ المال فرّحني   سيّانِ عندي إكثار وإقلالُ
لكن رأيتُ قبيحاً أن يُجادَ لَنا   وأنّنا بقضاء الحقّ بُخّالُ
فكُنْتُ مَنْبِتَ روض الحَزْنِ باكَرَهُ   غيثٌ بغير سِباخ الأرض هَطّالُ
غيثٌ يُبَيِّنُ لِلنُّظّار موقِعَهُ   أنّ الغيوث بما تأتيه جُهّالُ
لا يُدْرِكُ المجدَ إلّا سيّد فطِنٌ   لما يَشُقُّ على السّاداتِ فعّالُ
لا وارث جَهِلَتْ يُمْنَاهُ ما وهَبَتْ   ولا كَسُوْبٌ بغير السّيف سَئّالُ
قال الزّمَانُ له قولاً فأفهمه   إنّ الزّمان على الإمساك عذّال
تدري القَنَاةُ إذا اهتزّتْ براحته   أنّ الشّقيّ بها خَيْلٌ وأبطالُ
كـ«فاتكٍ» ودخول الكاف منقصة   كالشّمسِ قلتُ وما للشّمس أمثالُ
القائد الأُسْدُ غذّتْها براثِنُهُ   بمثلها من عِداه وهي أشبالُ
القاتلِ السّيفَ في جسم القتيل به   وللسّيوف كما للنّاس آجالُ

وهي طويلة لا حاجة إلى إيراد باقيها، والشّاهد واضح.

والمطلع أخذه المتنبّي من أبي العتاهيه حيث يقول:

أَزُفُّ أبكار أشعاري إليك فما   عندي سوى الشّكر لا خيلٌ ولا مالُ

⇐

⇐ فاقبَلْ هديّة من تصفو مودّتُهُ إن لم تساعِدْه فيما رامه الحالُ

قال ابن خلّكان ما خلاصته: فاتك الكبير المعروف بالمجنون كان روميّاً أخذه الإخشيد من سيّده بالرّملة كرهاً بلا ثَمَنٍ وأعتقه فكان حرّاً عنده في عدّة المماليك وكان كريم النّفس بعيد الهمّة، شجاعاً كثير الإقدام ولذلك قيل له المجنون، وكان مع كافور يخدِم الإخشيد فلمّا مات مخدومهما وتقرّر كافور في خدمة ابن الإخشيد أنِف فاتكٌ من الإقامة بمصر كي لا يكون كافور أعلى رتبةً منه ويحتاج أن يركب في خدمته، وكانت «الفيّوم» وأعمالها إقطاعاً له فانتقل إليها فاعتلّ بها جسمه ودخل مصر للمعالجة فدخلها وبها المتنبّي، والمتنبّي كان يسمع بكرم فاتك وشَجَاعته إلّا أنّه لا يقدِر مدحه خوفاً من كافور، وفاتك يسأل عنه ويراسله بالسّلام ثمّ التقيا في الصّحراء مصادفةً وجرى بينهما مفاوضات، فلمّا رجع فاتك إلى داره حمل إلى المتنبّي هديّة قيمتها ألف دينارٍ ثمّ أتبعها بهدايا بعدها، فاستأذن المتنبّي كافوراً في مدحه فأذن له، فمدحه بهذه القصيدة في التاسع من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة اهمختصراً.

١ ـ «الإسعاد»: الإعانة، يخاطب نفسه ويقول: ليس عندك خيل ولا مال تهديها إلى فاتك في مقابلة ما أهداه إليك فليسعد النطق على مكافأته بالمدح إن لم تُعِنْك الحال على مكافأته بالهدايا.

٢ ـ واجزه بالشّكر على نعمته الّتي تأتي من دون أن يتقدّمها سؤال ولا وعد وغيره من النّاس اقتصروا على المواعيد.

٣ ـ «الإحسان» مفعول ثانٍ مقدّم، و«موليه» أي: معطيه، مفعول أوّل، و«الخريدة» المرأة الحَيِيَّةُ، ويقال: «امرأة مكسال» أي: لا تكاد تبرح مجلسها، أي: لا يجمل بك ترك الجزاء، فإنّ المرأة التي لا همّة لها قد تجزي على الإحسان مثله.

٤ ـ «الشُكل» بالضمّ جمع «شِكال» وهو الحبل تشدّ به قوائم الدّابّة، وبالفتح مصدر «شكل الدّابّة» إذا شدّها بالشّكال و«الظّهور» جمع «ظهر» و«التّصهال» بمعنى الصّهيل، ضرب لنفسه مثلاً في العجز عن المكافأة بالفعل والاجتزاء عنه بالقول بفرسٍ أحكم ⇐

⇐ شكاله فعجز عن الجري لكنّه يصهل.

٥ ـ «سيّان» بمعنى مثلان و«الإكثار» الغِنى و«الإقلال» الفقر.

٦ ـ «قبيحاً» مفعول ثانٍ مقدّم و«أن يجادلنا» مفعول أوّل، وقوله: «أنّنا» يجوز فيه فتح الهمزة على العطف وكسرها على الحال، و«بخّال» جمع «باخل» أي: إنّما أشكر لأنّي رأيت من القبيح أن يُجَادَ لي بالعطاء وأنا بخيل بقضاء حقّ الشّكر.

٧ ـ «الحزن» خلاف السّهل، و«الغيث» المطر، و«السّباخ» جمع «سبخة» وهي الأرض ذات نزّ وملح، و«هطّال» ساكب، والمعنى: كنت ونعمته كمنبت روض الحزن إذا جاده بالبكرة غيث هطّال فأفاده نضرةً وذكاء، لأنّه لم يقع في سباخ من الأرض لا يظهر أثره فيها، وخصّ «الحزن» لبعده عن النّزّ، والمِلْح، والمراد: أنّ نعمته قد صادفت منّي من يعرف حقّها.

٨ ـ الممدوح أحكم من الغيوث والأمطار، لأنّه يضع إحسانه في موقعه وهي تمطر التّربة الصّالحة والرّديئة.

٩ ـ «يشقّ» يصعب «السّادات» جمع «سادة» جمع «سيّد».

١٠ ـ «وارث» نعت آخر لـ«سيّد» «سأّال» طلّاب و«بغير السيف» متعلّق به، أي: لم يرث ماله عن أبيه فيجهل قيمة ما يهبه من الموروث ولم يكن كَسُوْباً يطلب حاجاته بغير السّيف، والمراد: لا يدرك المجد إلّا من وهب من كسب لا من إرثٍ، وإن كسبه بالسّيف دون غيره لما فيه من المشقّة والمخاطرة بالرّوح.

١١ ـ الضّمير من «له» للسيّد، والجملة نعت آخَرُ له، و«الإمساك» البخل و«عذّال» صفة مبالغة من «العذل» وهو اللّوم، أي: قال له الزّمان بلسان حاله: إنّ المال لا يبقى على مالكه ففهم هذه المقالة عنه، وفرّق ماله في سبيل المجد. وقوله: «إنّ الزّمان» استئناف، أي: إنّ الزّمان يلوم أهله على البخل لأنّهم يفوتون كسب المحمدة والذّكر في استبقاء ما ليس بباقٍ.

١٢ ـ «القناة» عود الرّمح، أي: يعلم الرّمح في يده أنّه سيشقى به خيل وأبطال؛ لأنّه قد ⇐

أراد بـ«الحال» الغِنَى، فكأنّه انتزع من نفسه شخصاً آخر مثله في فقد الخيل، والمال، والحال، ومثله قول الأعشى:

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ[1] إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ   وَهَلْ تُطِيقُ وَداعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ

⇐ عوّده ذلك، وهذا البيت من صفة السّيّد أيضاً.

١٣ ـ «فاتك» اسم الممدوح وأراد بالكاف كاف التّشبيه الدّاخلة على «فاتك» و«المنقصة» النّقص، أي: لا يدرك المجد إلّا سيّد صفاته هذه الّتي ذكرت ثمّ استدرك فقال: دخول الكاف عليه ينقص من قدره في الظّاهر، لأنّه يوهم أنّ له شبيهاً وإنّما هو كالشمس إذا شبهت بها أحداً والشمس لا شبيه لها.

١٤ ـ «البرثن» مخلب الأسد و«بمثلها» صلة «غذّتها» و«الأشبال» جمع «شِبْل» ولد الأسد، أي: الّذي يقود إلى الحرب رجالاً كالأُسود تغذوهم يداه برجال مثلهم من الأعداء، أي: أنّهم يغنمهم إيّاهم وجعلهم كالأشبال له لأنّه يقوم بتغذيتهم.

١٥ ـ «به» صلة القتيل و«للسّيوف» خبر مقدّم عن «آجال» وقوله: «كما للنّاس»: «ما» مصدريّة، و«للنّاس» خبر عن محذوف، والتّقدير: «للسّيوف آجال كما للنّاس آجال» أي: لقوّة ضربته يقتل الفارس بالسّيف، فيكسر السّيف في المقتول، فكان ذلك قتلاً لكليهما وجعل كسر السيف قتلاً من باب الاستعارة للمشاكلة.

(١) **قوله: «ودّع هريرة»**. البيت من البسيط على العَروض التّامة المخبونة مع الضّرب المماثل، والقائل الأعشى الشّاعر الكبير في مطلع قصيدة يعاتب بها يزيد بن مُسْهِر الشّيباني:

وَدِّعْ هريرةَ إنّ الرَّكْبَ مُرْتحِلُ   وهل تُطِيْق وَداعاً أيّها الرَّجُلُ
غَرَّاءُ فَرْعاءُ مصقول عوارِضُهَا   تمشي الهُوَيْنَا كما يمشي الوَجَى الوَحِلُ
كأنّ مِشْيَتَها من بيت جارتها   مَرُّ السَّحَابة لا ريثٌ ولا عَجَلُ
تَسْمَعُ للحَلْيِ وَسْواساً إذا انصرفَتْ   كما استعان بريح عِشْرِقٌ زَجِلُ
ليست كمن يكره الجيرانُ طلعتها   ولا تراها لِسِرِّ الجار تختَتِلُ
يكاد يصرَعُها لولا تشدّدها   إذا تقوم إلى جاراتها الكَسَلُ
إذا تعالج قِرْناً ساعةً فترَتْ   واهتزّ منها ذَنُوب المَتْنِ والكَفَلُ

⇐

⇐ مِلْءُ الوِشاح وصفر الدّرع بَهْكَنَةٌ ... إذا تأتّى يكاد الخَصْرُ يَنْخَزِلُ
صدّتْ هريرةُ عنّا ما تكلّمنا ... جهلاً بأُمّ خُلَيْدٍ حَبْلَ من تَصِلُ
أأن رأت رجلاً أعشى أضرّ به ... ريبُ المنون ودهر مُفْنِدٌ خَبِلُ
نعم الضّجيع غداة الدّجن يصرعها ... لِلَذّةِ المرءُ لا جافٍ ولا تَفِلُ
هِرْكَوْلَة فُنُقٌ دُرْمٌ مَرافِقُها ... كأنّ أخمصها بالشّك مُنْتَعِلُ
إذا تقوم يضوعُ المسكُ أصوِرَةً ... والزَّنْبَقُ الوَرْدُ من أردانها شَمِلُ
ما روضةٌ من رِياض الحَزْن مُعْشَبَةٌ ... خَضْراءُ جاد عليها مُسْبِلٌ هَطِلُ
يُضَاحِكُ الشَّمْسَ منها كوكب شرِقٌ ... مُؤَزَّرٌ بعميم النَّبْتِ مُكْتَهِلُ
يوماً بأطيب منها نشر رائحةٍ ... ولا بأحسنَ منها إذ دنا الأُصُلُ
عُلِّقْتُها عَرَضاً وعُلِّقَتْ رَجُلاً ... غيري وعُلِّقَ أُخْرَى غيرها الرَّجُلُ
وعلَّقَتْهُ فَتَاةٌ ما يُحَاوِلُها ... مِنْ أهلها ميّت يهذي بها وَهِلُ
وعُلِّقَتْني أُخَيْرَى ما تُلَائِمُنِي ... فاجتمع الحُبَّ حبّاً كلّه تَبِلُ
فكلّنا مُغْرَمٌ يهذي بصاحبه ... ناءٍ ودانٍ ومحبولٌ ومُحْتَبِلُ
قالت هريرةُ لمّا جِئْتُ زائِرَها ... ويلي عليك وويلي منك يا رَجُلُ
يا مَنْ يَرَى عارضاً قد بِتُّ أَرْقُبُه ... كأنّما البرقُ في حافاته الشُّعَلُ
له رِدافٌ وجَوْزٌ مُفْأَمٌ عَمِلٌ ... مُنَطَّقٌ بسِجال الماء مُتَّصِلُ
لَمْ يُلْهِنِي اللّهو عنه حين أَرْقُبُه ... ولا اللّذاذة من كأس ولا الكَسَلُ
فقلت للشّرب في درنى وقد ثَمِلُوا ... شِيمُوْا وكيف يشيم الشّارب الثَّمِلُ
برقاً يُضِيءُ على أجزاع مَسْقِطِه ... وبالخَبِيَّةِ منه عارضٌ هَطِلُ
قالوا: نِمارٌ فبطنُ الخال جادهما ... فالعَسْجَدِيَّةُ فالأبلاءُ فالرَّجُلُ
فالسّفح يجري فخِنْزِيْرٌ فبُرْقَتُهُ ... حتّى تدافع منه الرَّبْوُ فالجَبَلُ
حتّى تحمّل منه الماءَ تَكْلِفَةً ... روضُ القَطَا فكثيبُ الغَيْنَةِ السَّهِلُ
يسقي دياراً لها قد أصبحت عُزُباً ... زوراً تجانف عنها القودُ والرَّسَلُ

⇐

⇐ وبلدةٍ مثل ظهر التُّرْسِ مُوْحِشَةٍ ... للجنّ بالليل في حافاتها زَجَلُ
لا يَتَنمَّى لها بالقيظ يركبها ... إلّا الّذين لهم فيما أتوا مَهَلُ
جاوزتُها بِطَلِيح جَسرةٍ سُرُحٍ ... في مِرْفَقَيْها إذا استعرضتَها فَتَلُ
إمَّا تَرَينا حُفَاةً لا بغالَ لنا ... إنّا كذلك ما نحفي ونَنْتَعِلُ
فقد أُخَالِسُ ربَّ البيت غَفْلَتَهُ ... وقد يحاذِرُ منّي ثمّ ما يَئِلُ
وقد أقودُ الصّبى يوماً فيَتْبَعُني ... وقد يُصَاحِبُني ذو الشّرّة الغَزِلُ
وقد غدوتُ إلى الحانوت يَتْبَعُني ... شاوٍ مِشَلٌّ شَلُوْلٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ
في فتيةٍ كسيوف الهند قد علموا ... أن ليس يَدْفَعُ عن ذي الحيلة الحِيَلُ
نازعتُهُم قُضُبَ الرَّيحان مُتَّكِئاً ... وقهوةً مُزَّةً راووقُها خَضِلُ
لا يستفيقون منها وهي راهنة ... إلّا بِهاتِ وإن عَلّوا وإن نَهِلُوا
يسعى بها ذُو زُجَاجَاتٍ له نُطَفٌ ... مُقَلِّصٌ أَسْفَلَ السِّرْبَالِ مُعْتَمِلُ
ومُسْتَجِيْبٍ تَخَالُ الصَنْجَ يَسْمَعُهُ ... إذا تُرَجِّعَ فيه القَيْنَةُ الفُضُلُ
مِن كلّ ذلك يوم قد لهوتُ به ... وفي التّجارب طُوْلُ اللّهو والغَزَلُ
والسّاحبات ذُيُولَ الخَزِّ آوِنَةً ... والرّافلاتُ على أعجازها العِجَلُ
أبلِغْ يزيدَ بني شيبان مَأْلُكةً ... أبا ثُبَيْتٍ أما تنفكّ تَأْتَكِلُ
ألستَ منتهياً عن نحت أَثْلَتِنا ... ولستَ ضائرها ما أطَّتِ الإِبِلُ
تُغْرِي بنا رهطَ مسعودٍ وإخوته ... عند اللقاء فتُرْدِي ثمّ تعتزل
لأعرفنّك إنْ جدّ النّفير بنا ... وشُبَّتِ الحربُ بالطُّوَّافِ واحتملوا
كناطح صَخْرَةً يوماً لِيَفْلِقَها ... فلم يَضِرْها وأوهى قرنَه الوَعِلُ
لأعرفنّك إنْ جَدَّتْ عداوتُنا ... والتُمِسَ النَّصْرُ منكم عوضُ تُحْتَمَلُ
تُلْزِمُ أرْماح ذي الجَدَّينِ سورتنا ... عند اللقاء فتُرْدِيهم وتَعْتَزِلُ
لا تَقْعُدَنَّ وقد أكّلتَها حَطَباً ... تعوذُ من شرّها يوماً وتَبتَهِلُ
قد كان في أهل كهفٍ إن هُمُ قعدوا ... والجاشريّة مَنْ يَسْعَى وينتضِلُ

⇐

[المبالغة]

﴿ومنه﴾ أي: من المعنويّ ﴿المبالغة المقبولة﴾ لأنّ المردودة لا تكون من المحسّنات.

وفي هذا إشارة إلى الرّدّ على من زعم أنّها مردودة مطلقاً؛ لأنّ خير الكلام ما خرج مخرج الحقّ وجاءَ على منهج الصّدق، كما يشهد له قول حسّان[١]:

⇐ سائِلْ بني أسدٍ عنّا فقد عَلِمُوا ... أن سوفَ يأتيك من أنبائنا شَكَلُ

واسأَلْ قُشَيْراً وعبدَالله كُلَّهم ... واسأل ربيعة عنّا كيف نَفْتَعِلُ

إنّا نقاتلهم ثُمَّتَ نَقْتُلُهم ... عِنْدَ اللقاءِ وهم جارُوْا وهم جَهِلُوا

كلّا زَعَمْتُم بأنّا لا نقاتلكم ... إنّا لأمثالكم يا قومنا قُتُلُ

حَتّى يظلّ عميدُ القومِ مُتَّكِئاً ... يدفع بالرّاح عنه نِسْوَةٌ عُجُلُ

أصابَهُ هِنْدُوانيّ فأقصِدَهُ ... أو ذابِلٌ من رماح الخطّ مُعْتَدِلُ

قد نطعَنُ العِيْرَ في مكنون فائله ... وقد يَشِيْطُ على أرماحنا البَطَلُ

هل تنتهونَ ولا ينهى ذوي شَطَطٍ ... كالطّعن يذهب فيه الزّيت والفُتُلُ

إنّي لعمرو الذي خَطَّتْ مناسِمُها ... له وسِيْقَ إليه الباقِرُ الغُيُلُ

لئن قتلتُم عميداً لم يكن صَدَداً ... لنقتلَنْ مِثْلَهُ منكم فنمتثِلُ

لئن مُنِيْتَ بنا عن غِبِّ معركةٍ ... لم تُلْفِنَا من دِماء القوم ننتفِلُ

نحن الفوارِس يوم الحِنْوِ ضاحيةً ... جنبي فُطَيْمَةَ لا ميلٌ ولا عُزُلُ

قالوا الرُّكوب فقُلْنَا: تلك عادتنا ... أو تنزلون فإنّا معشر نُزُلُ

وقد ضمّن المطلع عدّة من الشّعراء منهم ابن الرّومي وأبو نوّاس والحَمْدَويّ والحاجريّ.

(١) **قوله: «حسّان»**. أبو الوليد، ثمّ أبو الحُسام وأبو عبدالرَّحمن حَسَّان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عديّ بن عمرو بن مالك بن النّجار ـ تيم الله ـ بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة العَنْقاء ـ سمّي به لطول عنقه ـ بن عمرو بن عامر بن ماء السّماء بن حارثة الغطريف بن امرء القيس البطريق بن ثعلبة البُهلول بن مازن بن الأزد

⇐

⇐ بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ـ كما في «الأغاني» ـ.

الرّجل من الخزرج وأُمّه الفُرَيعة ابنة خالد بن قيس من الخزرج، وقد قيل: إنّه أشعر أهل المدر وكان أحد المعمّرين من المخضرمين، عمّر مائة وعشرين سنةً؛ ستّين في الجاهليّة وستّين في الإسلام، لم يختلفوا في ذلك وإن اختلفوا في سنة وفاته فقيل: سنة أربعون، وقيل: خمسون، وقيل: أربع وخمسون من الهجرة.

وكان الرّجل في بدء الدّعوة رجلاً صالحاً واقفاً إلى جانب رسول الله ومدافعاً عنه بلسان الشّعر، لكنّه بعد وفاة رسول الله ورحيله إلى الملأ الأعلى ارتدّ في المرتدّين فانتقل إلى جانب الخوارج الأُوْلى في السّقيفة ثمّ إلى جانب خوارج الشّام الأمويّين وأتباعهم ـ لعنهم الله ـ فأحبط أشعاره في مدح النبيّ وآله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وتوفّي مرتدّاً في زمن معاوية بن أبي سفيان ـ لعنه الله ـ.

قالوا: يُكنَى بأبي الوليد، وأبي المضرب، وأبي حسام، وأبي عبدالرحمن، والأوّل أشهر، وكان يقال له: الحسام. وذلك لكثرة دفاعه عن حامية الإسلام المقدَّس بشعره. وروى الحاكم عن المصعب أنّه قال: عاش حسّان ستّين في الجاهليّة وستّين في الإسلام. وذهب بصره وتُوفّي على قول سنة ٥٥ أعمى البصر والبصيرة كما نصّ عليه الصّحابيّ الكبير سيِّد الخزرج قيس بن سعد بن عبادة لمّا عزله أميرالمؤمنين ـ عليه السّلام ـ من ولاية مصر، ورجع إلى مدينة فإنّه حينما قدمها جاءه حسّان شامتاً به وكان عثمانيّاً بعد ما كان هاشميّاً فقال له: نزعك عليُّ بن أبي طالب وقد قتلتَ عثمان فبقي عليك الإثم ولم يحسن لك الشّكر. فزجره قيسٌ وقال: يا أعمى القلب وأعمى البصر؟ والله لولا أن ألقي بين رهطي ورهطك حرباً لضربت عنقك، ثمّ أخرجه من عنده. وله في مناقب أهل البيت ومثالب بني أُميّة أشعار كثيرة أسقطها من ديوانه أذناب الأمويّين بعده، فمن أشعاره في مناقب أهل البيت ما قال في أمير المؤمنين يذكر واقعة الغدير:

يُناديهمُ يومَ الغديرِ نبيُّهُمْ ... بِخُمٍّ وأَسْمِعْ بالنبيِّ مُنَادِيا

⇐

⇐ وقد جاءه جبريل عن أمر ربّه بأنّك معصومٌ فلا تَكُ وانيا
وبَلِّغْهُمُ ما أنزل اللهُ رَبُّهُم إليك ولا تَخْشَ هناك الأعاديا
فقام به إذ ذاك رافِعَ كفّه بكفِّ عليٍّ مُعْلِنَ الصّوت عاليا
فقال: فمن مولاكمُ ووليّكم؟ فقالوا ولم يُبْدُوا هناك تعاميا:
إلٰـهك مولانا وأنت وليّنا ولن تَجِدَنْ فينا لك اليوم عاصيا
فقال له: قم يا عليّ، فإنّني رَضِيْتُكَ من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنتُ مولاهُ فهذا وليّه فكونوا له أنصارَ صِدْقٍ مُوَاليا
هناك دعا اللّهُمَّ وَالِ وليّه وكُنْ لِلّذي عادى عليّاً مُعَادِيا
فيا ربّ، انصُر ناصريه لنصرهم إمام هُدًى كالبدر يجلو الدّياجيا

ومن شعر حسّان في أميرالمؤمنين ما ذكر له أبو المظفّر سبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص»، والكنجي الشّافعي في «كفاية الطّالب»، وابن طلحة الشافعي في «المطالب» وقال: فشت هذه الأبيات من قول حسّان وتناقلها سمعٌ عن سمعٍ ولسانٌ عن لسانٍ:

أنزل الله ـ والكتابُ عزيز ـ في عليٍّ وفي الوليد قُرَانَا
فَتَبَوَّا الوليدُ من ذاك فسقاً وعليٌّ مبوّأ إيمانا
ليس مَنْ كان مُؤْمِناً عَرَفَ اللّـ ـهَ كمن كان فاسقاً خوّانا
فعليٌّ يلقى لدى الله عِزّاً ووليدٌ يلقى هناك هَوَانا
سوف يُجزى الوليد خزياً وناراً وعليٌّ لا شكَّ يُجزى جِنانا

ورواها له ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» وفيه بعد البيت الثّالث:

سوف يُدعى الوليد بعد قليل وعليٌّ إلى الحساب عِيانا
فعليٌّ يُجزى بذاك جِناناً ووليدٌ يُجزى بذاك هوانا
رُبَّ جَدٍّ لعقبة بن أبان لابسٌ في بلادنا تُبّانا

أشار بهذه الأبيات إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناًكَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لاَ يَسْتَوُونَ** ﴾ ونزوله في عليّ ـ عليه السّلام ـ والوليد بن عقبة بن أبي معيط فيما شجر بينهما، أخرج ⇐

⇐ الطّبري في تفسيره بإسناده عن عطاء بن يسار قال: كان بين الوليد وعليّ كلامٌ فقال الوليد: أنا أبسط منك لساناً، وأحدُّ منك سناناً، وأردُّ منك للكتيبة، فقال عليّ: اسكت فإنّك فاسقٌ. فأنزل الله فيهما: «أفمَن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً» الآية.

وفي «الأغاني» و«تفسير الخازن» كان بين عليّ والوليد تنازعٌ وكلامٌ في شيء، فقال الوليد لعليّ: اسكت فإنّك صبيٌّ وأنا شيخ، والله إنّي أبسط منك لساناً، وأحدُّ منك سناناً، وأشجع منك جَنَاناً، وأملأ منك حشواً في الكتيبة. فقال له عليٌّ: اسكت فإنّك فاسق. فأنزل الله هذه الآية.

وأخرجه الواحدي بإسناده من طريق ابن عبّاس في «أسباب النزول» ومحبّ الدّين الطّبري في «الرّياض» عن ابن عبّاس وقتادة من طريق السّلفي والواحدي، وفي «ذخائر العقبى»، والخوارزمي في «المناقب» والكنجي في «الكفاية»، والنّيسابوري في تفسيره.

ومن شعر حسّان في أميرالمؤمنين ما ذكر له أبو المظفّر سبط ابن الجوزيّ الحنفيّ في «تذكرته»:

مَن ذا بخاتمه تصدَّق راكعاً ... وأسرَّها في نفسه إسرارا
مَن كان بات على فِراش مُحَمَّدٍ ... ومحمَّدٌ أسرى يؤمُّ الغارا
مَن كان في القرآن سُمِّي مؤمناً ... في تِسْعِ آياتٍ تُلِيْنَ غِزَارا

في البيت الأوّل إيعازٌ إلى مأثرة تصدّقه -صلوات الله عليه- خاتمه للسّائل راكعاً وفيها نزل قوله -تعالى-: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾ الآية.

وبثاني الأبيات أشار إلى حديث أجمعت الأُمّة عليه من أنّ عليّاً -عليه السّلام- لبس بُرد النبيّ -صلّى الله عليه وآله- الحضرميّ الأخضر، ونام على فراشه -ليلة هرب النبيّ من المشركين إلى الغار- وفدّاه بنفسه ونزلت فيه: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ٢٠٧].

ومن شعر حسّان في أميرالمؤمنين:

أبا حسنٍ تَفْدِيْكَ نفسي ومُهْجَتي ... وكُلُّ بَطِيءٍ في الهُدَى ومُسَارِعِ

⇐

⇐ أيذهب مدحي والمحبّين ضائعاً؟ ... وما المدح في ذات الإله بضائعِ
فأنت الّذي أعطيت إذ أنت راكعٌ ... فَدَتْكَ نفوسُ القوم يا خيرَ راكعِ
بخاتمك الميمون يا خيرَ سيِّدٍ ... ويا خيرَ شارٍ ثمَّ يا خيرَ بائعِ
فأنزل فيك اللهُ خيرَ ولاية ... وبيَّنها في محكمات الشَّرائعِ

نظم بها حديث تصدّق أميرالمؤمنين ـ عليه السّلام ـ خاتمه للسائل راكعاً ونزول قوله ـ تعالى ـ: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاة وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾**.

ذكرها لحسّان الخطيب الخوارزمي في «المناقب»، وصاحب «الفرائد» في الباب التّاسع والثّلاثين من «فرائد السّمطين». وصدر الحفّاظ الكنجيّ في «الكفاية»، وسبط ابن الجوزي في «التّذكرة» وجمال الدين الزّرندي في «نظم درر السّمطين».

ومن شعر حسّان في أميرالمؤمنين:

جبريلُ نادى مُعْلِناً ... والنَّقْعُ ليس بمُنْجَلِي
والمسلمون قَدَ آحْدَقُوا ... حول النبيَّ المُرْسَلِ
لا سيفَ إلّا ذو الفقا ... رِ ولا فتى إلّا علي

يشير بها إلى ما هتف به أمين الوحي جبرئيل ـ عليه السّلام ـ يوم أُحد في عليّ وسيفه. أخرج الطبري في تاريخه عن أبي رافع قال: لَمّا قَتل عليٌّ بن أبي طالب يومَ أُحد أصحاب الألوية أبصر رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ جماعةً من مشركي قريش فقال لعليّ: احمل عليهم، فحمل عليهم ففرَّق جمعهم، وقتل عمرو بن عبدالله الجمحي، قال: ثمّ أبصر رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ جماعةً من مشركي قريش فقال لعليّ: احمل عليهم. فحمل عليهم ففرَّق جماعتهم وقتل شيبة بن مالك، فقال جبريل: يا رسول الله، إنّ هذا للمواساة. فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: إنّه منّي وأنا منه. فقال جبريل: وأنا منكما. قال فسمعوا صوتاً:

لا سيف إلّا ذو الفِقا ... ر ولا فتى إلّا علي

⇐

⇐ وأخرج أحمد بن حنبل في «الفضائل» عن ابن عبّاس، وابن هشام في سيرته عن ابن أبي نُجيح، والخثعمي في «الروض الأُنف» وابن أبي الحديد في «شرح النّهج» وقال: إنّه المشهور المرويّ.

ومن شعره فيه ـ عليه السّلام ـ:

وكان عليٌّ أرمدَ العين يبتغي ... دواءً فلمّا لم يُحِسَّ مُداوِيا
شفاه رسول الله منه بتفلةٍ ... فبورك مرقيّاً وبورك راقيا
فقال: سأعطِي الرّاية اليوم ضارباً ... كَمِيّاً مُحِبّاً للرّسول مُوَالِيا
يحبُّ إلهي والإلَه يحبّه ... به يفتح الله الحُصُون الأوابيا
فخَصَّ بها ـ دون البريّة كلّها ـ ... عليّاً وسمّاه الوزير المُؤاخِيا

هذه الأبيات إشارة إلى حديث صحيح متواتر أخرجه أئمّة الحديث وهو انّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال يوم خيبر: «لأُعطينّ هذه الرّاية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله» قال: فبات النّاس يدوكون [أي: يخوضون] ليلتهم أيّهم يُعطاها، فلمّا أصبح الناس غدوا على رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ كلّهم يرجو أن يُعطاها، فقال: أين عليّ بن أبي طالب؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه فأُتي به فبصق رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ في عينيه ودعا له فبرأ حتّى لم يكن به وجعٌ فأعطاه الرّاية، فقال عليّ: يا رسول الله، أُقاتلهم حتّى يكونوا مثلنا؟ فقال: أُنفُذْ على رِسْلِكَ حتّى تَنْزِلَ بساحتهم ثمّ ادعُهُمْ إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لَأَنْ يهدي الله بك رجلاً خيرٌ لك من أن يكون لك حمر النِّعم وفي لفظه الآخر: ففتح الله عليه.

ومن شعره فيه ـ عليه السّلام ـ:

جزى الله خيراً والجزاء بكفّه ... أبا حسن عنّا ومَن كأبي حَسَنْ؟
سبقتَ قريشاً بالّذي أنت أهله ... فصدرك مشروحٌ وقلبك مُمْتَحَنْ
تمنّت رجالٌ من قريش أعزَّةٌ ... مكانَكَ هَيْهاتِ الهُزالُ من السِّمَنْ

⇐

⇐ وأنت من الإسلام في كلِّ منزل ... بمنزلة الطِّرْفِ البُطَيْنِ من الرَّسَنْ
غَضِبْتَ لنا إذ قال عمرو بِخَصْلَةٍ ... أماتَ بها التّقوى وأحيى بها الإِحَنْ
وكنتَ المُرَجَّى من لُؤَيٍّ بن غالب ... لما كان منه والّذي بعدُ لم يَكُنْ
حَفِظْتَ رسول الله فينا، وعهده ... إليك، ومَن أولى به منك مَن ومَنْ ؟
ألستَ أخاه في الهدى ووصيَّه ... وأعلمَ فِهْرٍ بالكتاب وبالسُّنَنْ ؟
فحقّك ما دامت بنجد وشيجةٌ ... عظيمٌ علينا ثمَّ بعدُ على اليَمَنْ

قوله: «فصدرك مشروحٌ». إشارة إلى ما ورد في قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ** ﴾ فإنّها نزلت في عليّ وحمزة. رواه الحافظ محبّ الدين الطبري في رياضه عن الحافظين الواحدي وأبي الفرج، وفي ذخائر العقبى.

قوله: «وقلبك ممتَحن». أشار به إلى النبويّ الوارد في أميرالمؤمنين: إنّه امتحن الله قلبه بالإيمان، أخرجه جمعٌ من الحفّاظ والعلماء منهم: النسائي في «خصائصه»، والتّرمذيّ في «الصحيح»، والخطيب البغدادي في «تاريخه»، والبيهقي في «المحاسن والمساوي»، ومحبّ الدّين الطّبريّ في «الرّياض»، و«ذخائر العقبى» وقال: أخرجه الترمذي وصحّحه، والكنجي في «الكفاية»، وقال: هذا حديثٌ عالٍ حسنٌ صحيحٌ، والحَمُّوييّ في الباب الثّالثة والثّلاثين من «فرائد السّمطين»، والسّيوطيّ في «جمع الجوامع» بعدَّة طرق كما في «كنز العمّال»، والبدخشي في «نزل الأبرار» وغيرهم.

قوله: «ألست أخاه في الهدى ووصيّه». أوعز به إلى حديثي الإخاء والوصيّة وهما من الشّهرة والتّواتر بمكان عظيم يجدهما الباحث في جلّ مسانيد الحفّاظ والأعلام.

قوله: «وأعلم فهرٍ بالكتاب وبالسنن». أراد به ما ورد في علم عليّ أميرالمؤمنين بالكتاب والسنّة. أخرج الحفّاظ عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ في حديث فاطمة ـ سلام الله عليها ـ: «زوَّجتكِ خير أهلي أعلمهم علماً، وأفضلهم حلماً، وأوّلهم إسلاماً». وفي حديث آخر: «أعلم أُمَّتي من بعدي عليُّ بن أبي طالب». وفي ثالث: «أعلم النّاس بالله وبالنّاس».

⇐

⇐ ومن شعره في مثالب بني أُميّة قطعة قالها لهند بنت عتبة بن ربيعة ـ وهي أُمّ معاوية بن أبي سفيان ـ وقفت في «وقعة أُحد» ومعها بعض النّسوة يمثّلن بقتلى المسلمين ويجدّعن بآذانهم وأُنوفهم، وتجعلها هند قلائد وخلاخيل. كانت دائماً تحرِّض المشركين على المسلمين، وكانت ممّن أهدر النبيّ دماءَهم يوم فتح مكّة، وأشهر ألقابها: هند آكلة الأكباد. لأنها حاولت أن تأكل كبد حمزة عمّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ فصيّره الله في فمها حَجَراً فلفظته:

لِمَنِ الصَّبِيُّ بِجَانِبِ البَطْحَاء ... في التُّرْبِ مُلْقىً، غيرَ ذي مَهْدِ
نَجَلَتْ بِهِ بَيْضَاءُ آنِسَةٌ، ... مِنْ عَبْدِ شمسٍ، صَلْتَةُ الخَدّ
تَسْعَى إلى الصُّيَّاحِ مُعْوِلَةً ... يَا هِنْدُ إنّكِ صُلْبَةُ الحَرْدِ
فإذا تَشَاءُ دَعَتْ بِمِقْطَرَةٍ ... تَذْكَى لَها بِأَلُوَةِ الهِنْدِ
غَلَبَتْ على شَبَهِ الغُلامِ، وَقَدْ ... بَانَ السَّوَادُ لِحالِكٍ جَعْدِ
أشِرَتْ لَكاعِ، وكانَ عَادَتُها ... دَقُّ المُشَاشِ بِناجِذٍ جَلْدِ

ومن شعره أيضاً قطعة قالها فيها ـ أي: في هِنْدٍ ـ:

لمَنْ سَوَاقِطُ صِبْيَانٍ مُنَبَّذَةٍ، ... بَاتَتْ تَفَحَّصُ في بَطحاءِ أجيادِ
بَاتَتْ تَمَخَّضُ، ما كانتْ قَوابلُها ... إلّا الوُحوشَ، وإلّا جِنّةَ الوَادي
فِيهِمْ صَبِيٌّ لَهُ أُمٌّ لَها نَسَبٌ، ... في ذُرْوَةٍ مِن ذُرَى الأحسابِ، أيّادِ
تقولُ وَهْناً، وقدْ جَدّ المَخاضُ بها: ... يا لَيْتَني كُنْتُ أرْعى الشَّوْلَ للغادي
قَدْ غادَرُوهُ لِحُرّ الوَجْهِ مُنعَفِراً، ... وخالُها وأبُوهَا سَيّدُ النّادي

ومن شعره أيضاً قصيدة قالها يهجو أبا سفيان بن حرب وزوجتها الفاحشة هند بنت عتبة:

أشِرَتْ لَكاعِ وكانَ عادَتَها ... لُؤْمٌ إذا أشِرَتْ مَعَ الكُفْرِ
لعن الإله وزوجها معها ... هند الهنود طويلة البظر
أخرَجْتِ مُرْقِصَةً إلى أُحُدٍ، ... في القَوْمِ مُعْنِقَةً على بَكْرِ

⇐

وَإِنَّمَا الشِّعْرُ لُبُّ الْمَرْءِ يَعْرِضُهُ[١] عَلَى الْمَجَالِسِ إنْ كَيْساً وَإنْ حُمُقَا

⇐ بَكرٍ ثَفَالٍ، لا حَراكَ بِـهِ، لا عَـنْ مـعاتَبَةٍ ولاَ زَجْـرِ
وَعَـصَاكِ إسـتكِ تـتّقينَ بِـهِ دقَّ العـجاية عـارِيَ الفـهرِ
قَرِحَتْ عَجِيزَتُها ومَشْـرَجُهَا مِـنْ نَـصّهَا نَـصّاً عَـلى القَـهْرِ
ظَـلّتْ تُـداويـها زَمـيلَتُها، بِـالماء تَـنْضَحُهُ وبِـالسِّدْرِ
أقْـبَلْتِ زَائـرَةً مُـبادِرَةً بأبـيكِ وابـنِكِ يـوْمَ ذي بَـدْرِ
وَبِـعَمّكِ المَسْـلوبِ بِـزّتَهُ، وأخيكِ مُنْعفِرَيْنِ فـي الجَـفْرِ
وَنَسِيتِ فـاحِشَةً أتَـيْتِ بِـها، يا هِندُ، وَيْـحَكِ سُبَّةَ الدّهـرِ
فَـرَجعتِ صَـاغِرَةً، بـلا تِـرَةٍ مـمّا ظَـفِرْتِ بِـهِ، ولا وَتْـرِ
زَعَـمَ الوَلائِـدُ أنّـها وَلَـدَتْ وَلَداً صَـغِيراً، كـانَ مِـنْ عَـهْرِ

ومن شعره قطعة قالها لعمرو بن العاص السّهميّ المنتقل إلى جهنّم سنة ٤٣هـ:

زَعَـمَ ابْـنُ نَـابِغَةَ اللّـئِيمُ بِأَنَّـنا لا نـجْعَلُ الأحْسَـابَ دُونَ مُـحَمّدِ
أمْـوالُـنَا وَنُـفُوسُنَا مِـنْ دُونِـهِ، مَـنْ يَـصْطَنِع خَـيْراً يُـثَبْ ويُـحمَّدِ
فِـتْيَانُ صِـدْقٍ، كـاللّيوثِ، مَسَـاعِرٌ، مَـنْ يَـلقَهُمْ يَـوْمَ الهِـيَاجِ يُـعَرِّدِ
قَـوْمُ ابْـنِ نَـابِغَةَ اللِّـئَامُ أذِلَـةٌ، لا يُـقْبلونَ عـلى صَـفِيرِ المُـرْعَدِ
وبَـنَى لَـهُمْ بَـيْتاً أبـوكَ مُـقصِّراً كُـفْراً وَلؤمـاً، بِـئسَ بَـيْتُ المَـحتِدِ

وهذه الأبيات موجودة في كتب التّراجم والأخبار حذفها من ديوانه هُوَاة بـني أُمـيّة واثبتناها قربة إلى الله وإعانةً للتّاريخ، والعجب من الرّجل أنّه قال هذه الأبيات في عـهد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ثمّ تغيّر بعده ودخل تحت لواء بني أُميّة الكفرة الفجرة ـ لعنهم الله عن بكرة أبيهم ـ فهو يعرف طبائع الأمويّين وأنّهم جُبِلوا على الكفر والإلحاد ثمّ كيف ينحرف عن أميرالمؤمنين ـ عليه السّلام ـ وهو سمع من رسول الله فيه: «عليٌّ مـع الحقّ والحقّ مع عليّ لا يفترقان». نعم الجواب عند أميرالمؤمنين عـليّ ـ عـليه السّـلام ـ حيث قال: حَلِيَتِ الدُّنْيا في أَعْيُنِهِمْ ورَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا.

(١) **قوله: «وإنّما الشّعر لُبّ المرء يعرِضُهُ»**. البيتان مـن البسـيط عـلى العـروض المـخبونة مـع الضّرب المخبون، والقائل حسّان بن ثابت الأنصاريّ ـ كما نصّ عليه الشّارح ـ.

فَــإِنَّ أَشْــعَرَ بَــيْتٍ أَنْتَ قَــائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ ـ إِذَا أَنْشَــدْتَهُ ـ: صَـدَقَا

وعلى مَنْ زعم أنّها مقبولة مطلقاً، بل الفضل مقصور عليها؛ لأنّ أحسن الشّعر أكذبه وخير الكلام ما بولغ فيه.

ولهذا استدرك النّابغة على حسّان في قوله:

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ[1] يَلْمَعْنَ بِـالضُّحىٰ وَأَسْـيَافُنا يَـقْطُرْنَ مِـنْ نَـجْدَةٍ دَمـا

---

(١) **قوله: «لنا الجَفَنات الغُرُّ»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المماثل والقائل: حسّان، من قصيدة طويلة يذكر مفاخره في سُوْقِ «عُكاظ» عند حَكَمِها النّابغة الذُّبياني وهي:

ألمْ تَسألِ الرَّبــعَ الجــديدَ التّكــلُّما، بــمَدْفَعِ «أشْــداخٍ» فـ«بُــرْقةِ أظْــلما»

أبَــى رَسْــمُ دارِ الحــيّ أن يــتكلّما، وهل ينطِقُ المعروفَ مَن كـان أبكـما

بقاعِ «نـقيعِ الجِـزْعِ» مـن بـطن «يَـلبَنٍ» تَــحَمّلَ مــنهُ أهــلُهُ، فــتَتَهَّمَا

دِيــارٌ لِشَــعْثاءِ الفُــؤادِ وَتِــرْبِها، ليــاليَ تــحتَلُّ «المَـرَاضَ» فـ«تـغلَما»

وإذْ هــيَ حَــوْراءُ المَـدَامِعِ تـرْتعي بــمُنْدفَعِ الوَادي أراكــاً مُــنظَّما

أقــامتْ بـهِ بِـالصّيْفِ، حـتّى بـدا لهـا نَشــاصٌ، إذا هــبّتْ له الرّيــحُ أرْزَمـا

وقــدْ ألّ مــن أعــضادِهِ، ودَنــا لَــهُ مــن الأرضِ دانٍ جـوْزُهُ، فـتحمحما

تَــحِنُّ مَــطافِيلُ الرِّبــاعِ خــلالَهُ، إذا استنّ، فـي حـافاته البـرْقُ، أثـجَما

وكــادَ بأكــنافِ العــقِيقِ وَئِــيدُهُ يَـحُطُّ، مــن الجَمّاءِ، رُكـناً مُـلمْلَما

فـلمّا عَــلا «تُــرْبانَ» وانــهلّ وَدْقُــهُ، تَـداعَــى، وألقــى بَــرْكَــهُ وَتَــهَزّما

وَأصْــبَحَ مِــنْهُ كــلُّ مَـدفَعِ تَـلْعَةٍ يكُبُّ العِــضَاهَ ســيْلُهُ مــا تــصرّما

تَــنادَوْا بــليْلٍ، فـاستقلّتْ حـمولُهُمْ، وعــالَيْنَ أنْـماطَ الدِّرَقْـلِ المُـرَقَّما

عَسَــجْنَ بأعْــناقِ الظّــباءِ، وأبـرَزَتْ حَـواشـي بُـرُودِ القِـطرِ وَشـياً مُـنمنَما

فأنّــى تَــلاقِيها، إذا حَــلَّ أهْــلُها بِـ«وادي يَـمانٍ» مـنْ غِـفارٍ وأسـلَما

تَـلاقٍ بـعيدٌ، واخـتلاقٌ مـن النّـوى، تَـلاقِيكَها، حـتّى تُـوَافِـيَ مَـوْسِما

⇐

حيث استعمل جمع القِلّة[1] أعني: «الجفنات» و«الأسياف» وذكر وقت الضَّحْوَة

⇐ سأُهدي لها في كلّ عامٍ قَصِيدَةً، ... وَأقعُدُ مَكْفِيّاً بِيثرِبَ مُكرَمَا

ألسْتُ بِنِعمَ الجارُ يولِفُ بيْتَهُ ... لذي العُرْفِ ذا مالٍ كثيرٍ ومُعدِما

وَنَدمانِ صِدْقٍ تمطُرُ الخيرَ كفُّهُ، ... إذا رَاحَ فيّاضَ العشيّاتِ خِضْرِما

وَصَلْتُ بهِ رُكني، وَوَافقَ شيمتي، ... ولم ألُكْ عِضَاً في النّدامى مُولَّما

وأبقى لَنا مَرُّ الحُرُوبِ، وَرُزْؤها، ... سُيوفاً، وأدرَاعاً، وجمعاً عرَمرَما

إذا اغبَرَّ آفَاقُ السّماءِ، وأمحَلَتْ ... كأنَّ عَلَيْها ثوْبَ عَصْبٍ مُسهَّما

حسِبْتَ قدُورَ الصّادِ، حوْل بيوتِنا، ... قنابلَ دُهماً، في المحلّةِ، صُيَّما

يظلُّ لَدَيْها الوَاغلونَ كأنّما ... يوافونَ بحراً، من «سُميحةَ» مُفعَما

لنا حاضرٌ فَعْمٌ، وَبَادٍ كأنّهُ ... شماريخُ «رَضْوَى» عِزَّةً، وتَكرُّما

مَتى ما تَزِنّا من معَدٍّ بعُصْبَةٍ، ... وغسّانَ، نمنَعْ حوْضَنا أن يُهَدَّما

بكلّ فتًى عاري الأشاجِعِ، لاحَهُ ... قِرَاعُ الكُمَاة، يرْشحُ المِسْكَ والدّما

إذا استدبَرَتنا الشّمسُ درّتْ مُتونُنا، ... كأنّ عرُوقَ الجوْفِ ينضَحن عَندما

وَلدْنا بَني العنْقاءِ وابنيْ مُحرِّقٍ، ... فأكرِمْ بنا خالاً وأكرِمْ بنا ابنما

نسوّدُ ذا المالِ القليلِ، إذا بَدَتْ ... مُرُوءتُهُ فِينا، وإن كانَ مُعدِما

وإنّا لنَقري الضّيفَ، إن جاء طارِقاً، ... من الشحم، ما أمسى صَحيحاً مسلَّما

ألسنا نرُدُّ الكَبشَ عن طِيّة الهوَى، ... ونَقلِبُ مُرّانَ الوَشيج مُحطَّما

وكائنْ تَرَى من سيّد ذي مَهابةٍ، ... أبوه أبونا، وابنُ أُختٍ ومَحْرَما

لَنا الجَفَناتُ الغُرُّ يلمعنَ بالضُّحى، ... وأسيافُنا يقطُرْنَ من نجدةٍ دمَا

أبَى فِعلُنا المعرُوف أن ننطِقَ الخنا، ... وقائِلُنا بالعُرْفِ إلّا تكلُّمَا

أبَى جاهُنا عندَ المُلوكِ وَدَفعُنا ... ومِلْءُ جِفانِ الشِّيزِ، حتّى تهزَّما

فكلُّ مَعَدٍّ قد جَزَيْنا بصُنْعِهِ، ... فبُؤْسَى بِبُؤْساها، وبالنُّعم أنعُما

(١) **قوله: «حيث استعمل جمع القلّة»**. روى أبوالفرج في «الأغاني» عن ابن قتيبة أنّ نابغة بني ذُبْيَان كان تُضرَبُ له القُبّة من أَدَمٍ بسوق عُكاظ يجتمع إليه فيها الشّعراء فدخل إليه حسّان ⇐

⇐ بن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشده شعره وأنشدته الخنساء قولها:

* قذى بعينك أم بالعين عُوَّار *

حتّى انتهت إلى قولها:

وإنّ صخراً لتأتمّ الهُداة به كأنّه عَلَمٌ في رأسه نارُ

وإنّ صخراً لَمَولانا وسيّدنا وإنّ صخراً إذا نشتو لَنَحّارُ

فقال: لولا أنّ أبا بصير أنشدني قبلك لقلت: «إنّكِ أشعر النّاس، أنتِ والله أشعر من كلّ ذات مثانةٍ» قالت: «والله ومن كلّ ذي خُصْيَتَين» فقال حسّان: «أنا والله أشعر منك ومنها» قال: حيث تقول ماذا؟ قال: حيث أقول:

لنا الجَفَناتُ الغُرّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى وأسيافنا يقطُرْن من نَجْدةٍ دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرِّق فأَكْرِمْ بنا خالاً وأكرِمْ بنا ابنما

فقال: «إنّك شاعر لولا أنّك قللت عدد جفانك، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك». وفي رواية أُخرى: فقال له: إنّك قلت: «الجَفَنات» فقللت العدد، ولو قلت: «الجِفان» لكان أكثر، وقلت: «يلمعن في الضُّحَى» ولو قلت: «يبرقن بالدُّجَى» لكان أبلغ في المديح، لأنّ الضيف بالليل أكثر طروقاً، وقلت: «يقطرن من نجدةٍ دما» فدللت على قلّة القتل، ولو قلت: «يجرين» لكان أكثر لانصباب الدّم، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك، فقام حسّان منكسراً منقطعاً.

قال الجعفريّ: يظهر ممّا ذكره أبو الفرج في «الأغاني» أنّ جمع السّالم أيضاً من أوزان جمع القلّة وأنّ أوزانه أكثر ممّا عليه المشهور وهو الأربعة المتداولة بينهم من «أفعال» و«أفعُل» و«أفعِلة» و«فِعْلة» وزاد بعضهم وزن «فَعَلَة» أيضاً. قال الفيّوميّ في «المصباح»:

فصل: الجمع قسمان جمعُ قلّة وجمع كثرةٍ فجمع القلّة قيلَ: خمسة أبنية جمعت أربعة منها في قولهم:

بأفعُلٍ وبأفعالٍ وأفعلةٍ وفِعْلَةٍ يُعرَف الأدنى من العدد

والخامس جمع السّلامة مذكّرهُ ومؤنّثه، ويقال: إنّه مذهب سيبويه، وذهب إليه ابنُ ⇐

⇐ السّرّاج كما ستعرفه من بعدُ وعليه قول حسّان:

لَنَا الجفنات الغُرّ يلمعن في الضُّحى وأسيافنا يقطرن من نجدةٍ دما

ويُحكى أنّ النّابغة لمّا سمع البيتَ قال لحسّان: قلّلت جِفانك وسيوفك، وذهب جماعةٌ إلى أنّ جمعي السّلامة كثرةٌ، قالوا: ولم يثبت النّقل عن النّابغة، وعلى تقدير الصّحّة فالشّاعر وضع أحد الجمعين موضع الآخر للضّرورة ولم يرد به التّقليل.

وقيل: مشترك بين القليل والكثير وهذا أصحّ من حيث السّماع.

قال ابن الأنباري: كلّ اسم مؤنّثٍ يجمع بالألف والتّاء فهو جمعُ قلّةٍ نحو الهِندات والزّينبات وربّما كان للكثير وأنشد بيت حسّان.

وقال ابن خروفٍ: جمعا السّلامة مشتركان بين القليل والكثير، ويؤيّد هذا القول قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ**﴾. المراد أيّام التّشريق وهي قليلٌ، وقال: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ**﴾ وهذه كثيرة.

وقيل: اسم الجنس وهو ما بين واحدِهِ وجمعه الهاء، وكذلك اسم الجمعِ نحوُ «قومٍ» و«رهطٍ» من جموع القلّة.

وبعضهم يُسقِط «فِعْلَةً» من جموع القلّة؛ لأنّها لا تنقاس ولا توجد إلّا في ألفاظ قليلةٍ، نحو: «غِلْمةٍ» و«صِبْيةٍ» و«فِتْيَةٍ». وهذا كلّه إذا كان الاسم ثُلاثيّاً وله صيغةُ الجمعَين.

فأمّا إذا كان زائداً على الثّلاثة نحو «دراهم» و«دنانير» أو ثُلاثيّاً وليس له إلّا جمعٌ واحدٌ نحو «أسبابٍ» و«كُتُبٍ» فجمعه مشترك بين القليل والكثير. لأنّ صيغته قد استُعمِلَت في الجمعين استعمالاً واحداً، ولا نصّ أنّه حقيقةٌ في أحدهما مجازٌ في الآخر، ولا وجه لترجيح أحد الجانبين من غير مرجّحٍ، فوجب القول بالاشتراك، ولأنّ اللّفظ إذا أُطلِق فيما له جمعٌ واحدٌ نحو «دراهم» و«أثوابٍ» توقّف الذّهنُ في حمله على القليل والكثير، حتّى يَحْسُن السّؤال عن القلّة والكثرة، وهذا مِن علامات الحقيقة، ولو كان حقيقةً في أحدهما مجازاً في الآخر لتبادر الذّهن إلى الحقيقة عند الإطلاق، وقد نصّوا على ذلك على سبيل

⇐

وهو وقت تناول الطّعام، وقال «يقطرن» دون «يَسِلْنَ» و«يَفِضْنَ» أو نحو ذلك.

[تفسير المبالغة]

بل المذهب المَرْضِيّ أنّ المبالغة منها: مقبولة، ومنها: مردودة، فالمصنّف أشار إلى تفسير المبالغة مطلقاً، وإلى تقسيمها؛ ليتعيّن المقبولة من المردودة، ولذا لم يقل: «وهي» بل قال: ﴿ **والمبالغة أن يدّعى** ﴾ لوصف ﴿ **بلوغه ـ في الشّدّة أو الضّعف ـ حدّاً** ﴾ ـ مفعول «بلوغه» ـ ﴿ **مستحيلاً أو مستبعداً** ﴾ وإنّما يدّعى ذلك

⇐ التّمثيل فقالوا: ويُجمع «فِعْلٌ» على «أفعُل» نحو «رِجْلٍ» تُجمع على «أرجل» ويكون للقليل والكثير، وقال ابن السّرّاج: وقد يجيء «أفعالٌ» في الكثرة قالوا: «قَتَبٌ» و«اقتابٌ» و«رَسَنٌ» و«أرسان» والمراد وقد يستعمل في الكثرة كما استُعمِل في القلّة.

وأمّا إذا كان له جمعان نحو «أفلُسٍ» و«فلوسٍ» فهاهنا يحسن أن يقال: وُضِع أحد الجمعين موضع الآخر.

وأمّا ماله جمع واحد فلا يحسن أن يقال فيه ذلك إذ ليس له جمعان وضع أحدهما موضع الآخر، بل يُقال فيه: إنّه هنا جمع قلّة أو كثرةٍ.

ثمّ جمع القلّة من ثلاثة إلى عشرة وجمع الكثرة من أحد عشر إلى ما فوقه.

قال ابن السّرّاج: مِن أبنية الجموع ما بُني للأقلّ من العدد وهو العشرة فما دونها، ومنها ما بُنِي للكثرة وهو ما جاوز العشرة فمنها ما يُستعمَل في غير بابه ومنها ما يُقتَصَر فيه على بناء القليل في القليل والكثير، ومنها ما يُستغنى فيه بالكثير عن القليل، فالّذي يُستغنى فيه ببناء الأقلّ عن الأكثر نجده كثيراً، والاستغناء بالكثير عن القليل نحو «ثلاثة شُسُوعٍ» و«ثلاثةُ قروء».

وممّا يجب التّنبيه عليه أنّ الخِلاف في القلّة والكثرة فيما تقدّم ـ من التّكسير والتّصحيح، وأسماء الجموع واسم الجنس ـ حاصل عند تنكير ما ذكر وأمّا عند تعريفها بـ «أل» أو الاضافة فهي صالحة للأمرين على احتمال الجنسيّة أو الاستغراقيّة.

وأيضاً ما ذكره في ابتداء الجمعين هو رأي الجمهور، واختار السّعد أنّ مبدأ كلّ من الجمعين ثلاثة وانتهاء القلّة عشرة، ولا نهاية للكثرة.

﴿لئلّا يظنّ أنّه﴾ أي: ذلك الوصف ﴿غير متناهٍ فيه﴾ أي: في الشّدّة والضّعف، وتذكير الضّمير باعتبار عوده إلى أحد الأمرين.

[أقسام المبالغة]

[مبالغة التّبليغ]

﴿وتنحصر﴾ المبالغة ﴿في التّبليغ، والإغراق، والغلوّ؛ لأنّ المدّعى إن كان ممكناً عقلاً وعادة فتبليغ، كقوله﴾ أي: قول امرئ القيس يَصِفُ فرساً له[1] بأنّه

---

(١) **قوله: «يصف فرساً له»**. هو أُستاذ الشّعر في هذا المضمار ومن اشتهاره به قال المفضّل بين قدماء الشّعراء: أشعرهم امرؤ القيس إذا رَكِبَ، والنّابغة إذا رَهِبَ، وزهير إذا رَغِبَ، وأعشى إذا طَرِبَ ـ كما في «التّذكرة الحمدونيّة» ـ أي: امرؤ القيس في وصف الفرس، والنّابغة في الاعتذار، فإنّه خاف من النّعمان فقدّم اعتذاره واعتذاريّاته معروفة مطلعها:

أتاني ـ أبيتَ اللعن ـ أنّك لُمْتَني ... وتلك الّتي أهتمّ منها وأنصَبُ

وزهير في المدح، لأنّه يرغَبُ ويطمَعُ في المال فيمدَحُ صاحب المال، والأعشى إذا قال في وصف الخمر، وما استشهدبه هاهنا بيت من معلّقته يقول فيها:

وقد أغْتَدي والطّيرُ في وُكُناتِها ... بمُنجَرِدٍ قَيدِ الأوابِدِ هَيْكَلِ

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً ... كجُلمودِ صَخْرٍ حطّه السّيلُ من علِ

كُمَيتٍ يَزِلّ اللِّبْدُ عن حاذِ مَتنِهِ ... كمَا زَلّتِ الصّفواءُ بالمُتَنَزِّلِ

على العَقْبِ جَيّاشٍ كأنّ اهتزامَهُ ... إذا جاشَ فيهِ حَميُهُ غَلي مِرْجَلِ

يَسَحُّ إذا ما السّابحاتُ على الوَنَى ... أثَرْنَ غُباراً بالكَديدِ المُرَكَّلِ

يَزِلّ الغُلامَ الخِفَّ عَن صَهوَاتِهِ، ... ويُلوي بأثوابِ العَنيفِ المُثَقَّلِ

دَريرٍ كخُذْروفِ الوَليدِ أمَرَّهُ ... تَتابُعُ كَفّيهِ بخَيطٍ مُوَصَّلِ

لَهُ أيْطَلا ظَبيٍ وساقَا نَعامَةٍ، ... وإرخاءُ سِرحانٍ وتَقريبُ تَتْفُلِ

ضَليعٍ إذا استَدبَرْتَهُ سَدّ فَرجَهُ ... بضافٍ فُوَيقَ الأرضِ لَيسَ بأعزَلِ

كأنّ سَراتَهُ لدَى البَيتِ قائماً ... مَداكُ عَروسٍ أو صَلايَةُ حَنظَلِ

⇐

لا يَعْرَقُ وإن أكثر العَدْو: ﴿ فَعادىٰ عِداءً ﴾ في «الصّحاح»[1]: العِداء: ـ بالكسر والمدّ ـ الموالاة بين الصّيدين تصرع أحدَهما على إِثْرِ الآخر في طَلَقٍ واحد ﴿ بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ ﴾ أراد بالثّور الذَّكَر من بقر الوحش، وبالنَّعْجَة الأُنثى منها ﴿ دِراكاً ﴾ متتابعاً ﴿ فَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ ﴾ مجزوم معطوف على «يَنْضَح» أي: لم يَعْرَقْ فلم يُغْسَل.

ادّعى أنّ هذا الفرس أدرك ثوراً وبقرة وحشيّين في مِضْمَار واحد ولم يَعْرَق، وهذا ممكن عقلاً وعادةً.

[مبالغة الإغراق]

﴿ وإن كان ممكناً عقلاً، لا عادة، فإغراق كقوله ﴾:

﴿ وَنُكْرِمُ جَارَنَا[2] مَا دَامَ فِينَا وَنُتْبِعُهُ الكَرَامَةَ حَيْثُ مَالاَ ﴾

⇐ كأنّ دِماءَ الهادِياتِ بِنَحْرِهِ عُصارَةُ حِنّاءٍ بشَيْبٍ مُرَجَّلِ
فَعَنَّ لَنا سِربٌ كأنّ نِعاجَهُ عَذارَى دَوَارٍ في مُلاءٍ مُذَيَّلِ
فأدْبَرْنَ كالجِزْعِ المُفَصَّلِ بَينَهُ بجِيدِ مُعَمٍّ في العَشيرَةِ مُخوَلِ
فألْحَقَنَا بالهَادِياتِ ودُونَهُ جَواحِرُها في صَرّةٍ لَمْ تَزَيَّلِ
فَعادَى عِداءً بَينَ ثَورٍ ونَعجَةٍ دِراكاً ولمْ يَنْضَحْ بماءٍ فيُغْسَلِ
فظَلّ طُهاةُ اللّحم ما بَينَ مُنضِجٍ صَفيفَ شِواءٍ أو قَديرٍ مُعَجّلِ
ورُحنا يَكادُ الطَّرْفُ يَقصُرُ دُونَهُ متى ما تَرَقَّ العَينُ فيهِ تَسَفَّلِ
فَباتَ عَلَيْهِ سَرْجُهُ ولِجامُهُ وباتَ بعَيْني قائِماً غَيرَ مُرْسَلِ

(١) ٦: ٢٤٢٠.

(٢) **قوله: «ونكرم جارنا»**. البيت اليتيم من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب المماثل والقائل عمرو بن الأهتم وهو عمرو بن سِنان بن سميّ التميميّ المنقريّ أبو ربعيّ الشّاعر المخضرم المتوفّى سنة ٥٧هـ.

⇐

ادّعى أنّ جاره لا يميل عنه إلى جانب إلّا وهو يرسل الكرامة والعطاء على أثره، وهذا ممكن عقلاً، ممتنع عادة. ﴿ **وهما** ﴾ أي: التّبليغ، والإغراق ﴿ **مقبولان** ﴾.

[مبالغة الغلوّ]

﴿ **وإلّا** ﴾ أي: وإن لم يكن ممكناً لا عقلاً ولا عادة ـ لامتناع أن يكون ممكناً عادة، ممتنعاً عقلاً[1] ـ ﴿ **فغلوّ، كقوله** ﴾ أي: قول أبي نُؤَاس:

﴿ **وَأَخَفْتَ أَهْلَ الشِّرْكِ حَتّىٰ أَنَّـهُ** ﴾ الضّمير للشّأن. ﴿ **لَتَخَافُكَ النُّطَفُ الَّتي**

⇐ ولقّب أبوه بالأهتم، لأنّ ثنيته هتمت يوم الكُلاب، والشّاعر نجديّ كان مدعوّاً بـ«المُكَحَّل» لجماله في شبابه، وفد على النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ فأسلم ولقي إكراماً وحفاوةً، قيل: لمّا تكلّم بين يدي النّبيّ أعجبه كلامه فقال: إنّ من البيان لسحراً. قال الجاحظ في «البيان والتبيُّن»:

كان شعره في مجالس الملوك حللاً منتشرة تأخذ منه ما شاءت. ولم يكن في بادية العرب في زمانه أخطب منه وهو صاحب البيت المشهور:

لعمري ما ضاقت بلاد بأهلها ... ولكنّ أخلاق الرّجال تضيق

وقال العسكريّ في «الصّناعتين»: البيت لعمير بن الأهتم التغلبيّ.

وقال قدامة في «نقد الشعر»: عمير بن الأيهم التغلبيّ.

(١) **قوله: «لامتناع أن يكون ممكناً عادة ممتنعاً عقلاً»**. دفع سؤال وهو أنّ الأقسام المتصوّرة أربعة:

الأوّل: الممكن عقلاً وعادةً.

الثّاني: الممكن عقلاً لا عادةً.

الثّالث: عكسه.

الرّابع: الممتنع عقلاً وعادةً، والمصنّف لمّا ذكر الأوّلين قال: «وإلّا» ويندرج فيه الأخيران معاً، ولكن الشّارح استثنى به الرّابع فقط، وكأنّه يقال له: لم خصّصته بالقسم الرّابع؟ فيقول: لامتناع القسم الثّالث خارجاً، وإنّما هو متصوّر ذهناً فقط.

لَمْ تُخْلَقِ ﴾[١].

---

(١) قوله: «وأخفتَ أهل الشّرك حتّى أنّه». البيت لأبي نؤاس، من قصيدة من الكامل يمدح بها الرّشيد ـ لعنه الله ـ أوّلها:

خَـلَقَ الزّمـانُ وشِـرَّتِي لم تـخلق ... ورَمَـيْتُ فـي غـرضِ الزّمـانِ بأفـوقِ
تـقعُ السِّـهامُ وَراءهُ وكأنّـهُ ... أثـرَ الخـوالفِ طـالبٌ لم يـلحَقِ
وأرَى قُـوايَ تكـاءدَتْهَا رَيـثةٌ ... فـإذا بـطشتُ بـطشتُ رِخْـوَ المـرْفقِ
ولقـدْ غـدوْتُ بـدستبان مـعلم ... صخب الجلاجل في الوظيف منسّق
حـرّ صـنعناه لتـحسن كَـفُّه ... عـملَ الرفـيقة واسـتلابَ الأخـرَق

واستمرّ في وصف البازي إلى أن قال:

هـذا أمـيرُ المـؤمنينَ انْـتاشني ... والنـفْسُ بـينَ مـحنجر ومُـخنَّقِ
نـفسي فِـداؤكَ يـوْمَ دابـقَ مِـنهما ... لولا عـواطِـفُ حِـلمهِ لم أُطـلَقِ
حـرّمت مـنْ لحـمي عـليكَ مُـحلّلاً ... وجَـمعتَ مـنْ شـتّى إلى مُـتفرّقِ
فاقذِفْ بـرَحلكَ فـي جنابِ خـليفةٍ ... سـبّاقِ غـاياتٍ بـها لم يُسـبَقِ

إلى أن قال:

إنّـي حَـلفتُ عَـليكَ جـهدَ أليّـةٍ ... قسـماً بكـلِّ مُـقصّرٍ ومُـحلّقِ
لقـدِ اتّـقيتَ اللهَ حَـقّ تُـقاتهِ ... وجـهدْتَ فـيهِ فـوقَ جـهدِ المُـتّقي

وبعده البيت، وبعده:

وبـضاعةُ الشُّـعراء إنْ أنـفقتها ... نـفقتْ وإنْ أكسـدْتَهَا لم تـنفُقِ

والشاهد في البيت: الغلو، وهو: ادّعاء ما لا يمكن عقلاً ولا عادة، فإنّه ادّعى أنّ النُّطَفَ غير المخلوقة تخاف من سطوته، وهذا ممتنع عقلاً وعادة.

ومن ألطف ما يحكى هنا أنّ العَتَّابي الشّاعر لَقِيَ أبا نؤاس فقال له: أما استحييت من الله بقولك: * وأخفت أهل الشرك ـ البيت *

فقال له أبو نؤاس: وأنت ما استحييت من الله بقولك [من البسيط]:

ما زلتُ في غَـمراتِ المـوتِ مُـنطرحـاً ... يـضيقُ عـنّي وسـيعُ الرَّأي مـنْ حِـيلي

⇐

ادّعى أنّه يخاف من الممدوح النُّطَف الغير المخلوقة، وهذا ممتنع عقلاً وعادةً.

[أصناف مبالغة الغلوّ]

[الصّنف الأوّل]

﴿ والمقبول منه ﴾ ـ أي: من الغلوّ ـ أصناف؛ منها: ﴿ **ما أُدخل عليه ما يقرِّبه إلى الصِّحَّة نحو لفظة «يكاد» في: ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾[١]** ﴾ وعليه بيت السَّقْط[٢]:

⇐ فلمْ تزَلْ دائماً تَسعى بِلطفكَ لِي حتّى اختلَسْتَ حياتِي منْ يدَيْ أجَلي

فقال له العتّابي: قد علم الله وعلمت أنّ هذا ليس مثل ذاك، ولكنّك أعددت لكلّ ناصح جواباً.

وقد استعمل أبو نؤاس معنى البيت ثانياً، فقال من قصيدة أُخرى [من الكامل]:

حتّى الذِي فـي الرّحـمِ لم يكُ صـورةً لفـؤادهِ مـنْ خـوفهِ خـفقانُ

* * *

(١) النّور: ٣٥.

(٢) **قوله: «بيت السّقط»**. أي: في القصيدة الأُولى من قصائد السّقط من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب المماثل وهي طويلة يقول فيها:

سَـرَى بَـرْقُ المَـعَرّةِ بَـعدَ وَهـنٍ، فـباتَ بِـرامَـةٍ يَـصِفُ الكَـلالا
شَـجَا رَكْـباً وأفْـراسـاً وإبْـلاً، وزاد، فكـاد أنْ يَشْـجو الرِّحـالا
بـها كـانتْ جـيادُهُمُ مِـهاراً، وهُـمْ مُـرْداً، وبُـزْلُهُمُ فِـصالا
وَمَـنْ صَـحِبَ اللّـيالي عَـلّمَتْهُ خِـداعَ الإلْـفِ، والقِـيلَ المُـحالا
وغَـيّرَتِ الخُـطوبَ عـليه، حـتّى تُـريهِ الذَّرَّ يَـحْمِلْنَ الجِـبالا
فـلَيْتَ شَـبَابَ قَـوْمٍ كـان شَـيْباً، ولَـيْتَ صِـباهُمُ كـان اكـتِهَالا
صَـحِبْنا بـالبُدَيّة، مِـن حُـصَيْنٍ وحِصْنٍ، شَرَّ مَن صَحِبَ الرّجـالا
إذا سُقِيَتْ ضُيوفُ النـاسِ مـحضاً، سَـقَوْا أضـيافَهُمْ شَـبِماً زُلالا

⇐

شَـجا رَكْـباً وَأَفْـراسـاً وَإِبْـلاً وَزَادَ، فَكَادَ أَنْ يَشْجُو الرِّحالا

[الصّنف الثّاني]

﴿و﴾ منها ﴿**ما تضمّن نوعاً حَسَناً من التّخييل، كقوله**﴾ أي: قول أبي الطّيّب: ﴿**عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا**﴾ الضّميران للجِياد، أي: عقدت سَنَابِكُ تلك الجِياد فوق رؤوسها ﴿**عِثْيَراً**﴾ أي: غباراً ﴿**لَوْ تَبْتَغي**﴾ تلك الجِياد ﴿**عَنَقاً**﴾ هو نوع من السّير ﴿**عَلَيْهِ**﴾ أي: على ذلك العِثْيَرِ ﴿**لأَمْكَنا**﴾[1] أي: أمكن العَنَق.

⇐ ولكِنْ بالعَواصِمِ، من عَـدِيّ، أمـــيرٌ لا يُكَـلِّفُنا السّـؤالا

إذا خَـفَقَتْ لمَـغْرِبِها الثّـريّا، تَـوَقّتْ مـن أسِـنّتِهِ اغْـتِيالا

ولو شمْسُ الضّحى قَدَرتْ لعادتْ مُشَـرِّقَةً، إذا رأتِ الزّوالا

(١) **قوله: «عقدت سنابكها عليها عِثْيَراً»**. البيت لأبي الطيّب المتنبّي، وهو من قصيدة من الكامل، يمدَحُ بها ابن عمّار، أوّلها:

الحبُّ مـا مـنعَ الكـلامَ الألسُـنَا وألذُّ شكْـوَى عـاشقٍ مـا أعـلنَا

ليتَ الحبيبَ الهاجري هَجْرَ الكَرَى مِنْ غيرِ جُرْم واصلِي صِلةَ الضـنى

بـنًا فَـلوْ حـاوَلْتَنا لمْ تَـدْرِ مَـا ألوانـنا مـمّا امـتقِعْنَ تَـلوُّنَا

وتَـوَقّدَتْ أنْـفَاسُنَا حَـتّى لَـقَدْ أشـفَقْتُ تـحترِقُ العـواذلُ بـينَنا

إلى أن قال:

طَـرِبَتْ مَـرَاكـبُنا فـخلنا أنّـها لولا حـياءٌ عـاقَها رَقَـصتْ بـنَا

أقـبلت تـبسمُ والجـيادُ عـوابسٌ يَخببنَ بـالحلق المـضاعفِ والقَـنَا

وبعده البيت، وبعده:

وَالأمـرُ أمـرُكَ والقـلوبُ خَـوافـقٌ فـي مـوقفٍ بـينَ المـنيّةِ وَالْـمُنَى

فعجبتُ حتّى ما عجبتُ مِنَ الظـبَا وَرَأيتُ حـتّى مـا رأيتُ مـن السَـنا

وهي طويلة.

و«السنابك»: جمع «سُنبك» ـ بضَمّ أوّله وثالثه ـ وهو طرَفُ الحافرِ، و«العِثْيَر» ـ بكسر ⇐

ادّعى أنّ الغبار المرتفع مِنْ سَنَابِكِ الخيل قد اجتمع فوق رؤوسها ـ متراكماً متكاثفاً ـ بحيث صار أرضاً يمكن أن تسير عليها تلك الجِياد، وهذا ممتنع عقلاً وعادةً لكنّه تخييل حَسَن.

[الصّنف الثّالث]

﴿ **وقد اجتمعا** ﴾ أي: إدخال ما يقرِّب إلى الصّحّة وتضمّن نوع حسن من التّخييل ﴿ **في قوله** ﴾ أي: قول القاضي الأَرَّجَانِيّ[١] يَصِفُ طُوْلَ اللّيل:

⇐ أوّله ـ التّراب والعجاج، و«العَنَقُ» ـ محرّكة ـ سيرٌ مستطرد للإبل والدابّة.

والشاهد فيه: الغلوّ المقبول، وهو: ما تضمّن معنى حسناً من التخييل، فإنّه ادّعى أنّ الغبار المرتفع من سنابك الخيل قد اجتمع فوق رؤوسها متراكماً متكاثفاً بحيث صار أرضاً يمكن أن تسير عليها تلك الجياد، وهذا ممتنع عقلاً وعادة، لكنّه تخييلٌ حسن.

(١) **قوله: «القاضي الأرّجاني»**. هو أحمد بن محمّد بن الحسين بن عليّ ناصح الدّين وهو منسوب إلى أرّجان ـ بتشديد الرّاء المفتوحة وبالجيم ـ وهي من كُوَر الأهواز من بلاد خوزستان، وأكثر النّاس يقولونها بالرّاء المخفّفة، واستعملها المتنبّي في شعره كذلك، وكان القاضي المذكور أحد أفاضل الزّمان، كامل الأوصاف، لطيف العبارة، غوّاصاً على المعاني، إذا ظَفِرَ بالمعنى لا يَدَعُ فيه لمن بعده فضلاً، قال أبوالقاسم هبة الله بن الفضل الشّاعر: كان الغزّي صاحب معنىً لا لفظٍ، وكان الأبيورديُّ صاحب لفظٍ لا معنى، وكان القاضي أبوبكر صاحب لفظ ومعنى. قال ابن الخشّاب: والأمر كما قال، وأشعارهم تُصدق هذا الحكم إذا تؤمّلت، وكان في عنفوان شبابه بالمدرسة النّظامية بأصبهان وكان ينوب في القضاء ببلاد خوزستان تارة بتستر وتارة بعسكر مكرم، ومن شعره في ذلك:

ومِنَ النّوَائِب أنّني ... في مِثْل هذا الشّغْل نائِبْ
ومِنَ العَجَائِبِ أنّ لي ... صبراً على هذِي العَجَائِبْ

وكان فقيهاً شاعراً ولذلك قال:

أنا أفْقَهُ الشُّعَراءِ غيرَ مُدافع ... في العَصْر لا بَلْ أشْعَرُ الفُقَهاءِ

⇐

﴿ يُخَيَّلُ لِي أَنْ سُمِّرَ الشُّهْبُ فِي الدُّجىٰ   وَشُدَّتْ بِأَهْدَابِي إِلَـيْهِنَّ أَجْـفَانِي ﴾(١)

أي: يوقع في خَيَالي أنّ الشُّهب محكمة بالمسامير لا تزول عن مكانها، وأنّ

⇐ شِـعْرٌ إذا مـا قُـلْتُ دَوَّنَـهُ الوَرَى   بـــالطَّبْع لا بـــتكلُّفِ الإلقـــاءِ
كـالصَّوْتِ فـي قُـلَلِ الجِـبَال إذا عـلا   لِـلـسَّمْع هـاجَ تَـجَاوُبَ الأَصـداءِ

وقد قدم الأرجاني بغداد مرّات، توفّي بـ«تستر» سنة أربع وأربعين وخمسمائة ومولده سنة ستّين واربعمائة ـ كما ذكره الصّفدي في «الوافي بالوفيات» ـ.

(١) **قوله: «يُخَيَّلُ لي أن سُمِّرَ الشهب في الدُّجى»**. البيت للقاضي الأرّجاني، من قصيدة من الطّويل، يمدح بها شمس الملك عثمان بن نظام الملك، أوّلها:

أأجـفانُ بـيضٍ هـنَّ أم بـيضُ أجـفَانِ   فـوَاتِكُ لا تُـبْقِي عـلى الدَّنِـف العـاني
صـــوارمُ عشّـاق يُـقَتِّلْنَ ذا الهَـوى   ومِـن دونـها أيـضاً صـوارمُ فـرسانِ
مـررْتُ بـنعمان فـما زلتُ واجـداً   إلى الحول نَشْرَ المسكِ من بطن نعمانِ
سَـوافـر فـي خـضرِ المـلاءِ سَـوائـر   كما ماس في الأوراق أعطاف أغـصانِ
وقـد أطـلعت وردَ الخُـدودِ نَـواضـرا   ومن دونـها شـوكُ القَـنا فَـمَنِ الجـاني

إلى أن قال:

وقـفتُ بـها صبحاً أُنـاشدُ مـعشَرِي   وأُنْشِـدُ أشـعاري وأنْشُـدُ إخـوانـي
ولمّـــا تـوسّمتُ المـنازلَ شـاقني   تـــذكرُ أيّـــامِ عـــهدتُ وإخـــوانِ
مـضَتْ ومَـضَوْا عـنّي فـقلتُ تأسُّـفاً   قِـفَانبكِ مـن ذكـري أُنـاسٍ وأزمـانِ
تأوّبـــني ذكـــرُ الأحـــبّةِ طَـارِقاً   وللّـيْلِ فـي الآفـاقِ وقـفةُ حـيرانِ
وأرَّقـــني وَالمشـــرَفيُّ مُـضَاجِعي   سـنَا بـارِقٍ أسْـرَى فَـهَيَّجَ أحـزانِـي
ثـــلاثَةُ أجـفانٍ فـفي طـيّ واحـدٍ   غِـرار وخـالٍ مـن غِـرَارَيـهمَا اثـنانِ

وبعده البيت، وبعده:

نـــظرْتُ إلى البـرْق الخـفيّ كأنّـهُ   حـديثٌ مُـضاعٌ بـينَ سِـرّ وإعـلانِ
وبـاتَ له مـنّي وَقـد طَـنَّبَ الدُّجَـى   كَـلُوءُ اللـيالي طـرفهُ غـير وَسْنَانِ

وهي طويلة. والشّاهد في البيت: إدْخال شيء على الغلوّ يقربه إلى الصّحّة، مع تضمّنه نوعاً حسناً من التّخييل.

أجفانَ عيني قد شُدّت بأهدابها إلى الشُّهب لطول سَهَري في ذلك اللّيل، وعدم انطباقها والتقائها، وهذا أمر ممتنع عقلاً وعادةً، لكنّه تخييل حَسَن، ولفظ «يخيّل» ممّا يقرّبه إلى الصّحّة.

[الصّنف الرّابع]

﴿و﴾ منها ﴿**ما أُخرج مخرج الهَزْلِ والخَلَاعة كقوله**﴾:

﴿أَسْكَرُ بالأَمْسِ[1] إنْ عَزَمْتُ عَلَى الـ ـشُـرْبِ غَـداً إنَّ ذَا مِـنَ العَـجَبِ﴾

[المذهب الكلاميّ]

﴿ومنه﴾ أي: المعنويّ ﴿**المذهب الكلاميّ، وهو إيراد حجّة للمطلوب على طريقة أهل الكلام**﴾ وهو أن تكون بعد تسليم المقدّمات مستلزمة للمطلوب ﴿**نحو: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[2]**﴾ واللّازم ـ وهو فساد السّماوات والأرض ـ باطل، لأنّ المراد به خروجهما عن النّظام الّذي هما عليه، فكذا الملزوم ـ وهو تعدّد الآلهة ـ.

---

(١) **قوله: «أسكَرُ بالأمس»**. البيت من مدوّر المنسرح على العروض الثّانية المطويّة ـ «مفتعلن» ـ مع الضّرب المماثل، والقائل ـ كما نصّ عليه السيّد في «أنوار الرّبيع» ـ أبو الشّكر محمود بن سليمان بن سعيد المَوْصِليّ المعروف بابن المحتسب من قصيدةٍ:

أَمُـرُّ بـالكَرْمِ خَـلْفَ حـائطه تأخـذني نَشْـوةٌ مـن الطَّـرَبِ

أسْكَرُ بالأمس إن عزمتُ على الـ ـشُرْبِ غـداً إنّ ذا مـن العَـجَبِ

* * *

(٢) الأنبياء: ٢٢.

[ردّ الجاحظ]

وفي التّمثيل بالآية ردّ على «الجاحظ» حيث زعم[١] أنّ «المذهب الكلاميّ» ليس في القرآن، وكأنّه أراد بذلك ما يكون برهاناً، وهو القياس المؤلّف من المقدّمات اليقينيّة القطعيّة الّتي لا يحتمل النّقيض بوجهٍ مّا، وتعدّد الآلهة ليس قطعيّ الاستلزام للفساد وإنّما هو من المشهورات الصّادقة.

﴿**وقوله**﴾ أي: قول النّابغة[٢] من قصيدة يعتذر فيها إلى النُّعْمَان بن المُنْذِر،

---

(١) **قوله: «ردّ على الجاحظ حيث زعم»**. هذا ردّ على ابن المعتزّ لا الجاحظ، لأنّ الجاحظ لم يزعمه وإنّما زعمه ابن المعتزّ وإنّما للجاحظ التّسمية فقط، قال ابن المعتزّ في كتاب «البديع»: الباب الخامس من البديع وهو مذهب سمّاه عمرو الجاحظ «المذهب الكلاميّ» وهذا باب ما أعلم أنّي وجدتُ في القرآن منه شيئاً، وهو ينسب إلى التّكلّف، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً اهـ.

فترى الزّاعم ابن المعتز لا الجاحظ ـ كما نسب إليه ـ والدّليل على صدق هذه الدّعوى أيضاً قول العسكريّ ـ في الفصل الثّامن والعشرين من كتاب «الصّناعتين» في المذهب الكلامي ـ: جعله عبدالله بن المعتزّ الباب الخامس من البديع وقال: ما أعلم أنّي وجدت شيئاً منه في القرآن وهو ينسب إلى التكلّف، فنسبه إلى التكلّف وجعله من البديع اهـ.

وأمّا قول ابن المعتزّ: «الباب الخامس من البديع» فلأنّه جعل البديع خمسة أبوابٍ فقط: أوّلها: الاستعارة، ثمّ التّجنيس ثمّ المطابقة ثمّ ردّ الأعجاز على الصّدور ثمّ المذهب الكلاميّ، وعدّ ما سوى هذه الخمسة أنواع محاسن، واباح أن يسمّيها من شاء ذلك بديعاً.

(٢) **قوله: «النّابغة»**. هو حَكَمُ «عُكاظ» زياد بن عمرو بن معاوية بن ضِبَاب بن جابر بن يربوع بن غَيْظ بن مُرَّة بن عوف بن سعد بن ذُبْيَان بن بغيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نزار بن معدّ بن عدنان.

كُنيته: «أبو أُمامة» و«أبو ثُمامة» بابنتين له. ولقبه: النّابغة، واختلف في سبب تلقيبه به على ثلاثة أقوالٍ:

⇐

وقد كان مدح آل جَفْنَةَ بالشّام فتنكّر النُّعْمَان من ذلك:

﴿ حَلَفْتُ وَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ﴾(١) هي ما يريب الإنسان ويُقْلِقُهُ، وأراد به

⇐ ١ ـ فقال بعضهم: لقوله:

وحَلَّتْ في بني القَيْنِ بن جَسْرٍ	وقد نبغت لنا منهم شؤونُ

٢ ـ وقال آخر: لأنّه قال الشّعر بعد أن كَبِرَ سنّه، والعرب تقول: «نَبَغَ الرَّجُلُ، يَنْبُغُ» إذا أجاد الشّعر من دون أن يرثه من آبائه.

٣ ـ وقال ثالث: لأنّه أحسن الشّعراء مطلعاً وأجزلهم بيتاً وأكثرهم رونقاً وسلاسةً فتغنّى النّاس به والعرب تقول: «نَبَغَتِ الحَمَامة» إذا تغنّت.

اتّصل بالنّعمان بن المنذر بعد اتّصاله بأبيه وجدّه وكان عنده حظيّاً يأكل في آنية الذّهب والفضّة من جوائزه، إلى أن حسده حواشي المَلِك فتذرّعوا بقصيدته الّتي قالها في وصف «المتجرّدة» زوجته بطلب من النُّعْمان نفسه، فهدّده النّعمان بالقتل فخرج من عنده إلى عمرو بن الحارث الغسّاني بالشّام وما زال عنده إلى أن بلغه مرض النّعمان فقدّم إليه أروع قصائد العرب في الاعتذار فبقي عنده طويلاً.

والنّابغة أشعر الشّعراء في فنّ الاعتذار، ولذا قيل عندما سُئل عن أشعرهم: «النّابغة إذا رَهِبَ» أي: خاف وفرّ واعتذر.

(١) **قوله: «حلفت ولم أترك لنفسك ريبة»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المشابه ويعتذر به النّابغة إلى النّعمان بن المنذر ويمدحه في قصيدةٍ وجيزة يقول فيها:

أتاني أبَيْتَ اللّعنَ أنّكَ لمتَني،	وتِلكَ الّتي أَهتَمُّ مِنها وأَنْصَبُ
فبِتُّ كأنّ العائِداتِ فرَشْنَني	هَراساً، به يُعلى فِراشي ويُقْشَبُ
حَلَفْتُ، فلم أتْرُكْ لنَفسِكَ ريبَةً،	وليسَ وراءَ اللهِ للمَرْءِ مَذهَبُ
لئِنْ كنتَ قد بُلّغتَ عنّي خِيانَةً،	لَمُبْلِغُكَ الواشي أَغَشُّ وأكذَبُ
ولكِنّني كنتُ امرَأً ليَ جانِبٌ	منَ الأرضِ، فيه مُستَرادٌ ومذهَبُ
مُلوكٌ وإخوانٌ، إذا ما أتَيتُهُمْ،	أُحَكَّمُ في أمْوالِهِمْ، وأُقَرَّبُ

⇐

الشّكّ. ﴿ وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَطْلَبُ ﴾ أي: هو أعظم المطالب والحَلِف به أعلى الأحلاف.

﴿ لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً * لَمُبْلِغُكَ الْوَاشِي أَغَشُّ ﴾ من «غشّ» ـ إذا خان ـ ﴿ وَأَكْذَبُ ﴾ واللّامُ في «لئن كنت» موطّئة للقسم(١)، وفي «لمبلغك» جواب القسم.

﴿ وَلٰكِنَّنِي كُنْتُ امْرَءاً لِيَ جَانِبٌ * مِنَ الأَرْضِ فِيه ﴾ أي: في ذلك الجانب وأراد به الشّام. ﴿ مُسْتَرَادٌ ﴾ أي: موضع يتردّد فيه لطلب الرّزق، ومُنتجع ـ من «راد الكَلَأ» و«ارتاده» ـ ﴿ وَمَذْهَبٌ * مُلُوكٌ ﴾ أي: في ذلك الجانب ملوك، ﴿ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَا مَدَحْتُهُمْ * أُحَكَّمُ في أَمْوَالِهِمْ وَأُقَرَّبُ * كَفِعْلِكَ ﴾ أي: يجعلونني حَكَماً في أموالهم، مقرَّباً منهم، رفيع المنزلة عندهم، كما تفعل أنت ﴿ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَنَعْتَهُمْ ﴾ وأحسنت إليهم ﴿ فَلَمْ تَرَهُمْ فِي مَدْحِهِمْ لَكَ أَذْنَبُوا ﴾ يعني: لا تَلُمْنِي ـ ولا تعاتبني على مدح آل جفنة وقد أحسنوا إليّ ـ كما لا تلوم قوماً مَدَحوك

⇐ كفعلِكَ في قَوْمٍ أراكَ اصْطَنَعْتَهُمْ، فلم تـرَهُمْ، في شكرِ ذلك، أذْنَبُوا
فلا تَتْرُكَنّي بالوَعيدِ، كأنّني إلى النّاسِ مَطليٌّ به القارُ، أجْرَبُ
ألمْ تَرَ أنّ اللهَ أعطاكَ سُورَةً، ترى كلّ مَلْكٍ، دونَها، يتذَبذَبُ
فإنّكَ شَمسٌ، والملوكُ كواكِبٌ، إذا طَلَعَتْ لم يَبدُ منهنّ كوكَبُ
ولَستَ بمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمّهُ على شَعَثٍ، أيُّ الرّجالِ المُهَذَّبُ ؟
فإنْ أكُ مَظلوماً؛ فعَبدٌ ظَلَمتَهُ؛ وإنْ تكُ ذا عُتبَى؛ فمثلُكَ يُعتِبُ

(١) قوله: «واللّامُ في «لئن كنت» موطئة للقسم». وجواب الشّرط محذوف بدليل القاعدة الّتي ذكرها ابن مالك:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخّرت فهو ملتزم
وإن تواليا وقبل ذو خبر فالشّرط رَجّحْ مطلقاً بلا حذر
وربّما رجّح بعد قَسَمِ شرط بلا ذي خبرٍ مقدّمِ

* * *

وقد أحسنت إليهم، فكما أنّ مدح أُولئك لك لا يعدّ ذنباً كذلك مَدْحي لمن أحسن إليّ[(١)].

وهذه الحجّة على صورة التّمثيل الّذي يسمّيه الفقهاء قياساً، ويمكن ردّه إلى صورة قياس استثنائيّ بأن يقال: لو كان مدحي لآل جفنة ذنباً لكان مدح ذلك القوم لك أيضاً ذنباً، لكنّ اللّازم باطل فكذا الملزوم.

وممّا ورد على صورة القياس الاقترانيّ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ** ﴾[(٢)] أي: الإعادة أهون وأسهل عليه من البَدْءِ، وكلّ ما هو أهون فهو أدخل في الإمكان، فالإعادة أدخل في الإمكان.

وقوله ـ تعالى ـ حكايةً عن إبراهيم ـ على نبيّنا وآله وعليه السّلام ـ: ﴿ **فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ** ﴾[(٣)] أي: القمر أفل، وربّي ليس بآفِل؛ فالقمر ليس بربّي.

[حسن التّعليل]

﴿ ومنه ﴾ أي: من المعنويّ **﴿ حسن التّعليل وهو أن يُدَّعَى لوصف علّة مناسبة**

---

(١) وأحسن من قول النّابغة في المذهب الكلاميّ قول بعضهم:

مـا المسلمون بأمّةٍ لمحمّدٍ ... كـلّا ولكـن أمّـة لعـتيق

جَاءَتْهُمُ الزّهراء تَطْلُبُ إرْثَـهَا ... فـتقاعسوا عنها بكـلّ طـريقِ

وتألّـبوا لقـتال آل مـحمّدٍ ... لمـا أتَـتْهُم ابـنةُ الزّنـديق

فـقعودهم عـن هـذه وقـيامهم ... مع هـذه يكـفي عـن التّـحقيق

وقوله:

وفدتُ عـلى الكـريم بـغير زادٍ ... من الحسنات والقـلب السّـليم

وحـمل الزّاد أقـبح كـلّ شـيءٍ ... إذا كـان الوفـود عـلى الكـريم

(٢) الرّوم: ٢٧.

(٣) الأنعام: ٧٦.

له باعتبار لطيف غير حقيقيّ[١] ﴾ أي: بأن تنظر نظراً يشتمل على لطف ودقّة ولا يكون موافقاً لما في نفس الأمر، يعني: يجب أن لا يكون ما اعتبر علّة لهذا الوصف علّة له في الواقع، وإلّا لما كان من محسّنات الكلام؛ لعدم تصرّف فيه، كما تقول: «قتل فلان أعاديه لدفع ضررهم».

وبهذا يظهر فساد ما يتوهّم[٢] من أنّ هذا الوصف غير مُفِيْدٍ، لأنّ الاعتبار

---

(١) **قوله: «باعتبار لطيف غير حقيقيّ»**. أي: الاعتبار أعمّ من أن يكون حقيقيّاً أو غير حقيقيٍّ، والاعتبار الغير الحقيقيّ ما يكون مشتملاً على لطفٍ ولا يكون موافقاً لما في الواقع ونفس الأمر، وإلّا لما كان من المحسّنات. فلو قلت: «زيد جائع فيأكل وعطشان فيشرب» لم يكن من المحسّنات في شيءٍ، ولكن قول أميرالمؤمنين ـ عليه السّلام ـ: «القوم جِياع قد استطعموكم القتال» فيه حسن التّعليل، لأنّه أثبت للقاسطين صفة الجوع ثمّ علّله بأنّهم يطلبون منكم الطّعام وهو القتال لا غير، والقتل لا يمكن أن يكون طعاماً لجائع البطن ولكنّه اعتبر في الجوع معنىً اعتبارياً وهو الاشتياق إلى قتال أهل الحقّ مثل اشتياق الجائع إلى الطّعام فقال: طعامهم هو القتال لا غَيْرُ.

(٢) **قوله: «وبهذا يظهر فساد ما يتوهّم»**. أي: بما سبق أنّ الاعتبار أعمّ من أن يكون حقيقيّاً أو غير حقيقيٍ يظهر فساد ما يتوهّم من أنّ هذا الوصف ـ أي: قول المصنّف: «غير حقيقيّ» ـ غير مفيدٍ؛ لأنّ الاعتبار لا يكون إلّا غير حقيقيّ، فإنّه ليس كذلك لأنّه أعمّ من أن يكون حقيقيّاً أو غير حقيقيٍّ.

ومنشأ هذا الوهم أنّه خلط مصطلح أهل الميزان بغيره، لأنّ الميزانيّين يستعملون الاعتباري مقابلاً للحقيقيّ يعني الموجود الخارجيّ، فيكون الاعتباريّ ما لا يكون في الخارج، فالميزانيّون يقصِدون من الاعتباريّ ما لا وجود له في الخارج ومن الحقيقيّ ما له وجود في الخارج.

وباعتبار قولهم يكون الاعتباريّ مساوياً لغير الحقيقيّ، وهو ليس كذلك في الحقيقة، بل الاعتباريّ أعمّ ـ كما تقدّم في علم المعاني ـ لأنّه قد يقال الاعتباريّ ويراد منه الأمر

⇐

لا يكون إلّا غير حقيقيّ.

ومنشأ هذا الوهم أنّه سَمِعَ أرباب المعقول يطلقون الاعتباريّ على مقابل الحقيقيّ، ولو كان الأمر كما توهّم(١) لوجب أن يكون جميع اعتبارات العقل غير مطابق للواقع.

[أقسام حسن التّعليل]

﴿**وهذا أربعة أضرب؛ لأنّ الصّفة**﴾ الّتي ادّعي لها علّة مناسبة ﴿**إمّا ثابتة قصد بيان علّتها، أو غير ثابتة أُريد إثباتها**﴾.

[القسم الأوّل]

﴿**والأُولى إمّا أن لا يظهر لها في العادة علّة**﴾ وإن كانت لا تخلو في الواقع عن علّة ﴿**كقوله**﴾ أي: قول أبي الطيّب: ﴿**لَمْ تَحْكِ**﴾ أي: لم تشابه ﴿**نائِلَكَ**﴾(٢) أي:

⇐ الوهميّ الذي ليس له وجود في الخارج بل يعتبره الوهم مثل «رؤوس الشّياطين» و«أنياب أَغوال» والاعتباريّ بهذا المعنى يكون كما قالوا.

وقد يقال الاعتباريّ ويراد منه ما يعتبره العقل، وهو الّذي له وجود في الخارج، ولكن ليس له في الخارج جثّة معيّنة، مثل «الأُبوّة» و«البنوّة» فإنّهما موجودان في الخارج، ولكن ليس لهما جثّة في الخارج، كما أنّ الحقيقيّ قد يقابل الإضافيّ، وقد يقابل الاعتباريّ والوهميّ، فلو كان المراد من الاعتباريّ هو الأمر الوهميّ لكان كلّ اعتبارات العقل غير مطابقٍ للواقع، وليس كذلك، فيكون المراد من الاعتباريّ ما لاحظه العقل ومن غير الحقيقيّ ما لا يكون مطابقاً للواقع، فلا يكون قيد: «غير حقيقيّ» لغواً ـ كما توهّم هذا المتوهّم ـ.

(١) من أنّ الاعتباريّ لا يكون إلّا غير حقيقيّ.

(٢) **قوله: «لم تحك نائلك»**. البيت من الكامل على العروض الأُولى مع الضّرب المقطوع ـ فعلاتن ـ وهو من قصيدة طويلة للمتنبّي يمدح بها أبا عليّ هارون بن عبدالعزيز الأوراجي ⇐

⇐ الكاتب وكان يذهب إلى التّصوّف:

أمِنَ ازْدِيارَكِ في الدُّجى الرُّقَبَاءُ   إذْ حَيثُ كنتِ مِنَ الظَّلامِ ضِياءُ

قَلَقُ المَليحَةِ وهْيَ مِسْكٌ هَتكُها   ومَسيرُها في اللّيلِ وهيَ ذُكاءُ

أسَفي على أسَفي الذي دَلّهْتِني   عَنْ عِلْمِهِ فَبِهِ عَليّ خَفَاءُ

وَشَكِيّتي فَقْدُ السَّقامِ لأنّهُ   قَدْ كانَ لمّا كانَ لي أعضاءُ

مَثّلْتِ عَيْنَكِ في حَشايَ جِراحَةً   فتَشابَها كِلْتاهُما نَجْلاءُ

نَفَذَتْ عَليّ السّابِرِيَّ ورُبّما   تَنْدَقّ فيهِ الصَّعدَةُ السّمْراءُ

أنا صَخرَةُ الوادي إذا ما زُوحِمَتْ   وإذا نَطَقْتُ فإنّني الجَوْزاءُ

وإذا خَفِيتُ على الغَبيّ فَعَاذِرٌ   أنْ لا تَرانِي مُقْلَةٌ عَمْيَاءُ

شِيَمُ اللّيالي أنْ تُشَكِّكَ ناقَتي   صَدْري بها أفضَى أمِ البَيداءُ

فَتَبيتُ تُسْئِدُ مُسْئِداً في نَيّها   إسْآدَها في المَهْمَهِ الإنْضاءُ

بَيْني وبَينَ أبي عَليّ مِثْلُهُ   شُمُّ الجِبالِ ومِثْلُهنّ رَجاءُ

وعِقابُ لُبنانٍ وكيفَ بِقَطْعِها   وهُوَ الشّتاءُ وصَيفُهُنّ شِتاءُ

لَبَسَ الثّلُوجُ بها عَليّ مَسَالِكي   فَكَأنّها بِبَيَاضِها سَوْداءُ

وكَذا الكَريمُ إذا أقامَ بِبَلْدَةٍ   سَالَ النُّضارُ بها وقامَ الماءُ

جَمَدَ القِطارُ ولَوْ رَأتْهُ كمَا تَرَى   بُهِتَتْ فَلَمْ تَتَبَجّسِ الأنْواءُ

في خَطّهِ من كلّ قَلبٍ شَهْوَةٌ   حتّى كأنّ مِدادَهُ الأهْواءُ

ولكُلّ عَيْنٍ قُرّةٌ في قُرْبِهِ   حتّى كأنّ مَغيبَهُ الأقْذاءُ

مَنْ يَهْتَدي في الفِعْلِ ما لا تَهْتَدي   في القَوْلِ حتّى يَفعَلَ الشّعراءُ

في كلّ يَوْمٍ للقَوافي جَوْلَةٌ   في قَلْبِهِ ولأُذْنِهِ إصْغَاءُ

وإغارَةٌ في ما احْتَواهُ كأنّمَا   في كُلّ بَيْتٍ فَيْلَقٌ شَهْبَاءُ

مَنْ يَظلِمُ اللّؤماءَ في تَكليفِهِمْ   أنْ يُصْبِحُوا وَهُمُ لَهُ أكْفاءُ

ونَذيمُهُمْ وبهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ   وبِضِدّها تَتَبَيّنُ الأشْياءُ

⇐

عطائك ﴿السَّحَابُ وَإِنَّمَا * حُمَّتْ بِهِ﴾ أي: صارت محمومة بسبب نائلك وتفوّقه عليها ﴿فَصَبِيبُهَا الرُّحَضَاءُ﴾ أي: فالمصبوب من السَّحَاب هو عَرَقُ الحُمَّى.

⇐ مَنْ نَفْعُهُ في أنْ يُهاجَ وضَرُّهُ ... فـي تَـرْكِـهِ لَوْ تَفْطَنُ الأعداءُ
فالسّلمُ يَكسِرُ من جَناحَيْ مالِهِ ... بِنَوالِهِ ما تَجْبُرُ الهَيْجاءُ
يُعطي فتُعطَى من لُهَى يدِهِ اللُّهَى ... وتُرَى بِرُؤْيَةِ رَأيِهِ الآراءُ
مُتَفَرّقُ الطّعْمَينِ مُجْتَمعُ القُوَى ... فكأنّهُ السّرّاءُ والضّرّاءُ
وكأنّهُ ما لا تَشاءُ عُداتُهُ ... مُتَمَثّلاً لوُفُودِهِ ما شاؤوا
يا أيّها المُجدَى علَيْهِ رُوحُهُ ... إذْ لَيسَ يأتيهِ لها اسْتِجداءُ
إحْمَدْ عُفاتَكَ لا فُجِعْتَ بفَقدِهم ... فَلَتَرْكُ ما لم يأخُذوا إعْطاءُ
لا تَكْثُرُ الأمواتُ كَثرَةَ قِلّةٍ ... إلّا إذا شَقِيَتْ بكَ الأحْياءُ
والقَلْبُ لا يَنْشَقّ عَمّا تَحْتَهُ ... حتّى تَحِلّ بهِ لَكَ الشّحْناءُ
لمْ تُسْمَ يا هارُونُ إلّا بَعدَ مَا اقْـ ... ـتَرَعَتْ ونازَعتِ اسمَكَ الأسماءُ
فغَدَوْتَ واسمُكَ فيكَ غيرُ مُشارِكٍ ... والنّاسُ في ما في يَدَيْكَ سَواءُ
لَعَمَمْتَ حتّى المُدْنُ منكَ مِلاءُ ... ولَفُتّ حتّى ذا الثّناءُ لَفَاءُ
ولجُدْتَ حتّى كِدْتَ تَبخَلُ حائِلاً ... للمُنْتَهَى ومنَ السّرورِ بُكاءُ
أبْدَأتَ شَيئاً ليسَ يُعرَفُ بَدْؤهُ ... وأعَدْتَ حتّى أُنْكِرَ الإبْداءُ
فالفَخْرُ عَن تَقصِيرِهِ بكَ ناكِبٌ ... والمَجْدُ مِنْ أنْ يُسْتَزادَ بَراءُ
فإذا سُئِلْتَ فَلا لأنّكَ مُحوِجٌ ... وإذا كُتِمتَ وشَتْ بكَ الآلاءُ
وإذا مُدِحتَ فلا لِتَكْسِبَ رِفْعَةً ... للشّاكرينَ على الإلَهِ ثَناءُ
وإذا مُطِرْتَ فَلا لأنّكَ مُجْدِبٌ ... يُسْقَى الخَصِيبُ ويُمْطَرُ الدّأمَاءُ
لم تَحْكِ نائِلَكَ السّحابُ وإنّما ... حُمّتْ بهِ فَصَبيبُها الرُّحَضاءُ
لم تَلْقَ هَذا الوَجْهَ شَمسُ نَهارِنَا ... إلّا بوَجْهٍ لَيسَ فيهِ حَياءُ
فَبِأيّما قَدَمٍ سَعَيْتَ إلى العُلَى ... أُدُمُ الهِلالِ لأخمَصَيْكَ حِذاءُ
ولَكَ الزّمانُ مِنَ الزّمانِ وِقايَةٌ ... ولَكَ الحِمامُ مِنَ الحِمامِ فِداءُ
لوْلم تكنْ من ذا الوَرَى اللّذْ منك هُوْ ... عَقِمَتْ بمَوْلِدِ نَسْلِها حَوّاءُ

فنزول المطر من السّحاب صفة ثابتة له لا يظهر لها علّة في العادة، وقد علّله بأنّه عرق حُمَّاها الحادثة بسبب عطاء الممدوح.

[القسم الثّاني]

﴿**أو يظهر لها**﴾ أي: لتلك الصّفة ﴿**علّة غير العلّة المذكورة**﴾ إذ لو كانت علّتها هي المذكورة لكانت المذكورة علّة حقيقيّةً، فلايكون من حسن التّعليل ﴿**كقوله**﴾ أي: قول أبي الطّيّب:

﴿**مَا بِـهِ قَـتْلُ أَعَـادِيهِ وَلٰكِـنْ**[1] **يَتَّقِي إِخْلاَفَ مَا تَرْجُو الذِّئَـابُ**﴾

﴿**فإنّ قَتْلَ الأعداء**﴾ ـ أي: قتل الملوك أعداءهم ـ إنّما يكون ﴿**في العادة لدفع مضرّتهم**﴾ حتّى يصفو لهم مملكتهم عن منازعتهم ﴿**لا لما ذكره**﴾ من أنّ طبيعة الكرم قد غلبت عليه، ومحبّته أن يصدق رجاء الرّاجين بَعَثَتْه على قتل أعاديهِ، لِمَا عَلِمَ أنّه لمّا غدا للحرب غدت الذّئاب ترجو أن يتّسع عليها الرّزق من قتلاهم.

---

(١) **قوله: «ما به قتل أعاديه ولكن»**. البيت من الرّمل على العروض الأُولى مع الضّرب الأوّل إلّا أنّ العروض استعملت مصرّعةً للتّصريع بالضّرب وهو من قطعةٍ قالها المتنبّي في بدر بن عمّار وهو على الشّراب وهي:

إنّـما بَـدْرُ بـنُ عَـمّارٍ سَحَابُ ... هَـطِلٌ فـيهِ ثَـوَابٌ وعِـقابُ
إنّـما بَـدْرٌ رَزَايـا وعَـطايَا ... ومَـنايا وطِـعانٌ وضِـرابُ
مـا يُـجيلُ الطِّـرْفَ إلّا حَـمِدَتْهُ ... جُـهدَها الأيـدي وذَمّتهُ الرّقـابُ
مـا بـهِ قَـتْلُ أعـاديهِ ولكِـنْ ... يَتّقي إخـلافَ مـا تـرْجو الذّئـابُ
فَـلَهُ هَـيْبَةُ مَـنْ لا يُـتَرَجّى ... ولَـهُ جُـودُ مُـرَجّى لا يُـهابُ
طاعنُ الفرْسانِ في الأحداقِ شزْراً ... وعَجاجُ الحرْبِ للشّمسِ نِقابُ
باعِثُ النّفسِ على الهوْلِ الّذي لَيْـ ... ـسَ لنَـفْسٍ وَقَـعَتْ فـيهِ إيَابُ
بأبـي ريـحُكَ لا نَـرْجِسُنَا ذا ... وأحـاديثُكَ لا هـذا الشّـرابُ
لَـيسَ بـالمُنكَرِ إنْ بـرّزْتَ سَـبقاً، ... غيرُ مـدفوعٍ عـنِ السّبقِ العِـرابُ

وهذا مبالغة في وصفه بالجود، ويتضمّن المبالغة في وصفه بالشَّجَاعة على وجه تخييليّ، أي: تناهى في الشَّجَاعة حتّى ظهر ذلك للحيوانات العُجْم من الذِّئاب وغيرها، فإذا غدا للحرب رَجَتِ الذِّئاب أن يتناولوا من لحوم أعدائه.

ويتضمّن أيضاً مدحه بأنّه ليس ممّن يُسرف في القتل طاعةً للغيظ والحَنَق ـ أي: ليست قوّته الغضبيّة متّصفة برذيلة الإفراط ـ.

ويتضمّن أيضاً قصور أعدائه عنه، وفرط أمنه منهم، وأنّه لا يحتاج إلى قتلهم واستيصالهم.

[القسم الثّالث]

﴿**والثّانية**﴾ أي: الصّفة الغير الثّابتة الّتي أُريد إثباتها ﴿**إمّا ممكنة، كقوله**﴾ أي: قول مسلم بن الوليد:

﴿**يَا وَاشِياً حَسُنَتْ فِينَا إِسَاءَتُهُ**[1] * **نَجَّى حِذَارُكَ**﴾ أي: حذاري إيّاك

---

(١) **قوله: «ياواشياً حسنت فينا إساءته»**. البيت من البسيط على العروض المخبونة مع الضّرب المشابه والقائل ـ كما في الشّرح ـ مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني من الشّعراء الإسلاميّة في الدّولة العبّاسيّة وأكثر مدائحه في يزيد بن مزيد، وداود بن يزيد المهلّبي والبرامكة ومحمّد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة، ولي في أيّام المأمون بريد جرجان فلم يزل بها حتّى مات، قال العبّاسيّ عند ذكر البيت في «المعاهد» ٤: ٥٤: لم أقف منها إلّا على هذه الأبيات:

إنّي أصدُّ دموعاً لَجَّ سائقها * مطروفة العين بالْمَرْضَى من الحدقِ
إيه فإنّ النوى وافت مصيبته * مولَّعَ القلب بين الشوق والقلقِ
ما كلّ عاذلةٍ تُصْغِي لها أذني * وقد سمعت على الإكراه فانطلقِ
فما سلوت الهوى جهلاً بلذّته * ولا عصيت إلهَ الحلم عن خرقِ

والمراد بالإنسان هنا: إنسان العين.

⇐

﴿**إنساني**﴾ أي: إنسان عيني ﴿**مِنَ الغَرَقِ**﴾.

﴿**فإنّ استحسان إساءة الواشي ممكن، لكن لَمَّا خالف**﴾ الشّاعر ﴿**للنّاس فيه**﴾ حيث لا يستحسن النّاس إساءة الواشي وإن كان ممكناً ﴿**عقّبه**﴾ أي: عقّب الشّاعر استحسان إساءة الواشي ﴿**بِأَنَّ حِذَارَهُ**﴾ أي: حِذار الشّاعر ﴿**منه**﴾ أي: من الواشي ﴿**نَجَّى إنسانَهُ**﴾ أي: إنسان عين الشّاعر ﴿**من الغَرَق في الدّموع**﴾ حيث ترك البكاء خوفاً منه[1].

[القسم الرّابع]

﴿**أو غير ممكنة**﴾ ـ عطف على «إمّا ممكنة» ـ ﴿**كقوله**﴾ هذا البيت للمصنّف[2]

⇐ والشاهد فيه: إثبات صفة ممكنة لموصوف، فإنّ استحسان إساءة الواشي شيء ممكن، لكن لمّا خالف الناس فيه عَقَّبه بأنّ حذاره منه نجّى إنسان عينه من الغرق في الدموع حيث ترك البكاء خوفاً منه.

(١) **قوله: «خوفاً منه»**. أي من الواشي، والمعنى: أنّ إساءتك حذّرني منك فلم أبك في فراق الحبيبة أو الحبيب لئلّا تشعر بأنّي عاشق فتذهب إلى الحبيبة أو الحبيب سعياً للتفريق بيني وبين حبيبتي أو حبيبي، ولمّا أخفيت حبّي بترك البكاء على الفراق نَجَّى إنسان عيني من الغَرَق في الدّموع بعد ذلك بكاءً على الحبيب المفارق بسبب وشيك إذ إخفاء المحبّة سدّ طريق الوشي على النمّام والواشي.

(٢) **قوله: «هذا البيت للمصنّف»**. أقول: ليس البيت للمصنّف وإلّا لقال: «كقولي» بصيغة المتكلّم لا الغائب، وإنّما غرّه قول المصنّف في «الإيضاح»: ٥٣٧: «وأمّا الرّابع فكمعنى بيتِ فارسيّ ترجمته» فقرأه الشّارح «تَرْجَمْتُهُ» بصيغة المتكلّم وحده من الفعل الماضي، وليس كذلك بل الصحيح: «تَرْجَمَتُهُ» بصيغة المصدر المضاف إلى ضمير الغائب.

والدّليل على ذلك أنّ المصنّف الخطيب ولد سنة ٦٦٦هـ وتوفّي سنة ٧٣٩هـ والبيت ذكره عبدالقاهر المتوفّى سنة ٤٧١هـ في القسم التخييليّ من فصل الأخذ والسرقة وما في ⇐

وقد وجد بيتاً فارسيّاً في هذا المعنى فترجمه:

﴿لَوْ لَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الْجَوْزاءِ خِدْمَتَهُ[١]   لَمَا رَأَيْتَ عَلَيْهَا عَقْدَ مُنْتَطِقٍ﴾

من «انتطق» أي: شدّ النِّطاق، وحول الجوزاء كواكب يقال لها: «نِطاق الجوزاء» فنيّة الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ممكنة قصد إثباتها ـ كذا ذكره المصنّف[٢] ـ.

وفيه نظر[٣]؛ لأنّ المفهوم من الكلام ـ على ما هو أصل «لو» من امتناع الجزاء لامتناع الشّرط ـ أن تكون نيّة الجوزاء خدمته علّة لرؤية عقد النِّطاق عليها، ورؤية عقد النِّطاق عليها ـ أعني: الحالة الشّبيهة بانتطاق المنتطق ـ صفة ثابتة قصد تعليلها

⇐ ذلك من التّعليل وضروب الحقيقة والتخييل من كتاب «أسرار البلاغة»: ٢٣١، وهذا نصّه: ونوع آخر: وهو أنْ يدّعى في الصّفة الثّابتة للشّيء أنّه إنّما كان لعلّةٍ يضعها الشّاعر ويختلقها إمّا لأمر يرجع إلى تعظيم الممدوح أو تعظيم أمر من الأُمور. فمن الغريب في ذلك معنى بيت فارسيّ ترجمته:

لو لم تكن نيّةُ الجوزاء خِدْمَتَهُ   لما رأيتَ عليها عَقْدَ مُنْتَطِقِ

* * *

(١) قوله: «**لو لم تكن نيّة الجوزاء خدمته**». البيت من البسيط اليتيم على العروض المخبونة مع الضّرب المماثل، والقائل غير معلوم ـ كما ذكرت ـ والبيت الفارسيّ المشار إليه في كلام الشّيخ عبدالقاهر هو:

گر نبودى عزم جوزا خدمتش   كس نديدى در ميان او كمر

* * *

(٢) «الإيضاح»: ٥٣٣.

(٣) قوله: «**كذا ذكره المصنّف وفيه نظر**». لأنّ ظاهر كلام المصنّف أنّ مضمون الشّرط معلول ومضمون الجزاء علّة والمشهور عكس ذلك.

بنيّة خدمة الممدوح[1] فيكون هذا من الضّرب الأوّل[2] مثل قوله: «لم يَحْكِ نائِلَكَ السَّحابُ» البيت.

فمن زعم أنّه أراد أنّ الانتطاق صفة ممتنعة الثّبوت للجوزاء وقد أثبتها الشّاعر وعلّلها بنيّة خدمة الممدوح فقد أخطأ مرّتين:

١ ـ لأنّ حديث نِطاق الجوزاء أشهر من أن يمكن إنكاره، بل هو محسوس، إذ المراد به الحالة الشّبيهة بانتطاق المنتطق.

٢ ـ ولأنّ المصنّف قد صرّح في «الإيضاح»[3] بخلاف ذلك.

فإن قلت: هل يجوز أن يكون «لو» في البيت[4] مثلها في قوله ـ تعالى ـ ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا** ﴾[5] ـ أعني: الاستدلال بانتفاء الجزاء على انتفاء الشّرط ـ

---

(١) **قوله: «قصد تعليلها بنيّة خدمة الممدوح»**. أي: أصل «لو» أن يكون جوابها معلولاً لمضمون شرطها، فإذا قيل: «لو جئتني أكرمتك» كان مفاده أنّ العلّة في عدم الإكرام عدم المجيء، ولو قيل: «لو لم تأتني لم أكرمك» كان مفاده أنّ العلّة في وجود الإكرام الإتيان، وظاهر عبارة الخطيب في البيت يفيد أنّ المعلول مضمون الشّرط والعلّة فيه مضمون الجزاء، وهذا خلاف ما هو المشهور في «لو» والحقّ عكس ذلك ـ كما ذكرنا ـ.

(٢) **قوله: «فيكون هذا من الضّرب الأوّل»**. فلا يصحّ تمثيل الخطيب به للقسم الرّابع لأنّه من القسم الأوّل.

(٣) ٥٣٣.

(٤) **قوله: «هل يجوز أن يكون «لو» في البيت»**. أي: هل يجوز تصحيح كلام المصنّف بما تقدّم ذكره في الباب الثّالث من أنّ «لو» تستعمل عند الميزانيّين للدّلالة على أنّ العلم بانتفاء الثّاني ـ أي: الجزاء ـ علّة للعلم بانتفاء الأوّل ـ أي: الشّرط ـ كما في الآية الكريمة.

(٥) الأنبياء: ٢٢.

فتكون رؤية ما على الجَوزاء[١] من هيئة الانتطاق علّة لكون نيّته خدمة الممدوح ـ أي: دليلاً عليه ـ كما أنّ انتفاء الفساد دليل على انتفاء تعدّد الآلهة.

والحاصل أنّ العلّة المذكورة قد يقصد كونها علّة لثبوت الوصف[٢] ووجوده كما في الضّربين الأوّلين؛ لأنّ ثبوته معلوم.

وقد يقصد كونها علّة للعلم به كما في الأخيرين لعدم العلم بثبوته، بل الغرض إثباته.

فإذا جُعِلَتْ نيّة خدمة الممدوح علّة للانتطاق كان من الضّرب الأوّل، وإذا جُعِلَ الانتطاق دليلاً على كون النيّة خدمة للممدوح كان من الضّرب الرّابع فيصحّ التّمثيل[٣].

---

(١) **قوله: «رؤية ما على الجوزاء»**. إشارة إلى أنّ الانتفاء في البيت في الشّرط والجزاء بعد دخول «لو» عليهما راجع إلى الإثبات، وذلك لأنّ «لو» نفي ونفي النّفي إثبات.

(٢) **قوله: «قد يقصد كونها علّة لثبوت الوصف»**. أي: العلّة نوعان:

١ ـ قد تكون سبباً لوجود شيءٍ في الخارج ويقال له حينئذٍ الواسطة في الثّبوت.

٢ ـ وقد تكون سبباً لحصول العلم به وذلك إذا كان المستدلّ عليه مجهولاً فتكون العلّة دليلاً عليه وتسمّى حينئذٍ واسطةً في الإثبات، والعلّة المذكورة في الضّربين الأوّلين من النّوع الأوّل، لأنّ ثبوت الوصف فيهما معلوم، وفي الضّربين الأخيرين من النّوع الثّاني لأنّ المستدلّ عليه فيهما مجهول.

(٣) **قوله: «فيصحّ التّمثيل»**. لأنّ كون النّيّة خدمةَ الممدوح ممّا هو مجهول لا يعلمه أحد غير الشّاعر الفارسيّ المذكور ببيته، فحينئذٍ يمكن حمل كلام الخطيب في «الإيضاح» على هذا القسم، وذلك بأن يقال: المراد أنّ انتطاق الجوزاء جعل علّة ودليلاً على كون نيّة الجوزاء خدمة الممدوح، فلا يرد عليه نظر الشّارح بقوله: وفيه نظر إلخ ...

قلت: لا يخلو عن تكلّف[1]؛ لأنّ الظّاهر من قوله: «أَنْ يـدّعى لوصـف علّة مناسبة»: أنّها علّة لنفس ذلك الوصف، لا للعلم به.

[ما يلحق بحسن التّعليل]

﴿ **وأُلحق به** ﴾ أي: بحسن التّعليل ﴿ **ما بُنِي على الشّكّ** ﴾[2] ولكونه مبنيّاً على الشّكّ لم يجعل من حُسْنِ التّعليل؛ لأنّ فيه ادّعاءً وإصراراً، والشّكّ ينافيه ﴿ **كقوله** ﴾ أي: قول أبي تَمَّام: ﴿ **كَأَنَّ السَّحَابَ الْـغُرَّ** ﴾[3] جمع «الأغرّ» والمراد

---

(١) **قوله: «قلت: لا يخلو عن تكلّف»**. أي: القول بأنّ المراد من العلّة ما كان دليلاً وواسطة في الإثبات لا يخلو عن تكلّف، لأنّ الظّاهر من قول المصنّف: «أنْ يدّعى لوصفٍ علّة مناسبة» أنّها علّة لنفس ذلك الوصف، أي: علّة وواسطة في الثّبوت، لا للعلم به، أي: لا واسطة في الإثبات.

(٢) **قوله: «ما بني على الشّكّ»**. أي: الإتيان بعلّةٍ ترتّب الإتيان بها على الشّكّ.

(٣) **قوله: «كأنّ السّحاب الغرّ»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المشابه وهو من قصيدة طويلة يقولها أبو تمّامٍ مفتخراً بقومه وهي:

أَلا صَنَعَ البَيْنُ الذي هوَ صَانِعُ	فإنْ تَكُ مِجْزاعاً فما البَيْنُ جازِعُ
هو الرَّبْعُ مِنْ أسماءَ والعامُ رابعٌ	له بِـ«لِوَى خَبْتٍ» فَهَلْ أنتَ رابعُ ؟
أَلا إنَّ صَبْرِي مِنْ عَزائي بَلاقِعٌ	عَشِيَّةَ شاقَتْني الدِّيارُ البَلاقِعُ
كأنَّ السَّحَابَ الغُرَّ غَيَّبْنَ تَحتَها	حَبيباً فما تَرْقَا لَهُنَّ مَدَامِعُ
رُبىً شَفَعَتْ رِيحُ الصَّبا لِرياضِها	إلى الغَيْثِ حتّى جادَ وَهْوَ هَوامِعُ
فوَجْهُ الضُّحَى غَدْواً لهنَّ مُضاحِكٌ	وجَنْبُ النَّدَى ليلاً لهنّ مَضاجِعُ
كَسَاكِ مِنَ الأَنوارِ أصفَرُ فاقِعٌ	وأَبْيَضُ ناصِعٌ وأَحْمَرُ ساطِعُ
لَئِنْ كانَ أَمسَى شَمْلُ وَحْشِكِ جامِعاً	لقد كَانَ لي شَمْلٌ بِأُنْسِكِ جامِعُ
أُسيءُ على الدَّهْرِ الثّناءَ فقَدْ قَضَى	عليَّ بِجَوْرٍ صَرْفُهُ المُتَتَابِعُ
أَيُرْضِخُنَا رَضْخَ النَّوَى وهْوَ مُصْمِتٌ	ويَأْكُلُنَا أكلَ الدَّبَا وَهْوَ جَائِعُ ؟

⇐

⇐ وإنّي إذا أَلَقَى بِرَبْعِيَ رَحْلَهُ   لأُذعِرَهُ في سِرْبِهِ وهْوَ راتِعُ
أبو مَنْزِلِ الهَمِّ الّذي لو بَغَى القِرَى   لَدَى حَاتِمٍ لم يُقْرِهِ وهْوَ طائِعُ
إذا شَرَعَتْ فيه اللّيالي بِنَكْبَةٍ   تَمَزَّقَ عنه وهْوَ في الشَّرْعِ شارِعُ
وإنْ أَقْدَمَتْ يوماً عليهِ رَزِيَّةٌ   تَلَقَّى شَبَاها وهو بالصَّبْرِ دَارِعُ
له هِمَمٌ ما إنْ تَزَالُ سُيُوفُها   قَواطِعَ لَوْ كَانَتْ لَهُنَّ مَقَاطِعُ !
ألا إنَّ نَفْسَ الشِّعْرِ ماتَتْ وإنْ يَكُنْ   عَدَاها حِمَامُ المَوْتِ فَهْيَ تُنَازِعُ
سَأبكي القَوَافي بالقَوافِي فإنَّها   عليها ـ ولم تَظْلِمْ بِذاكَ ـ جَوَازِعُ
أَرَاعِي ضَلَالاتِ المُروءَةِ مُهْمَلٌ   وحافِظُ أَيّامِ المَكارِمِ ضَائِعُ ؟!
وعاوٍ عَوَى والمَجْدُ بَيْني وَبينَه   له حَاجِزٌ دُوني ورُكْنٌ مُدَافِعُ
تَرَقَّتْ مُنَاهُ طَوْدَ عِزٍّ لو ارتَقَتْ   بهِ الرِّيحُ فِتْراً لانْثَنَتْ وهْيَ ظَالِعُ
أَنا ابنُ الّذينَ استُرْضِعَ الجود فيهِمُ   وسُمِّيَ فيهمْ وهْوَ كَهْلٌ ويافِعُ
سَما بيَ أَوْسٌ في السَّماءِ وحاتِمٌ   وزيْدُ القَنا والأثْرَمانِ ورَافِعُ
وكَانَ إياسٌ ما إياسٌ وعارِقٌ   وحارِثَةٌ أوفَى الوَرى والأَصامِعُ
نُجومٌ طَوالِيعٌ جِبالٌ فَوارِعُ   غُيُوثٌ هَوامِعٌ سُيولٌ دَوَافِعُ
مَضَوْا وكأنّ المَكْرُمَاتِ لَدَيْهم   لِكَثْرَةِ مَا أوصَوْا بِهِنَّ شَرائِعُ
فأيُّ يَدٍ في المَجْدِ مُدَّتْ فَلمْ تَكُنْ   لها رَاحَةٌ مِنْ جُودِهِمْ وَأَصابعُ ؟
هُمُوا استَوْدَعُوا المَعْروفَ مَحْفُوظَ مالِنا   فضاعَ وما ضَاعَتْ لَدَيْنَا الوَدَائِعُ
بَهالِيلُ لَوْ عَايَنْتَ فَضْلَ أَكُفِّهِمْ   لأَيقَنْتَ أَنَّ الرِّزقَ في الأَرضِ واسِعُ
إذا خَفَقَتْ بالبَذْلِ أرواحُ جُودِهِمْ   حَدَاها النَّدَى واستَنْشَقَتْها المَطامِعُ
رِياحٌ كرِيح العَنْبَرِ المَحْضِ في النَّدى   ولكنَّها يومَ اللِّقَاءِ زَعازِعُ
إذا طَيِّءٌ لم تَطْوِ مَنْشُورَ بَأْسِها   فأَنْفُ الّذي يُهْدى لها السُّخْطُ جادِعُ
هي السّمُّ ما يَنْفَكُّ في كلِّ بلدةٍ   تَسِيلُ بِهِ أرماحُهمْ وهْوَ ناقِعُ
أَصارَتْ لهمْ أَرضَ العدوِّ قَطائعاً   نُفوسٌ لِحَدِّ المُرْهَفاتِ قَطائِعُ

⇐

السّحاب الماطرة الغزيرة الماء ﴿ **غَيَّبْنَ تَحْتَها حَبِيْباً * فَمَا تَرْقَا** ﴾ أراد «ترقأ» ـ بالهمزة ـ فخفّفها، أي: ما تَسْكُنُ ﴿ **لَهُنَّ مَدَامِعُ** ﴾ والضّمير في «تحتها» لـ«رُبى» في البيت الّذي قبله وهو قوله:

رُبىً شَفَعَتْ رِيحُ الصَّبَا بِنَسِيمِهَا ... إِلَى الْمُزْنِ حَتّىٰ جَادَ وَهْوَ هَوامِعُ

يعني: ساقت الرّيح المزن إليها، و«جاد» من «الجَوْد» وهو المطر العظيم، و«الهامع» السّائل.

فقد علّل على سبيل الشّكّ[1] نزول المطر من السّحاب بأنّها غيّبت حبيباً تحت تلك الرُّبى فهي تبكي عليها.

وهذا البيت يشير إلى قول محمّد بن وُهَيْب:

طَلَلانِ طَالَ عَلَيْهِمَا الأَمَدُ ... دَرَسَا فَلاَ عَلَمٌ وَلاَ نَضَدُ

⇐ بِكُلِّ فَتىً ما شابَ مِن رَوْعِ وَقْعةٍ ... ولكنَّهُ قَدْ شِبْنَ منه الوَقائعُ
إذا ما أَغارُوا فاحتَوَوْا مالَ مَعْشَرٍ ... أَغَارَتْ عليهمْ فاحتَوَتْهُ الصَّنائِعُ
فتُعطي الّذي تُعْطِيهمُ الخَيلُ والقَنا ... أَكُفٌّ لإرْثِ المكْرُماتِ مَوانِعُ
هُمُ قَوَّمُوا دَرْءَ الشَّآمِ وأَيْقَظُوا ... بِنَجْدٍ عُيونَ الحَرْبِ وهْيَ هَواجِعُ
يَمدُّونَ بالبيضِ القَواطِعِ أَيْدِياً ... وهُنَّ سَواءٌ والسُّيُوفُ القَواطِعُ
إذا أَسَرُوا لم يَأْسِرِ البأسُ عَفْوَهُم ... ولم يُمْسِ عانٍ فيهُمُ وهْوَ كانِعُ
إذا أَطْلَقُوا عنه جَوامِعَ غُلِّه ... تَيَقَّنَ أَنَّ المَنَّ أيضاً جَوامِعُ
وإنْ صارَعُوا في مَفْخَرٍ قامَ دُونَهُمْ ... وخَلْفَهُمُ بالجَدِّ جَدٌّ مُصَارِعُ
عَلَوْا بِجَنُوبٍ مُوجَدَاتٍ كأَنَّها ... جُنُوبُ فُيُولٍ ما لَهُنَّ مَضَاجِعُ
كَشَفْتُ قِناعَ الشِّعْرِ عَنْ حُرِّ وَجْهِهِ ... وَطَيَّرْتُهُ عَنْ وَكْرِهِ وهْوَ وَاقِعُ
بِغُرٍّ يَراها مَنْ يَراها بِسَمْعِه ... فيَدنُو إليها ذُو الحِجَى وهْوَ شاسِعُ
يَوَدُّ وِدَاداً أَنَّ أَعْضاءَ جِسْمِهِ ... إذا أُنْشِدَتْ شَوْقاً إليها مَسامِعُ

(١) **قوله: «فقد علّل على سبيل الشّكّ»**. حيث قال: «كأنّ السّحاب الغرّ».

لَـبِسَا البِـلىٰ فكأنّـما وَجَـدَا   بُـعْدَ الأَحِـبَّةِ مِـثْلَ مـا أَجِـدُ[1]

وقال بعض النُّقَّاد: فسّر هذا البيت قومٌ فقالوا: أراد بـ«حبيب» نفسه ولا أدري ما هذا التّفسير.

قلت: وجه هذا التّفسير أنّه قصد به الملاءمة لمطلع القصيدة وهو قوله:

أَلَا إِنَّ صَبْرِي مِنْ عَـزائـي بـلاقِعٌ   عشـيّة شَـاقَتْني الدِّيـارُ البَـلاقِعُ

---

(١) البيتان من الكامل على العروض الثّانية الحَذّاء مع الضّرب المماثل الأحذّ وهما من قصيدة يمدح بها الشّاعر محمّد بن وُهَيْب الحِمْيَرِيّ المأمون يقول فيها:

طَـلَلانِ طـال عـليهما الأمـدُ   دَثَـراً فـلا عَـلَمٌ ولا نَـضَدُ
لَـبِسَا البِـلَى فَكَأَنَّـمَا وجـدا   بُـعْدَ الأحـبّة مـثْلَ مـا أجِـدُ
حـيّيتما طـللين، حـالهما   بَـعْدَ الأحـبّةِ غـيرُ ما عـهدوا
إمّـا طـواك سـلوّ غـانيةٍ   فـهواكَ لا مَـلَلٌ ولا فَـنَدُ
إن كُنْتِ صادقة الهوى فَـرِدِيْ   فـي الحبّ مـنهله الّذي أَرِدُ
أدَمِـي أرقتِ وأنتِ آمـنة   أن ليس لي عـقلٌ ولا قَـوَدُ
إن كُـنْتِ فُتِّ وخـانني سَبَب   فـلربّما لم يـحظ مـجتهد

إلى أن قال في المأمون ـ لعنه الله ـ:

يـا خـير مـنتسبٍ لمكـرمةٍ   في المجد حيث تنحنح العـددُ
فـي كـلّ أنـملةٍ لراحـته   نَـوْء يَسـحُ وعـارضٌ حشـد
وإذا القَـنَا رعـفت أسِـنَّتُها   عـلقاً وصـمّ كـعوبها قِـصَدُ
فكأنّ ضـوء جـبينه قـمر   وكأنّـه فـي صـولةٍ أسـدُ
وكأنّـه روح تـدبّرنا   حـركاته وكأنّـنا جسـد

فاستحسنها المأمون وقال للحسن بن سهل: احتكم له، فقال: أنت أولى بالحكم ولكن إن أُذِن لي في المسألة سألتُ، فأمّا الحكم فلا، فقال: سَلْ، فقال: تلحقه بجوائز مروان بن أبي حفصة، فقال: ذلك والله أردت، وأمر أن تعدّ الأبيات فكانت خمسين، فأعطاه خمسين ألف درهم ـ كما نصّ عليه أبو الفرج في «الأغاني» ـ.

وفي بعض النُّسَخ من الدِّيْوَان هذا البيت قبل قوله: «كأنّ السَّحابَ الغُرّ»، وعلى هذا فالضّمير في «تحتها» للدّيار البلاقع[1]، فكان نفس أبي تَمَّام هو الحبيب[2] الّذي فقدته السّحاب في تلك الدّيار.

[التّفريع]

﴿ومنه﴾ أي: من المعنويّ ﴿**التّفريع، وهو أن يثبت لمتعلّق أمرٍ حكم بعد إثباته**[3]﴾ أي: إثبات ذلك الحكم ﴿**لمتعلّق له آخر**﴾ على وجه يُشعر بالتّفريع والتّعقيب[4]، وهو احتراز[5] عن نحو قولنا: «غُلَامُ زيدٍ راكبٌ وأبوه راجل»

---

(١) **قوله: «فالضّمير في «تحتها» للدّيار البلاقع»**. لا لـ«الرُّبَى» كما في الاحتمال الأوّل.

(٢) **قوله: «نفس أبي تَمَّام هو الحبيب»**. وهذا لطيف لأنّه اسم أبي تمّام أيضاً إذ هو حبيب بن أوس الطّائيّ.

(٣) **قوله: «أن يثبت لمتعلّق أمرٍ حكم بعد إثباته»**. **المتعلّق** هاهنا ما له نسبة وتعلّق يصحّ باعتبارها الإضافة ـ كما في «الأحلام» و«الدّماء» حيث صحّ إضافتهما إلى ضمير الجمع المخاطبين ـ **والحكم** المحكوم به مثل «الشِّفاء» الّذي حكم به على «الأحلام» و«الدّماء» والمراد من «أمر» هاهنا ما أُضيف أو نسب إليه المتعلّق كضمير الجمع في البيت الآتي، وقد علم بهذا أنّه لابدّ من التّفريع من متعلّقين منسوبين لأمرٍ واحدٍ بحيث يكون إثبات الحكم للمتعلّق الثّاني بعد إثباته للمتعلّق الأوّل.

(٤) **قوله: «على وجه يُشعر بالتّفريع والتّعقيب»**. أي: يشعر الإثبات الثّاني بالتّفريع على الإثبات الأوّل بأداة ليست لمطلق الجمع.

(٥) **قوله: «وهو احتراز»**. اي: قوله: «على وجه يشعر بالتّفريع والتّعقيب» احتراز عن نحو المثال الّذي ذكره الشّارح، وذلك لعدم التّفريع والتّعقيب في الإثبات الثّاني وإن اتّحد الحكم فيهما، لأنّ الواو لمطلق الجمع فما قبلها وما بعدها مثلان لا دلالة في ا لواو للتّقدّم والتّأخّر في شيءٍ منهما.

⇐

﴿كقوله ﴾ أي: قول الكميت من قصيدة يمدح بها أهل البيت عليهم السلام:

﴿أَحْلاَمُكُمْ لِسَقَامِ الْجَهْلِ شَافِيَةٌ[١]   كَمَا دِماؤُكُمُ تَشْفِي مِنَ الْكَلَبِ ﴾

«الكَلَب» ـ بفتح اللّام ـ شِبْهُ جُنُوْنٍ يحدُثُ للإنسان من عَضِّ الكَلْبِ الكَلِبِ وهو كلب يأكُلُ لُحُوْمَ النّاس، فيأخذه من ذلك شِبْهُ جُنُونٍ، لا يَعَضُّ إنساناً إلّا كَلِبَ، ولا دواء له أنجَعَ من شُرْبِ دمِ مَلِكٍ.

يعني: أنتم أرباب العقول الرّاجحة وملوك وأشراف[٢]، وفي طريقته قول الحَمَاسِيّ[٣]:

⇐ قال الأُستاذ ـ في علّة الاحتراز ـ: لأنّه يشترط في التّفريع اتّحاد الحكم وفي المثال حكمان لا حكم واحد، والواو لمطلق الجمع وهو أيضاً لا يدلّ على التّفريع.

فالمراد بالتّفريع ـ كما ذكره بعضهم ـ التبعيّة في الذّكر والتّعقيب الصّوريّ بدون أن تكون هناك أداة تفيد مطلق الجمع سواء أكان بأداة تفريع ـ أي: الفاء الّتي تسمّى فاء النّتيجة ـ أم لا.

(١) **قوله: «أحلامكم لِسَقَام الجهل شافية»**. البيت من البسيط على العروض المخبونة مع الضّرب المماثل، والقائل الكميت بن زيد الأسديّ الشّاعر المشهور الشيعيّ من قصيدةٍ أوّلها:

هل للشّباب الّذي قد فات من طلب   أم ليس غابره الماضي بمنقلب

دَعِ البُكاءَ على ما فات مطلبه   فالدّهر يأتي بألوان من العجب

وقبله ـ كما في «أنساب الأشراف» ـ:

لا واضع عن مطيّ الحمد أرجله   يوماً، ولا هو للعوراء منتدب

* * *

(٢) **قوله: «أرباب العقول الرّاجحة وملوك وأشراف»**. والدّالّ على الأوّل وصفهم بِشِفَاء أحلامهم من الجهل، وعلى الثّاني وصفهم بِشِفاء دمائهم عن داء الكَلَب.

(٣) **قوله: «وفي طريقته قول الحَمَاسيّ»**. أي: في طريقة قول الكميت من حيث الشِّفاء من داء الكَلَب، لا من حيث التّفريع، قول الحماسيّ وهو ابن حنبل المُرِّيّ.

بُناةُ مَكارِمٍ وَأُسَاةُ كَـلْمٍ[١] دِماؤُكُمُ مِنَ الْكَلَبِ الشِّفاءِ

فقد فرّع على وصفهم بشِفاء أحلامهم لِسَقَام الجهل وصفهم بشِفاء دمائهم من داء الكَلَب.

---

(١) **قوله: «بُنَاةُ مكارمٍ وأُسَاةُ كَلْمٍ»**. البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب المماثل، والقائل: أبو البُرْجِ القاسم بن حنبل المُرِّيّ في مدح زُفَر بن هاشم بن فَرْوَة بن مسعود بن سِنان وهو عامل اليمامة ويُكنّى أبا خبيب ـ كما في المؤتلف والمختلف للآمدي ـ وهو من قطعة أوردها أبو تمّام في باب الأضياف من ديوان الحماسة وهي:

أرى الخُـلَّانَ بـعد أبـي خُـبَيْبٍ وحُـجْرٍ فـي جَـنَابهم جَـفَاءُ

مـن البِـيْضِ الوُجُـوهِ بـني سِـنَانٍ لو أنّك تسـتضيءُ بـهم أضـاءوا

لهـم شـمس النّـهار إذا استقلّتْ ونـور مـا يـغيّبه العَـمَاءُ

هـم حَـلُّوا مـن الشَّـرَف المـعلّى ومن حَسَبِ العشيرة حيث شاءُوا

بُـنَاةُ مكـارمٍ وأُسَـاةُ كَـلْمٍ دمـاؤهم مـن الكَـلَبِ الشِّـفَاءُ

فأمّـا بـيتُكُم إنْ عُـدَّ بـيتٌ فـطال السَّـمْكُ واتّسـع الفِـنَاءُ

وأمّـا أُسُّـهُ فـعلى قـديمٍ مـن العـاديّ إن ذُكِـرَ البِـنَاءُ

فـلو أنّ السّـماءَ دَنَتْ لِـمَجْدٍ ومكـرُمَةٍ دَنَتْ لهـم السَّـمَاءُ

«البُنَاة»: جمع: «بانٍ» و«الأُسَاة» جمع «آسٍ» وهذا الجمع يختصّ بالمعتلّ كما أنّ «فَعَلَة» نحو: «كَفَرَة» و«ظَلَمَة» يختصّ بالصّحيح و«الآسي» مُدَاوي الجِراحات، و«الكَلْم» الجُرْح.

وهذا مَثَلٌ لشدّة الأهوال واضطراب الأحوال، والمعنى: إذا تفاقمت الأُمور وحَرِجَتْ بما اجتمعَتْ فيها الصُّدُور، فإنّهم يتلافَوْنَها بِعُنْفِهِم أو لُطفهم، وهم ملوك ففي دمائهم شِفاء من عضّ الكَلْبِ الكَلِب، وهو الذي يكلَبُ بأكل لحوم النّاس، فيأخذه من ذلك شِبْهُ الجُنُون، فلا يَعَضُّ إنساناً إلّا كَلِبَ. ويقال: إنّ من عضّه ينبحُ نَبِيح الكِلاب فيُنتظر به سبعة أيّام، فإن بالَ هناتٍ على خلقة الكِلاب بَرَأَ وإلّا مات بزعمهم، ويقولون: إنّه لا دواء له أنجع من شرب دَمِ ملك ـ كما قرّره العلّامة المرزوقي في شرح الحماسة ـ.

[تأكيد المدح بما يشبه الذّمّ]

﴿ **ومنه** ﴾ أي: من المعنويّ ﴿ **تأكيد المدح بما يشبه الذّمّ** ﴾ النّظر في هذه التّسمية على الأعمّ الأغلب، وإلّا فقد يكون ذلك في غير المدح والذّمّ ويكون من محسّنات الكلام كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ** ﴾[١] يعني: إن أمكن لكم أن تنكِحوا[٢] ما قد سلف فانكِحُوه فلا يَحِلُّ لكم غيره، وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه، وليسمّ تأكيداً لشيء بما يشبه نقيضه.

[تقسيمه إلى قسمين]

[القسم الأوّل]

﴿ **وهو ضربان: أفضلهما**[٣] **أن يستثنى من صفة ذمّ صفة ذمّ منفية عن الشّيء صفة مدح لذلك** ﴾ الشّي ﴿ **بتقدير دخولها فيها** ﴾[٤] أي: دخول صفة المدح في صفة الذّمّ ﴿ **كقوله** ﴾ أي: قول النّابغة الذّبيانيّ:

---

(١) النّساء: ٢٢.

(٢) **قوله: «يعني إن أمكن لكم أن تنكحوا»**. الكلام هاهنا إنّما أخذه الشّارح عن الزّمخشريّ في تفسير هذه الآية من الكشّاف فراجعه.

(٣) **قوله: «وهو ضربان: أفضلهما»**. أي: ضربان مشهوران، بدليل أنّه بعد الفراغ عن هذين الضّربين يقول: «ومنه ـ أي: من تأكيد المدح بما يشبه الذّمّ ـ ضرب آخر» لكنّه غير مشهور عند أهل البديع.

(٤) **قوله: «بتقدير دخولها فيها»**. المراد من التّقدير فرض الدّخول على وجه الشّكّ المستفاد من التّعليق بأداة الشّرط، وليس المراد من التّقدير ادّعاء الدّخول على وجه الجزم والتّصميم كما ربّما يتوهّم.

﴿ وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفُهُمْ[١] * بِهِنَّ فُلُولٌ ﴾ أي: كسور في حدّها،

---

(١) قوله: «ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم». البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المماثل، والقائل النّابغة الذُّبياني زياد بن عمرو، من قصيدة طويلة يمدح بها عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر، حين هرب إلى الشّام ونزل به:

كِلِيني لِهَمّ، يا أُمَيْمَةَ، ناصِبِ، ... وَلَيْلٍ أُقاسِيهِ، بَطيءِ الكَواكِبِ
تَطاوَلَ حتّى قُلتُ ليسَ بِمُنْقَضٍ، ... وَليسَ الّذي يَرْعى النّجومَ بآئِبِ
وصَدرٍ أراحَ اللّيلُ عازِبَ هَمِّهِ، ... تضاعَفَ فيه الحزْنُ من كلّ جانبِ
عليَّ لِعَمْرٍو نِعْمَةٌ، بعدَ نِعْمَةٍ ... لوالِدِه، ليست بذاتِ عَقارِبِ
حَلَفْتُ يَميناً غيرَ ذي مَثْنَوِيّةٍ، ... وَلا عِلْمَ، إلّا حُسنُ ظَنٍّ بصاحبِ
لئِن كانَ للقَبرَينِ: قبرٍ بجِلّقٍ، ... وقبرٍ بصَيداء، الّذي عندَ حارِبِ
وللحارِثِ الجَفْنيّ، سيّدِ قومِهِ، ... لَيَلْتَمِسَنْ بالجَيْشِ دارَ المُحارِبِ
وَثِقتُ له بالنّصرِ، إذ قيلَ قد غزَتْ ... كتائِبُ مِنْ غَسّانَ، غيرُ أشائِبِ
بنُو عَمّه دُنيا، وعَمْرُو بنُ عامِرٍ، ... أُولئكَ قومٌ، بأسُهُم غيرُ كاذبِ
إذا ما غَزَوْا بالجيشِ، حَلّقَ فَوْقَهمْ ... عَصائبُ طَيرٍ، تَهتَدي بعَصائبِ
يُصاحِبنَهُمْ، حتّى يُغِرْنَ مُغارَهم ... مِنَ الضّارياتِ، بالدّماءِ، الدّوارِبِ
تراهنّ خلفَ القومِ خُزْراً عُيُونُها، ... جُلوسَ الشّيوخِ في ثيابِ المرانِبِ
جَوانِحَ، قد أيْقَنّ أنّ قَبيلَهُ، ... إذا ما التَقَى الجَمعانِ، أوّلُ غالبِ
لهُنّ علَيهِمْ عادةٌ قد عَرَفْنَها، ... إذا عُرِّضَ الخَطّيّ فوقَ الكواثبِ
على عارِفاتٍ للطّعانِ، عَوابِسٍ، ... بِهِنّ كُلُومٌ بَينَ دامٍ وجالِبِ
إذا استُنزِلُوا عَنهُنّ للطّعنِ أرقلوا، ... إلى الموتِ إرقالَ الجِمالِ المصاعبِ
فَهُمْ يتَساقَوْنَ المنِيّةَ بَيْنَهُمْ، ... بأيدِيهمُ بِيضٌ، رِقاقُ المَضارِبِ
يَطيرُ فُضاضاً بَيْنَها كلُّ قَوْنَسٍ، ... ويتبَعُها مِنْهُمْ فَراشُ الحواجِبِ
ولا عَيبَ فيهِمْ غيرَ أنّ سُيُوفَهُمْ، ... بِهِنّ فُلُولٌ مِنْ قِراعِ الكَتائِبِ

⇐

والواحد «فلّ». ﴿ **مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ** ﴾ أي: من مضاربة الجيوش.

فالعيب صفة ذمّ منفيّة قد استثني منها صفة مدح هو أنّ سيوفهم ذوات فلول ﴿ **ـأي: إن كان فلول السّيف عيباً ـ فأَثْبَتَ شيئاً منه** ﴾ أي: من العيب ﴿ **على تقدير كونه منه** ﴾ أي: كون فلول السّيف من العيب.

وهذا زيادة توضيح للمقصود[1] وتصريح به، وإلّا فهو مفهوم من بنائه على الشّرط المذكور.

⇐ تُوُرِّثْنَ مِنْ أزْمانِ يَوْمِ حَليمَةٍ، إلى اليومِ قد جُرِّبنَ كلَّ التّجارِبِ
تَقُدّ السَّلُوقيّ المُضاعَفَ نَسْجُهُ وتُوقِدُ بالصُّفّاحِ نارَ الحُباحِبِ
بضَرْبٍ يُزيلُ الهامَ عن سَكناتِهِ، وطَعْنٍ كإيزاغِ المَخاضِ الضّوارِبِ
لهم شيمةٌ، لم يُعْطِها اللهُ غيرَهُمْ، منَ الجودِ، والأحلامُ غيرُ عَوازِبِ
مَحَلّتُهُمْ ذاتُ الإلَهِ، ودينُهُمْ قويمٌ، فما يَرْجُونَ غيرَ العَواقِبِ
رِقاقُ النّعالِ، طَيّبٌ حُجُزاتُهمْ، يُحَيّوْنَ بالرّيحانِ يومَ السَّباسِبِ
تُحَيّيهِمُ بِيضُ الوَلائِدِ بَيْنَهُمْ، وأكْسِيَةُ الإضْريجِ فوقَ المشاجِبِ
يَصونونَ أجساداً، قديماً نَعيمُها، بخالِصَةِ الأرْدانِ، خُضْرِ المناكِبِ
ولا يَحْسَبُونَ الخيرَ لا شرّ بَعْدَهُ، ولا يَحْسَبُونَ الشرّ ضربةَ لازِبِ
حَبَوْتُ بها غَسّانَ إذْ كنتُ لاحِقاً بقَوْمي، وإذْ أعيَتْ عليّ مذاهِبي

(١) **قوله: «وهذا زيادة توضيح للمقصود»**. قال الجرجاني: يعني أنّ قوله: «على تقدير كونه منه» زيادة توضيح للمقصود، لأنّ كون إثبات شيءٍ من العيب على تقدير كون فلول السّيف من العيب مفهوم من بناء إثبات شيءٍ منه على الشّرط المذكور ـ يعني قوله: «إن كان فلول السّيف عيباً» ـ.

وفيه بحث؛ إذ الظّاهر أنّ قوله: «إن كان فلول السّيف عيباً» بيان لمراد الشّاعر، كأنّه قال: يعني الشّاعر أنّ فيهم عيباً إن كان فلول السّيف عيباً.

وقوله: «فأثبت» ـ على صيغة الماضي ـ كلام من المصنّف متفرّع على ما ذكره من مراد ⇐

﴿ **وهو** ﴾ أي: هذا التّقدير ـ وهو كون الفلول من العيب ـ ﴿ **محال** ﴾ لأنّه كِناية عن كمال الشَّجاعة ﴿ **فهو** ﴾ أي: إثبات الشّيء من العيب ﴿ **في المعنى**[1] **تعليق بالمحال** ﴾ كما يقال: حتّى يبيضّ القار، وحتّى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِياط.

﴿ **فالتّأكيد فيه** ﴾ أي: تأكيد المدح ونفي صفة الذّمّ في هذا الضّرب ﴿ **من جهة أنّه كدعوى الشّيء ببيّنة** ﴾ لأنّك قد علّقت نقيض المطلوب ـ وهو إثبات شيء من العيب ـ بالمحال، والمعلَّق بالمحال محال، فعدم العيب ثابت.

﴿ **و** ﴾ من جهة ﴿ **أنّ الأصل في** ﴾ مطلق ﴿ **الاستثناء هو الاتّصال** ﴾ أي: كون «المستثنى منه» بحيث يدخل فيه «المستثنى» على تقدير السّكوت عن الاستثناء، ليكون ذكر «المستثنى» إخراجاً له عن الحكم الثّابت لـ«المستثنى منه» وذلك لأنّ

⇐ الشّاعر، وليس فعلاً مضارعاً مبنيّاً على الشّرط المذكور جزاءً له ـ كما توهّمه ـ فإنّه ركيك جدّاً لفظاً ومعنىً، وحينئذٍ فلابدّ من قوله: «على تقدير كونه منه».

(١) **قوله: «فهو في المعنى تعليق»**. قال سيّدنا الأُستاذ ـ دام ظلّه ـ: التّعليق على ثلاثة أقسام:

١ ـ التّعليق على أمر محقَّق وهذا يفيد التّحقّق، نحو: «آتيك إن طلعت الشّمس».

٢ ـ التّعليق على أمر ممكن وهذا يفيد إمكان الوقوع، نحو: «إن جئتني أكرمتك».

٣ ـ التّعليق على أمر محال وهذا يفيد الامتناع، نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا... لاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ** ﴾ [الأعراف: ٤٠].

والبيت من قبيل القسم الثّالث لأنّه علّق ثبوت العيب على كون الشَّجاعة عيباً، وكون الشَّجاعة عيباً محال، فثبوت العيب فيهم محال، وإنّما قال المصنّف: «في المعنى» لأنّ التّعليق ليس في اللّفظ، فكأنّه قال: لا عيب فيهم أصلاً إلّا الشَّجاعة إن كانت الشّجاعة عيباً، لكن كون الشَّجاعة عيباً محال، فيكون العيب فيهم محالاً، ومثله قول النّابغة الجعديّ:

فتىً كملت أخلاقه غير أنّه ... جَوادٌ فما يُبْقِيْ من المال باقيا

* * *

الاستثناء المنقطع مجاز[١] ـ على ما تقرّر في أُصول الفقه ـ وإذا كان الأصل في الاستثناء الاتّصال ﴿ **فذكر أداته قبل ذكر ما بعدها** ﴾ ـ وهو «المستثنى» ـ ﴿ **يوهم إخراج شيء** ﴾ ـ وهو «المستثنى» ـ ﴿ **ممّا قبلها** ﴾ أي: ممّا قبل الأداة ـ وهو «المستثنى منه» ـ يعني: يوقع في وهم السّامع وظنّه أنّ غرض المتكلّم أن يخرج شيئاً ـ من أفراد ما نفاه ـ من النّفي، ويريد إثباته، حتّى يحصل فيهم شيء من العيب، يقال: «توهّمتُ الشّيءَ» ـ أي: ظننته[٢] ـ و«أوهمته غيري». ﴿ **فإذا وَلِيَهَا** ﴾[٣] أي: الأداة ﴿ **صفة مدح** ﴾ وتحوّل الاستثناء من الاتّصال إلى الانقطاع ﴿ **جاء التّأكيد** ﴾ لما فيه من المدح على المدح، والإشعار بأنّه لم يجد فيه صفة ذمّ ـ حتّى يستثنيها ـ فاضطرّ إلى استثناء صفة مدح، مع ما فيه من نوع خِلابةٍ[٤] وتأخيذٍ للقلوب.

---

(١) **قوله: «لأنّ الاستثناء المنقطع مجاز»**. يريدون به أنّ استعمال أداة الاستثناء في المنقطع مجاز، لأنّ وضع الأداة للإخراج، ولا إخراج في المنقطع.

وقيل: إطلاق لفظ الاستثناء على المنقطع مجاز أيضاً، لأنّ لفظ الاستثناء معناه: صرف العامل عن تناول المستثنى ولا يصدق هذا على المنقطع، لأنّه لا يحتاج إلى الصّرف بل مصروف، لأنّه غير داخل تحت حكم العامل فلا حاجة لصرفه عن تناوله.

(٢) **قوله: «توهّمت الشّيء، أي: ظننته»**. هذا غير مراد وإنّما المراد «أوهمته» بصيغة الإفعال وباب التفعّل إنّما ذكر بياناً للّازم، أي: المتعدّي إنّما يكون من باب الإفعال فقط و«يوهم» في عبارة المتن من هذا الباب.

(٣) **قوله: «فإذا وليها»**. لم يقل: «إذا استثني منها صفة مدح» لأنّ الاستثناء ـ متّصلاً ومنقطعاً ـ لابدّ فيه من اختلاف الحكمين إيجاباً وسلباً، ولا اختلاف هاهنا، وإنّما مفاده التّأكيد لكونه في صورة الاستثناء.

(٤) بكسر الخاء: الخديعة باللّسان والفعل من بابي «ضرب» و«قتل» و«التّأخيذ» رُقْيَةٌ مثل السّحر.

[القسم الثّاني]

﴿**وَالضّرب الثّاني**﴾ من تأكيد المدح بما يشبه الذّمّ ﴿**أن يثبت لشيء صفة مدح ويعقّب بأداة استثناء**﴾ أي: يذكر عقيب إثبات صفة المدح لذلك الشّيء أداة استثناء ﴿**يليها صفة مدح أُخرى له**﴾ أي: لذلك الشّي ﴿**نحو: «أَنَا أَفْصَحُ**[1] **الْعَرَبِ بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ»**[2]﴾ و«بَيْدَ» بمعنى «غير» وهو أداة الاستثناء.

﴿**وأصل الاستثناء فيه**﴾ أي: في هذا الضّرب أيضاً ﴿**أن يكون منقطعاً**﴾ كما أنّ الاستثناء في الضّرب الأوّل منقطع؛ لكون «المستثنى» غير داخل

---

(١) أخرجه من علماء المسلمين الشّيخ المفيد ـ رحمه الله ـ في باب فصاحة النّبيّ من كتاب «الاختصاص» ومن علماء النّواصب ابن الأثير في مادّة «بيد» من كتاب «النّهاية».

(٢) **قوله: «بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ»**. قال ابن هشام: وهو اسم ملازم للإضافة إلى «أنّ» وصلتها وله معنيان:

أحدهما: «غير» إلّا أنّه لا يقع مرفوعاً ولا مجروراً، بل منصوباً ولا يقع صفةً ولا استثناءً متّصلاً، وإنّما يستثنى به في الانقطاع خاصّة، ومنه الحديث: «نحن الآخرون السّابقون يوم القيامة بيد أنّهم أُوْتُوا الكتاب من قبلنا».

والثّاني: أن تكون بمعنى «من أجل» ومنه الحديث: «أنا أفصح من نطق بالضّاد بَيْدَ أنّي من قريش واستُرْضِعْتُ في بني سعد بن بكر».

وقال ابن مالك وغيره: إنّها هنا بمعنى «غير» على حدّ قوله:

ولا عيب فيهم غيرَ أنّ سيوفهم بهنّ فلول من قِراع الكتائب

وأنشد أبو عبيدة على مجيئها بمعنى: «من أجل» قوله:

عمداً فعلتُ ذاك بيد أنّي أخاف إن هلكتُ أنْ تُرِنّي

وقوله: «تُرنّي» من «الرّنين» وهو الصّوب اهـ مختصراً.

فعلى قول ابن هشام لا يكون «بيد» أداة استثناءٍ في هذا الحديث بل هو اسم بمعنى «من أجل» ويدلّ على التّعليل.

في «المستثنى منه»[١].

وهذا لا ينافي قوله: إنّ الأصل في مطلق الاستثناء[٢] هو الاتّصال[٣]؛ فليتأمّل.

﴿ **لكنّه** ﴾ أي: الاستثناء المنقطع في هذا الضّرب ﴿ **لم يقدّر متّصلاً** ﴾ كما في الضّرب الأوّل، بل بَقِيَ على حاله من الانقطاع؛ لأنّه ليس في هذا الضّرب صفة ذمّ منفيّة عامّة يمكن تقدير دخول صفة المدح فيها، وإذا لم يقدّر الاستثناء في هذا الضّرب متّصلاً ﴿ **فلا يفيد التّأكيد إلّا من الوجه الثّاني** ﴾ من الوجهين المذكورين في الضّرب الأوّل ـ وهو أنّ الأصل في مطلق الاستثناء الاتّصال، فذكر أداته قبل ذكر «المستثنى» يوهم إخراج شيء ممّا قبلها من حيث إنّه استثناء، فإذا ذكر بعد الأداة صفة مدح أُخرى جاء التّأكيد ـ ولا يتأتّى فيه التّأكيد من الوجه الأوّل ـ أعني:

---

(١) **قوله: «لكون المستثنى غير داخل في المستثنى منه»**. أمّا في الضّرب الأوّل؛ فلأنّ المفروض أنّ المراد أن يستثنى من العيب خلافه، فلم يدخل المستثنى في المستثنى منه.

وأمّا في الضّرب الثّاني؛ فلانتفاء العموم في المستثنى منه، فلم يدخل المستثنى أيضاً في المستثنى منه، لأنّ كلّ واحد ممّا ذكر في هذا الضّرب قبل أداة الاستثناء وبعدها صفة خاصّة فلا يكون ما بعد الأداة داخلاً فيما قبلها فجاء الانقطاع.

(٢) **قوله: «الأصل في مطلق الاستثناء»**. سواء كان أداته كلمة «إلّا» أو «غير» أو «حاشا» أو «خلا» أو «عدا» أو «ليس» أو «لا يكون» أو «بيد» أو غيرها.

(٣) **قوله: «وهذا لا ينافي قوله: إنّ الأصل في مطلق الاستثناء هو الاتّصال»**. أي: كون الأصل في الضّرب الثّاني انقطاع الاستثناء لا ينافي قوله قبل ذلك: «إنّ الأصل في مطلق الاستثناء هو الاتّصال».

وذلك لأنّ أصالة الانقطاع إنّما هو بالنّسبة إلى خصوص هذا الضّرب الثّاني، وأصالة الاتّصال إنّما هو بالنّسبة إلى مطلق الاستثناء.

وأيضاً الحكم بأصالة الانقطاع بعد ملاحظة أداة الاستثناء والحكم بأصالة الاتّصال بدون الملاحظة؛ فليتأمّل.

دعوى الشّيء ببيّنة ـ لأنّه مبنيّ على التّعليق بالمحال المبنيّ على تقدير الاستثناء متّصلاً.

[أفضليّة القسم الأوّل]

﴿ **ولهذا** ﴾ أي: ولكون التّأكيد في هذا الضّرب من الوجه الثّاني فقط ﴿ **كان** ﴾ الضّرب ﴿ **الأوّل أفضل** ﴾ لإفادته التّأكيد من الوجهين.

[الوجوه الثّلاثة في آية]

[الوجه الأوّل] وأمّا قوله: ﴿ **لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً**[1] **إِلَّا سَلاَماً** ﴾[2] فيحتمل أن

---

(١) **قوله: «وأمّا قوله: «لا يسمعون فيها لغواً»**. الوجوه المحمولة عليها الآية ثلاثة:

الأوّل: أن يكون من الضّرب الأوّل من ضربي التّأكيد وذلك بأن يفرض «السّلام» داخلاً في «اللّغو» ولَغْويّة «السّلام» محال، فسَمَاع «اللّغو» أيضاً محال، فيكون مشتملاً على التّعليق بالمحال وعلى فرض دخول المستثنى في المستثنى منه فيفيد تأكيد المدح من وجهين.

الثّاني: أن يكون من الضّرب الثّاني من ضربي التّأكيد بأن لا يفرض «السّلام» داخلاً في «اللّغو» ويكون الاستثناء منقطعاً ويكون إفادة التّأكيد من وجهٍ واحدٍ.

الثّالث: أن يفرض الاستثناء متّصلاً حقيقةً، وذلك لأنّ معنى «السّلام» الدّعاء بالسّلامة وأهل الجنّة أغنياء عن ذلك، أي: عن الدّعاء بالسّلامة للقطع بحصولها لهم بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** ﴾ [الزّمر: ٧٣]، وأمّا مطلق الدّعاء فليسوا بأغنياء عنه، ولمّا كان الغناء بالنّسبة إلى الدّعاء بالسّلامة كان ظاهره من قبيل «اللّغو» وفضول الكلام لولا ما فيه من فائدة الإكرام.

وأمّا قوله: ﴿ **لَا يَسْمَعُونَ فِيْهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً** ﴾ [الواقعة: ٢٥]، فيمكن حمله على كلّ من ضربي تأكيد المدح بما يشبه الذّمّ، ولا يمكن حمله على الوجه الثّالث؛ بدليل أنّ قول أهل الجنّة بعضهم لبعض: «سلاماً» وإن أمكن جعله من قبيل اللّغو بسبب غَنَائهم عن ذلك، إلّا

⇐

يكون من الضّرب الأوّل: بأن يقدّر «السّلام» داخلاً في «اللّغو» فيفيد التّأكيد من وجهين.

[الوجه الثّاني] وأن يكون من الضّرب الثّاني: بأن لا يقدّر ذلك ويجعل الاستثناء من أصله منقطعاً.

[الوجه الثّالث] ويحتمل وجهاً آخر: وهو أن يجعل الاستثناء متّصلاً حقيقة لأنّ معنى «السّلام»: الدُّعاء بالسَّلامة، وأهل الجنّة أغنياء عن ذلك، فكان ظاهره من قبيل اللّغو، وفضول الكلام ـ لولا ما فيه من فائدة الإكرام ـ وكأنّه قيل: «لا يسمعون فيها لغواً إلّا هذا النّوع من اللّغو».

[الوجهان الأوّلان فقط في آيةٍ أُخرى]

وقوله: ﴿**لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً* إِلَّا قِيلاً سَلاَماً سَلاَماً**﴾[1] يمكن حمله على كُلٍّ من ضربَي تأكيد المدح بما يشبه الذمّ ـ كما مرّ ـ.

ولا يمكن حمله على الوجه الثّالث ـ أعني: حقيقة الاستثناء المتّصل ـ لأنّ قولهم: «سلاماً» وإن أمكن جعله من قبيل اللّغو، لكنّه لا يمكن جعله من قبيل التّأثيم ـ وهو النّسبة إلى الإِثْم ـ.

⇐ أنّه لا يمكن جعله من قبيل التّأثيم ـ أي: النّسبة إلى الإثم؛ لأنّه من باب التّفعيل ومن معاني هذا الباب النّسبة ـ.

وإن قيل: يجعل الاستثناء من الأوّل فقط، أي من قوله: «لغواً» ليصير متّصلاً على الوجه الثّالث.

يقال في جوابه: وليس لك ذلك، لأنّه ليس في كلام العرب أن تذكر متعدّدين ثمّ تأتي بالاستثناء المتّصل من الأوّل فقط، كَأَنْ تقولَ: «ما جاءني رجل ولا امرأة إلّا زيداً» ولو قصدت ذلك كان الواجب أن تؤخّر ذكر الرّجل. (٢) مريم: ٦٢.

(١) الواقعة: ٢٥ ـ ٢٦.

وليس لك في الكلام أن تذكر متعدّدين ثمّ تأتي بالاستثناء المتّصل من الأوّل مثل أن تقول: «ما جاءني رجل ولا امرأة إلّا زيداً» ولو قصدت ذلك كان الواجب أن تؤخّر ذكر «الرّجل».

[ضرب آخر من تأكيد المدح بما يشبه الذمّ]

﴿ **ومنه** ﴾ أي: من تأكيد المدح بما يشبه الذمّ ﴿ **ضربٌ آخر** ﴾ وهو أن يؤتى بالاستثناء مفرّغاً ويكون «العامل» ممّا فيه معنى الذّمّ[١] و«المستثنى» ممّا فيه معنى المدح ﴿ **نحو:** ﴿ **وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا** ﴾[٢] ﴾ أي: ما تعيب منّا إلّا أصل المناقب والمفاخر كلّها وهو الإيمان بآيات الله ـ تعالى ـ يقال: «نَقَمَ منه» و«انتقم» ـ إذا عابه وكَرِهَهُ ـ.

وعليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا** ﴾[٣] فإنّ الاستفهام فيه[٤] للإنكار، فيكون بمعنى النّفي، وهو كالضّرب الأوّل في إفادة التّأكيد من وجهين[٥].

[الاستدراك في حكم الاستثناء]

﴿ **والاستدراك** ﴾ الدّالّ عليه لفظ «لكن»[٦] ﴿ **في هذا الباب** ﴾ أي: باب تأكيد

---

(١) **قوله: «ويكون العامل ممّا فيه معنى الذمّ»**. أي: عامل المستثنى.

(٢) الأعراف: ١٢٦.

(٣) المائدة: ٥٩.

(٤) **قوله: «فإنّ الاستفهام فيه»**. أي: في «هل تنقمون».

(٥) **قوله: «كالضّرب الأوّل في إفادة التّأكيد من وجهين»**. أي: من جهة أنّه كدعوى الشّيء ببيّنة وبرهان، ومن جهة أنّ الأصل في مطلق الاستثناء هو الاتّصال.

(٦) **قوله: والاستدراك الدالّ عليه لفظ «لكن»**. أي: الاستدراك في باب تأكيد المدح بما يشبه ⇐

المدح بما يشبه الذّمّ ﴿كالاستثناء﴾ في إفادة المراد ﴿كما في قوله﴾ أي: قول أبي الفضل بديع الزّمان الهَمَذاني[١] يمدح خلف بن أحمد السّجستانيّ[٢]:

﴿هُوَ الْبَدْرُ إلاّ أَنَّهُ الْبَحْرُ زَاخِراً[٣] سِوىٰ أَنَّهُ الضِّرْغَامُ لٰكِنَّهُ الوَبْلُ﴾

⇐ الذمّ كالاستثناء في إفادة المراد، لأنّ الاستدراك والاستثناء من باب واحدٍ، إذ كلّ منهما لإخراج ما هو بصدد الدّخول.

(١) **قوله: «بديع الزّمان الهمذاني»**. أبوالفضل بديع الزّمان أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد المتوفّى سنة ٣٩٨هـ بـ«هراة».

(٢) **قوله: «السّجستانيّ»**. منسوب إلى «سجستان» معرّب «سگستان» يقال لها: «زابلستان». قال ابن خلف التّبريزيّ ـ رحمه الله ـ في لغته المعروفة بـ«برهان قاطع» بالفارسيّة: «سِگْزي» به كسر أوّل و ثالث و سكون ثاني و تحتاني به معناى «سِگْز» است كه نام كوهى باشد در «زابلستان» و ساكنان آن جا را به نام آن كوه مى خوانند و «سگزيان» مى گويند، و راستم زال از آنجا است. و بعضى گويند: «سگزى» به معناى «سيستانى» است چه «سيستان» را به معناى «سگستان» هم مى گويند، و آن مخفّف «سگزيستان» و معرّب آن «سجزيّ» باشد اهـ. [برهان قاطع: ٦٥٢ ـ بيان ١٨ در سين بى نقطه با كاف فارسى ـ.]

(٣) **قوله: «هو البدر إلّا أنّه البحر زاخراً»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب التّامّ، والقائل مختلف فيه فقيل بديع الزّمان، وقيل أبوالفتح البستيّ، وأمّا قصيدة أبي الفتح في مدح خلف بن أحمد فهي:

كأنّ ينابيع الثّرى ثديُ مُرْضِعٍ وفي حِجْرها منّي ومن ناقتي طفلُ
كأنّا على أرجوحَةٍ في مسيرنا لِغَوْرٍ بنا تَهوِيْ ونَجْدٍ بنا تَعْلُو
كأنّ فمي قوسٌ لساني له يَدٌ مديحي له نَزْعٌ به أَمَلي نَبْلُ
كأنّ دَوَاتي مُطْفِلٌ حَبَشِيَّةٌ بَنَاني لها بَعْلٌ ونفسي لها نَسْلُ
كأنّ يدي في الطِّرْس غوّاص لُجَّةٍ بها كَلِمِي دُرٌّ به قيمتي تغلُو
يُذَكِّرُني قُرْبَ العِراقِ وديعةٌ لدى اللهِ لا يُسْلِيْه مالٌ ولا أهلُ
إذا ورد الحُجَّاجُ وَافَى رِكابهم بفَوّارتَيْ دَمْعٍ هما الثَّجْلُ والسَّجْلُ

⇐

⇐ يُسَائله كيف ابنُهُ أين داره؟ إلامَ انتهى لِمْ لَمْ يَعُدْ هَلْ له شُغْلُ
أضاقت به حالٌ أطالَتْ له يَدٌ أألخره نقصٌ أقدّمه فَضْلُ
يقولون وافى حضرة المَلِك الّذي له الكَنَفُ المأمولُ والنّائِلُ الجَزْلُ
وفاضَتْ عليه مَطْرَةٌ خَلَفِيَّةٌ بها للغوادي من ولايته عزلُ
يذكّرهم باللّه ألّا صَدَقْتُمُ لديَّ، أجِدٌّ ما تقولون أم هَزْلُ
ولمّا بلوناكم تلونا مديحكم فيا طِيْبَ ما نبلُو، ويا صدق ما نتلُو
كأنّ أبانا أوْدَعَ الملك الّذي قصدناه كنزاً لم يَسَعْ ردّه مَطْلُ
فِدىً لك من أبناء عصرك مَنْ غدا ولا قوله علمٌ ولا فِعْلُهُ عَدْلُ
أيا ملكاً أدْنى مناقبه العُلَى وأَيْسَرُ ما فيه السَّمَاحَةُ والبَذْلُ
هو البدر إلّا أنّه البحر زاخراً سوى أنّه الضِّرْغَامُ لكنّه الوَبْلُ
محاسن يبديها العِيان كما نرى وإن نحن حدّثنا بها دَفَعَ العقلُ
فقولا لِوَسَّام المكارم باسمه لِيَهْنِكَ أن لم تبق مكرمةٌ غُفْلُ
وجاراك أفلال الملوك إلى العُلَى وحقّاً لقد أعجزتهم ولك الفَضْلُ

وأمّا قصيدة بديع الزّمان الهمذاني فهي هذه وتتّفق مع قصيدة البستيّ في مواضع كثيرة:

سماء الدُّجَى ما هذه الحدق النّجل أصدر الدُّجَى حالٍ وجيد الضُّحَى عُطْلُ
لك الله من عزمٍ أجوب جيوبه كأنّي في أجفان عين الرّدى كحلُ
كأنّ الدُّجَى نقع وفي الجوّ حرمة كواكبها جُنْدٌ طوائرها رسلُ
كأنّ مطايانا سماء كأنّنا نجومٌ على أقتابها برجها الرّحل
كأنّ القُرَى سكرى ولا سكر بالقرى كأنّ الرُّبا ثكلى وما بالرُّبا ثكل
كأنّ السّرى ساقٍ كأنّ الكرى طلا كأنّا لها شرب كأنّ المنى نقل
كأنّ الفلا نادٍ به الجنّ فتية عليه الثّرى فرش حشيته الرَّمْلُ
كأنّ الرُّبا كُوْمٌ كأنّ هزالها لكثرة ما يغتالها الخفّ والنّعل

⇐

⇐ كأنّ الّذي تنفي الحوافر في الثّرى ... خطوط مسامير النّعال لها شَكْلُ
كأنّا جِياع والمطيّ لنا فَمٌ ... كأنّ الفلا زاد كأنّ السّرى أكلُ
كأنّ بصدر العيس حقداً على الثّرى ... فمن يدها خبط ومن رجلها نكل
كأنّ ينابيع الثّرى ثديُ مُرْضِعٍ ... وفي حِجْرها منّي ومن ناقتي طفلُ
كأنّا على أرجوحَةٍ في مسيرنا ... لِغَوْرٍ بنا تَهْوِيْ ونَجْدٍ بنا تَعْلُو
كأنّا على سير السّواني مسافة ... لمجهلةٍ تمضي ومجهلة تتلو
كأنّ الدّجى جفن كأنّ نجومه ... على ظهره حلي كأنّا له نصلُ
كأنّ بني غبراء حين لقيتهم ... ذئابٌ كأنّي بين أنيابهم سخلُ
كأنّ أبانا أوْدَعَ الملك الّذي ... قصدناه كنزاً لم يَسَعْ ردّه مَطْلُ
كأنّ يدي في الطِّرْس غوّاص لُجَّةٍ ... بها كَلِمِي دُرٌّ به قيمتي تغلُو
كأنّ فمي قوسٌ لساني له يَدٌ ... مديحي له نَزْعٌ به أَمَلي نَبْلُ
كأنّ دَوَاتي مُطْفِلٌ حَبَشِيَّةٌ ... بَنَاني لها بَعْلٌ ونفسي لها نَسْلُ
كأنّ بنيها عكس أبناء عصرنا ... فإن يُرْضَعُوا يبكوا وإن يُفْطَمُوا يسلو
وإن ضربت أعناقهم عاش ميتهم ... فقتلهم أن لا يعمّهُمُ القتلُ
كأن أُلهمت فضل الّذي باسمه جرت ... فسارت وما غير الرّؤوس لها رجل
كأنّ الأمير اختصّها فاعتلت به ... معارج أسباب السّماء لها سفلُ
وإلّا فما بالُ الملوك نراهم ... عبيد قناة لا تمرّ ولا تحلو
ألا عتبَتْ جُمْلٌ وبيني وبينها ... من البيد عذرٌ لو به علمت جُمْلُ
تعجّب من شكواي دهري كأنّني ... شكوتُ لما لم يشكه النّاس من قبلُ
يُذَكِّرُني قُرْبَ العِراقِ وديعةٌ ... لدى اللهِ لا يُسْلِيْه مالٌ ولا أهلُ
حنته النّوى عنّي وأضنَتْهُ غيبتي ... وعهدي به كالليث جؤجؤة عبلُ
إذا ورد الحُجَّاجُ وَافَى رِكابهم ... بفَوَّارتَيْ دَمْعٍ هما الثَّجْلُ والسَّجْلُ
يُسَائلهم أين ابنُهُ أين داره؟ ... إلامَ انتهى لِمْ لَمْ يَعُدْ هَلْ له شُغْلُ

⇐

فالأوّلان[١] استثناءان مثل قوله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ» وقوله: «ولكنّه الوبل» استدراك يفيد من التّأكيد ما يفيده هذا الضّرب من الاستثناء[٢] لأنّه استثناء منقطع و«إلّا» فيه[٣] بمعنى «لكن».

⇐ أضاقت به حالٌ أطالَتْ له يَدٌ | أأخّره نقصٌ أقدّمه فَضْلُ
يقولون وافى حضرة المَلِك الّذي | له الكَنَفُ المأمولُ والنّائِلُ الجَزْلُ
أفيضوا عن الفرع الّذي أنا أصله | وما بال فرعٍ ليس يحضره الأصلُ
فقِيْدَ له طرف وحُلَّتْ له حُبىً | وخير له قصرٌ ودرّ له نزل
وفاضَتْ عليه مَطْرَةٌ خَلَفِيَّةٌ | بها للغوادي من ولايته عزلُ
يذكّرهم باللّه ألّا صَدَقْتُمُ | لديَّ، أجِدٌّ ما تقولون أم هَزْلُ
فِدىً لك من أبناء عصرك مَنْ غدا | ولا قوله علمٌ ولا فِعْلُهُ عَدْلُ
طوينا للُقْياك الملوك وإنّما | بمثلك عن أمثالهم مثلنا يسلو
ولمّا بلوناكم تلونا مديحكم | فيا طِيْبَ ما نبلُو، ويا صدق ما نتلُو
أيا ملكاً أدنى مناقبه العُلَى | وأَيْسَرُ ما فيه السَّمَاحَةُ والبَذْلُ
هو البدر إلّا أنّه البحر زاخراً | سوى أنّه الضِّرْغَامُ لكنّه الوَبْلُ
محاسن يبديها العِيان كما نرى | وإن نحن حدّثنا بها دَفَعَ العقلُ
فقولا لِوَسَّام المكارم باسمه | لِيَهْنِكَ أن لم تبقَ مكرمةٌ غُفْلُ
وجاراك أفراد الملوك إلى العُلَى | وحقّاً لقد أعجزتهم ولك الفَضْلُ
سَمَا بك عن عمرو بن يعقوب محتِدٌ | كذا الأصل مفخوراً به وكذا النَّسْلُ

* * *

(١) **قوله: «فالأوّلان»**. وهما قوله: «إلّا أنّه» و«سوى أنّه» استثناءان مثل قوله: «بَيْدَ أَنّي» لأنّه أثبت فيه أوّلاً صفة مدحٍ وعقّبها بأداة استثناءٍ يليها صفة مدح أُخرى ولكنّ الصّفة الأُخرى في البيت قد تعدّدت.

(٢) **قوله: «هذا الضّرب من الاستثناء»**. أي: الضّرب الّذي استشهد له بقوله: «أنا أفصح العرب بيد أنّي من قريش» لأنّه استثناء منقطع.

(٣) **قوله: «و«إلّا» فيه»**. أي كلمة «إلّا» في البيت بمعنى «لكن» الاستدراكيّة.

[تأكيد الذمّ بما يشبه المدح وتقسيمه إلى قسمين]

﴿ ومنه ﴾ أي: من المعنويّ **﴿ تأكيد الذّمّ بما يشبه المدح. وهو ضربان ﴾**:

[القسم الأوّل] ﴿ أحدهما: أن يستثنى من صفة مدح منفيّة عن الشّيء صفة ذمّ له ـ بتقدير دخولها فيها ـ ﴾ أي: دخول صفة الذّمّ في صفة المدح **﴿ كقولك: «فلان لا خير فيه إلّا أنّه يُسيء إلى مَنْ أحسَنَ إليه ﴾**.

[القسم الثّاني] ﴿ وثانيهما: أن يثبت للشّيء صفة ذمّ وتعقّب بأداة استثناء تليها صفة ذمّ أُخرى له، كقولك: «فلان فاسق إلّا أنّه جاهل» ﴾ فالضّرب الأوّل يفيد التّأكيد من وجهين، والثّاني من وجه واحد **﴿ وتحقيقهما على قياس ما مرّ ﴾**(١).

---

(١) **قوله: «وتحقيقهما على قياس ما مرّ»**. أمّا في الضّرب الأوّل فلأنّ دخول صفة الذّمَ في صفة المدح المنفيّة يفيد ثبوت صفة الذّمّ فيحصل من ذلك صفتان للذّمّ:

إحداهما: بسبب نفي صفة المدح، إذ يلزم من ذلك ثبوت نقيضها؛ لامتناع ارتفاع النقيضين.

والأُخرى: بسبب الاستثناء، لأنّ الاستثناء بعد النّفي إثبات.

ففي قوله: «فلان لا خير فيه إلّا أنّه يسيء إلى من أحسن إليه» يجري ما تقدّم في الضّرب الأوّل من تأكيد المدح، لأنّه لمّا كان فيه تقدير الاتّصال لوجود العموم ـ على أن يكون معناه: لا خير فيه إلّا الإساءة للمحسن إن كانت خيراً ـ كان فيه التّعليق بالمحال، فكان كدعوى الشّيء ببرهانٍ.

وكان فيه أيضاً ـ بحكم أنّ الأصل في الاستثناء الاتّصال ـ الإشعار بأنّه طلب الأصل وهو استثناء المدح ليقع الاتّصال فلمّا لم يجده استثنى ذمّاً، فجاء ذمّ على ذمّ بوجهٍ أبلغ.

وفي قوله: «فلان فاسق إلّا أنّه جاهل» لا يجري فيه ما تقدّم في الضّرب الأوّل من دعوى الشّيء ببرهانٍ، لأنّه إنّما يتوقّف على التّعليق بالمحال، وهو يتوقّف على اتّصال الاستثناء والاتّصال غير ممكن هاهنا، لأنّ المستثنى منه هاهنا صفة خاصّة لا يمكن ⇐

ويأتي منه الضّرب الآخر ـ أعني: الاستثناء المفرّغ ـ نحو: «فلان لا يستحسن منه إلّا جهله»[١]، والاستدراك فيه بمنزلة الاستثناء نحو: «جاهل لكنّه فاسق».

[الاستتباع]

﴿ومنه﴾ أي: من المعنوي **﴿الاستتباع، وهو المدح بشيءٍ على وجه يستتبع المدح بشيء آخر، كقوله﴾** أي: قول أبي الطّيّب:

﴿نَهَبْتَ مِنَ الأَعْمَارِ[٢] مَا لَوْ حَوَيْتَهُ﴾ أي: جمعته. **﴿لَهُنِّئَتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ﴾**.

⇐ دخول شيءٍ فيها، ولكنّه يجري فيه ما تقدّم في الضّرب الثّاني وهو أنّ الاستثناء لمّا كان أصله الاتّصال فالعدول عنه إلى الانفصال يدلّ على أنّه طلب استثناء المدح فلم يجده فأتى بالذّمّ بوجهٍ أبلغ.

(١) **قوله: «فلان لا يستحسن منه إلّا جهله»**. وهذا الضّرب أيضاً يفيد التّأكيد من وجهين ـ مثل ما تقدّم في الضّرب الأوّل ـ وذلك لأنّه كدعوى الشّيء ببيّنة، بدليل نفي كلّ ما يستحسن منه ثمّ استثناء الجهل من المنفيّ ـ على تقدير كون الجهل ممّا يستحسن ـ وكون الجهل من المحاسن محال، فيكون تعليقاً بالمحال.

وأيضاً الكلام ـ بحكم كون الأصل في الاستثناء الاتّصال ـ يدلّ على أنّ المتكلّم طلب الأصل، وهو استثناء المحاسن، طلباً للاتّصال، فلمّا لم يجده استثنى ما لا يعدّ من المحاسن وهو الجهل، فجاء الذّمّ بأبلغ وجهٍ.

(٢) **قوله: «نهبت من الأعمار»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المماثل وهو من قصيدة قالها المتنبّي حين أراد سيف الدّولة قصد خرشنة فعاقه الثّلج عن ذلك:

عَـوَاذِلُ ذاتِ الخَـالِ فـيّ حَـوَاسِـدُ ... وَإنّ ضَـجيعَ الخَـوْدِ مـنّي لمَـاجِدُ

يَـرُدّ يَـداً عَـنْ ثَـوْبِهَا وَهْـوَ قَـادِرٌ ... وَيَـعصي الهَـوَى فـي طَـيْفِها وَهـوَ راقِـدُ

متى يَشتفي من لاعجِ الشّوْقِ فـي الحشا ... مُـحِبٌّ لهـا فـي قُـرْبِه مُـتَبَاعِدُ

إذا كـنتَ تـخشَى العـارَ فـي كـلّ خَـلْوَةٍ ... فَـلِمْ تَـتَصَبّاكَ الحِسانُ الخَـرائِـدُ

ألَـحّ عَـلَيّ السّـقْمُ حـتّى ألِـفْتُهُ ... وَمَـلّ طَـبيبي جـانِبي وَالعَـوائِـدُ

⇐

⇐ مَرَرْتُ على دارِ الحَبيبِ فحَمْحمتْ … جَوادي وهل تُشجي الجيادَ المعاهدُ

وما تُنكِرُ الدّهْمَاءُ مِن رَسْم منزِلٍ … سَقَتها ضَريبَ الشَّوْلِ فيهِ الوَلائِدُ

أهُمّ بشَيْءٍ واللّيَالي كأنّهَا … تُطارِدُني عَنْ كَوْنِهِ وَأُطارِدُ

وَحيدٌ مِنَ الخُلّانِ في كلّ بَلْدَةٍ … إذا عَظُمَ المَطلُوبُ قَلّ المُساعِدُ

وَتُسْعِدُني في غَمرَةٍ بَعدَ غَمْرَةٍ … سَبُوحٌ لَها مِنهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ

تَثَنّى عَلى قَدْرِ الطّعانِ كَأنّمَا … مَفَاصِلُها تَحْتَ الرّماحِ مَرَاوِدُ

وَأُورِدُ نَفْسِي والمُهَنّدُ في يَدي … مَوَارِدَ لا يُصْدِرْنَ مَن لا يُجالِدُ

وَلَكِنْ إذا لمْ يَحْمِلِ القَلْبُ كفَّهُ … على حَالَةٍ لم يَحْمِلِ الكَفَّ ساعِدُ

خَليلَيّ إنّي لا أرَى غيرَ شاعِرٍ … فَلِمْ منهُمُ الدّعوَى ومنّي القَصائِدُ

فَلا تَعْجَبَا إنّ السّيُوفَ كَثيرَةٌ … وَلكِنّ سَيفَ الدّوْلَةِ اليَوْمَ واحِدُ

لهُ من كَريم الطبعِ في الحرْبِ مُنتضٍ … وَمن عادةِ الإحسانِ والصّفحِ غامِدُ

وَلمّا رَأيتُ النّاسَ دونَ مَحَلّهِ … تَيَقّنْتُ أنّ الدّهْرَ للنّاسِ نَاقِدُ

أحَقُّهُمُ بالسّيْفِ مَن ضَرَبَ الطُّلى … وَبالأمْنِ مَن هانَتْ عليهِ الشّدائدُ

وَأشْقَى بلادِ اللهِ ما الرّومُ أهلُها … بهذا وما فيها لمَجدِكَ جَاحِدُ

شَنَنْتَ بها الغاراتِ حتّى تَرَكْتَها … وَجَفنُ الّذي خَلفَ الفَرنْجةِ ساهِدُ

مُخَضَّبَةٌ والقَوْمُ صَرْعَى كأنّهَا … وَإنْ لم يكونوا ساجِدينَ مَساجِدُ

تُنكّسُهُمْ والسّابِقاتُ جِبالُهُمْ … وَتَطْعَنُ فيهِمْ وَالرّماحُ المَكايدُ

وتَضربهم هبراً وَقد سكنوا الكُدَى … كما سكَنَتْ بطنَ التّرابِ الأساوِدُ

وتُضحي الحصون المشمخرّاتُ في الذرَى … وَخَيْلُكَ في أعْناقِهِنّ قَلائِدُ

عَصَفْنَ بهمْ يَوْمَ اللُّقَانِ وَسُقنَهم … بهِنريطَ حتّى ابيَضّ بالسبيِ آمِدُ

وَألحَقنَ بالصّفصَافِ سابورَ فانهَوَى … وَذاقَ الرّدَى أهلاهُما وَالجَلامِدُ

وَغَلّسَ في الوَادي بهِنّ مُشَيَّعٌ … مُبارَكُ ما تحتَ اللّثَامَينِ عابِدُ

فَتىً يَشْتَهي طُولَ البلادِ وَوَقْتُهُ … تَضِيقُ بِهِ أوْقاتُهُ وَالمَقاصِدُ

⇐

﴿ **مدحه بالنِّهاية في الشَّجَاعة** ﴾ ـ إذ كثر قَتْلاه بحيث لو وَرِث أعمارهم لخلّد في الدّنيا ـ ﴿ **على وجه استتبع مدحه بكونه سبباً لصلاح الدّنيا ونِظامها** ﴾ حيث جعل الدّنيا مُهَنَّأَةً بخلوده، ولا معنى لِتَهْنِئَةِ أحدٍ بشيءٍ لا فائدة له فيه.

[قول الرّبعيّ في البيت]

قال عليّ بن عيسى الرَّبَعيّ[1]: ﴿ **وفيه** ﴾ أي: في البيت وجهان آخران من المدح:

⇐ أخُو غَزَواتٍ مَا تُغِبُّ سُيُوفُهُ ... رِقَابَهُمُ إلّا وَسَيْحانُ جَامِدُ
فلَم يَبقَ إلّا مَنْ حَمَاهَا مِن الظُّبى ... لمَى شَفَتَيْها وَالثُّدِيُّ النّوَاهِدُ
تُبَكّي علَيهِنّ البَطاريقُ في الدُّجى ... وَهُنّ لَدَينا مُلقَياتٌ كَوَاسِدُ
بِذا قضَتِ الأيّامُ ما بَينَ أهْلِهَا، ... مَصائِبُ قَوْمٍ عِندَ قَوْمٍ فَوَائِدُ
وَمِن شَرَفِ الإقْدامِ أنّكَ فيهِمِ ... على القَتْلِ مَوْمُوقٌ كأنّكَ شاكِدُ
وَأنّ دَماً أجرَيْتَهُ بكَ فاخِرٌ ... وَأنّ فُؤاداً رُعْتَهُ لكَ حَامِدُ
وَكلٌّ يَرَى طُرْقَ الشّجاعَةِ والنّدى ... وَلكِنّ طَبْعَ النّفْسِ للنّفسِ قائِدُ
نَهَبْتَ منَ الأعمارِ ما لَوْ حَوَيْتَهُ ... لَهُنّئَتِ الدُّنْيَا بأنّكَ خَالِدُ
فأنْتَ حُسامُ المُلْكِ وَاللهُ ضَارِبٌ ... وَأنْتَ لِواءُ الدّينِ وَاللهُ عَاقِدُ
وَأنتَ أبو الهَيْجا بنُ حَمدانَ يا ابنَهُ ... تَشَابَهَ مَوْلُودٌ كَرِيمٌ وَوَالِدُ
وحَمدانُ حمدونٌ وَحمدونُ حارِثٌ ... وَحارِثُ لُقْمانٌ وَلُقْمَانُ رَاشِدُ
أُولَئِكَ أنْيابُ الخِلافَةِ كُلُّهَا ... وَسَائِرُ أمْلاكِ البِلادِ الزّوائِدُ
أُحِبّكَ يا شَمسَ الزّمانِ وبَدْرَهُ ... وَإنْ لامَني فيكَ السُّهَى والفَراقِدُ
وَذاكَ لأنّ الفَضْلَ عندَكَ بَاهِرٌ ... وَلَيسَ لأنّ العَيشَ عندَكَ بارِدُ
فإنّ قَليلَ الحُبّ بالعَقْلِ صالحٌ ... وَإنّ كَثيرَ الحُبّ بالجَهْلِ فاسِدُ

(١) **قوله: «عليّ بن عيسى الرَّبَعي»**. هو أبوالحسن عليّ بن عيسى بن الفَرَج بن صالح الرّبعي النّحوي البغدادي من أكابر النحويّين وأبرز تلامذة أبي عليّ الفارسيّ حتّى قال الفارسيّ: قولوا لعليّ البغداديّ لو سرت من المشرق إلى المغرب لم أجد أنحى منك، ولد سنة ٣٢٨هـ ⇐

أحدهما: ﴿أنّه نهب الأعمار دون الأموال﴾ وهذا ممّا ينبئ عن علوّ الهمّة.

﴿و﴾ ثانيهما: ﴿أنّه لم يكن ظالماً في قتلهم﴾ أي: قتل مقتوليه؛ لأنّه لم يقصِد بذلك إلّا صَلاح الدّنيا وأهلها، وذلك لأنّ تهنئة الدّنيا إنّما هي تهنئة لأهلها، فلو كان ظالماً في قَتْلِ مَنْ قَتَلَ لما كان لأهل الدّنيا سرور بخلوده.

[الإدماج]

﴿ومنه﴾ أي: من المعنويّ ﴿الإدماج﴾ يقال: «أدمج الشّيء في الثّوب» ـ إذا لفّه فيه ـ ﴿وهو أن يُضَمَّنَ كلامٌ سيق لِمعنىً﴾ مدحاً كان أو غيره ﴿معنىً آخر﴾ منصوب مفعول ثان لـ«يُضَمَّن» وقد أسند إلى المفعول الأوّل.

وهذا المعنى الثّاني يجب أن لا يكون مصرَّحاً به، ولا يكون في الكلام إشعار بأنّه مسوق لأجله. **فمن قال** ـ في قول الشّاعر:

أَبىٰ دَهْرُنَا إِسْعَافَنا فِي نُفُوسِنَا[1] **وَأَسْعَفَنا فِيمَن نُحِبُّ وَنُكْرِمُ**

⇐ وتوفّي ٤٢٠هـ.

والرَّبَعيّ بفتح الرّاء والباء، قال في المصباح: «ربيعة» قبيلة والنّسبة إليها «رَبَعيّ» بفتحتين، والنّسبة إلى «ربيع» الزّمان: «رِبْعِيّ» بكسر الرّاء وسكون الباء على غير قياسٍ فرقاً بينه وبين الأوّل اهـ.

ومن النّسبة إلى ربيع الزّمان والد «شَبَث» فيقال له: شَبَث بن رِبْعِيّ ـ لعنه الله ـ وكان شبث هذا ممّن كتب إلى سيّد الشهداء الإمام الحسين ـ عليه السّلام ـ ثمّ خرج عليه وقاتله فلعنة الله عليه من غادرٍ فاجرٍ، وكاذب آثمٍ، غدر بولد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وقتلهم.

(١) **قوله: «أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا»**. البيتان من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المماثل والقائل ـ كما نصّ عليه الصّولي في «أدب الكُتّاب» ـ عبيدالله بن عبدالله بن طاهر، قال: حدّثني أبو عليّ السِّجْزي قال: لمّا ولي عبدالله بن سليمان بن وَهْب الوزارة للمعتضد بالله أوصلت إليه كتاباً من عبيدالله بن عبدالله بن طاهر وفيه شعر له: «أبى

⇐

فَـقُلْتُ لَـهُ: نُـعْماكَ فِـيهِم أَتِـمَّهَا ... وَدَعْ أَمْـرَنَا إِنَّ المُـحِبَّ المُـقَدَّم

: إنّه أدمج شكوى الزّمان في التّهنئة ـ **فقد سها**؛ لأنّ الشّكاية مصرّح بها، فكيف تكون مُدْمَجةً، ولو جَعَلَ التّهنئة مُدْمَجَةً لكان أقرب.

﴿**فهو أعمّ من الاستتباع**﴾ لِشموله المدح وغيره واختصاص الاستتباع بالمدح ﴿**كقوله**﴾ أي: قول أبي الطّيّب:

﴿**أُقَلِّبُ فِيهِ**﴾ أي: في ذلك اللّيل ﴿**أَجْفَانِي كَأَنِّي**[1] * **أَعُدُّ بِهِ عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا**﴾.

⇐ دهرنا إسعافنا في نفوسنا» إلى آخره ... فلمّا قرأ عبدالله هذا الشّعر، قال: ما أحسن ما احتال في شكوى حاله بين أضعاف مدحه، فأوصل رقاعه إليّ فقضى كلّ حاجة كانت له اه.

ومراده من أبي عليّ السّجزيّ محمّد بن العلاء ـ كما في «البصائر والذّخائر» لأبي حيّان التوحيديّ، و«التذكرة الحمدونيّة» لابن حمدون ـ.

وقال ابن بسّام في آخر ترجمة أبي القاسم خلف بن فرج الألبيريّ من كتاب «الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة»: ومن مليحه ـ أي: الإدماج ـ أيضاً قول بعض الفقهاء:

إن كنت كـاذبة الّـذي حـدّثتني ... فعليك إثم أبـي حـنيفة أو زُفَـر
الواثـبين عـلى القـياس تـمرّداً ... والرّاغبين عن التمسّك بـالخبر

وذكره الخطيب البغدادي في ترجمة أبي حنيفة من «تاريخ بغداد».

وقال الزّوزني في «حماسة الظّرفاء من أشعار المحدثين والقدماء»: وقال عبيدالله بن عبدالله بن طاهر:

أبى دهرُنا إعـتابَنا فـي عـدوّنا ... وأَعْتَبَنا في من نُحِبُّ ونُكـرِمُ
فقلت له عُـتْبَاكَ فـيهم أَتِـمَّهَا ... ودَعْ ما سواها فالأهمّ المقدَّمُ

* * *

(١) **قوله: «أُقلّب فيه أجفاني كأنّي»**. البيت من الوافر عـلى العـروض المـقطوفة مـع الضّـرب المشابه وهو من قصيدة قالها المتنبّي يمدح بها عليّ بن محمّد بن سيّار بن مكرم التّميمي، وكان يحبّ الرّمي بالنُّشّاب ويتعاطاه وكان له وكيل يتعرّض للشّعر فأنفذه إلى أبي الطّيّب ⇐

⇐ يناشده، فتلقّاه وأجلسه في مجلسه ثمّ كتب إلى عليّ:

ضُـروبُ النّـاسِ عُشّاقٌ ضُـروبًا فأعـذَرُهُمْ أشَـفُّهُمُ حَـبيبًا
وما سَكَني سِوَى قَتْلِ الأعادي فهَلْ مِن زَوْرَةٍ تَشفي القُلوبَا
تَظَلّ الطّيرُ منها في حَديثٍ تَرُدّ بهِ الصَّراصِرَ والنّعيبَا
وقد لَبِسَتْ دِماءَهُمُ عَلَيْهِمْ حِداداً لم تَشُقّ لَهُ جُيُوبَا
أدَمْنا طَعْنَهُمْ والقَتْلَ حتّى خَلَطْنا في عِظامِهِمِ الكُعُوبَا
كأنّ خُيولَنا كانَتْ قَديماً تُسَقّى في قُحُوفِهِمِ الحَليبَا
فَمَرّتْ غَيرَ نافِرَةٍ عَلَيْهِمْ تَدوسُ بنا الجَماجِمَ والتّريبَا
يُقَدّمُها وقد خُضِبَتْ شَواهَا فَتىً تَرْمي الحُرُوبُ بهِ الحُرُوبَا
شَديدُ الخُنْزُوانَةِ لا يُبَالي أصابَ إذا تَنَمّرَ أم أُصِيبَا
أعَزْمي طالَ هذا اللّيلُ فانْظُرْ أمِنْكَ الصّبْحُ يَفْرَقُ أنْ يَؤوبَا
كأنّ الفَجْرَ حِبٌّ مُسْتَزارٌ يُراعي مِنْ دُجُنّتِهِ رَقِيبَا
كأنّ نُجُومَهُ حَلْيٌ عَلَيْهِ وقد حُذِيَتْ قَوائِمُهُ الجَبُوبَا
كأنّ الجَوّ قاسَى ما أُقاسِي فصارَ سَوادُهُ فيهِ شُحُوبَا
كأنّ دُجاهُ يَجْذِبُها سُهادي فلَيسَ تَغيبُ إلّا أنْ يَغيبَا
أُقَلّبُ فيهِ أجْفاني كأنّي أعُدّ بهِ على الدّهرِ الذّنُوبَا
وما لَيلٌ بأطْوَلَ مِنْ نَهارٍ يَظَلّ بلَحظِ حُسّادي مَشُوبَا
وما مَوْتٌ بأبْغَضَ مِنْ حَياةٍ أرَى لَهُمُ مَعي فيها نَصيبَا
عَرَفْتُ نَوائِبَ الحَدَثانِ حتّى لَوِ انْتَسَبَتْ لكُنتُ لَها نَقيبَا
ولمّا قَلّتِ الإبْلُ امْتَطَيْنَا إلى ابنِ أبي سُلَيْمانَ الخُطُوبَا
مَطايا لا تَذِلّ لمَنْ عَلَيْهَا ولا يَبغي لَها أحَدٌ رُكُوبَا
وتَرْتَعُ دونَ نَبْتِ الأرْضِ فينا فَما فارَقْتُها إلّا جَدِيبَا
إلى ذي شِيمَةٍ شَغَفَتْ فُؤادي فَلَوْلاهُ لقُلْتُ بها النّسيبَا

⇐

﴿ فإنّه ضمّن وصف اللّيل بالطّول لشكاية الدّهر ﴾ يعني: لكثرة تقليبي لأجفاني في ذلك اللّيل كأنّي أَعُدُّ على الدّهر ذنوبه.

وقوله: «معنى آخر» أراد به الجنس أعمّ من أن يكون واحداً ـ كما في بيت أبي الطيّب ـ أو أكثر كما في قول ابن نُباتة:

⇐ تُنازِعُني هَواها كلُّ نَفْسٍ	وإن لم تُشْبِهِ الرّشَأ الرّبِيبَا
عَجيبٌ في الزّمانِ وما عَجيبٌ	أتَى مِنْ آلِ سَيّارٍ عَجيبَا
وشَيْخٌ في الشّبابِ ولَيس شَيْخاً	يُسَمّى كلُّ مَن بَلَغَ المَشيبَا
قَسَا فالأُسْدُ تَفْزَعُ مِن يَدَيْهِ	وَرَقّ فَنحنُ نَفزَعُ أن يَذوبَا
أشَدُّ مِنَ الرّياحِ الهُوجِ بَطشاً	وأسرَعُ في النّدى منها هُبُوبَا
وقالوا ذاكَ أرْمَى مَنْ رَأَيْنَا	فقُلْتُ رأيْتُمُ الغَرَضَ القَريبَا
وهَلْ يُخْطي بأسْهُمِهِ الرّمَايَا	وما يُخْطي بما ظَنّ الغُيُوبَا
إذا نُكِبَتْ كَنائِنُهُ اسْتَبَنّا	بأنْصُلِها لأنْصُلِها نُدُوبَا
يُصيبُ بِبَعْضِها أفْواقَ بَعضٍ	فلَوْلا الكَسرُ لاتّصَلَتْ قَضِيبَا
بكُلّ مُقَوَّمٍ لم يَعْصِ أمْراً	لَهُ حتّى ظَنَنّاهُ لَبِيبَا
يُريكَ النَّزْعُ بَينَ القَوْسِ مِنْهُ	وبَيْنَ رَمِيِّهِ الهَدَفَ اللّهِيبَا
ألَستَ ابنَ الأُلَى سَعِدوا وسادوا	ولم يَلِدوا امرَأً إلّا نَجِيبَا
ونالُوا ما اشْتَهَوْا بالحَزْمِ هَوْناً	وصادَ الوَحشَ نَملُهُمُ دَبِيبَا
وما ريحُ الرّياضِ لَها ولٰكِنْ	كَساها دَفنُهُمْ في التُّرْبِ طِيبَا
أيَا مَنْ عادَ رُوحُ المَجْدِ فيهِ	وصارَ زَمانُهُ البالي قَشيبَا
تَيَمّمَني وكيلُكَ مادِحاً لي	وأنْشَدَني مِنَ الشّعرِ الغَريبَا
فآجَرَكَ الإلٰهُ على عَليلٍ	بَعَثْتَ إلى المَسيحِ بهِ طَبِيبَا
ولَسْتُ بمُنكرٍ مِنْكَ الهَدايَا	ولَكِنْ زِدْتَني فيها أدِيبَا
فلا زالَتْ دِيارُكَ مُشرِقاتٍ	ولا دانَيتَ يا شَمسُ الغُرُوبَا
لأُصْبحَ آمِناً فيكَ الرّزايا	كمَا أنَا آمِنٌ فيكَ العُيُوبَا

وَلاَبُدَّ لِي مِنْ جَهْلَةٍ فِي وِصَالِهِ[١] فَمَنْ لِي بِخِلٍّ أُودِعُ الْـحِلْمَ عِـنْدَهُ

فإنّه أدمج في الغزل[٢] الفخر بكونه حليماً ـ حيث كنى عن ذلك بالاستفهام عن وجود خليل صالح لأن يودعه حلمه ـ وضمّن الفخر بذلك شكوى الزّمان لتغيّر

---

(١) **قوله: «ولابدّ لي من جهلة في وصاله»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المشابه، والقائل ابن نُباتة السّعديّ وقال الثعالبيّ في ترجمة ابن نباتة من «اليتيمة»:

عَجِبْتُ له يُخْفِي سُراه، ووجهه به تشرق الدّنيا وبالشّمس بعده
ولابدّ لي من جهلةٍ في وصاله فمن لي بِخِلِّ أُوْدِعُ الحلم عنده

وابن نباتة السّعديّ هو أبو نصر عبدالعزيز بن محمّد بن نُباتة التميميّ المعاصر للمتنبّي المتوفّى سنة ٤٠٥هـ وهذا غير ابن نباتة الخطيب وهو أيضاً كان معاصراً للمتنبّي ولكنّه رجل آخر وتوفّي سنة ٣٧٤هـ.

(٢) **قوله: «أدمج في الغزل»**. أي: أدمج فيه أشياء خمسةً:

الأوّل: الفخر بكونه حليماً بتقرير ما ذكره الشّارح.

الثّاني: تضمين الفخر بكونه حليماً شكوى أبناء الزّمان.

الثّالث: التّنبيه بإرادة إيداع حلمه عند الصّديق على عدم العزم على مفارقة الحلم دائماً.

الرّابع: وصف نفسه بعدم الميل إلى الجهل اختياراً، وإنّما يجهل اضطراراً؛ لوصال المحبوب؛ لأنّه لابدّ منه كما قال ابن وهيب الحميريّ المتوفّى سنة ٢٢٥هـ ونعم ما قال:

لئن كنتُ محتاجاً إلى الحلم إنّني إلى الجهل في بعض الأحايين أحوَجُ
ولي فرسٌ للحلم بالحلم مُلْجَمٌ ولي فرس للجهل بالجهل مُسْرَجُ
فمن شاء تقويمي فإنّي مقوّم ومن رام تعويجي فإنّي معوَّجُ
وما كنتُ أرضى الجهل خِدْناً وصاحباً ولكنّني أرضى به حين أُحرَجُ

وكما قال أبو تَمّام:

وإنّي إذا ما الحلم أحوج لاحياً إلى سَفَهٍ أفضلتُ فضلاً على حلمي

الخامس: فِعْلُ ذلك مرّة واحدة لنيل المطلوب الأهمّ بدلالة كلمة «جَهْلة» الموضوعة للمرّة من الثّلاثي غير ذي التّاء.

الإخوان[١] حيث أخرج الاستفهام مخرج الإنكار؛ تنبيهاً على أنّه لم يبق في الإخوان من يَصْلُحُ لهذا الشّأن.

ونبّه بذلك على أنّه لم يَعْزِمْ على مفارقة حلمه أبداً لكن لمّا كان مريداً لوَصل هذا المحبوب ـ الموقوف على الجهل المنافي للحلم ـ عَزَمَ على أنّه إن وجد من يَصْلُحُ لأن يُوْدِعَهُ حلمه أودعه إيّاه فإنّ الودائع تستعاد أخر الأمر[٢].

[التّوجيه]

﴿ **ومنه** ﴾ أي: من المعنوي ﴿ **التّوجيه** ﴾ ويسمّى محتمل الضدّين ﴿ **وهو إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين كقول مَن قال لأعور يُسمّى عَمْراً:** ﴾

---

(١) **قوله: «شكوى الزّمان لتغيّر الإخوان»**. وتغيّر الإخوان قال فيه الطّغرائي:

أعدى عدوّك أدنى من وثقت به ... فحاذِرِ النّاسَ واصحَبْهُم على دَخَلِ

فإنّما رجل الدّنيا وواحدها ... من لا يعوّل في الدُّنيا على رَجُلِ

وحسن ظنّك بالأيّام مَعْجَزَةٌ ... فظنّ شرّاً وكن منها على وَجَلِ

غاضَ الوفاءُ وفاض الغَدْرُ وانفرجَتْ ... مسافة الخُلْفِ بين القول والعَمَلِ

وشَانَ صِدْقَكَ عند النّاس كذبُهُمُ ... وهل يطابَقُ مُعْوَجّ بِمُعْتَدِلِ

إن كان يَنْجَعُ شيئاً في ثَبَاتهم ... على العهود فسبقُ السّيف لِلْعَذَلِ

وقال كشاجم وأجاد للغاية:

أخوك الّذي إن عثر ... تَ أنهض من عثرتِكْ

وإن ظهرَتْ خَلَّةٌ ... له سَدَّ مِنْ خَلَتِكْ

يزينك في حضرتك ... ويرعاك في غَيْبَتك

شريكك في محنتك ... وأُنسك في نعمتك

* * *

(٢) كما قال لبيد:

وما المالُ والأهلون إلّا وديعة ... ولابدّ يوماً أن تردّ الودائِعُ

خَاطَ لِي عَـمْرٌو قَـبَاءً[1]　　﴿ لَيْتَ عَيْنَيْهِ سَوَاءُ ﴾

فإنّه يحتمل تمنّي أن يصير العين العَوْرَاء صحيحة فيكون مدحاً، وتمنّي خيرٍ، وبالعكس فيكون ذمّاً.

﴿ قال السّكاكيّ: ومنه ﴾ أي: من التّوجيه ﴿ متشابهات القرآن[2] باعتبار ﴾ وهو احتمالها للوجهين المختلفين، وتفارقه باعتبار آخر وهو أنّه يجب في «التّوجيه» استواء الاحتمالين، وفي المتشابهات أحد المعنيين قريب والآخر بعيد، ولهذا قال السّكّاكيّ: وأكثر متشابهات القرآن من قبيل التّورية والإيهام[3].

---

(١) **قوله: «خاط لي عمرو قباءً»**. البيت من مجزوء الرّمل على العروض الثّانية المجزوءة مع الضّرب الصّحيح، والقائل بشّار بن بُرْدٍ، يروى أنّه فصّل قباءً عند خيّاط أعور اسمه عمرو، فقال الخيّاط على سبيل العَبَث به: سآتيك به لا تدري أهو قباء أم فرّاجة -أو دواج- فقال له: إن فعلت ذاك لأنظِمَنَّ فيك بيتاً لا يعلَمُ أحد ممّن سَمِعَهُ أكان لك أم عليك، ففعل الخيّاط، فقال بشّار:

خَـاط لي عـمرو قـباءً　　ليت عـينيه سـواءُ
قلت شعراً ليس يُـدْرَى　　أمـديح أم هِـجاءُ

والشّاهد بيّنه الشّارح. ومثله قول محمّد بن حازم الباهليّ -كما في «الوفيات»- في الحسن بن سهل حين تَزَوَّجَ المأمونُ بابنته «بُوْرَان»:

بـارك الله للـحَسَنْ　　ولِـبُوْرَانَ فـي الخَـتَنْ
يا ابن هارون قد ظَفِرْ　　تَ ولكـن بـبنت مَـنْ

فلم يعلم ما أراد بقوله: «ببنت مَنْ» في الرِّفعة أو في الحقارة.

(٢) **قوله: «متشابهات القرآن»**. وهذا نصّه في بديع «المفتاح»: وللمتشابهات من القرآن مدخل في هذا النّوع باعتبار، ومنها قوله -تعالى-: ﴿ **جَاءَ رَبُّكَ** ﴾ [الفجر: ٢٢]، وقوله -عزّ وعلا-: ﴿ **يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ﴾ [الفتح: ١٠]، و: ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ [المائدة: ٦٤] و: ﴿ **الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** ﴾ [طه: ٥] وغيرها. [المفتاح: ٥٣٧]

(٣) وهذا نصّه في باب الإيهام من «المفتاح» ٥٣٧: وأكثر المتشابهات من هذا القبيل.

[الهَزْل]

﴿ومنه﴾ أي: من المعنويّ ﴿الهَزْلُ الّذي يراد به الجِدُّ كقوله﴾:

﴿إِذَا مَا تَمِيميٌّ أَتَاكَ مُفَاخِراً[1] فَقُلْ عَدٍّ عَنْ ذا كَيْفَ أَكْلُكَ لِلضَّبِّ﴾

---

(١) **قوله: «إذا ما تميميٌّ أتاك مفاخراً»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب التّامّ والقائل أبو نُؤاس من قصيدة من الطّويل يهجو تميماً وأسداً مطلعها:

ألا حَيِّ أطلالاً بسيحانَ فالعَذْبِ ... إلى بُرَعٍ فالبئرِ بئر أبي زُغْبِ

تَمُرُّ بها عُفْرُ الظِّبَاءِ كأنّها ... أخارِيْدُ من رُوْمٍ يُقَسَّمْنَ في نَهْبِ

عليها من السَّرْحَاءِ ظِلٌّ كأنّه ... هذاليلُ لَيْلٍ غير منصرم النَّحْبِ

تُلَاعِبُ أبكارَ الغمام وتنتمي ... إلى كلّ زُعْلوقٍ وخالفة صَعْبِ

منازل كانت من جُذَامٍ وفَرْتَنَى ... وتِرْبِهما هند فناهيك من تِرْبِ

إذا ما تميميّ أتاك مفاخراً ... فقل عدّ عن ذا كيف أكلك للضّبّ

تُفاخِرُ أبناء الملوك سفاهةً ... وبولك يجري فوق ساقك والكَعْبِ

إذا ابتدر النّاس الفعال فخُذ عَصيَ ... ودَعْدِعْ بمعزىً يابن طالقة الذَّرْبِ

والقصيدة طويلة لا حاجة إلى باقيها. والشّاهد فيه: أنّ سؤال التّميميّ عن أكل الضّبّ استهزاء ولكنّه في الحقيقة جِدّ، لأنّ تميماً كانوا يُكْثِرون من أكل الضَّبِّ ويُعيَّرون به.

ومن المشاهير بأكله عمر بن الخطّاب العدويّ ثاني المتغلّبين على الخلافة الإسلاميّة. قال المتّقي الهنديّ في باب العنب من «كنز العمّال» عن عمر قال: ما أُحبّ أنّ لي بالضِّباب حُمْرَ النَّعَمِ ـ ابن جرير ـ الحديث: ٤١٧٧٤.

وقال: عن سعيد بن المسيَّب أنّ عمر بن الخطّاب سُئِلَ عن الضبّ وقال: وإنّما تقذّره رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ولو كان عندنا لأكلنا. وإنّه لرِعَائنا وسفرنا، وإنّ الله لينفع به ناساً كثيراً. الحديث: ٤١٧٧٥. أخرجه عن ابن جرير.

وقال: عن عمر قال: وَدِدْتُ أنّ في كلّ جُحْرِ ضَبٍّ ضَبَّيْنِ. الحديث: ٤١٧٧٦.

هذا وقد ذكر المتّقي في باب محظورات المأكول من «كنز العمّال» عن رسول الله ـ

⇐

[تجاهل العارف]

﴿ ومنه ﴾ أي: من المعنويّ ﴿ تجاهل العارف، وهو كما سمّاه السّكّاكيّ سوق المعلوم مساق غيره لنكتة ﴾ وقال: «لا أُحبّ تسميته بالتّجاهل»[1] لوروده في كلام الله ـ تعالى ـ ﴿كالتّوبيخ في قول الخارجيّة ﴾:

﴿أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ ﴾ هو من نواحي دِيَارِبَكْرٍ ﴿ مالَكَ مُورِقاً ﴾[2] من «أورَق

⇐ صلّى الله عليه وآله ـ أنّه نهى عن أكل الضَّبّ؛ أخرجه عن ابن عساكر عن عائشة، وعن عبدالرّحمن بن شِبْل.

(١) «المفتاح»: ٥٣٧.

(٢) **قوله: «أيا شجر الخابور مالك مُوْرِقاً»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المحذوف والقائلة ليلى بنت طريف بن الصّلت التّغلبيّة الشّيبانيّة المتوفّاة سنة ٢٠٠هـ وقيل اسمها: فارعة وقيل: فاطمة.

وقالته في مرثية أخيها الوليد بن طريف الّذي خرج في أيّام هارون الرّشيد ـ لعنه الله ـ فقتله يزيد بن مزيد الشّيباني سنة ١٧٩هـ والقصيدة هذه:

بِـ«تَلِّ نباتي» رسم قبرٍ كأنّه ... على جَبَلٍ فوق الجبال منيفِ
تضمّن جوداً حاتِميّاً ونائلاً ... وسورة مقدامٍ ورأي حصيفِ
ألا قاتل الله الحشى كيف أضمرت ... فتىً كان للمعروف غير عيوفِ
فإلّا تُجِبْنِي دِمْنة هي دونه ... فقد طال تسليمي وطال وقوفي
وقد علمت أن لا ضعيفاً تضمّنت ... إذا عظم المرزي ولا ابن ضعيف
فتىً لا يلوم السّيف حين يَهُزُّه ... على ما اختلى من معصم وصليف
فتىً لا يعدّ الزّادَ إلّا من التُّقَى ... ولا المال إلّا من قَناً وسُيوفِ
ولا الخيلَ إلّا كلّ جرداء شطبةٍ ... وكلّ حصان باليدين غَرُوْفِ
فقدناك فِقدان الرّبيع وليتنا ... فديناك من ساداتنا بأُلوفِ
وما زال حتّى أزهق الموت نفسه ... شَجىً لعدوٍّ أو نَجاً لضعيفِ

⇐

⇐ حليف النَّدَى إن عاش يرضى به النَّدَى ... وإن مات لا يرضى النَّدَى بحليفِ
فإن يك أرداه يزيد بن مَزْيدٍ ... فيا ربّ خيل فضّها وصفوفِ
فيا شجر الخابور مالك مُوْرِقاً ... كأنّك لم تجزع على ابن طريفِ
ألا يا لقومي للنّوائب والرَّدَى ... ودهر ملحّ بالكرامِ عنيفِ
وللبدر من بين الكواكب إذ هوى ... وللشّمس همّت بعده بكسوفِ
ولليث فوق النّعش إذ يحملونه ... إلى حفرةٍ ملحودة وسُقُوفِ
بَكَتْ تَغْلِبُ الغلباء يوم وفاته ... وأبرز مِنْها كلّ ذات نصيف
يقلن وقد أبرزن بعدك للورى ... معاقد حلي من برىً وشنوف
كأنّك لم تشهد هناك ولم تَقُمْ ... مقاماً عن الأعداء غير خفيف
ولم تشتمل يوم الوَغَى بكتيبةٍ ... ولم تبدُ في خضراء ذات رفيفِ
دِلاصٍ ترى فيها كدوحاً من القنا ... ومن ذُلُقٍ يعجمنها بحروفِ
وطَعْنَةِ خَلْس قد طعنت مرشّة ... على يَزَنِيّ كالشّهاب رَعُوْفِ
ومائدة محمودة قد علوتها ... بأوصال بختيّ أحذّ عنيف

وكان الوليد بن طريف من قبيلة شيبان وأشدّهم بأساً وصولةً وأشجعهم خرج على الرّشيد العبّاسي ـ لعنه الله ـ فوجّه إليه الرّشيد يزيد بن مزيد الشيباني فجعل يخاتله ويماكره وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد بن مزيد، فأَغْرَوْا به الرّشيد وقالوا: إنّه يتجنّب عنه للرّحِم فكتب إليه: لو وجّهت أقلّ الخدم لقام بأكثر ممّا تقوم به أنت، ولكنّك مداهن متعصّب، والأمير يقسم باللّه لئن أخّرت مناجزة الوليد ليوجّهنّ إليك من يحمل رأسك إليه.

فلقي الوليد عشيّة خميس في شهر رمضان وكان الوليد يرتجز:

أنا الوليد بن طريف الشّاري ... قسورة لا يُصْطَلَى بناري
جوركم أخرجني من داري

فلمّا وقع فيهم السّيف وأخذ رأس الوليد صحبتهم أُخته ليلى بنت طريف مستعدّةً
⇐

الشّجر» ـ صار ذا وَرَق[١] ـ ﴿كأنَّكَ لم تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ﴾.

فهي تعلم أنّ الشّجر لم يَجْزَعْ[٢] على ابن طريف لكنّها تجاهلت فاستعملت لفظ «كأنّ» الدّالّ على الشّكّ.

وبهذا يعلم أن ليس يجب في «كأنّ»[٣] أن يكون للتّشبيه، بل قد يستعمل في

⇐ على الدّرع والجوشن فجعلت تحمل على النّاس فعُرِفَتْ فقال يزيد: دَعُوها ثمّ خرج إليها وضرب قَطَاة فرسها ثمّ قال لها: «أُغرُبِي، غرّب الله عليك. فقد فضحتِ العشيرة» فاستحيت وانصرفت وهي تقول الأبيات، وكان ذلك في سنة تسع وسبعين ومائة ه‍.

(١) **قوله: «صار ذا ورق»**. أي: الهمزة للصّيرورة، أي: صيرورة الفاعل منسوباً إلى ما اشتقّ منه الفعل، نحو: «أغدّ البعير» أي: صار ذا غدّةٍ ـ كما فصّلنا ذلك في حاشية «شرح النّظام» ـ.

(٢) **قوله: «تعلم أنّ الشّجر لم يجزع»**. لأنّ الجَزَع لا يكون إلّا من العاقل، لكنّها تجاهلت فأظهرت أنّه من ذوي العقول وأنّه يجزع عليه جزعاً يوجب ذبوله وأنّه لا يخرج ورقه، ولمّا أورق وبّخته على الإيراق فاستعملت لفظ «كأنّ» الدالّ على الشّكّ في جزعه، وإذا كان الشّجر قابلاً للتّوبيخ على عدم الجزع فغيره أليق بذلك، والتّجاهل صار سبباً للتّوبيخ على كونه مورقاً وسبباً لادّعاء أنّ مآثر ابن طريف بلغت إلى حيث عرفتها الجَمَادات، ولولا ذلك التّجاهل لما كان وجه للتّوبيخ.

(٣) **قوله: «ليس يجب في «كأنّ»**. قال ابن هشام في باب الكاف من كتاب «المغني»: وذكروا لـ«كأنّ» أربعة معانٍ:

أحدها ـ وهو الغالب عليها والمتّفق عليها ـ: التّشبيه، وهذا المعنى أطلقه الجمهور لـ«كأنّ» وزعم جماعة ـ منهم ابن السِّيْدِ البَطَلْيَوْسِيّ ـ أنّه لا يكون إلّا إذا كان خبرها اسماً جامداً نحو: «كأنّ زيداً أسد» بخلاف «كأنّ زيداً قائم» أو «في الدّار» أو «عندك» أو «يقوم» فإنّها في ذلك كلّه للظّنّ.

والثّاني: الشّكّ والظّنّ وذلك فيما ذكرنا، وحمل ابن الأنباريّ عليه «كأنّك بالشِّتاء مقبل» أي: أظنّه مقبلاً.

⇐

مقام الشّكّ في الحكم.

﴿ والمبالغة ﴾ أي: وكالمبالغة ﴿ في المدح كقوله ﴾ أي: قول البُحْتُرِيّ:

﴿ أَلَمْعُ بَرْقٍ سَرىٰ [1] أَمْ ضَوْءُ مِصْبَاحِ أَمِ ابْتِسَامَتُها بِالْمَنْظَرِ الضَّاحِي ﴾

⇐ والثّالث: التّحقيق ذكره الكوفيّون والزّجّاجيّ وأنشدوا عليه:

فأصبح بطن مكّة مقشعرّاً كأنّ الأرض ليس بها هشام

أي: لأنّ الأرض، إذ لا يكون تشبيهاً، لأنّه ليس في الأرض حقيقةً.

والرّابع: التّقريب؛ قاله الكوفيّون وحملوا عليه «كأنّك بالشّتاء مقبل»، و: «كأنّك بالفَرَج آتٍ»، و: كأنّك بالدّنيا لم تكن وبالآخرة لم تَزَلْ»، وقول الحريريّ:

* كأنّي بك تنحطّ *

اهـ مختصراً.

(١) **قوله**: «**ألمع برق سرى**». البيت من البسيط على العروض المخبونة مع الضّرب المقطوع والعروض مصرّعة والبيت مطلع قصيدة البحتري يمدح بها الفتح بن خاقان:

أَلَمْعُ بَرْقٍ سَرَى أَمْ ضَوْءُ مِصْبَاحِ أَمِ ٱبْتِسَامَتُهَا بِالْمَنْظَرِ ٱلضَّاحِي
يَا بُؤسَ نَفْسٍ عَلَيْهَا جِدُّ آسِفَةٍ وَشَجْوَ قَلْبٍ إِلَيْها جِدُّ مُرْتَاحِ
تَهْتَزُّ مِثْلَ ٱهْتِزَازِ ٱلْغُصْنِ أَتْعَبَهُ مُرُورُ غَيْثٍ مِنَ ٱلْوَسْمِيِّ سَحَّاحِ
وَيَرْجِعُ ٱللَّيْلُ مُبْيَضّاً إذا ٱبْتَسَمَتْ عَنْ أَبْيَضٍ خَصِرِ ٱلسِّمْطَيْنِ لَمَّاحِ
وَجَدْتِ نَفْسَكِ مِنْ نَفْسِي بِمَنْزِلَةٍ هِيَ ٱلْمُصَافَاةُ بَيْنَ ٱلْمَاءِ وَٱلرَّاحِ
أُثْنِي عَلَيْكِ بِأَنِّي لَمْ أَجِدْ أَحَداً يَلْحَى عَلَيْكِ وَمَاذَا يَزْعُمُ ٱللَّاحِي
وَلَيْلَةَ ٱلْقَصْرِ وَٱلصَّهْبَاءُ قَاصِرَةٌ لِلَّهْوِ بَيْنَ أَبَارِيقٍ وَأَقْدَاحِ
أَرْسَلْتِ شُغْلَيْنِ مِنْ لَفْظٍ مَحَاسِنُهُ تُذْوِي ٱلصَّحِيحَ وَلَحْظٍ يُسْكِرُ ٱلصَّاحِي
حَيَّيْتُ خَدَّيْكِ بَلْ حَيَّيْتُ مِنْ طَرَبٍ وَرْداً بِوَرْدٍ وَتُفَّاحاً بِتُفَّاحِ
كَمْ نَظْرَةٍ لِي حِيَالَ ٱلشَّامِ لَوْ وَصَلَتْ رَوَتْ غَلِيلَ فُؤادٍ مِنْكِ مُلْتَاحِ
وَٱلعِيسُ تَرْمِي بِأَيْدِيهَا عَلَى عَجَلٍ فِي مَهْمَهٍ مِثْلِ ظَهْرِ ٱلتُّرْسِ رَحْرَاحِ
تُهْدِي إِلَى ٱلْفَتْحِ وَٱلنُّعْمَى بِذَاكَ لَهُ مَدْحاً يُقَصِّرُ عَنْهُ كُلُّ مَدَّاحِ

⇐

أي: الظّاهر، بالغ في مدح ابتسامتها حيث لم يفرّق بينها وبين لَمْعِ البرق، وضوء المِصْبَاح.

﴿أو﴾ المبالغة ﴿في الذّمّ في قوله﴾ أي: قول زهير:

﴿وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي[1] أَقَــوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ﴾

⇐ تَكَشَّفَ ٱللَّيْلُ مِنْ لأْلاءِ غُرَّتِهِ عَنْ بَدْرِ دَاجِيَةٍ أَوْ ضَوْءِ إصْبَاحِ

مُهَذَّبٌ تُشْرِقُ ٱلدُّنْيَا لِبَهْجَتِهِ بِأَبْيَضٍ مِثْلِ نَصْلِ ٱلسَّيْفِ وَضَّاحِ

غَمْرُ النَّوَالِ إذَا الآمَالُ أَكْذَبَهَا ثِمَادُ نَيْلٍ مِنَ ٱلأَقْوَامِ ضَحْضَاحِ

مَوَاهِبٌ ضَرَبَتْ فِي كُلِّ ذِي عَدَمٍ بِثَرْوَةٍ وَأَمَاحَتْ كُلَّ مُمْتَاحِ

كَأَنَّمَا بَاتَ يَهْمِي فِي جَوَانِبِهَا رُكَامُ مُنْتَثِرِ ٱلْحُضْنَيْنِ دَلَّاحِ

قَدْ فَتَّحَ ٱلْفَتْحُ أَغْلَاقَ ٱلزَّمَانِ لَنَا عَمَّا نُحَاوِلُ مِنْ بَذْلٍ وَإِسْمَاحِ

يَسْمُو بِكَفٍّ عَلَى ٱلْعَافِينَ حَانِيَةٍ تَهْمِي وَطَرْفٍ إلَى ٱلْعَلْيَاءِ طَمَّاحِ

إنَّ ٱلَّذِينَ جَرَوا كَيْ يَلْحَقُوهُ ثَنَوْا عَنْهُ أَعِنَّةَ ظُلَّاعٍ وَطُلَّاحِ

طَالَ ٱلْمَدَى دُونَهُ حَتَّى لَوَى بِهِمُ عَنْ غُرَّةٍ سَبقَتْ مِنْهُ وَأَوْضَاحِ

(١) قوله: «وما أدري وسوف إخال أدري». البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب المماثل والقائل: زهير بن أبي سُلْمَى المُزَنّي من قصيدة مطلعها:

عفا من آل فاطمة الجِواءُ فَيُمْنٌ، فالقوادِمُ، فالحِسَاءُ

فذو هاشٍ فميثُ عُرَيْتِناتٍ عفتها الرّيح بعدكَ والسَّمَاءُ

فذِرْوَةُ فالجِنَابُ كأنّ خُنْسَ الـ ـنِّعاج الطّاويات بها المُلَاءُ

قال:

وقد أغدُو على ثُبَةٍ كِرام نشاوى واجدين لما نَشَاءُ

لهم راحٌ وراوُوقٌ ومِسْكٌ تُعَلُّ به جلودهم وماءُ

يَجُرُّون البُرُوْدَ وقد تمشَّتْ حُمَيَّا الكأسِ فيهم والغِنَاءُ

تمشّى بَيْنَ قتلى قد أُصِيبَتْ نفوسُهُمُ ولم تُهْرَق دِمَاءُ

⇐

فيه دلالة على أنّ «القوم»[١] للرّجال خاصّة.

⇐ وما أدري وسوف إخَالُ أدري ... أقــــوم آل حِـــصْنٍ أم نِسَـــاءُ

فــــإن قـــالوا النّســاء مُـخَبَّآتٍ ... فــحُقَّ لكـــلّ مُـحْصَنَةٍ هِـداءُ

وإمّــــا أن يــــقول بــــنو مَـصَادٍ ... إليكـــــم إنّـــنا قـــوم بِـــراءُ

وإمّــــا أن يــــقولوا قـــد وفــينا ... بـــــــذمّتنا فــــعادتنا الوَفَـــاءُ

وإمّــــا أن يــــقولوا قـــد أبــينا ... فشــــرّ مــواطــن الحسب الإبــاءُ

فـــإنّ الحـــقّ مـــقطعه ثـــلاث ... يـــــمينٌ أو نِـــفَارٌ أو جـــلاءُ

فــــذلكم مـــقاطع كـــلّ حــقٍّ ... ثـــلاث كـــلّهنّ لكـــم شِــفَاءُ

وهي طويلة قالها زهير في هجاء بيت من كلب من بني عليم وكان بلغه عنهم شيء وكان رجل من غطفان أتى بني عليم فأكرموه لمّا نزل بهم وأحسنوا جواره، وواسوه وكان رجلاً مُوْلَعاً بالقِمار فنهوه عنه، فأبى إلّا المقامرة، فقمر مرّةً فردّوه عليه، ثمّ قمر أُخرى فردّوه عليه، ثمّ قمر الثّالثة فلم يردّوه عليه فترحّل عنهم وشكا ما صنع به إلى زهير، فقال القصيدة.

وزهير حكيم الشّعراء في الجاهليّة وبعضهم فضّله على كافّة شعراء العرب. قال ابن الأعرابيّ: كان لزهير في الشّعر ما لم يكن لغيره، كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً وأُخته سلمى شاعرةً وابناه كعب وبجير شاعرين وأُخته الخنساء شاعرةً. ولد في بلاد مزينة بنواحي المدينة وأقام في الحاجر من ديار «نجد» واستمرّ فيه بنوه بعد الإسلام، وكان ينظِمُ القصيدة في شهر وينقّحها ويهذّبها في سنة فكانت قصائده تسمّى الحوليّات، أشهر شعره معلّقته المعروفة التي مطلعها:

أمن أمّ أوفى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ ... بِحَوْمانة الدُّرَاج فـالمُتَثَلَّمِ

توفّي سنة ١٣ قبل الهجرة النبويّة.

(١) **قوله: «فيه دلالة على أنّ «القوم»».** أي: في بيت زهير دلالة على أنّ لفظ القوم موضوع للرجال ولا يشمل النّساء. وتوضيح ذلك أنّهم اختلفوا في لفظ «القوم» ـ الّذي هو اسم جمع لا مفرد له من لفظه بل مفرده «رجل» و«امرأة» من غير لفظه ـ على قولين:

⇐

﴿ والتّدلّه ﴾ أي: كالتّحيّر ﴿ والدَّهَش في الحبّ، في قوله ﴾ أي: قول الحسين بن عبدالله:

﴿ تَاللَّهِ يَا ظَبَياتِ القاعِ ﴾[1] هو المستوي من الأرض ﴿ قُلْنَ لَنَا * لَيلايَ مِنكُنَّ

⇐ أحدهما: أنّه موضوع في اللّغة للرّجال فقط دون النّساء، واستدلّوا لذلك بدليلين:

الدّليل الأوّل: قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ ﴾ [الحجرات: ١١]، فإنّ عطف «النّساء» على «القوم» يدلّ على أنّه غير داخل فيه وأنّه مختصّ بالرّجال، إذ الشّيء لا يعطف على نفسه.

الدّليل الثّاني: قولُ زُهَيْرٍ المتقدّم آنفاً:

* أقوم آل حصن أم نساء *

لأنّ زهيراً قابل بين «النّساء» و«القوم» بكلمة «أم» الواقعة بين شيئين متغايرين.

والثّاني: أنّ «القوم» في اللّغة لفظ موضوع للرّجال والنّساء ولا يختصّ بواحدٍ دون واحدٍ بدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ ﴾ [نوح: ١]، ولم يكن نوح ـ عليه السّلام ـ نبيّاً للرّجال فقط، بل للرّجال والنّساء المكلّفين والمكلّفات جميعاً. وهذا معناه إذا استعمل هذا اللّفظ دون قرينةٍ، ومعها يمكن أن يستعمل في «الرّجال» خاصّة كما في الآية السّابقة والبيت المتقدّم من زهير. والقرينة فيهما مقابلته بالنّساء، ومعها لا يمكن ادّعاء وضع «القوم» للرّجال.

ويمكن أن يجاب عن الآية الثّانية بأنّ الإرسال لا يدلّ على القول الثّاني؛ لأنّ العمدة في كلّ طائفةٍ هو رجالهم والنّساء توابع لهم، وليس لهنّ الاختيار معهم فلذا لم يذكرهنّ في الآية، والعهدة على الرّجال فقط والأنبياء مبعوثون إليهم بالذّات وإليهنّ بالتّبع، فهنّ مدرجة تحت لفظ «القوم» المختصّ بالرّجال.

ويمكن الخدشة في هذا الاستدلال أيضاً، بأنّه إنّما يَتِمُّ إذا ثبت استعمال «القوم» مع القرينة في النّساء خاصّةً أيضاً ولم يثبت.

ويمكن الخدشة في هذه الخدشة أيضاً بأنّ عدم الوِجْدان لا يدلّ على عدم الوجود.

(١) قوله: «تاللّه يا ظبيات القاع». البيت من البسيط على العروض المخبونة مع الضّرب ⇐

أم لَيْلىٰ مِنَ الْبَشَرِ ﴾ في إضافة «ليلى» إلى نفسه **أوّلاً** والتّصريح باسمها الظّاهر **ثانياً** تلذّذ.

ومن هذا القبيل خِطاب الأَطْلَالِ والرُّسُوم والمنازل، والاستفهام منها كقوله:

⇐ المشابه والقائل مجنون ليلى قيس بن الملوّح العامريّ المتوفّى سنة ٦٨هـ والنّاس اختلفوا في نسبته فنسبوه لذي الرُّمّة وللحسين بن عبدالله الغَـزّي ونسبه الباخرزيّ في «دمية القصر» لبدويّ اسمه كامل الثقفيّ.

يا سَرْحَةَ الحيّ أيـن الرُّوح والكـبِدي ... لهـفي تـذوبُ وبيت اللهِ مـن حَسَـرِ

ها أنتِ عَجْمَاءُ عـمّا قـد سُـئِلْتَ فَـمَا ... بـالُ المـنازِلِ لم تـنطِق ولم تَـجِرِ

يـا قـاتَلَ اللهُ غَـادَاتٍ قـرعن لَـنَا ... حبَّ القُلُوب بما استَوْدِعْنَ من حَـوَرِ

غَـنَّت لنـا وعـيون مـن بـراقعها ... مكـنونةٌ مُـقَلَ الغِـزْلان والبَـقَرِ

بـاللّه يـا ظَـبَيات القـاع قُـلْنَ لنا ... ليـلاي مـنكنّ أم ليـلى مـن البَشَـرِ

يـا مـا أُمَـيْلِحَ غِـزْلاناً شَـدَنَّ لنـا ... مـن هَـؤُلَيَّاءِ بـين الضَّـالِ والسَّـمُرِ

وأدرجه العَرْجيّ عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفّان الأموي المتوفّى سنة ١٢٠هـ في قطعةٍ يقول فيها:

إنسـانَةُ الحـيِّ أم أُدمـانة السَّـمُرِ ... بـالنّهي رَقَّـصَها لحـنٌ مـن الوَتَـرِ

حـوراءُ لو نـظرت يـوماً إلى حَـجَرِ ... لأثّـرَتْ سَـقَماً فـي ذلك الحَـجَرِ

يـزدادُ تـوريدُ خَـدَّيْهَا إذا لُـحِظَتْ ... كـما يـزيدُ نـباتُ الأرضِ بـالمَطَرِ

فـالوَرْدُ وَجْـنَتُها، والخـمرُ ريـقتُها ... وضـوءُ بـهجتها أَضْـوَى مـن القَـمَرِ

يا مَنْ رأى الخَمْرَ في غير الكُرُوْمِ ومَـنْ ... هذا رأي نـبتَ وَرْدٍ فـي سـوى الشَّـجَرِ

كادَتْ تَـرِفُّ عـليها الطَّـيْرُ من طَـرَبٍ ... لمّـا تَـغَنَّتْ بـتغريدٍ عـلى وَتَـرِ

بـاللّه يـا ظـبيات القـاع قـلن لنـا ... ليـلاي مـنكنّ أم ليـلى مـن البَشَـرِ

بـانت لنـا بـعُيُونٍ مـن بـراقـعها ... مـملوءة مُـقَلَ الغِـزْلَان والبَـقَرِ

يـا مـا أُمـيلح غِـزْلاناً شَـدَنَّ لنـا ... مـن هـؤليّانكنّ الضّـالِ والسَّـمُرِ

* * *

أَمَـنْزِلَتِي سَـلْمىٰ سَـلامٌ عَـلَيْكُمَا[١] هَلِ الأَزْمُـنِ اللّاتِـي مَـضَيْنَ رَوَاجِـعُ
وَهَلْ يَرْجِعُ التَّسْلِيمَ أَوْ يَكْشِفُ الْعَمىٰ ثَـلاثُ الأثـافي والدِّيـارُ البـلاقِعُ

وكالتّحقير كقوله ـ تعالى ـ حِكايةً عن الكفّار: ﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[٢] يعنون محمّداً ـ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ـ كأن لم يكونوا يعرفون منه إلّا أنّه رجلٌ مّا وهو عندهم أظهر من الشّمس.

---

(١) **قوله: «أمنزلتي ميّ سلامٌ عليكما»**. البيتان من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المشابه والقائل ذو الرُّمّة من مطلع قصيدةٍ طويلة يقول فيها:

أمـنزلتي مـيّ سـلام عـليكما هـل الأزمُنُ اللّاتـي مـضين رواجِـعُ
وهل يرجِعُ التّسليمَ أو يكشِفُ العَمَى ثـلاثُ الأثـافي والرُّسُـومُ البـلاقِعُ
تـوهّمتُها يـوماً فـقلتُ لصـاحبي وليس بـها إلّا الظِّـباءُ الخـواضِـعُ
ومَـوْشِيَّةٌ سَـحْمُ الصّـياصي كأنّـها مُـجَلَّلَةٌ حُـوٌّ عـليها البـراقِـعُ
حَـرُونيّة الأنسـاب أو أعـوَجيّة عـليها مـن القَـهز المُـلاءُ النّـواصعُ
تـجوّبنَ مـنها عـن خـدودٍ وشُـمِّرَتْ أسـافِلُها مـن حيث كـان المـذارِعُ
قِفِ العِيْس نَـنْظُرْ نـظرةً فـي ديـارها فـهل ذاك مـن مـاء الصَّـبَابة نـافِعُ
فـقال أمـا تـغشى لِـمَيَّةَ مـنزلاً من الأرض، إلّا قلت: هـل أنت رابِـعُ
وقَـلَّ إلى أطـلال مَـيّ تـحيّةٌ تُـحَيِّي بـها أو أن تـرشّ المـدامِعُ
ألا أيّـها القـلبُ الّـذي بـرّحَتْ بـه مـنازِلُ مَـيّ والعِـرانُ الشّـواسِـعُ
أفـي كـلّ أطـلالٍ لهـا مـنك حَـنَّةٌ كـما حـنّ مـقرونُ الوظـيفين نـازِعُ
ولا بُـرْءَ مـن مَـيّ وقـد حـيل دونـها فـما أنت فـيما بـين هـاتين صـانِعُ
أَمُسْـتَوْجِبٌ أجـرَ الصَّـبُور فكـاظِمٌ على الوَجْدِ أم مبدي الضّمير فـجازِعُ

وهي طويلة لا حاجة إلى إيرادها، والشّاهد فيه أنّه نادى المنازل نِداء أُولي العلم وسلّم عليها ثمّ لام نفسه فقال استنكاراً لذلك: وهل يردّ السّلام الثلاث الأثافي ـ وهي الأحجارُ الثّلاثة الّتي تُوضع عليها القِدْرُ، واحدها: «أُثْفِيّة» بتشديد الياء ـ؟

(٢) سبأ: ٧.

وكالتّعريض في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1] وكغير ذلك من الاعتبارات.

[القول بالموجب]

﴿ومنه﴾ أي: من المعنويّ **﴿القول بالموجب[2]. وهو ضربان﴾**:

﴿أحدهما: أن يقع صفة في كلام الغير كِناية عن شيء أُثْبِتَ له﴾ أي: لذلك الشّيء **﴿حكم، فتُثْبِتُهَا لغيره﴾** أي: فتثبت أنت في كلامك تلك الصّفة لغير ذلك الشّيء **﴿من غير أن تتعرّض لثبوته له، أو نفيه عنه﴾** أي: من غير أن تتعرّض لثبوت ذلك الحكم لذلك الغير، أو لانتفائه عن ذلك الغير **﴿نحو: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]﴾** فـ«الأعزّ» صفة وقعت في كلام المنافقين كِنايةً عن فريقهم و«الأذلّ» كنايةً عن المؤمنين، وقد أثبتوا لفريقهم ـ المكنّى عنه بـ«الأعزّ» ـ الإخراجَ، فأثبت الله ـ تعالى ـ في الرّدّ عليهم صفة «العزّة» لغير فريقهم ـ وهو الله

---

(١) سبأ: ٢٤.

(٢) **قوله: «القول بالموجب»**. القول هاهنا ـ كما في حاشية الهنديّ ـ هو الاعتراف، أي: اعتراف المتكلّم بما يوجبه كلام المخاطب. وقال بعضهم: هو تسليم المتكلّم دليل الخصم مع بقاء النّزاع إمّا بإثبات مناط مقصوده في شيءٍ آخر ـ كما في الضّرب الأوّل ـ وإمّا بحمل لفظٍ في كلامه على غير مقصوده ـ كما في الضّرب الثّاني ـ.

و«الموجب» يحتمل أن يكون بصيغة اسم الفاعل باعتبار أنّ المراد به الصّفة الموجِبة للحكم ـ كما في الضّرب الأوّل ـ أو اللّفظ الموجب لحمله على غير مقصود ـ كما في الضّرب الثّاني ـ.

ويحتمل أن يكون بصيغة اسم المفعول باعتبار أنّ المراد منه حينئذٍ القول بالحكم الّذي أوجبته الصّفة أو القول بالمعنى الآخر الّذي يكون للّفظ.

(٣) المنافقون: ٨.

ورسوله والمؤمنون ـ ولم يتعرّض لثبوت ذلك الحكم الّذي هو الإخراج للموصوفين بالعزّة ـ أعني: الله ـ تعالى ـ ورسوله والمؤمنين ـ ولا لنفيه عنهم.

﴿ **والثّاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده ممّا يحتمله** ﴾ أي: حال كون خلاف مراده من المعاني الّتي يحتملها ذلك اللّفظ ﴿ **بذكر متعلّقه** ﴾ متعلّق بـ«الحمل» أي: إنّما يحمل على خلاف مراده بأن يذكر متعلّق ذلك اللّفظ ﴿ **كقوله** ﴾:

﴿ **قُلْتُ: «ثَقَّلْتُ إِذْ أَتَيْتُ مِراراً»[1]   قالَ: «ثَقَّلْتَ كاهِلِي بِالأَيادِي»** ﴾

---

(١) **قوله**: «**قلتُ ثقّلتُ إذ أتيتُ مِراراً**». البيتان من مدوّر الخفيف على العروض الأُولى ـ فاعلاتن ـ مع الضّرب المماثل لها والقائل أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن محمّد بن جعفر بن محمّد المعروف بابن الحجّاج النّيليّ البغداديّ المتوفّى سنة ٣٩١هـ شاعر فحل من شعراء الشّيعة الإماميّة وفي شعره عُذُوبة وسلاسة، وقال أبو حيّان: قويم اللّفظ، سهل الكلام. وقال ابن خلّكان: «كان فرد زمانه، لم يسبق إلى تلك الطّريقة». جمع الشّريف الرّضي الموسوي ـ رحمه الله ـ طرفاً من شعره وسمّاه «الحسن من شعر الحسين» ورثاه بقصيدةٍ، وكان في شعره شديد الهجمة على النّواصب وكثير الميل إلى أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ ولذا لم يعجبه النّواصب، فقال الذّهبي النّاصبي ـ لعنه الله ـ: «شاعر العصر، وسفيه الأدب، وأمير الفحش، كان أمة وحده في نظم القبائح وخفّة الرّوح».

وأقول: كلّ هذا لأنّه سرد في أهل البيت النّبويّ الطّاهر ولو كان ناظماً في آل تيم أو آلِ عديّ أو آل أُميّة ـ سفيانيّاً ومروانيّاً ـ لقالوا فيه: «إنّ شعره نور، ونثره زبور».

لعن الله أتباع الجبت والطّاغوت وأتباع معاوية اللّعين كم لهم من قول زور، وميل غرور، لا يخافون من الله ولا يراعون حرمة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فويل لهم ممّا كتبت أيديهم.

وابن الحجّاج هذا كان متّصلاً بالوزير المهلّبيّ وعضد الدّولة وابن عبّاد وابن العميد.

و«النِّيْل» قرية على «الفُرات» بين «بغداد» و«الكُوْفَة» ولد فيها وتوفّي بها ودفن في بغداد.

⇐

فلفظ «ثقّلت» وقع في كلام الغير بمعنى: حَمَلْتُكَ المؤونة، وثقّلتُكَ بالإتيان مرّة بعد أُخرى، وقد حمله على تثقيل عاتقه بالأيادي والمِنَنِ والنِّعَمِ وبعده:

قُلْتُ «طَوَّلْتُ» قَالَ: «لَا بَلْ تَطَوَّلْـ ـتَ» و«أبرمتُ» قال: «حبلَ وِدادي»

أي: طوّلتُ الإقامة والإتيان، و«أبرمت»: أي: أمللتُ، و«أبرم» أيضاً أحكم، و«التّطوّل» التفضّل والإنعام، فقوله: «أبرمت» أيضاً من هذا القبيل.

وأمّا قول الشّاعر:

وَإِخْوَانٍ حَسِبْتُهُمُ دُرُوعاً[1] فَكَانُوها ولٰكِنْ للأعادِي

⇐ والبيتان في ديوانه هكذا:

قلتُ: «ثَقَّلْتُ إذْ أتيتُ مِراراً» قال: «ثَقَّلْتَ كاهلي بالأيادي»

قلتُ: «طَوَّلْتُ» قال: «لا بل تَطَوَّلْـ ـتَ» و«أبرمتُ» قال: «حبلَ وِدادي»

وقال الثّعالبي في «اليتيمة»: ابن الحجّاج من سَحَرَة الشّعراء، وعجائب العصر، وفرد الزّمان في فنّه الّذي شهر به، ولم يسبق إلى طريقته، ولم يلحق شأوه في نَمَطه، ولم يـر كاقتداره على ما يريد من المعاني الّتي تقع في طِرْزه، مع سلاسة الألفاظ وعذوبة المعاني، ثمّ قال: يتفكّه الفضلاء بثمار شعره، ويستلمح الكبراء ببنات فكره اهمختصراً.

«ثقّلتُ» الأوّل و«أتيتُ» و«طوّلتُ» و«أبرمت» أربعتها بصيغة المتكلّم وحده، و«ثقّلت» الثّاني و«تطوّلت» بصيغة المفرد المذكّر للخطاب.

(١) **قوله: «وإخوان حسبتهم دروعاً»**. الأبيات من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب المقطوف والقائل أبوالحسن عليّ بن العبّاس بن جريح المعروف بابن الرّوميّ ٢٢١ ـ ٢٨٣ هـ وهو شاعر كبير من شعراء الشّيعة الإماميّة شديد الهجمة على النّواصب اللئام، وكثير المدح لأهل البيت والأئمّة الكرام ـ عليهم السّلام ـ ومن غرر شعره في مرثيّة يحيى بن عمر العلويّ:

يا ناعِيَ ابن رسول الله في البَشَرِ ومُعْلِناً باسمه في البَدْوِ والحَضَرِ

لقد نعيتَ امرَءاً ظَلَّتْ لمصرعه قواعِدُ الدّين والدّنيا على خَطَرِ

⇐

⇐ لقد نعيتَ امرءاًلم تَحْيَ مكرُمَةٌ إلّا بــه، وبــه ســارت إلى الحَـفَرِ
لقد نعيتَ امـرءاً مـا كـنتُ أحسَـبُهُ يـنعاه إلّا هُـوِيّ الشّـمس والقَـمَرِ
لو فات شيء مدى ميقاته انكدرَتْ زُهْـرُ النّـجوم عـليه كُلَّ مُـنْكَدَرِ
يـا نـاعي ابـن رسـول الله مُـبْتَهِجاً لقد تـفوّهتَ بـالكُبْرَى مـن الكُـبَرِ
سـمعاً لهـا وإن اسـتكَّتْ مسـامعنا إنّ المســامع للـنّاعين والبُشَــرِ
لا تَشْمَتُوْا واذكروا منجى طليقكم وجُوهُكم يـا بـني العبّاس للـعَفَرِ
إنّ السّـيوف مـنايا كـلّ مـعتزم يـلقى المـنايا بِـعَزْمٍ غـير مـنتشِرِ
للّـه هـمّة يـحيى أيـن وجّـهها لو أنّـها شـيّعته مـدّةُ العُـمُرِ
بـني النـبيّ أمـا يـنفكّ طـاغيةٌ مُـغَادِراً جَـزَراً مـنكم عـلى جَـزَرِ
بـني نُـتَيْلَةَ ثَـلَّ اللهُ عـرشكم كـم للـنّبيّ لديكـم مـن دم هَـدَرِ
بـني نـتيلة كُـفُّوا غـرب جـهلكم لا يصبح السّيفُ فيكم غير مـعتذِرِ

قال:

يـا قـاتل ابـن علـيٍّ وابـن فـاطمةٍ تَـبّاً لسـعيك فـي الإيـراد والصَّـدَرِ
يـا قـاتل ابـن عـليٍّ إنّ قـتلكه لسوف يجني لك المُرَّى من الثَّـمَرِ
بأيّ وجـهٍ تـلاقي الله مـعتذراً جَلَّتْ خطيئتك العُظْمَى عن العُذْرِ
خَصِيْمُكَ الله فانظُر كيف تَـخْصَمُهُ بل أنت أدحضُ خصمٍ فوك للحَجَرِ
لو شـاركتك بـنو حـوّاء فـي دمـه لَكُبْكِبُوا ـيا ابن بنت النّار ـفي سَقَرِ
ما بعدكم مَـنْ يَـزِيدُ فـي عـداوتـه آلَ النّـبيّ وقـتلَ السّـادة الغُـرَرِ
عـليكم لعـنة الرّحـمن واقـعةً في السّرّ والجهر والآصالِ والبُكَـرِ
ومَنْ سرى نـحوه أو مـن أشَـارَ بـه ومن نوى ذاك من أُنثى ومـن ذَكَـرِ
ومَـنْ رآه فـلم يسـمح بـمهجته ومـن تـخلّف عـنه غـير مـقتَسَرِ
خُسْـراً لقـومٍ أقـاموا ديـنهم سَـفَهاً في من يزيد بِوَكْسِ البـيع مـحتقِرِ
وبـارزوا الله فـي قـربى النّـبيّ ولم يرعوا له حرمة القـربى ولا الأصـر

⇐

وَخِلْتُهُمُ سِهاماً صائِباتٍ فَكَانُوها ولٰكِنْ في فُؤادي
وَقَالُوا قد صَفَتْ مِنّا قُلُوبٌ فَقَدْ صَدَقُوا ولٰكِنْ عَنْ وِدادي

فالبيت الثّالث من هذا القبيل، والبيتان الأوّلان قريب منه؛ لأنّ اللّفظ المحمول

⇐ برّوا ذليلاً وعقّوا الله واعتصموا منه بحبلٍ ضعيفٍ واهن المِرَرِ
سرى إليه عُداة الله فانصلتوا مستأسِدين عليهم جلدة النَّمِرِ
مجاهدين بأسيافٍ مجرّدةٍ كأنّما قصدوا للرّوم والخَزَرِ
يا عصبة الشّرك ما أعطى جُدودَكم لقد ظَفِرْتُم بربّ النّصر وَالظَّفَرِ
لقد ظَفِرْتُم بمن ما هَزَّ مُنْصُله إلّا تحكّم في الهامات والقَصَرِ
لقد ظَفِرْتُمْ بمن كانت أنامله تقوم فينا مقام الرِّزقِ في البَشَرِ
مهذّب من رسول الله نسبته بين الوصيّ وسبطيه إلى عُمَرِ
لهفي على خير مَيْتٍ بعد والده وخير منتسبٍ يوماً ومُفْتَخِرِ
إنّي لأعذل نفسي في الحياة وقد قام النّعيّ به جَذْلان ذا أَشَرِ
لأفنينّ أفانين المديح له مجاهراً للأعادي غير مُسْتَتِرِ
وأمنح الودّ أهل البيت إنّهم خير البريّة، لا بل خِيْرَةُ الخِيَرِ
يا ليتني كنتُ فيمن كان شاهِدَه حيّاً وقَفَّيْتُ إذ قَفَّى على الأَثَرِ

وأمّا الأبيات الشّواهد ففي ديوانه هكذا ضبطت:

وإخْوانٍ تَخِذْتُهُم دُرُوْعاً فكانوها ولكن للأعادي
وخِلْتُهُمُ سِهاماً صائباتٍ فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صَفَتْ منّا قلوبٌ لقد صدقوا ولكن من وِدادي

وزاد الصّفديّ في «الغيث المُسْجَم» بيتاً آخر وهو:

وقالوا: قد سعينا كلَّ سعيٍ لقد صدقوا ولكن في فَسَادي

وروى المصراع الثّاني من البيت الثّالث هكذا:

* نعم صدقوا ولكن من وِدادي *

وابن الرّومي ـ رحمه الله ـ توفّي مسموماً بسمّ القاسم بن عبيدالله وزير المعتضد ـ لعن الله الوزير والمستوزر، وَثَقَّلَ وِزْرَهما ـ.

على معنىً آخر لم يقع في كلام الغير، بل وقع في ظنّه بمعنىً فحمله على خلاف ذلك المعنى.

[الإطّراد]

﴿ومنه﴾ أي: من المعنويّ ﴿**الإطّراد، وهو أن تأتي بأسماء الممدوح**[1] **أو غيره وأسماء آبائه على ترتيب الوِلادة من غير تكلّف**﴾ في السّبك، ويسمّى اطّراداً؛ لأنّ تلك الأسماء في تحدّرها كالماء الجاري في اطّراده، وسهولة انسجامه ﴿**كقوله**﴾:

﴿إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَلْتَ عُرُوشَهُمْ[2] بِعُتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابِ﴾

---

(١) **قوله: «الإطّراد وهو أن تأتي بأسماء الممدوح»**. وأحسن مثال لذلك قول شاعر آل الرّسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ دِعْبِل بن عليّ الخُزاعيّ ـ رحمه الله ـ يرثي ثامن الحُجَج مولانا أبا الحسن عليّ بن موسى الرّضا ـ صلوات الله عليه ـ:

يا حَسْرَةً تَتردَّدْ وعَبْرَةً ليس تَنْفَدْ
على عليّ بن موسَى بْـ ـنِ جعفر بن مُحَمَّدْ
قضى غريباً بطوسٍ مثل الحُسام المجرَّدْ

* * *

(٢) **قوله: «إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم»**. البيت من الكامل على العروض الأُولى مع الضّرب المقطوع ـ فَعِلاتُن ـ والقائل ـ كما في الحماسة البصريّة ـ: رُبَيِّعَة بن عُبَيْد القُعَيْنِيّ وليس في العرب رُبَيِّعة غيره مِنْ أبياتٍ يقول فيها:

أبلِغْ قَبَائِلَ جعفرٍ إن جِئْتَها ما إن أُحَاوِلُ جعفرَ بن كِلَابِ
إنّ الهَوَادَةَ والمودَّةَ بيننا خَلَقٌ كَسَحْقِ اليُمْنَةِ المُنْجَابِ
أذُوَابُ إنّي لَمْ أُهِنْكَ ولم أَقُمْ لِلبَيْعِ يوم تَحَضُّرِ الأَجْلابِ
إنْ يقتُلُوكَ فقد ثَلَلْتَ عُرُوشَهُم بِعُتَيْبَةَ بنِ الحارثِ بنِ شِهَابِ
بِأَشَدِّهِم كَلَباً على أعدائه وأعزّهم فقداً على الأَصْحَابِ

⇐

يقال: «ثَلَّ الله عروشهم» أي: هدم ملكهم، ويقال للقوم ـ إذا ذهب عزّهم، وتَضَعْضَعَتْ حالهم ـ: «قد ثُلَّ عروشهم».

أي: إن تَبَجَّحُوا بقتلك وصاروا يَفْرَحُون[1] به فقد أثّرت في عزّهم وهدمت أساس مجدهم بقتل رئيسهم عتيبة بن الحارث.

ومنه قوله ـ صلّى الله عليه [وآله] ـ: «الكريمُ بنُ الكريمِ بنِ الكريمِ بنِ الكريم يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيم». هذا تمام الكلام في الضّرب المعنويّ[2].

⇐ وعِمادهم في كلّ يوم كريهةٍ   وثِمال كلّ مُعَصَّبٍ قِرْضَابِ

والشّاعر من شعراء بني أسد، كان ابنه ذُؤاب بن رُبَيِّعَة قتل عتيبة بن الحارث بن شِهاب وأسره ربيع بن عتيبة ولم يعلم أنّه قاتل أبيه عتيبة فظنّ رُبَيِّعة أنّه قد قتل فقال هذه الأبيات فلمّا بلغت هذه الأبيات بني يربوعٍ قتلوا ذُؤَاباً. والباقي واضح، والأبيات غنيّة عن الشّرح وعتيبة بن الحارث من فرسان العرب وشجعانهم وأجوادهم المعدودين وكان يقال له: فارس بني تميم وهو صيّاد الفوارس.

(١) كذا في النُّسخ والصّحيح: «يفخرون».

(٢) **قوله: «هذا تمام الكلام في الضّرب المعنويّ»**. قال الشّارح في مطلع «البديع» عند تقسيم المصنّف المحسِّنات إلى اللفظيّ والمعنويّ: «أمّا المعنوي فالمذكور منه في الكتاب تسعة وعشرون» ولكن المذكور إلى هنا ثلاثون وهي:

١ ـ المطابقة	٧ ـ الرّجوع
٢ ـ مراعاة النّظير	٨ ـ التّورية
٣ ـ الإرصاد	٩ ـ الاستخدام
٤ ـ المشاكلة	١٠ ـ اللفّ والنّشر
٥ ـ المزاوجة	١١ ـ الجمع
٦ ـ العكس والتّبديل	١٢ ـ التفريق

⇐

[المحسّنات اللّفظيّة]

﴿ **وأمّا الضّرب اللّفظيّ** ﴾ من الوجوه المحسّنة للكلام فالمذكور منه في الكتاب سبعة:

[الجِناس]

﴿ **فمنه الجِناس بين اللّفظين، وهو تشابههما في اللّفظ** ﴾ أي: في التلفّظ[1] فيخرج التّشابه في المعنى نحو: «أَسَد» و«سَبُع»، أو في مجرّد عدد الحروف نحو: «ضَرَبَ» و«عَلِم»، أو في مجرّد الوزن نحو: «ضَرَبَ» و«قَتَلَ»، ثمّ وجوه التّشابه في اللّفظ كثيرة يجيء تفصيلها.

⇐ ١٣ ـ التقسيم
١٤ ـ الجمع والتفريق
١٥ ـ الجمع والتقسيم
١٦ ـ الجمع مع التفريق والتقسيم
١٧ ـ التّجريد
١٨ ـ المبالغة
١٩ ـ المذهب الكلاميّ
٢٠ ـ حسن التّعليل
٢١ ـ التّفريع
٢٢ ـ تأكيد المدح بما يشبه الذمّ
٢٣ ـ تأكيد الذمّ بما يشبه المدح
٢٤ ـ الاستتباع
٢٥ ـ الإدماج
٢٦ ـ التّوجيه
٢٧ ـ الهزل المراد به الجدّ
٢٨ ـ تجاهل العارف
٢٩ ـ القول بالموجب
٣٠ ـ الإطّراد

(١) **قوله: «تشابههما في اللّفظ أي في التلفّظ»**. قال الهنديّ: فسّر اللّفظ بالتلفّظ، إذ لا معنى لتشابه اللّفظين في نفس اللّفظ فإنّه يستلزم اتّحادهما فيخرج منه الجناس الغير التّامّ. وقال الأُستاذ ـ أعزّه الله ـ: قيّد التّشابه بالتّشابه في التّلفّظ لأنّ أقسامه أربعة:
١ ـ تشابه اللّفظين في التّلفّظ مثل «زيد» و«زيد» اسماً ومصدراً.
٢ ـ تشابههما في المعنى مثل: «أسد» و«سبع».
٣ ـ تشابههما في عدد الحروف مثل «علم» و«نصر».
٤ ـ تشابههما وزناً مثل «ضرب» و«نصر» والمراد هو الأوّل.

[تقسيم الجِناس إلى التّامّ وغيره]

والجناس ضربان: تامّ وغير تامّ ﴿ **والتّامّ منه**[(١)] **أن يتّفقا** ﴾ أي: اللّفظان ﴿ **في أنواع الحروف** ﴾[(٢)] فكلّ من الألف والباء والتّاء إلى الآخر نوع آخر من أنواع الحروف[(٣)] وبهذا يخرج نحو: «يَفْرَحُ» و«يَمْرَحُ».

---

(١) **قوله: «والتّامّ منه»**. والجناس التّامّ يشترط فيه اتّفاق اللّفظين في أربعة أُمورٍ:

١ ـ الاتّفاق في أنواع الحروف، وحروف الهجاء كلّ منها نوع بنفسه وعلى حِدَةٍ. وبهذا القيد خرج نحو: «تفرح» و«تمرح» لاختلافهما في الفاء والميم فهما داخلان في الجناس النّاقص وخارجان عن التّامّ.

٢ ـ الاتّفاق في عدد الحروف، وبهذا القيد خرج نحو: «ساق» و«مساق» لزيادة «المساق» على «السّاق» بحرف.

٣ ـ الاتّفاق في أعيان الحركات والسّكنات، ويعبّر عنه بالاتّفاق في الهيئة، وبهذا القيد خرج «البَرْدُ» و«البُرْد» لاختلافهما في أعيان الحركات فالباء في أحدهما مفتوح وفي الآخر مضموم.

قال الأُستاذ: الهيئة كيفيّة يحصل من تغيير الحركات والسّكنات الّتي في الحروف، وإطلاق الهيئة على الحروف باعتبار أنّها ـ أي: الحروف ـ سبب حصول الهيئة على الكلمة، فيحصل من كلمةٍ أوّلها مضموم وأوسطها ساكن وزن «فُعْل» مثل «قُفْلٍ» ومن كلمة أوّلها مضموم وأوسطها مفتوح وزن «فُعَل» مثل «صُرَد».

٤ ـ الاتّفاق في ترتيب الحروف وخرج بهذا القيد: «الفتح» و«الحَتْفُ».

(٢) **قوله: «في أنواع الحروف»**. قال الهنديّ: أورد لفظ الأنواع تنبيهاً على أنّ الحروف أنواع وإلّا فيكفي «في الحروف».

(٣) **قوله: «نوع آخر من أنواع الحروف»**. فإن قيل: إنّ النّوع ـ كما قرّر في المنطق ـ تحته أصناف كثيرة وحروف الهجاء إنّما تحتها أشخاص لا أصناف.

يقال: كلّ منها نوع تحته أصناف، الألف ـ مثلاً ـ نوع تحته أصناف كثيرة، لأنّها إمّا

⇐

﴿ **وفي أعدادها** ﴾[1] وبه يخرج نحو «السّاق» و«المساق».

﴿ **وفي هيئاتها** ﴾ وبه يخرج نحو «البَرْد» و«البُرْد» بفتح أحدهما وضمّ الآخر، فإنّ هيئة الكلمة[2] هي كيفيّة تحصل لها باعتبار حَرَكات الحروف وسَكَناتها، فنحو «ضَرَبَ» و«قَتَلَ» على هيئة واحدة، بخلاف «ضَرَبَ» المبني للفاعل و«ضُرِبَ» المبنيّ للمفعول.

﴿ **وفي ترتيبها** ﴾ أي: تقديم بعض الحروف على بعض وتاخيره عنه، وبه يخرج نحو: «الفتح» و«الحتف».

ووجه الحسن في هذا القسم ـ أعني: التّامّ ـ حُسن الإفادة مع أنّ صورته صورة الإعادة.

[الجِناس التّامّ متماثل ومستوفى]

﴿ **فَإِنْ كانا** ﴾ أي: اللّفظان المتّفقان في جميع ما ذكر ﴿ **من نوع واحد** ﴾ من أنواع الكلمة ﴿ **كاسمين** ﴾ أو فعلين، أو حرفين ﴿ **سمّي متماثلاً** ﴾ لأنّ التّماثل هو الاتّحاد في النّوع.

⇐ مقلوبة عن واوٍ أو ياءٍ أو أصليّة، والباء كذلك نوع تحته أصناف كثيرة مثل كونها مدغمةً أو غير مدغمةٍ وغير ذلك.

والحقّ أنّ المراد بالنّوع في أمثال المقام النّوع اللغويّ ولا يشترط فيه وجود أصنافٍ تحته.

(١) **قوله: «وفي أعدادها»**. الأولى: «عددها وهيئتها» إذ ليس توافق الكلمتين في أعداد الحروف والهيئات إلّا أنّه أورد صيغة الجمع نظراً إلى المواد ـ كذا قرّره الهنديّ ـ.

(٢) **قوله: «فإنّ هيئة الكلمة»**. قال الهنديّ: الظّاهر أن يقول: «فإنّ هيئة الحرف كيفيّة تحصل له باعتبار الحركة والسّكون» إذ الكلام في هيئات الحروف دون الكلمات، ولأنّ هيئة الكلمة يعتبر فيها تقديم بعض الحروف على بعضٍ ـ كما هو المشهور ـ.

ثمّ الاسمان إمّا **متّفقان** في الإفراد والجمعيّة بأن يكونا مفردين **﴿نحو: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾** أي: القيامة **﴿يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾** ﴾ من ساعات الأيّام.

أو جمعين نحو قول الشّاعر:

حَدَقُ الآجالِ آجالُ[1] **وَالْـهَوىٰ لِـلْمَرءِ قَـتّالُ**

---

(١) **قوله: «حدق الآجال آجال»**. البيت من المديد على العروض الثّالثة المحذوفة المخبونة «فَعِلُن» مع الضّرب المحذوف المقطوع «فَعْ لُنْ» وعروض البيت الأوّل مصرّعة. والقائل ـ كما نصّ عليه الجاحظ في كتاب «البيان والتبيّن» ـ أبو سَعْدٍ دَعِيُّ بني مخزومٍ ـ لعنه الله ـ في مهاجاة دعبل بن عليّ الخزاعيّ شاعر آل الرّسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ:

حَـدَقُ الآجـال آجـالُ والهَـوَى للـمرءِ قَـتَّالُ
والهوى صعب مراكـبه وركوب الصَّعْب أَهْوَالُ
ليس من شكلي فَأَشْتِمَهُ دِعْبِلٌ، والنّاس أشكَـالُ
همّتي في التّـاج ألبسـه وله فـي الشّـعر آمـالُ

وهذا الدّعيّ ماذا يتوقّع منه وهو يسبّ نفسه ويقول من المجتثّ وفي صدر المصراع الأوّل والثّاني من البيت الثّاني وصدر المصراع الأوّل من البيت الثّالث خزم بحرفٍ واحدٍ:

هـذا اللُّـبابيُّ يـحوي جـوائـز الخُـلَفاءِ
ففي حِرِ أُمّي مديحي وفي حِرِ أُمّي هجائي
وفي حِرِ أُمّي وإنْ كُنْـ ـتُ سـيّد الشّـعراءِ

وهذه الأبيات الثّلاثة أيضاً ذكره الجاحظ منه فهو يرسل هجاءه لدعبل ـ رحمه الله ـ إلى حِرِ أُمّه، وماذا يتوقّع عمّن أدّبه النّواصب اللّئام وتأدّب بأدبهم؟ ولا يُحْسِنُ التّأديبَ لهذا الشّاعر وأمثاله ـ مثل مروان بن أبي حفصة والأخطل وغيرهما ـ أكثر من هذا مَنْ كان أُمّه من المشهورات بالزّنا كالجبت والطّاغوت من تيم أو عديّ ومعاوية وعمرو بن العاصي ـ لعنهم الله جميعاً ـ ولا يكون خرّيج مدرسة ابن صُهَاك الحبشيّة الّذي كان يمتهن البَرْطَشَةَ

⇐

الأوّل جمع «إجْل» وهو القطيع من بقر الوحش[١]، والثّاني جمع «أَجَل» والمراد به منتهى الأعمار.

وإمّا **مختلفان** نحو قول الحريري:

وَذَا ذِمامٍ وَفَتْ بِالْعَهْدِ ذِمَّتُهُ[٢] وَلاَ ذِمامَ لَهُ في مَذْهَبِ الْعَرَبِ

⇐ إلّا كهذا الدّعيّ وأمثاله من سائر الأدعياء ـ لعنهم الله جميعاً ـ.

قال المرزبانيّ ـ رحمه الله ـ: أبو سعد المخزوميّ عيسى بن خالد بن الوليد من ولد الحارث بن هِشام بن المغيرة المخزوميّ كان يهاجي دعبل بن عليّ الخزاعيّ ـ رحمه الله ـ ثمّ قال: وله ـ وكان أبو تَمّام يتمنّى أن يكون هو قائله ـ:

حَدَقُ الآجالِ آجَالُ والهوى للمرء قتّالُ
والهوى صعب مراكبه وركوبُ الصَّعْبِ أهوالُ
ليس من شكلي فأشبهه دعبلٌ، والنّاس أشكَالُ
أَمَلي في التّاج ألبَسُهُ وله في الشّعر آمَالُ
ليس من يسمو به حَسَبٌ مثل مَنْ يسمو به مَالُ

أقول: ونقلته عن المرزبانيّ ـ رحمه الله ـ لما فيه من الاختلاف والزّيادة عمّا ذكره الجاحظ. [معجم الشّعراء: ١٣٠]

(١) المثّلث ١: ٣٢٥.

(٢) **قوله**: «**وذا ذمام وفت بالعهد ذمّته**». البيت من البسيط على العروض المخبونة مع الضّرب المماثل والقائل أبو محمّد القاسم بن عليّ الحريريّ صاحب «المقامات»، وإنّما أورده الحريريّ في المقامة الشّتويّة وهي المقامة الرّابعة والأربعون من كتاب مقاماته من قصيدة طويلة مطلعها:

عِنْدي أعاجيبُ أرْويها بِلاكَذِبِ عن العِيانِ فَكَنُّوني أبا العَجَبِ
رَأيْتُ يا قَوْمِ أقْواماً غِذاؤُهُمُ بَوْلُ العَجُوزِ وما أعْني ابْنَةَ العِنَبِ

بول العجوز لبن البقرة و«العجوز» أيضاً من أسماء الخمر.

⇐

⇐ ومُسْتنِتِينَ مِنَ الأعْرابِ قُوتُهُمُ ... أنْ يَشْتَوُوا خِرْقَةً تُغْنِي مِنَ السَّغَبِ

الخرقة القطعة من الجَراد.

وقادِرين مَتَى ما ساءَ صُنْعُهُمُ ... أوْ قَصَّرُوا فيه قالوا الذَّنْبُ للحَطَبِ

القادر الطّابخ في القِدْر والقدير المطبوع فيها.

وكاتِبِينَ وما خَطَّتْ أنامِلُهمْ ... حَرْفاً ولا قَرَؤُا ما خُطَّ في الكُتُبِ

الكاتبون الخرّازون يقال: «كتب السّقاء والمزادة» ـ إذا خرزهما ـ و«كتب البغلة أو الناقة» ـ إذا جمع بين شفريها وخاطهما ـ قال الشّاعر:

لا تأمَنَنَّ فزاريّاً خلوت به ... على قَلوصك وَاَكْتُبْهَا بأسيار

وتابِعِينَ عُقاباً في مَسيرِهِم ... على تَكَمِّيهِمُ في البَيْضِ واليَلَبِ

العقاب الرّاية وكانت راية النبيّ ـ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ـ تسمّى العُقاب.

ومُنْتَدِينَ ذَوِي نُبْلٍ بَدَتْ لَهُمُ ... نَبِيلَةٌ فانْثَنَوْا منها إلى الهَرَبِ

النبيلة الجيفة ومنه «تنبل البعير» ـ إذا مات ـ و«أروح» يعني نتن.

وعُصْبَةً لم تَرَ البَيْتَ العَتِيقَ وقَدْ ... حَجَّتْ جُثِيّاً بِلا شَكٍّ على الرُّكَبِ

معنى «حجّت جثيّاً» أي: غلبت بالحجّة مجادلين جاثين على الرّكب و«جثى» جمع «جاث».

ونِسْوَةً بَعْدَ ما أدْلَجْنَ من حَلَبٍ ... صَبَّحْنَ كاظِمَةً مِنْ غَيْرِ ما تَعَبِ

كاظمة في هذا الموضع من كظم الغيظ.

ومُدْلِجِينَ سَرَوْا مِن أرْضِ كاظِمَةٍ ... فَأَصْبَحُوا حِينَ لاحَ الصُّبْحَ في حَلَبِ

«في حلب» أي: أصبحوا يحلبون اللبن.

ويافِعاً لم يُلامِسْ قَطُّ غانِيَةً ... شاهَدْتُهُ وله نَسْلٌ مِنَ العَقِبِ

النسل هاهنا العدو قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ**﴾ **والعقب** مؤخّر القدم.

وشائِباً غَيْرَ مُخْفٍ لِلْمَشِيبِ بَدا ... في البَدْوِ وهْوَ فَتِيُّ السِّنِّ لم يَشِبِ

الشائب هاهنا مازج اللبن **والمشيب** اللبن الممزوج ويقال فيه: مشيب ومشوب.

⇐

⇐ ومُـرْضَعاً بِـلِبانٍ لم يَـفُهْ فَـمُهُ   رأيْـتُهُ فـي شِـجارٍ بَـيْنَ السَّـبَبِ

الشِّجار المحفّة ما لم تكن مظلّلة فإن ظلّلت فهو الهودج **والسّبب** هاهنا الحبل ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ** ﴾.

وزارِعـاً ذُرَةً حـتّى إذا حُـصِدَتْ   صـارتْ غُـبَيْراء يَـهْواها أخُـو الطَّـرَبِ

الغبيراء المسكر المتّخذ من الذرّة ويُسمّى أيضاً السّكركة وفي الحديث: إيّاكم والغبيراء فإنّها خمر العالم.

وراكِباً وهـو مَـغْلولٌ عـلى فَـرَسٍ   قَـدْ غُـلَّ أيْـضاً ومـا يَـنْفَكُّ عـن خَـبَبِ

المغلول هاهنا العطشان و«غلّ» أي: عطش.

وذا يَـدٍ طُـلُقٍ يَـقْتادُ راحِـلَةً   مُـسْتَعْجِلاً وهـو مَأْسُـورٌ أخُـو كُـرَبِ

المأسور الّذي يجد الأسر وهو احتباس البول.

وجـالِساً مـاشِياً تَـهْوِي مَـطِيَّتُهُ   بـه ومـا فـي الّذي أوْرَدْتُ مـن رِيَبِ

الجالس الآتي نجداً **والماشي** الّذي كثرت ماشيته، وعليه فسّر بعضهم قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **أنِ امْشُوا** ﴾ كأنّه دعاء لهم بكثرة الماشية والماء والبركة.

وحـائِكاً أجْـدَمَ الكَـفَّيْنِ ذا خَـرَسٍ   فإنْ عَجِبْتُم فَكَمْ في الخَلْقِ مِن عَـجَبِ

الحائك هاهنا الّذي إذا مشى حرّك منكبيه وفجّج بين ركبتيه.

وذا شَـطَاطٍ كَـصَدْرِ الرُّمْـحِ قـامَتُهُ   صـادفْتُهُ بِـمِنى يشْكـو مِـنَ الْـحَدَبِ

الحدب ما ارتفع من الأرض.

وسـاعِياً فـي مَسَـرَّاتِ الأنـامِ يَـرَى   إفْـراحَـهُمْ مَأْثَـماً كـالظُّلْمِ والكَـذِبِ

إفراحهم إثقالهم بالدّين ومنه قوله ـ عليه السّلام ـ: «لا يترك في الإسلام مفرح ـ أي: مثقل من الدّين ـ أو يقضى عنه دينه».

ومُـغْرَماً بـمُناجاةِ الرِّجـالِ له   ومـاله فـي حَـدِيثِ الْـخَلْقِ مـن أرَبِ

الخلق هاهنا الكذب ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ** ﴾.

وذا ذِمـامٍ وفَتْ بِـالعَهْدِ ذِمَّـتُهُ   ولا ذِمـامَ له فـي مَـذْهَبِ العَـرَبِ

⇐

⇐ **الذمام** الثاني جمع «ذمّة» وهي البئر القليلة الماء، وعنى بالمذهب المسلك، أي: ماله آبار قليلة الماء في البدو.

وذا قُوىً ما اسْتَبانَتْ قَطُّ لِينَتُهُ ولِينُهُ مُسْتَبِينٌ غَيْرُ مُحْتَجِبِ

اللين نخيل الدّقل ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ** ﴾.

وساجِداً فَوْقَ فَحْلٍ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِما أتَى بَلْ يَراهُ أفْضَلَ القُرَبِ

الفحل الحصير المتّخذ من فحال النّخل.

وعاذِراً مُؤْلِماً مَنْ ظَلَّ يَعْذِرُهُ مَعَ التَّلَطُّفِ والْمَعْذُورُ في صَخَبِ

العاذر الخاتن و**المعذور** المختون.

وبَلْدَةً ما بِها ماءٌ لِمُغْتَرِفٍ والماءُ يَجْرِي عليها جَرْيَ مُنْسَرِبِ

البلدة الفرجة بين الحاجبين، وتسمّى أيضاً البلجة.

وقَرْيَةً دونَ أُفْحُوصِ القَطا شُحِنَتْ بِدَيْلَمٍ عَيْشُهُمْ من خُلْسَةِ السَّلَبِ

القرية بيت النمل و**الديلم** النّمل الكثير و**خلسة السلب** لحاء الشجر.

وكَوْكَباً يَتَوارَى عِندَ رُؤْيَتِهِ الـ ـإنْسَانُ حتّى يُرَى في أمْنَعِ الْحُجُبِ

الكوكب النكتة البيضاء الّتي تحدث في العين و**الإنسان** هاهنا إنسان العين.

ورَوْثَةً قُوِمَتْ مالاً له خَطَرٌ ونَفْسُ صاحِبِها بالمالِ لم تَطِبِ

الروثة مقدَّم الأنف.

وصَحْفَةً من نُضارٍ خالِصٍ شُرِيَتْ بَعْدَ الْمِكاسِ بِقِيراطٍ مِنَ الذَّهَبِ

النّضار هاهنا شجر النّبع، ومنه قول بعض التابعين: «لا بأس أن يشرب في قدح النّضار» عنى به هذا.

ومُسْتَجِيشاً بِخَشْخَاشٍ لِيَدْفَعَ ما أظَلَّهُ من أعادِيهِ فَلَمْ يَخِبِ

الخشخاش الجماعة عليهم دروع وأسلحة.

وطالَما مَرَّ بي كَلْبٌ وفي فَمِهِ ثَوْرٌ ولَكِنَّهُ ثَوْرٌ بِلا ذَنَبِ

الثّور القطعة من الأقط وهو نوع من الجبن.

⇐

⇐ وكَمْ رَأى ناظِري فِيلاً على جَمَلٍ وقَدْ تَوَرَّكَ فَوْقَ الرَّحْلِ والقَتَبِ

الفيل الرّجل الفائل الرأي.

وَكَمْ لَقِيتُ بِعُرْضِ البِيدِ مُشْتَكِياً وما اشْتَكَى قَطُّ في جِدٍّ ولا لَعِبِ

المشتكي المتّخذ شكوة وهي القربة الصغيرة.

وكُنْتُ أبْصَرْتُ كَرَّازاً لراعِيَةٍ بالدَّوِّ يَنْظُرُ من عَيْنَيْنِ كالشُّهُبِ

الكرّاز كبش يحمل عليه الرّاعي أداته.

وَكَمْ رَأتْ مُقْلَتِي عَيْنَيْنِ ماؤُهُمَا يَجْرِي مِنَ الغَرْبِ والعَيْنَانِ في حَلَبِ

الغرب مجرى الدّمع و**العينان** المقلتان.

وصادِعاً بِالقَنا من غَيْرِ أنْ عَلِقَتْ كَفَّاهُ يَوْماً بِرُمْحٍ لا ولم يَثِبِ

القنا ارتفاع الأنف وتحدّب وسطه و**صدع به** أي: كشفه.

وَكَمْ نَزَلْتُ بأرْضٍ لَا نَخِيلَ بِها وبَعْدَ يَوْمٍ رَأيْتُ البُسْرَ في القُلُبِ

البسر جمع بسرة وهو الماء الحديث العهد بالمطر و**القلب** جمع قليب.

وكَمْ رَأيْتُ بِأقْطارِ الفَلا طَبَقاً يَطِيرُ في الْجَوِّ مُنْصَبّاً إلى صَبَبِ

الطبق القطعة من الجراد.

وكم مَشايِخَ في الدُّنْيا رَأيْتُهُمُ مخَلَّدِينَ ومَنْ يَنْجو مِنَ العَطَبِ

المخلّد الذي أبطأ شيبه.

وكم بَدا لِيَ وَحْشٌ يَشْتَكي سَغَباً بِمَنْطِقٍ ذَلِقٍ أمْضَى مِنَ القُضُبِ

الوحش الرّجل الجائع.

وكم دعانِيَ مُسْتَنْجٍ فَحادَثَنِي وما أخَلَّ ولا أخْلَلْتُ بالأدَبِ

المستنجي الجالس على نجوة وهو المكان المرتفع.

وكم أنَخْتُ قَلُوصي تَحْتَ جُنْبُذَةٍ تُظِلُّ ما شِئْتَ من عُجْمٍ ومن عُرُبِ

الجنبذة القبّة و**العرب** جمع عروب وهي المتحبّبة إلى زوجها من قوله ـ تعالى ـ: ﴿**عُرُباً أتْراباً**﴾.

⇐

«الذِّمام» الأوّل الحُرْمَة، والثّاني جمع «ذَمَّة» وهي البئر القليلة الماء[١]، ونحو: «فلان طويل النِّجَاد وطَلّاع النِّجَاد» الأوّل مفرد، والثّاني جمع «نَجْد» ـ وهو ما ارتفع من الأرض ـ.

﴿ وإن كانا ﴾ أي: اللّفظان المتّفقان فيما ذكر ﴿ من نوعين ﴾ اسم وفعل، أو اسم وحرف، أو فعل وحرف ﴿ سمّي مستوفى ﴾.

فالاسم والفعل ﴿ كقوله ﴾ أي: قول أبي تَمَّام:

﴿ مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ[٢] ... يَحْيَا لَدىٰ يَحْيى بن عَبْدِاللهِ ﴾

⇐ وكَمْ نَظَرْتُ إلى مَنْ سُرَّ ساعَتَهُ ... ودَمْعُهُ مُسْتَهِلُّ القَطْرِ كالسُّحُبِ

سرّ أي: قطع سرره ويسمّى ما يبقى بعد القطع السرّة.

وكم رَأَيْتُ قَمِيصاً ضَرَّ صاحِبَهُ ... حتّى انْثَنَى واهِيَ الأَعْضاءِ والعَصب

القميص الدابّة الكثيرة القماص وهو الوثوب والقفز.

وكم إزارٍ لو آنَّ الدَّهْرَ أتْلَفَهُ ... لَجَفَّ لِبْدُ حَثِيثِ السَّيْرِ مضْطَرِبِ

الإزار المرأة ومنه قول الشاعر:

* فدى لك من أخي ثقة إزاري *

هَذا وكم من أفانِينٍ مُعَجِّبَةٍ ... عِنْدِي ومن مُلَح تُلْهَى ومن نُخَبِ

فَإِنْ فَطِنْتُمْ لِلَحْنِ الْقَوْلِ بانَ لَكُمْ ... صِدْقي ودَلَّكُمُ طَلْعِي على رُطَبي

وإنْ شُدِهْتُمْ فإنّ العارَ فيه على ... مَنْ لا يُمَيّزُ بَيْنَ العُودِ والْخَشَبِ

(١) ويقال لها: «ذَمَّةٌ» لأنّها تُذَمُّ.

(٢) قوله: «ما مات من كرم الزّمان فإنّه». البيت من الكامل على العروض الأُولى مع الضّرب الثّاني المقطوع المضمر والقائل أبو تَمّام حبيب بن أوس الطّائي ـ رحمه الله ـ من قصيدة طويلة يمدح بها يحيى بن عبدالله، وكَتَبها إليهِ مع سَهْم أخيه ليصلَه، ويَسأله في أمره:

إحدَى بَني بَكْر بن عَبْدِ مَنَاهِ ... بَيْنَ الكَثِيبِ الفَرْدِ فالأَمْوَاهِ

ألقى النَّصِيفَ فأنتِ خَاذِلَةُ المَهَا ... أُمْنِيَّةُ الْخَالِي ولَهْوُ اللّاهِي

⇐

⇐ رَيّا تُجَاذِب خَصْرَها أَردافُها ... وتَطِيبُ نَكْهَتُهَا على استِنْكَاهِ
عَرَضَتْ لَنا يَوْمَ الحِمَى في خُرَّدٍ ... كالسِّرْب حُوٍّ لِثاً ولُعْس شِفَاهِ
بيضٍ يَجُولُ الْحُسْنُ في وَجَناتها ... والمِلْحُ بينَ نَظَائِر أشبَاهِ
لَمْ تَجتمِعْ أمثَالُها في مَوْطِنٍ ... لَوْلا صِفَاتٌ في كِتَابِ اللهِ
ومُفَنِّدٍ لَوَّامَةٍ نَهْنَهْتُهُ ... عَنْ مُغْلِظٍ لِعَذُولِهِ نَجَّاهِ
ومُؤَيِّهٍ بي كَيْ أُفِيقَ وإنَّني ... لأَصَمُّ عَنْ يَاهٍ وعَنْ يَهْيَاهِ
دَعْني أُقِمْ أَوَدَ الشَّبَابِ بذِكْرِها ... إنَّ السَّفَاهَ بها لَغَيْرُ سَفَاه
فإذا انقَضتْ أَيَّامُ تَشْييع الصِّبَا ... أظهَرْتُ تَوْبَةَ خاشِعٍ أوَّاهِ
ومُعاودٍ للبيدِ لا يَهفُو بِهِ ... هافٍ ولا يزهَاهُ فيها زَاهِ
مُهْدٍ لألطَافِ الثَّنَاء إلى فَتَى ... كالبَدْرِ لا صَلِفٌ ولا تَيَّاهِ
لأَبي الغَريبِ غَرائباً مِنْ مَدْحِه ... في غير تَعْقيدٍ ولا استِكرَاهِ
مَنْ مَاتَ مِنْ حَدَثِ الزَّمانِ فإنَّه ... يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بن عَبْدِاللهِ
كالسَّيْفِ ليسَ بزُمَّلٍ شِهْدَارَةٍ ... يوماً ولا بغُضُبَّةٍ جَبَّاهِ
ومُهَفْهَفِ السَّاقِي قَريبِ جَنَى النَّدَى ... عَفٍّ النَّدِيم سَريعِ سَعْيِ الطاهي
وأَغَرَّ يَلهُو بالمَكارِمِ والوَغَى ... إنَّ المكارمَ للكَريم مَلاهِ
يُمسي ويُصْبحُ عرْضُه في صَخْرَةٍ ... دَمَغَتْ شَوَاةَ العَائِبِ العَضَّاهِ
قُلْ لِلعِدَاةِ الْحاسِديهِ على العُلَى ... رَغْماً لآنِفِكُمْ بَني الأَستَاهِ
حَسَدٌ تَمَكَّنَ ذُلُّهُ مِنْ بُغْضِكُمْ ... في أعيُنٍ ومَعاطِسٍ وشِفَاهِ
هُوَ لِلوَفيِّ العَهْدِ ظلُّ أرَاكَةٍ ... ولِمُضْمِرِ الشَّنَآنِ شَوْكُ عضَاهِ
قَرْمٌ أقَرَّ لَهُ الرِّجالُ بفَضْلِهِ ... طَوْعاً بلا قَهْرٍ ولا إكرَاهِ
عَذُبَ اسمُه بِفَمِي فَظَلَّ كأَنَّهُ ... لِلرَّاح بالمَاءِ القَرَاح مُضَاهِ
لَوْ أنَّه نَبْتٌ لَكانَتْ دُونَه ... قُضُبُ البَشَامِ اللُّدْن للأفوَاهِ
كَمْ فَرْحةٍ أهدَى وكَمْ مِنْ تَرْحَةٍ ... لِمُؤَمِّل رَاجٍ ولاحٍ نَاهِ ⇐

لأنّه كريم يُحيي الكرم ويجدّده.

[تقسيم آخر للتّامّ]

﴿ **وأيضاً** ﴾ تقسيم آخر للتّامّ وهو أنّه ﴿ **إن كان أحد لفظيه** ﴾ أي: لفظَي التّجنيس التّامّ مركّباً والآخر مفرداً ﴿ **سُمِّيَ جِنَاسَ التّركيب** ﴾.

وبعد أن يكون التّجنيس جناس التّركيب ﴿ **فإن اتّـفقا** ﴾ أي: لفـظا التّـجنيس اللّذان أحدهما مركّب والآخر مفرد ﴿ **في الخطّ، خُصَّ** ﴾ هذا النّوع مـن جِـنَاسِ التّركيب ﴿ **باسم المتشابه** ﴾ لاتّفاق لفظيه في الخطّ أيضاً ﴿ **كقوله** ﴾ أي: قول أبي الفتح البُسْتِيّ:

﴿ **إِذَا مَلِكٌ لَم يَكُنْ ذَا هِبَهْ** ﴾[1] أي: صاحب هبة. ﴿ **فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذاهِبَهْ** ﴾ غـير

⇐ شِـمْنَا نَـدَى يُـمْنَاهُ فـانبَجَسَتْ لَـنا ... بـــمَواهِبٍ لَـــمْ تـــنفجرْ بـــمِيَاهِ

لَـمَّا طَـلَبْتُ العَـذْبَ مِـنْها أصبَحَتْ ... قُـــلُبِي بـــها مَـــمْلُوءَةً ورِدَاهـــي

لَـــوْلا تَـنَاهي كُـلِّ مَـخْلُوقٍ لقَـدْ ... خِـــلْنا نَـــوَالك لَـــيْسَ بـالمُتَناهي

مــا زِلْتَ تُـمْطرُ ديـمَةً مـعَ وَابـلٍ ... حـــتَّى كأَنَّكَ للسَّـــحَابِ مُـــبَاهي

ولقَـــدْ وُعِـدْتُ مَـوَاعِـداً فـنبَذْتُهَا ... خَـــلْفي ووَعْـدُك مـا يَـزَالُ تِـجَاهي

سَـهْمُ ابـنُ أَوْسٍ فـي ضَـمَانك عـالِمٌ ... أنْ لَسْتَ بـــالنَّاسي ولا بـــالسَّاهي

أجــزِلْ لَـهُ الحَـظَّيْنِ مِـنْكَ وكُـنْ لَـهُ ... رُكْـــناً عـــلى الأَيَّـــامِ ليسَ بـــوَاهِ

بـــولايَتَيْنِ ولايَـــةٍ مَـــذْكُـــورَةٍ ... مَشْــــــهُورَةٍ ووِلاَيَـــــةٍ بـــالجَاهِ

هُوَ في الغِنَى غَرْسِي وغَرْسُكَ في العُلَى ... أَنَّـــى انـــصرفْتَ وأنتَ غَـــرْسُ اللهِ

(١) **قوله: «إذا ملكٌ لم يكن ذا هِبَهْ»**. البيت من اليتيم المتقارب.

والقائل أبو الفتح البستيّ عليّ بن محمّد بن الحسين بن يوسف بن محمّد المتوفّى سنة ٤٠٠هـ وكان من كتّاب الدّولة السّامانيّة في خراسان وارتفعت مكانته عند الأمير سبكتكين وابنه يمين الدّولة السّلطان محمود الغزنويّ، ثمّ أخرجه المحمود إلى ماوراء النّهر فمات

⇐

باقية. وكقول أبي العَلَاء:

مَطَا، يا مَطايا، وَجْدَكُنَّ مَنازِلٌ[1] **مَنىً زلَّ عنها، ليسَ عَنّي بِمُقْلِعِ**

⇐ غريباً بـ«بخارى» والبيت ذيّله عبدالجليل المواهبي الدّمشقي قائلاً:

إذا مَـلِكٌ لم يكـن ذا هِبَةْ فَـدَعْهُ فـدولته ذاهِـبَةْ
فـجُدْ للـفقير لمـا يـنبغي وأفـضلَ مـالِكَ كـن واهـبةْ
وفـي الله عـن كلّ شـيءٍ غـنى فكـن راغـباً فـيه أو راهـبَةْ
وعـمرك رأس جـميع الذي مـلكت فـبالخير كـن نـاهِيَةْ
وحـاذر مـعاصي الإله الّتي تكـون لأجـر الفـتى نـاهِبَةْ
ومـن مـال ربّك أنـفق فـما تـملّكت عـارية لاهِـبَةْ
ودم فـي عـلاه لتـرقى العـلا وتـنجو مـن نـاره اللّاهِـبَةْ

كذا ذكره المراديّ في «سِلْك الدّرر».

(١) **قوله: «مَطَا، يا مَطايا، وَجْدَكُنَّ مَنازِلٌ»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المشابه والقائل أبو العلاء المعرّيّ من القصيدة السّادسة والستّين من قصائد السّقط يخاطب بها أبا أحمد عبدالسّلام بن الحسين البصري صاحب الرّواية، وكان يكثر الجلوس عنده أيّام إقامته ببغداد:

تـحِيّةَ كِسْـرَى فـي السّـناء وتُـبّعٍ، لرَبْـعِك، لا أرضَـى تـحِيّةَ أرْبُـعِ
أمِـيرُ المَـغاني! لم تَـزالي أمـيرةً بـه للـغَوانـي، فـي مَصيفٍ ومَـرْبَعِ
تَـطَيّرَ لِـهْبِيٌّ، تَـلَهّبَ قـلْبُهُ، بأسْـحَمَ يَـرْدي فـي الديـار، وأبْـقَعِ
دَعِ الطَّـيْرَ فـوْضى، إنّـما هـي كُلّها طَـوالِبُ رزْقٍ لا تَـجيءُ بـمُفْظِعِ
كعُصْبة زَنجٍ، راعها الشيْبُ، فـازدَهَتْ مَـناقِيشَ فـي داجـي الشّـبيبة أفْـرَعِ
بَـغَتْ شَـعَراتٍ كـالثّغام، فـصادفَتْ حَـوالِكَ سُـوْداً، مـا حَـللْنَ لمُـرْتِعِ
وطـارقَتي أُخْتُ الكَـنائنِ: أسْـرَةٍ، وسَـتْرٍ، ولَـحْظٍ، وابـنةِ الرّمْـي، أرْبَـعِ
ونـحْنُ، بـمُسْتَنّ الخَـيالاتِ، هُـجّدٌ؛ وهُـنّ مَـوَاضٍ: مـن بـطيءٍ ومُسْـرعِ
شـموسٌ، أتتْ مِـثلَ الأهـلّةِ، مَـوْهِناً، فقامتْ تَـراغـى، بـينَ حَسْـرَى وظُـلّعِ

⇐

⇐ وألْـــقَيْنَ لي دُرّاً، فــلمّا عــدَدْتُه — غِــنىً، مسَـــخَتْه شِـقْوَةُ الجَـدِّ أدمُـعي
وبَيْضَاءَ رَيّا الصّيْف والضّيْف والبُرى، — بسِــيطَةِ عُــذْرٍ فـي الوشـاحِ المُـجَوَّع
ومِــــرآتُــــها، لا يَــقْتَضيها جَــمالُها — بـــمَرْآتِها، والطّـــبْعُ غــيرُ التّــصَنّع
وقـد حُـبِستْ أمْـواهُـها فـي أدِيـمها، — سِـنينَ، وشُـــبّتْ نـارُها تـحتَ بُـرْقُع
وقـــد بَـلَغَتْ سِـنَّ الكَـعابِ، وقـابَلَتْ — بـــنَكهةِ مـــعْقودِ السُّــخابَيْنِ، مُـرْضَع
أفِـــقْ! إنّــما البَــدْرُ المُـــقَنَّعُ رأسُـــه — ضَـــلالٌ، وغَـــيٌّ، مـــثْلَ بَـــدْرِ المُـقنَّع
أراكَ، أراكَ الجِـــزْعِ، جَـــفْنٌ مُـــهوِّمٌ، — وبُـــعْدُ الهَـــوى بُـعْدَ الهـواء المُـجَزَّع
عــلى عُشَّــرٍ، كـالنّخْلِ، أبْـدى لُـغامُها — جَــنى عُشَــرٍ، مـثْلُ السبيخِ المـوَضَّع
تَـوَدُّ غِـرارَ السيْفِ مِـن حُـبّها اسـمَه، — ومــا هــي، فـي النّـوْمِ الغِـرارِ، بـطُمّع
مَــطا، يــا مَـطايا، وجْـدَ كُـنّ مَـنازلٌ، — مَـــنىً زَلّ عـــنها، ليس عـــنّي بـــمُقْلِع
تُـــبِينُ قـــراراتِ المِــياهِ، نَــواكــزاً، — قَـــواريـــرُ، فـــي هـــاماتِها، لم تُــلَفَّع
إذا قــال صَـحْبي: لاحَ مِـقْدارُ مِـخْيَطِ — من البرْقِ، فرّى مِعْوَزاً جَـذبُ مـوجَع
ألا رُبّـــما بـــاتَتْ تُـــحَرِّقُ، كُـــورَها، — ذُيـــولُ بُـــروقٍ، بـــالعِراقَـــيْنِ، لُـــمَّع
وقـــد أُهْــبِطَ الأرضَ، التـــي أُمُّ مـازنٍ — وجـــاراتُـــها، فـيها، صَـواحبُ أمْـرُع
كفاهُنّ حَملَ القوت خِصْبٌ أتى القُرى — قُـــرى النّــمْل، حتّى آذنتْ بـالتصَدّع
سَـــقَتْها الذراعُ الضّــيغميّةُ جُــهدَها، — فـما أغـفَلَتْ، مـن بـطْنِها، قِـيدَ إصْـبَع
بـــها رَكَـزَ الرّمْـحَ السماكُ، وقُـطّعَتْ — عُرى الفَرْغِ، في مَـبْكى الثـريّا، بـهُمَّع
ولـيْـلٍ كــذنْبِ القَـفْرِ، مَكْـراً وحـيلةً، — أطَـــلّ عـــلى سَـــفْرٍ بـحُلّةِ أدْرَع
كــتَبْنا وأعْــرَبْنا بـحِبْرٍ، مـن الدّجـى، — سُطورَ السُّـرَى فـي ظَـهْر بَـيْداءَ بَـلْقع
يُـــلامُ سُـــهَيْلٌ، تـــحْتَه، مِـــن سآمـةٍ، — ويُـــنْعَتُ فـــيه الزِّبْــرِقانُ بأسْـلَع
ويُسْـــتبْطأُ المِــرّيخُ، وهـــوَ كأنّـــهُ، — إلى الغَـــوْرِ، نــارُ القـابِسِ المُـتَسرِّع
فـــيا مَـــنْ لِـــناجٍ أن يُـبَشِّرَ سَـمْعَهُ، — بـــإسْفارِ داجٍ، رَبُّ تـــاجٍ مُـــرَصَّع
وتَـــبْتَسمُ الأشْــراطُ فَــجْراً، كأنّــها — ثـــلاثُ حَـــماماتٍ سَــدِكْنَ بـــمَوْقِع

⇐

⇐ وتَعْرِضُ ذاتُ العَرشِ، باسِطةً لها،   إلى الْغربِ، في تَغْويرِها، يَدَ أقْطَع
كأنّ سَنا الفَجْرَينِ لمّا تَوالَيا،   دمُ الأخَوَينِ: زَعْفَرانٍ، وأيْدَع
أفاضَ، على تالِيهِما، الصّبْحُ ماءَهُ،   فغَيّرَ مِن إشراقِ أحْمَرَ، مُشْبَع
ومَطْلِيّةٍ قارَ الظّلامِ، وما بَدا   بها جَرَبٌ، إلّا مَواقِعَ أنْسُع
إذا ما نَعامُ الجَوِّ زَفَّ، حَسِبْتَها،   مِن الدَّوِّ، خِيطانَ النّعامِ المُفَزَّع
وما ذَنَبُ السِّرْحانِ أبْغَضَ، عندَها،   على الأيْنِ، من هادي الهِزَبْرِ المُرَدَّع
عَجِبتُ لها تَشْكو الصّدى، في رحالها،   وفي كلِّ رَحْلٍ، فوْقها، صَوتُ ضِفدَع
إذا سَمَّر الحِرْباءُ، في العُودِ، نَفْسَه   على فَلَكِيٍّ، بالسّرابِ مُدَرَّع
تَرى آلَها في عينِ كلِّ مُقابِلٍ،   ولو في عُيُونِ النازياتِ بأكْرُع
يكادُ غُرابٌ، غَيّرَ الخِطْرَ لوْنُهُ،   يُنادي غراباً، رامَ رِيبَتَها: قَع
تُراقبُ أظْلافَ الوُحوشِ، نَواصلاً،   كأصْدافِ بحْرٍ، حَوْلَ أزْرَقَ مُتْرَع
ويؤنسُنا، من خشيَةِ الخوْفِ، مَعْشَرٌ،   بكُلِّ حُسامٍ، في القِرابِ، مُوَدَّع
طريقَةِ موْتٍ، قُيّدَ العَيْرُ وَسْطَها،   ليَنْعَمَ فيها بينَ مَرْعىً ومَشْرَع
كأنّ الأقَبَّ الأخْدَريّ، بأنّه   سَمِيٌّ له، في آلِ أعْوَجَ، مُدَّع
إذا سَحَلَتْ في القَفْرِ، كان سَحِيلُه   صَليلاً، يُريقُ العِزَّ من كلِّ أخْدَع
أبا أحمَدَ! اسلَمْ، إنّ مِن كَرَمِ الفَتى   إخاءَ التّنائي، لا إخاءَ التّجَمّع
تُهَيّجُ أشْواقي عَرُوبةُ، إنّها   إليكَ زَوَتْني عن حُضُورٍ بمَجْمَع
ألا تَسمَعُ التسْليمَ، حِينَ أكُرُّهُ،   وقَدْ خابَ ظَنّي، لستَ منّي بمَسْمَع
وهل يوجِسُ الكَرْخيُّ، والدارُ غَرْبَةٌ،   من الشأمِ، حِسَّ الراعِدِ المُتَرَجِّع ؟
سلامٌ، هوَ الإسلامُ زارَ بلادَكمْ،   ففاضَ على السّنّيّ والمُتَشَيِّع
كشمسِ الضّحى أُولاهُ في النور عندكمْ،   وأُخْراهُ نارٌ في فُؤادي وأضْلُعي
يفوحُ، إذا ما الرّيحُ هَبّ نسيمُها   شآمِيَةً، كالعَنْبَرِ المُتَضَوِّع
حِسابُكُمُ عندَ المَليكِ، وما لَكمْ   سِوى الودّ منّي في هُبوطٍ ومَفْزَع

⇐

⇐ ودادي لكمْ لم ينْقَسمْ، وَهْوَ كاملٌ، كَمَشْطورِ وَزْنٍ، ليس بالمُتَصرِّع
ألم يأتِكُمْ أنّي تَفَرّدْتُ، بَعْدَكمْ، عن الإنس؟ مَن يشْرَبْ مِن العِدّ يَنْقَع
نَعَمْ! حبّذا قَيْظُ العِراقِ، وإنْ غَدا يَبُثّ جِماراً في مَقيلٍ ومَضْجَع
فكَمْ حلّهُ مِن أصْمَعِ القلْبِ آيِسٍ، يطولُ ابنَ أوْسٍ فَضْلُه، وابنَ أصْمَع
أخِفّ لِذكْراهُ، وأحْفَظُ غَيْبَهُ، وأنْهَضُ، فِعْلَ الناسِك المُتَخَشِّع
صلاةُ المُصَلّي، قاعِداً، في ثَوابِها، بنِصْفِ صلاةِ القائِمِ المُتَطوِّع
كأنّ حَديثاً حاضِراً وَجْهُ غائِبٍ، تَلَقّاهُ بالإكْبارِ مَنْ لم يُوَدِّع
لقد نَصَحَتْني، في المُقامِ بأرْضكُمْ، رجالٌ، ولكنْ رُبّ نُصْحٍ مُضَيَّع
فلاكان سَيْري عنكمُ رأيَ مُلْحِدٍ، يقولُ بيأسٍ مِنْ مَعادٍ ومَرْجِع

وأمّا البيت الشّاهد فقال التبريزي في شرحه: «مطا» في معنى «مدّ» اتّصل بياء النّداء، فصار في اللّفظ «مطايا» جمع «مطيّة». وهذا تجنيس التّركيب، و«مَنىً»، أي قَدَرٌ. «زلّ عنها» أي: لم يصبها. والمعنى أنّ هذه المطايا لمّا وصلت إلى منازل أحبابه التي كان قاصداً لها، ذهب عنها الإعياء والكلال؛ لأنّها أقامت بها، وهو لمّا وصل إليها لم تزدْه رؤيتها إلّا تذكّراً وشجواً. فهذا وجه. وفيه وجه آخر، وهو أنّها بقيت فيها بقيّة زلّ عنها القدر، فلم ينلها وأمكنها الوصولُ، وهو عن القائل غير مُقْلِع.

وقال البطليوسيّ: «مطا» بمعنى مدّ وأطال؛ يقال: «مطا الشّيءَ، يمطُوه». ووصَله بحرف النّداء فصار لفظه كلفظ «مطايا» جمع «مطيّة». والوجد: الشّوق والحزن. و«المَنَى»: القدَر. يقال: «منَى الله الشّيء، يَمنيه» أي: قدّره وقضاه. قال الهذليّ:

لعمرو أبي عمرو لقد ساقه المَنَى إلى جَدَثٍ يُوزَى له بالأهاضبِ

ومعنى «زلّ»: سقط وذهب. و«منازل»، مرفوعة بـ«مطا». و«الوجد»، مفعول. والمعنى: أطال وجدَكنّ يا أيّتها المطايا المنازلُ التي قصدتنّ نحوها. وقوله «منازل» في موضع رفع على أنّه خبر مبتدأ مضمر؛ كأنّه قال: هذا الذي لقيتُه من الوجد مَنىً، زلّ عنها، ولم يُقْلِعْ عنّي؛ لأنّها لمّا وصلت إلى المنازل استراحت ممّا كانت تقاسيه، وزال عنها ⇐

فـ«مطا» فعل ماض، و«يا» حرف نداء، و«مطايا» منادىً.

﴿ وإلّا ﴾ أي: وإن لم يتّفق اللّفظان اللّذان أحدهما مفرد والآخر مركّب في الخطّ ﴿ خصّ ﴾ هذا النّوع من جِناس التّركيب ﴿ باسم المفروق ﴾ لافتراق اللّفظين في الخطّ ﴿ كقوله ﴾ أي: قول أبي الفتح:

﴿ كُلُّكُمْ قَدْ أَخَذَ الْجَا   مَ وَلاَ جَامَ لَنَا[1]
مَا الّذي ضَرَّ مُدِيرَ الـ   جَامِ لَوْ جَامَلَنَا ﴾

أي: عاملنا بالجميل.

⇐ التّعب الّذي كانت تشتكيه، وأمّا أنا فلم يزلْ عنّي ما كنت أجِد، بل تضاعَفَ حين رأيت منزل محبوبتي الّذي كنت أعهد. ويجوز أن يكون أراد أنّ هذه المطايا بقيت منها بقيّة زلّ عنها القدَر، ولم يُذهِبها السّفر، أمكنها بها الوصولُ إلى المنازل المذكورة؛ والقدرُ غير مقلع عنّي، حتّى لا يترك بقيّة منّي.

وقال الخوارزمي: «مطايا» الأوّل: فعل ماض من «المَطْو» بمعنى المدّ. و«يا» بعده حرف نداء. وأمّا الثّاني فجمع «مطيّة». «المنازل» الأُولى: جمع منزل، والثانية مركّبة من «المَنَى» وهو القدر. قال:

* دريت ولا أدري مَنَى الحدثان *

ومِن «زلّ السّهم عن الرّميّة» خاطب الإبل بعد المغايبة، فقال: مدَّ وجدَكنّ ربوعٌ من ديار الحبيبة لم يُصِبْها القدر وأصابني، ما بَلين وبَليت. ولقد أحسن في التّجنيس وأبدع اهـ بتصرّفٍ.

(١) البيت من مجزوء الرَّمَلِ المدوّر على العروض المجزوءة مع الضّرب المحذوف المخبون، والقائل أيضاً أبوالفتح البستي المتوفّى سنة ٤٠٠هـ وصورة التّدوير هكذا:

كلّكم قد أَخَذَ الجَا   مَ، ولا جامَ لنا
ما الّذي ضَرَّ مُدِيْرَ الْـ   ـجَامِ، لَوْ جَامَلَنَا

* * *

[سؤال وجواب]

فإن قلت: يدخل في قوله: «وإلّا خُصَّ باسم المفروق» ما يكون اللّفظ المركّب مركّباً من كلمة وبعض كلمة، كقول الحريريّ:

وَلاَ تَلْهَ عَنْ تَذْكَارِ ذَنْبِكَ وَابْكِهِ(١) **بِدَمْعٍ يُضَاهِي الوَبْلَ حَالَ مَصابِهِ**

وَمَثِّلْ لِعَيْنَيْكَ الحِمامَ وَوَقْعَهُ **وَرَوْعَةَ مَلْقَاهُ وَمَطْعَمَ صَابِهِ**

فالثّاني مركّب من «صابه» والميم من «مطعم»، و«الصّابُ» عُصَارَةُ شَجَرَةٍ مُرَّةٍ، و«المَصَاب» الأوّل ـ بالفتح ـ مَفْعَلٌ من «صابَ المَطَرُ» ـ إذا نزل ـ وهما غير متّفقين في الخطّ فهل يسمّى مفروقاً؟

قلت: لا، إذ يجب في المفروق أن لا يكون المركّب مركّباً من كلمة وبعض كلمة، بل من كلمتين.

والتّقسيم: أنّ المركّب إن كان مركّباً من كلمة وبعض كلمة سمّي التّجنيس **مَرْفُوّاً**

---

(١) **قوله: «وَلاَ تَلْهَ عَنْ تَذْكَارِ ذَنْبِكَ وَابْكِهِ»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المشابه والقائل الحريريّ في المقامة الحادية والعشرين الموسومة بالرّازية:

لَعَمْرُكَ ما تُغْنِي المغاني ولا الغِنى — إذا سَكَنَ المُثْرِى الثَّرَى وثَوابِه
فَجُدْ في مَراضي اللهِ بِالمالِ راضِياً — بما تَقْتَني من أجْره وثَوابه
وبادِرْ بِه صَرْفَ الزَّمانِ فإنَّه — بِمِخْلَبه الأَشْغَى يَغُولُ ونابه
ولَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الْخَؤُونَ ومَكْرَهُ — فَكَمْ خامِلٍ أخْنَى عليه ونابِه
وعاصِ هَوَى النَّفْسِ الَّذي ما أطاعَهُ — أخُو ضَلَّةٍ إلَّا هَوَى من عِقابِه
وحافِظْ على تَقْوَى الإلهِ وخَوْفِهِ — لِتَنْجُوَ مِمَّا يُتَّقَى من عِقابِهِ
ولا تَلْهَ عَن تَذْكارِ ذَنْبِكَ وابْكِهِ — بِدَمْعٍ يُضاهِي الْمُزْنَ حالَ مَصابِه
وَمثِّلْ لِعَيْنَيْكَ الْحِمامَ ووقعَهُ — وروْعَةَ مَلْقاهُ ومَطْعَمَ صابِه
وإنَّ قُصارى مَنْزِلِ الْحَيِّ حُفْرَةٌ — سَيَنْزِلُها مُسْتَنْزَلاً عَنْ قِبابِه
فَواهاً لِعَبْدٍ ساءَهُ سُوءُ فِعْله — وأبْدَى التَّلافي قَبْلَ إغْلاقِ بابِه

وإلّا فهو إمّا **متشابه** أو **مفروق**، صرّح بذلك في «الإيضاح»[١]، ففي عبارة الكتاب تسامح.

هذا إذا كان اللّفظان متّفقين في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها.

[الجناس الغير التّامّ وأقسامه]

وإن لم يكونا متّفقين في ذلك فهو أربعة أقسام: لأنّ عدم الاتّفاق في ذلك إمّا أن يكون بالاختلاف في أنواع الحروف، أو في أعدادها، أو في هيئاتها، أو في ترتيبها؛ لأنّهما لو اختلفا في اثنين من ذلك أو أكثر حتّى لم يبق الاتّفاق إلّا في النّوع والعدد ـ مثلاً ـ أو في الهيئة أو العدد فقط لم يعدّ ذلك من باب التّجنيس لبُعد التّشابه بينهما، فلهذا حصر المذكور في الأقسام الأربعة فقال:

[الجناس المحرَّف]

﴿**وإن اختلفا**﴾ وهو عطف على الجملة الاسميّة ـ أعني قوله: «والتّامّ منه أن يتّفقا» ـ أو على مقدّر، أي: هذا إن اتّفقا فيما ذكر، وإن اختلفا ـ أي: لفظا المتجانسين ـ ﴿**في هيئة الحروف فقط**﴾ واتّفقا في النّوع والعدد والتّرتيب ﴿**سمّي**﴾ التّجنيس ﴿**محرَّفاً**﴾ لانحراف هيئة أحد اللّفظين من هيئة الآخر.

والاختلاف قد يكون في الحركة ﴿**كقولهم: «جُبّة البُرْدِ جُنَّةُ البَرْد»**[٢]﴾ والمراد

---

(١) **قوله: «صرّح بذلك في «الإيضاح»**. راجع: ٥٥١ـ٥٥٢.

(٢) **قوله: «جُبّة البُرْدِ جُنَّةُ البَرْد»**. الجُبَّةُ: بضمّ الجيم معروف وهو المضاف إلى «البُرْد» بضمّ الباء وسكون الرّاء وهو أيضاً ثوب معروف من إضافة العامّ إلى الخاصّ، و«الجُنَّةُ» بضمّ الجيم الدّرع و«البَرْدُ» بفتح الباء خلاف الحَرّ، وهذا الكلام عدّه ابن أبي الإصبع في كتابه ⇐

لفظ «البُرْد» بالضمّ و«البَرْد» بالفتح، وأمّا لفظ «الجُبَّة» و«الجُنَّة» فمن التّجنيس اللّاحق.

﴿ ونحوه ﴾ أي: نحو قولهم: «جُبَّةُ البُرْد جُنَّةُ البَرْد» في كونه من التّجنيس المحرّف، وكون الاختلاف في الهيئة فقط. ﴿ قولهم: «**الجاهلُ إمّا مُفْرِطٌ أو مُفَرِّطٌ**»[1] ﴾ لأنّ الرّاء من «مفرّط» وإن كان مشدّداً والمشدّد حرفان، وهذا يقتضي أن يكون «مفرط» و«مفرّط» مختلفين في عدد الحروف، لكن **لمّا كان** الحرف المشدّد يرتفع اللّسان عنهما دفعة واحدة ـ كحرف واحد ـ **عُدَّا** حرفاً واحداً، فكأنّه في الصّورة حرف واحد زيدت فيه كيفيّة، وإلى هذا أشار بقوله: ﴿ **والحرف المشدّد** ﴾ في هذا الباب ﴿ **في حكم المخفّف** ﴾ فعلى هذا الرّاءُ من «مُفْرِط» حرف مكسور كالرّاء من «مُفَرِّط» والاختلاف بينهما في الهيئة فقط، وهو أنّ الفاء من

⇐ «تحبير التّحبير» نصف شعرٍ، ولم أعثر على تتمّته:

* جُبَّةُ البُرْدِ جُنَّةُ البَرْدِ *

ويمكن حمله على مزاحف الخفيف والوزن: «فاعلاتن، مفاعلن، فَعْلُن».

(١) **قوله: «الجاهلُ إمّا مُفْرِطٌ أو مُفَرِّطٌ»**. قال البغدادي في «خِزانة الأدب»: إنّه حديث وأورد في عقده بيتين لبعضهم وهما:

عليك بأوساط الأُمور فإنّها ... طريق إلى نهج الصّواب مقيمُ

ولا تك فيها مُفْرِطاً أو مُفَرِّطاً ... كلا طرفي قصد الأُمور ذميمُ

وقال محمود سامي الباروديّ المصريّ ١٢٥٥ ـ ١٣٢٢هـ في عقده:

تَمَهَّلْ ولا تَعْجَلْ إذا رُمْتَ حاجةً ... فقد يلحَقُ الخُسْرَانَ من يتورَّطُ

فَذُوْ الحَزْمِ يرعى القَصْدَ في كُلِّ حاجةٍ ... وذو الجهل إمّا مُفْرِطٌ أو مُفَرِّطُ

* * *

الأوّل ساكن ومن الثّاني متحرّك، وهذا نوع آخر[١] من الاختلاف غير الأوّل[٢] وغير قولهم: «البِدْعَةُ شَرَكُ الشِّرْك»[٣].

﴿و﴾ قد يكون الاختلاف في الحركة والسّكون ﴿**كقولهم: «البِدْعَةُ شَرَكُ الشِّرْك»**﴾ فإنّ الشّين من الأوّل مفتوح ومن الثّاني مكسور، والرّاء من الأوّل مفتوح ومن الثّاني ساكن.

---

(١) **قوله: «وهذا نوع آخر»**. قال الهنديّ: فإنّ الأوّل اختلاف بالحركتين، والثّاني اختلاف بالحركة والسّكون، والثّالث اجتمع فيه الاختلافان اهـ.

(٢) **قوله: «غير الأوّل»**. أي: الاختلاف الّذي هو السّكون والحركة في الفاء غير الاختلاف الأوّل الّذي هو بالحركتين في الباء من قولهم: «جُبَّةُ البُرْد جُنَّةُ البَرْد» لأنّ الاختلاف فيه في حركة الباء، فإنّها في الأوّل مضموم وفي الثّاني مفتوح.

وغير الاختلاف الّذي في قولهم: «البدعة شَرَك الشِّرك» لأنّ الاختلاف في «مفرط» و«مفرّط» بالحركة والسّكون فقط، والاختلاف في «شرك الشّرك» بالحركتين ـ أي: حركة الشّين في المضاف وحركتها في المضاف إليه ـ وبالحركة والسكون أيضاً ـ أي: حركة الرّاء في المضاف وسكونها في المضاف إليه ـ.

فظهر أنّ الاختلاف في الأوّل ـ أي: «جُبَّةُ البُرْد، جُنَّةُ البَرْد» ـ بالحركتين. وفي الثّاني ـ أعني: «مفرط» و«مفرّط» ـ بالحركة والسّكون، وفي الثّالث اجتمع الأمران.

(٣) **قوله: «البدعة شَرَكُ الشِّرْك»**. «الشَّرَك» بفتح الشّين والرّاء أمّ الطّريق ومعظمه ووسطه، الواحدة: «شَرَكة» وهو مضاف، والمضاف إليه بكسر الشّين وسكون الرّاء. وفي باب الشّرك من «كتاب الكافي» لثقة الإسلام الكلينيّ عن الإمام جعفر الصّادق ـ عليه السّلام ـ وقد سُئِلَ عن أدنى ما يكون به العبد مشركاً، فقال: «من ابتدع رأياً، فأحبّ عليه وأبغض» وأوّليّات الجبت والطّاغوت ـ لعنهما الله ـ مثل منع تدوين الأحاديث وإحراقها، وإنكار إرث الأنبياء والتّقدّم على عليّ ـ عليه السّلام ـ وإحراق بيت فاطمة وإرثها ونحلتها، وكذا: صلاة التّراويح، وتحريم متعة الحجّ والنّساء، وإحراق المصاحف وغير ذلك ممّا ضبطه أهل التّاريخ والسِّيَر كلّها شرك وكفر وإلحاد، والمتّبعون لهما في هذه الأُمور عالمين عامدين مشركون ومرتدّون وكفّار بإجماع المسلمين.

[الجناس النّاقص]

﴿وإن اختلفا في أعدادها﴾ أي: وإن اختلف لَفْظَا المتجانسين في أعداد الحروف ـ بأن يكون حرف أحدهما أكثر من الآخر بحيث إذا حذف الزّائد اتّفقا في النّوع والهيئة والتّرتيب ـ ﴿سمّي﴾ الجناس ﴿ناقصاً﴾ لنقصان أحد اللّفظين عن الآخر.

[أقسام الجِناس النّاقص]

وهو ستّة أقسام؛ لأنّ الزّائد إمّا حرف واحد أو أكثر، وعلى التّقديرين فهو إمّا في الأوّل، أو الوسط، أو الآخر.

وإلى هذا أشار بقوله: ﴿وذلك﴾ الاختلاف ﴿إمّا بحرف﴾ واحد ﴿في الأوّل مثل: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾[1]﴾.

﴿أو في الوسط نحو: «جَدِّي جَهْدِي»[2]﴾.

﴿أو في الآخر كقوله﴾ أي: قول أبي تمّام:

﴿يَمُدُّونَ مِنْ أَيْدٍ عَواصٍ عَواصِمٍ[3] تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَواضٍ قَواضِبِ﴾

---

(١) القيامة: ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) قال الهندي: «الجهد» ـ بالفتح ـ المشقّة، أي: حظّي من الدّنيا إيقاظ في الوصول إلى المطلوب.

(٣) **قوله: «يمدّون من أيدٍ عواص عواصم»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المشابه، والقائل أبو تَمّام حبيب بن أوس بن الحارث الطّائي ـ رحمه الله ـ من قصيدة طويلة يمدح بها أبا دُلَف القاسِمَ بن عيسَى العِجْلي:

عَلى مِثْلِها مِن أَرْبُعٍ ومَلَاعِبِ أُذِيلَتْ مَصُوناتُ الدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ

أَقُولُ لِقُرْحَانٍ مِن البَيْنِ لَم يُضِفْ رَسِيسَ الهَوَى تَحْتَ الحَشَا والتَّرائِبِ

⇐

⇐ أَعِنِّي أُفَرِّقْ شَمْلَ دَمْعي فإنَّني ... أُرَى الشَّمْلَ مِنْهُمْ لَيسَ بالمُتَقَارِبِ

وما صارَ في ذا اليَوْمِ عَذْلُكَ كلُّهُ ... عَدُوِّيَ حَتَّى صارَ جَهْلُكَ صاحِبي

وما بك اركابي مِن الرُّشْدِ مَرْكَباً ... ألَا إنَّما حَاوَلتَ رُشْدَ الرَّكائِبِ

فَكِلْنِي إلى شَوْقي وسِرْ يَسِرِ الهَوَى ... إلى حُرُقَاتِي بالدُّمُوعِ السَّوارِبِ

أَمَيْدَانَ لَهْوِي مَنْ أَتاحَ لَكَ البِلَى ... فأَصبَحْتَ مَيْدَانَ الصَّبا والجَنَائِبِ ؟!

أَصابَتْكَ أَبْكَارُ الخُطوب فَشتَّتَتْ ... هَوَايَ بأَبْكَار الظِّبَاءِ الكَواعِبِ

ورَكْبٍ يُساقُونَ الرِّكابَ زُجاجَةً ... مِن السَّيْرِ لم تَقْصِدْ لها كَفُّ قاطِبِ

فقد أَكَلُوا مِنها الغَوارِبَ بالسُّرَى ... فصارَتْ لها أَشْباحُهُمْ كالغَوارِبِ

يُصَرِّفُ مَسْرَاها جُذَيْلُ مَشَارِقٍ ... إذا آبَهُ هَمٌّ عُذَيْقُ مَغَارِبِ

يَرَى بالكَعَابِ الرَّوْدِ طَلْعَةَ ثائِرٍ ... وبالعِرْمِسِ الوَجْنَاءِ غُرَّةَ آيِبِ

كأَنَّ به ضِغْناً علَى كُلِّ جانِبٍ ... مِنَ الأَرضِ أو شَوْقاً إلى كلِّ جانِبِ

إذَا العِيسُ لاقَتْ بي أَبَا دُلَف فقَد ... تَقَطَّعَ ما بَيْني وبينَ النَّوائِبِ

هُنَالِكَ تَلْقَى الجُودَ حَيْثُ تَقَطَّعَتْ ... تَمائِمُهُ والمَجْدُ مُرخَى الذَّوائِبِ

تَكادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جُنونُهَا ... إذَا لم يُعَوِّذْها بِنَغْمَةِ طالِبِ

إذا حَرَّكَتْهُ هِزَّةُ المَجْدِ غَيَّرَتْ ... عَطَايَاهُ أَسْماءَ الأَمَانِي الكَواذِبِ

تَكاد مَغانِيهِ تَهِشُّ عِراصُها ... فتركَبُ مِن شَوْقٍ إلى كلِّ رَاكِبِ

إذا ما غَدَا أَغدَى كَريمَةَ مالِهِ ... هَدِيّاً ولو زُفَّتْ لِأَلْأَمِ خاطِبِ

يَرَى أَقْبَحَ الأَشْياء أَوْبَةَ آيِبٍ ... كَسَتْهُ يَدُ المَأْمُول حُلَّةَ خَائِبِ

وأَحسَنُ مِن نَوْرٍ تُفَتِّحُهُ الصَّبا ... بَيَاضُ العَطايا في سَوادِ المطالِبِ

إذا أَلجَمَت يَوْماً لُجَيْمٌ وَحَوْلَها ... بَنُو الحِصْنِ نَجْلُ المُحْصِنَاتِ النَّجَائِبِ

فإنَّ المَنايا والصَّوارِمَ والقَنا ... أَقارِبُهُمْ في الرَّوْعِ دُونَ الأَقارِبِ

جَحَافِلُ لا يَتْرُكْنَ ذا جَبْرِيَّةٍ ... سَلِيماً ولا يَحرُبْنَ مَن لم يُحَارِبِ

يَمُدُّونَ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَواصِمٍ ... تَصُولُ بأَسْيافٍ قَواضٍ قَواضِبِ

⇐

«مِنْ» في «مِنْ أيدٍ» صفة موصوف محذوف، أي: «يمدّون سواعد من أيد».

أو زائدة على مذهب الأخفش[١].

⇐ إذَا الخَيْلُ جابَتْ قَسْطَلَ الحَرْبِ صَدَّعُوا صُـدُورَ العَـوالي فـي صُدُور الكَتَائِبِ
إذا افـتخَرَتْ يَـوْماً تَـميمٌ بِـقَوْسِها وزَادَتْ عـلى مـا وَطَّـدَتْ مِـن مَناقِبِ
فأَنْـتُمْ بِـذِي قـارٍ أمـالَتْ سُـيُوفُكُمْ عُرُوشَ الّذين استَرهَنوا قَوْسَ حـاجِبِ
مَـحاسِنُ مِـن مَـجْدٍ مَـتَى تَـقْرِنُوا بِـها مَـحاسِنَ أقـوامٍ تَكُـنْ كـالمعايِبِ
مَكـارِمُ لَـجَّتْ فـي عُـلُوٍّ كأَنَّـها تُـحاوِلُ ثَأْراً عـند بَـعْضِ الكَـواكِبِ
وقَـد عَـلِمَ الأَفْشِـينُ وهْـو الّـذي بِـهِ يُـصَانُ رِداءُ المُـلْكِ عَـنْ كـلِّ جـاذِبِ
بأَنَّكَ لَـمَّا اسـحنكَكَ الأَمْـرُ واكـتَسَى أهـابِيَّ تَسْـفِي فـي وُجُـوهِ التَّـجارِبِ
تَـجلَّلْتَهُ بـالرأْيِ حَـتَّى أَرَيْـتَهُ بِـهِ مِـلْءَ عَـيْنَيْهِ مَكـانَ العَـواقِبِ
بأَرْشَـقَ إذْ سـالَتْ عـليهم غَـمامَةٌ جَـرَتْ بـالعَوالِـي والعِـتاقِ الشَّـوازِبِ
نَـضَوْتَ لَـهُ رَأْيَـيْنَ سَـيْفاً ومُـنْصُلاً وكـلٌّ كـنَجْمٍ فـي الدُّجُـنَّةِ ثـاقِبِ
وكـنتَ مـتى تُـهْزَزْ لِـخَطْبٍ تُـغَشِّهِ ضَـرَائِبَ أَمْـضَى مِـن رقـاق المَضَارِبِ
فَـذِكْرُكَ فـي قَـلْبِ الخَـلِيفَةِ بَـعْدَها خَـلِيفَتُكَ المُـقْفَى بِأَعْـلَى المَـراتِبِ
فـإن تَنْسَ يَـذْكُرْ أو يَـقُلْ فـيكَ حـاسِدٌ يَـفِلْ قَـوْلُهُ أو تَـنْأَ دارٌ تُـصاقِبِ
فأَنْت لدَيْـهِ حـاضِرٌ غـيرُ حـاضِرٍ جَـمِيعاً وعـنهُ غـائِبٌ غَـيْرُ غـائِبِ
إلَـيْكَ أَرَحْـنا عـازِبَ الشِّـعْرِ بَـعْدَما تَـمَهَّلَ فـي رَوْضِ المـعاني العَـجائِبِ
غَـرَائِبُ لاقَت فـي فِـنائِك أُنْسَـها مِـن المَـجْدِ فـهْيَ الآنَ غَـيْرُ غَـرائِبِ
ولَـوْ كَـانَ يَـفنَى الشِّـعْرُ أفناهُ مـا قَـرَتْ حِـياضُكَ مِـنهُ فـي العُـصُوْرِ الذَّواهِبِ
ولكـنَّهُ صَـوْبُ العُـقُولِ إذا انـجَلَتْ سَـحائِبُ مِـنهُ أُعْـقِبَتْ بسـحائِبِ
أقـولُ لأَصـحابِي هُـوَ القـاسِمُ الّـذي بِـه شَـرَحَ الجُـودُ الْـتِباسَ المَـذاهِبِ
وإنِّـي لأَرجُـو أَنْ تَـرُدَّ رَكـائِبِي مَـواهِـبُهُ بَـحْراً تُـرَجَّى مَـواهِـبي.

(١) قوله: **«زائدة على مذهب الأخفش»**. وأجاز الأخفش زيادة «مِنْ» في الإثبات خلافاً للجمهور.

أو للتّبعيض مثلها في قولهم: «هَزَّ من عِطْفِهِ»[١].

وبالجملة هو الواقع موقع مفعول «يمدّون».

و«عواصٍ» جمع «عاصية» من «عَصَاه» ـ ضَرَبَهُ بالسّيف ـ و«عواصم» من «عَصَمَه» ـ حَفِظَهُ وَحَمَاه ـ و«قواضٍ» من «قَضَى عليه» ـ حَكَمَ ـ و«قواضب» من «قَضَبَه» ـ قطعه ـ.

أي: يَمُدُّونَ للضّرب يومَ الحَرْبِ أيدِياً ضارِباتٍ للأعداء، حامياتٍ للأولياء، صائلاتٍ على الأقرانِ، بِسُيُوفٍ حاكمةٍ بالقتل، قاطعةٍ.

﴿ وربّما يسمّى هذا ﴾ القسم الّذي تكون زيادة الحرف في الآخر ﴿ مطرّفاً ﴾.

ووجه حسنه أنّه يوهم قبل ورود آخر الكلمة ـ كالميم من «عواصم» ـ أنّها هي الكلمة الّتي مَضَت وإنّما[٢] أُتِيَ بها تأكيداً للأُولى، حتّى إذا تمكّن آخرها في نفسك ووعاه سَمْعُكَ انصرف عنك ذلك التّوهّم، وحصل لك فائدة بعد اليَأْسِ منها.

﴿ وإمّا بأكثر ﴾ عطف على قوله: «إمّا بحرف» ولم يذكر منه إلّا قسماً واحداً وهو ما يكون الزّيادة في الآخر ﴿ كقولها ﴾ أي: قول الخنساء: ﴿ إِنَّ الْبُكَاءَ هُوَ الشِّفَا * ء[٣]...

---

(١) **قوله: «هَزَّ من عِطْفِهِ»**. أي: هَزَّ بعض عطفه، فإنّ علامة «من» التّبعيضيّة وضع كلمة «بعض» مكانه مع صحّة المعنى، وهذا كذلك. و«العِطْف» الجانب وهزّه كناية عن السّرور والفرح.

(٢) كلمة: «وإنّما» لا يوجد في نسختين وفي نسخةٍ أخرى: «فلمّا أتي» وليس بوجهٍ.

(٣) **قوله: «إِنَّ الْبُكَاءَ هُوَ الشِّفَا»**. البيت من الكامل على العروض المجزوءة الصّحيحة مع الضّرب المرفّل ـ متفاعلاتن ـ والقائلة الخنساء الشّاعرة تُمَاضِر بنت عمرو بن الحارث السُّلَمِيَّة من بني سليم من قيس عيلان من مُضَر المتوفّاة سنة ٢٤هـ من قصيدة ترثي صخراً ⇐

⇐ وهي من محاسن شعرها:

يَـــا عَـيْنِ جُـودِي بِـالدُّمُو ع الْـمُسْتَهِلَّات السَّـوَافِـحْ
فَـيْضاً كَـمَا فَـاضَتْ غُـرُو ب المُتْرَعَاتِ مِنَ النَّـوَاضِـحْ
إنَّ البُكَـاءَ هُـو الشِّـفَا ءُ مِنَ الجَوى بينَ الجَوانِـحْ
وَابْكِـي لِـصَخْرٍ إذْ ثَـوَى بَـيْنَ الضَّـرِيحَةِ وَالصَّـفَائِحْ
رَمْسـاً لَـدَى جَـدَثٍ تُـذِيـ ـعُ بِتُرْبِهِ هُـوجُ النَّـوَافِـحْ
السَّـيِّدُ الْـجَحْجَاحُ وَابْـ ـنُ السَّادَةِ الشُّمِ الجَحَاجِحْ
الْـحَامِلُ الثِّقَلَ الْـمُهِمْـ ـمَ مِنَ المُـلِمَّاتِ الْفَوَادِح
الْـجَابِرُ العَـظْمَ الْكَسِـيـ ـرَ مِنَ المُصَاهِرِ!؟ وَالْمُمَانِحْ
الْـوَاهِبُ المِئَةَ الْـهِجَا ن مِنَ الْخَنَاذِيذِ السَّـوَانِـحْ
الْـغَافِرُ الذَّنْبَ العَـظِيـ ـمَ لِذي الْقَرَابَـةِ وَالْمُمَالِحْ
بِـتَغَمُّدٍ مِـنْهُ وَحِـلْـ ـم حِينَ يَبْغِي الحِلْمَ رَاجِـحْ
ذَاكَ الَّـذِي كُـنَّا بِـهِ نَشْفِي الْمِرَاضَ مِنَ الْجَوَائِـحْ
وَيَـرُدُّ بَـادِرَةَ الْـعَدُوْ وِ وَنَـخْوَة الشَّـنِفِ المُكَاشِحْ
فَأَصَـابَنَا رَيْبُ الزَّمَـا نِ فَـنَالَنَا مِـنْهُ بِـنَاطِحْ
إذْ غَـابَ مِـدْرَهُنَا وأَسْـ ـلَمَنَا لأَيَّـامٍ كَـوافِـحْ
وَتَـعَذَّرَت أفـقُ البِـلَا دِ فَـمَا بـهَا وَشَـلٌ لمـاتِحْ
تُـذْري السَّـوافِـيَ عَ السَّـوَا مِ وأَجْـدَبَتْ سُـبُلُ المَسَارِحْ
فَكَأَنَّـمَا أَمَّ الزَّمَـا نُ نُـحُورَنَا بِـمُدَى الذَّبَـائِحْ
فَـنِسَاؤُنَا يَـنْدُبْنَ نَـوْ حـاً بَـعْدَ هَـادِيَةِ النَّـوائِـحْ
يَـحْنُنَّ بَـعْدَ كَـرَى الْـعُيُو نِ حَـنِينَ وَالِـهَةٍ قَـوَامِـحْ
شُـعْثاً شَـواحِبَ لَا يَـنِيـ ـنَ إذَا وَنَـى لَـيْلُ النَّـوَائِـحْ
يَـنْدُبْنَ فَـقْدَ أَخِـي النَّـدَى وَالخَـيرِ وَالشِّـيَمِ الصَّـوَالِـحْ

⇐

مِنَ الجَوىٰ[(١)] ﴾ أي: حُرْقَة القلب ﴿ **بين الجوانح** ﴾.

﴿ **وربّما يسمّى هذا** ﴾ الّذي يكون بأكثر من حرف[(٢)] ﴿ **مذيّلاً** ﴾.

﴿ **وإن اختلفا في أنواعها** ﴾ أي: إن اختلف لفظا المتجانسين في أنواع الحروف ﴿ **فيشترط أن لا يقع** ﴾ الاختلاف ﴿ **بأكثر من حرف** ﴾ واحدٍ، وإلّا لبعد بينهما التّشابه، فيخرجان عن التّجانس كلفظَي «نَصَرَ» و«نَكَلَ» ولفظَي «ضَرَبَ» و«فَرَقَ» ولفظَي «ضَرَبَ» و«سَلَبَ»[(٣)].

[الجناس المضارع وأقسامه]

﴿ **ثمّ الحرفان** ﴾ اللّذان وقع فيهما الاختلاف ﴿ **إن كانا متقاربين** ﴾ في المخرج ﴿ **سمّي** ﴾ هذا الجناس ﴿ **مضارعاً وهو** ﴾ ثلاثة أضرب.

لأنّ الحرف الأجنبيّ ﴿ **إمّا في الأوّل نحو: «بيني وبين كِنّي لَيْلٌ**[(٤)]

⇐ وَالْجُودِ وَالأَيْدِي الطِّوَا   لِ المُسْتَفِيضَاتِ السَّوَامِحْ
والأَخْذِ بِالحَمْدِ الثَّمِيـ   ـنِ مَآخِذَ الحَسَبِ الصَّرَائِحْ
فَالآنَ نَحنُ وَمَنْ سِوَا   نَا مِثْلُ أَسْنَانِ القَوَارِحْ

(١) «الجَوَى»: الحُرْقَةُ وشدّة الوجد من عشقٍ أو حزنٍ والفعل منه: «جَوِيَ الرَّجُلُ» ـ بالكسر ـ فهو «جَوٍ».

(٢) **قوله: «هذا الّذي يكون بأكثر من حرف»**. وقيل: الضّمير في «يُسَمَّى مذيّلاً» يرجع إلى خصوص هذا الأخير، لا إلى مطلق ما كان المزيد فيه حرفان ـ أعمّ من أن يكونا في الآخر أو الوسط أو الآخر ـ.

(٣) أورد ثلاثة أمثلةٍ؛ تنبيهاً على أنّ الحرف المتّفق بها إمّا في الأوّل، أو في الوسط، أو في الآخر ـ كما في الرّومي ـ.

(٤) **قوله: «بيني وبين كِنّي ليل»**. مأخوذ من الحريريّ في المقامة المغربيّة وهي المقامة السّادسة عشرة ولمّا اشتملت على القلب وما يحتاج إليه أوردت كلّها وهي:

⇐

⇐ حكى الحارثُ بن همَّام قال شَهِدْتُ صَلاةَ الْمَغْرِبِ * في بَعْضِ مَساجِدِ الْمَغْرِب * فلمّا أدَّيْتُها بِفَضْلِها * وشَفَعْتُها بِنَفْلِها * أخَذَ طَرْفي رُفْقَةٌ قَدِ انْتَبَذوا ناحِيَةً * وامْتازُوا صَفْوَةً صافِيةً * وهُمْ يتعاطَوْن كَاسَ الْمُنَافثَة * ويَقْتَدحُونَ زِنادَ الْمُباحَثَة * فَرَغِبْت في مُحادَثَتِهِمْ لكَلمَةٍ تُسْتَفادُ * أو أدَبٍ يُسْتَزاد * فَسَعَيْتُ إليهم * سَعْيَ الْمُتَطَفّلِ عليهم * وقُلْتُ لهم أتَقْبَلُونَ نَزيلاً يطْلُبُ جَنَى الأسْمارِ * لا جَنِيَّ الثّمارِ * ويَبْغِي مُلَحَ الْحِوارِ * لا مَلْحَاءَ الْحُوَارِ * فَحَلُّوا إليَّ الْحُبا * وقالوا مرحَباً مرحَبا *

فلم أجْلس إلَّا لَمْحَة بارِقٍ خاطِف * أو نُغْبَةَ طائِرٍ خائف * حتّى غَشِيَنَا جوّابٌ * على عاتِقِه جِرابٌ * فحيَّانا بالكَلِمَتَيْن * وحَيَّا الْمَسجدَ بالتَّسْلِيمَتَيْنِ» ثمّ قالَ يا أُولي الألبابِ * والفَضْلِ اللُّبَابِ * أما تَعْلَمون أنَّ أنْفَسَ القُرُباتِ * تَنْفيسُ الكُرُبات * وأمْتَنَ أسبابِ النّجَاةِ * مُواساةُ ذَوِي الْحَاجاتِ * وإنّي ومَنْ أحَلَّني ساحَتَكُمْ * وأتاحَ لي اسْتِماحَتَكُمْ * لَشَرِيدُ مَحَلٍّ قاصٍ * وبَرِيدُ صِبْيَة خِمَاصٍ * فهلْ في الْجَماعةِ * مَنْ يَفْثَأُ عنّا حُمَيَّا الْمَجاعَةِ * فقالوا له يا هذا إنَّكَ حَضَرْتَ بَعْدَ العِشاءِ * ولم يَبْقَ إلّا فَضَلاتُ العَشَاءِ * فإن كُنتَ بها قَنُوعا * فما تَجِدُ فِينا مَنُوعا * فقالإنَّ أخا الشَدَائِد *

لَيَقْنَعُ بلُفاظاتِ الْمَوائِد * ونُفاضاتِ المَزاوِدِ * فَأَمَر كُلٌّ منهمْ عبدَهُ * أنْ يُزَوِّدَهُ ما عِنْدَهُ * فأَعجبَهُ الصُّنْعُ وشَكرَ عَلَيه * وجَلَسَ يَرْقَبُ ما يُحْملُ إليهِ * وثُبْنَا نحنُ إلى اسْتثارة مُلَح الأَدَبِ وعُيونِه * واستِنْباطِ مَعِينِه منْ عُيُونِه * إلى أنْ جُلْنَا فيما لا يَسْتَحِيلُ بالانْعكَاسِ * كَقولك: ساكِبُ كاسٍ * فَتَداعَيْنَا إلى أنْ نَسْتَنْتِجَ له الأَفْكارَ * ونَفْتَرِعَ مِنه الأَبكارَ * على أنْ يَنْظِمَ البَادِئُ ثَلاثَ جُمَاناتٍ في عِقْدِهِ * ثمّ تَتَدَرَّجَ الزِّياداتُ من بعدِهِ * فيُرَبِّعَ ذو مَيمنتِهِ في نَظْمِهِ * ويُسَبِّعَ صاحِبُ مَيْسَرَتِهِ على رَغْمِهِ * قال الراوي وكُنَّا قد انْتَظَمْنا عِدّةَ أَصابِعِ الكَفِّ * وتَأَلَّفْنا أُلْفةَ أصْحابِ الكَهْفِ * فابْتَدَرَ لِعِظَمِ مِحْنَتي *

صاحِبُ مَيْمَنَتِي * وقال: «لُمْ أخاً مَلَّ» وقال مُيامِنهُ: «كَبِّرْ رَجاءَ أَجْرَ رَبِّكَ» وقال الّذي يَلِيه: «مَنْ يَرُبَّ إذا بَرَّ يَنْمُ» وقال الآخر: «سَكِّتْ كُلَّ مَنْ نَمَّ لك تَكِسْ» وأفْضَت النَّوْبَةُ إليَّ * وقد تَعَيَّنَ نَظْم السِّمْط السُباعيّ علَيّ * فلم يَزَلْ فِكري يَصُوغُ ويَكسِرُ * ويُثري ويُعْسِرُ *

⇐

⇐ وفي ضِمْنِ ذلك أسْتَطْعِمُ * فلا أجِدُ مَنْ يُطْعِمُ * إلى أنْ رَكَدَ النَّسِيمُ * وحَصْحَصَ التَّسْلِيمُ * فقلتُ لِأَصْحابي لو حَضَرَ السَّروجيُّ هذا الْمَقامَ * لَشَفَى الداءَ العُقَامَ * فقالوا لو نَزَلَتْ هذِه بِإياسٍ * لأَمْسَكَ على ياسٍ * وجعلنانُفِيضُ في اسْتِصْعابِها * واسْتِغلاقِ بابِها * وذلكَ الزَّوْرُ الْمُعْتَرِي * يَلْحَظُنا لَحْظَ الْمُزْدَرِي * ويُؤَلِّفُ الدُررَ ونحن لَا نَدْرِي * فلمَّا عَثَرَ على افتِضاحنا * ونُضُوبِ ضَحْضاحِنا * قال يا قَومِ إنَّ مِنَ العَناءِ العَظِيمِ * اسْتِيلادَ العَقِيم * والاسْتِشفاءَ بالسَّقِيم * وفَوْقَ كلِّ ذِي علم عَليمٌ * ثمّ أقْبَلَ عليَّ وقال سَأَنُوبُ مَنابَكَ * وأكْفِيكَ ما نابَكَ * فإنْ شِئْتَ أن تَنْثُرَ * ولا تَعْثُرَ * فقلْ مُخاطِبا لِمَنْ ذَمَّ البُخْلَ * وأكْثَرَ العَذْلَ * «لُذْ بِكلِّ مُؤمَّلٍ إذا لَمَّ ومَلَكَ بذَلَ» وإنْ أحْبَبْتَ أنْ تَنْظِم * فقُلْ للَّذي تُعْظِم *

أُسْ أرْمَلا إذا عَرا	وارْعَ إذا الْمَرءُ أسا
أسْنِدْ أخَا نَباهَةٍ	أبِنْ إخاءً دَنَّسا
أُسْلُ جَنابَ غاشِمٍ	مُشاغِبٍ إنْ جَلَسا
أُسْرُ إذا هَبَّ مِراً	وارْمِ بِه إذا رَسا
اسْكنْ تقوَّ فَعَسَى	يُسْعِفُ وقتٌ نَكَسا

قال فلمَّا سَحَرَنا بآياتِه * وحَسَرَنا بِبُعْدِ غاياتِه * مدَحْناهُ حتّى اسْتَعْفَى ومَنَحْناه إلى أنِ اسْتَكْفَى * ثمّ شَمَّر ثيابَه * وازْدَفَرَ جِرابَه * ونهض يُنْشِد :

للّه دَرُّ عِصابَة	صِدْقِ الْمَقالِ مَقَاوِلَا
فاقوا الأنامَ فَضائِلا	مأثورةً وفَواضِلَا
حاورْتُهمْ فوجدْتُ سَحْـ	ـبانَ لديهمْ باقِلَا
وحللتُ فيهمْ سائلا	فلقيتُ جُوداً سائَلا
أقسمتُ لو كان الكِرا	مُ حَياً لكانوا وَابِلَا

ثمّ خَطَا قِيدَ رُمْحين * وعادَ مُسْتَعِيذاً من الْحَيْن * وقال يا عِزَّ مَنْ عَدِمَ الآل * وكَنْزَ مَنْ سُلِبَ الْمَال * إنَّ الغاسِقَ قد وقَب * ووَجْهَ الْمَحَجَّةِ قد انْتَقَب * وبَيْني وبيْنَ كِنِّي لَيلٌ دامِس * وطَريقٌ طامِس * فَهَلْ مِنْ مِصْباحٍ يُؤْمِنُني الْعِثار * ويُبَيِّنُ لي الآثار * قال فلمَا جِيءَ

⇐

دامِس، وطريق طامس» ﴾.

⇐ بالْمُلْتَمَس * وَجلَّى الْوُجُوهَ ضَوْءُ الْقَبَس * رأيتُ صاحبَ صَيْدِنا * هُـوَ أبُـو زَيْـدِنا * فقُلْتُ لأَصْحابي هذا الَّذي أشَرْتُ إلى أنَّهُ إذا نَطقَ أصاب * وإنِ اسْتُمْطِرَ صاب * فأَتْـلَعُوا نحوَهُ الأَعناق * وأحْدَقُوا به الأَحْداق * وسألُوهُ أنْ يُسامِرَهمْ لَيْلَتَه * على أنْ يَجْبُرُوا عَيْلَتَه * فقال حُبّاً لما أحْبَبْتم * ورُحْباً بكُمْ إذْ رَحَّبْتُم * غير أنّي قصدْتُكُمْ وأطْفالي يَتضَوَّرُون مِنَ الْجُوعِ * ويَدْعون لي بِوَشْك الرُّجُوع * وإنِ اسْتراثوني خامَرَهُم الطَّيْش * ولَمْ يَصْفُ لهم الْعَيْش * فدَعُونِي لأذْهَبَ فأَسُدَّ مَخْمَصَتَهم * وأُسيغَ غُصَّتَهُم * ثمّ أنقلِب إليكُمْ على الأَثَر * متأهِّباً للسَّمَرِ * إلى السَّحَرِ * فقُلْنا لأَحَدِ الغِلْمَةِ اتْبِعْهُ إلى فِئَتِه * ليكُونَ أسْرَعَ لِفَيْئَتِه * فانْطَلَقَ مَعَهُ مُضْطَبِناً جِرابَه * ومُحَثْحِثاً إيابَه * فأبطَأَ بُطْأً جاوزَ حدَّه * ثُمَّ عادَ الغلامُ وحْدَه * فقُلنا له ما عِندَكَ مِنَ الحديث * عن الْخَبيث * فقال أخَذَ بي في طُرُقٍ مُتْعِبَة * وسُبُلٍ مُتَشَعِّبة * حتّى أفْضَيْنا إلى دُوَيْرَةٍ خَرِبة * فقال هٰهُنا مُناخي * ووكْرُ أفْراخي * ثمّ اسْتَفْتَحَ بابَه * واختَلَجَ مِنّي جِرابَه * وقال لَعَمْري لقدْ خَفَّفْتَ عَنِّي * واسْتَوْجَبْتَ الْحُسنى مِنِّي * فهاكَ نَصيحَةً هِيَ مِنْ نَفائِس النَّصائِح * ومَغَارِسِ الْمَصالح * وأنشد:

إذا مـا حَـوَيْتَ جَـنَى نَـخْلَةٍ فـلا تَـقْرَبَنْها إلى قـابلِ
وإمّـا سَـقَطْتَ عـلى بَـيْدَرٍ فَحَوْصِلْ مِنَ السُّنْبُلِ الحاصِلِ
ولاَ تَـلْبَثَنَّ إذا مـا لَـقَطْت فَـتَنْشَبَ فـي كِـفَّةِ الحـابِلِ
ولا تُـوغِلَنَّ إذا مـا سَـبَحْت فـإنَّ السَّـلامَةَ فـي السَّاحِلِ
وخـاطبْ بِـهاتِ وجاوِبْ بِسَوْف وبِـعْ آجِـلاً مِـنْك بـالْعاجِلِ
ولا تُكْـثِرنَّ عـلى صـاحبٍ فَـمَا مُـلَّ قَـطُّ سِوَى الوَاصِلِ

ثمّ قال اخْزُنْها في تامورِك * واقْتَدِ بِها في أُمورِك * وبادِرْ إلى صَحْبِك * في كِلَاءَةِ رَبِّك * فإذا بَلَغْتَهُمْ فأَبْلِغْهُمْ تَحيَّتي * واتلُ عليهم وصيَّتي * وقُل لَهُمْ عَنّي إنَّ السَّهَرَ في الْخُرافات * لَمِن أعْظَمِ الآفات * ولستُ أُلْغِي احْتراسي * ولا أجْلُبُ الْهَوَسَ إلى رَاسي * قال الراوي. فلمَّا وقَفْنا على فَحْوَى شِعْرِه * واطَّلَعْنا على نُكْرِه ومَكْرِه * تلاوَمْنا على تَرْكِه * والاغْترارِ بافْكِه * ثمّ تَفَرَّقْنا بِوُجُوهٍ باسرة * وصَفْقَةٍ خاسرة.

﴿أو في الوسط نحو: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾[١]﴾.

﴿أو في الآخر نحو: «الخَيْلُ معقود بنواصيها الخَيْرُ»[٢]﴾. ولا يخفى ما بين الدّال والطّاء، وما بين الهاء والهمزة، وما بين اللّام والرّاء من تقارب المخرج[٣].

[الجناس اللّاحق وأقسامه]

﴿وإلّا﴾ أي: وإن لم يكن الحرفان متقاربين **﴿سمّي لاحقاً﴾**.

﴿وهو أيضاً إمّا في الأوّل نحو: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[٤]﴾ «الهَمْز»: الكسر و«اللّمز» الطّعن، وشاع استعمالهما في الكسر من أعراض النّاس والطّعن فيها، وبناء «فُعَلَة» يدلّ على الاعتياد، ولا يقال: «ضُحَكَة» و«لُعَنة» إلّا لِلمُكْثِرِ المُتَعَوِّد.

﴿أو في الوسط نحو: ﴿ذٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾[٥]﴾ والأولى أن يمثّل[٦] بقوله ـ تعالى ـ: **﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذٰلِكَ لَشَهِيدٌ**

---

(١) الأنعام: ٢٦.

(٢) **قوله: «الخيل معقود بنواصيها الخير»**. حديث لرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ في مدح الفرس، أورده من علماء المسلمين: العلّامة الحلّي ـ رحمه الله ـ في باب آداب السَّفَر من «منتهى المطلب» بلفظ: «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة والمنفق عليها في سبيل الله كالباسط يديه بالصّدقة لا يقبضها».

وذكره من النّواصب اللئام مالك في باب ما جاء في الخيل والمسابقة بينها من كتاب «الموطّأ» ومسلم في باب الخيل من كتاب الإمارة من صحيحه بلفظ: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».

(٣) وقد شرحت ذلك في باب الإدغام من «شرح النّظام» فراجعه.

(٤) الهمزة: ١.

(٥) غافر: ٧٥.

(٦) **قوله: «والأولى أن يمثّل»**. لأنّ التّمثيل بـ«تفرحون» و«تمرحون» إنّما يصحّ على مذهب ⇐

وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾[1] لأنّ في عدم تقارب الفاء والميم الشَّفَوِيَّتَيْنِ نظراً.

﴿**أو في الآخر نحو**: ﴿ **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ**[2] ﴾[3] ﴾.

[جناس القلب]

﴿ **وإن اختلفا في ترتيبها** ﴾ أي: وإن اختلف لَفْظَا المتجانسين في ترتيب الحروف بأن يتّفقا في النّوع، والعدد، والهيئة، لكن قدّم في أحد اللّفظين من الحروف ما هو مؤخّر في اللّفظ الآخَر ﴿ **سمّي هذا** ﴾ النّوع ﴿ **تجنيس القلب** ﴾.

[جناس القلب ضربان: قلب الكلّ وقلب البعض]

وهو ضربان، لأنّه إن وقع الحرف الآخر من الكلمة الأُولى أوّلاً من الثّانية

⇐ من لم يجعل مخرج الفاء كمخرج الميم ما بين الشّفتين، وأمّا على مذهب من جعل مخرجها باطن الشّفة السُّفْلَى وطرف الثّنايا، ومخرج الميم ما بين الشّفتين فلا يصحّ.

ووجه الأولويّة أنّ الهاء والدّال غير متقاربين مخرجاً بالاتّفاق، لأنّ مخرج الهاء عند الجميع في الحلق بعد الهمزة وقبل الألف، وقيل: بالعكس، أي: مخرج الهاء بعد الألف. وقيل: مخرجهما واحد.

وأمّا مخرج الدّال فوق طرف اللسان وأُصول الثّنايا عند الجميع.

(١) العاديات: ٧ـ٨.

(٢) **قوله: «أمر من الأمن»**. «الأمر» و«الأمن» متّفقان إلّا في الرّاء والنّون وهما غير متقاربين مخرجاً. واعترض بعضهم بأنّ الكلام في مخرج الرّاء والنّون كالكلام في مخرج الفاء والميم من حيث الاختلاف، فإنّ مخرج الرّاء عند المشهور قريب من مخرج اللّام ممّا يلي طرف اللّسان إلى منتهاه وما فوق ذلك من الحنك، وللنّون منهما وما يليهما بعد مخرج الرّاء. وقيل: مخرج الرّاء هو مخرج النّون غير أنّه أدخل في ظهر اللّسان قليلاً، لانحرافه إلى اللّام ـ أي: الرّاء مائل إلى اللّام ـ.

(٣) النّساء: ٧٣.

والّذي قبله ثانياً وهكذا على التّرتيب سمّي **قلب الكلّ** وإلّا سمّي **قلب البعض** وإليهما أشار بقوله: ﴿ **نحو: «حُسامُهُ فتحٌ لأوليائه حَتفٌ لأعدائه»** ﴾ قال الأحنف:

حُسامُكَ فِيهِ للأَحْبَابِ فَـتْحٌ[1] **ورُمْحُكَ مِـنْهُ للأعـداءِ حَـتْفُ**

﴿ **ويُسَمَّى قَلْبَ كُلٍّ. ونحو: «اللّهمّ اَسْتُرْ عَوْرَاتِنا وآمِنْ رَوْعاتِنا» ويُسَمَّى قَلْبَ بَعْضٍ** ﴾.

[القلب المجنّح]

﴿ **وإذا وقع أحدهما** ﴾ أي: أحد المتجانسين[2] ﴿ **في أوّل البيت و** ﴾ المجانس ﴿ **الآخر في آخره، يُسمّى** ﴾ تجنيس القلب حينئذٍ ﴿ **مقلوباً مجنّحاً** ﴾ لأنّ اللّفظين كأنّهما جَنَاحانِ للبيت، كقوله:

لاحَ أَنْوَارُ الْهُدىٰ مِنْ **كَفِّهِ فِي كُلِّ حَـالْ**[3]

[الجناس المزدوج]

﴿ **وإذا وَلِيَ أحد المتجانسين** ﴾ سواء كان جناس القلب أو غيره، ولذا ذكره بالاسم الظّاهر دون المضمر، المتجانِسَ ﴿ **الآخَر، يُسَمَّى** ﴾ الجِنَاسُ ﴿ **مزدوجاً**

---

(١) **قوله: «حسامك فيه للأحباب فتح»**. البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب المشابه ونسب إلى العبّاس بن الأحنف شاعر هارون الرشيد ـ لعنه الله ـ وليس في ديوانه ولم يوجد قبله ولا بعده.

(٢) وفي نسخةٍ: «أحد المتجانسين تجنيس القلب».

(٣) **قوله: «لاح أنوار الهدى من»**. البيت من مجزوء الرّمل على العروض الصّحيحة مع الضّرب المقصور، والقصر فيه ليس من ضروبه المعروفة وهذا الوزن نادر جدّاً. ولم يظهر لي قائله ولا قبله ولا بعده.

ومكرّراً ومردّداً نحو: ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ[١] يَقِينٍ ﴾[٢].

ونحو قولهم: «مَنْ طَلَبَ شيئاً وجَدَّ وَجَدَ»[٣].

وقولهم: «النّبيذ بغيرالنَّغَم[٤] غمّ، وبغيرالدَّسَم سَمٌّ»، ومثل: «عَوَاصٍ عَوَاصِم»[٥] و«قَوَاضٍ قَوَاضِب»، وكقولك: «حُسامُهُ للأولياء وللأعداء[٦] فتح وحتف».

---

(١) **قوله: «من سبأ بنبأ»**. فـ«سَبَأٍ» و«نَبَأٍ» متّصلان بحيث ليس بينهما فاصل، وأمّا الباء الجارّة في «بِنَبَإٍ» فلا يعدّ فاصلاً. وقيل: هذا مثال للجناس اللّاحق المزدوج لاختلاف اللفظين بحرفين غير متقاربين في المخرج وهما السّين والنّون، وذلك لأنّ مخرج السّين طرف اللّسان والثّنايا ـ أي: تخرج من بين رأس اللّسان والثّنايا من غير أن يتّصل طرف اللّسان بالثّنايا ـ.

وأمّا النّون فقيل باتّحاد مخرجها مع مخرج السّين. وقيل: إنّ مخرجها قريب ممّا يلي طرف اللّسان إلى منتهاه وما فوق ذلك من الحنك.

وعُرِفَ بهذا أنّ كون المثال من الجناس اللّاحق المزدوج دون الجناس المضارع المزدوج لا يَتِمُّ إلّا على بعض الآراء في مخرج السّين والنّون.

(٢) النّمل: ٢٢.

(٣) **قوله: «مَنْ طَلَبَ شيئاً وجَدَّ وَجَدَ»**. هذا مثال الجناس النّاقص الّذي يكون الزّائد حرفاً واحداً في الأوّل إلّا أنّه يسمّى ناقصاً مزدوجاً، والزّائد هنا الواو في «وجد» وكلمة «جَدَّ» ـ بتشديد الدّال ـ أنقص منه بحرفٍ واحدٍ في الأوّل.

(٤) **قوله: «النّبيذ بغير النَّغَم»**. هذا مثل السّابق مثال للجناس النّاقص المزدوج والزّائد هنا في اللّفظ الأوّل وفي ذلك المثال في الثّاني.

(٥) **قوله: «عواص عواصم»**. مثال للجناس النّاقص المزدوج والزّائد في الآخر. ومثال الجناس النّاقص المزدوج الّذي يكون زائده في الوسط قول القائل: «الجدّ في الجهد».

(٦) **قوله: «حُسامُهُ للأولياء وللأعداء»**. مثال للجناس المقلوب المزدوج.

وترك مثالين: مثال الجناس التّامّ المزدوج نحو: «تقوم السّاعة في السّاعة» ومثال الجناس المحرّف المزدوج نحو: «هذه لك جُبَّةٌ وجُنَّةٌ من البُرْدِ والبَرْدِ».

وقد يقال: التّجنيس على توافق اللّفظين في الكتابة ويسمّى تجنيساً خطّيّاً كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ** ﴾[١].

وكقوله ـ صلّى الله عليه [وآله] ـ: «عليكم بالأبكار[٢] فإنّهنّ أشدُّ حُبّاً وأقلّ خِبّاً».

وكقولهم: «غَرَّكَ غِرُّكَ[٣]، فَصَارَ قُصَارَ ذٰلِكَ ذُلُّك، فَاخْشَ فَاحِشَ فِعْلِك،

---

(١) الشّعراء: ٧٩ ـ ٨٠.

(٢) **قوله: «عليكم بالأبكار»**. الحديث أورده ابن أبي جمهور في «غوالي اللئالي» بلفظ: «عليكم بالأبكار من النّساء فإنّهنّ أعذب أفواهاً وأنتق أرحاماً ـ أي: أكثر ولداً ـ وأرضى باليسير»، وبهذا اللفظ رواه من النّواصب اللّعناء ابن ماجة في باب تزويج الحرائر والولود من «سننه»، والبيهقيّ في باب استحباب التزوّج بالودود الولود من «السنن الكبرى»، وكذا جار الله الزّمخشري في كتاب «الفائق في غريب الحديث والأثر»، وأورده صاحب تحفة الأحوذي في «باب ما جاء لا نكاح إلّا بوليّ» من شرح مسلم.

(٣) **قوله: «غَرَّكَ غِرُّكَ»**. قال السيّد المدنيّ ـ رحمه الله ـ في «أنوار الرّبيع»: وقول أميرالمؤمنين ـ عليه السّلام ـ فيما كتب به إلى معاوية ـ لعنه الله ـ: «غَرَّكَ غِرُّكَ فَصَارَ قُصَارَ ذَلِكَ ذُلُّكَ فَٱخْشَ فاحِشَ فِعْلِكَ، فَعَلَّكَ تُهْدَا بهذا».

وأورده بهذا اللّفظ صلاح الدّين الصّفديّ في كتاب «تصحيح التّصحيف وتحرير التّحريف» وقال: والنّاس لفصاحته وبراعته يَنْسُبُونه لعليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ اهـ.

ومن هذا القبيل قول الرّشيد الكاتب: «رُبَّ رَبِّ غِنىً، سَرَّتْهُ شِرّته، فجاءه فَجَاءَةً بَعدَ بُعْدِ عِشْرَتِه عُسْرَتُهُ».

وقول الحريريّ في المقامة الحلبيّة وهي السّادسة والأربعون:

زُيِّنَتْ زَيْنَبُ بِقَدٍّ يَقُدُّ   وتَلَاهُ وَيْلَاهُ نَهْدٌ يَهُدُّ
جُنْدُهَا جِيْدُهَا وظَرْفٌ وطَرْفٌ   نَاعِسٌ تاعِسٌ بِحَدٍّ يُحَدُّ

⇐

فَعَلَّكَ تُهْدا بِهٰذا».

وقد يعدّ في هذا النّوع[١] ما لم ينظر فيه إلى اتّصال الحروف وانفصالها كقولهم في «مسعود»: «متى يعود» وفي «المُسْتَنْصِرِيَّةُ[٢] جَنَّة»: المُسِيْءُ يَضْرِبُهُ حيّة»، وقيل للفاضل: «اسْتَنْصِحْ ثِقَةً» أَيْشٍ[٣] تصحيفُهُ؟ فقال: أتيتَ بتصحيفه.

[لواحق الجناس]

﴿ ويلحق بالجِناس شيئان ﴾:

﴿أحدهما: أن يجمع اللّفظين الاشتقاق ﴾ وهو توافق الكلمتين[٤] في الحروف

⇐ قَدْرُهَا قد زَهَا وتاهَتْ وباهَتْ — واعــتدَتْ واغــتَدَتْ بِــخَدٍّ يَـخُدُّ

فـــارقَتْنِي فأرَقَـــتْنِي وشَـــطَّتْ — وسَـــطَتْ ثـمّ نَـمَّ وَجْـدٌ وجَـدُّ

فَــدَنَتْ فُــدِّيَتْ وحَــنَّتْ وحَيَّتْ — مُـــغْضَباً مُـــغْضِياً يَـــوَدُّ يُـوَدُّ

* * *

(١) قوله: «**وقد يعدّ في هذا النّوع**». أي: هذا النّوع الّذي يُسمّى تجنيساً خطّياً ما لا ينظر فيه إلى اتّصال الحروف وانفصالها، بل ينظر إلى مجرّدة الصّورة في الكتابة نحو: «مسعود» و«متى يعود» فإنّك إذا كتبت الكلمتين متّصلتين صار هكذا: «متييعود» وبعد الاتّصال في الكتابة و غضّ النّظر عن النُّقَط توافق الشّكلان ـ أي: شكل «مسعود» وشكل «متى يعود» لأنّ في «مسعود» ثلاثة أضراسٍ ـ أي: ثلاث ركزاتٍ ـ بعد الميم وكذا في «متى يعود» بعد الاتّصال وغضّ النّظر عن النُّقَط. وكذا الباقي بعد الاتّصال.

(٢) موضع في بغداد بناها المستنصر بالله العبّاسيّ ـ لعنه الله ـ و تاريخ حكومته سنة ٦٢٣هـ إلى سنة ٦٤٠هـ.

(٣) مخفّف: «أيّ شيءٍ»، والمراد أنّه سأل الفاضل من عن تصحيف هـذه الجـملة وقـال: مـا تصحيفه؟ فقال: السّؤال الذي سألتَ به هو تصحيفه.

(٤) قوله: «**وهو توافق الكلمتين**». في ثلاثة أُمور:

⇐

الأُصول مرتّبة والاتّفاق في أصل المعنى ﴿ **نحو: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾**[١] ﴾ فإنّهما مشتقّان من «قام، يقوم»[٢].

﴿ **والثّاني: أن يجمعهما** ﴾ أي: اللّفظين ﴿ **المشابهة، وهو ما يشبه الاشتقاق**[٣] ﴾ وليس باشتقاق، وذلك بأن يوجد في كلّ من اللّفظين جميع ما يوجد في الآخر من الحروف أو أكثر، لكن لا يرجعان إلى أصل واحد في الاشتقاق ﴿ **نحو: ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴾**[٤] ﴾ فإنّ «قال» من «القول»، و«القالين» من «القِلَى»[٥].

ونحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **إِثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ**[٦] **بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾[٧].

⇐ الأوّل: في الحروف الأُصول.

الثّاني: في ترتيبها بأن لا يكون بين الكلمتين اختلاف في ترتيب الحروف الأُصول.

الثّالث: الاتّفاق في أصل المعنى.

(١) الرّوم: ٤٣.

(٢) **قوله: «مشتقّان من «قام، يقوم»**. أي: من مصدر هذين وهو «القيام».

(٣) **قوله: «ما يشبه الاشتقاق»**. وشبه الاشتقاق أسميته أنا بـ«**الاشتقاق الملحق**» في مقابل «**الاشتقاق المطلق**» وشرحت شرحاً وافياً في باب معرفة ذي الزّوائد من حاشية «شرح النّظام» فراجعها.

(٤) الشّعراء: ١٦٨.

(٥) **قوله: «من القِلَى»**. على وزن «القِرَى» فـ«القول» أجوف واويّ، و«القِلَى» ناقص يائيّ لكنّهما جامعان لأكثر الحروف ـ أعني: القاف واللّام ـ.

(٦) **قوله: «إلى الأرض أرضيتم»**. ولفظ «الأرض» يوجد فيه جميع ما يوجد في «أرضيتم» من الحروف، فيزعم أنّهما مشتقّان من أصل واحدٍ، وليس كذلك، لأنّ الهمزة في «أرضيتم» ليست أصليّة وإنّما هي استفهاميّة بخلاف «الأرض» فإنّها فيها أصليّة فلا يكون بينهما اتّحاد في الاشتقاق لكنّهما مشتركان في جميع الحروف وإن لم يكن بعض الحروف ـ أي: الهمزة في «أرضيتم» ـ أصليّةً.

⇐

وبهذا يعرف أن ليس المراد بـ«ما يشبه الاشتقاق»: «الاشتقاق الكبير»[١] وذلك

⇐ واعتُرِض عليه بأنّ الفرقَ بين المثالين ـ بجعل الأوّل مثالاً لما يجمع الأكثر، والثّاني مثالاً للجميع ـ غيرُ جيّدٍ. (٧) التّوبة: ٣٨.

(١) **قوله: «الاشتقاق الكبير»**. هذا مذهب جماعة من العلماء ذكره صاحب «المِراح» فيه حيث قسّمه إلى ثلاثة أقسام: أكبر، وأصغر، وكبير، قال: الاشتقاق أن تجد بين اللّفظين تناسباً في اللّفظ والمعنى وهو على ثلاثة أنواع:

صغير: وهو أن يكون بينهما تناسب في الحروف والتّرتيب نحو: «ضرب» من «الضّرب».

وكبير: وهو أن يكون بينهما تناسب في اللّفظ والمعنى دون التّرتيب نحو: «جبذ» من «الجذب».

وأكبر: وهو أن يكون بينهما تناسب في المخرج نحو: «نعق» من «النّهق»؛ هذا كلامه مختصراً، والتّفصيل في شرحنا على «المِراح» الموسوم بـ«مفتاح النّجاح». وابن جنّي أنكر هذا التّقسيم وقسّمه إلى قسمين، فقال في باب الاشتقاق من كتاب «الخصائص» ٢: ١٣٣:

باب في الاشتقاق الأكبر

هذا موضع لم يسمّه أحد من أصحابنا؛ غير أنّ أبا عليّ ـ رحمه الله ـ كان يستعين به، ويُخلِد إليه، مع إعواز الاشتقاق الأصغر. لكنّه مع هذا لم يسمِّه، وإنّما كان يعتاده عند الضّرورة، ويَسْتروِح إليه، ويتعلّل به. وإنّما هذا التّلقيب لنا نحن. وستراه فتعلم أنّه لقَب مستحسن. وذلك أنّ الاشتقاق عندي على ضربين: كبير وصغير.

فالصّغير ما في أيدي النّاس وكتبهم؛ كأن تأخذ أصلاً من الأُصول فتتقرّاه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صِيَغه ومبانيه. وذلك كترتيب «س، ل، م» فإنّك تأخذ منه معنى السّلامة في تصرّفه؛ نحو: «سلم» و«يسلم»، و«سالم»، و«سلمان»، و«سلمى» و«السّلامة»، و«السّليم» ـ اللّديغ؛ أُطلق عليه تفاؤلاً بالسّلامة ـ. وعلى ذلك بقيّة الباب إذا تأوّلته، وبقيّة الأُصول غيره؛ كترتيب «ض، ر، ب» و «ج، ل، س» و «ز، ب، ل» على ما في ⇐

⇐ أيدي النّاس من ذلك. فهذا هو **الاشتقاق الأصغر**. وقد قدّم أبوبكر ـ رحمه الله ـ رسالته فيه بما أغنى عن إعادته؛ لأنّ أبابكر لم يَأْلُ فيه نصحاً، وإحكاماً، وصنعة وتأنيساً.

وأما **الاشتقاق الأكبر** فهو أن تأخذ أصلاً من الأُصول الثلاثيّة، فتعقد عليه وعلى تقاليبه السّتّة معنى واحداً، تجتمع التّراكيب السّتّة وما يتصرّف من كلّ واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك [عنه] رُدّ بلطف الصّنعة والتّأويل إليه؛ كما يفعل الاشتقاقيّون ذلك في التّركيب الواحد. وقد كنّا قدّمنا ذكر طَرَف من هذا الضّرب من الاشتقاق في أوّل هذا الكتاب عند ذكرنا أصل الكلام والقول وما يجيء من تقليب تراكيبهما؛ نحو «ك، ل، م» «ك، م، ل» «م، ك، ل» «م، ل، ك» «ل، ك، م» «ل، م، ك»، وكذلك «ق، و، ل» «ق، ل، و» «و، ق، ل» «و، ل، ق» «ل، ق، و» «ل، و، ق»، وهذا أعوص مذهباً، وأحزن مُضطرَبا. وذلك أنّا عقدنا تقاليب الكلام السّتّة على القوّة والشدّة، وتقاليبَ القول السّتّة على الإسراع والخِفّة. وقد مضى ذلك في صدر الكتاب.

لكن بقي علينا أن نحضِر هنا ممّا يتّصل بِهِ أحرفاً، تؤنِّس بالأوّل، وتُشجّع منه المتأمّل.

فمن ذلك تقليب «ج، ب، ر» فهي ـ أين وقعت ـ للقوّة والشدّة. منها «جبرت العظم، والفقير» إذا قوَّيتهما وشدَدْت منهما، والجَبْر: الملِك لقوّته وتقويته لغيره. ومنها «رجل مجرَّب» إذا جَرَّسْته الأُمورُ ونجّذَته، فقويت مُنَّته، واشتدَّت شكِيمته. ومنه «الجِرَاب» لأنّه يحفظ ما فيه، وإذا حُفظ الشّيء وروعي اشتدّ وقوي، وإذا أُغفل وأُهمل تساقط ورَذِيَ. ومنها «الأبجر، والبُجْرة» وهو القويّ السُرَّة. منه قول عليّ ـ صلوات الله عليه ـ: «إلى الله أشكو عُجَرِي وبُجَرِي»، تأويله: همومي وأحزاني، وطريقه أنّ العُجْرة كلّ عُقْدة في الجَسَد؛ فإذا كانت في البطن والسرّة فهي البُجْرة والبَجَرة، تأويله أنّ السُرَّة غلُظت ونتأت فاشتدّ مسُّها وأمرها. وفُسّر أيضاً قوله: عُجَري وبُجَري، أي ما أُبدي وأُخفي من أحوالي. ومنه «البُرْج» لقوّته في نفسه، وقوّة ما يليه به، وكذلك «البَرَج» لنقاء بياض العين، وصفاء سوادها، هو قوّة أمرها، وأنّه ليس بلونٍ مستضعَف، ومنها «رجَّبت الرّجل» إذا عظَّمته وقوَّيت أمره. ومنه «رَجَب» لتعظيمهم إيّاه عن القتال فيهِ، وإذا كَرُمت النّخلة على

⇐

⇐ أهلها فمالت دَعَموها بالرُجْبة، وهو شيء تُسند إليهِ لتقوى بـهِ. و«الراجِـبة»: أحـد فصوص الأصابع، وهي مقوِّية لها. ومنها «الرَبَاجيّ» وهو الرّجُل يفخر بأكثر من فـعله؛ قال:

* وتلقاه رَبَاجِيّاً فخورا *

تأويله أنّه يعظِّم نفسه، ويقوّي أمره.

ومن ذلك تـراكـيب «ق، س، و» «ق، و، س» «و، ق، س» «و، س، ق» «س، و، ق» وأهمل «س، ق، و» وجميعُ ذلك إلى القوّة والاجتماع. منها «القسوة» وهي شِدّة القـلب واجتماعه، ألا ترى إلى قوله:

يا ليت شِعْري ـ والمُنَى لا تـنفع ـ هل أَغدُوَنْ يـوماً وأمـرِي مُـجْمَع

أي: قويّ مجتمع، ومنها «القوس» لشدّتها، واجتماع طَرَفيها. ومنها «الوَقْس» لابتداء الجرب، وذلك لأنّه يجمع الجِلْد ويُقْحِله، ومـنها «الوَسْـق» للـحمل؛ وذلك لاجـتماعه وشدّته، ومنه «اسـتوسق الأمـر» أي: اجـتمع ﴿**وَاللَّـيْلِ وَمَـا وَسَـقَ**﴾ أي: جَـمَعَ، ومـنها «السَوق»، وذلك لأنّه استحثاث وجمْع للمسوق بعضِه إلى بعض؛ وعليه قال:

* مستوسِقاتٍ لو يجدن سائقا *

فهذا كقولك: مجتمعاتٍ لو يجِدن جامعا.

فإن شَذَّ شيء من شُعَب هذه الأُصول عن عَـقْده ظـاهراً رُدَّ بـالتأويل إليـه، وعُـطِف بالملاطفة عليه. بل إذا كان هذا قد يَعْرِض في الأصل الواحد حتّى يُحتاج فيه إلى ما قلناه، كان فيما انتشرت أُصوله بالتّقديم والتّأخير أولى باحتماله، وأجدر بالتأوّل له.

ومن ذلك تقليب «س، م، ل» «س، ل، م» «م، س، ل» «م، ل، س» «ل، م، س» «ل، س، م» والمعنى الجامع لها المشتملُ عليه الإصحاب والملاينة. ومنها الثوب «السَمَل» وهـو الخَلَق. وذلك لأنّه ليس عليه من الوَبَر والزِئبِر ما على الجديد. فاليد إذا مَرّت عليه لِلَّمس لم يستوقفها عنه جِدَّة المنسج، ولا خُشنة الملمس. و«السَمَل»: الماء القليل؛ كأنّه شيء قد أَخْلَق وضعف عن قوّة المضطرَب، وجَمَّة المرتكَض؛ ولذلك قال:

⇐

⇐ حوضاً كأنَّ ماءه إذا عَسَلْ   من آخر الليل رُوَيزيّ سَمَلْ

وقال آخر:

ورَّاد أسمال المياه السُدْم   في أُخْريات الغَبَش المِغَمِّ

ومنها «السّلامة». وذلك أنّ السّليم ليس فيه عيب تقف النّفس عليه ولا يعترض عليها به. ومنها «المَسْل» و«المَسَل» و«المَسِيل» كلّه واحد، وذلك أنّ الماء لا يَجرِي إلّا في مَذْهب له وإمام منقاد به، ولو صادف حاجزاً لاعتاقه فلم يجد مُتسرَّبا معه. ومنها «الأملس» و«الملساء». وذلك أنّه لا اعتراض على النّاظر فيه والمتصفّح له. ومنها «اللمس». وذلك أنّه إن عارض اليَد شيء حائل بينها وبين الملموس لم يصحَّ هناك لمس؛ فإنّما هو إهواء باليد نحوه، ووصول منها إليه لا حاجز ولا مانع، ولابدّ من اللّمس من إمرار اليد، وتحريكها على الملموس، ولو كان هناك حائل لاستوقفت به عنه. ومنه «الملامسة» -﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ أي: جامعتم -وذلك أنّه لابدّ هناك من حركات واعتمال، وهذا واضح. فأمّا «ل، س، م» فمهمَل. وعلى أنّهم قد قالوا: «نَسَمت الرِّيحُ» إذا مرّت مرّاً سهلاً ضعيفاً، والنون أُخت اللّام، وسترى نحو ذلك.

ومرَّ بنا أيضاً «أَلْسَمْتُ الرجل حُجّته» -إذا لقَّنته وأَلزمته إيّاها- . قال:

لا تُلْسِمَنَّ أبا عمران حُجَّته   ولا تكوننْ له عوناً على عمرا

فهذا من ذلك، أي سهَّلتها وأوضحتُها.

واعلم أنّا لا ندّعي أنّ هذا مستمرّ في جميع اللغة، كما لا ندّعي للاشتقاق الأصغر أنّه في جميع اللغة. بل إذا كان ذلك الّذي هو في القسمة سدس هذا أو خمسه متعذّراً صعباً كان تطبيق هذا وإحاطته أصعب مذهباً وأعزَّ ملتمَسا. بل لو صحّ من هذا النّحو وهذه الصّنعة المادّةُ الواحدة تتقلّب على ضروب التقلّب كان غريباً معجِبا. فكيف به وهو يكاد يساوق الاشتقاق الأصغر، ويجاريه إلى المَدَى الأبعد.

وقد رَسَمتُ لك منه رسماً فاحتذِه، وتَقَيَّله تحظَ به، وتُكثر إعظام هذه اللغة الكريمة من أجله. نعم، وتسترفدْه في بعض الحاجة إليه فيعينك ويأخذ بيديك؛ ألا ترى أنّ أبا

⇐

لأنّ «الاشتقاق الكبير» هو الاتّفاق في الحروف الأُصول، من غير رِعاية التّرتيب، مثل: «القَمَر» و«الرَّقَم» و«المَرَق» ونحو ذلك، و«الأرض» مع «أرضيتم» ليس من هذا القبيل، وهو ظاهر.

[جِناس الإشارة]

ومن أنواع التّجنيس تجنيس الإشارة، وهو أن لا يظهر التّجنيس باللّفظ بل بالإشارة كقوله:

حُلِقَتْ لِحْيَةُ مُوْسَى بِاْسْمِه[1] وبِهارُون إذا ما قُلِبا

⇐ عليّ [رحمه الله] كان يقوّي كون لام «أُثْفِيَّة» فيمن جعلها «أفعولة» واواً بقولهم: «جاء يَثفُه» ويقول: هذا من الواو لا محالة كـ«يعِده». فيرجّح بذلك الواو على الياء الّتي ساوقتها في «يَثْفوه» وَ«يثفيه». أفلا تراه كيف استعان على لام «ثَفَا» بفاء «وَثَف». وإنّما ذلك لأنّها مادّة واحدة شُكِّلت على صُوَر مختلفة، فكأنّها لفظة واحدة. وقلت مرّة للمتنبّي: أراك تستعمل في شعرك ذا، وتا، وذي كثيراً، ففكَّر شيئاً ثمّ قال: إنّ هذا الشّعر لم يُعمل كلّه في وقت واحد. فقلت له: أجل لكن المادّة واحدة. فأمسك البتّة. والشّيء يذكر لنظيره؛ فإنّ المعاني ـ وإن اختلفت معنيّاتها ـ آوية إلى مضجع غير مُقِضّ، وآخذ بعضُها برقاب بعض.

(١) **قوله: «حُلِقَت لِحْيَةُ مُوْسَى باسِمِه»**. البيت من الرَّمَل على العروض المحذوفة مع الضّرب المحذوف المخبون، واختلف في قائله: فنسبه أبو هلال العسكريّ في «الصّناعتين» إلى أبي العتاهية الشّاعر المشهور. ونسبه السيّد المدنيّ في «أنوار الرّبيع» إلى أبي العلاء المعرّي ولم أجد في ديوانَيْهما. وتمامه:

حُلِقَتْ لِحْيَةُ مُوْسَى باسمه وبهارون إذا ما قُلِبَا
إنّ هارون إذا ما قلبا يجعل اللِحْيَةَ شيئاً عَجَبَا

والمراد باسمه: الآلةُ الّتي يحلق بها الشّعر ويقال له: «موسى الحديد» ـ بالإضافة ـ والحجر الذي يُحَدُّ به تلك الآلة اسمه «عيسى».

قال الهنديّ: قلب «هارون»: «نوراه» وهو بالسّريانيّة «موسى» كذا قيل، والأوجه أنّ ⇐

[ردُّ العجز على الصّدر]

﴿ومنه﴾ أي: من اللّفظيّ ﴿ردّ العجز على الصّدر، وهو في النّثر أن يجعل أحد اللّفظين المكرَّرَين﴾ أعني: المتّفقين في اللّفظ والمعنى ﴿أو المتجانسين﴾ أي: المتشابهين في اللّفظ دون المعنى ﴿أو الملحقين بهما﴾ أي: بالمتجانسين، والمراد بهما اللّفظان اللّذان يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق ﴿في أوّل الفِقْرَة﴾ وقد عرفت معناها ﴿و﴾ اللّفظ ﴿الآخر في آخرها﴾ أي: آخر الفِقْرَة، فيكون أربعة أقسام:

أحدها: أن يكون اللّفظان مكرّرين ﴿نحو: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ[1]﴾[2]﴾.

والثّاني: أن يكونا متجانسين ﴿نحو: «سائِلُ اللَّئيمَ يرجِعُ ودَمعُهُ سائِلٌ»﴾ الأوّل من «السّؤال» والثّاني من «السَّيَلان».

﴿و﴾ **الثّالث**: أن يجمع اللّفظين الاشتقاق ﴿نحو: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾[3]﴾.

⇐ قلب «هارون»: «نوره» لأنّ ألف «هارون» مطروح في الكتابة اه. أي: يكتب هكذا: «هرُون» وقلب هذا «نوره» لا شكّ في ذلك.

والشّاهد فيه جناس الإشارة، لأنّ اسمه إشارة إلى تلك الآلة وهي مجانس في الاسم لـ«موسى» المذكور.

(١) **قوله: «تخشاه»**. فهذا مثل الأوّل ـ أي: «تخشى» ـ، ولا يضرّ اتّصال ضمير المفعول لأنّه بمنزلة العدم؛ إذ المفعول فضلة وليس كالجزء من الفعل ـ كما زعم بعضهم ـ.

(٢) الأحزاب: ٣٧.

(٣) نوح: ١٠.

والرّابع: أن يجمعهما شبه الاشتقاق ﴿ **نحو: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾**[1] ﴾.

﴿ **وهو في النّظم أن يكون أحدهما** ﴾ أي: أحد اللّفظين المكرّرين، أو المتجانسين، أو الملحقين بهما ﴿ **في آخر البيت** ﴾ واللّفظ ﴿ **الآخر في صدر المِصْراع الأوّل، أو حشوه، أو آخره، أو صدر المِصْراع الثّاني** ﴾.

واعتبر صاحب «المفتاح» قسماً آخر[2] وهو أن يكون اللّفظ الآخر في حشو المِصْراع الثّاني نحو:

في علمه وحلمه وزُهْده وعَهْدِهِ مشتهر مشتهر

ورأى المصنّف تركه أولى؛ إذ لا معنى فيه لردّ العَجُز على الصَّدْرِ، إذ لا صِدَارَةَ

---

(١) الشّعراء: ١٦٨.

(٢) **قوله: «واعتبر صاحب «المفتاح» قسماً آخر»**. قال في آخر القسم الثّالث من «المفتاح» ٥٤١: ومن جهات الحسن ردّ العجز إلى الصّدر، وهو أن يكون إحدى الكلمتين المتكرّرتين أو المتجانستين أو الملحقتين بالتّجانس في آخر البيت والأُخرى قبلها في أحد المواضع الخمسة من البيت وهي: ١ ـ صدر المصراع الأوّل ٢ ـ وحشوه ٣ ـ وآخره ٤ ـ وصدر المِصراع الثاني ٥ ـ وحشوه كما إذا قلت:

١ ـ مشتهر في علمِهِ وحلمِهِ	وزهدُه وعهدُه مشتهر
٢ ـ في علمِهِ مشتهر وحلمُهُ	وزهدُه وعهدُه مشتهر
٣ ـ في علمه وحلمه مشتهر	وزهده وعهده مشتهر
٤ ـ في علمه وحلمه وزهده	مشتهر، وعهدُه مشتهر
٥ ـ في علمِهِ وحلمِهِ وزهدِهِ	وعهدِهِ مشتهر مشتهر

والأحسن في هذا النّوع أن لا يرجع الصّدر والعجز إلى التكرار.

قال الجعفريّ: وهذا إنّما يصحّ في الأبيات السّداسيّة التّفاعيل ولا يجري المجزوءات الباقية في كلّ مصراع على جزءين لفقدان الحشو حينئذٍ. والرَّجَز المذكور وضعه السّكّاكي للتّمثيل، إلّا أن يقال: أراد بالصّدر، والحشو، والآخر المعاني اللُّغويّة لها، لا المصطلح العَروضيّ، فيصحّ حينئذٍ.

لحشو المصراع الثّاني أصلاً، بخلاف المِصْراع الأوّل، فالمعتبر عنده أربعة أقسام: وهو أن يقع اللّفظ الآخر في صدر المصراع الأوّل، أو حشوه، أو عجزه، أو صدر المصراع الثّاني، وعلى كلّ تقديرٍ فاللّفظان إمّا مكرّران، أو متجانسان، أو ملحقان بهما، تصير اثنَيْ عَشَرَ؛ حاصلة من ضرب أربعة في ثلاثة.

وباعتبار أنّ الملحقين قسمان: لأنّه إمّا أن يجمعهما الاشتقاق، أو شبه الاشتقاق؛ تصير الأقسام ستّةَ عَشَرَ؛ حاصلةً من ضرب أربعة في أربعة.

لكنّ المصنّف لم يورد من شبه الاشتقاق إلّا مثالاً واحداً[1] إمّا لعدم الظّفر بالأمثِلة الثّلاثة الباقية، وإمّا اكتفاء بأمثلة الاشتقاق، فبهذا الاعتبار أورد ثلاثة عشر مثالاً.

١ ـ أمّا ما يكون اللّفظان مكرّرين فيه فما يكون أحد اللّفظين في آخر البيت واللّفظ الآخر في صدر المِصْراع الأوّل ﴿**كقوله**﴾:

﴿**سَرِيعٌ إلى ابْنِ الْعَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ**[2]   **وَلَيْسَ إِلَى داعِي النِّـدى بِسَـرِيع**﴾

٢ ـ ﴿و﴾ ما يكون اللّفظ الآخر في حشو المِصْراع الأوّل مثل ﴿**قوله**﴾ أي: قول صِمَّة بن عبدالله القُشَيْرِيّ:

---

(١) **قوله: «إلّا مثالاً واحداً»**. وهو قول المعرّيّ: «لو اختصرتم من الإحسان» البيت....

(٢) **قوله: «سريع إلى ابن العمّ يلطم وجهه»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المحذوف والقائل الأُقَيشِر الأسديّ المغيرة بن عبداللهُ بن معرض الأسدي أبو معرض المتوفّى سنة ٨٠هـ يقال له: الأُقيشر لأنّه كان أحمر الوجه أقشر وكان عثماني الرّأي والهَوَى وإن هجا عبدالملك بن مروان ـ لعنهما الله ـ وتمامه:

سَرِيْعٌ إلى ابن العمّ يَلْطِمُ وجهه   وليس إلى داعي النَّدَى بِسَـرِيْعِ
حريص على الدُّنْيا مُضِيْعٌ لدينه   وليس لمـا فـي بيته بِـمُضِيْعِ

* * *

﴿ تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ[١] فَمَا بَعْدَ العَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ ﴾

هي وَرْدَة ناعمة صَفْرَاء طيّبة الرّائحة، وموضع «مِنْ عَرَار» رفع[٢] على أنّه اسم «ما» و«من» زائدة، و«تمتّع» مفعول «أقول» في قوله:

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعِيْسُ تَهْوي بِنَا بَيْنَ الْمُنِيفَةِ[٣] فَالضِّمَارِ

يعني: أُجَارِي رفيقي وأُبَاثُّهُ قِصَّتَنَا[٤] والرَّواحِلُ تُسْرِعُ بين هذين الموضعين

---

(١) قوله: «تمتّع من شميم عَرار نجدٍ». البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب المشابه والقائل اختلف فيه فنسب إلى مجنون ليلى قيس بن الملوّح بن مزاحم العامريّ المتوفّى سنة ٦٨هـ، وإلى الصِّمَّةِ القشيريّ المتوفّى سنة ٩٥هـ وإلى جعدة بن معاوية العقيليّ ـ كما في الحماسة البصريّة ـ. وهو من قطعة يقول فيها:

أقول لصاحبي والعِيْسُ تهوي بنا بين المنيفة فالضِّمَارِ
تمتَّعْ من شميم عَرَارِ نَجْدٍ فما بعد العَشِيَّةِ من عَرَارِ
ألا يا حبّذا نفحاتُ نجدٍ وريّا رَوْضه غِبَّ القِطَارِ
وأهلُكَ إذ يَحُلُّ الحَيَّ نَجْداً وأنت على زمانك غير زاري
شهور ينقضين وما شعرنا بأنصافٍ لهنّ ولا سِرَارِ
فأمّا ليلهنّ فخيرُ ليلٍ وأطول ما يكون من النَّهَارِ

(٢) قوله: «وموضع «من عرار» رفع». والخبر محذوف بالقرينة ولا يمكن عند غير ابن عصفورٍ أن يكون قوله: «بعد العشيّة» منصوباً محلاّ على أن يكون خبرها المقدّم ـ كما زعم بعضهم ـ لأنّ شرط عمل «ما» الحجازيّة بقاء التّرتيب كما قال ابن مالك:

إعمال «ليس» أُعمِلت «ما» دون «إن» مع بَقَا النّفي وترتيبٍ زُكِنْ

وأمّا ابن عصفورٍ فلم يشترط في عملها بقاء التّرتيب إذا كان الخبر ظرفاً.

(٣) بضمّ الميم وكسر النّون على صيغة مؤنّث اسم الفاعل من «أناف، يُنيْفُ» و«الضِّمار» بكسر الضّاد وآخره راء موضعان بين «نجد» و«اليمامة» ـ كما في «معجم البُلْدان» ـ.

(٤) كذا في جميع النّسخ المخطوطة الموجودة عندي وهي ثلاث نسخ من أقدم نسخ الكتاب في الدّنيا وفي المطبوعة كلّها «غصّتنا».

وأقول في أثناء ذلك متلهّفاً: «استمتع بشميم عَرَار نَـجْدٍ فإنّا نَعْدَمُهُ إذا أمسينا لخروجنا من أرض نَجْدٍ ومَنَابِتِه».

٣ ـ ﴿ و ﴾ ما يكون اللّفظ الآخر في آخر المِصْراع الأوّل ﴿ **مثل قوله** ﴾ أي: قول أبي تَمَّام: ﴿ **وَمَنْ كَانَ بِالْبِيضِ الْكَواعِبِ** ﴾ جمع «كاعب» وهي الجارية حين يَبْدُوْ ثَـدْيُهَا للنّهود ﴿ **مُغْرَماً** ﴾[1] مُوْلَعاً ﴿ **فَمَا زِلْتَ بِالبِيْضِ** ﴾ يعني: بالسُّيُوف

---

(١) **قوله: «ومن كان بالبيض الكواعب مغرماً»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المماثل والقائل أبو تَمَّام في مدح أبي سعيد محمّد بن يوسف من قصيدة يقول فيها:

عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو بِهِمْ ولَعَلَّما ... وأَنْ تُعْتِبَ الأَيَّامُ فِيهِمْ فَرُبَّما
لَهُمْ منزلٌ قد كان بالبيض كالمَهَا ... فَصِيحُ المَغَاني ثُمَّ أصبحَ أعجمَا
ورَدَّ عُيُونَ النَّاظِرينَ مُهَانَةً ... وقدْ كانَ مِمَّا يَرْجِعُ الطَّرْفُ مُكْرَمَا
تَبدَّلَ غاشِيهِ بِريم مُسَلِّمٍ ... تَرَدَّى رِداءَ الحُسْنِ طَيْفاً مُسَلِّمَا
ومِنْ وَشْيِ خَدٍّ لم يُنَمْنَمْ فِرِنْدُهُ ... مَعَالِمَ يُذْكِرْنَ الكِتَابَ المُنَمْنَما
وبالحلْيِ إنْ قَامَتْ تَرَنَّمَ فَوْقَها ... حَماماً إذا لاقى حَمَاماً تَرَنَّما
وبالخَدْلَةِ السَّاقِ المُخَدَّمةِ الشَّوَى ... قَلائِصَ يَتْبَعْنَ العَبَنَّى المُخَدَّمَا
سَوَارٍ إذا قَاتَلْنَ مُمْتَنِعَ الفَلا ... جَعَلْنَ الشِّعَارَيْن الجَدِيلَ وشَدْقَما
إلى حَائِطِ الثَّغْرِ الَّذي يُورِدُ القَنَا ... مِنَ الثُّغْرَةِ الرَّيَّا القَلِيبَ المُهدَّما
بسَابغ مَعروف الأمير مُحَمَّدٍ ... حَدَا هَجَمَاتِ المَال مَنْ كانَ مُصْرِما
وحَطَّ النَّدى في الصَّامِتِيِّينَ رَحْلَه ... وكانَ زَمَاناً في عَدِيٍّ بن أخْزَما
يَرَى العَلْقَمَ المَأْدُومَ بالعِزِّ أرْيَةً ... يَمانِيَّةً والأريَ بالضَّيْم عَلقَمَا
إذَا فَرَشُوهُ النَّصْفَ ماتتْ شَذَاتُه ... وإن رتعُوا في ظُلْمِهِ كانَ أظلَما
لقَدْ أصبحَ الثَّغْرَان في الدِّينِ بَعْدَ مَا ... رَأَوْا سَرَعَان الذُّلِّ فَذّاً وتَوْءَما
وكنتَ لِنَاشيهمْ أَباً ولِكَهْلِهِمْ ... أخاً ولذِي التَّقْويس والكَبْرَة ٱبْنَما

⇐

⇐ ومَنْ كان بالبيض الكواعِبِ مُغْرَماً ... فـمَا زلْتَ بـالبيض القَـواضِبِ مُـغْرما
ومــنْ تَـيَّمت سُـمْرُ الحِسَان وأُدْمُـها ... فــمَا زلْتَ بــالسُّمْر العَــوالي مُــتَيَّمَا
جَـدَعْتَ لَـهُمْ أَنْـفَ الضَّـلال بـوقْعَةٍ ... تَـخَرَّمتَ فــي غَـمَّائِها مَــنْ تَـخرَّمَا
لَئنْ كـانَ أمسَـى فـي عَـقَرْقُسَ أجـدَعا ... لَــمِنْ قَـبْلُ مـا أمسَـى بـمَيْمَذَ أخـرَمَا
ثَـــلِمْتَهُمْ بـــالمشْرَفِيِّ وقـــلَّما ... تَـــثَلَّمَ عِـــزُّ القَـــوْمِ إلَّا تَـــهَدَّما
قَـطَعْتَ بَـنانَ الكُـفْرِ مِـنْهُمْ بـمَيْمَذٍ ... وأتـــبَعْتَها بـــالرُّوم كـفّاً ومِـعْصَمَا
وكـــم جَـبلٍ بـالبذِّ مِـنْهُمْ هـدَدْتَهُ ... وغـاو غَـوَى حَـلَّمْتَه لَـوْ تَـحَلَّما!
ومُـــقْتَبَلٍ حَـــلَّتْ سُـيُوفُكَ رَأْسَـهُ ... ثَـــغاماً ولوْلا وقْـعُها كـانَ عِـظْلِمَا
فـلمَّا أَبَت أحكَـامَه الشَّـيْبَةُ اغـتَدَى ... قَـنَاكَ لمـا قـدْ ضـيَّعَ الشَّـيْبُ مُـحْكَمَا
إذا كُــنْت لِـلْأَلْوَى الأصَــمِّ مُـقَوِّماً ... فأَوْرِدْ وَريـــدَيْهِ الأصـــمَّ المُــقوَّما
ولمَّــا التــقَى البشْــرَانِ أنــقَعَ بِشْـرُنا ... لِـبِشْرِهِم حَـوْضاً مِـنَ الصَّـبْرِ مُـفْعَما
وسَـــاعَدَه تــحتَ البـيَاتِ فَــوارِسٌ ... تَــخالُهمُ فــي فَـحْمَةِ اللَّـيل أنْـجُما
وقــد نَـثَرتْهُمْ رَوْعَــةٌ ثــمَّ أحـدَقُوا ... بـــه مـــثْلَما أَلَّـفْتَ عِـقْداً مُـنَظَّما
بســافِر حُــرِّ الوَجْــهِ لَـوْ رَامَ سَـوْءَةً ... لَكـــانَ بـــجلبابِ الدُّجَــى مُـتَلثِّما
مَـــثَلْتَ لهُ تــحتَ الظَّــلام بِـصُورَةٍ ... عَــلى البُــعْدِ أقـنَتهُ الحَـيَاءَ فَـصَمَّما
كَـــيُوسُفَ لَـــمَّا أنْ رَأَى أَمْــرَ رَبِّــه ... وقَـدْ هَـمَّ أن يَـعْرَوريَ الذَّنْبَ أحْـجَمَا
وقَـــدْ قَـالَ إمَّــا أن أُغَــادِرَ بَـعْدَها ... عَـــظِيماً وإمَّـــا أن أغـــادِرَ أعــظُمَا
ونِـعْمَ الصَّـريحُ المُسْتَجاشُ مُـحَمَّدٌ ... إذا حَـــنَّ نَـــوْءٌ لِـــلمَنايا وأرزَمــا
أشَـــاحَ بِـفِتْيَان الصَّـباحِ فأكـرَهُوا ... صُــدُورَ القَـنا الْـخَطِّيِّ حتَّى تَـحَطَّما
هُـو افـتَرَعَ الفَـتحَ الّـذي سَـارَ مُـعْرِقاً ... وأنــجَدَ فــي عُـلو البــلادِ وأتْـهَمَا
لَـــهُ وقْـعةٌ كـانتْ سَـدىً فأَنَـرْتَها ... بأُخْرَى وخَـيْرُ النَّـصْرِ مـا كـانَ مُـلْحَمَا
هُـما طَـرَفا الدَّهْـر الّـذي كـان عَـهدُنا ... بأوَّلهِ غُـــفْلاً فَـــقد صَـــارَ مُـعْلَما
لقَــدْ أذكَــرانــا بأْسَ عَـمْرٍو ومُشْـهر ... وَمــا كــانَ مِــنْ إسْـفِنْدِيَاذَ ورُسْـتَما

⇐

﴿القَوَاضِبِ﴾ القواطِعِ ﴿مُغْرَماً﴾.

٤ ـ وما يكون اللّفظ الآخر في صدر المِصْراع الثّاني ﴿مثل قوله﴾:

⇐ رأى الرُّومُ صُبْحاً أنَّها هيَ إذْ رَأَوْا — غَداةَ التَقَى الزَّحْفان أنَّهما هُما

هِزَبْرَا غَريفٍ شَدَّ مِنْ أبْهَرَيْهِما — ومَتْنيهما قُرْبُ المُزَعْفَرِ مِنْهُما

فأُعطِيتَ يَوْماً لَو تَمَنَّيْتَ مِثْلَه — لأعجزَ رَيْعَانَ المُنى والتَّوهُّما

لَحِقْتَهما في سَاعَةٍ لَوْ تَأخَّرَتْ — لقَدْ زَجَرَ الإسلامُ طائِرَ أشْأَما

فلَوْ صَحَّ قَوْلُ الجَعْفَرِيَّةِ في الّذي — تَنُصُّ مِنَ الإلهَامِ خِلْنَاكَ مُلْهَما

فإنْ يَكُ نَصْرَانِيّاً النَّهْرُ آلِسٌ — فقَدْ وَجَدُوا وَادِي عَقَرْقُسَ مُسْلِما

بهِ سُبِتُوا في السَّبْتِ بالبيض والقَنا — سُبَاتاً ثَوَوْا منه إلى الْحَشْرِ نُوَّما

فَلَوْ لَمْ يُقَصِّرْ بالعَرُوبَةِ لَم يَزَلْ — لَنا عُمُرَ الأيَامِ عِيداً ومَوْسِما

وما ذَكَرَ الدَّهْرُ العَبُوسُ بأنَّه — لَه ابنٌ كيَوْمِ السَّبْتِ إلَّا تَبَسَّما

ولَمْ يَبْقَ في أرضِ البقّلار طائرٌ — ولا سَبُعٌ إلَّا وقَدْ بَاتَ مُولِما

ولا رَفَعُوا في ذلكَ اليَوْم إثْلباً — ولا حَجَراً إلَّا رَأَوْا تَحْتَه دَمَا

رُمُوا بابن حَرْب سَلَّ فيهمْ سُيُوفَه — فكانَتْ لنا عُرْساً وللشِّرْكِ مَأْتَما

أَفَظُّ بَني حَوّاءَ قَلْباً عليهم — وَلَمْ يَقْسُ مِنْه القَلْبُ إلّا لِيُرْحَما

إذَا أجرَمُوا قَنَّا القَنَا مِنْ دِمَائهم — وَإنْ لَمْ يَجِدْ جُرْماً عليهم تَجَرَّما

هُوَ اللَّيثُ لَيْثُ الغَابِ بَأْساً ونَجْدَةً — وإنْ كان أحْيَا مِنْه وَجْهاً وأكرَمَا

أشَدُّ ازدِلافاً بينَ دِرْعَينِ مُقْبِلاً — وأحسَنُ وَجْهاً بينَ بُرْدَيْنِ مُحْرِما

جَديرٌ إذا ما الْخَطْبُ طَالَ فلَمْ تُنَلْ — ذُؤَابَتُهُ أنْ يَجْعَلَ السَّيْفَ سُلَّما

كَريمٌ إذا زُرْنَاهُ لَمْ يقتَصِرْ بنا — على الكَرمِ المَوْلُودِ أَوْ يَتَكَرَّمَا

تَجَشَّمَ حَمْلَ الفَادِحَاتِ وقَلَّما — أُقِيْمَتْ صُدُور المَجْد إلَّا تَجَشُّما

وكنتُ أَخَا الإعدَامِ لَسْنَا لِعَلَّةٍ — فَكَمْ بكَ بَعْدَ العُدْمِ أغْنَيْتُ مُعْدِما

وإذْ أَنَا مَمْنُونٌ عَليَّ ومُنْعَمٌ — فأصبَحْتُ مِنْ خَضْرَاءِ نُعْمَاكَ مُنْعِما

ومَنْ خَدَمَ الأقوَامَ يَرْجُو نَوَالَهُمْ — فإنّي لَمْ أخدِمْكَ إلّا لأُخْدَما!

﴿وَإِنْ لَمْ يَكُـنْ إِلَّا مُـعَرَّجَ سَـاعَةٍ قَلِيلاً فَإِنِّي نَـافِعٌ لِـي قَـلِيلُها﴾[1]

---

(١) قوله: «وإن لم يكن إلَّا مُعرّجَ ساعةٍ». البيت لذي الرمّة، من قصيدة من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المماثل، قالها في صاحبته ميّة، أوّلها:

خليليّ عُدّا حاجتي منْ هواكما ومَنْ ذَا يُؤاتي النّفس إلّا خَليلُها

أَلِمَّا علَى الدّار التي لوْ وجدتما بها أهلها ما كان وَحْشاً مَقيلُهَا

وبعده البيت، وبعده:

لقدْ أُشرِبَتْ قلبي لميَ مودّة تَقَضَّى الليالي وَهْوَ باقٍ وسيلها

مُهَفْهَفَةُ الكشحين رُؤدٌ شَبابُهَا مُبَتَّلَةٌ خَوْدٌ نَبيلٌ حُجولُها

وَقدْ تَيَّمَتْ قلبي فليسَ بنازعٍ وَقدْ شَفَّهُ هِجرانها وَمطولها

روي عن سليمان بن عبّاس، قال: أخبرني أبي، قال: مررت في أرض بني عقيل، فرأيت جارية بيضاء، تَدَافَعُ في مشيها تدافع الفرس المختال، تنظر عن عينين نجلاوين بأهداب كقوادم النّسور، لم أر أكمل جمالاً منها، فوقفتُ لأُكلّمها، فقالت لي عجوز بفِناء منزلها: مالك ولهذا الغزال النّجدي، الذي لا حظّ لك فيه سوى قول القائل:

ومالكَ منها غيرُ أنّك نائلٌ بعينيك عينيها وأيركَ خائبُ

فقالت لها الفتاة: دعيه يا أُمّاه يكن كما قال ذو الرّمّة:

وإن لم يكن إلّا مُعرّجَ ساعةٍ قليلاً فإنّي نافعٌ لي قَليلُهَا

ومنه قول يزيد بن الطثريّة:

أَلَيسَ قليلاً نظْرَةٌ إنْ نَظَرْتها إليكِ، ولكنْ ليس منكِ قليلُ

وقول أبي إسحاق الموصلي:

إنَّ ما قلَّ منكَ يكثرُ عندي وكثيرٌ ممّن تحبُّ قليلُ

وقول الخوارزمي:

إذا ملكتم فلا تَتِيهُوا وإن حكمتم فلا تجورُوا

تعطّفوا وارحموا محبًا قليلكم عنده كثيرُ

وقول المتنبّي:

⇐

⇐ وجُودُك بالمقامِ وَلوْ قليلاً فـمَا فـيمَا تـجودُ بـهِ قـليلُ

وقول أبي نصر أحمد الميكالي:

قَـليلٌ مِنكَ يكفيني ولكـنْ قـليلكَ لا يـقالُ لهُ قـليلُ

وقد ألمَّ بهذا المعنى شرف السّادة: محمّد بن عبدالله الحسينيّ البلخيّ بقوله من قصيدة طويلة:

ولرُبّما سمحَ البَكِيُّ بِـدَرِّهِ وَشفَى الغليل تعلّلٌ بقليلِ

والتّعريج: الأقامة على الشيء وحَبْس المطي على المنزل.

والمعنى: إن لم يكن إلمَامُكما ـأي نزُولُكما القليل بالدّار ـإلّا تعريج ساعة فإنّ قليلها ينفعنِي ويشْفي غليل وجدي.

والشّاهد فيه: مجيء اللفظ الآخر في صدر المصراع الثّاني، وما أحسن قول ابن جابر:

صَـفحوا عَـنْ مـحبّهمْ وأقـالوا مِـنْ عِـثارِ النّوى ومَـنُّوا بـوصلِ

لستُ أسـتوجبُ الوِصـالَ وَلكـنْ أهـلُ تـلكَ الدّيـارِ أكـرَمُ أهْـلِ

وذو الرّمّة هو: أبو الحارث غَيْلاَن بن عُقْبة، ينتهي نسبه لِنزار، الشّاعر المشهور، أحد فحول الشّعراء.

يقال: إنّه كان ينشد شعره في سوق الإبل، فجاء الفرزدق فوقف عليه، فقال له ذو الرمّة: كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس؟ قال: ما أحسن ما تقول! قال: فمالي لا أذكر مع الفحول؟ قال: قَصَّر بك عن غايتهم بكاؤك في الدِّمنِ، ووصفكَ الأبعار والعَطَن.

قال أبو عمرو بن العلاء: ختم الشّعر بذي الرّمّة، والرّجز برؤبة بن العجّاج، فقيل له: إنّ رُؤبَة حيٌّ، فقال: نعم، ولكنّه ذهب شعره كما ذهب مطعمُهُ وملبسُهُ ومنكحهُ. فقيل له: فهؤلاء الآخرون. فقال: مرقعونَ مهدَّمون، إنّما هم كَلٌّ على غيرهم.

وذو الرمَّة: أحد عشّاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبتُهُ ميّة ابنة مقاتل ابن طَلَبة بن قيس بن عاصم المنقري.

وكان ذوالرمّة كثير التّشبيب بها في شعره، وإيّاهما عَنَى أبو تمّام الطّائي في قصيدته ⇐

⇐ البائيّة بقوله:

مـا رَبْـعُ مـيّةَ مَـعموراً يُـطيفُ بِـهِ غيلانُ أبْهىٰ رُباً منْ رَبْعها الخرِبِ

وقال ابن قتيبة: قال أبو ضرار الغنوي: رأيت ميّة وإذا معها بَنُون لها، فقلت: صفها لي، فقال: مسنونة الوجه، طويلة الخدّ، شمّاء الأنْف، عليها وسمُ جمال. قلت: أكانت تنشدك شيئاً ممّا قال فيها ذو الرّمّة؟ قال: نعم.

ومكثت ميّة زماناً تسمع شعْرَ ذي الرمّة ولا تراه. فجعلت للّه عليها أن تنحَر بـدنةً إذا رأته، فلمّا رأته رأت رجُلاً دميماً أسود، وكانت مـن أهـل الجـمال، فـقالت: وا سـوأتاه! وا بؤساه! فقال ذو الرمّة:

على وَجْه مَيٍّ مسحة مِـنْ مـلاحةٍ وتحتَ الثّياب العار لو كـان بـاديَا

ألم تـــرَ أنّ المـــاء يـخبثُ طـعْمُهُ وإن كان لون الماء أبـيضَ صـافيَا

فيا ضَيْعة الشّعر الذي لَجَّ فانقضى بميٍّ فـلم أمـلك ضـلالَ فـؤاديـا

ومن شعره السّائر فيها:

إذا هَــبَّتِ الأرواحُ مـن نـحو جـانبٍ بــه أهْـــلُ مـــيّ هـــاجَ قـلبي هُـبُوبُها

هـــوىً تـــذرف العـينانِ مـنه، وإنّـما هـــوَى كـلِّ نـفس أيـن حَـلَّ حـبيبُها

وكان ذو الرّمّة يُشَبِّب بخرقاء أيضاً، وهي من بني البكاء بن عامر بن صعصعة، وسبب تشبيبه بها أنّه مرّ في سفر ببعض البوادي فإذا خرقاء خارجة من خباء، فنظر إليها فوقعت في قلبه، فخرق إداوته ودنا منها يستطعم كلامها، فقال: إنّي رجل على ظهر سـفر وقـد تخرّقت إداوتي فأصلحيها لي، فقالت: والله ما أُحسن العمل وإنّي لخـرقاء ـ والخـرقاء: الّتي لا تعمل شيئاً لكرامتها على أهلها ـ فشبّب بها ذو الرّمّة، وسمّاها خرقاء، وإيّاها عنى بقوله:

وما شَنَّتا خـرقاء واهـية الكُـلَى سـقَى بـهما سـاقٍ فـلم يـتَبَلَّلاَ

بأضْيَعَ من عينَيْكَ للـدَّمعِ كـلّما تذكَّرْتَ ربْعاً أو توهّمت مـنزِلا

وقال المفضّل الضبّي: كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججت، فقال لي: هل لك

⇐

⇐ في أن أُريك خرقاء صاحبة ذي الرمّة ؟ فقلت : إن فعلت فقد بررتني ، فتوجّهنا جميعاً نريدها ، فعدل بنا عن الطّريق بقدر ميل ، ثمّ أتينا أبيات شَعَر ، فاستفتح بيتاً ففتح له ، وخرجت علينا امرأة طويلة حُسَّانة بهافوه . ـ الحُسَّانة أشدّ حسناً من الحسناء ـ فسلّمت وجلست ، فتحدّثنا ساعة ثمّ قالت : هل حججت قطّ ؟ قلت : غير مرّة ، قالت : فما منعك من زيارتي ؟ أما علمت أنّي مَنْسَك من مناسج الحجّ ؟ قلت : وكيف ذاك ؟ قالت : أما سمعت قول عمّك ذي الرّمّة حيث يقول :

تمامُ الحجِّ أن تقف المطَايا على خَرْقَاءَ واضعَةَ اللثامِ

وكان ذو الرمّة كثير المدح لبلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ـ لعنه الله ولعن أباه وجدّه ـ وفيه يقول مخاطباً ناقته صَيْدَحَ ، وكان هذا الاسم علماً عليها ، بقوله :

رأيْتُ النّاس يَنْتَجِعُونَ غيثاً فقلت لصَيْدَح انتجعي بلالا

وبقوله :

إذا ابْنَ أبي موسى بلالاً بلغتِهِ فقامَ بفأس بين عَيْنَيْكِ جازرُ

وقد أخذه من قول الشّماخ في عَرَابة الأوسي يخاطب ناقته :

إذا بلَغتِنِي وحملتِ رحلي عَرَابَةَ فاشْرَقي بدمِ الوتينِ

وجاء بعدهما أبو نؤاس فكشف هذا المعنى وأوضحه بقوله في الأمين محمّد بن الرشيد :

وإذا المطيُّ بنا بَلَغْنَ محمّداً فظُهُورهُنَّ على الرّجالِ حَرَامُ

والأصل في هذا المعنى قول الأنصاريّة المأسورة بمكّة ، وقد كانت نَجَتْ على ناقة لرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فلمّا وصلت إليه قالت له : يا رسول الله ، إنّي نذرت إن نجوت عليه أن أنحرها ، فقال ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ : بئس ما جزيْتِهَا .

ومعنى الأبيات الثّلاثة أنّي لست أحتاج أن أرحل إلى غيرك فقد كفيتني ، وأغنيتني ، إلّا أنّ الشمّاخ وعد ناقته بالذّبح ، وذو الرمّة دعا أيضاً عليها بالذّبح ، وأبو نؤاس حرّم الركوب على ظهرها وأراحها من الكدّ في الأسفار ، فهو أتمّ في المقصود ، لكونه أحسن إليها في

⇐

وقبله:

أَلِـمَّا عَـلَى الدَّارِ الَّـتي لَـوْ وَجَـدْتُها بِـهَا أَهْـلَها مَـا كـانَ وَحْشـاً مَـقِيلُها

«الإلمام» النّزول القليل، و«التّعريج» على الشّيء الإقامة عليه، وانتصب «معرّج» على أنّه خبر «لم يكن» واسمه ضمير «الإلمام» و«قليلاً» صفة مُؤَكِّدة؛ لأنّ القلّة تفهم من إضافة التّعريج[1] إلى السّاعة.

ويجوز[2] أن يريد: «إلّا تعريجاً قليلاً في ساعة» فتكون الصّفة مُقَيِّدةً، و«قليلها»

⇐ مقابلة إحسانها إليه حيث أوصلته إلى الممدوح.

وقد نظم أبو نؤاس هذا المعنى أيضاً عائباً على الشمّاخ قوله:

أقـــولُ لنـاقتي إذ بَـلَّغَتْنِي لقـد أصْـبَحْتِ مـنّي بـاليمينِ

فـلم أجـعلك للـغِرْبان نـحلاً ولا قُلْتُ اشْرَقِي بـدَم الوتـينِ

وكان لذي الرّمّة إخوة: هشام، وأوفى، ومسعود، فماتَ أوفى ثمّ مات ذوالرمّة بعده، فقال مسعود يرثيهما، هكذا قال ابن قتيبة، وقال في الحماسة في المراثي خلاف ذلك، والأبيات التي قالها مسعود هي:

تَعَزّيت عـن أوْفـى بـغَيْلانَ بـعدَهُ عزاءً وجَـفْنُ العـين مـلآنُ مُـتْرَعُ

ولم يُنْسني أوفى المصيبات بعدهُ ولكن رأيت القَرْحَ بالقرح أوجـعُ

في جملة أبيات قالها. وأخبار ذي الرمّة كثيرة والاختصار أولى. والرمّة ـ بالضمّ ـ قطعة من حبل، وتكسر، ولقّب بذلك لقوله في الوتد:

* أشْعث باقي رُمَّةِ التّقليدِ *

ولمّا حضرته الوفاة قال: أنا ابن نصف الهرم، أنا ابن أربعين سنة، وأنشد:

يا قابض الروح عن نفسي إذا احْـتُضِرَتْ وغـافرِ الذنبِ زحـزحـني عـن النّـارِ

وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة اهـ.

(١) التّعبير بهذا إشارة إلى أنّ «معرّج» مصدر ميميّ.

(٢) أي: قد علم أنّ إضافة «معرّج» إلى «ساعة» بتقدير اللام وتكون على الاتّساع حيث جعل ⇐

فاعل[1] «نافع» أو هو مبتدأ و«نافع» خبره مقدّم عليه، والجملة في محلّ الرّفع على أنّها خبر «إنّ» والضّمير في «قليلها» للسّاعة، أي: قليل التّعريج في السّاعة.

يعني: قِفَا على الدّار الّتي لو وجدتها مأهولةً ما كان موضِعها مُوْحِشاً حاليّاً؛ لكثرة أهلها وكثرة النِّعَم فيها، وإن لم يكن إلمامكما به إلّا تعريج ساعة فإنّ قليلها ينفعني ويَشْفِي غليل وَجْدِي.

٥ ـ ﴿ و ﴾ أمّا إذا كان اللّفظان متجانسين فما يقع أحدهما في آخر البيت، والآخر في صدر المِصْراع الأوّل ﴿ **مثل قوله** ﴾ أي: قول القاضي الأرّجاني: ﴿ **دَعَاني** ﴾ أي: أَتْرُكاني ﴿ **مِنْ مَلامِكما سَفاهاً** ﴾ هو الخفّة وقلّة العقل ﴿ **فَدَاعِي الشَّوْقِ قَبْلَكُمَا دَعَاني** ﴾[2] من «الدُّعَاء».

⇐ المفعول فيه لـ«معرّج» وهو «ساعة» مفعولاً به له، وكانت الصّفة مؤكّدةً، ويجوز أن تكون الإضافة بتقدير «في» ويكون «قليلاً» صفة مخصّصة ومبنيّة لا مؤكّدة.

(١) يجوز أن يكون «قليلها» فاعلاً لـ«نافع» سادّاً مسدّ الخبر فيكون «نافع» مبتدأً وصفيّاً ويجوز أن يكون «قليلها» مبتدأ اسميّاً و«نافع» الخبر قدّم عليه.

(٢) **قوله: «دعاني من مَلَامِكما سفاها»**. البيت للأرَّجاني، من قصيدة من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب المشابه، يمدح بها الوزير سعد الملك أوّلها:

إذا لم تقدرا أن تُسْعِدَاني ... على شَجَنِي فَسِيرَا واتركاني

وبعده البيت، وبعده:

وأينَ من المَلامِ لَقىً هُمومٍ ... يبيتف ونِضْوُهُ مُلْقَى الجِرَانِ

أميلُ عن السُّلُوِّ وفيه برء ... وأعلَقُ بالغرام وقد بَلَاني

وأعجبُ من حنيني في التّنائي ... وأعجب من صُدُودك في التَّدَاني

ألا للّه ما صَنَعَتْ بعقلي ... عقائِلُ ذلك الحيِّ اليماني

نواعم يَنْتَقِبن على شَقِيقٍ ... يرفُّ ويبتسمن بأقْحُوَانِ

⇐

٦ ـ ﴿و﴾ ما يكون المتجانس الآخر في حشو المِصْراع الأوّل مثل ﴿قوله﴾ أي: قول الثّعالبيّ: ﴿وَإِذَا الْبَلَابِلُ﴾ جمع «بُلْبُل» وهو الطّائر المعروف ﴿أَفْصَحَتْ بِلُغَاتِها[1] * فَانْفِ الْبَلَابِلَ﴾ جمع «بِلْبَال» وهو الحزن ﴿بِاحْتِسَاءِ بَلَابِل﴾ جمع

⇐ دنَوْنَ عشيّةَ التّوديع منّي ... ولي عينانِ بالدّم تجريانِ
فلم يمْسَحْنَ إكراماً جفوني ... ولكن رمْنَ تخضيبَ البنانِ

وهي طويلة.

و«السَّفَاه» و«السَّفَه» و«السَّفاهة»: خفّة الحلم، وتثلّث سينه، وقيل: هو نقيضه، أو الجهل.

والشّاهد فيه: وقوع أحد اللّفظين المتجانسين في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأوّل، وهما «دعاني» الأُولى بمعنى اتركاني من «وَدَعَ» و«دعاني» الثّانية من الدّعاء.

(١) **قوله: «وإذا البلابل أفصحت بلغاتها»**. البيت من يتيم الكامل على العروض الصّحيحة مع الضّرب المشابه، والقائل الثعالبيّ أبو منصور عبدالملك بن محمّد بن إسماعيل النيسابوريّ المولود ٣٥٠هـ والمتوفّى سنة ٤٢٩هـ ونسبته إلى خياطة جلود الثّعالب وعملها، قيل له ذلك لأنّه كان فرّاء. قيل في حقّه: جاحظ نيسابور، وزبدة الأحقاب والدّهور، لم تر العيون مثله، ولا أنكرت الأعيان فضله، وكيف ينكر وهو المزن يحمد بكلّ لسان، أو كيف يستر وهو الشّمس لا تخفى بكلّ مكانٍ.

وقال ابن بسّام: كان في وقته راعي تَلَعات العلم، وجامع أشتات النّثر والنّظم، رأس المؤلّفين في زمانه، والمصنّفين بحكم قرانه، سار ذكره سير المَثَل، وضربت إليه آباط الإبل، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب، طلوع النّجم في الغياهب، وتآليفه أشهر مواضع وأبهر مطالع، وأكثر راوٍ لها وجامع من أن يستوفيها حدّ أو وصف، أو يوفي حقوقها نظم أو رصف.

قال الثّعالبيّ: قال لي سَهْل بن مرزبان: إنّ من الشّعراء مَنْ شَلْشَلَ، ومنهم من سَلْسَلَ، ومنهم مَنْ قَلْقَلَ فبَلْبِلْ أنت فقلت: إنّي أخاف أن أكون رابع الشّعراء، أراد قول الشّاعر:

⇐

«بُلْبُلَة» بالضمّ وهي إبريق فيه الخمر، و«الاحتساء» الشُّرب.

والمقصود بالتّمثيل هو «البلابل» الثّالث بالنّسبة إلى الأوّل، وأمّا بالنّسبة إلى الثّاني فهو من هذا الباب على مذهب السّكّاكيّ (١) دون المصنّف.

٧ـ ﴿و﴾ ما يكون المتجانس الآخر في آخر المِصْراع الأوّل مثل ﴿قوله﴾ أي:

⇐ الشّـعراء فـاعلمَنَّ أَرْبَـعَهْ فشاعِرٌ يَجْرِيْ ولا يُجْرَى مَـعَهْ

وشـاعر مـن حـقّه أن تـرفَعَهْ وشـاعر مـن حـقّه أن تُسْمِعَهْ

وشاعر من حقّه أن تَصْفَعَهْ

وأراد بقوله: «منهم مَنْ شَلْشَلَ» الأعشى حيث يقول:

وقد غدوتُ إلى الحانُوث يَـتْبَعُني شاوٍ، مِشَلٌّ، شَلُوْلٌ، شُلْشُل، شَوِلُ

وأراد بقوله: «منهم مَنْ سَلْسَلَ» مسلم بن الوليد حيث يقول:

سُلَّتْ فسُلَّتْ ثُـمَّ سُـلَّ سَـلِيْلُهَا فأتـى سَـلِيْلُ سليلِها مَسْـلولا

وأراد بقوله: «منهم من قلقل» المتنبي حيث يقول:

فَقَلْقَلْتُ بِالهَمِّ الّذي قَـلْقَلَ الحَشَـا قَــلاقِلَ عِـيْسٍ كُـلُّهُنَّ قَـلاقِلُ

قال الثّعالبيّ ثمّ إنّي قلت بعد ذلك بحينٍ:

فـإذا البـلابِلُ أفـصحت بـلُغَاتِها فـانفِ البـلابِلَ بـاحتساء بَـلَابِلِ

هذا ما نقلوه عن الثّعالبيّ ولكنّه في كتاب «خاصّ الخاصّ» نسب البيت إلى بعض العصريين، وقال: قال أبو علي الحاتميّ: من عجائب الاتّفاقات وغرائبها وبدائعها أنّ الأعشى من صدور شعراء الجاهليّة ومسلم بن الوليد من صدور المحدّثين وأبا الطّيّب من صدور العصريين وقد شلشل الأعشى، وسلسل مسلم، وقلقل أبو الطّيّب. ثمّ ذكر الأبيات وقال: وقد بلبل بعض العصريين فقال: وإذ البلابل إلخ... والعرب تقول: «رجل مِشَلٌّ» و«شَلُوْلٌ» و«شُلُلٌ» و«شُلْشُلٌ» خفيف سريع، وكذا «شَوِلٌ».

(١) حيث اعتبر حشو المِصْراع الثّاني أيضاً في ردّ العجز على الصّدر ـ كما تقدّم ـ.

قول الحريريّ: ﴿فَمَشْغُوْفُ بِآياتِ الْمَثَانِي﴾[1] أي: القرآن، قال الجوهريّ[2]: «المَثَاني» من القرآن ما كان أقلّ من المائتَيْنِ، وتُسمّى فاتحةُ الكتاب مَثَانِيَ؛ لأنّها تُثَنَّى في كلّ صلاة، ويُسمّى جميعُ القرآن مَثَانِيَ أيضاً؛ لاقتران آية الرّحمة بآية

---

(١) **قوله: «فمشغوف بآيات المثاني»**. البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب المشابه والقائل الحريريّ أبو محمّد القاسم بن عليّ البصريّ في المقامة الحَراميّة وهي أوّل مقامةٍ أنشأها وجعلها في «المقامات» المقامة الثّامنة والأربعين يقولها في وصف محلّة أهله بني حَرَام من البصرة:

بها ما شِئْتَ من دينٍ ودُنْيَا ... وجِيْرَانٍ تَنَافَوْا في المعاني
فمشغوف بآيات المَثَاني ... ومفتون برنّات المَثَانِي
ومُضْطَلِعٌ بتلخيص المَعَاني ... ومُطَّلِعٌ إلى تخليص عاني
وكم من قارئٍ فيها وقَارٍ ... أَضَرَّا بالجُفُوْنِ وبالجِفَانِ
وكم من مَعْلَمٍ للعلم فيها ... ونادٍ للنَّدَى حُلْو المجاني
ومَغْنىً لا تزالُ تُغَنُّ فيه ... أغاريد الغَوَاني والأغاني
فَصِلْ إن شِئْتَ فيها من يُصَلّي ... وإمّا شِئْتَ فَاذْنُ من الدِّنَانِ
ودونك صحبة الأكياس فيها ... أو الكاساتِ منطلق العِنَانِ

قوله: «مشغوف» أي: مفتون.

وقوله: «المثاني» هي سورة الفاتحة جمع «مثنى» ويقال له ذلك لأنّها تثنّى في كلّ صلاة.

وقوله: «رنّات» جمع «رنّة» صوت الحليّ أو غيره من المعادن توسّع فيها فأُطلقت على أصوات أوتار العود المعبّر عنها بالمثاني جمع «المثنّى» وهو ما فتل من أوتاره على قوتين كالمثالث جمع المثلّث وهو ما فتل على ثلاث قوى.

(٢) وهذا نصّه في مادّة «ثني» من «الصّحاح» ٦: ٢٢٩٦: و«المثاني» من القرآن ما كان أقلّ من المائتين، وتسمّى فاتحة الكتاب مثاني؛ لأنّها تُثَنَّى في كلّ ركعةٍ، ويسمّى جميع القرآن مثاني أيضاً؛ لاقتران آية الرّحمة بآية العذاب.

العذاب. ﴿ **وَمَفْتُونٌ بِرَنَّاتِ المَثَانِي** ﴾ أي: بِنَغَمَات أوتار المزامير الّتي ضمّ طاق منها إلى طاق، الواحد «مَثْنَى» مَفْعَلٌ من «الثَّنْيِ»[1].

٨ ـ ﴿ **و** ﴾ ما يكون المتجانس الآخر في صدر المصراع الثّاني ﴿ **مثل قوله** ﴾ أي: قول القاضي الأرّجاني: ﴿ **أَمَّلْتُهُمْ ثُمَّ تَأَمَّلْتُهُمْ**[2] * **فَلاَحَ** ﴾ أي: ظهر. ﴿ **لِي أَنْ لَيْسَ فِيهِمْ فَلاحْ** ﴾ أي: فوز ونجاة.

---

(١) «الثَّنْيُ»: ضمّ واحدٍ إلى واحدٍ، و«الثِّنْيُ» الاسم.

(٢) **قوله: «أمَّلْتُهم ثمّ تأمّلتهم»**. البيت للأرّجانيّ، من السّريع على العروض الأُولى المكسوفة المطويّة مع الضّرب الموقوف المطويّ ـ فاعلان ـ من قصيدة يمدح بها شمس الملك بن نظام الملك، أوّلها:

صوتَ حمام الأيكِ عندَ الصّباحْ ... جدَّدتَ تَذكاريَ عهدَ الصّباحْ
عَلّمتنا الشّجوَ فيا منْ رَأى ... عُجْماً يعلّمنَ رِجالاً فِصاحْ
ألحانُ ذَاتِ الطّوْقِ في غصنها ... مُذْكرتي أيّامَ ذَات الوشاحْ
لاَ أشكرُ الطّائر إنْ شاقني ... عَلَى نَوى مِنْ سَكني وَانتزاحْ
وَإنّما أشكر لَوْ أنّهُ ... أعارَني أيضاً إليهِ جناحْ

إلى أن يقول في مديحها:

يَا كعبةً للجودِ مأهولةً ... إذا غَدا الوفدُ إليها وَرَاحْ
يفديك قومٌ حاولوا ضلّةً ... تناولَ المجدِ بأيدٍ شحاحْ
معاشرٌ أموالهمْ في حمىً ... وعرضُهُم من لؤمهم مُستباحْ

والقصيدة طويلة. وفلاح الثّانية: الفوز، والنّجاة، والبقاء في الخير.

والشّاهد فيه: مجيء المتجانس الآخر، في صدر المصراع الثّاني، ومثله قول الأمير أبي الفضل الميكالي:

إنّ لي في الهَوى لساناً كَتوماً ... وفؤاداً يُخْفِي حريقَ هَواهُ
غيرَ أنّي أخافُ دَمعي عليهِ ... ستَرَاهُ يبدي الّذي ستَرَاهُ

* * *

٩ ـ ﴿ و ﴾ أمّا إذا كان اللّفظان ملحقين بالمتجانسين فما يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المِصْراع الأوّل ﴿ مثل قوله ﴾ أي: قول البُحْتُرِيّ:

﴿ ضَرائِبُ أَبْدَعْتَهَا فِي السَّمَاحِ[1] فَلَسْنَا نَـرىٰ لَكَ فِـيهَا ضَـرِيبا ﴾

---

(١) **قوله: «ضرائب أبدعتها في السّماح»**. البيت من المتقارب، نسبه للبحتري غالبُ شرّاح التّلخيص؛ وليس الأمر كذلك، وإنّما هو للسّريّ الرّفّاء، وقد سبقه البحتريّ، وبيت البحتري لفظه:

بَلَوْنا ضَرائبَ مَنْ قد نَرى فما إن رَأينا لفتح ضريبَا

وهو من قصيدة من المتقارب يمدح بها الفتح بن خاقان، أوّلها:

لوَتْ بالسّلام بناناً خضيباً ولحظاً يشوقُ الفؤادَ الطَّرُوبَا
وَزَارتْ على عجلٍ فاكتسى لزوْرَتها أبرَقُ الْحَزْنِ طيبَا
فكانَ العبيرُ بها وَاشياً وجَرْسُ الحليِّ عليها رَقيبَا

وهي طويلة.

وبيت السّري الرّفّاء من قصيدة يمدح بها أبا الفوارس سلامة بن فهد. أوّلها:

تعنّفني إن أطلتُ النّحيبا وأسبلتُ للعين دمعاً سكوبَا
وَأوْفى المحبّين في نحبهِ محبٌّ بكى يومَ بينٍ حبيبَا
دَعَا دَمعهُ ودعتْ دَمعها فبَلَّلَ منها ومنهُ الجيوبَا
غداة رمتهُ بسهم الجفونِ ومدّتْ إليهِ بناناً خضيبَا
وعَهْدي بها لا تديم الصّدودَ ولا تَتَجَنّى عليّ الذّنوبَا
ليالِيَ لا وصلُنا خلسَةٌ نراقب للخوف فيها الرَّقيبَا
ولا برق لذّاتنا خُلَّبٌ إذا ما دعونا لوصْلٍ خَلُوبَا
وكم لي وللبين من مَوْقفٍ يميت بلحظ العيون القلوبَا
إذا ما انتَضَى اللَّحظ أسيافَهُ تدرّعتُ للصّبرِ بُرْداً قشيبَا

ومنها في المديح:

فكم لك من سُؤددٍ كالعبيرِ أصابَ من المدح ريحاً جنوبَا

⇐

⇐ ورأيٍ يكَشِّفُ ليلَ الخطُوبِ ... ضياء إذا الخَطْبُ أعيا اللَّبيبَا
ومُشتملٍ بنِجَاد الحسام ... يحلّ شَبَا الحرب بأساً مُهيبَا
ملاتَ جوانبَهُ رهبَةً ... فأطرق والقلب يُبدي وجيبَا
كسَوْتَ المكارم ثوب الشّباب ... وقد كنّ أُلبسْنَ فينا المشيبَا

وبعده البيت، وبعده:

تخلَّصْتني من يَدِ النّائباتِ ... وأحللتني منْكَ ربعاً خصيبَا
ومُلِّكتَ مدحي كما ملّكت ... بنو هاشم بُرْدها والقَضيبَا
وإنّي لواردُ بحر القريضِ ... إذا ورد المادحونَ القَليبَا
ولسْتُ كمن يستردّ المديح ... إذا ما كساه الكريمُ المشِيبَا
يحلّي بمدحتِهِ غيرَهُ ... فيمسي محلّى ويُضحي سليبَا

وقد استعمل السّريّ معنى البيت المستشهد به، فقال يمدح ابن فهد أيضاً:

سمَتْ بأبي الفوارسِ في المعالي ... ضَرَائبُ مَالَهُ فيها ضريبُ

و«الضّرائب»: جمع ضريبة، وهي الطّبيعة الّتي ضُرب الرّجل وطبع عليها، والضّريب: الْمَثِيل.

والشّاهد فيه: مجيء الملحق بالمتجانس الآخر في صدر المصراع الأوّل.

والسّري هو ابن أحمد الكندي المعروف بالرّفاء، قال الثّعالبيّ في حقّه: السّري، وما أدراك ما السّري، سريّ كاسمه، صاحب سرّ الشّعر، الجامع بين نظم عقود الدرّ والنّفث في عقد السّحر، وللّه درّه ما أعذب بحره، وأصفى قطره، وأعجب أمره، وقد أخرجت من شعره ما يكتب على جبهة الدّهر، ويعلّق في كعبة الظّرف، وكتبت من ذلك محاسن وملحا، وبدائع وطرفا، كأنّها أطواق الحمام، وصدور البزاة البيض، وأجنحة الطّواويس، وسوالف الغزلان، ونهود العذارى الحِسان، وغمزات الحدق المِلاح.

بلغني أنّه أُسْلِمَ صبيّاً في الرّفائين بالموصل، فكان يرفو ويطرّز إلى أن قضى باكورة الشّباب وتكسّب بالشّعر. وممّا يدلّ على ذلك ما قرأته بخطّه وذكر أنّ صديقاً كتب إليه ⇐

⇐ يسأله عن خبره وهو بالموصل في [سوق] البزّازين يطرّز فكتب إليه يقول:

يكفيك من جملة أخباري   يُسْري من الحُبِّ وإعْسَاري

في سَوقةٍ أفضلهم مرتَدٍ   نقصاً ففضلي بينهم عاري

وكانت الإبرةُ فيما مَضَى   صائنةً وجهي وأشعاري

فأصْبَحَ الرّزق بها ضيّقاً   كأنّه من ثُقْبها جاري

قال: ولم يزل السّريّ في ضنك من العيش إلى أن خرج إلى حلب، واتّصل بسيف الدّولة، واستكثر من المدح له، فطلع سعده بعد الأُفول، وبَعُدَ صيته بعد الخمول، وحسن موقع شعره عند الأُمراء من بني حمدان ورؤساء الشّام والعراق، ولمّا توفّي سيف الدّولة ورد السّري بغداد، ومدح الوزير المهلّبي وغيره من الصّدور، فارتفق بهم، وارتزق منهم، وسار شعره في الآفاق، ونظم حاشيتي الشّام والعراق، ومن ملحه قوله من قصيدة:

عليلة أنْفاس الرِّياحِ كأنّما   يعلّ بماء الورد نرْجِسُهَا النّدِي

يشُقُّ جيوبَ الوردِ في شَجَراتِها   نسيمٌ متى ينظر إلى الماء يبردِ

ويا ديرها الشّرقيّ لا زال رائحٌ   يحلّ عقود المزن فيك ويغتدي

وقال:

تلك المكارمُ لا أرى مُتأخّراً   أولى بها منهُ ولا مُتَقَدّما

عفواً أظَلَّ ذوي الجرائح ظلُّهُ   حتّى لقد حَسَدَ المطيعُ المجرمَا

وهو من قول أبي تَمَّام:

وتكفَّلَ الأيتامَ عن آبائهم   حتّى وددنا أنّنا أيتامُ

وقال من قصيدة أيضاً:

ليالينا بأحناء الغميمِ   سُقيتِ ذَهاب مُذْهبة الهموم

مضَتْ بك رأفة الأيّام فينا   وغفلةُ ذلك الزَّمن الحليمِ

وكنّا منك في جنّات عيشٍ   وَفَتْ حُسْناً بجنّات النّعيمِ

رياضُ محاسنٍ وسنا شموسٍ   وظلُّ دساكرٍ وجنى كرومِ

⇐

⇐ وأجْفَانٌ إذا لحظت جسوماً   خلَعْنَ سَقَامهنّ على الجسومِ

وإنّما أخذ هذا المثال من قول أبي تمّام:

فيا حُسْنَ الرُّسُوم وما تَمَشَّى   إليها الدّهْرُ في صور البِعَادِ
وإذ طَيْرُ الحوادث في رُباها   سواكنُ وهي غَنَّاءُ المرادِ
مذاكي حَلبةٍ وشَروب دَجْنٍ   وسامر فتيةٍ وقدورُ صادِ
وأعين ربْرَبٍ كحلت بسحرٍ   وأجسادٌ تَضَمَّخُ بالجسادِ

وممّن أخذ هذا المثال مع ركوب هذه القافية القاضي أبوالحسن عليّ بن عبدالعزيز الجرجاني حيث قال:

وأجفانٍ تروّي كلَّ شيءٍ   سوَى قلبٍ إلى الأحباب صادِ
بذاك جُزيتُ إذ فارقت قوماً   لبست لبينهم ثوبَيْ حِدادِ
مَعَادِنُ حكمةٍ وغيوثُ جَدْبٍ   وأنجُمُ حيرةٍ وصُدُور نادِ

وقال السّري الرفاء:

وفِتيةٍ زهَرُ الآداب بينَهُمُ   أبهى وأنْضَرُ من زهر الرّياحينِ
مَشَوْا إلى الرّاح مشي الرّخّ وانْصَرَفوا   والرّاحُ تمشي بهم مشي الفرازينِ

وقال في معناه أيضاً:

راحُوا عن الرَّاحِ وقد أبدلوا   مشيَ الفرازين بمشي الرِّخاخْ

وقال في قلب معناه، ووصف الشّطرنج:

يُبْدِي لعَيْنِكَ كلّما عاينتهُ   قِرْنين جالا مُقْدِماً ومُخَاتلا
فكأنّ ذا صاحٍ يسيرُ مقوّماً   وكأنّ ذا نَشْوَان يخطرُ مائلا

ومحاسنه كثيرة، ومن شعره:

رأيتُك تبني للصَّديق نوافذاً   عدوُّكَ من أوصابها الدّهْرَ آمِنُ
وتكْشِفُ أسرار الأخلّاء مازحاً   ويا رُبَّ مزحٍ عاد وهو ضَغَائِنُ
سأحْفَظُ ما بيني وبينَكَ صائناً   عُهُودَكَ، إنّ الحرَّ للعهد صائِنُ

⇐

فـ«الضّرائب» جمع «ضريبة» وهي الطّبيعة والسّجيّة الّتي ضُرِبَتْ للرّجل وطُبِعَ الرَّجُلُ عليها، و«الضَّريب»[1] المِثْل، وأصله: المِثْل في ضَرْبِ القِداح[2]،

⇐ فألقاكَ بالبِشْرِ الجميل مُدَاهناً ولي منك خلّ ما علمتُ مُدَاهِنُ

أنَمُّ بما استودعته من زجاجةٍ ترى الشّيء فيها ظاهراً وهو باطِنُ

* * *

(١) «الضَّريب»: القِدْحُ الثّالث مِنْ قِداحِ المَيْسِرِ، ويقال له: «الرّقيب» وفيه ثلاثة فروض وله غُنْم ثلاثة أنصِبَاء إن فاز، وعليه غُرْمُ ثلاثة أنصِباء إن لم يَفُزْ. وقيل: ضريب القِداح هو المُوَكَّل بها.

(٢) أي: «الضّريب» في الأصل مثل مقيّد بالقِداح، وقد أريدها هنا مطلق المثل، و«القِداح» هو قداح الميسر وهي ـ كما نظمه ابن الحاجب ـ:

هـي: فَـذٌّ، وتَـوْأَمٌ، ورَقِـيْبٌ ثمّ حِلْسٌ، ونافِسٌ، ثـمّ مُسْبِلْ

والمُعَلَّى، والوَغْدُ، ثـمّ سَفِيْحٌ ومَنِيْحٌ وذي الثّلاثة تُـهْمَلْ

ولكـلٍّ مـمّا عـداهـا نَـصِيْبٌ مـثله إنْ تـعدّ أوّل أَوَّلْ

الأوّل: الفَذُّ من قِداح الميسِر، وفيه فرض واحد، وله غُنْمُ نصيبٍ واحدٍ إن فاز، وعليه غرم نصيبٍ واحدٍ إن خاب ولم يَفُزْ.

الثّاني: التَّوْأَمُ وفيه فرضان وله غُنْمُ نصيبينِ إن فاز، وغُرْمُ نصيبين إن لم يَفُزْ.

الثّالث: الرّقيب ويقال له الضّريب أيضاً وقد تقرّر.

الرّابع: الحِلْسُ فيه أربعة فروضٍ، وله غُنْمُ أربعة أنصباء إن فاز، وعليه غُرْمُ أربعة أنصِباء إن لم يفز.

الخامس: النّافس وفيه خمسة فروض وله غُنْمُ خمسة أنصباء إنْ فاز، وعليه غُرْمُ خمسة أنصباء إن لم يفز.

السّادس: المُسْبِل ويقال له: المُصْفَح أيضاً فيه ستّة فروض وله غُنْمُ ستّة أنصباء إن فاز، وعليه غرم ستّة أنصباء إن لم يفز.

السّابع: المُعَلَّى وفيه سبعة أنصِباء، وللرّقيب ثلاثة ـ كما تقدّم ـ فإذا فاز الرّجل بهما ⇐

فهما راجعان إلى أصل واحد في الاشتقاق.

١٠ ـ ﴿و﴾ ما يكون الملحق الآخر في حشو المِصْراع الأوّل مثل ﴿قوله﴾ أي: قول امرئ القيس:

﴿إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ[1] فَلَيْسَ عَلَىٰ شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَّانِ﴾

⇐ غلب على جزور الميسر كلّها ولم يطمع غيره في شيءٍ منها، وهي تقسّم على عشرة أجزاء. ويدخل في قِداح المَيْسِرِ قِداح يتكثّر بها كراهة التّهمة أوّلها: المُصَدَّر، وثانيها: المُضَعَّف وثالثها: المنيح، ورابعها: السّفيح، وخامسها: الوَغْدُ، وهذه لا انصِبَاء لها فليس لها غُنْمٌ ولا غُرْمٌ، ويقال لكلّ واحد من السّفيح، والمنيح. والوَغْد العَطُوف وهو واحد الأغفال الثّلاثة. و«الشجير» قِدح يكون مع القِداح غريباً من غير شجرتها. و«المُقَعْقِع»: الذي يجيل القِداح في المَيْسِرِ.

(١) **قوله: «إذ المرء لم يخزن عليه لسانه»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب التّامّ والقائل امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكِنْديّ من بني آكل المُرار المتوفّى سنة ١٣٠ قبل الهجرة من قصيدة يقول فيها:

قِفَا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ وعرفانِ ... ورسم عفت آياتُهُ منذُ أزمانِ
أتت حِجَجٌ بعدي عليها فأصبحَتْ ... كخطّ زبورٍ في مصاحف رُهْبَانِ
ذكرتُ بها الحَيَّ الجميعَ فهيَّجَتْ ... عقابيلُ سُقْمٍ من ضميرٍ وأشجانِ
فسحَّتْ دموعي في الرّداء كأنّها ... كُلَى من شعيبٍ ذاتُ سَحٍّ وتهتَانِ
إذا المرء لم يَخْزُنْ عليه لِسانَهُ ... فليس على شيءٍ سواه بخَزَّانِ
فإمّا تَرَيْنِي في رِحالة جابرٍ ... على حَرَجٍ كالقَرِّ تخفُقُ أكفاني
فيارُبَّ مكروبٍ كررتُ وراءه ... وعانٍ فككتُ الغُلَّ عنه ففدّاني
وفِتْيان صدقٍ قد بعثت بِسُحرَةٍ ... فقاموا جميعاً بين عاثٍ ونَشْوَانِ
وخَرْقٍ بعيدٍ قد قطعتُ نِيَاطه ... على ذات لوثٍ سَهْوة المَشْيِ مِذْعَانِ
وغيثٍ كألوانِ الفَنَا قد هبطتُهُ ... تعاوَرُ فيه كُلُّ أوْطَفَ حَنَّانِ

⇐

أي: إذا لَمْ يَخْزُنِ المرءُ لِسَانَهُ على نفسه ولم يَحْفَظْهُ ممّا يعود ضرره إليه فلا يَخْزُنُه على غيره، ولا يَحْفَظُهُ ممّا لا ضَرَرَ له فيه، فـ «يَخْزُنُ» و«خَزَّان» ممّا يجمعهما الاشتقاق.

﴿وقوله[1]﴾ أي: قول أبي العلاء: ﴿لَوِ اخْتَصَرْتُمْ مِنَ الإِحْسَانِ زُرْتُكُم[2]﴾

⇐ على هَيْكَلٍ يُعْطِيْكَ قبل سُؤَاله — أفانين جَرْيٍ غير كَزٍّ ولا وانِ
كتيس الظّباء الأعفر انفرجَتْ له — عُقاب تدلَّتْ من شماريخ ثَهْلانِ
وخرقٍ كجوف العير قفرٍ مضلّةٍ — قطعتُ بِسَامٍ ساهم الوجهِ حُسَّانِ
يدافِعُ أعطاف المَطَايا بِرُكْنِهِ — كما مال غُصْنٌ ناعم فوقَ أغصانِ
ومُجْرٍ كغيلان الأُنَيعِمِ بالغ — ديارَ العدوّ ذي زَهَاءٍ وأركانِ
مطوتُ بهم حتّى تكِلَّ مَطِيُّهُم — وحتّى الجِيَادُ ما يُقَدْنَ بأَرْسَانِ
وحتّى ترى الجون الذي كان بادِناً — عليه عوافٍ من نُسُورٍ وعِقْبَانِ

* * *

(١) هذا هو المثال الواحد الّذي ذكره المصنّف للملحقين بشبه الاشتقاق قبل إكمال الأقسام الأربعة للملحقين بالاشتقاق وبهذا تصير الأمثلة ثلاثة عشر مثالاً.

(٢) **قوله: «لو اختصرتم من الإحسان»**. البيت من البسيط على العروض المخبونة مع الضَّرب المشابه والقائل المعرّيّ في القصيدة الثّانية من سقط الزّند وهي طويلة اقتطفنا منها هذه الأبيات:

يا ساهِرَ البَرْقِ أيقِظْ راقِدَ السَّمُرِ، — لعَلّ بالجِزْعِ أعواناً على السَّهَرِ
وإنْ بَخِلْتَ عن الأحياءِ كلِّهِمُ، — فاسْقِ المَواطِرَ حَيّاً من بَني مَطَرِ
ويا أسيرةَ حِجْلَيْها! أرى سَفَهاً — حَمْلَ الحُلِيِّ بِمَنْ أعْيا عن النّظَرِ
ما سِرْتُ إلّا وطَيْفٌ منكِ يصْحَبُني — سُرىً أمامي، وتأوِيباً على أثري
لو حَطّ رَحْليَ فَوْقَ النّجمِ رافِعُه، — وجَدتُ ثَمّ خَيالاً منكِ مُنتظِري
يَوَدّ أنّ ظَلامَ اللّيْلِ دامَ له، — وزِيدَ فيهِ سَوَادُ القَلْبِ والبَصَر

⇐

وَالْعَذْبُ ﴾ أي: الماء ﴿ **يُهْجَرُ للإِفْرَاطِ فِي الخَصَرِ** ﴾ أي: البرودة، يعني: أنّ بُعْدِي عنكم لكثرة إنعامكم عَلَيَّ.

وهذا أيضاً مثال لما وقع أحد الملحقين في آخر البيت والآخر في حشو المِصْراع الأوّل، إلّا أنّه من القسم الثّاني من الإلحاق ـ أعني: ما يجمعها شبه الاشتقاق ـ.

١١ ـ ﴿ و ﴾ ما يكون الملحق الآخر في آخر المصراع الأوّل مثل ﴿ **قوله** ﴾ أي: قول أبي تَمَّام:

﴿ **فَدَعِ الْوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرِي**[1] **أَطَنِينُ أَجْنِحَةَ الذُّبَابِ يَضِيرُ** ﴾

⇐ لوِ اخْتَصَرْتم من الإحسانِ زُرْتُكُم، والعَذْبُ يُهْجَرُ للإفراطِ في الخَصَرِ
أَبَعْدَ حَوْلٍ تُناجي الشَّوْقَ ناجيةٌ، هَلّا ونحنُ على عَشْرٍ من العُشَرِ
كم باتَ حوْلَكِ من ريمٍ وجازِيَةٍ، يَستَجدِيانِكِ حُسْنَ الدَّلِّ والحَوَرِ
فما وَهبْتِ الذي يَعرِفْنَ مِن خِلَقٍ، لكن سَمَحتِ بما يُنكِرْنَ من دُرَرِ
وما تَركْتِ، بذاتِ الضّالِ، عاطِلَةً من الظّباء، ولا عارٍ من البَقَرِ
قَلَّدْتِ كلَّ مَهاةٍ عِقْدَ غانيَةٍ، وفُزْتِ بالشّكْرِ في الآرامِ والعُفُرِ

(١) **قوله: «فدع الوعيد فما وعيدك ضائري»**. البيت من الكامل على العروض التّامة الصّحيحة مع الضّرب المقطوع.

والقائل: ابن أبي عيينة ـ كما في «دلائل الإعجاز» ـ وقال العبّاسي في «المعاهد»: عبدالله بن محمّد بن عيينة المهلّبي وقال: كان عليّ بن محمّد بن جعفر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ـ عليهم السّلام ـ دعاه إلى نصرته فلم يجبه فتوعّده عليّ فقال عبدالله:

أعليّ إنّك جاهلٌ مغرورُ لا ظلمةٌ لك لا، ولا لك نُورُ
أبعثت توعدني أن استبطأتني إنّي بحربك ما حييتَ جديرُ
فدع الوعيد فما وعيدك ضائري أطنين أجنحة الذُّبَاب يضيرُ
وإذا ارتحلتَ فإنّ نصري للأُلىٰ أبواهم المهديّ والمنصورُ

⇐

«ضائر» و«يضير» ممّا يجمعهما الاشتقاق.

١٢ ـ ﴿و﴾ ما يكون الملحق الآخر في صدر المِصْراع الثّاني مثل ﴿قوله﴾ أي: قول أبي تَمَّامٍ في مرثية محمّد بن نهشل حين استشهد:

﴿ثَوىٰ فِي الثَّرىٰ مَنْ كَانَ يَحْيَا بِهِ الْوَرىٰ ... وَيَغْمُرُ صَـرْفَ الدَّهْـرِ نَـائِلُهُ الْـغَمْرُ﴾

﴿وَقَدْ كَانَتِ الْبِيضُ الْقَواضِبُ﴾ أي: السّيوف القواطع ﴿في الوَغىٰ[(١)] * بَواتِرَ﴾ أي: قواطع ـ بحسن استعماله إيّاها ـ ﴿فَهْيَ الآنَ مِنْ بَعْدِهِ بُتْرُ﴾ جمع «أبتر» أي: لم يبق بعده من يستعملها استعماله، فـ«يغمر» و«الغَمْر» ممّا يجمعهما الاشتقاق، وكذا «البواتر» و«البُتر».

وأمّا الأمثلة[(٢)] الثّلاثة الّتي أهملها المصنّف فمثال ما يقع أحد الملحقين اللّذَين

⇐ بُنِيَتْ عليه لُحُومُنا ودِماؤُنا ... وعـليه قـدّر سعينا المشكـورُ

وذكر سيّدنا الأُستاذ ـ مدّ الله عمره ـ أنّ القائل أبو تمّام ولكنّي لم أجده في ديوانه.

(١) **قوله: «وقد كانت البيض القواضب في الوَغَى»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب التّامّ من قصيدة طويلةٍ يرثي بها محمّد بن حُمَيد الطّائي من قصيدة تقدّمت في «تدبيج الكناية» يقول فيها:

مَضَى طاهِرَ الأثوابِ لم تَـبْقَ رَوْضَـةٌ ... غَـداةَ ثَـوَى إلّا اشـتَهتْ أنَّـها قَـبْرُ

ثَوَى في الثَّرَى مَنْ كانَ يَحيا به الثَّرَى ... ويَــغْمُرُ صَـرْفَ الدَّهْـرِ نـائِلُهُ الغَـمْرُ

عـــليك سَـــلامُ اللهِ وَقْــفاً فــإنَّني ... رَأيتُ الكــريمَ الحُــرَّ ليسَ له عُـمْرُ

(٢) قد عرفت أنّ المصنّف ذكر من أمثلة الملحقين اللّذين يجمعهما شبه الاشتقاق مثالاً واحداً وهو قول أبي العَلاء المعرّي: * لو اختصرتم من الإحسان زرتكم * وهو ممّا وقع أحد الملحقين في آخر البيت والآخر في حشو المِصْراع الأوّل، وبقي من أمثلة هذا القسم ثلاثة أهملها المصنّف إمّا لعدم الظّفر بها أو للاكتفاء بأمثلة الملحقين بالاشتقاق فتعرّض لها الشّارح هاهنا.

يجمعهما شبه الاشتقاق في آخر البيت، والملحق الآخر في صدر المِصْراع الأوّل قول الحريريّ:

وَلَاحَ يَلْحِيْ عَلىٰ جَرّي العِنَانِ إلىٰ[(١)] ... مَـلْهىً فَسُـحْقاً لَـهُ مِنْ لائِحٍ لاحِ

فالأوّل: ماضي «يلوح» والآخر اسم فاعل من «لَحَاه»[(٢)].

ومثال ما وقع الملحق الآخر في آخر المصراع الأوّل قوله:

وَمُضْطَلِعٌ بِتَلْخِيصِ الْمَعَانِي[(٣)] ... وَمُـطَّلِعٌ إلىٰ تَـخْلِيصِ عَـانِي

فالأوّل: من «عَنىٰ، يَعْنِي» والثّاني: من «عَنَا، يَعْنُو».

---

(١) **قوله: «ولَاحَ يَلْحِيْ على جَرّي العنان إلى»**. البيت من البسيط على العروض التّامّة المخبونة مع الضّرب المقطوع والقائل الحريريّ صاحب «المقامات» في المقامة القطيعيّة وهي الرّابعة والعشرون من قطعةٍ يقول فيها:

نهاني الشَّيْبُ عمّا فيه أفراحي ... فكيف أجمع بين الرَّاح والرّاحِ
وهل يجوز اصطباحي من مُعَتَّقَةٍ ... وقد أنار مشيبُ الرَّأسِ إصْبَاحِي
آليتُ لا خامَرَتْنِي الخَمْرُ ما عَلِقَتْ ... روحي بجسمي وألفاظي بإفصاحي
ولا اكتسَتْ لي بكاساتِ السُّلَافِ يَدٌ ... ولا أَجَلْتُ قِداحي بين أقداحِ
ولا صرفتُ إلى صِرْفٍ مُشَعْشَعَةٍ ... همّي ولا رُحْتُ مُرْتَاحاً إلى راحِ
ولا نظمتُ على مشمولةٍ أبَداً ... شملي ولا اخترتُ ندماناً سِوَى الصَّاحِي
مَحَا المشيبُ مِراحي حين خَطَّ على ... رأسي فأبغِضْ به من كاتبٍ ماحي
ولَاحَ يَلْحِيْ على جرّي العِنَانَ إلى ... مَلْهىً فسُحْقاً له من لائحٍ لاحي
ولو لهوتُ وفودي شائِبٌ لَخَبَا ... بين المصابيح من غسّان مِصْبَاحِي
قومٌ سجاياهم توقير ضيفهم ... والشّيبُ ضيفٌ له التّوقير يا صاح

* * *

فقوله: «لاحَ» ظهر، و«يَلْحَى» يلوم، و«لائح لاحي» ظاهرٍ لائم.

(٢) العرب تقول: «لَحَيْتُ الرَّجُلَ، أَلْحَاهُ، لَحْياً» ـ إذا لُمْتَهُ ـ فهو مَلْحِيٌّ.

(٣) **قوله: «ومضطلع بتلخيص المعاني»**. تقدّم قبيل ذلك.

ومثال ما وقع الملحق الآخر في صدر المِصْراع الثّاني قول الآخر:

لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَ الثُّرَيَّا مَكَانَهُ[1] **ثَراءً**[2] **فَأَضْحَى الآنَ مَثْوَاهُ فِي الثَّرىٰ**[3]

فـ «الثَّرَاء» واويّ من «الثَّروة» و«الثّرىٰ» يائيّ.

[السَّجْعُ]

﴿ **ومنه** ﴾ أي: من اللّفظيّ ﴿ **السَّجْع** ﴾ وهو قد يطلق على نفس الكلمة[4] الأخيرة من الفِقْرَةِ باعتبار كونها موافقة للكلمة الأخيرة من الفِقْرَةِ الأُخرى ـ كما سيجيء ـ.

وقد يطلق على توافقهما، وإلى هذا أشار بقوله: ﴿ **قيل: وهو تواطؤ الفاصلتين**

---

(١) **قوله: «لعمري لقد كان الثريّا مكانه»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المشابه، ولم أقف على قائله ولا قبله ولا بعده.

(٢) «الثَّراء» ممدود الغِنَى، قال حاتِم:

أَمَاوِيَّ ما يُغْني الثَّرَاءُ عن الفَتَى إذا حشرجَتْ يوماً وضَاقَ بها الصَّدْرُ

«والثّراء» كثرة المال أيضاً، قال الشّاعر:

وقد عَلِمَ الأقوامُ لو أنّ حاتِماً أراد ثَراءَ المالِ كان له وَفْرُ

(٣) «الثَرى» مقصور، والجمع: «أثراء» وهو التُّراب النَّدِيّ.

(٤) **قوله: «السَّجْع وهو قد يطلق على نفس الكلمة»**. السّجع في اللغة هدير الحَمَام، وفي الاصطلاح يطلق على معنيين:

الأوّل: المعنى الاسميّ الخالص وهي نفس الكلمة الأخيرة من الفِقْرَة باعتبار كونها موافقةً للكلمة الأخيرة من الفقرة الأُخرى.

الثّاني: المعنى المصدريّ وهو تواطؤ الفاصلتين على حرفٍ واحدٍ في الآخر. والخطيب يقول: وهذا المعنى المصدريّ هو مراد السّكّاكيّ.

من النَّثْرِ على حرف واحد في الآخر، وهو معنى قول[١] السّكّاكيّ: هو ـ أي: السّجع ـ في النّثر كالقافية في الشّعر ﴾.

[نقد وردّه]

وفيه بحث[٢]؛ لأنّ **القافية** هو لفظ في آخر البيت إمّا الكلمة برأسها، أو الحروف الأخيرة منها، أو غير ذلك، على تفصيل المذاهب[٣]، ولا يطلق **القافية** على تواطؤ الكلمتين[٤] من أواخر الأبيات على حرف واحد.

وإنّما أراد السكّاكي بـ «الأسجاع» ـ حيث قال: إنّها في النّثر كالقوافي في الشّعر[٥] ـ الألفاظَ المُتَوَاطَأَ عَلَيْهَا في أواخر الفِقَر، وهي الّتي يقال لها: الفواصل، ولذا ذكرها بلفظ الجمع[٦].

---

(١) وهذا نصّه في آخر القسم الثّالث من «المفتاح»: ٥٤٢: ومن جهات الحسن الأسجاع وهي في النَّثْر كالقوافي في الشّعر.

(٢) **قوله: «وفيه بحث»**. وحاصله أنّ القافية لا تطلق على المعنى المصدريّ ولا يريده السّكّاكيّ أيضاً، وإنّما مراده من قوله: «إنّما هي في النّثر كالقوافي في الشّعر» هو المعنى الاسميّ للسّجع، والمقصود من الأسجاعِ الألفاظُ المتواطؤ عليها في أواخر الفِقَرِ.

(٣) **قوله: «على تفصيل المذاهب»**. أي: تفصيلِ المذاهب في القافية، ويأتي بيانها في باب ذي القافيتين وتفصيلها في كتابنا «المحصول في إيضاح قواعد عروض آل الرسول».

(٤) **قوله: «ولا يطلق القافية على تواطؤ الكلمتين»**. أي: وليس كذلك السّجع فإنّه يطلق على تواطؤ الكلمتين من الأواخر على حرفٍ واحدٍ.

فالقافية ليست عبارةً عن المعنى المصدريّ، والسّجع عند المصنّف هاهنا عبارة عن المعنى المصدريّ فكيف يقول: «هو معنى قول السّكّاكيّ»؟

(٥) مفتاح العلوم: ٥٤٢.

(٦) حيث عبّر بـ «الأسجاع» على صيغة جمع القلّة دون المفرد، والمصنّف لمّا أراد المعنى المصدريّ ذكره بلفظ المفرد وهو «السَّجْع».

والحاصل: أنّه لم يرد بالأسجاع معنى المصدر ـ كما أراده المصنّف ـ فقوله: «وهو معنى قول السكّاكي» معناه: أنّ هذا مقصود كلام السّكّاكيّ ومحصوله، يعني: كما أنّ القوافي هي الألفاظ المتوافقة في أواخر الأبيات كذلك الأسجاع هي الألفاظ المتوافقة في أواخر الفِقَر، وكما أنّ التّقفية ثَمَّةَ[1] توافُقُها، فكذلك السّجع ـ بمعنى المصدر ـ هاهنا توافُقُها.

[السَّجْعُ المُطَرَّف]

﴿ وهو ﴾ أي: السّجع ﴿ **ثلاثة أضرب: مُطَرَّف إن اختلفا** ﴾ أي: الفاصلتان ﴿ **في الوزن نحو:** ﴿ مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾[2] ﴾ فـ«الوقار» و«الأطوار» مختلفان وزناً.

[المرصّع]

﴿ **وإلّا** ﴾ أي: وإن لم يختلف الفاصلتان في الوزن ﴿ **فإن كان ما في إحدى القرينتين** ﴾ من الألفاظ ﴿ **أو** ﴾ كان ﴿ **أكثره** ﴾ أي: أكثر ما في إحدى القرينتين ﴿ **مثل ما يقابله** ﴾ أي: يقابل ما في إحدى القرينتين ﴿ **من** ﴾ القرينة ﴿ **الأُخرى في الوزن والتّقفية** ﴾ أي: التّوافق على الحرف الأخير ﴿ **فترصيع نحو: «فهو يَطْبَعُ**

---

(١) **قوله: «كما أنّ التّقفية ثمّة»**. أي: في أواخر الأبيات «**توافقها**» أي: توافق أواخر الأبيات «**فكذلك السّجع بمعنى المصدر هاهنا**» أي: في النّثر «**توافقها**» أي: توافق أواخر الفِقَر.

وحاصله أنّ مراد المصنّف بقوله: «**وهو معنى قول السّكّاكي**» أنّ هذا التّفسير الّذي ذكره المصنّف محصول كلام السّكّاكي وفائدته لا عينه، لأنّ تسمية السّكّاكي السّجع بالقافية إنّما يكون لوجود المعنى المصدريّ ـ وهو التّوافق ـ في كلّ منهما.

(٢) نوح: ١٣ ـ ١٤.

الأسجاعَ بجواهر لَفْظِهِ[١]، **ويقرَعُ الأسماعَ بزواجر وَعْظِهِ** ﴾ فجميع ما في القرينة الثّانية يوافق ما يقابله من الأُولى في الوزن والتّقفية.

وأمّا لفظة «فهو» فلا يقابلها شيء من القرينة الثّانية، **ولو قيل** ـ بدل «الأسماع» ـ: «الآذان» **لكان** أكثر ما في الثّانية موافقاً لما يقابله من الأُولى.

[المتوازي]

﴿ **وَإِلَّا فَمُتَوَازٍ** ﴾ أي: وإن لم يكن ما في إحدى القرينتين ولا أكثره مثل ما يقابله من الأُخرى فهو السَّجْعُ المتوازي، وذلك بأن يكون ما في إحدى القرينتين أو أكثره وما يقابله من الأُخْرَى مختلفين في الوزن والتّقفية جميعاً ﴿ **نحو:** ﴿ **فِيهَا سُرُرٌ**[٢]

---

(١) **قوله: «وهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه»**. هذا كلام الحريريّ في المقامة الأُولى وهي المقامة الصّنعانيّة، قال: حدّث الحارثُ بن هَمَّام قال: لمّا اقتعدتُ غارِبَ الاغتراب * وأنأتْنِي المَتْرَبَةُ عن الأتراب * طَوَّحَتْ بي طوائحُ الزَّمَن * إلى صنعاءِ اليَمَن * فدخلتُها خاوِيَ الوِفاض * بادي الإنفاض * لا أملِكُ بُلْغَة * ولا أجِدُ في جرابِي مُضْغَة * فطَفِقْتُ أجُوبُ طُرُقَاتِهَا مثلَ الهائِم * وأجُولُ في حَوْمَاتِها جَوَلَانَ الحائم * وأرُودُ في مسارح لَمَحاتي * ومسايح غَدَواتي ورَوْحَاتي * كريماً أخْلِقُ له ديباجتي * وأبُوحُ إليه بحاجتي * أو أديباً تُفَرِّجُ رؤيتُهُ غُمَّتِي * وتُرْوِي روايتُهُ غُلَّتِي * حتّى أدَّتْنِي خاتمةُ المطاف * وهَدَتْنِي فاتحةُ الألطاف * إلى نادٍ رحيب * مُحْتَوٍ على زِحامٍ ونحيب * فولجتُ غابة الجمع * لِأَسْبُرَ مَجْلَبَةَ الدَّمْع * فرأيتُ في بُهْرَةِ الحَلْقَة * شخصاً شَخصت الخِلْقَة * عليه أُهْبَةُ السِّياحة * وله رَنَّةُ النِّياحة * وهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه * ويقرَعُ الأسماع بزواجر وعظه * وقد أحاطَتْ به أخلاطُ الزُّمَر * إحاطةَ الهالَةِ بِالقَمَر * والأكمام بالثَّمَر إلى آخرها...

(٢) فكلمة «سُرُر» و«أكواب» مختلفان في الوزن والتّقفية جميعاً. قال الرّوميّ: فيه نظر؛ لأنّه بقي قسم آخر يشمله قول المصنّف: «وإلّا فمتوازٍ» وهو أن يكون نصف ما في إحدى القرينتين وما يقابله من القرينة الأُخرى مختلفين في الوزن والتّفقية ـ مثلاً ـ والآية ⇐

مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾[١]﴾.

أو في الوزن فقط نحو: ﴿ وَالْمُرْسَلاَتِ عُرْفاً * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً[٢] ﴾[٣].

أو التّقفية فقط كقولنا: «حَصَلَ النّاطق والصّامت[٤]، وهَلَكَ الحاسد

⇐ المذكورة من هذا القبيل لاختلاف «سرر» و«أكواب» في الوزن والتّقفية، وأمّا لفظة «فيها» فلا يقابلها شيء من الفقرة الأخرى، ولك أن تقول: ما ذكره ـ أعني: قوله: «وذلك بأن يكون» إلخ ... ـ على سبيل التّمثيل، وإنّما لم يورد القسم الّذي ذكرته لدلالة الآية عليه و«الأكواب» جمع «كوب» وهو الكوز الّذي لا عروة له.

(١) الغاشية: ١٣ ـ ١٤.

(٢) فـ«عُرْفاً» و«عَصْفاً» مختلفان وزناً فقط.

(٣) المرسلات: ١ ـ ٢.

(٤) **قوله: «النّاطق والصّامت»**. هذا أيضاً كلام الحريريّ في المقامة الثّالثة وهي المقامة الدّيناريّة حيث قال: روى الحارثُ بن هَمَّامٍ قال: نَظَمَنِي وأخداناً لي نادٍ * لَمْ يَخِبْ فيه منادٍ * ولا كَبَا قَدْحُ زِنَادٍ * ولا ذَكَتْ نارُ عِنادٍ * فبينا نحن نتجاذَبُ أطرافَ الأناشيد * ونتوارَدُ طُرَفَ الأسانيد * إذ وقف بنا شَخْصٌ عليه سَمَل * وفي مِشْيَتِهِ قَزَل * فقال: يا أخايِرَ الذَّخَائِر * وبشائر العشائر * عِمُوا صَبَاحا * وأَنْعِمُوا اصطباحا، وانظروا إلى مَنْ كان ذا نديٍّ ونَدىً * وجِدَةٍ وجَدىً * وعَقَارٍ وقُرىً * ومَقَارٍ وقِرىً * فما زال به قطوبُ الخُطُوب * وحروبُ الكُرُوب * وشَرَرُ شرّ الحَسُودِ * وانتياب النُّوَب السُّوْدِ * حتّى صَفِرَتِ الرَّاحَة * وقَرِعَتِ السَّاحة * وغَارَ المَنْبَع * ونبا المَربع * وأَقْوَى المجمع * وأقضَّ المَضْجَع * واستحالتِ الحال * وأَعْوَلَ العِيَالُ * وخَلَتِ المَرَابِطُ * ورَحِمَ الغابِطُ * وأودى النّاطق والصَامِتُ * ورَثَى لنا الحاسِدُ والشَّامِتُ * وآل بنا الدّهرُ المُوْقِع * والفقرُ المُدْقِع * إلى أن احتذينا الوَجَى * واغتذينا الشَّجَى * واستبطنّا الجَوَى * وطوينا الأحشاءَ على الطَّوَى * واكتحلنا السُّهاد * واستوطنّا الوِهاد * واستَوْطَأْنا القَتاد * وتناسينا الأقتاد * واستَطَبْنَا الحين المُجْتَاح * واستبطأنا اليومَ المُتَاح * فهل من حُرٍّ آسٍ * أو سَمْح مُؤَاسٍ * فوالّذي استخرجني من قَيْلَة * لقد أمسيت أخا عَيْلة * لا أملِكُ بِيْتَ ليلة، إلى آخرها ...

والشّامت»[١].

أو[٢] لا يكون لكلّ كلمة من إحدى القرينتين مقابل من الأُخرى نحو: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**[٣]﴾[٤].

[شرائط السّجع عند ابن الأثير]

قال ابن الأثير: السّجع يحتاج إلى أربعة شرائط[٥]:

---

(١) فقوله: «حصل» و«هلك» مختلفان تفقيةً ومتّفقان وزناً، وكذا «النّاطق» و«الصّامت» وأمّا «الصّامت» و«الشّامت» فهما متّفقان وزناً وتقفيةً، لوجوب الموافقة في الفاصلة في جميع أقسام السّجع.

(٢) إلى هنا كان البحث فيما كان لكلّ كلمة من إحدى القرينتين مقابل من القرينة الأخرى ومن هنا يشير إلى ما لا يكون كذلك.

(٣) فقوله: «لربّك» ليس له مقابل في القرينة الأولى حتّى يوافقه أو يخالفه، وكذلك «فصَلِّ» و«أعطيناك» وأما «وانحر» و«كوثَر» فهما متّفقان في الوزن والتّقفية لوجوب الموافقة في التّقفية في مطلق السّجع.

(٤) الكوثر: ١ ـ ٢.

(٥) **قوله: «السّجع يحتاج إلى أربعة شرائط»**. وهذا نصّه في القسم الثّاني من المقالة الأُولى من «المثل السّائر» ١: ٢١٥: فالكلام المسجوع إذاً يحتاج إلى أربع شرائط:

الأُولى: اختيار مفردات الألفاظ على الوجه الّذي أشرت إليه فيما تقدّم.

الثّانية: اختيار التّركيب على الوجه الّذي أشرت إليه فيما تقدّم.

الثّالثة: أن يكون اللّفظ في الكلام المسجوع تابعاً للمعنى، لا المعنى تابعاً للّفظ.

الرّابعة: أن تكون كلّ واحدة من الفِقْرَتين المسجوعتين دالّة على معنى غير المعنى الذي دلّت عليه أُختها.

فهذه أربع شرائط لابدّ منها. وسأُورد هاهنا من كلامي أمثلة يُحذى حَذْوها، فإنّي لمّا سلكت هذه الطّريق، وأتيت بكلامي مسجوعاً توخّيت أن تكون كلّ سجعة منه مختصّة

⇐

⇐ بمعنى غير المعنى الّذي تضمّنته أُختها، ولم أُخِل بذلك في مكاتباتي كلّها، وإذا تأمَّلْتَها علمتَ صحّة ما قد ذكرته.

فمن ذلك ماكتبته في صدر كتاب عن بعض الملوك إلى دار الخلافة، وهو:

«الخادم واقفٌ موقفَ راجٍ هائب، لازمٍ بكتابِه هذا وَقَارَ حاضر عن شَخْص غَائِب، مُوجِّه وجهَه إلى ذلك الجَنَابِ الَّذي تُقْسَمُ فيه أرزاقُ العِباد، ويتأدَّبُ به الزَّمان تأدُّبَ ذوِي الاستعباد، وتستمدُّ الملوكُ من خدمته شرفَ الجدُود، كما تستغْنِي بنسبها إليه عن شرفِ الأجْدَاد، ولو مَلَكَ الخادمُ نَفْسَه لقَصَرَها على خدمةِ قَصْرِهِ، وأحْظَاها من النَّظر إليه ببرد العَيْشِ الَّذي عُمرها محسوبٌ من عُمْره، وهذا القولُ يقُولُه وكلّ ماجدٍ فيه حَاسِدٍ، وبِتأْمِيله راكعٌ ساجد. والدّيوانُ العزيزُ محسُود الاقْتراب، وهو موطن الرَّغَبَاتِ الّذي الاغترابُ إليه ليسَ بالاغْتراب، وما ينافِسُ في القرْب من أبوابه الكريمة إلّا ذَوُو الهِمَم الكريمة، وقد وَدَّت الكواكبُ بأسْرِها أن تكونَ له مُنادِمة، فضلاً عن نَدْمَانيْ جَذِيمة».

ومن ذلك ماكتبته من كتاب يتضمّن العناية ببعض الناس، وهو:

«الكريمُ مَنْ أوجَبَ لسائلِه حقّاً، وَجَعَل كواذِبَ آمالهِ صِدقاً، وكان خَرقُ العطايا منه خُلُقا، ولم يَرَ بَيْنَ ذِمَمِه وبَيْن رَحِمِه فَرْقا، وكلُّ ذلك موجودٌ في كرم مولانا أجْراهُ الله من فضْلِه على وتيرة، وجعَل هِمَمِه على تمامِ كلّ نقص قديرة، وأوْطَأَهُ من كلِّ مجدٍ سريراً كما بوَّأَهُ من كلّ قلبِ سَريرَة، ولا زالتْ يدهُ بالمكارم جَدِيرة، ومن الأيَّامِ مُجيرة، ولضَرَائرِها من البحارِ والسَّحاب مُعيرَة، ولا برحَتْ تَسْتَوْلِدُ عقائِمَ المعاني، وتستجدُّ أبنِيَتها، حتّى تشهدَ الناس منها في كلّ يوم عَقِيقَة أو وَكِيرَة، ومن صِفاتِ كرَمهِ أنّه يسْبِكُ الأموالَ مآثرَ، ويتَّخِذُها عند السُّؤالِ ذخائِر، فهي تَفْنَى لَدَيْهم بالإنْفَاقِ، وذكرها على مُرُورِ الأيَّام بَاق، وَمَنْ أَرْبحَ منه صَفْقة وقد باعَ صَامِتاً بناطِق، وما هو معرض لحوادثِ السَّرقات بما لا تَصِلُ إليه يدُ سارِق؟ ومثْلُه مَنْ عرَف الدُّنيا، فرغِبَ عن اقْتنائها، وجدَّ في ابتناءِ المحامدِ بهَدْم بِنَائِها، وعَلِمَ أنَّ مالَها ليسَ عِنْدَ الضَنين بهِ إلّا أحْجارا، وأن غِنَاه منها لا يزيدهُ إلّا افْتقارا، فهوَ لمالِه عبْدٌ يخدمُهُ ولا يَسْتخدمُه، وأُمٌّ تُرْضِعُه بِسعيِها ولا تفطمُه».

⇐

⇐ **ومنه ماكتبته في جواب كتاب يتضمّن إباق غلام، وهو أوّل كتاب ورد من المكتوب عنه إلى المكتوب إليه، فقلت:**

«وأمّا الإشارةُ الكريمةُ في أمرِ الغلام الآبق عن الخدمَةِ فقد يَفِرُّ المُهْرُ من عَلِيقهِ، ويطيرُ الفَرَاشُ إلى حرِيقه، وغيرُ بَعِيدٍ أنْ يَنْبُوَ به مضْجَعُه، أو يَكْبُوَ به مَطْمَعُه، فيرْجع وقد حَمِدَ من رُجوعه ما ذمَّه من ذهابِه، وعَلِمَ أنَّ الغنيمةَ كلَّ الغنيمةِ في إيابه، فما كلُّ شجرةٍ تحلُو لِذَائِقها، ولا كلُّ دار ترحِّبُ بِطَارِقها، ومَنْ أبَقَ عَنْ مَوْلاَهُ مَغَاضِبا، وجانب مَحلَّ إحسانه الَّذي لم يكنْ لهُ مُجانِبًا، فإنَّه يجدُ من مفارقةِ الإحسانِ، ما يجدُه من مفارقةِ معاهد الأوْطان. وهل أضلُّ سَعْياً ممّن دفَع في صَدْرِ العَافِية، وغَدَا يَسْأَلُ عن الأسْقامِ، وألقى الثّروةَ من يَدِه ومضَى في طلب الإعْدَام؟ ومعَ هذا فإنّ الخادمَ يشكرُه على ذنْبِ الإباق الّذي أقْدَمَ على اجتِراحِه، وليسَ ذلك إلّا لأنّه صار سبباً لافتتاح بابِ المكاتبةِ الّذي لم يطمعْ في افْتِتَاحِه، ولا جَزَاءَ له عنده إلّا السّعي في إعادَتِهِ إلى الخدْمة التي تقلب في إنشَائهَا، وهي أبرُّ به من أُمّه التي تقلبَ في أحْشَائها، ومن فضلها أنّها تَلقاهُ من حِلْمِها بوسيلة الشّافع، ومِنْ كرَمِها بالوجهِ الضّاحك والفَضْلِ الواسع».

فانظرْ أيُّها المتأمِّلُ إلى هذهِ الأسجاعِ جميعها، وأعْطِها حقَّ النظرِ، حتّى تعلم أنَّ كلَّ واحدة مِنْها تختصُّ بمعنى ليسَ في أُخْتها التي تلِيها. وكذلِكَ فليكن السَّجْعُ، وإلاَّ فَلاَ!

[من سجع الصّابي]

وسأُوردُ هاهُنا من كلامِ الصَّابي ما ستراه. **فمن ذلك تحميدٌ في كتاب، فقال:**

«الحمدُ للّه الّذِي لا تدرِكُهُ الأعيُنُ بألحاظِها، ولا تحدُّه الألسُنُ بألفاظِها، ولا تُخْلِقُه العُصُورُ بمُرورِهَا، ولا تهْرِمُه الدُّهورُ بِكُرُورِها».

ثمّ انْتهى إلى الصَّلاةِ على النبيّ صلّى الله عليه [وآله]، فقال: «لمْ يَرَ للكفْرِ أثراً إلاَّ طمسَهُ ومحَاه، ولا رَسْماً إلاَّ أَزَالَه وعفَاه».

ولا فرقَ بَيْنَ مُرورِ العُصُورِ وكُرُورِ الدُّهُورِ. وكذلك لا فَرْقَ بين مَحْوِ الأثرِ وعفاءِ الرَّسْم. ⇐

⇐ **ومن كلامه أيضاً في كتاب، وهو:**

«وقد عَلِمْتَ أَنَّ الدولة العبّاسيَّةَ لم تزلْ على سالفِ الأيَّام، ومتعاقب الأعوام تَعْتَلُّ طَوْراً وتصحُّ أَطْوَاراً، وتَلْتَاثُ مَرَّة، وتَسْتَقِلُّ مِرَاراً، من حيثُ أَصْلُها راسخٌ لا يتَزَعْزَع، وبنيانُها ثابتٌ لا يَتَضَعْضَع».

وهذه الأسجاعُ كلّها متساويةُ المعاني، فإنَّ الاعتلال، والالْتِيَاث، والطَّوْر، والمرَّة، والرسُوخ، والثبات، كلُّ ذلك سواءٌ.

وكذلك ورد له في جملة كتاب كتبه عن عزّ الدولة بن بويه جواباً عن كتاب وصله من الأمير عبدالكريم بن المطيع للّه، فقال:

«وصلني كتابُه مفتتحاً من الاعتزَاءِ إلى إمارة المؤمنين، والتقلُّد لأُمور المسلمين بِما أعراقُه الزكيّةُ مجوِّزةٌ لاستمراره، وأُرُومتُه العليّة مُسَوِّغةٌ لاستقراره، لهُ ولكلِّ نَجيبٍ أَخَذَ بِحَظِّهِ من نَسبه، وضَارِبٍ بِسَهمٍ في مَنْصِبِهِ، إذ كانَ ذلك جارياً على الأُصولِ المعهودةِ فيه، والأسبابِ العاقدةِ له من إجماعِ المؤمنينَ كافَّة، فإنْ تعذر اجتماعُهمْ مع انبسَاطِهِمْ في الأرض، وانتشارِهِمْ في الطّول والعَرْض، فلابدّ من اتّفاقِ أشْراف كلِّ قُطْر وأَفَاضله، وأَعْيانِ كلِّ صُقْعٍ وأَمَاثِلِهِ».

وهذا الكلامُ كلُّه متماثلُ المعاني في أسجَاعِه، فإنّ إمارَةَ المؤمنين، والتقلُّد لأُمورِ المسلمين سواءٌ في المعنى، وكذلك الأعراقُ والأُرُومة، والتجويز والتَّسْويغ، والأشرافُ والأفاضل، والأعيانُ والأماثل، والقُطْر والصُّقْع، كلُّ ذلك سواء.

وعلى هذا جاء كلامه في كتاب آخر، فقال:

««يسَافِرُ رَأْيه وهوَ دانٍ لم يَنْزَحْ، ويَسير تدبيرُهُ وهو ثَاوٍ لمْ يَبْرَحْ».

وكِلاَ هٰذيْن سواءٌ أيضاً. وما أحْسَنَ هذَا المعنى لو قال: «يُسَافِرُ رأيهُ وهو دان لم يبرح، ويُثْخِنُ الجِراحَ في عَدُوِّه وسيفُه في الغِمْدِ لم يَجْرَحْ». فإنَّه لو قالَ مثلَ هذا سَلِمَ من هُجنَة التّكرار.

وأمثالُ ذٰلِكَ في كلامِ الصَّابي كثِير، وعلى مِنْوَالِه نَسَجَ الصَّاحبُ بن عبَّاد.

⇐

⇒ [من سجع الصّاحب بن عبّاد]

فمن ذلك ما ذكره في وصف مهزومين ، فقال : «طارُوا وَاقِين بظهورهم صُدُورَهُمْ، وبأصلابهمْ نُحورَهُمْ». وكلا المعْنيَين سواء.

وكذلك قوله في هذا الكتاب يصف ضيق مجال الحرب : «مكانٌ ضَنْكٌ على الفَارِس والرَّاجِل، ضَيِّقٌ على الرَّامِح والنَّابِل».

ومن كلامه في كتاب وهو :

«لا تتوجَّهُ هِمَّتُه إلى أعظَمِ مَرْقوبٍ إلّا طَاعَ وَدَان، ولا تمتدّ عزيمتُه إلى أَفْخَمِ مطلوبٍ إلّا كانَ واسْتَكَان». وكلُّ هذا الّذي ذكرَهُ شيءٌ واحد.

وله من كتاب ،وهو :

«وَصَلَ كتابُه جامعاً من الفوائدِ أَشدَّها للشكر اسْتِحْقاقا، وأَتَمَّها للحمدِ اسْتِغْرَاقا، وتعرّفتُ من إحسانِ الله فيما وَفّره مِنْ سلامته، وهَنَّأه من كرامتِهِ، أنفسَ موهوبٍ ومَطْلُوب، وأحْمَدَ مَرْقوبٍ ومخطوب».

وهذا كلّه متماثلُ المعاني، متشابه الألفاظ. وفيما أوردته هاهنا مُقْنِع. فأنْعِم نظرك أيُّها الواقف على هذا الكتاب فيما بيّنتُهُ لك، ووضعتُ يدكَ عليه، حتّى تعلم كيف تأتي بالمعاني في الألفاظ المسجوعة. والله الموفّق للصواب.

فإن قيل : إنّك اشترطتَ أن تكون كلُّ واحدةٍ من الفِقْرَتَين في الكلام المسجوع دالّةً على معنى غير المعنى الذي دلتْ عليه أُختها، وإنّما اشترطتَ هذه الشريطةَ فراراً من أن يكون المعنيان شيئاً واحداً، ونرى قد ورد في القرآن الكريم لفظتان بمعنى واحدٍ في آخر إحدى الفِقْرَتَين المسجوعتين كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّا** ﴾ [مريم : ٥٤]، وكلُّ رسولٍ نَبِيٌّ ؟!

قلتُ في الجواب : ليس هذا كالّذي اشترطته أنا في اختصاص كلّ فِقْرَةٍ بمعنى غير المعنى الذي اختصَّتْ به أُخْتُها، وإنّما هذا هو إيرادُ لفظَتَيْن في آخر إحدى الفِقْرَتَيْن بمعنى واحد. وهذا لا بأسَ به، لِمَكَان طَلَبِ السَّجْع.

⇐

١ ـ اختيار مفردات الألفاظ.

٢ ـ واختيار التّأليف.

٣ ـ وكون اللّفظ تابعاً للمعنى لا عكسه.

٤ ـ وكون كلّ واحد من الفِقْرَتين دالّةً على معنىً آخر وإلّا لكان تطويلاً[1] كقول الصّابئ: «الحمدُ للّه الّذي لا تُدْرِكُهُ الأَعْيُنُ بِأَلْحَاظِهَا، وَلاَ تَحُدُّهُ الأَلْسُنُ بألفاظها، ولا تُخْلِقُهُ العُصُور بمرورها، ولا تَهْرِمُهُ الدُّهُور بكُرُورها، والصّلاة[2] على من لم يَرَ للكفر أثراً إلّا طَمَسَهُ ومحاه، ولا رَسْماً إلّا أزالَهُ وعَفَّاهُ».

إذ لا فرق بين «مُرُور العُصُور» و«كُرُور الدُّهُور» ولا بين «محو الأثر» و«إعفاء الرّسم»[3].

﴿قيل: وأَحْسَنُ السَّجْعِ ما تَسَاوَتْ قرائنه نحو: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَـلْحٍ

⇐ ألا ترى أنّ أكثرَ هذه السّورة الّتي هي سورة مريم ـ عليها السّلام ـ مسجوعةٌ على حرف الياء، وهذا يجوز لصاحب السّجع أن يأتي به، وهو بخلاف ما ذكرته أنا؟

ألا ترى أنّ النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] قد غيّر اللفظة عن وضعها طلباً للسّجع، فقال «مأْزُورات» وإنّما هي «موزورات»؟ وقال: «العين اللّامّة» وإنّما هي «المُلِمَّة»؟ إلّا أنّه ليس في ذلك زيادةُ معنى، بل يُفْهَم من لفظة «مأزورات» أنّها قائمةٌ مقامَ «مَوْزورات»، وكذلك يُفْهم من لفظة «لامَّة» أنّها بمعنى «مُلِمّة».

فالسَّجْعُ قد أُجيز معه تغيير وضعِ اللفظة، وأُجيزَ معه أن يوردَ لفظتان بمعنى واحدٍ في آخر إحدى الفِقْرَتين، ومع هذا فلمْ يُجَز في استعماله أن يورد فِقْرَتان بمعنى واحد، لأنّه تطويلٌ مَحْضٌ لا فائدة فيه.

(١) المثل السّائر ١: ٢١٥.

(٢) وعبارة ابن الأثير هكذا: ثمّ انتهى إلى الصّلاة على النّبيّ فقال: لم يَرَ للكفر إلخ ...

(٣) المثل السّائر ١: ٢١٧ ـ ٢١٨.

مَنضُودٍ * وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴾[١] **ثمّ ﴾** أي: بعد أن لم تَتَساوَ قرائنه فالأحسن **﴿ما طالت قرينته الثّانية نحو: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾**[٢] **أو ﴾** قرينته **﴿الثّالثة نحو: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾**[٣] **ولا يحسن أن يؤتى قرينة بعد قرينة أُخرى أقصر منها ﴾** قصراً **﴿كثيراً ﴾**.

قال ابن الأثير: السّجع ثلاثة أقسام[٤]:

---

(١) الواقعة: ٢٨ ـ ٣٠.

(٢) النّجم: ١ ـ ٢.

(٣) الحاقّة: ٣٠ ـ ٣١.

(٤) **قوله: «السّجع ثلاثة أقسامٍ»**. وهذا نصّه في القسم الثاني من المقالة الأُولى من كتاب «المثل السّائر» ١: ٢٥٥:

وإذا فرغْتُ ممّا أردتُ تحقيقَه في هذا الموضع فإنّي أرجع إلى ما كنتُ بصددِ ذِكْرِه من الكلام على السَّجع، وقد تقدّم من ذلك ما تقدّم، وبقي ما أنا ذاكره هاهنا، وهو أنّ السّجع قد ينقسم إلى ثلاثة أقسامٍ:

الأوّل: أن يكون الفصلان متساويين، لا يزيدُ أحدهما على الآخر، كقوله ـ تعالى ـ: **﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ ﴾** [الضّحى: ٩ ـ ١٠]. وقوله ـ تعالى ـ: **﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً * فَالْمُورِيَاتِ قَدحَاً * فَالْمُغِيراتِ صُبْحاً * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً ﴾** [العاديات: ١ ـ ٥].

ألا ترى كيفَ جاءت هذه الفصول متساوية الأجزاء، حتّى كأنّها أُفرِغَت في قالب واحد؟ وأمثال ذلك في القرآن الكريم كثيرةٌ، وهو أشرف السّجع منزلة، للاعتدال الّذي فيه.

القسم الثّاني: أن يكون الفصل الثّاني أطول من الأوّل، لا طُولا يخرج به عن الاعتدال خروجاً كثيراً، فإنّه يقبح عند ذلك، ويستكره، ويعدُّ عيباً، فممّا جاء من ذلك قوله ـ تعالى ـ: **﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً * إِذَا رَأَتْهُم مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ**

⇐

⇐ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً * وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً﴾ [الفرقان: ١١ـ١٣].

ألا ترى أنّ الفصل الأوّل ثمان لفظاتٍ، والفصل الثّاني والثّالث تسع تسع.

ومِن ذلك قوله ـ تعالى ـ في سورة مريم: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً * تَكَادُ السَّماوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً﴾ [مريم: ٨٨ـ٩٠].

وأمثال هذا في القرآن كثيرة.

ويُستثنى من هذا القسم ما كان من السّجع على ثلاث فِقَر، فإنّ الفِقْرَتَين الأولَيَيْن يُحسَبان في عدّة واحدة، ثمّ باقي الثلاثة، فينبغي أن تكون طويلة طولاً يزيد عليهما، فإذا كانت الأُولى والثّانية أربع لفظاتٍ أربع لفظاتٍ تكون الثالثة عشر لفظات، أو إحدى عشرة.

مثال ذلك ما ذكرته في وصف صديق، فقلت: «الصَّدِيقُ مَنْ لم يَعْتَض عنك بِخَالِف، ولم يعامِلْك معاملةَ حَالِف، وإذَا بلَّغته أُذُنه وِشَاية أَقامَ عليها حدّ سارقٍ أو قاذِف».

فالأُولى والثّانيةُ هاهنا أربعُ لفظاتٍ أربع لفظاتٍ، لأنّ الأُولى: «لم يعْتَضْ عنك بخَالِف» والثّانية «ولم يعاملْك معاملةَ حالِف» وجاءتِ الثالثةُ عشر لفظاتٍ، وهكذا يَنْبَغي أن يُستعمل ما كان من هذا القَبِيل.

وإن زادت الأُولى والثانية عن هذه العدّة فتزاد الثالثة بالحسابِ، وكذلك إذا نقصَت الأُولى والثانية عن هذه العدّة. فافهم ذلك، وقِسْ عليه.

إلّا أنّه لا ينبغي أن تجعله قياساً مطّرداً في السجعات الثلاث أينَ وقعتْ من الكلام، بل تعلمْ أنّ الجواز يعمُّ الجانبين من التّساوي في السجعات الثلاث، ومن زيادة السّجعة الثّالثة.

ألا ترى أنّه قد ورد ثلاثُ سجعاتٍ متساويات في القرآن الكريم كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنضُودٍ * وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٧ـ٣٠].

فهذه السجعات كلّها من لفظتين لفظتين، ولو جعلت الثالثة منها خمسَ لفظاتٍ أو ستّاً ⇐

⇐ لما كان ذلك مَعِيباً.

القسم الثّالث: أن يكون الفصل الآخر أقصر من الأوّل، وهو عندي عيب فاحش وسبب ذلك أنّ السجع يكون قد استوفى أمدَه من الفصل الأوّل بحكم طُوله، ثمّ يجيءُ الفصل الثّاني قصيراً عن الأوّل، فيكون كالشيء المبتور، فيبقى الإنسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء إلى غايةٍ فَيَعْثُرُ دونها.

* * *

وإذا انتهينا إلى هاهنا وبيّنّا أقسام السّجع ولبّه وقُشوره، فسنقول فيه قولاً كليّاً، وهو أنّ السّجع على اختلافِ أقسامه ضربان:

أحدهما: يسمّى «السّجع القصير» وهو أن تكون كلّ واحدة من السَّجْعتين مؤلّفة من ألفاظ قليلة، وكلّما قلّت الألفاظ كان أحسن، لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السّامع.

وهذا الضّرب أوعَرُ السّجع مذهباً، وأبعدهُ متناولاً، ولا يكاد استعماله يقع إلّا نادراً.

والضّرب الآخر: يسمّى «السّجع الطّويل» وهو ضدّ الأوّل لأنّه أسهلُ متناولاً.

وإنّما كان القصير من السّجع أوعرَ مسلكاً من الطّويل لأن المعنى إذا صيغ بألفاظٍ قصيرةٍ عَزَّ مواتاةُ السّجع فيه. لِقصَرِ تلك الألفاظ، وضيق المجال في استجلابه، وأمّا الطّويل فإنّ الألفاظ تطولُ فيه، ويُستجلبُ له السّجع من حيثُ وليس كما يقال، وكان ذلك سهلاً.

وكلّ واحد من هذين الضربين تتفاوت درجاتُه في عدّة ألفاظ:

أمّا السّجع القصير فأحسنه ما كان مُؤلّفاً من لفظَتين لفظَتين، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَالْمُرْسَلاَتِ عُرْفاً * فَالعَاصِفاتِ عَصْفاً**﴾ [المرسلات: ١ ـ ٢]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فكبِّرْ * وثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * والرُّجْزَ فاهْجُرْ**﴾ [المدّثّر: ١ ـ ٥].

ومنه ما يكون مؤلّفاً من ثلاثة ألفاظٍ وأربعة وخمسةٍ، وكذلك إلى العشرة، وما زاد على ذلك فهو من السّجع الطويل، فممّا جاء منه قوله ـ تعالى ـ: ﴿**والنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ**﴾ [النّجم: ١ ـ ٣]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿**اقْتَرَبَتِ**

⇐

الأوّل: أن يكون الفصلان متساويين كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ** ﴾[1].

والثّاني: أن يكون الثّاني أطول من الأوّل، لا طولاً يخرجه عن الاعتدال كثيراً وإلّا كان قبيحاً كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً** ﴾[2] فإنّ الأوّل ثَمَانُ لَفَظاتٍ، والثّاني تسعٌ، وله في القرآن غير نظير.

⇐ **السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ** ﴾ [المقر: ١ ـ ٣].

وأمّا السّجع الطويل فإنّ درجاته تتفاوت أيضاً في الطّول.

فمنه ما يقرب من السّجع القصير، وهو أن يكون تأليفه من إحدى عشرة لفظة إلى اثنتي عشرة لفظة، وأكثره خمس عشرة لفظة، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ** ﴾ [هود: ٩ ـ ١٠]، فالأُولى إحدى عشرة لفظة، والثّانية ثلاث عشرة لفظة، وكذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** ﴾ [التّوبة: ١٢٨ ـ ١٢٩].

ومن السّجع الطّويل ما يكون تأليفه من العشرين لفظة فما حولها كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ** ﴾ [الأنفال: ٤٣ ـ ٤٤].

ومن السّجع الطّويل أيضاً ما يزيد على هذه العدّة المذكورة، وهو غير مضبوط.

(١) الضّحى: ٩ ـ ١٠.

(٢) مريم: ٨٨ ـ ٩٠.

ويستثنى منه ما كان على ثلاث فِقَرٍ؛ فإنّ الأوّلين [١] يُحسبان في عِدّة واحدة، ثمّ تأتي الثّالثة بحيث تزيد عليهما طولاً، ويجوز أن تجيء مساوية لهما كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ * وَظِلٍّ مَمْدُودٍ**﴾ [٢] فهذه الثّلاث كلّ منها من لفظين [٣]، ولو جعلت الثّالثة منها خمس لَفَظاتٍ أو ستّاً كان حسناً.

والثّالث: أن يكون الآخر أقصر من الأوّل، وهو عندي عيب فاحش؛ لأنّ السّمع قد استوفى أَمَدَهُ في الأوّل بطوله، فإذا جاء الثّاني قصيراً يبقى الإنسان عند سَمَاعه كمن يريد الانتهاء إلى غاية فَيَعْثُرُ دونها.

ثمّ السّجع إمّا قصير وإمّا طويل، والقصير هو الأحسن؛ لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السّامع، وأيضاً هو أَوْعَرُ مسلكاً؛ لأنّ المعنى إذا صيغ بألفاظ قليلة عَسُرَ مواطاة السّجع فيه.

وأحسن القصير ما كان على لفظتين، ومنه ما يكون من ثلاثة إلى عشرة، وما زاد عليها فهو من الطّويل.

ومنه ما يقرُبُ من القصير بأن يكون تأليفه من إحدى عشرة إلى اثنتي عشرة وأكثُرُهُ خمس عشرة لفظة، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**إِذَا أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً**﴾ [٤] الآية، فالأُوْلَى إحدَى عَشْرَةَ، والثّانيةُ ثلاثةَ عَشْرَةَ.

﴿**والأسجاع مبنيّة على سكون الأعجاز**﴾ أي: أواخر فواصل القرائن، لأنّ الغرض من السّجع أن يزاوج بين الفواصل، ولا يَتِمُّ ذلك في كلّ صورة إلّا بالوقف

---

(١) كذا في جميع النّسخ الثّلاث، والظّاهر: «الأُوْلَيَيْنِ» ـ كما في «المثل السّائر» ـ.

(٢) الواقعة: ٢٧ ـ ٣٠.

(٣) وفي بعض النّسخ: «لفظتين» وهي نسخة سنة ٨٤٩ هـ.

(٤) الشّورى: ٤٨.

والبناء على السّكون ﴿كقولهم: «ما أبعَدَ ما فَاتْ، وما أقرَبَ ما هو آتْ»﴾ فإنّه لو اعتبر الحركة لفات السَّجْع؛ لأنّ التّاء من «فاتَ» مفتوح ومن «آتٍ» مكسور منوّن. وهذا غير جائز في القوافي ولا وافٍ بالغرض ـ أعني: تزاوج الفواصل ـ.

وإذا رأيتَهُم يُخْرِجُوْنَ الكَلِمَ عن أوضاعها للازدواج فيقولون: «آتِيْكَ بالغَدَايا[١] والعَشَايا» ـ أي: بالغَدَوات ـ و«هَنَأَنِي الطَّعَامُ ومَرَأَنِي» ـ أي: أَمْرَأَنِي ـ و«أخذ ما قَدُمَ وما حَدُثَ»[٢] ـ أي: «حَدَث» بالفتح ـ مع أنّ فيه ارتكاباً لما يخالف اللّغة فما ظنّك بهم في ذلك.

﴿قيل: ولا يقال في القرآن أسجاع﴾ لأنّ «السَّجْعَ» ـ في الأصل ـ هَدِيْرُ الحَمَامِ ونحوها ﴿بل يقال: فواصل﴾ وهذا مشعر بأنّ السّجع هو الكلمة الأخيرة من الفِقْرَةِ؛ إذ لا يقال الفواصل إلّا لها.

﴿وقيل: السّجع غير مختصّ بالنَّثْرِ﴾ بل يجري في النّظم أيضاً ﴿ومثاله من النّظم﴾ قول أبي تَمَّامٍ: ﴿تَجلّىٰ بِهِ رُشْدِي وَأَثْرَتْ بِهِ يَدِي[٣] * وَفَاضَ بِهِ ثَمْدي﴾

---

(١) المفرد «غَدَاة» وقياس الجمع: «غَدَوات» لكنّهم جمعوه على خلاف القياس على «الغَدَايا» للوصول إلى المُزَاوَجَةِ مع «العشايا» جمع «العشيّة» ولم يعكسوا؟ لسهولة تحويل الواو إلى الياء، دون العكس فإنّه غير مطلوب في مقام التّخفيف، وأيضاً قالوا: «هَنَأَنِي الطَّعَامُ، ومَرَأَنِي، فنقلوا الفعل من باب الإفعال وهو «أَمْرَأَني» إلى الثّلاثي المجرّد وهو «مَرَأَنِي» للوصول إلى المزاوجة، ولم يعكسوا، لأنّ الهمزة ثقيل وهم يطلبون الذّرائع للتّخلّص من شرّها، كما قررت تفصيل في حاشية «شرح النّظام» الموسوم بـ«تبيين المرام».

(٢) **قوله: «ما قَدُمَ وما حَدُثَ»**. بضمّ الدّال في «حَدُثَ» للازدواج وهو خلاف وضع اللغة لأن وضع «حَدَثَ» في اللغة بفتح الدّال كما يقول الشّارح: «أي: حدث ـ بالفتح ـ».

(٣) **قوله: «تجلّى به رشدي وأثرت به يدي»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع ⇐

⇐ الضّرب التّامّ والقائل أبو تمّام حبيب بن أوس بن الحارث الطّائي ـ رحمه الله ـ من قصيدةٍ يمدح بها أبا العبّاس نصر بن منصور بن بسّام:

أأطْلَالَ هِندٍ ساءَ ما آعْـتَضْتِ مِنْ هِـنْدِ ... أَقايَضْتِ حُـورَ العِـينِ بـالعُونِ والرُّبْـدِ
إذا شـئنَ بـالألْوانِ كـنَّ عِـصَابَةً ... مِـنَ الهِـنْدِ والآذانِ كُـنَّ مِـنَ الصُّـغْدِ
لَـعُجْنا عَـلَيْكِ العيسَ بَـعْدَ مَـعاجِها ... على البِيضِ أتْـراباً عـلى النُّـؤْيِ والوَدِّ
فَـلا دَمْـعَ مـا لَـمْ يَـجْرِ فـي إثْـرِهِ دَمٌ ... وَلا وجْدَ مَا لَمْ تَعْيَ عـن صِـفَةِ الوَجْـدِ
ومَـقدُودَةٍ رُؤْدٍ تَكـادُ تَـقدُّها ... إصَـابَتُها بـالعَيْنِ مِـنْ حَسَـنِ القَـدِّ
تُـعَصْفِرُ خَـدَّيْهَا العُـيُونُ بِـحُمْرَة ... إذَا وَرَدَتْ كـانَتْ وبَـالاً عـلى الوَرْدِ
إذَا زَهَّـدتْنِي فـي الهَـوَى خِـيفَةُ الرَّدَى ... جَلَتْ لِيَ عَنْ وَجْـهٍ يُـزَهِّدُ فـي الزُّهْـدِ
وَقـفْتُ بِـهَا اللَّـذّاتِ فـي مُـتَنَفَّسٍ ... مِنَ الغَيْثِ يَسْقِي رَوْضَةً في ثَرَى جَعدِ
وَصَـفْراءَ أَحْـدَقْنَا بِـها فـي حَـدَائِقٍ ... تـجُود مِـن الأَثْـمارِ بـالثعْدِ والمَـعْدِ
بِـقاعِيَّةٍ تَـجْرِي عَـلينا كُـؤوسُهَا ... فنُبْدِي آلذي تُخْفِي ونُخْفِي الذي تُبْدِي
بـنصْرِ بـن مَـنْصورِ بـنِ بسَّـامٍ انـفَرى ... لنـا شـظَفُ الأَيَّـامِ عـن عِـيشَةٍ رَغـدِ
ألا لَا يَـمُدَّ الدَّهْـرُ كَـفّاً بِسَـيِّئٍ ... إلى مُـجْتَدِي نـصْرٍ فَـتُقْطَعْ مِـنَ الزَّنـدِ
بسَـيْبِ أبِـي العَـبَّاسِ بُـدِّلَ أَزْلُـنَا ... بِـخَفْضٍ وصِـرْنا بَـعْدَ جَـزْرٍ إلى مَـدِّ
غَـنِيتُ بِـهِ عَـمَّنْ سِـوَاهُ وحُـوِّلَتْ ... عِـجَافُ ركـابي عَـنْ سُـعَيْدٍ إلى سَـعْد
لَـهُ خُـلُقٌ سَـهْلٌ ونَـفس طِـبَاعُهَا ... لَـيَانٌ ولكِـنْ عِـرْضُهُ مِـنْ صَـفاً صَـلْدِ
رَأَيْتُ اللَّـيالي قَـدْ تَـغيَّرَ عَـهْدُها ... فَـلمَّا تَـرَاءَى لِـي رَجَـعْنَ إلى العَـهْدِ
أَسـائِلَ نَـصْرٍ لا تَسَـلْهُ، فـإنَّهُ ... أَحَـنُّ إلى الإرفـادِ مـنْكَ إلى الرَفْـدِ
فـتًى لا يُـبَالي حـينَ تَـجتَمِعُ العُـلى ... لَهُ أن يكُونَ المالُ فـي السُّـحْقِ والبُـعْدِ
فَـتًى جُـودُه طَـبْعٌ فـلَيْسَ بِـحافِلٍ ... أَفي الجَوْرِ كـانَ الجـودُ مِنْهُ أم القَـصْدِ
إذَا طَـرقَتْهُ الْـحَادِثَاتُ بِـنكبَةٍ ... مَـخَضْنَ سِـقَاءً مِـنه لَيسَ بِـذِي زُبْـدِ
ونَـبَّهْنَ مِـثلَ السَّـيْفِ لو لم تَسُـلَّهُ ... يَـدانِ لَسَـلَّتْهُ ظُـباهُ مِـنَ الغِـمْدِ

⇐

هو المال القليل، وأصله في الماء ﴿ وَأَوْرىٰ بِهِ زَنْدِي ﴾ أي: صار ذا وَرْيٍ، وهذا عبارة عن الظّفر بالمطلوب، وأمّا «أُوْرِي» ـ بضمّ الهمزة وكسر الرّاء ـ على أنّه مضارع متكلّم من «أوريتُ الزَّنْدَ» ـ أخرجت ناره ـ فغَلَطٌ وتصحيف، والضّمائر في «به» تعود إلى «نصر» المذكور في البيت السّابق وهو قوله:

سَأَحْمَدُ نَصْراً مَا حَـيِيتُ وَإِنَّـنِي ... لأَعْلَمُ أنْ قَدْ جَلَّ نصرٌ مِنَ الحَمْدِ

[التّشطير]

﴿ ومن السّجع على هذا القول ﴾ يعني: القول بعدم الاختصاص بالنّثر ﴿ ما يُسمّى التَّشْطِيْرَ وهو جعل كلّ من شطْرَي البيت سَجْعَةً مخالفة لأُختها ﴾ أي: السَّجْعَة الّتي هي في الشّطر الآخر.

وقوله: «سَجْعَةً» ينبغي أن ينتصب على المصدر، أي: يجعل كلّ من شطرَي البيت مسجوعاً سَجْعَةً مخالفة للسَّجْعة الّتي في الشّطر الآخر، لا أنّه المفعول الثّاني لـ«جعل» لأنّ الشّطر ليس بسجعة.

ويجوز أن يسمّى كلّ فِقْرَتَيْنِ مُسَجَّعتين سَجْعَةً ـ تسميةً للكلّ باسم جزئه ـ فقول الحريريّ: «لَمَّا اقْتَعَدْتُ غارِبَ الاغْتِراب[1]، وَأَنْأَتْنِي الْمَتْرَبَةُ عَنِ الأَتْرَابِ» سجعة، وقوله: «طَوَّحَتْ بِي طَوائِحُ الزَّمَنِ، إلىٰ صَنْعاءِ اليَمَن» سجعة أُخرى

⇐ سَأَحْمَدُ نَصْراً ما حَيِيتُ وإنَّني ... لأَعْلَمُ أن قد جَلَّ نَصْرٌ عن الحَمْدِ
تَجلَّى بهِ رُشْدِي وأثْرَتْ بهِ يَدِي ... وفَاضَ به ثَمْدِي وأَوْرَى بهِ زَنْدِي
فإن يَكُ أَرْبَى عَفْوُ شُكري عَلى نَدى ... أُناس فقَدْ أَرْبَى نَدَاهُ على جُهْدِي
وما زَالَ مَنشوراً عَلَيَّ نَوالهُ ... وعِنْدِي حتَّى قد بَقِيتُ بلا «عِنْدي»
وَقَصَّرَ قَوْلي فيه مِنْ بَعْدِ ما أَرى ... أقُولُ فأُشجِي أُمَّةً وأَنا وَحْدِي
بَغَيْتُ بِشِعْرِي فاعْتَلاهُ بِبَذْلِه ... فَلا يَبْغِ في شِعْرٍ لهُ أَحَدٌ بَعْدِي

(١) قوله: «لَمَّا اقْتَعَدْتُ غارِبِ الإغْتِراب». تقدّم نقل نصّه قبل قليل.

﴿كقوله﴾ ـ أي: قول أبي تَمَّامٍ يمدح المعتصم بالله حين فتح عَمُّورِيَّةَ[1] ـ: **﴿تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللَّه مُنْتَقِمٍ[2] * لِلَّهِ مُرْتَغِبٍ فِي اللهِ﴾** أي: راغب فيما يقرّبه من

(١) وذلك في شهر رمضان سنة ٢٢٣هـ.

(٢) **قوله: «تدبير معتصم بالله منتقم»**. البيت من البسيط على العروض المخبونة مع الضَّرب المماثل والقائل أبو تَمَّام من قصيدة يمدح بها ـ تقيّةً ـ المعتصم بالله أبا إسحاق محمّد بن هارون الرّشيد ـ لعنهم الله ـ ويذكر حريق عمّوريّة وفتحها: كان المنجّمون قد حكموا أنّ المعتصم لا يفتح عمّوريّة، وراسلته الرّوم بأنّا نجد في كتُبها أنّه لا تُفتَح مدينتنا إلّا في وقت إدراك التّين والعِنَب، وبيننا وبين ذلك الوقتِ شهورٌ يمنعُك من المُقَام بها البَرْدُ والثلج، فأبى أن ينصرف وأكبَّ عليها ففتحها فأبطل ما قالوا:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ واللَّعِبِ
بيضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي ... مُتُونِهِنَّ جلاءُ الشَّكِّ والرِّيَبِ
والعِلْمُ فِي شُهُبِ الأَرْمَاحِ لَامِعَةً ... بَيْنَ الخَمِيسَيْنِ لا فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
أَيْنَ الرِّوايَةُ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا ... صَاغُوه مِنْ زُخْرُفٍ فيها ومِنْ كَذِبِ
تَخَرُّصاً وأَحَادِيثاً مُلَفَّقَةً ... لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إذَا عُدَّتْ ولا غَرَبِ
عَجَائِباً زَعَمُوا الأَيَّامَ مُجْفِلَةً ... عَنْهُنَّ فِي صَفَرِ الأَصْفَارِ أَوْ رَجَب
وخَوَّفُوا النَاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ ... إذَا بَدَا الكَوْكَبُ الْغَرْبِيُّ ذُو الذَّنَب
وَصَيَّروا الأَبرجَ العُلْيَا مُرَتَّبَةً ... مَا كَانَ مُنْقَلِباً أَوْ غيْرَ مُنْقَلِبِ
يقضون بالأمر عَنْهَا وهي غافلة ... ما دارَ فِي فَلَكٍ مِنها وفي قُطُبِ
لو بيَّنت قطّ أمراً قبل موقعه ... لم تُخْفِ ما حلّ بالأوثان والصّلب
فَتْحُ الفُتوح تَعَالَى أَنْ يُحيطَ بِهِ ... نَظْمٌ مِن الشِّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الخُطَبِ
فَتْحٌ تَفَتَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ ... وتَبْرُزُ الأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا القُشُبِ
يَا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُّورِيَّةَ انْصَرَفَتْ ... مِنْكَ المُنَى حُفَّلاً مَعْسُولَةَ الحَلَبِ
أبقيْتَ جَدَّ بَنِي الإسلامِ في صعَدٍ ... والمُشْرِكينَ وَدارَ الشِّرْكِ فِي صَبَبِ
أُمٌّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَن تُفْتَدى جَعَلُوا ... فِدَاءَهَا كُلَّ أُمٍّ مِنْهُمْ وَأَبِ

⇐

⇐ وَبَرْزَةِ الوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتُهَا كِسْرَى وصدَّتْ صُدُوداً عَنْ أَبِي كَرِبِ

بِكْـــرٌ فَـما افْـتَرَعَتْهَا كَـفُّ حَـادِثَةٍ وَلا تَـــرَقَّتْ إِلَـــيْهَا هِـــمَّةُ النُّـوَبِ

مِـنْ عَـهْدِ إِسْكَـنْدَرٍ أَوْ قَـبل ذَلِك قَـدْ شَابَتْ نَواصِي اللَّـيَالي وهْـيَ لَـمْ تَشِبِ

حَـتَّى إِذَا مَـخَّضَ اللهُ السِّـنين لَـهَا مَـخْضَ البَـخِيلَةِ كـانَتْ زُبْـدَةَ الحِـقَبِ

أَتَـــتْهُمُ الكُـــرْبَةُ السَّـوْدَاءُ سَـادِرَةً مِـنْهَا وكـانَ اسْمُهَا فَـرَّاجَـةَ الكُـرَبِ

جَـرَى لَـهَا الفَأْلُ بَـرْحاً يَـوْمَ أَنْـقِرَةٍ إِذْ غُودِرَتْ وَحْشَةَ السَّاحَاتِ والرِّحَبِ

لمَّـا رَأَتْ أُخْتَها بِـالْأَمْسِ قَـدْ خَـرِبَتْ كَانَ الْخَرَابُ لَـهَا أَعْـدَى مـن الجَـرَبِ

كَـمْ بَـيْنَ حِـيطَانِهَا مِـنْ فَـارِسٍ بَـطَلٍ قَـانِي الذَوائِب مـنْ آنـي دَمٍ سَـرِبِ

بِسُـنَّةِ السَّـيْفِ والخـطِّيِّ مِـنْ دَمِـه لا سُـنَّةِ الدِّيـنِ وَالإِسْـلَامِ مُـخْتَضِبِ

لَـقَدْ تَـرَكتَ أَمـيرَالْـمُؤْمِنينَ بِـها لِـلنَّارِ يَـوْماً ذَلِيـلَ الصَّـخْرِ والخَشَبِ

غَادَرْتَ فيها بَهِيمَ اللَّـيْلِ وَهُـوَ ضُـحىً يَشُـلُّهُ وَسْـطَهَا صُـبْحٌ مِـنَ اللَّـهَبِ

حَـتَّى كَأَنَّ جَـلابيبَ الدُّجَـى رَغِـبَتْ عَـنْ لَـوْنِهَا وكَأَنَّ الشَّـمْسَ لَـم تَـغِبِ

ضَـوْءٌ مِـنَ النَّـارِ والظَّـلْمَاءُ عَـاكِـفَةٌ وظُلْمَةٌ مِن دُخَـان فـي ضُـحىً شَـحِبِ

فـالشَّمْسُ طَـالِعَةٌ مِـنْ ذَا وقـدْ أَفَـلَتْ والشَّـمْسُ وَاجِـبَةٌ مِـنْ ذَا ولَـمْ تَـجِبِ

تَـصَرَّحَ الدَّهْـرُ تَـصْريحَ الغَـمَامِ لَـها عَـنْ يَـوْمِ هَـيْجَاءَ مِـنْهَا طَـاهِرٍ جُـنُب

لم تَـطْلُعِ الشَّـمْسُ فـيهِ يَـومَ ذَاكَ عـلى بَـانٍ بِأَهْـلٍ وَلَـم تَـغْرُبْ عـلى عَـزَبِ

مَـا رَبْـعُ مَـيَّةَ مَـعْمُوراً يُـطِيْفُ بِـهِ غَيْلَانُ أَبْهَى رُبـىً مِـنْ رَبْـعِهَا الخَـرِبِ

ولا الْـخُدُودُ وقـدْ أُدْمِـينَ مِـنْ خَـجَلٍ أَشهى إلى نـاظِري مِـنْ خَـدِّها التَّـرِبِ

سَـماجَةٌ غَـنِيَتْ مِـنَّا العُـيون بِـها عَـنْ كـلِّ حُسْـنٍ بَـدَا أَوْ مَـنْظَر عَـجَبِ

وحُسْـنُ مُـنْقَلَبٍ تَـبْقَى عَـوَاقِـبُهُ جَـاءَتْ بَشَـاشَتُهُ مِـنْ سُـوءِ مُـنْقَلَب

لَوْ يَعْلَمُ الْكُفْرُ كَـمْ مِـنْ أَعْـصُرٍ كَـمَنَتْ لَـهُ العَـواقِبُ بَـيْنَ السُّـمْرِ والقُـضُبِ

تَـدْبيرُ مُـعْتَصِمٍ بِـاللَّهِ مُـنْتَقِم لِـلَّهِ مُـرْتَقِبٍ فـي اللهِ مُـرْتَغِبِ

ومُـطْعَم النَّـصْرِ لَـمْ تَكْـهَمْ أَسِـنَّتُهُ يَوْماً وَلَا حُـجِبَتْ عَـنْ رُوحِ مُـحْتَجِبِ

⇐

⇐ لَمْ يَغْزُ قَوْماً، ولَمْ يَنْهَضْ إلَى بَلَدٍ ... إلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعُبِ
لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلاً، يَوْمَ الْوَغَى، لَغدَا ... مِنْ نَفْسِهِ، وَحْدَهَا، في جَحْفَلٍ لَجِبِ
رَمَى بِكَ اللهُ بُرْجَيْهَا فَهَدَّمَها ... ولَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللهِ لَمْ يُصِبِ
مِنْ بَعْدِ ما أَشَّبوهَا واثقينَ بِهَا ... واللهُ مِفتاحُ بَابِ المَعقِلِ الأَشِبِ
وقَال ذُو أَمْرِهِمْ لا مَرْتَعٌ صَدَدٌ ... للسَّارِحينَ وليْسَ الوِرْدُ مِنْ كَثَبِ
أَمانياً سَلَبَتْهُمْ نُجحَ هَاجِسِها ... ظُبَى السُّيُوفِ وأَطْرَاف القنا السُّلُبِ
إنَّ الحِمَامَيْنِ مِنْ بِيضٍ ومِن سُمُرٍ ... دَلْوَا الحَيَاتَيْنِ مِنْ مَاءٍ ومن عُشُبِ
لَبَّيْتَ صَوْتاً زِبَطْرِياً هَرَقْتَ لَهُ ... كَأْسَ الكَرَى ورُضَابَ الخُرّدِ العُرُبِ
عَداكَ حَرُّ الثُّغُورِ المُسْتَضَامَةِ عَنْ ... بَرْدِ الثُّغُورِ وعَنْ سَلْسَالِها الحَصِبِ
أَجَبْتَهُ مُعْلِناً بالسَّيْفِ مُنْصَلِتاً ... وَلَوْ أَجَبْتَ بِغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبِ
حتّى تَرَكْتَ عَمود الشِّرْكِ مُنْعَفِراً ... ولَم تُعَرِّجْ عَلى الأَوْتادِ وَالطُّنُبِ
لَمَّا رَأَى الحَرْبَ رَأْيَ العَيْنِ تُوفِلِسٌ ... والحَرْبُ مُشْتَقَّةُ المَعْنَى مِنَ الحَرَبِ
غَدَا يُصَرِّفُ بِالأَمْوال جِرْيَتَها ... فَعَزَّهُ البَحْرُ ذُو التَّيَّارِ والحَدَبِ
هَيْهَاتَ! زُعْزِعَتِ الأَرْضُ الوَقُورُ بِهِ ... عَن غَزْوِ مُحْتَسِبٍ لا غَزْوِ مُكتَسِبِ
لمْ يُنفِقِ الذهبَ المُرْبِي بكَثْرَتِهِ ... عَلى الحَصَى وبِهِ فَقْرٌ إلى الذَّهَبِ
إنَّ الأُسُودَ أُسودَ الغِيلِ هِمَّتُها ... يَومَ الكَرِيهَةِ في المَسْلوبِ لا السَّلَبِ
وَلَّى، وَقَدْ أَلجَمَ الخطِّيُّ مَنْطِقَهُ ... بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَا الأَحْشَاءُ في صَخَبِ
أَحْذَى قَرَابِينه صَرْفَ الرَّدَى ومَضى ... يَحْتَثُّ أَنْجَى مَطَاياهُ مِن الهَرَبِ
مُوَكِّلاً بِيَفَاعِ الأَرْضِ يُشرِفُهُ ... مِنْ خِفَّةِ الخَوْفِ لا مِنْ خِفَّةِ الطرَبِ
إنْ يَعْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدْوَ الظَّلِيم، فَقَدْ ... أَوْسَعْتَ جاحِمهَا مِنْ كَثْرَةِ الحَطَبِ
تِسْعُونَ أَلْفاً كآسادِ الشَّرَى نَضِجَتْ ... جُلُودُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ التِّينِ والعِنَبِ
يا رُبَّ حَوْبَاءَ حِينَ اجْتُثَّ دابِرُهُمْ ... طابَتْ ولَوْ ضُمِّخَتْ بالمِسْكِ لم تَطِبِ
ومُغْضَبٍ رَجَعَتْ بِيضُ السُّيُوفِ بِهِ ... حَيَّ الرِّضَا مِنْ رَدَاهُمْ مَيِّتَ الغَضَبِ

⇐

رضوانه ﴿مُرْتَقِبٍ﴾ أي: منتظر ثوابه، أو خائف عقابه.

فالشّطر الأوّل سجعة مبنيّة على الميم، والثّاني على الباء، وقوله: «تدبير» مبتدأ، وخبره في البيت الثّالث وهو قوله:

لم يَغْزُ قَوْماً وَلَمْ يَنْهَضْ إلىٰ بَلَدٍ ... إلَّا تَـقَدَمَهُ جَـيْشٌ مِـنَ الرُّعُبِ

[التّصريع]

ومن السّجع على القول بجريانه في النّظم ما يُسمّى **التّصريع** وهو جعل العَروض مُقَفَّاةً تَقْفِيَةَ الضَّرْبِ، و**العَروض** هو آخر المِصْراع الأوّل من البيت، و**الضّرب** آخر المِصْراع الثّاني منه.

[تقسيم التّصريع لابن الأثير]

قال ابن الأثير: التّصريع ينقسم[1] إلى سبع مراتب:

⇐ والحَـرْبُ قـائمَةٌ فـي مأْزِقٍ لَـجِجٍ ... تَـجْثُو القِـيَامُ بِـه صُـغْراً عـلى الرُّكَبِ

كَمْ نِـيلَ تـحت سَـناهَا مِـن سَـنا قـمَرٍ ... وتَـحْتَ عـارِضِها مِـنْ عَـارِضٍ شَـنِبِ

كَمْ كَانَ في قَـطْعِ أَسـبَاب الرِّقَـابِ بِـها ... إلى المُـخَدَّرَةِ العَـذْرَاءِ مِـن سَـبَبِ

كَـمْ أَحْـرَزَتْ قُـضُبُ الهـنْدِيِّ مُـصْلَتَةً ... تَـهْتَزُّ مِـنْ قُـضُبٍ تَـهْتَزُّ فـي كُثُبِ

بيضٌ، إذَا انتُضِيَتْ مِنْ حُجْبِهَا، رَجعَتْ ... أحَـقُّ بـالبيض أَتْـرَاباً مِـنَ الحُـجُبِ

خَـلِيفَةَ اللهِ جـازَى اللهُ سـعْيَكَ عَـنْ ... جُـرْثُومَةِ الدِّيـنِ والإسْـلَامِ والحَسَبِ

بَـصُرْتَ بـالرَّاحَـةِ الكُـبْرَى فَـلَمْ تَـرَها ... تُـنَالُ إلاَّ عـلى جِسْـرٍ مِـنَ التَّـعبِ

إن كان بَيْنَ صُـرُوفِ الدَّهْـرِ مِـن رَحِـمٍ ... مَـوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَـامٍ غـيْرِ مُـنْقَضِبِ

فـبَيْنَ أَيَّـامِكَ اللّاتـي نُـصِرْتَ بِـهَا ... وبَـيْنَ أَيَّـامِ بَـدْرٍ أَقْـرَبُ النَّسَبِ

أَبْقَتْ بَني الأَصْفَرِ المِـمْراضِ كـاسمِهِم ... صُـفْرَ الوجُـوهِ وجَـلَّتْ أَوْجُـهَ العَـرَبِ

(١) **قوله: «التصريع ينقسم»**. وهذا نصّه في القسم الثّاني من المقالة الأُولى من «المثل السّائر» ⇐

⇐ ١ : ٢٥٨ : واعلمْ أنّ «التَّصريع» في الشّعر بمنزلة السَّجع في الفصلين من الكلام المنثور، وفائدته في الشّعر أنّه قبل كمال البيت الأوّل من القصيدة تُعلَم قافيتها، وشُبِّه البيت المصرَّع بباب له مصراعان متشاكلان، وقد فعل ذلك القدماءُ والمُحدَثُون. وفيه دلالةٌ على سعة القدرة في أفانين الكلام.

فأمّا إذا كثر التَّصريع في القصيدة فلستُ أراه مختاراً إلّا أنّ هذه الأصناف من التَّصريع والترصيع والتَّجنيس وغيرها إنّما يحسن منها في الكلام ما قلّ وجرى مجرى الغُرّة من الوجه، أو كان كالطِّراز من الثَّوب.

فأمّا إذا تواترتْ وكثُرتْ فإنّها لا تكون مرضيَّة، لما فيها من أمارات الكُلْفة.

وهو عندي ينقسم إلى سبع مراتب، وذلك شيءٌ لم يذكره على هذا الوجه أحدٌ غيري!

فالمرتبة الأُولى: ـ وهي أعلى التَّصريع درجةً ـ أن يكون كلّ مصراع من البيت مستقلّاً بنفسه في فهم معناه، غيرَ محتاجٍ إلى صاحبه الّذي يليه ويُسمّى «التصريع الكامل» وذلك كقول امرئ القيس:

أَفَاطم مهلاً بَعْضَ هذا التَّدلُّلِ   وإن كنتِ قد أزْمَعْتِ هجراً فأَجْمِلي

فإنّ كلّ مصراع من هذا البيت مفهوم المعنى بنفسه، غير محتاج إلى ما يليه، وعليه ورد قول المتنبّي:

إذا كانَ مدحٌ فالنسيبُ المقدمُ   أكُلُّ فصيحٍ قال شعراً مُتَيَّمُ

المرتبة الثّانية: أن يكون المصراع الأوّل مستقلّاً بنفسه، غير محتاج إلى الّذي يليه، فإذا جاء الّذي يليه كان مرتبطاً به، كقول امرئ القيس:

قِفَا نَبْكِ من ذِكْرى حَبيبٍ ومَنْزِلِ   بِسِقْطِ اللِّوى بينَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فالمصراع الأوّل غير محتاج إلى الثاني في فهم معناه، لكنْ لمّا جاءَ الثاني صار مرتبطاً به، وكذلك وردَ قولُ أبي تَمّام:

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ تُرْوَى الظِّماء الْحَوَائِمُ   وأَنْ يَنْظِمَ الشَّمْلَ المُبَدَّدَ نَاظِمُ

وعليه ورد قول المتنبّي:

⇐

⇐ الرَّأْيُ قبلَ شَجَاعةِ الشُّجْعَانِ هُـوَ أوَّلٌ وَهـي المـحلّ الثَّانِي

المرتبة الثّالثة: أن يكون الشاعر مُخيَّراً في وضع كلِّ مصراع موضع صاحبه، ويسمَّى «التّصريع الموجَّه» وذلك كقول ابن الحجّاج البغدادي:

مِنْ شُرُوطِ الصَّبُوحِ فِي الْـمِهْرَجَانِ خِـفّةُ الشَّـرْبِ مَعْ خُـلُوِّ الْـمَكَانِ

فإنّ هذا البيت يُجْعل مصراعه الأوّل ثانياً، ومصراعه الثّاني أوّلاً، وهذه المرتبة كالثانية في الجَوْدَة.

المرتبة الرّابعة: أن يكون المصراع الأوّل غيرَ مستقلّ بنفسه. ولا يفهمُ معناه إلّا بالثّاني، ويُسمَّى «التّصريع النّاقص»، وليس بمرضيٍّ ولا حَسَن، فممّا ورد منه قول المتنبّي:

مَغَانِي الشعْبِ طِيباً في المَـغاني بـمنزلةِ الرَّبـيعِ مِـنَ الزَّمَـانِ

فإنّ المصراع الأوّل لا يستقِلُّ بنفسِه في فهم معناه دونَ أن يذكر المصراعُ الثّاني.

المرتبة الخامسة: أن يكون التصريعُ في البيت بلفظة واحدة وسطاً وقـافيةً، ويسـمّى «التّصريع المكرّر»، وهو ينقسم قسمين، أحدهما أقرب حالاً من الآخر:

فالأوّل: أن يكون بلفظةٍ حقيقيّةٍ لا مجازَ فيها، وهو أنزلُ الدّرجتين كـقول عـبيد بـن الأبرص:

فكـلُّ ذِي غَـيْبَةٍ يَـؤُوْبُ وغَائِبِ المَوْتِ لا يَؤُوْبُ

القسم الآخر: أن يكون التّصريع بلفظةٍ مجازيّة يختلفُ المعنى فيها، كقول أبي تمّام:

فتًى كـان شـرباً لِـلْعُفَاةِ وَمَـرْتَعاً فاصبَحَ لِـلهنْدِيَّة البـيض مَـرتَعا

المرتبة السّادسة: أن يذكر المصراع الأوّل، ويكون معلّقاً على صفةٍ يأتي ذكرها فـي أوّل المصراع الثّاني، ويسمّى «التصريع المعلّق» فممّا ورد منه قولُ امرئ القيس:

أَلاَ أَيُّها اللَّيلُ الطَّـويلُ ألا انْـجَلِ بِصبحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

فإنّ المصراع الأوّل معلّق على قوله: «بِصُبْحٍ»، وهذا مَعيبٌ جـدّاً، وعـليه ورد قـول المتنبّي:

قَدْ عَلَّمَ البَيْنُ مِـنَّا الْـبَيْنَ أَجْـفَانَا تَدْمى وأَلَّفَ في ذا الْقَلْبِ أَحْزَانَا

⇐

الأُولى: أن يكون كلّ مِصْراعٍ مستقلّاً بنفسه في فهم معناه، ويُسمّى **التّصريع الكامل**، كقول امرئ القيس:

أَفَـاطِمُ مَـهْلاً بَـعْضَ هٰـذَا التَّـدَلُّلِ[1] **وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ هَجْرِي فَأَجْمِلِي**

⇐ فإنّ المصراع الأوّل معلّق على قوله: «تذْمىٰ».

المرتبة السّابعة: أن يكون التّصريع في البيت مخالفاً لقافيته، ويسمَّى «التَّصريع المشطور» وهو أنزلُ درجات التّصريع وأقبحها، فمِنْ ذلك قولُ أبي نُؤاس:

أقِلْنِي قَدْ نَدِمْتُ على ذُنُوبٍ وبِالإِقْرَارِ عُذْتُ مِنَ الجُحُودِ

فصرَّع بحرف الباءِ في وسطِ البيت، ثمّ قَفَّاه بحرف الدّالِ، وهذا لا يكادُ يُسْتَعمَلُ إلّا قليلاً نادراً.

(١) **قوله: «أفاطم مهلاً بعض هذا التّدلّل»**. البيت من الطّويل على العَروض المقبوضة مع الضّرب المماثل، والقائل امرؤ القيس بن حجر الشّاعر المشهور من معلّقته المشهورة يقول فيها:

قِفَا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومَنْزِلِ بِسِقْطِ اللّوى بين الدَّخول فحومَلِ

فتُوضِحَ فالمِقْراة لم يَعْفُ رسمُهَا لما نسجتها من جَنوبٍ وشَمْأَلِ

ترى بَعَرَ الآرامِ في عَرَصَاتها وقِيْعَانِها كأنّه حَبُّ فُلْفُلِ

كأنّي غَدَاة البين يوم تحمّلُوا لدى سَمُراتِ الحيّ ناقف حَنْظَلِ

وقوفاً بها صحبي عَلَيَّ مطيَّهم يقولون: لا تهلِكْ أَسىً وتجمَّلِ

وإنّ شِفائي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ فهل عند رسم دارس من معوّلِ

كَدَأْبِكَ من أُمّ الحويرث قبلها وجارتها أُمّ الرَّباب بمأسَلِ

فَفَاضَتْ دُمُوعُ العين منّي صَبَابَةً على النّحر حتّى بَلَّ دمعي مَحْمِلِي

ألا رُبَّ يوم لك منهنّ صالحٌ ولاسيّما يومٌ بدارة جُلْجُلِ

ويومَ عقرتُ للعذارى مطيّتي فيا عجباً من كورها المتحمَّلِ

فظلّ العذارى يرتمين بلحمها وشحمٍ كهُدّابِ الدّمقس المُفتَّلِ

ويوم دخلتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ فقالت لك الويلاتُ إنّك مُرْجِلي

⇐

الثّانية: أن يكون الأوّل غير محتاج إلى الثّاني فإذا جاء مرتبطاً به، كقوله أيضاً:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرىٰ حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ[(١)] **بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمِلِ**

الثّالثة: أن يكون المصراعان بحيث يَصِحُّ وضع كلّ منهما موضع الآخر، كقول ابن الحَجَّاج البغداديّ:

مِنْ شُرُوطِ الصَّبُوحِ فِي المِهْرَجان[(٢)] **خِفَّةُ الشُّرْبِ مَع خُلوّ الْمَكَانِ**

⇐ تقول وقد مال الغبيط بنا معاً ... عقرتَ بعيري يا امرأ القيس فَانْزِلِ

فقلتُ لها سِيْرِيْ وأرْخي زِمامَه ... ولا تُبْعِدِيني من جَنَاكِ المعلَّلِ

فمثلكِ حُبلى قد طرقتُ ومُرْضِعٍ ... فألهيتُها عن ذي تمائم مُحْوِلِ

إذا ما بكى من خَلْفِها انصرفَتْ له ... بِشِقٍّ وتحتي شِقُّها لم يُحَوَّلِ

ويوماً على ظهر الكثيب تَعَذَّرَتْ ... عليَّ وآلَتْ حلفةً لم تُحَلَّلِ

أفاطِمُ مهلاً بعض هذا التدلّل ... وإن كنت قد أزمعتِ صَرمي فأَجْمِلي

وإن تَكُ قد ساءَتْكِ منّي خِلْقَةٌ ... فَسُلّي ثِيابي من ثيابك تَنْسُلِي

وهي طويلة جدّاً لا حاجة إلى ذكر الباقي.

(١) **قوله: «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل»**. مطلع المعلّقة الّتي ذكرت الآن.

(٢) **قوله: «من شروط الصَّبُوحِ في المهرجان»**. البيت من مدوّر الخفيف على العروض الأُولى مع الضّرب المشعّث والقائل ـ كما في «اليتيمة» للثّعالبي ـ ابن الحجّاج البغداديّ ـ رحمه الله ـ من قصيدة يقول فيها في أبي طاهر الوزير:

من شروط الصّبوح في المهرجان ... خفّة الشُّغل مع خلوّ المكان

وحضور الطّعام قبل طلوع الـ ... شَمْسِ مذ أمس بارد الألوان

والعروس الّتي تزفّ إلى الأر ... طالِ في ثوب صبغها الأرجواني

رسموا طين دنّها وهو رطب ... باسم كسرى كسرى أنو شروان

وترى سوسن الكؤوس عليها ... كسوة من شقائق النُّعمانِ

⇐

الرّابعة: أن لا يفهم معنى الأوّل إلّا بالثّاني، ويُسمّى **التّصريع النّاقص**، كقول أبي الطّيّب:

⇐ ثمّ خفق الطّبول بين الأغاني ... واصطكاك الأوتار في العِيْدانِ
والسّماع الّذي يملّ على الأسْـ ... ـمَاعِ ما تشتهي بلا ترجُمَانِ
كلّ صوت من اقتراحات إسحا ... ق الّتي زيّنت كتاب الأغاني
لا أَعُدُّ الصَّبُوحَ إلّا غَبُوْقاً ... إن جعلتُ الصَّبُوْحَ بعد الأَذَانِ
يا خليليّ قد عَطِشْتُ وفي الخمـ ... ـرةِ ريّ للحائم العَطْشانِ
فاسقياني محض الّتي نطق الوَحْـ ... ـيُ بتحريمها من القرآن
والّتي ليس للتأوّل فيها ... مذهبٌ غير طاعة الشَّيْطَانِ
واعدلا بي عن الّتي هدّت النّا ... رُ قُواهَا وحنقت بالدّخان
إنّني خشيةً من النّار أخشى ... كلّ شيءٍ يُمسّ بالنّيران
لا تخافا عليّ دقّة كَشْحِي ... لا تكال الرّجال بالقُفْزانِ
فاسقياني بين الدّنان إلى أن ... تترياني كبعض تلك الدّنان
مقعداً بعد خفّتي في نهوضي ... أخرساً بعد كثرة الهذيان
سكرة بعد سكرةٍ تثبت اسمي ... في المفاليج أو مع العميان
اسقياني في المهرجان ولو كا ... نَ لخمسٍ بَقِيْنَ من رَمَضَانِ
اسقياني فقد رأيت بعيني ... في قرار الجحيم أين مكاني
كلّ شيءٍ قدّمته لي فيه ... رأس مالٍ يأوي إلى الخُسْرَانِ
غير حبّي آل الحواميم والحَشْـ ... ـرِ وطه وسورة الرَّحْمَانِ
خمسةٌ حبّهم إذا اشتدّ خوفي ... ثقتي عند خالقي وأماني
قد تيقّنتُ أنّهم ينقلوني ... من يدي مالِكٍ إلى رِضْوَانِ
بهم قد أمنتُ خوف معادي ... وبهذا الوزير خوف زماني
يا أبا طاهر ولولاك ما كا ... نَ لبدر السماء في الأرض ثاني
لك يا سيّدي دعا الفطر والأَضْـ ... ـحَى ويوم النّيروز والمِهْرَجَانِ

والقصيدة برمّتها موجودة في «يتيمة الدّهر» للثعالبيّ.

مَغَانِي الشِّعْبِ طِيباً فِي المَغَاني[(١)] بِــمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِـنَ الزَّمَـانِ

---

(١) **قوله: «مغاني الشّعب طيباً في المغاني»**. البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب المقطوف والقائل المتنبّي من قصيدة يمدح بها عضد الدّولة ويذكر في طريقه إليه شِعب بَوَّان وهو مكان ببلاد «فارس» مشهور بطيب الماء والهواء ويقال: الجنان في الدّنيا أربع: أحدها: شِعْب بَوَّان فارس. والثّانية: نهر الأُبُلَّة بالبصرة. والثّالثة: غُوْطَةُ دِمَشْق. والرّابعة: صُغْد سمرقند. وقال الأصمعيّ: جِنان الدّنيا ثلاث: غُوْطَةُ دمشق، ونهر بلخ، ونهر الأُبُلَّة ـ كما في معجم البُلْدان ـ.

مَغَاني الشِّعْبِ طِيباً في المَغَاني ... بِمَنزِلَةِ الرّبيعِ مِنَ الزّمَانِ
وَلَكِنَّ الفَتى العَرَبيّ فِيهَا ... غَرِيبُ الوَجْهِ وَاليَدِ وَاللّسَانِ
مَلاعِبُ جِنّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا ... سُلَيْمانٌ لَسَارَ بِتُرْجُمَانِ
طَبَتْ فُرْسَانَنَا وَالخَيلَ حتّى ... خَشِيتُ وَإنْ كَرُمنَ من الحِرَانِ
غَدَوْنَا تَنْفُضُ الأغْصَانُ فيهَا ... على أعْرافِهَا مِثْلَ الجُمَانِ
فسِرْتُ وَقَدْ حَجَبنَ الحَرّ عنّي ... وَجِئْنَ مِنَ الضّياءِ بمَا كَفَاني
وَألْقَى الشّرْقُ مِنْهَا في ثِيَابي ... دَنَانِيراً تَفِرّ مِنَ البَنَانِ
لهَا ثَمَرٌ تُشِيرُ إلَيْكَ مِنْهُ ... بأشْرِبَةٍ وَقَفْنَ بِلا أوانِ
وَأمْوَاهٌ تَصِلّ بِهَا حَصَاهَا ... صَليلَ الحَلْيِ في أيدي الغَوَاني
وَلَوْ كانَتْ دِمَشْقَ ثَنى عِنَاني ... لَبِيقُ الثُّرْدِ صِينيُّ الجِفَانِ
يلَنْجُوجيُّ ما رُفِعَتْ لضَيْفٍ ... بِهِ النّيرانُ نَدّيُّ الدّخَانِ
تَحِلُّ بِهِ عَلى قَلْبٍ شُجاعٍ ... وَتَرْحَلُ منهُ عَن قَلبِ جَبَانِ
مَنَازِلُ لمْ يَزَلْ مِنْهَا خَيَالٌ ... يُشَيّعُني إلى النَّوْبَنْذَجَانِ
إذا غَنّى الحَمَامُ الوُرْقُ فيهَا ... أجَابَتْهُ أغَانيُّ القِيانِ
وَمَنْ بالشِّعْبِ أحْوَجُ مِنْ حَمام ... إذا غَنّى وَنَاحَ إلى البَيَانِ
وَقَدْ يَتَقَارَبُ الوَصْفانِ جِدّاً ... وَمَوْصُوفَاهُمَا مُتَبَاعِدانِ
يَقُولُ بشِعْبِ بَوّانٍ حِصَاني: ... أعَنْ هَذا يُسَارُ إلى الطّعَانِ

⇐

⇐ أبُـوكُمْ آدَمٌ سَـنّ المَـعَاصِي وَعَـلّمَكُمْ مُـفَارَقَةَ الجِـنَانِ
فَـقُلتُ: إذا رأيْتُ أبَـا شُـجاعٍ سَـلَوْتُ عَـنِ العِبادِ وَذا المَكـانِ
فَـإنّ النّـاسَ وَالدُّنْـيَا طَـرِيقٌ إلى مَـنْ مَـالَهُ فـي النّـاسِ ثَـانِ
لَـقد عَـلّمتُ نَـفسِي القَـوْلَ فـيهِمْ كَـتَعْليم الطِّـرَادِ بِـلا سِـنَانِ
بِـعَضْدِ الدّوْلَـةِ امتَنَعَتْ وَعَـزّتْ وَلَـيسَ لغَـيرِ ذي عَـضُدٍ يَـدانِ
وَلا قَبضٌ على البِيضِ المَـوَاضِـي وَلا حَـظٌّ مـنَ السُّـمْرِ اللّـدَانِ
دَعَـتْهُ بـمفزَع الأعـضاء مـنها لِيَـوم الحـربِ بِكْـرٍ أو عَـوَانِ
فَـمَا يُسْـمِيْ كَـفَنّاخُسْرَ مُسْـمٍ وَلا يَكْـنِي كَـفَنّاخُسرَ كَـانِ
وَلا تُـحْصَى فَـضَائِلُهُ بِـظَنٍّ وَلا الإخْـبَارِ عَـنْهُ وَلا العِـيانِ
أُرُوضُ الناسِ مِنْ تُـرْبٍ وَخَـوْفٍ وَأرْضُ أبـي شُـجَاعٍ مِـنْ أمَـانِ
يُـذِمّ عـلى اللّصُوصِ لكُـلّ تَـجْرٍ وَيَـضْمَنُ للـصّوَارِمِ كـلَّ جَـانِ
إذا طَـلَبَتْ وَدائِـعُهُمْ ثِـقَاتٍ دُفِـعْنَ إلى المَـحَاني وَالرِّعَـانِ
فَـبَاتَتْ فَـوْقَهُنّ بِـلا صِـحابٍ تَـصِيحُ بِـمَنْ يَـمُرُّ: ألا تَـرَانـي
رُقَـاهُ كـلُّ أبـيَضَ مَشْـرَفيٍّ لِكُـلّ أصَـمَّ صِـلٍّ أُفْـعُوَانِ
وَمَـا تُـرْقَى لُـهَاهُ مِـنْ نَـدَاهُ وَلا المَـالُ الكَـريمُ مِـنَ الهَـوَانِ
حَـمَى أطْـرَافَ فـارِسَ شَمّرِيٌّ يَـحُضّ عـلى التّـبَاقي بـالتّفاني
بِـضَرْبٍ هَـاجَ أطْـرَابَ المَـنَايَا سِـوَى ضَـرْبِ المَثَالِثِ وَالمَثَاني
كأنّ دَمَ الجَـماجِم فـي العَـناصِي كَسَـا البُـلدانَ رِيشَ الحَـيقُطانِ
فَلَوْ طُـرِحَتْ قُـلُوبُ العِشْـقِ فـيها لمَـا خـافَتْ مِـنَ الحَـدَقِ الحِسانِ
وَلم أرَ قَـبْلَهُ شِـبْلَيْ هِـزَبْرٍ كَشِـبْلَيْهِ وَلا مُـهْرَيْ رِهَـانِ
أشَـدَّ تَـنَازُعاً لكَـرِيمِ أصْـلٍ وَأشْـبَهَ مَـنظَراً بأبٍ هِـجَانِ
وأكـثرَ فـي مَـجَالِسِهِ اسـتِمَاعاً فُـلانٌ دَقّ رُمْـحاً فـي فُـلانِ
وَأوّلُ رَأيَـةٍ رَأيَـا المَـعَالي فَـقَدْ عَـلِقَا بِـهَا قَـبلَ الأوَانِ

⇐

الخامسة: أن يكون التّصريع بلفظة واحدة في المِصْراعين، ويُسمّى **التّصريع المكرّر**.

وهو ضربان؛ لأنّ اللّفظة إمّا متّحدة المعنى في المِصْراعين، كقول عبيد بن الأبرص:

فَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَـؤُوبُ [1] **وَغَائِبُ الْمَوتِ لا يَؤُوبُ**

⇐ وَأوّلُ لَـفْظَةٍ فَـهِمَا وَقَـالا: إغَـاثَةُ صَـارِخٍ أوْ فَكُّ عَـانِ
وَكـنْتَ الشّـمسَ تَـبهَرُ كـلّ عَـينٍ فكَـيفَ وَقَـدْ بَـدَتْ مـعَها اثـنَتَانِ
فَـعَاشَا عـيشةَ القَـمَرَيْنِ يُـحْيَا بِـضَوْئِهِمَا وَلا يَـتَحَاسَدَانِ
وَلا مَـلَكَا سِـوَى مُـلْكِ الأعَـادي وَلا وَرِثَـا سِـوَى مَـنْ يَـقْتُلانِ
وَكَـانَ ابْـنا عَـدُوٍّ كَـاثَرَاهُ لَـهُ يَـاءَيْ حُـرُوفِ أُنَـيْسِيَانِ
دُعَـاءٌ كـالثّنَاءِ بِـلا رِئَـاءٍ يُـؤدّيهِ الجَـنَانُ إلى الجَـنَانِ
فَـقد أصْـبَحتَ مـنهُ فـي فِـرِنْدٍ وَأصْـبَحَ مـنكَ فـي عَـضْبٍ يَـمَانِ
وَلَـوْلا كَـوْنُكُمْ فـي النّـاسِ كـانوا هُـرَاءً كـالكَلامِ بِـلا مَـعَانِ

(١) **قوله: «فكلّ ذي غيبة يؤوب»**. البيت من مخلّع البسيط والوزن: «مُسْ تَفْ عِلُنْ، فاعلن، فعولن» والقائل عبيد بن الأبرص الشاعر المشهور المتوفّى سنة ٢٥ قبل الهجرة من قصيدة طويلة يقول فيها:

أَقْـفرَ مـن أهـله «مَـلْحُوبُ» فـ«القُـطْبِيّاتُ» فـ«الذَّنُـوبُ»
فـ«راكس» فـ«ثُـعَيْلِبَاتٌ» فـ«ذات فرقين» فـ«القـليبُ»
فـ«عَـرْدَةٌ» فـ«قـفاحِبَر» ليس بـها مـنهم عـريب
إنْ بـدّلت أهـلها وُحُـوشاً وغـيَّرتْ حـالها الخُـطُوْبُ
أرض تـوارثـها شُـعُوبٌ وكـلّ مـن حَـلّها مـحروبُ

قال:

فكـلّ ذي نـعمة مَـخْلُوسٌ وكـلّ ذي أَمَـلٍ مَكْـذُوْبُ
⇐

وهذا أنزل درجةً.

وإمّا مختلفة المعنى لكونه مجازاً، كقول أبي تَمَّامٍ:

فَتىً كانَ شِرْباً لِلعُفاةِ وَمَـرْتَعاً[1] فَأَصْبَحَ لِلْهِنْدِيَّةِ البِـيضِ مَـرْتَعا

⇐ وكلّ ذي إبِلٍ مـوروثٌ وكـلّ ذي سَـلَبٍ مسلوبُ

كـلّ ذي غـيبة يـؤوبُ وغـائب المـوت لا يـؤوبُ

أعـاقرٌ مـثل ذات رحـمٍ أم غَـنِمٌ مـثل مـن يـخيبُ

قال:

مـن يَسْأَلِ النّاس يَـحْرِمُوه وسـائل الله لا يَـخِيْبُ

بـاللّه يُـدْرَكُ كُـلُّ خـيرٍ والقـول فـي بعضه تـلغيبُ

والله ليس له شـريكٌ عـلّامُ مـا أخـفَتِ القُـلُوبُ

وهي طويلة لا حاجة إلى ذكر الباقي في هذا الموضع.

(١) **قوله: «فتىً كان شرباً للعُفاة ومرتعاً»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المماثل والقائل أبو تمّام حبيب بن أوْس بن الحارث الطّائي ١٨٨ ـ ٢٣١هـ من قطعة يرثي بها أبا نصرٍ:

أَصَمَّ بك النّاعي وإن كـان أسـمعا وأصبح مغنى الجُود بعدك بـلقعا

للـحد أبـي نـصرٍ تـحيّة مُـزْنَةٍ إذا هي حَيَّتْ مُـمْعِراً عـاد مُـمْرِعا

فـلم أر يـوماً كـان أشـبه سـاعةً بيومي من اليوم الّـذي فـيه ودّعـا

مَصِيْفٌ أفاد الحـزنُ فـيه جـداولاً من الدَّمْعِ حتّى خـلتُهُ عـاد مـربعا

ووالله لا تقضي العُـيُونُ الّـذي له عليها ولو صارت مع الدّمع أدمُعَا

فَـتىً كـان شِـرْباً للـعُفَاةِ ومـرتعاً فأصـبَحَ للـهنديّة البـيض مـرتَعَا

فتىً كلّما ارْتَادَ الشّجاعُ من الرَّدَى مفرّاً غَدَاةَ المأزَقِ ارتـاد مـصرعا

إذا ساء يـومٌ فـي الكـريهة مـنظراً تصلّاه علماً أن سَـيَحْسُنُ مَسْـمَعَا

فإن تُرْمَ عن عُمْرٍ تدانَى به المَدَى فخانَكَ حتّى لم يجد فيك مَـنْزَعا

فما كنت إلّا السّيف لا في ضريبةٍ فـقطّعها ثـمّ انـثنى فـتقطّعا

* * *

السّادسة: أن يكون المِصْراع الأوّل معلّقاً على صفة يأتي ذكرها في أوّل الثّاني، ويُسمّى **التّعليق**، كقول امرئ القيس:

أَلاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِي[1] **بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ**

---

(١) **قوله**: «**ألا أيّها اللّيل الطّويل ألا آنْجَلِ**». البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المشابه وهو من المعلّقة المشهورة لامرئ القيس يقول فيها:

وليلٍ كموج البحر أرخى سُدُوْلَهُ عَلَيَّ بأنواع الهموم ليبتلي
فقلتُ له لمّا تمطّى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكلِ
ألا أيّها الليل الطّويل أَلَا آنْجَلِي بصُبْحٍ وما الإصباح منكِ بأَمْثَلِ
فيالك من ليل كأنّ نجومه بكلِّ مُغَار الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ
وقد أغتدي والطَّيْرُ في وُكُنَاتِهَا بمنجردٍ قيد الأوابد هَيْكَلِ
مِكَرٍّ مِفَرٍّ، مُقْبِلٍ، مُدْبِرٍ معاً كجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ
كُمَيْتٌ يَزِلُّ اللّبد عن حال متنه كما زلّت الصَّفْواءُ بالمتنزّل
مِسَحٍّ إذا ما السَّابِحَاتُ على الوَنَى أَثَرْنَ غُبَاراً بالكديد المُرَكَّلِ
على العقب جَيَّاشٍ كأنّ اهتزامه إذا جاش فيه حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ
يطير الغلامُ الخِفُّ عن صهواته ويلوي بأثواب العنيف المُثَقَّلِ
دَرِيْرٍ كَخُذْرُوفِ الوليد أمرّه تقلّبُ كفّيه بِخَيْطٍ موصَّلِ
له أيطلاً ظبيٍ وساقا نَعَامَةٍ وإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وتقريب تَتْفُلِ
كأنّ على الكتفين منه إذا انتحى مَدَاكُ عَرُوْسٍ أو صَلاية حَنْظَلِ
وبات عليه سَرْجُهُ ولِجَامُهُ وبات بعيني قائماً غير مُرْسَلِ
فعَنَّ لنا سِرْبٌ كأنّ نعاجه عذارى دوارٍ في مُلَاءٍ مُذَيَّلِ
فأَدْبَرْنَ كالجِزْعِ المُفَصَّلِ بينه بِجِيْدٍ مُعَمّ في العشيرة مُخْوِلِ
فألحقنا بالهاديات ودونه جَوَاحِرُهَا في صَرَّةٍ لَمْ تُزَيَّلِ
فعَادَى عِداءً بين ثَوْرٍ ونعجةٍ دراكاً ولم يَنْضَحْ بماءٍ فيُغْسَلِ

وهي طويلة لا حاجة إلى ذكر الباقي.

لأنّ الأوّل معلّق بـ«صبح» وهذا معيب جدّاً.

السّابعة: أن يكون التّصريع في البيت مخالفاً لقافيته، ويُسمّى **التّصريع المشطور**، كقول أبي نؤاس:

أَقِلْنِي قَدْ نَدِمْتُ مِنَ الذُّنُوبِ[1] **وَبِالإِقْرَارِ عُذْتُ مِنَ الْجُحُودِ**

فصرّع بالباء ثمّ قفّاه بالدّال، انتهى كلامه[2]. ولا يخفى أنّ السّابعة خارجة مما نحن فيه.

[الموازنة]

﴿ **ومنه** ﴾ أي: من اللّفظيّ ﴿ **الموازنة، وهي تساوي الفاصلتين** ﴾ أي: الكلمتين الأخيرتين من الفِقْرَتَيْنِ أو من المِصْرَاعين ﴿ **في الوزن، دون التّقفية نحو**: ﴿ **وَنَمَارِقُ**[3] **مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ**[4] **مَبْثُوثَةٌ** ﴾[5] ﴾ فلفظا «مصفوفة» و«مبثوثة» متساويان في الوزن دون التّقفية؛ لأنّ الأوّل على الفاء، والثّاني على الثّاء؛ إذ لا عِبْرَةَ بتاء التّأنيث على ما بيّن في «علم القوافي».

ومثله قوله:

---

(١) **قوله: «أَقِلْنِي قد نَدِمْتُ على ذنوبي»**. البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب المماثل والقائل أبو نُؤاسٍ الحسن بن هانئ بن عبدالأوّل بن صُبَاح الحَكَمِيّ بالوَلَاء ١٤٦ـ ١٩٨هـ وتمامه:

أَقِلْنِي قد نَدِمْتُ على ذُنُوبي وبالإِقْرار عُذْتُ من الجُحُوْدِ

وإِنْ تَصْفَحْ فإِحْسَانٌ جَدِيْدٌ سَبَقْتَ به إلى شُكْرٍ جديدِ

* * *

(٢) المثل السّائر ١: ٢٥٨ـ ٢٦٠.

(٣) جمع «نمرقة» ـ بضمّ النّون والرّاء وبكسرهما ـ وبغير هاء الوسادة الصّغيرة.

(٤) جمع «زِرْبِيَة» ـ بكسر الزّاي وتخفيف الياء ـ البِساط الفاخر.

(٥) الغاشية: ١٥ـ ١٦.

هُوَ الشَّمْسُ قَدْراً وَالْمُلُوكُ كَـوَاكِبُ[١]   هُـوَ الْـبَحْرُ جُـوداً وَالْكِـرَامُ جَـداوِلُ

[النّسبة بين السّجع والموازنة]

والظّاهر من قوله: «دون التّقفية» أنّه يجب في **الموازنة** أن لا تتساوى الفاصلتان في التّقفية البتّة، وحينئذٍ يكون بينها وبين السّجع **تباين**.

ويحتمل أن يريد أنّه يشترط فيها التّساوي في الوزن ولا يشترط التّساوي في التّقفية، وحينئذٍ يكون بينها وبين السّجع **عموم وخصوص من وجه** لتصادقهما في مثل ﴿ **سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ** ﴾[٢] وصدق الموازنة بدون السّجع في مثل ﴿ **وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ** ﴾[٣] وبالعكس في مثل: ﴿ **مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً** ﴾[٤].

[كلام لابن الأثير]

وأمّا ما ذكره ابن الأثير في «المثل السّائر» ـ: من أنّ الموازنة هي تساوي فواصل النّثر[٥] وصدر البيت وعَجُزه في الوزن لا في الحرف أيضاً ـ كما في السّجع ـ فكلّ

---

(١) **قوله: «هو الشّمس قدراً والملوكُ كواكب»**. البيت من الطّويل على العَروض المقبوضة مع الضّرب المشابه، والقائل غير معلومٍ لي، ولم أعثُر على تمام البيت أيضاً.

(٢ و٣) الغاشية: ١٣ ـ ١٦.

(٤) نوح: ١٣ ـ ١٤.

(٥) **قوله: «الموازنة هي تساوي فواصل النّثر»**. وهذا نصّه في النّوع الخامس من القسم الثّاني من المقالة الأُولى من كتاب «المَثَل السّائر» ١: ٢٩١: وهي ـ أي: الموازنة ـ: أن تكون ألفاظُ الفواصل من الكلام المنثور متساويةً في الوزن، وأن يكون صدر البيت الشعريّ وعجزه متساويي الألفاظ وزناً، وللكلام بذلك طَلَاوة ورَوْنَق وسببه الاعتدال، لأنّه مطلوب في جميع الأشياء، وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلةً وقعت من النّفس موقع الاستحسان، وهذا

⇐

سجع موازنة وليس كلّ موازنة سجعاً[١] ـ **فمبنيّ** على أنّه يشترط في **السّجع** تساوي الفاصلتين في الوزن ولا يشترط في **الموازنة** تساويهما في الحرف الأخير كـ«شديد» و«قريب» ونحو ذلك.

[موازنة المماثلة]

﴿**فإن كان**﴾ أي: ثمّ إذا تساوى الفاصلتان في الوزن دون التّقفية، فإن كان ﴿**ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر**﴾ أي: أكثر ما في إحدى القرينتين ﴿**مثل ما يقابله**﴾ من الألفاظ ﴿**من القرينة الأُخرى في الوزن**﴾ سواء كان مثله في التّقفية أو لم يكن ﴿**خصّ**﴾ هذاالنّوع من الموازنة ﴿**باسم المماثلة**﴾ فهي من الموازنة بمنزلة التّرصيع من السّجع.

[جريان الموازنة في النّظم والنّثر معاً]

ولمّاكان في كلام البعض ما يُشعر بأنّ **الموازنة** ـ المفسّرة بما فسّر به **المماثلة** ـ ممّايختصّ بالشّعر **أورد** لها مِثَالاً من النّثر، ومثالاً من الشّعر، تنبيهاً على أنّها تجري في النّثر والنّظم جميعاً ولاتختصّ بالنّظم ـ على ما هومذهب البعض ـ وعُلِمَ منه أنّ المماثلة لا تختصّ بالنّثر ـ كما سبق إلى الوهم من قوله: «هي تساوي الفاصلتين» ـ فقال: ﴿**نحو**: ﴿**آتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾[٢].

⇐ لا مِراء فيه لوضوحه.

وهذا النّوع من الكلام هو أخو السَّجْعِ في المعادلة دون المماثلة، لأنّ في السَّجْعِ اعتدالاً، وزيادةً على الاعتدال، وهي تماثل أجزاء الفواصل يُوردها على حرفٍ واحدٍ.

وأمّا **الموازنة** ففيها الاعتدال الموجود في السَّجْعِ، ولا تماثُلَ في فواصلها، فيقال إذاً: كُلُّ سَجْعٍ موازنةٌ وليس كُلُّ موازنةٍ سجعاً، وعلى هذا فالسَّجْعُ أخَصُّ من الموازنة اهـ.

(١) المَثَلُ السّائر ١: ٢٩١.

(٢) الصّافّات: ١١٧ـ١١٨.

وقوله ﴾ أي: نحو قول أبي تَمَّام:

﴿ مَهَا الْوَحْشِ ﴾ أي: بقر الوحش ﴿ إلاّ أنَّ هـاتا أَوَانِسُ ﴾[1] أي: هـذه النّساء تَأْنَسُ بك وتحدّثك ومها الوحش نوافر.

﴿ قَنَا الخَطِّ إلاّ أنَّ تِلْكَ ﴾ القَنا ﴿ ذَوابِل ﴾ والنّساء نواضر لا ذُبُولَ فيها.

---

(١) قوله: «مها الوحش إلّا أنّ هاتا أوانس». البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المماثل والقائل أبو تَمَّام ـ رحمه الله ـ من قصيدةٍ يمدح بها الوزير محمّد بن عبدالملك الزّيّات يقول:

متى أنتَ عن ذُهْلِيّة الحَيِّ ذاهِلُ	وقلبُكَ منها مدّة الدَّهْرِ آهِلُ
تُطِلُّ الطُّلُوْلُ الدَّمْعَ في كُلِّ مَوْقِفٍ	وتَمْثُلُ بالصّبر الدِّيَارُ المَوَاثِلُ
دوارِسُ لم يجفُ الرَّبِيْعُ رُبُوْعَهَا	ولا مَرَّ في أغفالها وهو غافِلُ
فقد سَحَبَتْ فيها السَّحَائِبُ ذيلها	وقد أُخْمِلَتْ بالنّور فيها الخَمَائِلُ
تَعَفَّيْنَ من زادِ العُفَاةِ إذا انتحى	على الحيّ صرفُ الأَزْمَةِ المتماحِلُ
لهم سَلَفٌ سُمْرُ العَوَالي وسَامِرٌ	وفيهم جَمَالٌ لا يغيض وجامِلُ
ليالي أَضْلَلْتَ العزاء وجَوَّلَتْ	بِعَقْلِكَ آرام الخدورِ العقائِلُ
من الهيف لو أنّ الخلاخِلَ صُيِّرَتْ	لها وُشُماً جالت عليها الخلاخِلُ
مَهَا الوَحْشِ إلّا أنّ هاتا أوانس	قنا الخطّ إلّا أنّ تلك ذوابِلُ
هَوىً كان خِلْساً إنّ من أحسن الهَوَى	هَوىً جُلْتَ في أفنائه وهو خامِلُ
أبا جعفرٍ إنّ الجهالة أُمُّها	وَلُوْدٌ، وأُمّ العلم جَدَّاءُ حائِلُ
أرى الحَشْوَ والدَّهْماء أَضْحَوْا كأنّهم	شُعُوبٌ تلاقَتْ دوننا وقبائِلُ
غَدَوْا وكأنّ الجَهْلَ يجمعهم به	أَبٌ وذووا الآدابِ فيهم نواقِلُ
فَكُنْ هَضْبةً نأوي إليها وحَرَّةً	يُعَرِّدُ عنها الأعوجيُّ المَنَاقِلُ
فإنّ الفتى في كُلِّ ضربٍ مُنَاسِبٌ	مَنَاسِبَ روحانيّةً من يشاكِلُ
ولم تنظم العِقْدَ الكعابُ لِزِيْنَةٍ	كما تنظم الشَّمْعَ الشَّتِيتَ الشّمائِلُ

وهي طويلة لا حاجة إلى ذكر الباقي.

الظّاهر أنّ الآية والبيت ممّا يكون أكثر ما في إحدى القرينتين مثل ما يقابله من الأُخرى لا جميعه؛ إذ لا يتحقّق تماثل الوزن في «آتيناهما» و«هديناهما» وكذا في «هاتا» و«تلك».

ومثال الجميع قول البُحْتُرِيّ:

فَأَحْجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَعاً[1] وَأَقْدَمَ لَـمَّا لَـمْ يَـجِدْ عَـنْكَ مَـهْرَبا

---

(١) قوله: «**فأحجم لمّا لم يَجِدْ فيك مَطْمَعَا**». البيت من الطّويل على العَروض المقبوضة مع الضّرب المشابه، والقائل البُحْتُرِيّ من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان، ويذكر مبارزته الأسد، مبتدئاً القصيدة بالنسيب:

أَجِـدَّكَ مَـا يَـنْفَكُّ يَسْـرِي لِـزَيْنَبَا خَـيَالٌ إذَا آبَ ٱلظَّـلَامُ تَأَوَّبَـا
سَرَى مِنْ أَعَالِي ٱلشَّامِ يَجْلُبُه ٱلْكَرَى هُـبُوبَ نَسِـيمِ ٱلرَّوْضِ تَـجْلُبُهُ ٱلصَّبَا
وَمَـا زَارَنِـي إلَّا وَلِـهْتُ صَـبَابَةً إلَـيْهِ وَإلَّا قُـلْتُ أَهْـلاً وَمَـرْحبَا
وَلَـيْلَتَنَا بِـٱلْـجِزْعِ بَـاتَ مُسَـاعِفاً يُـرِينِي أَنَـاةَ ٱلْـخَطْوِ نَـاعِمَةَ ٱلصِّبَا
أَضَـرَّتْ بِـضَوْءِ ٱلْـبَدْرِ وَٱلْـبَدْرُ طَالِعٌ وَقَـامَتْ مَـقَامَ ٱلْـبَدْرِ لَـمَّا تَـغَيَّبَا
وَلَـوْ كَـانَ حَـقّاً مَـا أَتَـتْهُ لأَطْـفأَتْ غَـلِيلاً وَلافْـتَكَّتْ أَسِـيراً مُـعَذَّبا
عَـلِمْتُكِ إنْ مَـنَّيْتِ مَـنَّيْتِ مَـوْعِداً جَـهَاماً وَإنْ أَبْـرقْتِ أَبْـرَقْتِ خُـلَّبَا
وَكُـنْتُ أَرَى أَنَّ ٱلصُّـدُودَ ٱلَّـذِي مَـضَى دَلَالٌ فَـمَا إنْ كَـانَ إلَّا تَـجَنُّبَا
فَـوَا أَسَـفِي حَـتَّامَ أَسْأَلُ مَـانِعاً وَآمَـنُ خَـوَّانـاً وَأُعْـتِبُ مُـذْنِبَا
سَأَثْـنِي فُـؤَادِي عَـنْكِ أَوْ أَتْـبَعُ ٱلْـهَوَى إلَـيْكِ إنِ ٱسْـتَعْصَى فُـؤَادِيَ أَوْ أَبَـى
أَقُـولُ لِـرَكْبٍ مُـعْتَفِينَ تَـدَرَّعُوا عَـلَى عَـجَلٍ قِـطْعاً مِـنَ ٱللَّيْلِ غَـيْهَبَا
رِدُوا نَـائِلَ ٱلْـفَتْحِ بْـنِ خَـاقَانَ إنَّـهُ أَعَـمُّ نَـدًى فِـيكُمْ وَأَقْـرَبُ مَـطْلَبَا
هُـوَ ٱلْـعَارِضُ ٱلثَّجَّاجُ أَخْـضَلَ جُـودُهُ وَطَـارَتْ حَـوَاشِـي بَـرْقِهِ فَـتَلَهَّبَا
إذَا مَـا تَـلَظَّى فِـي وَغـىً أَصْـعَقَ ٱلْعِدَى وَإنْ خَـاضَ فِـي أُكْـرُومَةٍ غَـمَرَ ٱلرُّبَـا
رَزِيـنٌ إذَا مَـا ٱلْـقَوْمُ خَـفَّتْ حُـلُومُهُمْ وَقُـورٌ إذَا مَـا حَـادِثُ ٱلدَّهْـرِ أَجْـلَبَا

⇐

⇐ حَيَاتُك أَنْ يَلْقَاكَ بِٱلْجُودِ رَاضِياً ... وَمَوْتُك أَنْ يَلْقَاكَ بِٱلْبَأْسِ مُغْضَبَا
حَرُونٌ إذَا عَازَزْتَهُ فِي مُلِمَّةٍ ... فَإِنْ جِئْتَهُ مِنْ جَانِبِ ٱلذُّلِّ أَصْحَبَا
فَتًى لَمْ يُضَيِّعْ وَجْهَ حَزْمٍ وَلَمْ يَبِتْ ... يُلاحِظُ أعْجَازَ ٱلْأُمُورِ تَعَقُّبَا
إذَا هَمَّ لَمْ يَقْعُدْ بِهِ ٱلْعَجْزُ مَقْعَداً ... وَإِنْ كَفَّ لَمْ يَذْهَبْ بِهِ ٱلْخُرْقُ مَذْهَبَا
أُعِيرَ مَوَدَّاتِ ٱلصُّدُورِ وَأُعْطِيَتْ ... يَدَاهُ عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ نَصْراً مُرَهَّبَا
وَقَيْنَاكَ صَرْفَ ٱلدَّهْرِ بِٱلْأَنْفُسِ ٱلَّتِي ... تُبَجِّلُ لاَ نَالُوكَ أُمّاً وَلاَ أَبَا
فَلَمْ تَخْلُ مِنْ فَضْلٍ يُبَلِّغُكَ ٱلَّتِي ... تُحِبُّ وَمِنْ رَأْيٍ يُرِيكَ ٱلْمُغَيَّبَا
وَمَا نَقِمَ ٱلْحُسَّادُ إلَّا أَصَالَةً ... لَدَيْكَ وَفِعْلاً أَرْيَحِيّاً مُهَذَّبَا
وَقَدْ جَرَّبُوا بِٱلْأَمْسِ مِنْكَ عَزِيمَةً ... فَضُلْتَ بِهَا ٱلسَّيْفَ ٱلْحُسَامَ ٱلْمُجَرَّبَا
غَدَاةَ لَقِيتَ ٱللَّيْثَ وَٱللَّيْثُ مُخْدِرٌ ... يُحَدِّدُ نَاباً لِلِّقَاءِ وَمِخْلَبَا
يُحَصِّنُهُ مِنْ نَهْرِ نَيْزِكَ مَعْقِلٌ ... مَنِيعٌ تَسَامَى رَوْضُهُ وَتَأَشَّبَا
يَرُودُ مَغَاراً بِٱلظَّوَاهِرِ مُكْثَباً ... وَيَحْتَلُّ رَوْضاً بِٱلْأَبَاطِحِ مُعْشِبا
يُلاَعِبُ فِيهِ أُقْحُوَاناً مُفَضَّضاً ... يَبِصُّ وَحَوْذَاناً عَلَى ٱلْمَاءِ مُذْهَبَا
إذَا شَاءَ غَادَى عَانَةً أَوْ غَدَا عَلَى ... عَقَائِلِ سِرْبٍ إنْ تَنَقَّصَ رَبْرَبَا
يَجُرُّ إلَى أَشْبَالِهِ كُلَّ شَارِقٍ ... عَبِيطاً مُدَمًّى أَوْ رَمِيلاً مُخَضَّبَا
وَمَنْ يَبْغِ ظُلْماً فِي حَرِيمِكَ يَنْصَرِفْ ... إلَى تَلَفٍ أَوْ يَثْنِ خَزْيَانَ أَخْيَبَا
شَهِدْتُ لَقَدْ أَنْصَفْتَهُ يَوْمَ تَنْبَرِي ... لَهُ مُصْلَتاً عَضْباً مِنَ ٱلْبِيضِ مُقْضَبَا
فَلَمْ أَرَ ضِرْغَامَيْنِ أَصْدَقَ مِنْكُمَا ... عِرَاكاً إذَا ٱلْهَيَّابَةُ ٱلنِكْسُ كَذَّبَا
هِزَبْرٌ مَشَى يَبْغِي هِزَبْراً وَأَغْلَبٌ ... مِنَ ٱلْقَوْمِ يَغْشَى بَاسِلَ ٱلْوَجْهِ أَغْلَبَا
أُدِلَّ بِشَغْبٍ ثُمَّ هَالَتْهُ صَوْلَةٌ ... رَآكَ لَهَا أَمْضَى جَنَاناً وَأَشْغَبَا
فَأَحْجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَعاً ... وَأَقْدَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبَا
فَلَمْ يُغْنِهِ أَنْ كَرَّ نَحْوَكَ مُقْبِلاً ... وَلَمْ يُنْجِهِ أَنْ حَادَ عَنْكَ مُنَكِّبَا
حَمَلْتَ عَلَيْهِ ٱلسَّيْفَ لاَ عَزْمُكَ ٱنْثَنَى ... وَلاَ يَدُكَ ٱرْتَدَّتْ وَلاَ حَدُّهُ نَبَا

⇐

[القلب البديعي]

﴿ومنه﴾ أي: من اللّفظيّ ﴿القلب[1]﴾ وهو أن يكون الكلام بحيث إذا قَلَبْتَهُ وبدأتَ من حرفه الآخر إلى الحرف الأوّل كان الحاصل بعينه هو هذا الكلام.

وهو قد يكون في النّظم وقد يكون في النّثر.

أمّا في النّظم فقد يكون بحيث يكون كلّ من المِصْراعين قلباً للآخر كقوله:

* **أرانَا الإلٰهُ هِلالاً أنَارا[2]** *

⇐ وَكُنْتَ مَتَى تَجْمَعْ يَمِينَيْكَ تَهْتِكِ آلـ ـــضَّرِيبَةَ أَوْ لاَ تُبْقِ لِلسَّيْفِ مَضْرِبَا

أَلَـــنْت لِــيَ ٱلأَيَّــامَ مِــنْ بَــعْدِ قَسْــوَةٍ وَعَــاتَبْتَ لِــي دَهْـرِي ٱلْـمُسِيءَ فَأَعْـتَبَا

وَأَلْـبَسْتَنِي ٱلنُّـعْمَى ٱلَّتِي غَـيَّرَتْ أَخِـي عَـــلَيَّ فَأَمْسَـــى نَــازِحَ ٱلدَّارِ أَجْـنَبَا

فَــلاَ فُـزْتُ مِـنْ مَـرِّ ٱللَّـيَالِي بِـرَاحَـةٍ إذَا أَنَـــا لَــمْ أُصْبِحْ بِشُكْـرِكَ مُـتْعَبَا

عَـلَى أَنَّ أَفْـوَافَ ٱلْـقَوَافِــي ضَـوَامِنٌ لِشُكْـرِكَ مَـا أَبْـدَى دُجَـى ٱللَّـيْلِ كَـوْكَـبَا

ثَـــنَاءٌ تَـقَصَّى ٱلْأَرْضَ نَـجْداً وَغَـائِراً وَسَــارَتْ بِــهِ ٱلرُّكْــبَانُ شَــرْقاً وَمَـغْرِبا

(١) قد قسّمت القلب في حاشية «شرح النِّظَام» إلى التّصريفيّ، والبيانيّ والبديعيّ وشرحته هناك شرحاً وافياً، وحررته أيضاً في علم المعاني تحريراً واضحاً، عن التعرّض لذكر القلب البياني فلا حاجة إلى ذكره، وهذا هو بحث القلب البديعيّ وأنا أسميته بذلك.

(٢) **قوله: «أرانا الإله هلالاً أنارا»**. شطر البيت من المتقارب وجدته ضمن تخميس لأبي الفتح نصر الله بن الحسين الحائريّ ١١٠٩ ـ ١١٦٦هـ من المتأخّرين ذكره العلّامة السّماويّ في «الطّليعة من شعراء الشّيعة» يقول فيها:

إذا ضــامك الدَّهْـرُ يـوماً وجـارا فَـلُذْ بِـحِمَى أمنع الخلق جـارا

عـــليّ العـــليّ وصـــنو النّـبيّ وغـيث الوليّ وغـوث الحـيارى

هـــزبر النَّـزَالِ وبــحر النّـوال وشمس الكـمال الّتي لا تـوارى

له ردّت الشّـــمس فــي طـيبةٍ عـلى عـهد خـير البـرايـا جـهارا

وفـــي بـــابلٍ فــقضى عــصره أداءً فـــفاق البـــرايـا جــهارا

⇐

⇐ وردّ له ثالثاً في الغريّ ... ترى قبّة ألبسوها نضارا
هي الشّمس لكنّها مرقد ... لظلّ المهيمن جلّ اقتدارا
هي الشّمس لكنّها لا تغيب ... ولا يحسد اللّيل فيها النّهارا
ولا الكسف يحجب منها السّنا ... ولم تتّخذ برج نحر مدارا
هي الشّمس والشّهب في ضمنها ... قناديلها ليس تخشى استتارا
عروس تجلّت بورديّةٍ ... ولم ترض غير الدّراري نثارا
فهاهي في تربها والشّعاع ... جلاها لعينيك درّاً صِغارا
بدت تحت أحمر فانوسها ... لنا شمعة نورها لا يُوَارَى
هو الشّمع ما احتاج للقطّ قطّ ... ولا النّفخ أطفأه مُذْ أنارا
ملائكة العرش حفّت به ... فراشاً ولم تبغ عنه مطارا
هي التّرس ذهّب ثمّ استظل ... به فارس ليس يخشى افتقارا
وياقوتة خرطت خيمةً ... على ملكٍ فاق «كسرى» و«دارا»
وحقّ عقيق حوى جوهراً ... تخطّى الجبال وعاف البحارا
ولم يتّخذ غير عرش الإله ... له معدناً وكَفَاهُ فخارا
حميّا الجنان لها نشوة ... تسرّ النّفوس وتنفي الخمارا
إذا رشفتها عيون الوفود ... تراهم سكارى وما هم سكارى
عجبتُ لها إذ حَوَتْ يذبلاً ... وبحر بيوم النّدى لا يجارى
وكنت أُفكّر في التّبر لِمْ ... غلا قيمةً وتسامى فخارا
إلى أن بدا فوقها يخطف الـ ... ـنواظر مهما بدا واستنارا
وما يبلغ التّبر من قبّة ... بها عالم الملك زاد افتخارا
ومذ كان صاحبها للإله ... يداً أبداً نعمةً واقتدارا
يد الله من فوق أيديهم ... بدت فوق سرطوقها لا توارى
وقد رفعت فوق سرطوقها ... تشير إلى وافديها جهارا

⇐

وقد لا يكون كذلك بل يكون مجموع البيت قلباً لمجموعه ﴿كقوله﴾ أي: قول القاضي الأرّجاني:

مَوَدَّتُهُ تَدُومُ لِكُلِّ هَوْلٍ[1] وَهَلْ كُلٌّ مَودَّتُهُ تَدُومُ

⇒ هلمّوا إلى من يفيض اللّهى ويردي العِدَا ويفكّ الأسارى
وتدعو عليه السّماء بِالهَنَا لمن زار أعتابها واستجارا
قد اتّصلت بذراع النّجوم وقد صافحتها الثريّا جوارا
وكفّ الخطيب لها قد عنا غداة اختفى وهي تبدو نهارا
قلائدها الشّهب والنّجم قد غدا شنفها والهلال السّوارا
وبالآي خوف عيون الأنام ممنطقة قد بدت كالعذارى
علت في السّموّ فظنّ الجهول بأنّ لها عند كيوان ثارا
وكيف وكيوان والنيّرات بها من صروف الزّمان استجارا
ترى لوفود النّدَى حولها طوافاً بأركانها واعتمارا
وفي قصر غمدان بان القصور غداة تجلّت وإن عزّ دارا
ومهما بدا طاق إيوانها «أرانا الإله هلالاً أنارا»
لعين ذكاء غدا حاجباً بنورٍ أحال اللّيالي نهارا
هلال السّماء له حاسد لذلك رقّ وأبدى اصفرارا
هلال لصومٍ وفطر غدا لهذا يسرّ ويسمو فخارا
له طاق كسرى غدا خاضعاً وقد شقّ من غيظه حين غارا

وهي طويلة ذكرها السّماويّ في «الطّليعة» وقال: إنّها قيل في تذهيب قبّة أميرالمؤمنين ـ عليه السّلام ـ في «النّجف الأشرف».

(١) **قوله: «مودّته تدوم لكلّ هولٍ»**. البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب المماثل، والقائل ناصح الدّين الأرجاني من قصيدة يعتذر فيها ويمتدح بها ذا منصبٍ:

لأيٍّ وَمِيضِ بارِقةٍ أَشِيمُ وَمَرْعى الفَضْلِ في زَمَني هَشِيمُ
أَسِيتُ وَخَدُّ لَيْلِ الشَّعْر مِنِّي بكفِّ الصُّبْحِ مِنْ شَيْبي لَطِيمُ

⇐

⇐ فَعُذْراً إنْ تَغيَّر عَهْدُ شِعْري ... وَقَدْ يُغْضي عَلى الزَلَلِ الحَليمُ
وَما قَصَّرتُ عَنْ شَأوٍ ولٰكِنْ ... سَقِيمٌ كُلُّ ما فَعَلَ السَّقيمُ
وكَيفَ يُجِدُّهُ طَبْعٌ عَقيرٌ ... يَكُوسُ إذا تَخاطَرتِ القُدومُ
ولا أرْضىٰ بِهِ عُذْراً وَلكِنْ ... غَدَوْتُ إلى قُبولِكَ أَسْتَنِيمُ
كما اعْوجَّ الكتابُ على فُصوصٍ ... وَتَقْلِبُهُ الخُتومُ فَيَسْتقيمُ
وكُنتُ وكُلُّ ما أُسْقَى جِمَام ... أَعُدُّ وَكُلُّ ما أرْعىٰ جَميمُ
أَيُفطَمُ عَنْ لِبانِ الشِّعرِ مِثلي ... وَأَعْجَبُ حادثٍ شَيْخٌ فَطيمُ
وَأَسْكُبُ بالتندُّلِ ماءَ وَجهي ... عَلىٰ مَنْ اِسْتَشَنَّ لِيَ الأَدِيمُ
فَإنْ يَكُ قَدْ تَناسَاني لِدَهْري ... كَريمٌ مِنْ بَنيهِ أوْ لَئيمُ
فَهَبْ نَجْداً لِساكِنِهِ وأَعْرِضْ ... وَحَسْبُكَ مِنْ عَرارَتِهِ شَميمُ
وَمَوْقِفُ ساعةٍ في رَسْمِ دارٍ ... وَأَيْدي العِيسِ في لُجَجٍ تَعُومُ
وَقَفْتُ وَمُقْلتي بَخِلتْ بِدَمْعي ... فَأنْكَرَ صاحِبي فَغَداً يَلومُ
فَيا عَوْني ويا عَيْني جَميعاً ... قَبيحٌ مِنْكُما لَوْمٌ وَلُومُ
أُحِبُّ المرءَ ظاهِرُه جَميلٌ ... لِصاحِبِهِ وباطِنُه سَليمُ
بأولىٰ دَعْوتَيَّ لَجِئْتُ طَوْعاً ... إذا ما عَنَّ لي شَرَفٌ مَرومُ
وَفي الفِتْيانِ كُلُّ رَبيطِ جَأْشٍ ... يَرىٰ حَرْبَ الزمانِ ولا يَخِيمُ
مَوَدَّتُهُ تَدومُ لِكُلِّ هَوْلٍ ... وَهَلْ كُلٌّ مَودَّتُه تَدُومُ
حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ والمُصلّىٰ ... وَحَيْثُ تُزارُ زَمْزَمُ والحَطيمُ
أَرُومُ النَّجْحَ إلّا عِنْدَ مَلْكٍ ... سَما فَرْعٌ لَهُ وَزَكا أَرومُ
وأنظِم مِدْحتي إلّا لِنَدْبٍ ... لَهُ مِنْ مَجْدِهِ مَدْحٌ نَظيمُ
وَأَحْسَنُ حِلْيةٍ بَيْتٌ حَديثٌ ... يُصاغُ لِمَنْ لَهُ بَيْتٌ قَديمُ
فَإنْ يَكُ طالَ بي سَفَرُ انْقِباضٍ ... فَها أَنا حانَ لي مِنْهُ قُدومُ
فَأُقْسِمُ لا عَكَفْتُ على خَيَالٍ ... كَما عَكَفَتْ على البَوِّ الرَّؤومُ

⇐

وأمّا في النّثر فما أشار إليه بقوله: ﴿وفي التّنزيل: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾[1] و: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[2]﴾ والحرف المشدّد في هذا الباب في حكم المخفّف؛ لأنّ المعتبر هو الحروف المكتوبة.

⇐ ولي مِنْ نَجْمِ دِينِ الله هادٍ   فَفي وادي الضَّلالةِ لا أَهِيمُ
جِوارٌ مِنْهُ لي ضَوْءٌ ونُورٌ   فَيَوْمي مُشْمِسٌ مِنْه مُغيمُ
تَهلّلَ مِنْهُ في عَيْني غَمامٌ   تَمَزَّقُ فيهِ عَنْ قَلْبي هُمومُ
كَريمٌ قَدْ جَلاهُ لي زَمانٌ   كَثيرٌ أنْ يُرى فيهِ كَريمُ
وَتَكْفي غُرَّةٌ لِلطِّرْفِ تَبْدو   فَيأبىٰ أنْ يُقالَ لَهُ بَهيمُ
كَفاني أنْ جَلا عَيْني هُمامٌ   بَدا لي فَانْجَلى عَنّي هُمُومُ
كَريمٌ وَجْهُه مَلآنُ ماءً   عَلَيْهِ طَيْرُ آمالٍ تَحُومُ
أيا مَنْ عِظْمُ مَنْصِبه خُصُوصٌ   ويا مَنْ جَزْلُ نائِلِه عُمُومُ
إلَيْكَ شَكَوْتُ عادِيَةَ الليالي   وَجاهُكَ بالكِفايةِ لي زَعيمُ
وَلي في الحَضْرَةِ العَلْيا رُسومٌ   إلَيْهِ بِأَنْ يُقي طالَ الرَّسيمُ
وَقَدْ تَعْفو الرّسومَ إذا تَبَدّا   تَناقصُها كَما تَعْفُو الرُّسومُ
فَوفّرْها بِسَعْيِكَ لي فُلولاً   يَدُ الأَرْواحِ ما احْتَلَبَ الغُيومُ
فَلَمْ نَمْدَحْكُمُ عَبَثاً بِقَوْلٍ   عَلَكْناهُ كَما عُلِكَ الشَّكيمُ
ولكنّا أَجَدْنا حَيْثُ جُدْتُمْ   وَكَمْ مِنْ مَعْشَرٍ لَؤُمُوا فَليمُوا
لَقَدْ بَثّتْ طلائِعَها الليالي   وَأَصْبَحَ حَربِيَ الزَّمنُ الغَشُومُ
فَهُزَّ لَها ـ قِوامَ الدينِ ـ هزّاً   يَنالُ بِمِثْلِهِ الثّأرَ المتيمُ
فَأَنْتَ مِنَ الوَزيرِ بِحَيْث يُثْري   بِأَوّلِ نَظْرَةٍ مِنْكَ العَديمُ
سَتَرْجِعُ عَنْ ذُرى المَوْلى رِكابي   وَغَيْري لِلّذي وَلّى كَتُومُ
لِسانُ حَقائِبي أَعْلىٰ ثَناءً   فَظاهِرُها بِباطِنِها نَمومُ
وَيُسْمَعُ بِالعُيونِ لَها كَلامٌ   جَوانِحُ حاسِدِيَّ بِهِ كَليمُ

(١) الأنبياء: ٣٣.
(٢) المدّثر: ٣.

[التّشريع، ويقال له: التّوشيح، وذو القافيتين]

﴿ومنه﴾ أي: من اللّفظيّ ﴿التّشريع﴾ ويسمّى التّوشيح، وذاالقافيتين أيضاً ﴿وهو بناء البيت على قافيتين يصحّ المعنى عند الوقوف على كلّ منهما﴾ أي: من القافيتين.

[نقد، وجوابه]

وكان عليه أن يقول: «يصحّ الوزن والمعنى عند الوقوف على كلّ منهما» لأنّه يجب في التّشريع أن يكون الشّعر مستقيماً على أيّ القافيتين وقفت؛ لأنّهم فسّروه بأن يبني الشّاعر أبيات القصيدة ذات قافيتين على بحرين، أو ضربين من بحر واحد، فعلى أيّ القافيتين وقفت كان شعراً مستقيماً.

والجواب: أنّ لفظ «القافيتين» مشعرٌ بذلك[1] فليتأمّل[2].

﴿كقوله﴾ أي: قول الحريريّ:

﴿يا خاطِبَ الدُّنيا﴾ ـ من «خَطَبَ المرأة» ـ ﴿الدَّنِيّةِ﴾[3] أي: الخسيسة ﴿إِنَّهَا *

---

(١) لأنّ القافية لا تكون إلّا في البيت من الشّعر، فيستلزم تحققها استقامة الوزن، والقافية وإن أشعر بصحّة المعنى أيضاً ـ لأنّ الشّعر كلام موزون على قصد بوزنٍ عربيّ، فما ليس له معنى خارج بلفظ «الكلام» كما أنّ ما ليس له وزن خارج بقوله: «وزن» ـ إلّا أنّ الاكتفاء بالإشعار من الجوائز لا من اللوازم، سيّما إذا خفي، ومن البيّن أنّ إشعار القافية بصحّة الوزن أجلى من إشعارها بصحّة المعنى ـ كما في الرومي ـ.

(٢) إشارة إلى أمرين: **الأوّل**: أنّ القافية تدلّ على الوزن على شريطه أن تكون مختصّةً بالنّظم، ولم يثبت الاختصاص بالنّظم. **والثّاني**: أنّه يجب في التّعريف التّصريح بالقيد، والحق أنّ البيت إنّما يصح إذا كان مشتملاً على وزن صحيح.

(٣) **قوله: «يا خاطب الدّنيا الدّنيّة»**. قال الحريريّ في المقامة الشّعريّة وهي المقامة الثّالثة ⇐

⇐ والعشرون من كتاب «المقامات»:

يـــا خـــاطبَ الدّنــيا الدّنــيّة إنّــها	**شَـرَكُ الرَّدَى**	وقـــرارةُ الأكْـــدارِ
دارٌ مَــتَى مــا أضــحكَتْ فـي يـومها	**أبكـت غـداً**	بُــعْداً لهــا مِــنْ دارِ
وإذا أَظَـــلَّ ســـحابُهَا لم يَـــنْتَقِعْ	**منـه صَـدىً**	لجَـــهَامِهِ الغَـــرَّارِ
غـــاراتُــهَا مــا تــنقضي وأسـيرُها	**لا يُفْـتَـدَى**	بــجلائِلِ الأَخْــطَارِ
كـم مُــزْدَهىً بــغرورها حَــتَّى بَـدَا	**متـمــــرّداً**	مـــتجاوِزَ المِــقْدارِ
قَـــلَبَتْ له ظَــهْرَ المِــجَنِّ وأَوْلَـغَتْ	**فيـه المُـدَى**	ونَــزَتْ لِأَخْــذِ الثّـارِ
فَـــارْبَأْ بِـــعُمْرِكِ أنْ يَـمُرَّ مُـضَيَّعاً	**فيهـا سُدىً**	من غير مـا استِظْهَارِ
وَاَقْـــطَعْ عـــلائِقَ حـبِّها وطِـلابها	**تَلْـقَ الهُـدَى**	ورَفَـــاهَةَ الأســـرارِ
وَارْقُبْ إذا مــا سَــالَمَتْ مِــنْ كـيدها	**حربَ العِدَى**	وتـــوثُّبَ الغَـــدَّارِ
واعـــلَمْ بأنّ خُــطُوْبَهَا تَــفْجَا ولَــوْ	**طـالَ المَدَى**	وَوَنَتْ سُرَى الأَقْـدارِ

هذه الأبيات من الكامل على العـروض الأُولى الصّـحيحة السّـالمة ـ متفاعلن ـ مع الضّرب الثّاني المقطوع الدّاخل عليه الإضمار ـ مف عو لن ـ و تقطيعه هكذا:

يا خاطِبَدْ	دُنْ يَدْ دَنِيْ	يَتِإِنْ نَـهَا	شَـــرَكُــرْ رَدَى	وَقَــرارَتُـلْ	أَكْ دارِي
مس تف علن	مس تف علن	متفاعلن	متفاعلن	متفاعلن	مف عو لن
دارُنْ مَتَى	مَا أَضْ حَكَتْ	في يومها	أَبْ كَتْ غَدَنْ	بُعْدَنْ لها	مِـنْ دارِيْ
مُسْ تَفْ علن	مس تف علن	مس تف علن	مس تف علن	مس تف علن	مف عولن

وهـذه قـافية الرّاء وعـليه فـالعَروض الأُولى صـحيحة والضّـرب مـقطوع مـضمر، والأركان ستّة لكلّ مصراع ثلاثة أركان.

وأمّا على قافية الدّال فالأبيات إنّما تكون من مجزوء الكامل على العَروض الثّالثة مع الضّرب الثّالث التّام وقد يدخله الإضمار والتّقطيع هكذا:

يَـاْ خَـا طِـبَدْ	دُنْ يَـدْ دَنـيْ	يَـــتِإِنْ نَـهَا	شَــرَكُــرْ رَدَا
مس تف علن	مس تف علن	مـــــتفاعلن	مـــتفاعلن

⇐

شَرَكُ الرَّدىٰ ﴾ أي: حِبالة[1] الهلاك ﴿ وَقَرَارَةُ الأكْدَارِ ﴾ أي: مقرّ الكُدُوْرات.

«دارٌ مَتىٰ ما أضْحَكَتْ فِي قُرْبِها   أبْكَتْ غداً، بُعْداً لَها مِنْ دارِ

غَارَاتُها لا تَنْقَضي، وَأسِيرُهَا   لا يُفْتَدىٰ بِجَلائِلِ الأَخْطَارِ

وكذا سائر الأبيات، فهذه الأبيات كلّها من الكامل إلّا أنّها على القافية[2] الثّانية من ضربه الثّاني، وعلى القافية[3] الأُولى من ضربه الثّامن.

⇐ دارُنْ مَتَى | ما أض حَكَتْ   فـي يـومها | أبْ كَتْ غَـدا

مس تف علن | مس تف علن   مس تف علن | مس تف علن

وأجزاؤ الكامل ستّة وهي:

مـتفاعلن، مـتفاعلن، مـتفاعلن   مـتفاعلن، مـتفاعلن، مـتفاعلن

وله ثلاث أعاريض وتسعة أضرُبٍ ولذا يقال له: الكامل؛ لكماله على سائر البحور من حيث كثرة الضّروب فليس بين البحور بحر له تسعة أضرُبٍ:

العروض الأُولى: صحيحة سالمة ـ متفاعلن ـ ولها ثلاثة أضربٍ:

الأوّل: صحيح مثل العروض. والثّاني: مقطوع ـ فعلاتن ـ. الثّالث: أحذّ مضمر ـ فَعْلُن ـ.

العروض الثّانية: حذّاء ـ فَعِلُنْ ـ ولها ضربان: الأوّل: أحذُّ مثل العروض. الثّاني: أحذّ مضمر ـ فَعْلُنْ ـ.

العروض الثّالثة مجزوءة صحيحة ـ متفاعلن ـ وله أربعة أضرُبٍ:

الأوّل: مرفّل ـ متفاعلاتن ـ. الثّاني: المذيّل ـ متفاعلان ـ. الثّالث: التامّ ـ متفاعلن ـ. الرّابع: مقطوع ـ فعلاتن ـ. وتبيّن بهذا أنّ الضّرب الثّامن الّذي ذكره الشّارح هو الضّرب الثّالث من العروض الثّالثة المجزوءة.

(١) بالكسر، وهي ما يُصَادُ بها من أيّ شيءٍ كان.

(٢) وهي قافية الرّاء ـ كما ينصّ عليه ـ.

(٣) وهي قافية الدّال ـ كما ينصّ عليه أيضاً ـ.

[تفسير القافية]

والقافية عند الخليل من آخر حرف في البيت إلى أوّل ساكن يليه مع الحركة الّتي قبل ذلك السّاكن.

ويروى عنه أيضاً أنّ المتحرّك الّذي قبل ذلك السّاكن هو أوّل القافية.

فالقافية الأُولى من قوله: «يا خاطب الدّنيا» هي من حركة الكاف من «شرك الرّدى» إلى الآخر، أو مجموع قوله: «كالرّدى».

والقافية الثّانية من فتحة الدّال من «الأكدار» إلى الآخر، أو لفظة «دار» منه.

وهاهنا أقوال أُخر[1] مذكورة في «علم القوافي».

ولو قال: «هو بناء البيت على قافيتين، أو أكثر» لكان أحسن؛ ليشمل نحو قول الحريريّ[2]:

---

(١) القافية اختلف فيها على أقوالٍ:

القول الأوّل: قول الخليل المشهور، وهو أنّ القافية من آخر البيت إلى أوّل ساكن يليه مع المتحرّك الّذي قبل السّاكن كقوله:

* عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا *

فالقافية عنده من القاف إلى آخر البيت.

القول الثّاني: قول الخليل الغير المشهور، وهو أنّ القافية من آخر حرفٍ في البيت إلى أوّل ساكنٍ يليه مع الحركة الّتي قبل السّاكن، فالقافية على هذا من فتحة القاف في «مُقَامُها».

والقول الثّالث: قول الأخفش وهي أنّ القافية آخر كلمة في البيت.

والقول الرّابع: قول قُطْرُبٍ وهو أنّ القافية الحرف الذي تُبْنَى عليه القصيدة وهو المسمّى رويّاً، وهو رأي الفرّاء أيضاً.

والقول الخامس: قول ابن كيسان وهو أنّ القافية كلّ شيءٍ لزمت إعادته في آخر البيت، قال ابن جنّي: والّذي يثبت عندي صحّته من هذه الأقوال هو قول الخليل المشهور.

(٢) هذا سهو، والقائل غيره، كما يذكر.

جُوْدِي عَلى المُسْتَهْتِرِ | الصَّبِّ | الجَوِي[1] وتَـعَطَّفِي | بِـوصاله | وتَـرَحَّمِي

---

(١) قوله: «جُوْدِي على المستهتر الصَّبّ الجوي». البيت من الكامل على العروض الأُولى التّامّة مع الضَّرب المماثل والقائل ـ كما ذكره عماد الدّين الكاتب ٥١٩ ـ ٥٩٧هـ في كتاب «خريدة القصر وجريدة العصر» ـ أبو سعيد يحيى بن سند المعلّم بالمعرّة قال: ذكر القاضي أبو اليسر أنّه كان معلّماً وأنشدني من شعره هذه الأربعة الأبيات وهي تُقْرَأُ على سبعة أوزان:

جُوْدِي على المستهتر | الصَّبّ | الجَوِي وتَـعَطَّفي | بـوصاله | وتَـرَحَّمِيْ

ذَا المُبْتَلَى المتفكّر | القلب | الشَّجِيْ ثـمّ اكشِفي | عن حاله | لا تَـظْلِمِيْ

وصِلِي ولا تَسْتَكْبِري | ذنبي | الدَّنِـي وتَـرَأَفِي | بـالواله | المُـتَيَّمِ

يبدو القِلَى بتغيّر | الحِبِّ | الأبـي المُتْلِفي | بكماله | المستحكم

والتّقطيع هكذا:

جُوْدِيْ عَلَلْ | مُسْ تَهْ تِرِصْ | صَبْ بِلْ جَوِيْ وَتَـعَطْ طَـفِي | بِـوِصَالِهِيْ | وَتَـرَحْ حَمِيْ

مس تف علن | مس تف علن | مس تف علن مـتفاعلن | مـتفاعلن | مـتفاعلن

وهكذا الباقي، ودخول الإضمار في بعض الأجزاء ـ كما في عروض البيت الأوّل ـ لا يضرّ بكونه على العروض الأُولى ـ كما بيّنّاه في كتاب العروض ـ.

يقال: «فلان مستهتر بالشَّراب» أي: مُوْلَعٌ به لا يبالي ما قيل فيه. و«الصَّبُّ»: العاشق و«الجَوِي» على «فَعِلٍ» من «الجَوَى» وهو الحُرْقَة وشدّة الوجد من عشق أو حزن، تقول منه: «جَوِيَ الرَّجُلُ» ـ بالكسر ـ فهو: «جَوٍ» مثل «دَوٍ» و«الشَّجي» على وزن «فَعِل» أيضاً من «الشَّجَى» وهو الحزن. قال الرّومي: وهذه الأبيات على عدّة قوافٍ عديدةٍ:

الأُولى: رائيّة في «المستهتر» و«المتفكّر».

والثّانية: بائيّة في «الصّبّ» و«القلب».

والثّالثة: يائيّة في «الجَوِي» و«الشَّجِي» وعلى هذا القياس. وقرّرها الأُستاذ هكذا:

الأُولى:

جُـوْدِي عـلى المسـتهتر ذا المـبتلى المـتفكّر

⇐

⇐ الثّانية:

جُـوْدِي عـلى المستهتر الصَّبِّ ذا المـبتلى المـتفكّر القـلبِ

الثّالثة:

جُـوْدِي عـلى المستهتر الصَّبّ الجَـوِي ذا المـبتلى المـتفكّر الشَّـجي

الرّابعة:

جُودي على المستهتر الصّبّ الجَوِي وتَعطّفي ذاالمبتلى المتفكّر القلب الشَّجِي ثمّ اكشفي

الخامسة:

جودي على المستهتر الصَّبِّ الجوي وتعطّفي بـوصاله ذا المبتلى المتفكّر القلب الشَّجِي ثمّ اكشفي عن حـاله

السّادسة:

جُـوْدي عـلى المستهتر الصّبّ الجـوي وتـعطّفي بـوصاله وتـرحّـمي

ذا المـبتلى المـتفكّر القـلب الشّـجي ثـمّ اكشـفي عـن حـاله لا تـظلمي

ونقل الصّفدي هذه الأبيات بتغيير يسير في «أعيان العصر، وأعوان النّصر» وقال: هذه الأبيات على كاملها من الكامل المسدّس على أتمّ أنواعه [كما بيّنت في التّقطيع] إلّا أنّه لحق الإضمار بعض أجزاءِها [كما بيّنت أيضاً، والإضمار إسكان الثّاني من «متفاعلن» فينقل إلى «مس تف علن»] فإذا حذفت الجزء الآخر من كلّ بيتٍ وجعلت القوافي عند قوله: «بوصاله» كانت الأبيات من شاذّ الكامل المُخَمَّس، وأنشد العَروضيّون في مثله [قول حسّان في هند ومعاوية]:

لمن الصّبيّ بجانب الصّحراء مُـلْقىً غـير ذي مـهدِ

فإذا حذفت من آخر كلّ بيت جزءين وجعلت القافية عند قوله: «وَتَعَطَّفِي» كانت الأبيات من مربّع الكامل، ومثله:

وإذا افتقرت فلا تكن متخشّعاً وتَـجَمَّلِي

فإذا اقتصرت على الشّطر الأوّل من كلّ بيتٍ وجعلت القافية عند قوله: «الجَوِي» كان من الضّرب الرّابع من الرَّجَز، وصار البيت بيتين من مُصَرَّعِ الكامل المسدّس.

⇐

⇐ وإن حذفت من الشّطر الأوّل جزءاً وجعلت القافية عند قوله: «الصّبّ» بقي معك بيتان مُصَرَّعانِ من أحذّ الكامل المضمر كقول زُهَيْرٍ:

لمــن الدّيـار بـقنّة الحـجرِ أقوين من حجج ومن دهرِ

فإذا نقصت من الشّطر الأوّل جزءين وجعلت القافية عند قوله: «المستهتر» بقي بيتان من مربّع الكامل المُعَرَّى، وإن شئت من الضّرب الخامس من الرَّجَز وإن اقتصرت على الأجزاء الأُوَل من الأبيات بقي مجموعها الأربعة الأجزاء بيتاً واحداً من مربّع الكامل وإن شئت من أقلّ أنواع الرَّجَز المحدث قوله:

طيف ألم بذي سَلَم

وهذه الأبيات الأربعة تقرأ على عدّة وجوه اه.

قال الجعفريّ صاحب هذا التّعليق: والكامل المخمّس لا يعرفه العروضيّون وما ذكره عنهم مبنيّ على رواية خاطئةٍ عن قول حسّان والرّواية الصّحيحة هي:

لِمَنِ الصَّبِيُّ بـجانب البـطحاء في التُّرْبِ مُلْقًى غير ذي مَهْدِ

وهي من الكامل المشتمل على ستّة أركان كما ترى ولمّا سقط «في التُّرْبِ» عن بعض العبارات زعموا أنّ هناك ضرباً آخر من الكامل وهو مشتمل على خـمسة أركـانٍ وهـذا البيت من قطعةٍ يهجو بها حسّان بن ثابت الأنصاريّ هند بن عتبة زوجة أبي سـفيان وأُمّ الطّاغية معاوية بن أبي سفيان حيث كانت من العاهرات ذوات الرّايات في مكّـة وكـانت تمتهن الزّنا والعَهَر:

لِمَنِ الصَّبِيُّ بِـجَانِبِ البَـطْحَاءِ في التُّرْب مُلْقًى غير ذي مَهْدِ
نَـــجَلَتْ بـــه بَـــيضاءُ آنِسَـــةٌ من عبد شـمسٍ صـلتةُ الخَـدِّ
تَسْـــعَى إلى الصُـــيَّاحِ مُـعْوِلَةً يــا هـــندُ إنّكِ صُـلْبَةُ الحَـرْدِ
فــإذا تشــاء دَعَتْ بِـــمِقْطَرَةٍ تُــذْكَــى لهــا بأَلُــوَّةِ الهِـنْدِ
غَلَبَتْ على شَبَهِ الغـلام وقـد بــان السّــواد لحـالِكٍ جَـعْدِ
أَشِـرَتْ لَكَـاعِ وكـان عـادَتُهَا دَقُّ المُشَــاشِ بــناجذٍ جَـلْدِ

⇐

ذا المُبْتَلِي المتفكّر | القلب | الشَّجِي   ثُمَّ اكْشِفِيْ | عن حاله | لا تَظْلِمِي

فإن قيل: إذا وجد البناء على أكثر من قافيتين فقد وجد البناء على قافيتين[1].

قلنا: الظّاهر من قوله: «هو بناء البيت على قافيتين» أنّه يكون مبنيّاً عليهما فقط.

⇐ قال الزّمخشريّ جار الله العلّامة في باب القرابات والأنساب من «ربيع الأبرار، و نصوص الأخيار»:

وكان معاوية يعزى الى أربعة: إلى مُسَافر بن أبي عمرو، وإلى عُمَارة بن الوليد وإلى عمر بن الخطّاب، وإلى الصُيَّاح مُغَنٍّ أسود كان لعمارة.

قالوا: كان أبو سفيان دميماً قصيراً، وكان الصُيَّاح عسيفاً لأبي سفيان شابّاً وسيماً فدعته هند إلى نفسه.

وقالوا: إنّ عتبة بن أبي سفيان من الصُيَّاح أيضاً وأنّها كرهت أن تضعه في منزلها فخرجت إلى «أجياد» فوضعته هناك وفي ذلك قال حسّان:

لمن الصّبيّ بجانب البطحاء   في التّرب مُلْقًى غير ذي مَهْدِ

الأبيات ... وقال لها أيضاً:

لمن سواقط صِبْيَانٍ منَبَّذةٍ   باتت تفحّص في بطحاءِ أجيادِ

باتت تَمَخَّضُ ما كانت قوابلها   إلّا الوحوشَ وإلّا جِنَّةَ الوادي

فيهم صبيّ له أُمٌّ لها نَسَبٌ   في ذُرْوَةٍ من ذُرَى الأَحْسَابِ أَيَّادِ

تقول وهناً وقد جَدَّ المخاضُ بها   يا ليتني كنتُ أرعى الشّول للغادي

قد غادروه لحرّ الوجه مُنْعَفِراً   وخالها وابوها سيّد النّادي

راجع: ديوان حسّان بشرح البرقوقي: ١٣١ ـ ١٣٢.

(١) وذلك لأنّ الأكثر من قافيتين لا يوجد إلّا إذا وجدت القافيتان، فيكون قوله: «بناء البيت على قافيتين» بدون زيادة «أو أكثر» من باب بيان الأقلّ لا الحصر كما قال ابن مالك:

* إن عاملان اقتضيا في اسم عمل *

وليس مراده الحصر بل المراد أنّ أقلّ ما يتحقّق به التّنازع عاملان وكذا هاهنا.

[لزوم ما لا يلزم]

﴿ومنه﴾ أي: من اللّفظيّ ﴿لزوم ما لا يلزم﴾ ويقال له: الالتزام، والتّضمين، والتّشديد، والإعنات أيضاً ﴿وهو أن يجيء قبل حرف الرَّوِيّ﴾ وهو الحرف الّذي تبنى عليه القصيدة، وتنسب إليه، فيقال: قصيدة لاميّة، أو عينيّة، أو نونيّة ـ مثلاً ـ.

سُمّي بذلك لأنّه يجمع بين الأبيات من «رَوَيْتُ الحَبْلَ» ـ إذا فَتَلْتَهُ ـ وهذا لأنّ الفَتْلَ يجمع بين قُوَى الحبل، أو من «رَوَيْتُ على البعير» إذا شَدَدْتَ عليه الرِّواء[1] ـ وهو الحبل الّذي يجمع به الأحمال، أو من «الرِّيّ» لأنّ البيت يرتوي عنده فينقطع كما أنّ عند الارتواء ينقطع الشُّرب.

﴿أو ما في معناه﴾ أي: قبل الحرف الّذي هو في معنى حرف الرَّوِيّ ﴿من الفاصلة﴾ يعني: الحرف الّذي وقع في فواصل الفِقَر موقع حرف الرَّوِيّ في قوافي الأبيات ﴿ما ليس بلازم في السَّجْع﴾ مثل التزام حرف أو حركة يحصل السّجع بدونه.

فقوله: «من الفاصلة» حال من «ما في معناه» وقوله: «ما ليس بلازم» فاعل «يجيء».

والمراد: أن يجيء ذلك في بيتين أو أكثر، وقرينتين أو أكثر، وإلّا ففي كلّ بيت يجيء قبل حرف الرَّوِيِّ ما ليس بلازم في السّجع؛ مثلاً قوله:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرىٰ حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ[2]   بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمِلِ

قد جاء قبل اللّام ميم مفتوح، وهو ليس بلازم في السّجع، وإنّما يتحقّق «لزوم

---

(١) بالكسر والمدّ، حَبْلٌ من حِبَالِ الخِبَاء، وقد يُشَدُّ به الحِمْلُ والمَتَاعُ على البعير.

(٢) **قوله: «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل»**. تقدّم أنّه من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المشابه والقائل امرؤ القيس في مطلع المعلّقة المشهورة.

ما لا يلزم» لو جيء في البيت الثّاني أيضاً بميم.

وقوله: «ما ليس بلازم في السّجع» معناه: يؤتى قبل حرف الرَّوِيّ ـ من قافية البيت ـ أو قبل ما في معناه ـ من فاصلة الفِقْرَةِ ـ بشيء لا يلزم الإتيان به في مذهب السّجع.

يعني: لو جعل هاتان القافيتان أو الفاصلتان سَجْعَتَيْنِ لم يحتج إلى الإتيان بذلك الشّيء ويصحّ السّجع بدونه.

وبهذا يظهر فساد ما يقال: إنّه كان ينبغي أن يقول: «ما ليس بلازم في السّجع أو القافية» ليوافق قوله: «قبل حرف الرّوي، أو ما في معناه».

فمجيء ما ليس بلازم في السّجع قبل ما هو في معنى حرف الرّويّ من الفاصلة **﴿نحو: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾(١)﴾** فالرّاء بمنزلة حرف الرّويّ، وقد جيء قبلها في الفاصلتين بالهاء، وهو ليس بلازم في السّجع؛ لتحقّق السّجع بدون ذلك مثل: «فلا تَنْهَرْ» و«لا تَسْخَرْ» و«لا تَظْفَرْ» ونحو ذلك.

وكذا فتحة الهاء؛ لتحقّق السّجع في نحو: «لا تَنْهَرْ» و«لا تُبْصِرْ» و«لا تَصْغُر» كما ذكر في قوله ـ تعالى ـ: **﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾**(٢).

﴿و﴾ مجيئه قبل حرف الرّويّ نحو **﴿قوله﴾**:

﴿سَأَشْكُرُ عَمْراً إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي(٣) أَيَادِيَ لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ﴾

---

(١) الضّحى: ٩ـ١٠.

(٢) القمر: ١ـ٢.

(٣) **قوله: «سأشكُرُ عمراً إن تراخت منيّتي»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المشابه والقائل أبو الأسود الدّؤلي ـ كما نصّ عليه الجاحظ في كتاب «الآمل ⇐

أي: لم تُقْطَعْ أو لم تُخْلَطْ بمنّة وإن عَظُمَتْ.

وفي «الأساس»[(١)]: «شَكَرْتُ لِلَّهِ[(٢)] نِعْمَتَهُ» و«اشْكُرُوا لي» وقد يقال:

⇐ والمأمول» ـ من أبيات يقول فيها:

سأشْكُرُ عمراً إن تراخت منيّتي ... أيادي لم تُمْنَنْ وإنْ هي جَلَّتِ

فتىً غيرُ محجوبِ الغِنَى عن صديقه ... ولا مظهر الشَّكْوى إذا النَّعْلُ زَلَّتِ

رأى خَلَّتي من حيث يخفى مكانها ... فكانت قَذَى عينيه حتّى تجلّت

إذا استُقْبِلَتْ منه المودّةُ أقبلت ... وإن غُمِزَتْ منه القناة اكفهرّتِ

وقال الجاحظ: مرّ أبو الأسود الدّؤلي بالأحنف بن قيس وعليه ثياب رثّة فبعث إليه بِتُخُوتٍ فيها ألوان من الثّياب. ثمّ قال: أنشدني عاصم بن محمّد الكاتب لأبي الأسود الدّؤليّ: «سأشكر عمراً إن ترخّت منيّتي» الأبيات...

ونسبت إلى عبدالله بن الزَّبِيْرِ الأسديّ المتوفّى سنة ٧٥هـ في عمرو بن عثمان بن عفّان، وإلى محمّد بن سعد الكاتب السعديّ في عمرو بن سعيد الأشدق واختلق لهما قصّة مثل ما ذكر في أبي الأسود، ولكنّي أعتمد على رواية الجاحظ في «الآمل والمأمول» لأنّه من النّواصب وهو يشهد بأنّ الأبيات لأبي الأسود، وهو أقدم من غيره في هذا الباب، وذكر أبو عبيد البكريّ في شرح أمالي القالي أنّه كلام أبي الأسود في عمرو بن سعيد الأشدق لمثل ما ذكر من إرسال الثياب.

و«إن» في قوله: «وإن هي جلّت» للوصل، أي: لم تُمْنَن وإن كانت تلك النّعم جليلةً في نفس الأمر، قيل: يحتمل أن تكون نافية معطوفة على «لم تُمْنَن» أي: وإن لم تكن جليلةً عند عمرو، وإن كانت كذلك في نفس الأمر.

(١) وهذا نصّ الزّمخشريّ في مادّة «شكر» من «أساس البلاغة» ٣٣٥: «شكرتُ للّه نعمته» و«اشكُرُوْا لي» وقد يقال: «شكرتُ فلاناً» يريدون نِعْمَةَ فلانٍ وقد جاء زياد الأعجم بهما في قوله: ويَشْكُرُ تَشْكُرُ من ضَامَهَا ... ويَشْكُرُ للّه لا تشكُرُ

اهـ.

(٢) أي: «شكر» فعل لا يتعدّى بنفسه إلى المنعِم ـ بالكسر ـ بل يتعدّى باللّام الجارّة، وأمّا المنعم به فيتعدّى إليه بنفسه.

«شكرت[1] فلاناً» يريدون نعمته.

فكأنّه أراد «سأشكر لعمرو» فحذف الجارّ، أو جعل «أيادي» بدل اشتمال[2] من «عمرو». ﴿ **فَتىً** ﴾ أي: هو فتى ﴿ **غيرُ محجوبِ الغِنى عَنْ صَدِيقِهِ * وَلَا مُظْهِرِ الشَّكْوىٰ إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ** ﴾ يقال ـ في الكناية عن نزول الشّرّ وامتحان المرء: «زَلَّتِ القَدَمُ به» و«زَلَّتِ النَّعْلُ به» أي: لا يظهر الشّكاية إذا نزل به البلايا وابتُلِيَ بالشّدّة، بل يَصْبِرُ على ما ينوبه من حوادث الزّمان.

وفي طريقته قول الآخر:

إِذَا افْتَقَرَ المَرَّارُ لَم يُرَ فَقْرُهُ[3]   وَإِنْ أَيْسَرَ المَرَّارُ أَيْسَرَ صَاحِبُهْ

﴿ **رَأىٰ خَلَّتِي** ﴾ أي: فقري ﴿ **مِنْ حَيْثُ يَخْفىٰ مَكَانُها** ﴾ لأنّي كنت أَسْتُرُها بالتّحمّل ﴿ **فكانت** ﴾ خلّتي ﴿ **قَذىٰ عَيْنَيه حَتّىٰ تَجَلَّتِ** ﴾ أي: انكشفت، وزالت ـ بإصلاحه لها بأياديه ـ يعني: من حسن اهتمامه جعله كالدّاء الملازم له حتّى تلافاه بالإصلاح.

فحرف الرّويّ هو التّاء، وقد جيء قبلها في الأبيات بلام مشدّدة مفتوحة، وهو

---

(١) أي: «شكر» فعل قد يتعدّى بنفسه إلى المُنْعِم ـ بالكسر ـ لكنّه بالتّأويل وهو تأويله بالمنعم به.

(٢) **قوله: «أيادي» بدل اشتمال»**. فينبغي أن يقدّر الرّابطة، أي: «أيادي له» لوجوبه في بدل البعض والاشتمال وإن لم يجب في بدل الكلّ كما لا يجب في الجملة الخبريّة الّتي هي نفس المبتدأ.

و جوّز الجرجاني في شرح «المفتاح» كون «أيادي» مفعولاً ثانياً أيضاً وتنظّر فيه الرّومي لأنّ «شكر» لا يتعدّى إلّا إلى مفعول واحدٍ.

(٣) **قوله: «إذا افتقر المرّار لم ير فقره»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المشابه والقائل المرّار الفَقْعَسِيّ ـ كما في «معجم الشّعراء» للمرزباني ـ.

ليس بلازم في مذهب السّجع؛ لتحقّق السّجع في نحو: «جلّت» و«مدّت» و«منّت» و«انشقّت» ونحو ذلك.

ففي كلّ من الآية والأبيات نوعان من لزوم ما لا يلزم.

أحدهما: التزام الحرف، كالهاء واللاّم.

والثّاني: التزام فتحهما.

وقد يكون الأوّل بدون الثّاني كـ«القمر» و«مستمرّ».

وبالعكس كقول ابن الرّومي:

لما تُؤْذِنُ الدُّنيا بِهِ مِنْ صُرُوفِها[1] يكونُ بُكاءُ الطِّفْلِ ساعَةَ يُولَدُ

---

(١) **قوله: «لما تؤذن الدُّنيا به من صروفها»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المماثل والقائل أبو الحسن عليّ بن العبّاس بن جريح المعروف بابن الرّوميّ ٢٢١ ـ ٢٨٢هـ الشّاعر الشيعيّ المشهور من قصيدة طويلة مطلعها:

أبَيْنَ ضُلُوعي جَمْرَةٌ تَتَوَقَّدُ ... على ما مضى أم حَسْرَةٌ تترَدَّدُ

خليليَّ ما بعد الشّباب رَزِيَّةٌ ... يُجَمُّ لها ماءُ الشُّؤون ويُعْتَدُ

فلا تَلْحَيَا إن فاضَ دَمْعٌ لفقده ... فقَلَّ له بَحْرٌ من الدَّمْع يُثْمَدُ

ولا تعجبا لِلجَلْدِ يبكي فرُبَّمَا ... تفطَّرَ عن عينٍ من الماء جَلْمَدُ

قال:

أقول وقد شابت شَواتِي وقوّسَتْ ... قَنَاتي وأَضْحَتْ كِدْنَتِي تتخدَّدُ

ودَبَّ كلالٌ في عِظامي أدَبَّنِي ... جَنِيْبَ العَصَا أَنْأَدُ أو أتأَيَّدُ

وبُوْرِكَ طرفي فالشِّخَاصُ حياله ... قرائنُ من أدنى مَدىً وهي فُرَّدُ

ولَذَّتْ أحاديثي الرّجال وأعرضَتْ ... سُلَيْمَى وريًا عن حديثي ومَهْدَدُ

وبُدِّلَ إعجابُ الغواني تَعَجُّباً ... فهنّ رواني يَعْتَبِرْنَ وصُدَّدُ

لما تُؤذِنُ الدّنيا به من صروفها ... يكون بكاء الطّفل ساعة يُوْلَدُ

وإلّا فما يُبكيه منها وإنّها ... لأفسَحُ ممّا كان فيه وأرغد

⇐

وَإلّا فَمَا يُبْكِيهِ مِنْها، وإِنَّهَا لأَوْسَعُ مِمّاكانَ فِيهِ وَأَرْغَدُ

حيث التزم فتح ما قبل الدّال.

[نقد وردّ]

فإن قلت: قد ذكر المصنّف في «الإيضاح»(١) أنّ ذلك قد يكون في غير الفاصلتين أيضاً كقول الحريريّ: «وَمَا اشْتَارَ الْعَسَلَ(٢)، مَنِ اخْتَارَ الْكَسَلَ» فإنّه كما

⇐ إذا أبصر الدُّنيا استهلّ كأنّه بما سوف يلقى من أذاها يُهَدَّدُ
وللنّفس أحوال تظلّ كأنّها تشاهد فيها كلّ غيبٍ سَيُشْهَدُ
زرحْتُ على مرّ الليالي وكرّها وهل عن فَنَاءٍ من فناءين عُتْدَدُ
فَحَارُ الفتى شيخوخة او منيّة ومرجوعُ وَهَّاجِ المصابيح رِمْدَدُ

وهذه القصيدة كثيرة النّوادر، قليلة الحشو على طولها وينتهي عدد أبياتها إلى أربعمائة بيت يمدح فيها صاعداً ويذكر فيها الموفّق وصاحب الزّنج.

ومن ذلك قوله:

وجَارَ على ليل الشّباب فَضَامَهُ نهارُ مشيبٍ سرمد ليس يَنْفَدُ
وعزّاك عن ليل الشّباب معاشر وقالوا نهار الشَّيْبِ أهدى وأرشَدُ
وكان نهارُ المرء أهدى لرشده ولكنّ ظلّ الليل أندى وأبرَدُ

وقال:

تراه عن الحرب العوان بمعزلٍ وآراؤه فيها وإن غاب شُهَّدُ
كما احتجب المِقْدار والحكمُ حكمُهُ على النَّاسِ طُرّاً ليس عنه مُعَرَّدُ
فتىً روحه ضوء بَسِيْطٌ كِيَانُهُ ومسكن ذاك الرُّوح نور مُجَسَّدُ
صفا ونفى عنه القذى فكأنّه إذا ما استكفَّتْهُ العُقُوْلُ مُصَعَّدُ
كأنّ أباه حين سمّاه صاعداً رأى كيف يرقى في المعالي ويصعَدُ

(١) الإيضاح: ٥٧٠.

(٢) **قوله**: «**ما اشتار العسل**». كلام للحريريّ في المقامة السّاسانيّة وهي التّاسعة والأربعون

⇐

اختار في الفاصلتين أعني: «العَسَلَ» و«الكَسَلَ» السّين الّتي يحصُلُ السّجع بدونها، كذلك قد التزم في «اشتار» و«اختار» التّاء الّتي يحصُلُ السّجع بدونها، فهل يدخل مثل ذلك في التّفسير المذكور؟

قلت: يحتمل أن يريد بقوله: «قبل حرف الرّوي أو ما في معناه» أعمّ من أن يكون ذلك في حروف القافية والفاصلة أو غيرهما؛ لأنّ جميع ما في البيت إلى حرف الرّويّ يَصْدُقُ عليه أنّه «قبل حرف الرّويّ» وكذا «ما في معناه» من الفاصلة، فَيَصْدُقُ على التّاء في «اشتار» و«اختار» أنّه قبل اللّام الّتي هي بمنزلة حرف الرّويّ، لكن هذا بعيد.

والظّاهر أنّ «لزوم ما لا يلزم» إنّما يطلق على ما يكون في القافية أو الفاصلة؛ لأنّهم فسّروه بأن يلزم المتكلّم في السّجع والتّقفية قبل حرف الرّويّ ما لا يلزمه من مجيء حركة مخصوصة، أو حرف بعينه، أو أكثر.

وأنّ قوله: «قبل حرف الرّويّ أو ما في معناه» يعني: من حروف القافية أو الفاصلة، وإلّا لكان المناسب أن يقول: في البيت، أو الفِقْرة.

وقوله ـ في «الإيضاح» ـ: «وقد يكون ذلك في غير الفاصلتين[1] أيضاً» معناه:

⇐ قال: «وإيّاك والكَسَل * فإنّه عُنوانُ النَّحُوس * ولَبُوسُ ذوي البُوس * ومِفْتاحُ المَتْرَبة * ولِقَاحُ المَتْعَبة * وشِيْمَةُ العَجَزَةِ الجَهَلة * وشِنْشِنَةُ الوُكَلَةِ التُّكَلَةِ * وما اشتار العَسَل * مَنِ اختار الكَسَل * ولا ملأ الرَّاحَة * مَنِ استوطأ الرَّاحَة * وعليكَ بالإقدام * ولو على الضِّرغام * فإنّ جَراءَةَ الجَنَان * تُنْطِقُ اللِّسان * وتُطْلِقُ العِنان * وبها تُدْرَكُ الحُظْوَة * وتُملَكُ الثّروة * [راجع المقامات: ٥٧٥ ـ ٥٧٦]

(١) **قوله: «وقد يكون ذلك في غير الفاصلتين»**. وهذا نصّه في كتاب الإيضاح: ٥٧٠: وقد يكون ذلك في غير الفاصلتين أيضاً كقول الحريريّ: «وما اشتار العسل، من اختار الكَسَل» اهـ. «اشتار» أي: جمعه وجناه.

أنّ مثل هذا الاعتبار الّذي يسمّى «لزوم ما لا يلزم» قد يجيء في كلمات الفِقَرِ والأبيات، غير الفواصل والقوافي.

[أصل الحسن في المحسّنات اللّفظيّة]

﴿ **وأصل الحسن في ذلك كلّه** ﴾ يعني: في الضّرب اللّفظيّ من المحسّنات ﴿ **أن تكون الألفاظُ تابعةً للمعاني، دون العكس** ﴾ أي: لا أن تكون المعاني توابع الألفاظ، وذلك أنّ المعاني إذا تُرِكَتْ على سجيّتها طَلَبَتْ لأنفسها ألفاظاً تليق بها، فيحسن اللّفظ والمعنى جميعاً.

وإن أُتِيَ بألفاظ متكلّفة مصنوعة وجُعِلَ المعاني تابعة لها كان كظاهرٍ مُمَوَّهٍ على باطنٍ مُشَوَّهٍ، ولباسٍ حَسَنٍ على مَنْظَرٍ قبيحٍ، وغِمْدٍ مِنْ ذَهَبٍ، على نَصْلٍ[1] من خَشَب.

[تشنيع على المتأخّرين]

فينبغي أن يجتنب ممّا يفعله بعض المتأخّرين الّذين لهم شعف بإيراد شيء من المحسّنات اللّفظيّة؛ فَيَصْرِفُوْنَ العِناية إلى جمع عدّة من المحسّنات، ويجعلون الكلام كأنّه غير مسوق لإفادة المعنى، فلا يُبَالُوْنَ بِخَفَاء الدّلالات ورَكَاكة المعاني.

قال المصنّف[2]: هذا ما تيسّر لي بإذن الله ـ تعالى ـ جمعه وتحريره من أُصول

---

(١) قال ابن دريد: السَّيْف «نَصْلٌ» بلا قائم ولا جفن، والجمع «نِصال» و«نُصُول».

(٢) وهذا نصّه في خاتمة فنّ البديع من «الإيضاح» ٥٧١: هذا ما تيسّر ـ بإذن الله تعالى ـ جمعه وتحريره من أصول الفنّ الثّالث، وبقيّت أشياء يذكرها فيه بعض المصنّفين:

منها: ما يتعيّن إهماله لأحد سببين:

⇐

الفنّ الثّالث وبَقِيَتْ أشياء يذكرها في «علم البديع» بعض المصنّفين وهو قسمان:

الأوّل: ما يتعيّن إهماله ويجب ترك التّعرّض له، إمّا لعدم دخوله في فنّ البلاغة، أو لعدم كونه راجعاً إلى تحسين الكلام البليغ وهو ضربان:

أحدهما: مثل ما يرجع إلى التّجنيس في الخطّ دون اللّفظ ـ مع ما فيه من التّكلّف ـ مثل: كون الكلمتين متماثلتين في الخطّ ـ كما ذكرنا فيما سبق ـ.

ومثل: **المُوَصّل**، وهو أن يؤتى بكلام يكون كلّ من كلماته متّصلة الحروف كقول الحريريّ:

فَتَنَتْنِي فَجَنَّنَتْنِي تَجَنّي(١) **بِتَجنٍّ يَفْتَنَّ غِبَّ تَجَنّي**

⇐ ١ ـ لعدم دخوله في فنّ البلاغة، نحو: ما يرجع في التّحسين إلى الخطّ دون اللّفظ مع أنّه لا يخلو من التكلّف، ككون الكلمتين متماثلتين في الخطّ، وكون الحروف منقوطةً، ونحو ما لا أثر له في التّحسين، كما يسمّى التّرديد.

٢ ـ أو لعدم جَدْواه، نحو: ما يوجد في كتب بعض المتأخّرين ممّا هو داخل فيما ذكرناه كما سمّاه الإيضاح، فإنّه في الحقيقة راجع إلى الإطناب، أو خلط فيه كما سمّاه حسن البيان.

ومنها: ما لا بأس بذكره؛ لاشتماله على فائدة، وهو شيئان:

أحدهما: القول في السّرقات الشّعريّة وما يتّصل بها.

والثّاني: القول في الابتداء والتّخلّص والانتهاء، اهـ.

(١) **قوله: «فتنتني فجنّنتني تجنّي»**. البيت من الخفيف على العروض الأُولى مع الضّرب المماثل والقائل الحريريّ في المقامة الحلبيّة وهي السّادسة والأربعون، قال:

فَتَنَتْنِيْ فَجَنَّنَتْنِي تَجَنّي ... بِتجنٍّ يَفْتَنُّ غِبَّ تَجَنِّي

شَغَفَتْنِي بِجَفْنِ ظَبْيٍ غَضِيْضٍ ... غَنِجٍ يقتضي تَغَيُّضَ جَفْنِي

غَشِيَتْنِي بِزِيْنَتَيْنِ فَشَفَّتْـ ... ـنِيْ بِزِيٍّ يَشِفُّ بين تَثَنِّي

فَتَظَنَّيْتُ تجتبيني فَتَجْزِيـ ... ـنِي بِنَفْثٍ يَشْفِي فَخُيِّبَ ظَنِّي

⇐

ومثل: **المُقَطَّع** وهو ضدّ المُوَصَّل كقول الوَطْوَاط:

وَأُدْرِكُ إنْ زُرْتُ دَارَ وَدُودٍ دُرّاً، وَوَرْداً، وَوِرْداً، وَوُرْدَا [١]

⇐ ثَبَّتَتْ فِيَّ غِشَّ جَيْبٍ بِتَزْيِيْـ ـنِ خَبِيْثٍ يبغي تَشَفِّيَ ضِغْنِ

فَنَزَتْ في تَجَنُّبِي فَثَنَتْنِي بِنَشِيْجٍ يُشْجِي بِفَنٍّ فَفَنِّ

«تجنّي» اسم امرأة، و«بتجنٍّ» أي: بتيهٍ ودلال، و«يفتنّ» أي: يتنوّع، و«غبّ تجنّي» أي: إثر جناية. «شغفتني» شغلتني. «غضيض» فاتر منكسر. «غنج» الغنج التكسّر والتخنّث. «تغيّض جفني» أي: نقصان مائه بكثرة البكاء. «غشيتني» أي: جاءتني. «والزّينتان» الحلي والثّياب. «شفّتني» أي: أنحلتني وأعلّتني. «الزّيّ» الهيئة «يشفّ» يظهر «التثنّي» الميل والانعطاف. «تظنّيت» أي: تظنّنتُ. و«الاجتباء»: الاختيار. «بنفثٍ» أراد به الكلام. «غِشّ جَيْبٍ» أي: غشّ باطنٍ. «بتزيين خبيث» أي: العاذل الواشي «الضغن» الحقد والمراد صاحبه، أي: يحبّ أن يتشفّى الضغن. «نَزَتْ» أي: شرعت في التّباعد عنّي. «فثنتني» أي: صرفتني. «النّشيج» البكاء من غير انتحابٍ: «يُشْجي بفنٍّ» أي: يحزن بنوع بعد نوع.

وصورة الاتّصال هكذا:

فَتَنَتْنِيْفَجَنَّتْنِيْتَجَنِّي بِتَجنّيفتنَغِبَّتَجَنِّي

(١) **قوله: «وأُدْرِكُ إنْ زُرْتُ دارَ وَدُوْدٍ».**

البيت من المتقارب والقائل رشيد الدّين الوَطْوَاط ـ كما قال الشّارح ـ. وهكذا ضبط في نسخة سنة ٩٢٨ هـ وسنة ٩٨٧ هـ وضبط المِصْراع الثّاني في نسخة سنة ٨٤٩ هـ هكذا:

* دَرّاً، ودُرّاً، ووَرْداً، ووُرْداً *

وضبطه الأستاذ ـ دام ظلّه ـ هكذا:

* رُوَاءً، ودُرّاً، ووِرْداً، ووُرْدا *

«الدُّرُّ»: اسم العشيقة و«الورْد» بالفتح ما يُشَمُّ، وبالكسر الجزء، يقال: «قرأتُ وِرْدي» وخلاف الصّدور بمعنى الوُرّاد، وهم الّذين يردون الماء. ويوم الحُمَّى، يقال: وردته الحُمَّى. وبالضّمّ جمع «وَرْد» على مثل «جُوْن» و«جَوْن».

ويقال: «فرس وَرْد» و«أسد وَرْد» وهو الذي بين الكميت والأشقر ـ كما قرّره

⇐

ومثل: **الخَيْفَاء**(١)، وهي الرّسالة أو القصيدة الّتي يكون حروف إحدى كلمتيها منقوطة بأجمعها، وحروف الأُخرى غير منقوطة بأجمعها، كقول الحريري: «الكَرَمُ ـ ثَبَّتَ اللهُ جَيْشَ سُعُودِكَ ـ يَزِين»(٢) إلى آخر الرّسالة.

⇐ الجرجاني ـ. قال حاتم الطّائي ـ رحمه الله ـ:

أيــا ابــنة عــبدالله وابــنة مــالك ... ويا ابنة ذي البُرْدَين والفرس الوَرْدِ
إذا مــا صــنعتِ الزَّادَ فــالتمِسِي له ... أكــيلاً، فـإنّي لستُ آكُـلُه وَحْـدِي

* * *

(١) مأخوذ من «ناقة خَيْفَاء» إذا كانت إحدى عينيه زَرْقَاء والأخرى سوداء، والفَرَسُ أَخْيَف، وذكر ابن منظور في مادّة «خيف» من لسان العرب: وفي الحديث في صفة أبي بكر: «أَخْيَفُ بني تَيْم» الخَيَفُ في الرَّجُل أن تكون إحدى عينيه زَرْقَاء والأُخرى سَوْدَاء، والجمع: «خُوْف».

(٢) **قوله: «الكرم ـ ثبّت الله جيش سعودك ـ يزين»**. أورده الحريريّ في المقامة المراغية وهي المقامة السّادسة، وتسمّى المقامة الخيفاء أيضاً، وهذا نصّه فيها:

أَلكَرَمُ، ثَبَّتَ ٱللَّهُ جَيْشَ سُعُودِكَ يَزِينُ * وَٱللُّؤْمُ ـ غَضَّ ٱلدَّهْرُ جَفْنَ حَسُودِكَ ـ يَشِينُ * وَٱلأَرْوَعُ يُثِيبُ * وَٱلْمُعْوِرُ يَخِيبُ * وَٱلْحُلَاحِلُ يُضِيفُ * وَٱلْماحِلُ يُخِيفُ * وَٱلسَّمْحُ يُغْذِي * وَٱلْمَحْكُ يُقذِي * وَٱلْعَطَاءُ يُنْجِي * وَٱلْمِطَالُ يُشْجِي * وَٱلدُّعَاءُ يَقِي * وَٱلْمَدْحُ يُنْقِي * وَٱلْحُرُّ يَجْزِي * وَٱلإِلْطَاطُ يُخْزِي * وَٱطِّرَاحُ ذِي ٱلْحُرْمَةِ غَيٌّ * وَمَحْرَمَةُ بَنِي ٱلآمَالِ بَغْيٌ * وَمَا ضَنَّ إِلَّا غَبِينٌ * وَلَا غَبِنَ إِلَّا ضَنِينٌ * وَلَا خَزَنَ إِلَّا شَقِيٌّ * وَلَا قَبَضَ رَاحَةً تَقِيٌّ * وَمَا فَتِئَ وَعْدُكَ يَفِي * وَآرَاؤُكَ تَشْفِي * وَهِلَالُكَ يُضِي * وَحِلْمُكَ يُغْضِي * وَآلَاؤُكَ تُغْنِي * وَأَعْدَاؤُكَ تُثْنِي * وَحُسَامُكَ يُفْنِي * وَسُؤْدَدُكَ يُقْنِي * وَمُوَاصِلُكَ يَجْتَنِي * وَمَادِحُكَ يَقْتَنِي * وَسَمَاحُكَ يُغِيثُ * وَسَمَاؤُكَ تَغِيثُ * وَدَرُّكَ يَفِيضُ * وَرَدُّكَ يَغِيضُ * وَمُؤَمِّلُكَ شَيْخٌ حَكَاهُ فَيْءٌ * وَلَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ * أَمَّكَ بِظَنٍّ حِرْصُهُ يَثِبُ * وَمَدَحَكَ بِنُخَبٍ * مُهُورُهَا تَجِبُ * وَمَرَامُهُ يَخِفُّ * وَأَوَاصِرُهُ تَشِفُّ * وَإِطْرَاؤُهُ يُجْتَذَبُ * وَمَلَامُهُ يُجْتَنَبُ * وَوَرَاءَهُ ضَفَفٌ * مَسَّهُمْ شَظَفٌ * وَحَصَّهُمْ جَنَفٌ * وَعَمَّهُمْ قَشَفٌ * وَهُوَ فِي دَمْعٍ يُجِيبُ * وَوَلَهٍ

⇐

ومثل: **الرَّقْطَاء**[1]، وهي الّتي أحد حروف كلّ كلمة منها منقوطة والآخر غير منقوطة.

⇐ يُذِيبُ * وَهَمٍّ تَضَيَّفَ * وَكَمَدٍ نَيَّفَ * لِمَأْمُولٍ خَيَّبَ * وَإِهْمَالٍ شَيَّبَ * وَعَدُوٍّ نَيَّبَ * وَهُدُوٍّ تَغَيَّبَ * وَلَمْ يَزِغْ وُدُّهُ فَيَغْضَبَ * وَلَا خَبُثَ عُودُهُ فَيُقْضَبَ * وَلَا نَفَثَ صَدْرُهُ فَيُنْفَضَ * وَلَا نَشَزَ وَصْلُهُ فَيُبْغَضَ * وَمَا يَقْتَضِي كَرَمُكَ نَبْذَ حُرَمِهِ * فَبَيِّضْ أَمَلَهُ بِتَخْفِيفِ أَلَمِهِ * يَنُثُّ حَمْدَكَ بَيْنَ عَالَمِهِ * بَقِيتَ لإمَاطَةِ شَجَبٍ * وَإِعْطَاءِ نَشَبٍ * وَمُدَاوَاةِ شَجَنٍ * وَمُرَاعَاةِ يَفَنٍ * مَوْصُولاً بِخَفْضٍ * وَسُرُورٍ غَضٍّ * مَا غُشِيَ مَعْهَدُ غَنِيٍّ * أَوْ خُشِيَ وَهْمُ غَبِيٍّ * وَٱلسَّلَامُ.

(١) **قوله: «ومثل الرَّقطاء»**. وأورد لها الحريريّ في المقامة الأهوازيّة وهي السّادسة والعشرون وتسمّى المقامة الرَّقطاء أيضاً رسالةً وهذا نصّه فيها:

أَخْلاقُ سَيِّدِنَا تُحَبُّ * وبِعَقْوَتِهِ يُلَبُّ * وَقُرْبُهُ تُحَفٌ * ونَأْيُهُ تَلَفٌ * وَخُلَّتُهُ نَسَبٌ * وَقَطِيعَتُهُ نَصَبٌ * وَغَرْبُهُ ذَلِقٌ * وَشُهْبُهُ تَأْتَلِقُ * وَظَلْفُهُ زَانَ * وَقَوِيمُ نَهْجِهِ بَانَ * وَذِهْنُهُ قَلَّبَ وَجَرَّبَ * وَنَعْتُهُ شَرَّقَ وَغَرَّبَ *

سَيِّدٌ قُلَّبٌ سَبُوقٌ مُبِرٌّ   فَطِنٌ مُغْرِبٌ عَزُوفٌ عَيُوفُ
مُخْلِفٌ مُتْلِفٌ أَغَرُّ فَرِيدٌ   نَابِهٌ فَاضِلٌ ذَكِيٌّ أَنُوفُ
مُفْلِقٌ إنْ أَبَانَ طَبٌّ إذَا نَا   بَ هِيَاجٌ وَجَلَّ خَطْبٌ مَخُوفُ

مَنَاظِمُ شَرَفِهِ تَأْتَلِفُ * وَشُؤْبُوبُ حِبَائِهِ يَكِفُ * وَنَائِلُ يَدَيهِ فَاضَ * وَشُحُّ قَلْبِهِ غَاضَ * وَخِلْفُ سَخَائِهِ يُحْتَلَبُ * وَذَهَبُ عِيَابِهِ يُحْتَرَبُ * مَنْ لَفَّ لِفَّهُ فَلَجَ وَغَلَبَ * وَتَاجِرُ بَابِهِ جَلَبَ وَخَلَبَ * كَفَّ عَنْ هَضْمِ بَرِيٍّ * وَبَرِئَ مِنْ دَنَسِ غَوِيٍّ * وَقَرَنَ لِيَانَهُ بِعِزٍّ * وَنَكَّبَ عَنْ مَذْهَبِ كَزٍّ * لَيْسَ بِوَثَّابٍ عِنْدَ نُهْزَةِ شَرٍّ * بَلْ يَعِفُّ عِفَّةَ بَرٍّ *

فَلِذَا يُحَبُّ وَيُسْتَحَقُّ عَفَافُهُ   شَغَفاً بِهِ فَلُبَابُهُ خَلَّابُ
أَخْلاقُهُ غُرٌّ تَرِفُّ وَفُوقُهُ   فُوقٌ إذَا نَاضَلْتَهُ غَلَّابُ
سُجُحٌ يَهِشُّ وَذُو تَلافٍ إنْ هَفَا   خِلٌّ فَلَيْسَ بِحَقِّهِ يُرْتَابُ
لا بَاخِلٌ بَلْ بَاذِلٌ خِرْقٌ إذَا   يُعْتَرُّ بَرْزٌ لا يَلِيهِ بَابُ

⇐

ومثل: **الحذف**، وهو أن يتكلّف الكاتب أو الشّاعر[١] فيأتي برسالة، أو خُطْبَةٍ، أو قصيدةٍ لا يوجد فيها بعض حروف المُعْجَم[٢].

⇐ إنْ عَضَّ أزْلٌ فَلَّ غَرْبَ عِضَاضِهِ بِمَنَابِهِ فَآنْحَتَّ مِنْهُ نَابُ

وَجَدِيرٌ بِمَنْ لَبَّ وَفَطَنَ * وَقَرُبَ وَشَطَنَ * أنْ أذْعَنَ لِقَرِيعِ زَمَنٍ * وَجَابِرِ زَمَنٍ مُذْ رَضِعَ ثَدْيَ لِبَانِهِ * خُصَّ بِإفَاضَةِ تَهْتَانِهِ * نَعَشَ وَفَرَّجَ * وَضَافَرَ فَأبْهَجَ * وَنَافَرَ فَأزْعَجَ * وَفَاءَ بِحَقٍّ أبْلَجَ * أتْعَبَ مَنْ سَيَلِي * وَقُرِّظَ إذْ هُزَّ وَبُلِي * وَتَوَّجَ صِفَاتِهِ * بِحُبِّ عُفَاتِهِ *

فَلا خَلا ذَا بَهْجَةٍ يَمْتَدُّ ظِلُّ خِصْبِهِ

فَإنَّهُ بَرٌّ بِمَنْ آنَسَ ضَوْءَ شُهْبِهِ

زَانَ مَزَايَا ظَرْفِهِ بِلُبْسِ خَوْفِ رَبِّهِ

فَلْيَهْنِ سَيِّدَنَا فَوْزُهُ بِمَفَاخِرَ تَأثَّلَتْ وَجَلَّتْ * وَفَوْتُهُ بِصَنَائِعَ تَمَّتْ وَنَمَّتْ * وَيُلائِمُ قُرْبَ حَضْرَتِهِ * غَوْثُ رِقِّهِ بِحَظٍّ مِنْ حُظْوَتِهِ * فَإنَّهُ تَلِيدُ نَدْبٍ * وَشَرِيدُ جَدْبٍ * وَجَرِيحُ نُوَبٍ أثَّرَتْ * وَنَاظِمُ قَلائِدَ تَسَيَّرَتْ * إذَا جَاشَ لِخُطْبَةٍ فَلا يُوجَدُ قَائِلٌ * ثُمَّ قُسٌّ ثَمَّ بَاقِلٌ * فَإنْ حَبَّرَ قُلْتَ حِبْرٌ، نُمْنِمَتْ * وَخِلْتَ رِيَاضاً قَدْ نَمَتْ * هٰذَا ثُمَّ شِرْبُهُ بَرْضٌ * وَقُوتُهُ قَرْضٌ * وَفَلَقُهُ غَسَقٌ * وَجِلْبَابُهُ خَلَقٌ * وَقَدْ قَلِقَ لِتَوَغُّرِ غَرِيمٍ غَاشِمٍ * يَسْتَحِثُّهُ بِحَقٍّ لازِمٍ * فَإنْ مَنَّ سَيِّدُنا بِكَفِّهِ * بِهِبَاتِ كَفِّهِ * تَوَشَّحَ بِمَجْدٍ فَاقَ * وَبَاءَ بِأجْرِ فَكِّي مِنْ وَثَاقٍ * لَا خَلَتْ سَجَايَا خُلْقِهِ * تَرْفِدُ شَائِمَ بَرْقِهِ * بِمَنِّ رَبٍّ أزَلِيٍّ * حَيٍّ أبَدِيٍّ *

(١) **قوله: «أن يتكلّف الكاتب أو الشّاعر»**. هذا الكلام خطأ، والصّحيح: أن يأتي البليغ فيأتي برسالةٍ أو خطبةٍ أو قصيدةٍ، ولا يصحّ استعمال لفظ التكلّف لأنّه ـ أي: الحذف ـ ورد في كلام أخطب خطباء الآفاق وأفصح العرب بعد النّبيّ على الإطلاق وهو أميرالمؤمنين ـ عليه السّلام ـ كما يأتي نقله عن قريب.

(٢) **قوله: «لا يوجد فيها بعض حروف المعجم»**. ومن ذلك الخطبة الخالية من حرف الألف المنسوبة إلى أميرالمؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ أوردها ابن أبي الحديد المعتزليّ في «شرح نهج البلاغة» ١٩: ١٤٠ ـ ١٤٤ قال: وأنا الآن أذكُرُ من كلامِهِ الغريب ما لم يُورِدْه أبو عبيد وآبنُ قُتَيبة في كلامهما وأَشرَحُه أيضاً، وهي خُطْبَةٌ رَواها كثيرٌ من النّاس له ـ عليه

⇐

⇐ السّلام ـ خاليَةٌ من حَرْف الألف ؛ قالوا: تذاكر قوم من أصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: أيُّ حروف الهجاء أدخَل في الكلامِ؟ فأجمَعوا على الألف، فقال عليٌّ ـ عليه السّلام ـ:

حَمِدتُ مَنْ عظُمت مِنَّته، وسَبَغَت نعمته، وسبقَت غضبَه رحمته، وتمّت كلمتُه، ونفذتْ مشيئتُه، وبلغت قضيَّتُه ؛ حَمِدْته حَمد مُقِرٍ بربُوبيّته، متخضِّعٍ لعبوديَّته، متنصِّلٍ مِن خطيئتِهِ، متفرِّدٍ بتوحيدِهِ، مؤمِّلٍ منه مغفرةً تُنجيهِ، يومَ يُشْغَلُ عن فصيلتِهِ وبنيه.

ونستعينُهُ ونسترشِدُه ونستهديه، ونُؤْمِنُ بِهِ ونتوكَّلُ عليه، وشهِدْتُ له شهودَ مُخْلِصٍ موقِنٍ، وفَرَّدْتُهُ تفريد مُؤْمِنٍ مُتيقِّنٍ، ووَحَّدْتُهُ توحيدَ عبدٍ مذعِنٍ، ليس له شريكٌ في مُلكِهِ، ولم يكن له وليٌّ في صنعِهِ، جَلَّ عن مشيرٍ ووزيرٍ، وعن عوْنِ مُعِينٍ ونصيرٍ ونظيرٍ.

عَلِمَ فستر، وبَطَن فخبرَ، وملكَ فقهرَ، وعُصيَ فغفر، وحكم فعدلَ، لم يزلْ ولن يزولَ، ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشّورى: ١١]، وهو بعد كلِّ شيءٍ متعزِّزٌ بعزَّتِهِ، متمكِّنٌ بقُوَّتِهِ، متقدِّسٌ بعلوِّه، متكبِّرٌ بسموِّهِ، ليس يدركُهُ بصرٌ، ولم يُحِطْ به نظرٌ، قويٌّ منيعٌ، بصيرٌ سميع، رَءُوفٌ رحيمٌ.

عَجَزَ عن وصفِهِ من يصفُهُ، وضلَّ عن نعته من يعرفه.

قَرُبَ فبعُدَ، وبعُد فقرُب، يُجيبُ دعوةَ من يدعوه، ويرزقُهُ ويحبوه، ذو لطف خَفِيٍّ، وبطْشٍ قويّ، ورحمةٍ مُوسَعةٍ، وعقوبةٍ موجِعةٍ، رحْمَتُهُ جنّة عريضةٌ مونقةٌ، وعقوبته جحيمٌ ممدودةٌ موبقةٌ.

وشهِدْتُ ببعث محمّدٍ رسولِهِ، وعبدِهِ وصفيِّهِ، ونبيِّهِ ونَجِيّه، وحبيبهِ وخليله، بعثه في خيرِ عصرٍ، وحين فترةٍ وكفرٍ، رحمةً لعبيدهِ، ومِنَّةً لمزيدِهِ، ختم به نبوَّتَهُ، وشيَّدَ به حجّته، فوعظ ونصح، وبلغ وكدح، رءُوفٌ بكلِّ مُؤْمنٍ، رحيمٌ سخيٌّ، رضيٌّ وليٌّ زكيٌّ، عليه رحْمةٌ وتسليمٌ، وبركةٌ وتكريمٌ، مِنْ رَبٍّ غفورٍ رَحيم، قريبٍ مُجيبٍ.

وَصَّيتكُمْ معشرَ مَنْ حضرَنِي بوصيَّةِ رَبِّكُم، وذكَّرْتكُمْ بسُنَّةِ نبيِّكُمْ، فعليكم برَهْبةٍ تَسْكُنُ قلوبَكم، وخشيةٍ تُذْري دُمُوعكم، وتقيَّةٍ تنجيكُمْ قَبْل يومٍ تُبْلِيكم وتذهِلكم، يوْم ⇐

⇐ يفوزُ فِيه منْ ثقلَ وزنُ حَسنتهِ، وخفَّ وزنُ سيِّئتهِ، ولتكُنْ مسألتكم وتملُّقكُمْ مسألة ذلّ وخضوعٍ، وشكْرٍ وخشوعٍ، بتوْبةٍ وتَورّعٍ، وندمٍ ورجُوعٍ، وليغتنمْ كلُّ مُغتَنِم منكُمْ صحَّتُه قبل سقمه، وشبيبتِه قبل هَرَمِهِ، وسعتهُ قبلَ فقْرِهِ، وفرْغَتَهُ قُبل شُغله، وحَضرَه قبل سفره، قبلَ تكبُّرٍ وتَهَرُّم وتسقُّم، يملّهُ طبيبُهُ، ويعْرِضُ عَنْهُ حبيبهُ وينقطعُ غمْدُهُ، ويتغيَّرُ عقلهُ، ثمّ قِيلَ: هُوَ موعُوكٌ، وجسمُهُ منْهُوكٌ، ثمَّ جُدَّ في نزعٍ شدِيدٍ، وحضرَهُ كلُّ قَرِيبٍ وبعيدٍ، فَشَخصَ بصرُهُ، وطمِح نظرُهُ، ورَشَحَ جبينُهُ، وعطفَ عَرينُهُ، وسَكَن حَنِينُهُ، وحزَنْتهُ نفسهُ، وبكتهُ عِرْسُهُ، وحُفِرَ رَمْسهُ، ويُتِّمَ منْهُ ولَدُهُ، وتفرَّق منْهُ عددُهُ، وقُسِمَ جَمْعُه، وذَهَبَ بصرُهُ وسَمْعُهُ، ومدِّدَ وجُرِّدَ، وعُرِّيَ وغسِلَ، ونُشِّفَ وسُجِّيَ، وبُسِط لَهُ وهُيِّئَ، ونُشِر عليهِ كَفنُهُ، وَشُدَّ منْهُ ذَقَنُهُ، وقُمِّصَ وعمِّمَ، وَوُدِع وسلِّمَ، وحُمِلَ فَوْقَ سَريرٍ، وصُلِّي عليْهِ بتَكْبيرٍ، ونُقِل مِنْ دُورٍ مُزَخْرَفَةٍ، وقُصُورٍ مُشيَّدَةٍ، وحُجَرٍ مُنجَّدَةٍ، وجُعلَ في ضريحٍ ملْحُودٍ وضِيق مرْصُودٍ، بِلَبِنٍ مَنضُودٍ، مُسقَّفٍ بجُلْمُودٍ، وهيلَ عليْهِ حفْرُهُ، وحُثِيَ عَلَيْهِ مَدَرهُ، وتحقَّقَ حِذْرُهُ، ونُسِيَ خبرُهُ، وَرَجَع عنْهُ وليُّه وصفيّه، ونديمُهُ ونَسِيبه، وتبدَّل بهِ قرينه وحبيبُهُ، فهو حشو قبرٍ، ورهينُ قفرٍ، يسعى بجسمه دُود قبرِهِ، ويسيل صدِيدهُ مِنْ مَنْخِرِهِ، يَسْحَقُ تُرْبُه لحمهُ، ويَنشَفُ دَمَهُ، ويَرُمّ عظمَهُ حَتَّى يوْم حشرهِ، فنُشِرَ مِنْ قَبْرِهِ حِينَ يُنْفَخُ في صُورٍ، ويُدْعَى بحشْرٍ ونُشُورٍ.

فثمَّ بعثِرتْ قُبُور، وحُصِّلَتْ سرِيرَةُ صُدُورٍ، وَجِيءَ بِكلِّ نبيٍّ وصدِّيقٍ وشهيدٍ، وتوحَّدَ لِلفَصْلِ قديرٌ بعبدِهِ خبيرٌ بصير، فكَمْ مِنْ زَفْرة تُضْنيهِ، وحسرةٍ تنضيهِ، في مَوْقفٍ مَهُولٍ، ومشْهدٍ جَليلٍ، بَيْنَ يَدَيْ ملكٍ عظيمٍ، وبِكلِّ صَغِيرٍ وكَبيرٍ عَليم، فحينئذٍ يُلْجِمُهُ عرَقُهُ، ويُحصِرُه قلقهُ، عبْرتُهُ غير مرحومةٍ، وصرْخته غيرُ مسموعَةٍ، وحجّتهُ غير مقبولة، زَالتْ جريدته، ونشرَتْ صحيفتهُ؛ نظرَ في سوءِ عملهِ، وشهدتْ عليْه عيْنه بنظره، ويدهُ ببَطشهِ، ورجلُهُ بخطْوه، وفرْجهُ بلمسهِ، وجلدُه بمسِّهِ، فسلسِلَ جيدُه، وغُلَّتْ يده، وسيقَ فسحب وحْدَه، فوَرَد جهنَّمَ بكرْبٍ وشدَّةٍ، فظلَّ يعذَّبُ في جحيمٍ، ويُسْقى شَرْبةً مِنْ حَمِيمٍ، تَشْوي وجْهَهُ، وتسلخُ جلْدَهُ، وتضْربهُ زِبْنِيَةٌ بمقْمَعٍ منْ حَدِيدٍ، ⇐

⇐ ويعودُ جلْده بَعْدَ نُضْجه كجلْدٍ جَديدٍ، يستغيثُ فتعرض عنْه خزنةُ جهنَّمَ، ويستصْرِخُ فيلبث حَقْبةً يَنْدَمُ.

نعوذ بربٍّ قَدِيرٍ، منْ شَرِّ كلِّ مصيرٍ، ونَسْأله عفو مَنْ رَضيَ عنْه، ومغفرة منْ قبله، فهوَ وليُّ مسألتِي، ومُنجحُ طلبتي، فمنْ زُحْزحَ عَنْ تعذِيب رَبِّهِ جُعِل في جَنَّتِه بِقُرْبِه، وخلد في قصورٍ مُشيَّدة، ومُلْكٍ بحورٍ عينٍ وحفدةٍ، وطيفَ عليْهِ بكُؤوْسٍ، أُسْكِنَ في حَظِيرَة قُدُّوس، وتقلَّبَ في نعيم، وسُقي مِنْ تسنيمٍ، وشرب مِنْ عيْنٍ سَلْسَبيلٍ، ومُزِجَ له بزنْجبيلٍ، مُخَتَّمٍ بِمسكٍ وعبيرٍ، مُستدِيم للملكِ، مُسْتَشعرٍ لِلسُّرُر، يشربُ مِنْ خُمُورٍ، في روْضٍ مُغدِقٍ، لَيْسَ يُصَدَّعُ مَنْ شَربَه، ولَيسَ يُنزَف.

هَذِه منْزِلةُ مَنْ خشيَ ربَّهُ، وحذر نفسَهُ معصيتهُ، وتلكْ عقُوبةُ مَنْ جَحَد مشيئتهُ، وسوّلتْ له نفسهُ معصيتهُ، فهو قَوْلٌ فصلٌ، وحُكم عدْلٌ وخبر قصص قصٌّ، ووَعْظ نَصٌّ، ﴿**تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ نَزَلَ بهِ رُوحُ قُدُسٍ مُبين، عَلَى قَلْب نبيٍ مُهْتدٍ رَشِيدٍ، صلَّتْ عَليهِ رُسُلٌ سفرَةٌ، مُكَرَّمُونَ بَرَرَةٌ، عُذتُ بربِّ عَلِيم، رَحيم كَرِيم، مِنْ شَرِّ كلِّ عدُوٍ لَعِينٍ رَجِيمٍ، فلْيَتضرَّعْ مُتَضرِّعكم، ولْيبتهلْ مُبتهِلُكُمْ، ولْيستغفرْ كلُّ مَرْبوبٍ منكُمْ لي وَلكم، وَحسبي رَبِّي وحدَهُ.

الشَّرْحُ:

«فصيلةُ الرجل»: رهطُه الأدْنَوْن. و«كَدح»: سعى سعياً فيه تعب، و«فرْغته»: الواحدةُ من الفَراغ، تقول: «فَرَغْت فرْغةً» كقولك: «ضربتُ ضربةً». و«سَجَّى الميّتَ»: بسط عليه رداءً. و«نَشَر الميّت من قبْره» ـ بفتح النّون والشّين ـ وأَنشَرَه اللهُ ـ تعالى ـ.

و«بُعثِرت قبور»: انتَثرتْ ونُبِشَتْ.

قوله: «وسيق بسحب وحدَه»، لأنّه إذا كان معه غيره كان كالمتأسِّي بغيره، فكان أخفَّ لألمه وعذابه، وإذا كان وحده كان أشدَّ ألماً وأهوَل، ورُوِيَ «فسيقَ يُسحَب وحدَه» وهذا أقرب إلى تناسُب الفِقْرَتَين، وذاك أفخم معنىً.

و«زِبْنية» على وَزْن «عِفْرِية» واحد «الزّبانية» وهم عند العرب الشُّرَط، وسُمِّيَ بذلك

⇐

⇐ بعض الملائكة لدَفْعهم أهل النّار إليها كما يَفعل الشُّرَط في الدُّنيا، ومن أهل اللّغة من يجعَل واحد «الزّبانية»: «زبانيّ». وقال بعضهم: «زَابن» ومنهم من قال: هو جمع لا واحدَ له، نحو «أبابيل» و«عبادِيد»، وأصل «الزّبْن» في اللّغة الدَّفْع، ومنه «ناقَةٌ زَبُون»: تَضرِب حالبَها وتَدفعه.

وتقول: «مَلك زيدٌ بفلانةَ» ـ بغير ألف ـ والباء هاهنا زائدة كما زيدت في «كَفَى باللّه حسيبا»، وإنّما حَكمنا بزيادتها لأنّ العَرَب تقول: «ملكتُ أنا فلانةً» أي: تزوّجتُهَا، و«أملكْت فلانةً بزيْدٍ» أي: زوّجْتها به، فلمّا جاءت الباء هاهنا ولم يكن بُدٌّ من إثبات الألف لأجلِ مجيئها جعلناها زائدة، وصار تقديرُه: ومَلَكَ حُوراً عينا.

وقال المفسِّرون في «تَسْنيم»: إنّه اسمُ ماءٍ في الجنّة سُمِّي بذلك؛ لأنّه يجري من فوق الغُرَف والقُصور.

وقالوا في «سلسبيل»: إنّه اسمُ عَيْنٍ في الجنّة ليس يُنزِف ولا يُخمِّرُ كما يُخمَر شارب الخمْر في الدّنيا.

* * *

ويلحق بذلك الخطبة العريّة عن النقطة كما أنشأها الحريريّ في المقامة السّمرقنديّة وهي الثّامنة والعشرون يقول فيها:

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلْمَمْدُوحِ ٱلأَسْمَاءِ * ٱلْمَحْمُودِ ٱلآلاءِ * ٱلْوَاسِعِ ٱلْعَطَاءِ * ٱلْمُدْعُوِّ لِحَسْمِ ٱللَّأْوَاءِ * مَالِكِ ٱلأُمَمِ وَمُصَوِّرِ ٱلرِّمَمِ * وَأَهْلِ ٱلسَّمَاحِ وَٱلْكَرَمِ * وَمُهْلِكِ عَادٍ وَإِرَمَ * أَدْرَكَ كُلَّ سِرٍّ عِلْمُهُ * وَوَسِعَ كُلَّ مُصِرٍّ حِلْمُهُ * وَعَمَّ كُلَّ عَالَمٍ طَوْلُهُ * وَهَدَّ كُلَّ مَارِدٍ حَوْلُهُ * أَحْمَدُهُ حَمْدَ مُوَحِّدٍ مُسْلِمٍ * وَأَدْعُوهُ دُعَاءَ مُؤَمِّلٍ مُسَلِّمٍ * وَهُوَ ٱللَّهُ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْوَاحِدُ ٱلأَحَدُ * ٱلْعَادِلُ ٱلصَّمَدُ * لاَ وَلَدَ لَهُ وَلا وَالِدٌ * وَلَا رِدْءَ مَعَهُ وَلا مُسَاعِدٌ * أَرْسَلَ مُحَمَّداً لِلإِسْلَامِ مُمَهِّداً * وَلِلْمِلَّةِ مُوَطِّداً * وَلِأَدِلَّةِ الرُّسُلِ مُؤَكِّداً * وَلِلأَسْوَدِ وَٱلأَحْمَرِ مُسَدِّداً * وَصَلَ ٱلأَرْحَامَ * وَعَلَّمَ ٱلأَحْكَامَ * وَوَسَمَ، ٱلْحَلالَ وَٱلْحَرَامَ * وَرَسَمَ ٱلإِحْلَالَ وَٱلإِحْرَامَ * كَرَّمَ ٱللَّهُ مَحَلَّهُ * وَكَمَّلَ ٱلصَّلاةَ وَٱلسَّلامَ لَهُ * وَرَحِمَ آلَهُ ٱلْكُرَمَاءَ * وَأَهْلَهُ ٱلرُّحَماءَ * مَا هَمَرَ

⇐

⇐ رُكَامٌ * وَهَدَرَ حَمَامٌ * وَسَرَحَ سَوَامٌ * وَسَطَا حُسَامٌ * اعْمَلُوا رَحِمَكُمُ ٱللَّهُ عَمَلَ ٱلصُّلَحَاءِ * وَٱكْدَحُوا لِمَعَادِكُمْ كَدْحَ ٱلأَصِحَّاءِ * وَٱرْدَعُوا أَهْوَاءَكُمْ رَدْعَ الأَعْدَاءِ * وَأَعِدُّوا لِلرِّحْلَةِ إِعْدَادَ ٱلسُّعَدَاءِ * وَٱدَّرِعُوا حُلَلَ ٱلْوَرَعِ * وَدَاوُوا عِلَلَ ٱلطَّمَعِ * وَسَوُّوا أَوَدَ ٱلْعَمَلِ * وَعَاصُوا وَسَاوِسَ ٱلأَمَلِ * وَصَوِّرُوا لأَوْهَامِكُمْ حُؤُولَ ٱلأَحْوَالِ * وَحُلُولَ ٱلأَهْوَالِ * وَمُسَاوَرَةَ ٱلأَعْلالِ * وَمُصَارَمَةَ ٱلْمَالِ وَٱلآلِ * وَٱدَّكِرُوا ٱلْحِمَامَ وَسَكْرَةَ مَصْرَعِهِ * وَٱلرَّمْسَ وَهَوْلَ مُطَّلَعِهِ * وَٱللَّحْدَ وَوَحْدَةَ مُودَعِهِ * وَٱلْمَلَكَ وَرَوْعَةَ سُؤَالِهِ وَمَطْلَعِهِ * وَٱلْمَحُوا ٱلدَّهْرَ وَلُؤْمَ كَرِّهِ * وَسُوءَ مِحَالِهِ وَمَكْرِهِ * كَمْ طَمَسَ مَعْلَماً * وَأَمَرَّ مَطْعَماً * وَطَحْطَحَ عَرَمْرَماً * وَدَمَّرَ مَلِكاً مُكَرَّماً * هَمُّهُ سَكُّ ٱلْمَسَامِعِ * وَسَحُّ ٱلْمَدَامِعِ * وَإِكْدَاءُ ٱلْمَطَامِعِ * وَإِرْدَاءُ ٱلْمُسْمِعِ وَٱلسَّامِعِ * عَمَّ حُكْمُهُ ٱلْمُلُوكَ وَٱلرَّعَاعَ * وَٱلْمَسُودَ وَٱلْمُطَاعَ * وَٱلْمَحْسُودَ وَٱلْحُسَّادَ * وَٱلأَسَاوِدَ وَٱلآسَادَ * مَا مَوَّلَ إِلَّا مَالَ * وَعَكَسَ ٱلآمَالَ * وَمَا وَصَلَ إِلَّا وَصَالَ * وَكَلَمَ ٱلأَوْصَالَ * وَلَا سَرَّ إِلَّا وَسَاءَ * وَلَؤُمَ وَأَسَاءَ * وَلا أَصَحَّ إِلَّا وَلَدَ ٱلدَّاءَ * وَرَوَّعَ ٱلأَوِدَّاءَ * اللَّه اللَّه * رَعَاكُمُ ٱللَّه * إِلامَ مُدَاوَمَةُ ٱللَّهْوِ * وَمُوَاصَلَةُ ٱلسَّهْوِ * وَطُولُ ٱلإِصْرَارِ * وَحَمْلُ ٱلآصَارِ * وَٱطِّرَاحُ كَلامِ ٱلْحُكَمَاءِ * وَمُعَاصَاةِ إِلٰهِ ٱلسَّمَاءِ * أَمَا ٱلْهَرَمَ حَصَادُكُمْ * وَٱلْمَدَرُ مِهَادُكُمْ * أَمَا ٱلْحِمَامُ مُدْرِكُكُمْ * وَٱلصِّرَاطُ مَسْلَكُكُم * أَمَا ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُكُمْ * وَٱلسَّاهِرَةُ مَوْرِدُكُمْ * أَمَا أَهْوَالُ ٱلطَّامَّةِ لَكُمْ مُرْصَدَةٌ * أَمَا دَارُ ٱلْعُصَاةِ ٱلْحُطَمَةُ ٱلْمُؤْصَدَةُ * حَارِسُهُمْ مَالِكٌ * وَرُوَاؤُهُمْ حَالِكٌ * وَطَعَامُهُمُ ٱلسُّمُومُ * وَهَوَاؤُهُمُ ٱلسَّمُومُ * لا مَالَ أَسْعَدَهُمْ وَلا وَلَدَ * وَلا عَدَدَ حَمَاهُمْ وَلَا عُدَدَ * أَلا رَحِمَ ٱللَّهُ ٱمْرأً مَلَكَ هَوَاهُ * وَأَمَّ مَسَالِكَ هُدَاهُ * وَأَحْكَمَ طَاعَةَ مَوْلَاهُ * وَكَدَحَ لِرَوْحِ مَأْوَاهُ * وَعَمِلَ مَا دَامَ ٱلْعُمْرُ مُطَاوِعاً * وَٱلدَّهْرُ مُوَادِعاً * وَٱلصِّحَّةُ كَامِلَةٌ * وَٱلسَّلامَةُ حَاصِلَةٌ * وَإِلَّا دَهَمَهُ عَدَمُ ٱلْمَرَامِ * وَحَصَرُ ٱلْكَلامِ * وَإِلْمَامُ ٱلآلامِ * وَحُمُومُ ٱلْحِمَامِ * وَهُدُوُّ ٱلْحَوَاسِّ * وَمِرَاسُ ٱلأَرْمَاسِ * آهاً لَهَا حَسْرَةً أَلَمُهَا مُؤَكَّدٌ * وَأَمَدُهَا سَرْمَدٌ * وَمُمَارِسُهَا مُكْمَدٌ * مَا لِوَلَهِهِ حَاسِمٌ * وَلَا لِسَدَمِهِ رَاحِمٌ * وَلا لَهُ مِمَّا عَرَاهُ عَاصِمٌ * أَلْهَمَكُمُ ٱللَّهُ أَحْمَدَ ٱلإِلْهَامِ * وَرَدَّاكُمْ رِدَاءَ ٱلإِكْرَامِ * وَأَحَلَّكُمْ دَارَ ٱلسَّلامِ * وَأَسْأَلُهُ ٱلرَّحْمَةَ لَكُمْ وَلأَهْلِ مِلَّةِ ٱلإِسلامِ * وَهُوَ أَسْمَحُ ٱلْكِرَامِ * وَٱلْمُسَلِّمُ وَٱلسَّلامُ *

⇐

والثّاني: ما لا أثر له في التّحسين قطعاً، مثل: **التّرديد**، وهو أن تعلّق الكلمة في المِصْرَاع أو الفِقْرَة بمعنىً، ثمّ تعلّقها بعينها بمعنىً آخر، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ** ﴾[1] وكقول زهير:

⇐ ومثلها خطبته الخالية من النّقطة أيضاً المذكورة في المقامة الواسطيّة وهي التّاسعة والعشرون يقول فيها:

ٱلْحَمْدُ للَه ٱلْمَلِكِ ٱلْمَحْمُودِ * ٱلْمَالِكِ ٱلْوَدُودِ * مُصَوِّرِ كُلِّ مَوْلُودٍ * وَمَآلِ كُلِّ مَطْرُودٍ * سَاطِحِ ٱلْمِهَادِ * وَمُوَطِّدِ ٱلأَطْوَادِ * وَمُرْسِلِ ٱلأَمْطَارِ * وَمُسَهِّلِ ٱلأَوْطَارِ * وَعَالِمِ ٱلأَسْرَارِ وَمُدْرِكِهَا * وَمُدَمِّرِ ٱلأَمْلَاكِ وَمُهْلِكِهَا * وَمُكَوِّرِ ٱلدُّهُورِ وَمُكَرِّرِهَا * وَمُورِدِ ٱلأُمُورِ وَمُصْدِرِهَا * عَمَّ سَمَاحُهُ وَكَمَلَ * وَهَطَلَ رُكَامُهُ وَهَمَلَ * وَطَاوَعَ ٱلسُّؤْلَ وَٱلأَمَلَ * وَأَوْسَعَ ٱلْمُرْمِلَ وَٱلأَرْمَلَ * أَحْمَدُهُ حَمْداً مَمْدُوداً مَدَاهُ * وَأُوَحِّدُهُ كَمَا وَحَّدَهُ ٱلأَوَّاهُ * وَهُوَ ٱللَّهُ لا إِلٰهَ لِلأُمَمِ سِوَاهُ * وَلَا صَادِعَ لِمَا عَدَّلَهُ وَسَوَّاهُ * أَرْسَلَ مُحَمَّداً عَلَماً لِلإِسْلامِ * وَإِمَاماً لِلْحُكَّامِ * وَمُسَدِّداً لِلرَّعَاعِ * وَمُعَطِّلاً أَحْكَامَ وُدٍّ وَسُوَاعٍ * أَعْلَمَ وَعَلَّمَ * وَحَكَمَ وَأَحْكَمَ * وَأَصَّلَ ٱلأُصُولَ وَمَهَّدَ * وَأَكَّدَ ٱلْوُعُودَ وَأَوْعَدَ * وَاصَلَ ٱللَّهُ لَهُ ٱلإِكْرَامَ * وَأَوْدَعَ رُوحَهُ دَارَ ٱلسَّلامِ * وَرَحِمَ آلَهُ وَأَهْلَهُ ٱلْكِرَامَ * مَا لَمَعَ آلٌ * وَمَلَعَ رَالٌ * وَطَلَعَ هِلالٌ * وَسُمِعَ إِهْلالٌ * اعْمَلُوا رَعَاكُمُ ٱللَّهُ أَصْلَحَ ٱلأَعْمَالِ * وَٱسْلُكُوا مَسَالِكَ ٱلْحَلالِ * وَٱطَّرِحُوا ٱلْحَرَامَ وَدَعُوهُ * وَٱسْمَعُوا أَمْرَ ٱللَّهِ وَعُوهُ * وَصِلُوا ٱلأَرْحَامَ وَرَاعُوهَا * وَعَاصُوا ٱلأَهْوَاءَ وَٱرْدَعُوهَا * وَصَاهِرُوا لُحَمَ ٱلصَّلاحِ وَٱلْوَرَعِ * وَصَارِمُوا رَهْطَ ٱللَّهْوِ وَٱلطَّمَعِ * وَمُصَاهِرُكُمْ أَطْهَرُ ٱلأَحْرَارِ مَوْلِداً * وَأَسْرَاهُمْ سُؤْدَداً * وَأَحْلاهُمْ مَوْرِداً * وَأَصَحُّهُمْ مَوْعِداً * وَهَا هُوَ أَمَّكُمْ * وَحَلَّ حَرَمَكُمْ * مُمْلِكاً عَرُوسَكُمْ ٱلْمُكَرَّمَةَ * وَمَاهِراً لَهَا كَمَا مَهَرَ ٱلرَّسُولُ أُمَّ سَلَمَةَ. وَهُوَ أَكْرَمُ صِهْرٍ أُودِعَ ٱلأَوْلادَ * وَمُلِّكَ مَنْ أَرَادَ * وَمَا سَهَا مُمْلِكُهُ وَلا وَهِمَ * وَلَا وَكِسَ مُلاحِمُهُ وَلا وُصِمَ * أَسْأَلُ ٱللَّهَ لَكُمْ إِحْمَادَ وِصَالِهِ * وَدَوَامَ إِسْعَادِهِ * وَأَلْهَمَ كُلًّا إِصْلَاحَ حَالِهِ * وَٱلإِعْدَادَ لِمَعَادِهِ * وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ٱلسَّرْمَدُ * وَٱلْمَدْحُ لِرَسُولِه مُحَمَّدٍ.

(١) الأنعام: ١٢٤.

مَنْ يَلْقَ يَوْماً عَلىٰ عِلّاتِهِ هَـرِماً[(١)] يَلْقَ السَّمَاحَةَ فِيهِ وَالنَّـدىٰ خُـلُقَا

---

(١) **قوله**: «**مَنْ يَلْقَ يوماً على عِلّاته هَرِماً**». البيت من البسيط على العروض التّامّة المخبونة مع الضّرب المشابه، والقائل زهير بن أبي سُلمى المُزَنِيّ حكيم الشّعراء الجاهليّين، وهو من قصيدة يمدح بها هَرِم بن سنان مطلعها:

إنّ الخـليط أَجَـدَّ البَـيْنَ فـانفرقا ... وعُلِّقَ القلبُ مـن أسماءَ ما عَـلِقَا
وفـارقتك بـرهنٍ لا فكـاك له ... يوم الوَداع فأمسى الرَّهنُ قَد عَـلِقَا
وأخلفتك ابنةُ البَكْرِيِّ مـا وعـدت ... فأصـبح الحَـبْلُ مـنها واهـناً خَـلَقا

قال:

بَلِ آذْكُرَنْ خير قـيسٍ كـلّها حَسَـباً ... وخـيرها نـائلاً وخـيرها خُـلُقَا
القـائد الخـيلَ مـنكوباً دوابِـرُها ... قد أُحْكِمَتْ حَكَمَاتِ القِدّ والأَبَـقا
غَزَتْ سِـمَاناً فآبت ضُـمَّراً خُـدُجَا ... مـن بـعد مـا جَـنَبُوْهَا بُـدَّناً عُـقُقاً
حـتّى يـؤوب بـها عـوجاً مـعطّلةً ... تشكو الدَّوَابِرَ والأَنْسَـاءَ والصُّـفُقَا
يـطلب شَأْوَ آمْـرأيْـنِ قـدّما حَسَـناً ... نـالا المُـلُوكَ وَبـذَّا هـذه السُّـوَقا
هو الجَـوَادُ فـإن يـلحق بشأوهـما ... عـلى تكـاليفه فـمثله لَـحِقَا
أو يسبقاه عـلى مـا كـان مـن مَـهَلٍ ... فـمثل مـا قَـدَّمَا مـن صـالح سَـبَقَا
أَغَرُّ، أبيَضُ، فـيّاض، يُـفَكِّكُ عـن ... أيدي العُـنَاة وعـن أعـناقها الرِّبَـقَا
وذاك أحـزَمُهم رأيـاً إذا نَـبأٌ ... من الحوادث غادى النّاس أو طَرَقا
فضلَ الجِياد على الخيل البِطَاءِ فلا ... يُـعْطِي بـذلك مـمنوناً ولا نَـزِقَا
قد جعل المُبْتَغُوْنَ الخيرَ فـي هِـرَمٍ ... والسّـائلون إلى أبـوابـه طُـرُقَا
إنْ تَـلْقَ يـوماً عـلى عِـلّاتِهِ هَـرِماً ... تَلْقَ السَّـمَاحَةَ مـنه والنَّـدَى خُـلُقَا
وليس مـانِعَ ذي قُـرْبَى وذي نَسَـبٍ ... يوماً ولا مُـعْدِماً مـن خـابِطٍ وَرَقَـا
ليثٌ بَـعَثَّرَ يَـصْطَادُ الرِّجَـالَ إذا ... ما كَذَّبَ الليثُ عـن أقـرانـه صَـدَقَا
يَطْعَنُهُم مَا آرْتَمَوْا حتّى إذا اطّـعنوا ... ضـارَبَ حَتَّى إذا ما ضـاربوا اعـتنقا
هـذا وليس كـمن يـعيا بِـخُطَّتِهِ ... وَسْـطَ النَّـدِيِّ إذا مـا نـاطِقٌ نَـطَقَا
لو نـال حَـيٌّ مـن الدُّنْـيَا بـمنزلةٍ ... أُفْـقَ السَّـمَاءِ لنـالَتْ كَـفُّهُ الأُفُـقَا

وكقول أبي نؤاس:

صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ الأحزانُ سَاحَتَها[1]   لَـوْ مَسَّـهَا حَـجَرٌ مَسَّـتْهُ سَـرّاءُ

ومثل: **التّعديد** ـ ويُسمّى «سياقة الأعداد» ـ وهو إيقاع أسماءٍ مفردة على سياق واحد[2].

---

(١) **قوله: «صَفْرَاءُ لا تَنْزِلُ الأَحْزَانُ سَاحَتَها»**. البيت من البسيط على العروض التّامّة المخبونة مع الضّرب المقطوع والقائل: أبو نُؤاس ١٤٦ ـ ١٩٨هـ من قصيدة يقولها في ذمّ النّظّام البصريّ إبراهيم بن سيّار المتكلّم:

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فإنّ اللَّوْمَ إغْـرَاءُ   وداوِني بالّتِي كانت هي الدَّاءُ
صَفْرَاءُ لا تنزِلُ الأحزانُ ساحَتَها   لو مَسَّها حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاءُ
من كَفِّ ذاتِ حِرٍ في زَيِّ ذي ذَكَرٍ   لهـا مُحِبّانِ لُـوْطِيٌّ وزَنَّاءُ
قامَتْ بإبريقها والليل مُعْتَكِرٌ   فلَاحَ من وجهها في البيت لأَلَاءُ
فَأَرْسَلَتْ من فم الإبريق صافيةً   كأنّما أخذُها بالعين إغْفَاءُ
رَقَّت عن الماء حتّى ما يُلَائِمُهَا   لطافةً وجفا عن شكلها الماءُ
فلو مزجتَ بها نوراً لَمَازَجَها   حتّى تَوَلَّدُ أنوارٌ وأضواءُ
دارَتْ على فِتْيَةٍ دان الزَّمَانُ لهم   فما يُصِيبُهُم إلّا بما شاؤوا
لتلك أبكي ولا أبكي لِمَنْزِلَةٍ   كانت تَحُلُّ بها هِنْدٌ وأَسْمَاءُ
حاشا لِدُرَّةَ أن تُبْنَى الخِيَامُ لها   وأن تَرُوْحَ عليها الإبْلُ والشَّاءُ
فقل لمن يدّعي في العلم فَلْسَفَةً   حَفِظْتَ شيئاً وغابت عنك أشياء
لا تَحْظُرِ العَفْوَ إن كنت امرأً حَرِجاً   فإنَّ حَظْرَكَهُ في الدِّيْنِ إِزْرَاءُ

* * *

(٢) مثاله قول المتنبّي:

على ذا مضى النّاس: اجتماعٌ وفُرْقَةٌ   ومَيْتٌ، ومَوْلُودٌ، وقالٍ ووَامِقُ

ومثل: ما يُسمّى «تنسيق الصّفات» وهو تعقيب موصوف بصفات متوالية(١).

وإمّا لعدم الفائدة في ذكره ـ لكونه داخلاً فيما ذكرنا ـ مثل: ما سمّاه بعض المتأخّرين «**الإيضاح**» وهو أن ترى في كلامك خَفَاء(٢) دلالةٍ، فتأتي بكلامٍ يبيّن المراد ويوضحه، فإنّه داخل في «**الإطناب**».

ومثل: «**التّوشيع**»(٣) بالمعنى المذكور في باب «**الإطناب**» وقد أورده في المُحَسِّنات.

أو لكونه مشتملاً على تخليط، مثل: ما سمّاه «**حسن البيان**» وهو كشف المعنى

⇐ وقوله:

ومُرْهَفٍ سِرْتُ بين الجَحْفَلَين به ... حتّى ضربتُ وموجُ المَوْتِ يَلْتَطِمُ
فالخَيْلُ، واللّيْلُ، والبَيْدَاءُ تعرفني ... والسَّيْفُ والرُّمْحُ والقِرْطَاسُ والقَلَمُ

(١) ومثاله قوله ـ تعالى ـ: ﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ**﴾ [الحشر: ٢٣]، وقول مؤمن قريش شيخ الأباطح أبي طالب ـ عليه السّلام ـ يمدح رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ:

وأبيضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بوجهه ... ثِمَالُ اليَتَامَى، عِصْمَةٌ للأرامِلِ

(٢) وهو قد يكون في مفرد، وقد يكون في جملةٍ:

فالأوّل: قوله ـ تعالى ـ: ﴿**إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً**﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢١]، وسئل الأصمعيّ عن معنى الألمعيّ فأنشد قول أوسٍ:

الألمعي الّذي يظنّ بك الـ ... ـظنّ كأن قد رأى وقد سَمِعَا

وقال أبو العالية: «القيّوم»: لا تأخذه سنة ولا نوم. وقال القُرَظيّ: «الصَّمَد»: لم يلد ولم يولد.

والثّاني: قوله ـ تعالى ـ: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ**﴾ [آل عمران: ٥٩]، فقوله: «خلقه من تراب» وما بعده إيضاح.

(٣) هو أن يؤتى في عجز الكلام ـ نظماً كان أم نثراً ـ بِمُثَنّىً مُفَسَّرٍ باسمين ثانيهما معطوف على الأوّل، نحو: «يَشِيْبُ ابنُ آدَمَ ويَشِبُّ فيه خَصْلَتَان: الحِرْصُ وطُوْلُ الأَمَل».

وإيصاله إلى النّفس[(١)]، فإنّه قد يجيء مع «**الإيجاز**» وقد يجيء مع «**الإطناب**» ومع «**المساواة**» أيضاً.

القسم الثّاني: ما لا بأس بذكره ـ لاشتماله على فائدة، مع عدم دخوله فيما سبق ـ مثل: القول في «السَّرِقات الشّعريّة» وما يتّصل بها، ومثل: القول في «الابتداء» و«التّخلّص» و«الانتهاء».

والمصنّف قد ختم «الفنّ الثّالث» بذكر هذه الأشياء، وعقد لها خاتِمةً وفصلاً، وعُلِم بذلك أنّ الخاتمة إنّما هي خاتمة «الفنّ الثّالث» وليست خاتمةَ الكتاب[(٢)]، خارجةً عن الفنون الثّلاثة، كالمقدّمة[(٣)] ـ على ما توهّمه بعضهم ـ.

---

(١) قال المدني في «الأنوار» في تعريف «حسن البيان»: «هو المنطق الفصيح المعرب عمّا في الضّمير» ثمّ قال: ليس له مثال يختصّ به، بل كلّ كلامٍ دلّ على ما في النّفس وأعرب عمّا في الضّمير بعبارة بليغة دخل في حدّ هذا النّوع. ومثاله قول امرئ القيس:

كأنّي غَداة البين يوم تحمّلوا ... لدى سمرات الحيّ ناقف حَنْظَل

فإنّ أصل معناه الإبانة عن أنّ عينيه تدمعان وذلك حاصل بقوله: «كأنّي ناقف حنظل» لأنّ الحنظل ممّا تدمع العين بنقفه، وباقي الألفاظ مستدعاةٌ زائدة.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾ [يس: ٧٨ ـ ٧٩].

(٢) والمصنّف صرّح في «الإيضاح» ٥٧١: بأنّها خاتمة الكتاب حيث قال: فعقدنا فيهما ـ في القول في السَّرِقات الشّعريّة وما يتّصل بها، والقول في الابتداء، والتخلّص، والانتهاء ـ فَصْلَيْنِ ختمنا بهما الكتاب.

(٣) أي: مقدّمة الكتاب، فإنّها خارجة عن الفنون الثلاثة ـ كما تقدّم في صدر الكتاب ـ.

﴿ خاتمة في السَّرِقات الشّعريّة وما يتّصِلُ بها ﴾

أي: بالسَّرِقات مثل: الاقتباس، والتّضمين، والحَلّ، والعَقْد، والتّلميح ﴿ **وغير ذلك** ﴾ مثل: القول في الابتداء، والتّخلّص، والانتهاء.

[مواضع لا سَرِقة فيها]

﴿ **اتّفاق القائلين إن كان في الغرض على العموم كالوصف بالشَّجَاعة والسَّخَاوة** ﴾ وحسن الوجه، والبِهاء ونحو ذلك ﴿ **فلا يعدّ سَرِقَةً** ﴾ ولا استعانة ولا أخذاً ونحو ذلك ممّا يؤدّي هذا المعنى ﴿ **لتقرّره** ﴾ أي: لتقرّر هذا الغرض العامّ ﴿ **في العُقُول والعادات** ﴾ ويشترك فيه الفصيحُ والأَعْجَم، والشّاعرُ والمُفْحَم.

﴿ **وإن كان** ﴾ اتّفاق القائلين ﴿ **في وجه الدُّلالة** ﴾ على الغرض، وهو أن يذكر ما يستدلّ به على إثبات وجه من الشَّجَاعة، والسَّخَاء، وغير ذلك ـ ﴿ **كالتّشبيه، والمجاز، والكناية، وكذكر هَيْئَاتٍ تَدُلُّ على الصّفة لاختصاصها بمن هي له** ﴾ أي: لاختصاص تلك الهيئات بمن ثبتت تلك الصّفة له ﴿ **كوصف الجَوَاد بالتّهلّل عند وجود العُفَاة** ﴾ أي: السّائلين ﴿ **و** ﴾ كوصف ﴿ **البخيل بالعُبُوس، مع سِعَةَ ذات اليد ـ فإن اشترك النّاس في معرفته** ﴾ أي: معرفة وجه الدّلالة على الغرض ﴿ **لاستقراره فيهما** ﴾ أي: في العُقُول والعادات ـ ﴿ **كتشبيه الشُّجَاع بالأسد والجَوَاد بالبحر ـ فهو كالأوّل** ﴾ أي: فالاتّفاق في هذا النّوع من وجه الدّلالة على هذا الغرض كالاتّفاق في الغرض العامّ في أنّه لا يُعَدُّ سَرِقَةً، ولا أخذاً.

فقوله: «فهو كالأوّل» جزاء لقوله: «فإن اشترك النّاس» وهذه الجُمْلة الشّرطيّةُ جزاء لقوله: «وإن كان وجه الدّلالة».

﴿ **وإلّا** ﴾ أي: وإن لم يشترك النّاس في معرفته، ولم يصل إليه كلّ أحد ـ لكونه ممّا لا يُنَالُ إلّا بفكر ـ ﴿ **جاز أن يدّعى فيه** ﴾ أي: في هذا النّوع من وجه الدّلالة ﴿ **السّبق والزّيادة** ﴾ بأن يحكم بين القائلين فيه بالتّفاضل وأنّ أحدهما فيه أكمل من الآخر، وأنّ الثّاني زاد على الأوّل أو نقص عنه.

﴿ **وهو** ﴾ أي: ما لا يشترك النّاس في معرفته ـ من وجه الدّلالة على الغرض ـ ﴿ **ضربان** ﴾:

أحدهما: ﴿ **خاصّيّ في نفسه غريب** ﴾ لا يُنَالُ إلّا بفكر.

﴿ **والآخر: عامّيّ تصرّف فيه بما أخرجه من الابتذال إلى الغرابة** ﴾ كما مرّ في باب «التّشبيه» و«الاستعارة» من تقسيمهما إلى الغريب الخاصّيّ والمبتذل العامّيّ إمّا مع البقاء على الابتذال، أو مع التّصرّف فيه بما يخرجه من الابتذال إلى الغرابة ـ كما في الأمثلة المذكورة ثَمَّةَ ـ.

[السَّرِقَةُ نوعان]

وإذا تقرّر هذا ﴿ **فالأخذ والسَّرِقَةُ** ﴾ أي: ما يسمّى بهذين الاسمين ﴿ **نوعان: ظاهر، وغير ظاهر** ﴾.

[النّوع الأوّل]

﴿ **أمّا الظّاهر فهو أن يؤخذ المعنى كلّه؛ إمّا مع اللّفظ كلّه، أو بعضه، أو وحده** ﴾ عطف على قوله: «إمّا مع اللّفظ» أو يؤخذ المعنى وحده من غير أخذ اللّفظ كلّه ولا بعضه.

فالنّوع الظّاهر بهذا الاعتبار ضربان:

أحدهما: أن يؤخذ المعنى مع اللّفظ كلّه أو بعضه.

والثّاني: أن يؤخذ المعنى وحده.

[الضّرب الأوّل من السَّرِقة]

والضّرب الأوّل قسمان:

لأنّ المأخوذ مع المعنى إمّا كلّ اللّفظ.

أو بعضه ـ إمّا مع تغيير النّظم، أو دونه ـ فهذه عدّة أقسام أشار إليها بقوله:

[النّسخ]

﴿ **فإن أخذ اللّفظ كلّه من غير تغييرٍ لنظمه** ﴾ أي: لكيفيّة التّرتيب والتّأليف الواقع بين المفردات ﴿ **فهو مذموم؛ لأنّه سَرِقَةٌ مَحْضَة، ويُسمّى نسخاً وارتحالاً، كما حكي**[1] **عن عبدالله**[2] **بن الزّبير أنّه فعل بقول مَعْن بن أَوْس: إذا أَنْتَ لم تُنْصِفْ أخاكَ** ﴾ يعني: إذا لم تُعْطِ صاحبك النَّصَفَة، ولم تُوَفِّهِ حقوقه متوخّياً المَعْدَلَة،

---

(١) حكاه أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد ٢١٠ ـ ٢٨٦ هـ في باب تكاذيب الأعراب من «كتاب الكامل» في اللغة والأدب، والقاضي أبو الحسن الجرجاني المتوفّى ٣٩٢ هـ في باب السّرقات الشّعريّة من «كتاب الوساطة».

(٢) هو عبد الله بن الزّبير بن العوّام بن خويلد الأسديّ كنيته أبو بكر، وقيل: أبو خُبَيْب ـ بضمّ الخاء ـ ولد بالمدينة في السّنة الأولى من الهجرة، وكان من مشاهير أولاد الزّنا ومن طلقاء النّواصب والخوارج يوم الجَمَل، وممّن ذبح سبعين رجلاً من حُرّاس بيت المال بالبصرة في ليلة واحدة كما يذبح الشّاة ـ بأمر خالته الخارجيّة عائشة بنت عتيق ـ وخطب في المسجد الحرام أربعين يوماً لم يصلّ على النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ ولما سُئِلَ عن ذلك قال: إنّ له أهل بيت سوءاً يفرحون بذكره والصّلاة عليه، ولا أريد ذلك. قتله الحجّاج بن يوسف ـ لعنه الله ـ وصلبه بمكّة سنة ٧٣ هـ وخرج أبوه الزّبير بن العوّام على أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ فقتل خارجيّاً، وأُسِرَ هو، فأطلقه أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ فصار من طلقاء الجمل ثمّ كان يَحْلُمُ بالخلافة حتّى قتل في طلبه، لعنه الله ولعن أباه وأمّه وخالته وكلّ من أحبّه، وأمّه أسماء بنت عتيق الزّانية.

ولم توجب له عليك مثل ما توجبه لنفسك عليه ﴿وَجَدْتَهُ[1] * **عَلى طرف الْهِجْرانِ إِنْ كانَ يَعْقِلُ**﴾ أي: وجدته هاجراً لك، مستبدلاً بك وبمواخاتك ـ إن كان به مُسْكة[2]، وله عقل ومعرفة ـ ﴿**وَيَرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ**﴾ أراد بركوب حدّ السّيف

---

(١) **قوله: «إذا أنت لَمْ تُنْصِفْ أخاك وَجَدْتَهُ»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المماثل والقائل: معن بن أوس بن نصر بن زياد المُزَنيّ المتوفّى سنة ٦٤هـ ـ وكان من المختلفين إلى ابن عبّاس عبدالله وعبدالله بن جعفر الطّيّار ـ من قصيدةٍ لاميّة معروفة يقول فيها:

لعمرك ما أدري وإنّي لأَوْجَلُ ... على أيّنا تغدو المنيّةُ أَوَّلُ
وإنّي أخوكَ الدَّائِمُ العَهْدِ لَمْ أَحُلْ ... إن آذاك خَصْمٌ أو نَبَابِك مَنْزِلُ
أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتَ من ذي عداوةٍ ... وأَحْبِسُ مالي إن غَرِمْتَ فأعقِلُ
وإنْ سُؤْتني يوماً صَفَحْتُ إلى غَدٍ ... لِيُعْقِبَ يومٌ مِنْكَ آخِرُ مُقْبِلُ
كأنّك تَشْفِي مِنْكَ داء مَسَاءَتي ... وسُخْطِي وما في رَيْبَتي ما تَعَجَّلُ
لَحَى اللهُ من ساوى أخاه بِعِرْسِهِ ... وخَدَّعَهُ حاشاك إن كنت تَفْعَلُ
وإنّي على أشياءَ مِنْكَ تُرِيبُني ... قديماً لذو صَفْح على ذاك مُجْمِلُ
سَتَقْطَعُ في الدّنيا ـ إذا ما قطعتَني ـ ... يَمِينُكَ فَانْظُرْ أيّ كفٍّ تَبَدَّلُ
إذا أنت لم تُنْصِفْ أخاكَ وجدتَهُ ... على طرف الهِجْرانِ إن كان يَعْقِلُ
ويركَبُ حدّ السّيف من أن تَضِيْمَهُ ... إذا لم يكن عن شَفْرَةِ السّيف مَزْحَلُ
وكُنْتُ إذا ما صاحبي رام ظِنَّتِي ... وبدَّلَ سوءاً بالّذي كُنْتُ أَفْعَلُ
قَلَبْتُ له ظَهْرَ المِجَنِّ ولم أَدُمْ ... على ذاكَ إلّا ريث ما أَتَحوَّلُ
وفي النّاس إن رَثَّتْ حِبَالُكَ واصِلٌ ... وفي الأرض عن دار القِلَى متحوَّلُ
فلا تغضبن قد تستعار ظعينة ... وتُرْسَلُ أُخْرَى كلّ ذلك يَفعَلُ
إذا انصرفَتْ نَفْسِي عن الشَّيْءِ لم تَكَدْ ... عليه بوجهٍ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبِلُ

* * *

(٢) يقال: رَجُلٌ ذُو مُسْكَةٍ ومُسْكٍ: أي: رأي وعقل يرجع إليه، و«فلان لا مُسْكَةَ له» أي: لا عقل له، وهو بضمّ الميم على وزن «غُرْفَة».

حمل أُمور تُقَطِّعُ تقطيع السّيف وتؤثّر تأثيره، أو أراد الصّبر على الحرب والموت ﴿ مِنْ أَنْ تَضِيمَهُ ﴾ أي: بدلاً من أن تظلمه ﴿ إذا لم يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ ﴾ أي: عن ركوب حدّ السّيف ﴿ مَزْحَلُ ﴾ أي: مَبْعَد، أي: لا يبالي أن يركب من الأُمور ما يؤثّر فيه تأثير السّيف ـ مخافة أن يَدْخُلَ عليه ضيم أو يَلْحَقَهُ عار واهتضام ـ متى لَمْ يَجِدْ عن ركوبه مَبْعَداً ومَعْدِلاً.

فقد حُكِيَ أنّ عبدالله[1] بن الزّبير دخل على معاوية[2] فأنشده هذين البيتين فقال له معاوية: لقد شَعَرْتَ بعدي يا أبابكر، ولَمْ يُفَارِقْ عبدُالله المَجْلِسَ حتّى دخل مَعْنُ بن أوس المُزَنيّ فأنشد قصيدته الّتي أوّلها:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ　　　عَلَىٰ أَيِّنا تَـغْدُو المَـنِيَّةُ أَوَّلُ

حتّى أتمّها وفيها هذان البيتان، فأقبل معاوية على عبدالله بن الزّبير وقال له: ألم تُخْبِرْني أنّهما لك؟ فقال: اللّفظ والمعنى له، وبعدُ فهو أخي من الرَّضَاعة، وأنا أحقّ بشعره.

﴿ **وفي معناه** ﴾ أي: في معنى ما لم يغيّر فيه النّظم ﴿ **أن يُـبْدِلَ بـالكلمات أو بعضها ما يرادفها** ﴾ يعني: أنّه أيضاً مذموم وسَرِقَة مَحْضَة كما يقال في قول الحُطَيْئَة:

دَعِ المَكَـارِمَ[3] لاَ تَـرْحَلْ لِـبُغْيَتِها　　　وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَـاسِي:

---

(١) هو النّاصبيّ من طُلَقَاء خوارج الجَمَل ومن مشاهير أولاد الزّنا ـ كما تقدّم ـ.

(٢) هو ابن هند الزّانية المختلف في أبيه ـ كما تقدّم ـ عليه لعائن الله تَتْرَى.

(٣) **قوله: «دع المكارم»**. البيت من البسيط على العروض المخبونة مع الضّرب المقطوع والقائل الحطيئة من قصيدة يهجو بها الزِّبْرِقان بن بدرٍ قال فيها:

والله مـا مَـعْشَرٌ لامـوا امـرءاً جُـنُباً　　　فـي آل لأْي بـن شَـمَّاسٍ بأكـياسِ

⇐

⇐ علامَ كَلَّفْتَنِي مَجْدَ ابن عَـمِّكُمُ والعِيْسُ تخرُجُ من أعـلام أَوْطَـاسِ
مـا كـان ذَنْبُ بـغيضٍ لا أبـا لكم في بائسٍ جاء يـحدو آخِـرَ النَّـاسِ
لقـد مَـرَيْتُكُمُ لو أنّ دِرَّتكـم يوماً يجيء بـها مَسْحي وإبْسَـاسِي
وقـد مَـدَحْتُكُمُ عَـمْداً لِأُرْشِـدَكُـم كيما يكون لكم مَتحي وإمـراسـي
وقـد نـظرتُكُمُ إعْشَـاءَ صـادرةٍ للخمس طال بها حبسي وتَنْسَاسي
فـما مَـلَكْتُ بأن كـانَتْ نُفُوسُكُم كـفَارِكٍ كَـرِهَتْ ثـوبي وإلبـاسِي
لمّـا بـدا لي مـنكم غـيبُ أنـفسكم ولم يكـن لجـراحـي مـنكم آسِـيْ
أَزْمَـعْتُ يأساً مُـبِيْناً مـن نـوالكـم ولن تـرى طـارداً للحُرِّ كـالياسِ
أنـا ابـنُ بَـجْدَتِها عـلماً وتـجربةً فسَلْ بِسَعْدٍ تَجِدْني أعـلم النّـاسِ
ما كـان ذنبُ بَـغِيضٍ أن رَأَى رَجُـلاً ذا فاقةٍ عَـاشَ فـي مُسْتَوْعِرٍ شَـاسِ
جـارٌ لقـومٍ أطـالوا هـونَ مَـنْزِلِهِ وغـادروه مُـقِيْماً بـين أرْمَـاسِ
مَـلُّوا قِـراهُ وهَـرَّتْهُ كِـلَابُهُمُ وجـرّحوه بأنـيابٍ وأضْـراسِ
دَعِ المكـارِمَ لا تَـرْحَلْ لبـغيتها وَٱقْعُدْ فـإنّك أنت الطّاعم الكـاسي
وابـعَثْ يسـاراً إلى وَفْـرٍ مُـذَمَّمَةٍ واحدِجْ إليها بذي عَرْكَيْن قِنْعَاسِ
سِيْرِي أُمَامَ فـإنّ الأكـثرين حَـصىً والأكـرمين أبـاً مـن آل شَـمَّاسِ
من يَفْعَلِ الخير لا يَـعْدَم جَـوَازِيَـهُ لا يذهَبُ العُـرْفُ بـين الله والنَّـاسِ
مـا كـان ذَنْـبِيَ أن قَـلَّتْ مَعَاوِلُكُم مـن آل لَأْيٍ صَـفَاةٌ أصـلها رَاسِ
قـد نـاضلوك فسَـلُّوا مـن كِنَانتهم مَـجْداً تـليداً ونـبلاً غـير أنكـاسِ

«دع المكارم» قال الثّعالبي في «نثر النّظم وحلّ العقد»: دَعِ المَكَارِمَ لأربابها، وَٱتْرُكْهَا لأصحابها، فلا تنقل نحوها رِجْلَكَ، ولا تشدّ إليها رحلك، وتزحزح عن المكارِمِ الّتي هي عندك من المغارم، بل من المحارم، واقعد بمزجر الكِلاب الكلال، وفي صفّ النّعال، فلست إلّا لتنعيم الجسم وتطييب الطّعم، وتحسين اللباس، وتجويد الأفراس، وأنت الّذي يحفظ ماله والعِرْض ضائع، ويشبع بطنه والجار جائع، وكفى بذلك لؤماً ⇐

ذَرِالمآثِـرَ لا تَـذْهَبْ بِـمَطْلَبِها[١]　　وَاجْلِسْ فَـإِنَّكَ أَنْتَ الآكِـلُ اللّابِسْ

وكقول امرئ القيس:

وُقُوفاً بِهَا صَحْبي عَلَيَّ مَـطِيَّهُمْ[٢]　　يَقُولُونَ: لا تَهْلِكْ أَسًـى وَتَـجَمَّلِ

وأورده طَرَفَةُ في داليّته إلّا أنّه أقام «تَجَلَّدِ»[٣] مقام «تجمّل».

⇐ وخلقاً مذموماً.

ولهذا البيت قصّة لعمر بن الخَطَّاب دالّة على جهله بالأشعار العربيّة ذكرتها في باب النّسبة من حاشية «شرح النِّظَام» فراجعها.

(١) **قوله: «ذَرِالمآثر لا ترحل لبغيتها»**. البيت من البسيط على العروض المخبونة مع الضّرب المقطوع والقائل غير معلوم.

(٢) **قوله: «وقوفاً بها صحبي علَيّ مطيّهم»**. البيت لامرئ القيس في المعلّقة وقد تقدّم أنّه من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المماثل.

(٣) **قوله: «أقام «تجلّد»**. وهذا بيت طرفة بن العبد البكريّ المتوفّى سنة ٨٦ قبل الهجرة في معلّقته حيث يقول:

لِـخَوْلَةَ أطـلالٌ بِـبُرْقَةِ ثَـهْمَدِ　　تلوح كباقي الوَشْم في ظاهر اليـد

وُقُـوفاً بـها صحبي علـيّ مـطيّهم　　يـقول لا تـهلك أسـىً وتَـجَلَّدِ

إلى أن قال:

وما زال تَشْرابـي الخُـمُورَ ولَـذَّتِي　　وبَيْعِي وإنْـفَاقي طَـرِيْفي ومُـتْلِدِي

إلى أن تـحامَتْنِي العشـيرة كـلّها　　وأُفْـرِدْتُ إفـراد البـعيرِ المُـعَبَّدِ

رأيت بـني غَـبْرَاءَ لا يـنكرونني　　ولا أهـلُ هـذاك الطّـراف المـمدّد

ألا أيّـهذا اللّائـمي أحـضُرَ الوَغَـى　　وأن أشهد اللذّات هل أنتَ مُخْلِدِيْ

فـإنْ كُـنْتَ لا تسـطيع دفـع مـنيّتي　　فَدَعْنِي أُبَـادِرْها بـما مـلكَتْ يـدي

قال:

أرى قـبرَ نَـحَّامٍ بـخيلٍ بـماله　　كـقبر غـويٍّ فـي البَطَالة مُـفْسِدِ

⇐

⇐ ترى جُثْوَتَينِ من تُرابٍ عليهما ... صفائح صُمّ من صفيح مُنَضَّدِ
أرى الموتَ يعتامُ الكِرامَ ويصطفي ... عقيلةَ مالِ الفاحش المتشدّد
أرى العيش كَنْزاً ناقصاً كُلَّ ليلةٍ ... وما تَنْقُصِ الأيّامُ والدَّهْرُ يَنْفَدِ
لَعَمْرُكَ إنّ الموت ما أخطأ الفتى ... لَكَالطِّوَلِ المرخى وثِنْيَاه باليَدِ
فمالي أراني وابن عمّي مالكاً ... متى أَدْنُ منه يَنْأَ عنّي ويَبْعُدِ
يلومُ وما أدري عَلامَ يلومني ... كما لامني في الحَيِّ قُرْطُ بن مَعْبَدِ
وأَيْأَسَنِي من كُلِّ خيرٍ طَلَبْتُهُ ... كأنّا وضعناه إلى رَمْسِ مُلْحَدِ
على غير ذَنْبٍ قُلْتُهُ غير أنّني ... نَشَدْتُ فلم أُغْفِلْ حَمُولَةَ مَعْبَدِ
وقَرَّبْتُ بالقربى وَجَدِّكَ إنّني ... متى يَكُ أمْرٌ للنّكيثة أَشْهَدِ
وإنْ أُدْعَ لِلْجُلّى أكُنْ من حُمَاتِها ... وإن يأتك الأعداءُ بالجَهْدِ يَجْهَدِ
وإنْ يَقْذِفُوا بالقَذْعِ عِرْضَكَ أَسْقِهِم ... بكأسِ حِيَاضِ الموت قبل التَّهَدُّدِ
بلا حَدَثٍ أَحْدَثْتُهُ وكمحدثٍ ... هِجائي وقذفي بالشَّكَاة ومُطْرَدِي
فلو كان مولاي امرءاً هو غيره ... لَفَرَّجَ كربي أو لأنظرني غَدِي
ولكنّ مولاي امرُؤٌ هو خانقي ... على الشُّكْرِ والتَّسْأَالِ أو أنا مُفْتَدِي
وظُلْمُ ذوي القُربى أشدُّ مَضَاضَةً ... على المَرْءِ من وقع الحُسَامِ المُهَنَّدِ
فَذَرْنِي وخُلْقِي إنّني لك شاكِرٌ ... ولو حَلَّ بيتي نائياً عند ضَرْغَدِ
فلو شاء ربّي كنتُ قيس بن خالدٍ ... ولو شاء ربّي كنتُ عمرو بن مَرْثَدِ
فأصبحتُ ذا مالٍ كثير وزارني ... بنون كِرامٌ سادةٌ لِمُسَوَّدِ

قال:

فإن مِتُّ فَانْعِيْنِي بما أنا أهلُهُ ... وشُقّي عليَّ الجَيْبَ يا ابنة مَعْبَدِ
ولا تجعليني كامرئٍ ليس همّه ... كهَمِّي ولا يغني غَنَائي ومَشْهَدِي
بَطِيءٍ عن الجُلّى، سريع إلى الخَنَى ... ذَلُولٍ بإجماعِ الرّجال مُلَهَّدِ
فلو كنتُ وَغْلاً في الرّجال لَضَرَّنِي ... عداوةُ ذي الأصحابِ والمتوحِّدِ

⇐

وقال عبّاس بن عبدالمطّلب:

وَمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ الَّذِينَ عَهِدْتَهُمْ[1] **وَلاَ الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتَ تَعْلَمُ**

⇐ ولكن نَفَى عنّي الرِّجالَ جَراءَتي عليهم وإقدامي وصِدْقي وَمَحْتِدِي

لَعَمْرِكَ ما أمري عليّ بِغُمَّةٍ نهاري ولا ليلي عليّ بسَرْمَدِ

ويوم حبست النَّفْسَ عند عِراكه حِفَاظاً على عَوْراتِهِ والتَّهَدُّدِ

على موطنٍ يخشى الفَتَى عنده الرَّدَى متى تعترك فيه الفرائص تُرْعَدِ

هذه مختارات من معلّقة طرفة وهي تشبه كلام الأنبياء والأوصياء لو تعلم.

واقتفى أثر امرءَ القيسِ عمرُو بن الأهتم المتوفّى سنة ٥٧هـ حيث قال في قطعةٍ:

قفا نبك من ذكرى حبيب وأطلالِ بذي الرَّضْمِ فالرُّمَانتين فأوعالِ

وُقُوفاً بها صحبي عليّ مَطِيَّهُم يقولون: لا تجهل ولستَ بِجَهَّالِ

والفرزدق همّام بن غالب التّميميّ الدّارميّ المتوفّى سنة ١١٠هـ حيث قال:

وقوفاً بها صحبي عليّ كأنّني بها سَلَمٌ في كَفِّ صاحبها تَأْرُ

* * *

(١) **قوله: «وما النّاس بالنّاس الّذين عهدتهم»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المشابه، والقائل: هُدْبَة بن الخَشْرَم السّعدي القُضاعي المتوفّى سنة ٥٠ قبل الهجرة ـ كما في «سِمْط اللّئالي» لأبي عبيد البكري ـ من قطعة يقول فيها:

ظننتُ بها ظَنّاً فَقَصَّرَ دُوْنَهُ فيا رُبَّ مظنون به الظَّنُّ يُخْلِفُ

إذا المرءُ لم يُحْبِبْك إلّا تكرّهاً فَذَرْهُ ولا يُكْثَرْ عليه التَّعَطُّفُ

فما كلّ من تهوى يَحبّك قلبَه ولا كلّ من عاشرته لك منصف

فما النّاس بالنّاس الّذين عرفتَهُم ولا الدّار بالدّار الّتي أنت تعرِفُ

وادّعى المصنّف في «الإيضاح» ـ تبعاً لابن حمدون في «التّذكرة الحمدونيّة» ـ أنّ البيت الأخير للفرزدق وإنّما أخذه عن بيت العبّاس وبدّل «تعلم» بـ«تعرف» وتبعه الشّارح، وأنت تعرف أنّ البيت ليس للفرزدق، وإنّما هو لابن الخشرم، وهو كان سابقاً على العبّاس وأقدم.

⇐

فأورده الفَرَزْدَقُ في شِعْرِهِ إلّا أنّه أقام «تعرف»[1] مقام «تعلم».

وقريب من هذا أن يُبْدَلَ بالألفاظ ما يضادّها في المعنى مع رعاية النّظم والتّرتيب كما يقال في قول حسّان:

بِيضُ الْوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ[2] شُمُّ الأُنُوفِ مِنَ الطِّرازِ الأَوَّلِ:

⇐ ونسب المقدسيّ مطهّر بن طاهر المتوفّى سنة ٣٥٥هـ في كتاب «البدء والتّاريخ» بيتين إلى العبّاس بن عبدالمطّلب وهما:

إذا مجلس الأنصار حُفَّ بأهله وفارقها فيها غِفَارٌ وأَسْلَمُ

فما النّاس بالنّاس الّذين عهدتهم ولا الدّار بالدّار التي كنت تعلم

والبيتان أيضاً من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المشابه، وعلى هذا فالعبّاس تصرّف في شعر هدبة بن الخشرم، وبدّل «تعرف» بـ«تعلم» وليس للفرزدق في هذا ناقة ولا جَمَل.

(١) قال المصنّف في «الإيضاح» ٥٧٧: وقول الفَرَزْدَق:

وما النّاسُ بالنّاس الّذين عَهِدْتَهُم ولا الدّار بالدّار الّتي كُنْتَ تَعْرِفُ

(٢) **قوله: «بيض الوجوه كريمة أحسابُهُم»**. البيت من الكامل على العروض الأُولى مع الضّرب المماثل، إلّا أنّ الإضمار دخله فيهما وهو مسموح به ـ كما بيّنّا في كتابنا في «العروض والقوافي» ـ والقائل حسّان بن ثابت من قصيدة يمدح بها عمرو بن الحارث الغسّاني الأصغر وهي من أجود قصائد العرب فلذا أوردتها بتمامها:

قال حسّان بن ثابت: قدمت على عمرو بن الحارث، فاعتاص الوصول إليه، فقلت للحاجب بعد مدّة: إن أذنت لي عليه وإلّا هجوت اليمن كلّها ثمّ انقلبت عنكم، فأذن لي، فدخلت عليه، فوجدت عنده النّابغة، وهو جالس عن يمينه، وعلقمة بن عبدة، وهو جالس عن يساره، فقال لي: يا ابن الفريعة! قد عرفت عيصك ونسبك في غسّان، فارجع فإنّي باعث إليك بصلة سنيّة ولا أحتاج إلى الشّعر، فإنّي أخاف عليك هذين السَّبُعَيْنِ ـ النّابغة وعلقمة ـ أن يفضحاك، وفضيحتك فضيحتي، وأنت والله لا تحسن أن تقول:

⇐

⇐ رِقاقُ النِّعالِ طيّبٌ حُجُزاتُهُمْ ... يُحيَّونَ بالرَّيْحانِ يوْمَ السَّباسبِ
تُحَيّيهِمُ بِيضُ الوَلائدِ بينَهُمْ ... وَأكسِيَةُ الإضريجِ، فوْقَ المشاجبِ
يَصُونونَ أجْساداً قديماً نعِيمُهَا ... بخالِصَةِ الأرْدانِ، خُضر المناكِبِ
وَلا يَحسَبونَ الخيرَ لا شرَّ بعدَهُ ... ولا يحسبونَ الشّرَّ ضرْبَةَ لازِبِ
حَبَوْتُ بها غسّانَ إذ كنْتُ لاحِقاً ... بِقوْمي، وإذ أعيَتْ عليَّ مَذاهِبي

فأبيت، وقلت: لابدّ منه، فقال: ذاك إلى عميك، فقلت لهما: بحقّ الملك إلّا قدّمتماني عليكما! فقالا: قد فعلنا، فقال عمرو بن الحارث: هات يا ابن الفُرَيْعَة، فأنشأت:

أسَألْتَ رَسْمَ الدّارِ أمْ لَمْ تَسْألِ ... بينَ الجوابي، فالبُضَيع، فحَوْمَلِ
فالمَرْجِ، مرْجِ الصُّفَّرَيْنِ، فجاسِمٍ ... فَديارِ سلْمى، دُرَّساً لم تُحْلَلِ
دِمَنٌ تَعَاقَبُها الرّياحُ دَوارِسٌ ... والمُدْجِناتُ من السِّماكِ الأعْزَلِ
دارٌ لِقَوْمٍ قدْ أراهُمْ مَرّةً ... فوْقَ الأعِزّةِ عِزُّهمْ لمْ يُنْقَلِ
للّهِ دَرُّ عِصَابَةٍ نادَمْتُهُمْ ... يوْماً بجِلّقَ في الزّمانِ الأوّلِ
يمشونَ في الحُللِ المُضاعَفِ نسجُها ... مَشْيَ الجِمالِ إلى الجِمالِ البُزَّلِ
الضّارِبون الكَبْشَ يبرُقُ بَيْضُهُ ... ضَرْباً يَطِيحُ لَهُ بَنانُ المَفصِلِ
وَالخالِطونَ فَقيرَهمْ بِغنيّهِمْ ... والمُنعِمونَ على الضّعيفِ المُرْمِلِ
أوْلادُ جَفْنَةَ حوْلَ قبرِ أبِيهِم ... قبْرِ ابْنِ مارِيَةَ الكريم، المُفضِلِ
يُغْشَوْنَ، حتّى ما تهِرُّ كلابُهُمْ ... لا يَسْألونَ عنِ السّوَادِ المُقْبِلِ
يَسْقونَ منْ وَرَدَ البَريصَ عليهم ... بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرّحيقِ السَّلسَلِ
يُسقوْنَ دِرْياقَ الرّحيقِ، ولمْ تكنْ ... تُدْعى ولائِدُهُمْ لنَقفِ الحَنْظَلِ
بِيضُ الوُجُوهِ، كريمَةٌ أحسابُهُمْ ... شُمُّ الأُنوفِ، منَ الطِّرَازِ الأوّلِ
فَلَبِثْتُ أزْماناً طِوَالاً فِيهِم ... ثمّ ادّكَرْتُ كأنّني لمْ أفْعَلِ
إمّا تَرَيْ رَأسي تَغَيّرَ لَوْنُهُ ... شَمَطاً فأصْبَحَ كالثَّغامِ المُحْوِلِ
ولَقَدْ يَرَاني مُوعِدِيَّ كأنّني ... في قَصْرِ دُوْمَةَ، أوْ سَواءَ الهيْكلِ

⇐

سُودُ الْوُجُوهِ لَئِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ(١) فُطْسُ الأُنُوفِ مِنَ الطِّرَازِ الآخِرِ

[المسخ]

﴿فإن كان﴾ أخذ اللّفظ كلّه ﴿مع تغيير لنظمه﴾ أي: لنظم اللّفظ ﴿أو أخذ بعض اللّفظ﴾ لا كلّه ﴿سمّي هذا﴾ الأخذ ﴿إغارةً، ومَسخاً﴾.

[أقسامه]

وهو ثلاثة أقسام؛ لأنّ الثّاني إمّا أن يكون أبلغ من الأوّل، أو دونه، أو مثله.

⇐ ولقَد شربْتُ الخمرَ في حَانوتِها صَهباءَ، صافيَةً، كطَعم الفُلفلِ
يَسْعَى عليّ بِكأسِها مُتنطِّفٌ فَيَعُلُّني مِنها، ولوْ لم أنْهَلِ
إنّ الّتي نَاوَلْتَني فَرَدَدْتُها قُتِلَتْ، قُتِلْتَ، فهاتِها لم تُقتَلِ
كِلْتاهُما حَلَبُ العَصيرِ فَعَاطِني بِزُجاجَةٍ أرْخاهُما للمِفْصَلِ
بِزُجاجَةٍ رَقَصَتْ بما في قَعْرِهَا رَقَصَ القَلوصِ براكِبٍ مُستعجِلِ
نَسَبي أصِيلٌ في الكِرَامِ، ومِذْوَدي تَكْوي مَوَاسِمُهُ جُنوبَ المصْطَلِيْ
وَلَقَدْ تُقلِّدُنا العَشِيرَةُ أمْرَها ونَسودُ يَوْمَ النّائباتِ، ونَعتَلي
ويَسُودُ سَيّدُنا جَحَاجِحَ سادَةً ويُصِيبُ قائِلُنا سَوَاءَ المَفْصِلِ
وَنُحاوِلُ الأمْرَ المُهِمَّ خِطابُهُ فِيهِمْ، ونَفصِلُ كلَّ أمرٍ مُعضِلِ
وتَزُورُ أبْوابَ المُلوكِ رِكابُنا ومَتى نُحَكَّمْ في البَرِيّةِ نَعْدِلِ
وَفَتىً يُحِبُّ الحَمدَ يجعَلُ مالَهُ مِن دونِ والدِهِ، وإنْ لم يُسْألِ
باكَرْتُ لَذّتَهُ، وما ماطَلْتُها بِزُجاجَةٍ مِنْ خَيْرِ كَرْمٍ أهْدَلِ

(١) قوله: «سود الوجوه لئيمة أحسابهم». البيت من الكامل على العروض الأُولى مع الضّرب المشابه، والقائل ابن أبي فنن يقول في أبيات:

ذهب الزّمان برهط حسّان الأُلَى كانت مناقبهم حديث الغابِرِ
وبقيتُ في خَلْفٍ تَحُلُّ ضيوفهم فيهم بمنزلة اللّئيم الغادِرِ
سود الوجوه لئيمة أحسابهم فُطْسُ الأُنوف من الطّراز الآخِرِ

* * *

[القسم الأوّل]

﴿ **فإن كان الثّاني أبلغ** ﴾ من الأوّل ﴿ **لاختصاصه بفضيلة** ﴾ لا توجد في الأوّل ـ كحُسن السّبك، أو الاختصار، أو الإيضاح، أو زيادة معنى ـ ﴿ **فممدوح** ﴾ أي: فالثّاني ممدوح مقبول ﴿ **كقول بشّار** ﴾:

﴿ **مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ** ﴾ أي: حاذرهم، في «الأساس»[1]: «رَقَبَهُ» و«رَاقَبَهُ»: حاذره؛ لأنّ الخائف يَرْقُبُ العِقاب، ويتوقّعه ﴿ **لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ**[2] * **وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الفَاتِكُ**

---

(١) وهذا نصّه في مادّة «رقب» من «أساس البلاغة» ٢٤٤: «رَقَبَهُ» و«راقَبَهُ»: حاذره، لأنّ الخائف يَرْقُبُ العِقاب ويتوقّعه، ومنه: «فلان لا يراقب في أموره»: لا ينظر إلى عِقابه، فيركب رأسه في المعصية اهـ.

(٢) **قوله: «من راقب النّاس لم يظفر بحاجته»**. البيت من البسيط على العروض المخبونة مع الضّرب المشابه والقائل بشّار بن بُرْد العقيليّ بالوَلاء أبو مُعاذ ٩٥ ـ ١٦٧هـ من قصيدة يقول فيها:

خُشَّابُ هَلْ لمحبٍّ عندكم فَرَجُ ... أولا؟ فإنّي بحبل المَوْتِ مُعْتَلِجُ
لو كان ما بي بخلق الله كلّهم ... لا يخلُصون إلى أحبابهم دَرَجُوا
لِلْهَجْرِ نارٌ على قلبي وفي كَبِدي ... إذا نأيتَ، ورؤيا وجهِك الثَّلَجُ
كأنّ حُبَّكَ فوقي حين أكتُمُهُ ... وتحت رِجْلَيَّ لُجٌّ فوقه لُجَجُ
قد بُحْتُ بالحُبِّ ضيقاً عن جلالته ... وأنتَ كالصّاعِ تُطْوَى تحته السُّرُجُ
خُشَّابُ جُودِي جِهاراً أو مُسَارَقَةً ... فقد بُلِيتُ ومَرَّتْ بالمُنَى حِجَجُ
حتّى متى أنتِ يا خُشَّابُ جالسة ... لا تخرجين لنا يوماً ولا تَلِجُ
لو كُنْتِ تلقين ما نلقى قسمتِ لنا ... يوماً نعيش به منكم ونبتهِجُ
لا خيرَ في العيش إن كُنّا كذا أَبَداً ... لا نلتقي وسبيلُ المُلْتَقَى نَهَجُ
مَنْ راقب النّاس لم يَظْفَرْ بحاجته ... وفاز بالطّيّبات الفاتِكُ اللَّهِجُ
وقد نَهَاكَ أُناسٌ لاصَفَا لهم ... عيشٌ ولا عَدِمُوا خصماً ولا فَلَجُوا

⇐

اللَّهِجُ ﴾ أي: الشُّجاع القَتَّال الّذي له وَلُوعٌ[1] بالقتل.

﴿ وقول سَلْم ﴾ الخاسر ـ بالخاء المعجمة ـ سمّي بذلك، لِخُسْرانه في تِجارته، في «الأساس[2]»: سُمِّيَ سَلْمَ الخاسر؛ لأنّه باع مصحفاً وَرِثَهُ واشترى بِثَمَنِهِ عُوْداً يَضْرِبُ به:

﴿ مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ هَمّاً ﴾[3] أي: حزناً، انتصب على أنّه مفعول له، أو

⇐ قالوا: حرام تَلَاقِينا فقد كذبوا ... ما في التزام ولا في قُبْلَةٍ حَرَجُ
أما شعرتَ ـ فدتكِ النّفسُ ـ جاريةً ... أن ليس لي دون ما مَنَّيتِني فَرَجُ
إنِّي أُبشّر نفسي كلّما اختلجَتْ ... عيني أقولُ بنيلٍ منك تختلج
وقد تمنّيتُ أن ألقاكِ خاليةً ... يوماً وأَنَّىٰ وفيما قلتِ لي عِوَجُ
أشكو إلى اللهِ شوقاً لا يُفَرِّطُني ... وشُرَّعاً في سوادِ القلب تختلِجُ
يا رَبِّ لا صبر لي عن قرب جاريةٍ ... تنأى دلالاً وفيها إن دنت غَنَجُ
غَرَّاءُ حَوْراءُ من طِيبٍ إذا نَكَهَتْ ... للبيت والدّار من أنفاسها أَرَجُ
كأنّها قمرٌ رابٍ رَوَادِفُهُ ... عَذْبُ الثّنايا بدا في عينه دَعَجُ

(١) بفتح الواو الاسم من «وَلِعْتُ به، أَوْلَعُ، ولَعَاً» و«وَلُوْعاً» المصدر والاسم جميعاً بالفتح.

(٢) وهذا نصّه في مادّة «خسر» من «أساس البلاغة» ١٦٢: وقيل لسَلْمٍ: الخاسِرُ؛ لأنّه باع مُصْحَفاً ورِثه، واشترى بثمنه عوداً يضرب به اهـ.

(٣) **قوله: «من راقب النّاس مات همّاً»**. البيت من مخلّع البسيط، والقائل: سلم بن عمرو بن حمّاد المعروف بسلم الخاسر المتوفّى سنة ١٨٦هـ وتمامه:

من راقب النّاس مات غمّاً ... وفازَ باللذّة الجَسُوْرُ
لولا مُنَى العاشقين ماتوا ... غمّاً وبعض المُنَى غُرُوْرُ

قال أبو الفرج في «الأغاني»: أخبرنا يحيى قال: حدّثنا أبي، قال: أخبرني أحمد بن صالح ـ وكان أحد الأُدباء ـ قال: غَضِبَ بشّار على سَلْم الخاسر، وكان من تلامذته ورواته فاستشفع عليه بجماعةٍ من إخوانه فجاؤوه في أمره، فقال لهم: «كلّ حاجةٍ لكم مقضيّةٌ إلّا ⇐

تمييز ﴿وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ﴾ أي: الشّديد الجُرْأة، فبيتُ سَلْمٍ أَجْوَدُ سَبْكاً، وأَخْصَرُ لفظاً.

روي عن أبي مُعَاذ ـ راوية بَشَّار ـ أنّه قال: أنشدت بشّاراً قولَ سَلْمٍ فقال: ذَهَبَ والله بيتي؛ إنّه أخفّ منه وأعذَبُ، والله لا أَكَلْتُ اليومَ ولا شَرِبْتُ.

وكقول الآخر:

خَلَقْنَا لَهُمْ فِي كُلِّ عَيْنٍ وَحَاجِبٍ[1]   بِسُمْرِ القَنَا وَالْبِيضِ عَيْناً وَحَاجِبا

⇐ سلماً» قالوا: ما جئناك إلّا في سلم ولابدّ من أن ترضى عنه لنا. فقال: أين هو الخبيث؟ قالوا: ها هوذا. فقام إليه سَلْمٌ، فقبّل رأسه ومثل بين يديه، وقال: يا أبا مُعاذ خرّيجك وأديبك. فقال: يا سلم من الّذي يقول:

من راقب النّاس لم يظفر بحاجته   وفاز بالطّيّبات الفاتك اللَّهِجُ؟

قال: أنت يا أبا مُعاذ ـ جعلني الله فِداك ـ قال: فمن الّذي يقول:

من راقب النّاس مات غَمّاً   وفاز باللّذّة الجَسُورُ؟

قال: خرّيجك يقول ذلك ـ يعني: نفسه ـ.

قال: أفتأخذ معانِيَ الّتي قد عَنَيْتُ بها، وتَعِبْتُ في استنباطها، فتكسوها ألفاظاً أخفّ من ألفاظي حتّى يُرْوَى ما تقول ويذهب شعري؟ لا أرضى عنك أبداً. قال: فما زال يتضرّع إليه، ويشفع له القوم حتّى رضي عنه اهـ.

وقيل في سبب تلقيبه بالخاسر أنّه وَرِثَ عن أبيه مائة ألف درهم فأنفقها على الأدب ولم يبق عنده شيء فلقّبه جيرانه بذلك وقالوا: لأنّه أنفق ماله فيما لا ينفعه ثمّ اتّصل بالرّشيد العبّاسيّ ـ لعنه الله ـ وسأله عن لقبه، فقصّ عليه القصّه وقال كم صرفت في تحصيل الأدب؟ قال: مائة ألف درهم، فأعطاه المال كاملاً وقال: اِكْذِبْ بهذا المال جيرانك، فأخذ المال وجاء إلى الجيران وقال: هذه هي الدّراهم الّتي أنفقتها وربحت الأدب، فأنا سَلْمٌ الرَّابح.

(١) **قوله: «خلقنا لهم في كلّ عين وحاجب»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع ⇐

وقول ابن نُبَاتة بعده:

خَلَقْنَا بِأَطْرَافِ القَنَا فِي ظُهُورِهِمْ[١] **عُيُوناً لَها وَقْعُ السُّيُوفِ حَواجِبُ**

فبيت ابن نُباتة أبلغ؛ لاختصاصه بزيادة معنىً، وهو الإشارة إلى انهزامهم، حيث وقع الطَّعْنُ والضَّرْبُ على ظهورهم.

[القسم الثّاني]

﴿ **وَإِنْ كَانَ الثَّاني دونه** ﴾ أي: دون الأوّل في البلاغة؛ لفوات فضيلة توجد في الأوّل ﴿ **فهو** ﴾ أي: الثّاني ﴿ **مذموم مردود، كقول أبي تَمَّامٍ** ﴾ في مرثية محمّد بن حُمَيْد، وكان قد استشهد في بعض غَزَواته:

⇐ الضّرب المشابه والقائل أبو إسحاق إبراهيم الغَزِّيّ ـ كما نصّ عليه المحبّي ١٠٦١ ـ ١١١١هـ في «خلاصة الأَثَر» والشِّهاب الخفاجيّ ٩٧٧ ـ ١٠٦٩هـ في «ريحانة الألبّاء» ـ ولم يذكروا له قبلاً ولا بعداً.

(١) **قوله: «خلقنا بأطراف القَنا في ظهورهم»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المقبوض والقائل: أبو نصر عبدالعزيز بن محمّد بن نُباتة السّعديّ من قصيدةٍ يقول فيها:

رَضِيْنَا وما ترضى السّيوف القواضِبُ نُجَاذِبُهَا عن هامكم وتجاذب

فإيّاكم أن تكشِفُوا عن رؤوسكم ألا إنّ مغناطيسهنّ الذّوائب

أقول لسعدٍ والرِّكاب مناخة أأنت لأسباب المنيّة هائب

وهل خلق الله السّرور فقال: لا فقلت: أثرها أنت لي اليوم صاحِبُ

وخَلِّ فضول الطّيلسان فإنّما لباسك هذا للعلا لا يُنَاسِبُ

عمائم طلّاب المعالي صَوارِمٌ وأثواب طُلّاب المعالي ثعالِبُ

ولي عند أعناق الملوك مآرِبُ تقول سيوفي هنّ لي والكواثِبُ

خلقنا بأطراف القنا لظهورهم عيوناً لها وقع السّيوف حواجِبُ

أُؤمّل مأمولاً بغير صدورها فوا خجلتا إنّي إلى المجد تائِبُ

* * *

﴿هَيْهَاتَ لاَ يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ[(١)] إِنَّ الزَّمَــانَ بِــمِثْلِهِ لَــبَخِيلُ﴾

أي: «بَعْدَ أن يأتي الزّمان بمثله» بدليل ما بعده، أو: «بَعْدَ نِسْياني له» بدلالة ما قبله، وهو قوله:

أَنْسىٰ أَبَا نَصْرٍ نَسِيْتُ إذاً يَدي ... مِنْ حَيْثُ يَنْتَصِرُ الفَتىٰ وَيُنِيلُ

قال الشّيخ عبدالقاهر في «المسائل المشكلة»: قال الشّيخ أبو عليّ الفارسي: في هذا البيت تقصير؛ لأنّ الغرض في هذا النّحو نفي المثل وأن يقال: «إنّه يَعِزُّ» أو «إنّه لا يكون» فإذا جعل سبب فَقْد مثله بخل الزّمان به فقَدْ أخلّ بالغرض وجوّز

---

(١) **قوله: «هيهات لا يأتي الزّمان بمثله»**. البيت من الكامل على العروض الصّحيحة الأُولى مع الضّرب الثّاني المقطوع، والقائل أبو تَمَّام من قصيدةٍ يرثي بها محمّد بن حميد يقول فيها:

بأبـي وغـير أبـي وذاك قـليلُ ... ثـاوٍ عـليه ثـرى النِّبَاجِ مَـهِيْلُ
خـذَلَتْهُ أُسْـرَتُهُ كأنّ سَـرَاتَـهم ... جَـهِلُوْا بأنّ الخـاذِلَ المـخذُوْلُ
أَكّـالُ أشـلاء الفـوارِسِ بـالقَنَا ... أَضْـحَى بـهنّ وشِـلْوُهُ مأكُـولُ
كُـفِّي فـقتلُ مـحمّدٍ لي شاهدٌ ... أنّ العـزيز مـع القـضاء ذليـلُ
إن يُسْـتَضَم بـعد الإبـاءِ فـإنَّه ... قد يُسْتَضَامُ المُـصْعَبُ المعقُولُ
مُسْتَحسِنٌ وجهَ الرَّدَى في مَـعْرِكٍ ... وجـه الحـياةِ بِـحَوْمَتَيْهِ جَـمِيْلُ
أَنْسَى أبا نـصرٍ نَسِيْتُ إذَنْ يـدي ... من حيث يـنتصر الفتى ويُـنيلُ
هـيهات لا يأتـي الزّمـان بـمثله ... إنَّ الزّمـان بـمثله لبـخيلُ
مـا أنت بـالمقتول صـبراً إنّـما ... أَمَـلي غـداةَ نَـعِيِّكَ المـقتُولُ
للسّـيف بـعدك حُـرْقَةٌ وعـويلُ ... وعـليك للـمَجْدِ التّـليدِ غَـلِيْلُ
إنطال يومُكَ في الوَغَى فلقد تُرَى ... فـيه ويـومُ الهامِ مـنك طـويلُ

قال:

وتُقَلَّلُ الأحسابُ بـعدك والنُّـهَى ... والبِـيْضُ مُـلْسٌ ما بـهنّ فُـلُولُ
مـن ذا يـحدّث بـالبقاء ضـميره ... هـيهات أنت عـلى الفَـنَاء دليـلُ

وهي طويلة لا حاجة إلى الباقي.

وجود المثل ولم يمنعه من حيث هو، بل من حيث بخل الزّمان بأن يجود بمثله.

﴿وقول أبي الطّيّب﴾:

﴿أَعْدَى الزَّمانَ سَخاؤُهُ فَسَخَا بِهِ[١] وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلَا﴾

فالمِصْراع الثّاني مأخوذ من المِصْراع الثّاني لأبي تَمَّام، لكن مِصْراع أبي تَمَّامٍ أجود سَبْكاً؛ لأنّ قول أبي الطّيّب: «ولقد يكون» ـ بلفظ المضارع ـ لَمْ يُصَبَّ مَخِرّه[٢]؛ إذ المعنى على الماضي، والمراد: «لقد كان».

---

(١) **قوله: «أعدى الزّمان سخاؤه فسخا به»**. البيت من الكامل على العروض الأُولى مع الضّرب المقطوع والقائل المتنبّي أبو الطّيّب الجُعْفي الكوفيّ من قصيدته الّتي مدح بها بدر بن عمّار بن إسماعيل الأسديّ صاحب طرابلس، وقد قتل أسداً:

حَدَقُ الحِسان من الغواني هِجْنَ لي ... يوم الفِراق صبابةً وغليلاً
حدقٌ يُذِمُّ من القواتل غيرَها ... بدرُ بن عمّارِ بن إسماعيلا
الفارج الكُرَبِ العِظَامِ بمثلها ... والتّارك المَلكَ العزيزَ ذليلا
أعدى الزَّمَانَ سخاؤه فَسَخَا به ... ولقد يكون به الزَّمَانُ بخيلا
وكأنّ برقاً في مُتُوْنِ غَمَامةٍ ... هنديّهُ في كفّه مسلولا
ومحلَ قوائمه يَسِيْلُ مَوَاهِبا ... لو كنّ سيلاً ما وجدن مسيلا
رقّت مضاربه فهنّ كأنّما ... يبدين من عشق الرّقاب نحولا
أمعفّر اللّيث الهزبر بسوطه ... لمن ادّخرت الصّارم المصقولا

وإنّما قال هذا؛ لأنّه هاج أسداً عن بقرةٍ قد افترسها فوثب على كفل فرسه أعجله عن سلّ السّيف فضربه بسوطه، ودار الجيش به فقتله.

(٢) أي: لَمْ يُصَبَّ في مَصَبّه وموضعه الّذي ينبغي صبّه فيه، هذا من باب الاستعارة، و«صببتُ الماء» من باب «قتل» متعدٍّ، وهذا مجهوله، و«المَخِرُّ» بكسر الخاء المعجمة وبعده الراء المهملة موضع من «خَرَّ الماء، يَخِرُّ» و«الخرير» صوته. وفي نسخةٍ: «لم يُصِبْ مَحَزَّهُ» أي: لم يقع في محلّه كما يقع سكّين الذّابح موقعه عند فري الأوداج الأربعة وهو «المَحَزّ» من «حَزَّ اللَّحْمَ، يَحُزُّ» أي: قَطَعَ ـ بالحاء المهملة والزّاي المعجمة المكرّرة ـ.

[قول المصنّف]

فإن قلت: هاهنا مضاف محذوف، والفعل المضارع على معناه، أي: يكون الزّمان بخيلاً بهلاكه، أعني: لا يسمح بهلاكه أبداً؛ لعلمه بأنّه سبب لصلاح الدُّنيا، ونظام العالم.

قلت: السَّخَاءُ بالشّيء: هو بذله للغير، فالزّمان إذا سخا به فقد بذله، فلم يَبْقَ في تصرّفه حتّى يسمَحَ بهلاكه أو يَبْخَلَ؛ كذا ذكره المصنّف[١].

[نقده]

واعترض عليه بأنّا سلّمنا أنّ إيجاده لم يبق في تصرّفه؛ لكونه تحصيلاً للحاصل، وأمّا إعدامُهُ وإفناؤُهُ فباقٍ بَعْدُ في تصرّفه، فله أن يسمح بهلاكه وأن يبخل، فنفى الشّاعر ذلك.

والحاصل: أنّ إيجاده وإعدامه كان بيد الزّمان فسخا بإيجاده، لكنّه لا يسخو بإعدامه قطّ؛ لكونه سبباً لصلاحه.

قلنا: وعلى تقدير صحّة هذا المعنى يكون مصراع أبي تَمَّامٍ أجود سَبْكاً؛ لاستغنائه عن تقدير المضاف ـ الّذي لا يظهر له قرينة تدلّ عليه ـ على أنّ هذا المعنى ممّا لم يذهب إليه أحد ممّن فسّر هذا البيت.

[قول ابن جِنِّيْ]

قال ابن جنّي[٢]: أي: تَعَلَّم الزّمان من سخائه فسخا به وأخرجه من العدم إلى

---

(١) الإيضاح: ٥٧٩.

(٢) **قوله: «قال ابن جنّي»**. أي: في شرح ديوان المتنبّي وهو «الفَسْرُ» وهذا نصّه: أي: تعلّم ⇐

الوجود، ولولا سخاؤه الّذي استفاد منه لَبَخِلَ به على الدّنيا واستبقاه لنفسه.

[قول ابن فُوْرَّجة]

قال ابن فُوْرَّجة[1]: هذا تأويل فاسد وغرض بعيد؛ لأنّ سخاءاً غيرَ موجودٍ لا يوصف بالعَدْوَى، وإنّما المراد: سخا به علَيّ وكان بخيلاً به عَلَيَّ، فلمّا أعداه سخاؤه أسعدني بضمّي إليه، وهدايتي له.

⇐ الزّمان من سخائه فأخرجه من العدم إلى الوجود، ولولا سخاؤه الّذي أفاده منه لَبَخِلَ به على أهل الدّنيا واستبقاه لنفسه.

وقال ابن فُوْرَّجة في شرح الدّيوان المسمّى بـ«الفتح على أبي الفتح» بعد نقل قول ابن جنّي: وفي هذا شيء يُسْأَلُ عنه فيقال: إنّه في حالة عدمه لم يكن له سخاء؛ لأنّ السّخاء لا يصحّ إلّا في الوجود، فكيف وصفه بالسّخاء وهو معدوم؟

فالقول في هذا: أنّ الزّمان كأنّه علم ما يكون فيه من السّخاء -إذا وجد- فكأنّه استفاد منه ما تصوّر كونه فيه بعد وجوده لولا ما تخيّله لبقي أبداً بخيلاً به.

ثمّ أتبع هذا التّفسير ما يوضّحه من الاستشهادات والتّمثيلات وقد جوّد الشيخ -رحمه الله- فيما أتى به، غير أنّه قد يمكن تفسيره على وجهٍ أقرب من هذا -يخرجه من هذا البعد- وهو أن يقال:

مراده: «فسَخَا به عَلَيَّ» يريد اتّصاله به، وانضمامه إلى جنبه، يقول: قد كان الزَّمَانُ بذلك بخيلاً عليّ فأعداه سخاؤ الممدوح فسَخَا به وأوصلني إليه، وهذا معنىً واضح لا مجال فيه ولا اضطراب اهـ.

(١) ضبطه الصّفديّ في «الوافي بالوفيات» بالفاء المضمومة وبعد الواو والرّاء جيم مشدّدة. وقال ياقوت في «إرشاد الأريب»: بضمّ الفاء، وسكون الواو، وتشديد الرّاء المفتوحة وفتح الجيم، واسمه محمّد بن حمد بن محمّد بن عبد الله بن محمود بن فُوْرَّجة المولود سنة ٣٣٠ هـ والمتوفّى بعد سنة ٤٥٥ هـ. له كتاب «الفتح على أبي الفتح» و«التجنّي على ابن جنّي».

وعلى التّفاسير الثّلاثة[١] فالمِصْراع مأخوذ من مِصْراع أبي تَـمَّام؛ لأنّ معناه: بَخِلَ الزّمان بهلاكه أو بإيجاده أو بإيصاله إلى الشّاعر كما أنّ معنى مصراع أبي تمّام بخله بمثل المَرْثِيّ.

ولو اشترط في الأخذ اتّحادهما في المعنى بحيث لا يكون بينهما تفاوت مّا ـ كما[٢] سبق إلى بعض الأوهام ـ لَمَا كان مأخوذاً منه على واحد من التّفاسير؛ لأنّ أبا تَمَّامٍ قد علّق البُخْلَ بمثله صريحاً، ولهذا قال الإمام الواحديّ[٣] ـ بعد ما ذكر

---

(١) أي: تفسير الخطيب في «الإيضاح» وتفسير ابن جنّي في شرح ديوان المتنبّي الموسوم بـ «الفَسْر» وتفسير ابن فُوْرَّجَة الّذي نقله الشّارح عن شرح الواحديّ على ديوان المتنبّي وقد نقلنا نصّه قبل ذلك.

(٢) وفي نسخةٍ: كما سبق على قول ابن فُورّجة إلى بعض الأوهام.

(٣) **قوله: «قال الإمام الواحديّ»**. هو أبو الحسن عليّ بن أحمد بن محمّد الواحديّ النيسابوريّ المتوفّى سنة ٤٦٨هـ وما نقله التّفتازاني عن ابن جنّي وابن فُوْرَّجَة فإنّما نقله عن شرح الواحديّ وليس نصّ هذين وأنا أوردت لك نصّهما، وأمّا نصّ الواحديّ فهذا: قال ابن جنّي: أي: تعلّم الزّمان من سخائه وَسَخَا به وأخرجه من العدم إلى الوجود، ولولا سخاؤه الّذي أفاد منه لبخل به على أهل الدّنيا واستبقاه لنفسه.

قال ابن فُوْرَّجة: هذا تأويل فاسد، وغرض بعيد، وسخاء غير موجودٍ، لا يوصف بالعدوى، وإنّما يعني: سخا به عليّ وكان بخيلاً به فلمّا أعداه سخاؤه أسعدني الزّمان بضمّي إليه وهدايتي نحوه. هذا كلامه. والمصراع الأوّل منقول من قول ابن الخيّاط:

لمست بكفّي كفّه أبتغي الغِنَى　　　ولم أدر أنّ الجود من كفّه يُعْدِي

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغِنَى　　　أفدتُ وأعداني فأتلفت ما عندي

وقال الطّائيّ أيضاً:

علّمني جودك السَّخَاء فما　　　أبقيتُ شيئاً لديّ من صِلَتِكْ

وقال أيضاً:

⇐

معنى ابن جنّي وابن فُوْرَّجَة ـ: إنّ المِصْراع الثّاني من قول أبي تمّام: «هَـيهات» البيت.

[القسم الثّالث]

﴿فإن كان الثّاني مثله﴾ أي: مثل الأوّل **﴿فأبعد﴾** أي: فالثّاني أبعد **﴿من الذَّمِّ، والفضلُ للأوّل، كقول أبي تَمَّامٍ﴾**:

﴿لو حَارَ مُرْتَادُ المَنِيّةِ لم يَجِدْ[1] إلّا الفِراقَ عَلَى النُّـفُوسِ دَلِـيلا﴾

⇐ لست أُضْحِي مصافحاً بسلامٍ إنّـني إن فـعلتُ أتـلفتُ مـالي

وأبو الطّيّب نقل المعنى إلى الزّمان. والمصراع الثّاني من قول أبي تمّام:

هـيهات لا يأتـي الزّمـان بـمثله إنّ الزّمـــان بــــمثله لَـبخيلُ

اهـ.

قال الجعفريّ صاحب هذا التّعليق: هذا كلام الواحديّ بعين حروفه والبيت الّذي نسبه إلى ابن الخيّاط ٤٥٠ ـ ٥١٧ هـ ليس منه وإنّما هو لدعبل الخزاعيّ شاعر أهل البيت ١٤٨ ـ ٢٤٦ هـ حيث يقول:

لمستُ بكـفّي كـفّه أبـتغي الغِـنَى ولم أدر أنّ الجـود مـن كـفّه يُـعْدِي

فَرُحْتُ وقد أشبهتُ في الجُوْدِ حاتِماً فضيّعتُ ما أعطى وأتلفتُ ما عـندي

فــلا أنـا مــنه مـا أفـاد ذَوُو الغِـنَى أفدتُ وأعدانـي فأتـلفتُ مـا عـندي

وإنّما غرَّ الواحديَّ قصيدة لابن الخيّاط أحمد بن محمّد التغلبيّ على وزن هذه الأبيات الثّلاثة مطلعها:

أما وعِتاقِ العِيْسِ لو وَجَدَتْ وجـدي لَـقَيَّدَ أيـدي الواخِـدات عـن الوَخْـدِ

* * *

(١) **قوله: «لو حار مرتادُ المنيّة لم يجد»**. البيت من الكامل على العروض الأُولى مع الضّـرب المقطوع من قصيدة يمدح بها نوح بن عمرو السّكسكيّ مطلعها:

يوم الفِراق لقد خُلِقْتَ طـويلاً لم تُـبْقِ لي جـلداً ولا مـعقولا

⇐

«الارتياد»: الطّلب، وإضافة «المرتاد» إلى «المنيّة» للبيان، أي: المنيّة الطّالبة للنّفوس لو تحيّرت في الطّريق إلى إهلاكها، ولم يمكنها التّوصّل إليها، لم يكن لها دليل عليها إلّا الفراق.

﴿ وقول أبي الطّيّب ﴾:

⇐ لو حار مُرْتَادُ المنيّةِ لم يُرِدْ ... إلّا الفراق على النُّفُوسِ دليلا

قالوا الرَّحِيْلُ فما شككتُ بأنّها ... نفسي عن الدُّنيا تريد رحيلا

الصَّبْرُ أجمَلُ غير أنّ تلدُّداً ... في الحبّ أحرى أن يكون جميلا

أَتَظُنُّني أجِدُ السّبيل إلى العزا ... وَجَدَ الحِمامُ إذاً إليّ سبيلا

ردّ الجَموح الصَّعْبِ أَسْهَلُ مطلباً ... من ردّ دَمْعٍ قد أصابَ مسيلا

قال:

إنّي تأمَّلْتُ النَّوَى فوجدتُهَا ... سيفاً عَلَيَّ مع الهوى مسلولا

لا تأخُذِيْني بالزَّمَانِ فليس لي ... تَبَعاً ولَسْتُ على الزَّمَانِ كفيلا

مَنْ زاحف الأيّام ثمّ عَبَا لها ... غير القناعة لم يَزَلْ مفلولا

مَنْ كان مَرْعَى عزمه وهمومه ... روضُ الأماني لم يَزَلْ مهزولا

لو جاز سلطانُ القُنُوعِ وحكمُهُ ... في الخَلْقِ ما كان القليلُ قليلا

الرِّزْقُ لا تَكْمَدْ عليه فإنّه ... يأتي ولم تبعث إليه رسولا

قال:

بالسّكسكيّ الماتعيّ تمتّعَتْ ... هِمَمٌ ثَنَتْ طَرْفَ الزَّمَانِ كليلا

لا تدعُوَنْ نوحَ بن عمروٍ دعوةً ... لِلخَطْبِ إلّا أن يكون جليلا

يَقِظٌ إذا ما المُشْكِلاتُ عَرَوْنَهُ ... أَلْفَيْنَهُ المتبسّم البُهْلولا

ما زال يُبْرِمُهُنَّ حتّى إنّه ... لَيُقَالُ ما خَلَقَ الإلَهُ سحيلا

ثبت المقامِ يرى القبيلة واحداً ... ويُرَى فيحسَبُهُ القَبِيْلُ قبيلا

وهي طويلة لا حاجة إلى الباقي.

﴿لَوْلاَ مُفارَقَةُ الأَحْبَابِ مَا وَجَدَتْ[1] لَـهَا المَـنَايَا إلى أَرْوَاحِـنا سُـبُلا﴾

الضّمير في «لها» لـ«المنايا» وهو حال من «سُبُلا» وقيل: إنّه جمع «لَهَاة» وهو فاعل «وجدت» أُضيف إلى «المنايا» وروي: «يد المنايا» وقد أخذ المعنى كلّه مع بعض الألفاظ ـ كـ«المنيّة» و«الفراق» و«الوجدان» ـ وبدّل بـ«النّفوس»: «الأرواح».

---

(١) **قوله: «لولا مفارقة الأحباب ما وجدت»**. البيت من البسيط على العروض المخبونة مع الضّرب المخبون، والقائل المتنبّي من قصيدةٍ قالها في صباه في الشّامية يمدح بها سعيد بن عبدالله بن الحسين الكلابيّ:

حَـيا وأَيْسَـرُ مـا قـاسيتُ مـا قـتلا ... والبين جارَ عـلى ضَـعْفِي ومـا عَـدَلاَ
والوَجْدُ يَقْوَى كما تقوى النَّوَى أبـداً ... والصَّبْرُ يَنْحَلُّ في جسمي كـما نـحلا
لولا مـفارقة الأحـباب مـا وجـدت ... لهـا المـنايا إلى أرواحـنا سُـبُلا
بما بـجفنيكِ مـن سِـحْرٍ صِـلِيْ دَنِـفاً ... يَـهْوَى الحـياةَ وأمّـا إن صـددتِ فـلا
إلّا يَشِبْ فـلقد شـابَتْ له كَـبِدٌ ... شـيباً إذا خَـضَّبَتْهُ سَـلْوَةٌ نَـصَلا
يُـجَنُّ شـوقاً فـلولا أنّ رائـحةً ... تـزوره فـي رِياح الشّرق مـا عَـقَلا
ها فانظُرِيْ أو فظُنِّي بـي تـرى حُـرَقاً ... مَـنْ لم يَـذُقْ طَـرَفاً مـنها فـقد وَأَلَا
عـلَّ الأمـيرَ يَـرَى ذُلّـي فـيشفع لي ... إلى الّـتي تـركتني فـي الهـوى مَـثَلا
أيـقنت أنّ سـعيداً طـالب بـدمي ... لمّـا بَـصُرْتُ بـه بـالرُّمْح مـعتقلا
وأنّـني غـير مُـحْصٍ فـضلَ وَالِـدِه ... ونـائِلٌ دون نـيلي وصـفَهُ زُحَـلَا
قَـيْلٌ بِـمَنْبِجَ مـثواه، ونـائله ... فـي الأُفْـقِ يسألُ عـمّن غـيره سَأَلا
يلوح بدر الدُّجـى فـي صـحن غُـرَّتِهِ ... ويحمل الموتَ في الهيجاء إن حَمَلا

قال ابن القطّاع: قال شيخي محمّد بن عليّ بن البرّ التميميّ: قال لي أبو عليّ صالح بن رشدين: لمّا قرأتُ هذا البيت على المتنبّي قلتُ له: أضمرت قبل الذّكر؟ قال: ليس الأمر كذلك وإنّما «لها» جمع «لَهَاة» وليست «المنايا» فاعلة ولا مكانها رفعاً، وإنّما «لهـا» هـي الفاعلة و«المنايا» في موضع خفضٍ بالإضافة، ومعنى البيت: لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لهوات المنايا سبلاً إلى أرواحنا.

وكذا قول القاضي الأرّجاني:

لَمْ يُبْكِنِي إلّا حَدِيثُ فِراقِكُمْ[١] ... لَـمَّا أَسَـرَّ بِـهِ إِلَـيَّ مُـوَدِّعِيْ

هُـوَ ذٰلِكَ الدُّرُّ الّـذي أَوْدَعْـتُمُ ... في مِسْمَعي أَلْقَيْتُهُ مِنْ مِـدْمَعِيْ

وقال[٢] جار الله ـ في مرثية أُستاذه ـ:

وَقَـائِلَةٍ مٰـا هٰـذِهِ الدُّرَرُ الَّـتي[٣] ... تُساقِطُهَا عَيْنَاكَ سِمْطَيْنِ سِـمْطَيْنِ

فَقُلْتُ: هِيَ الدُّرُّ الّتِي قد حَشَا بِها ... أبو مُضَرٍ أُذْني تَساقَطُ مِـنْ عَـيْني

وقوله: «فأبعد من الذّمّ» إنّما هو على تقدير أن لا يكون في الثّاني دلالة على السَّرِقة باتّفاق الوزن والقافية، وإلّا فهو مذموم جدّاً، كقول أبي تَمَّامٍ:

مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالأَمَانِي[٤] ... وَإنْ قَلِقَتْ رِكَابِي فِـي البِـلاَدِ

---

(١) **قوله: «لم يُبْكِنِي إلّا حديث فراقكم»**. البيتان من الكامل على العروض الأُولى مع الضَّـرب الأوّل. والقائل: ناصح الدّين الأرّجاني ـ كما نصّ عليه ابن خلّكان في «الوفيات» ـ.

(٢) وفي رواية اليافعيّ:

وقـــائلةٍ مـــا هـــذه الدّرر الّـــتي ... تساقط من عينيك سمطين سمطين

فقلت لها: الدُّرُّ الّذي كان قد حشـا ... أبو مضر أذنـي تسـاقط مـن عـيني

(٣) **قوله: «وقائلةٍ ما هذه الدُّرَرُ الّتي»**. البيتان من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضَّرب التّامّ، والقائل جار الله العلّامة محمود بن عمر الزّمخشريّ الخوارزميّ في مرثية أُستاذه أبي مُضَر محمود بن جرير الضَّبّيّ الإصبهاني ـ كما ذكره ابن خلّكان في «وفيات الأعيان».

(٤) **قوله: «مقيم الظنّ عندك والأماني»**. البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضَّـرب المشابه، والقائل أبو تَمّام في أحمد بن أبي دُواد يمدحه ويعتذر منه من شعر هجي به على لسانه:

سَـقَى عَـهْدَ الحِـمَى سَـبَلُ العِـهَادِ ... ورَوَّضَ حـــاضِرٌ مـــنْهُ وبـــادي

نـزَحْتُ بـه رَكِـيَّ العـيْنِ إنّــي ... رَأَيْتُ الدَّمْـعَ مـنْ خَـيْرِ العَـتَادِ

⇐

⇐ فَيا حُسْنَ الرُّسُومِ وما تَمَشَّى ... إلَيْهَا الدَّهْرُ في صُوَرِ البِعَادِ
وإذْ طَيْرُ الحَوادثِ في رُباها ... سَواكِنُ، وَهْيَ غَنَّاءُ المَرَادِ
مَذَاكي حَلْبَةٍ وشُرُوبُ دَجْنٍ ... وسَامرُ فتْيَةٍ وقُدُورُ صَادِ
وأَعْيُنُ رَبْرَبٍ كُحِلَتْ بِسحْرٍ ... وأجسادٌ تُضَمَّخُ بالجِسادِ
بِزُهْرٍ والحُذَاقِ وآلِ بُرْدٍ ... وَرَتْ في كلِّ صَالحَةٍ زِنَادي
وإنْ يَكُ مِنْ بَني أُدَدٍ جَناحي ... فإنَّ أثيثَ رِيشي من إيَادِ
غَدَوْتُ بِهِمْ أَمَدَّ ذَوِيَّ ظِلاًّ ... وأكثَرَ مَنْ ورائي ماءَ وَادي
هُمُ عُظْمَى الأثَافي مِنْ نِزارٍ ... وأَهْلُ الهَضْبِ منها والنِّجَادِ
مُعَرَّس كُلِّ مُعضلَةٍ وخَطْبٍ ... ومَنْبِتُ كلِّ مَكْرُمَةٍ وَآدِ
إذَا حُدُثُ القَبَائِل سَاجَلُوهمْ ... فإنَّهُمْ بَنُو الدَّهْرِ التِّلَادِ
تُفرِّجُ عنهمُ الغَمَرات بِيضٌ ... جِلادٌ تحْتَ قَسْطَلَةِ الجِلَادِ
وحشْوُ حوادثِ الأَيَّامِ منهمْ ... معاقلُ مُطْرَدٍ وَبنُو طِرَاد
لَهُم جَهْلُ السِّبَاعِ إذَا المَنايا ... تَمَشَّتْ في القَنا وحُلُومُ عَادِ
لَقَدْ أَنْسَتْ مَسَاوِئَ كلِّ دَهْرٍ ... محاسنُ أحمدَ بنِ أبي دُوَادِ
متى تَحْلُلْ به تَحلُلْ جَنَاباً ... رَضِيعاً للسَّواري والغَوادي
تُرَشَّحُ نعْمَةُ الأَيَّامِ فيه ... وتُقْسَمُ فيه أرْزاقُ العِبادِ
ومَا اشْتَبَهَتْ طَرِيقُ المجْد إلّا ... هَداكَ لِقِبْلَةِ المعروف هَادي
وما سَافَرْتُ في الآفاقِ إلَّا ... ومِن جَدْواكَ رَاحلتي وزَادي
مُقيمُ الظَّنِّ عنْدَكَ والأَماني ... وإنْ قَلِقتْ ركَابي في البلاد
مَعَادُ البعْثِ مَعْروفٌ ولكنْ ... نَدَى كفَّيْكَ في الدُّنْيَا مَعَادي
أَتاني عائِرُ الأَنْبَاءِ تَسْرِي ... عَقَارِبُهُ بِدَاهِيةٍ نَآد
نَثَا خَبرٍ كأنَّ القَلْبَ أَمْسَى ... يُجَرُّ بهِ على شَوكِ القَتَادِ
كأَنَّ الشَّمْسَ جَلَّلها كُسُوفٌ ... أَوِ استَتَرتْ بِرِجْلٍ مِنْ جَرادِ

⇐

⇐ بِأنّي نلْتُ من مُضَرٍ وخَبَّتْ — إليْكَ شَكيَّتي خَبَبَ الجَواد
ومـا رَبْعُ القَطيعَة لي بِرَبْعٍ — ولا نادي الأذى منّي بنَادي
وأيْنَ يَجُورُ عنْ قَصْدٍ لسَانِي — وقَلْبي رَائِحٌ بِرِضَاكَ غادي
ومـمَّا كانَت الحُكَمَاءُ قالتْ: — لسَانُ المَرْءِ منْ خَدَمِ الفُؤادِ
فقِدْماً كُنْتَ مَغْسُولَ الأماني — ومَأْدُومَ القَوافي بالسَّدادِ
لقَدْ جَازَيْتُ بالإحْسَانِ سُوءاً — إذاً وصَبَغْتُ عُرْفَكَ بالسَّوادِ
وسِرْتُ أسوقُ عيرَ اللُّؤْمِ حَتّى — أَنَخْتُ الكُفْرَ في دارِ الجِهادِ
فَكَيْفَ وعَتْبُ يَوْمٍ منْكَ فَذٍّ — أَشَدُّ عليَّ من حَرْبِ الفَسَاد!
ولَيْسَت رِغْوَتي من فَوْقِ مَذْقٍ — ولا جَمْري كَمينٌ في الرَّمادِ
وكانَ الشُّكْرُ للكُرَمَاءِ خَصْلاً — ومَيْداناً كَمَيْدان الجِيَاد
عَليْه عُقِّدتْ عُقَدِي ولاحَتْ — مَواسِمُهُ على شِيَمي وعادي
وغَيْري يَأْكُلُ المعْروفَ سُحْتاً — وتَشْحُبُ عنْدَهُ بيضُ الأيادي
تَثَبَّتْ إنَّ قَوْلاً كانَ زُوراً — أَتى النُّعْمَانَ قَبْلكَ عن زيادِ
وأرَّثَ بَيْنَ حَيِّ بَنِي جُلَاحٍ — سَنَا حَرْبٍ وحَيِّ بَنِي مَصَادِ
وغادَرَ في صُروفِ الدَّهْرِ قَتْلَى — بَني بَدْرٍ على ذَات الإصَادِ
فمَا قِدْحَاكَ للباري ولَيْسَتْ — مُتونُ صَفاكَ من نُهَزِ المُرادي
ولَوْ كشَّفْتَني لَبَلَوْتَ خرْقاً — يُصَافي الأكْرَمينَ ولا يصَادي
جديراً أنْ يَكُرَّ الطَّرْفَ شَزْراً — إلى بعْضِ الموارِدِ وهو صَادي
إليكَ بَعَثْتُ أبكارَ المَعاني — يَليهَا سائقٌ عَجِلٌ وحَادي
جَوائرَ عن ذُنابى القَوْمِ حَيْرَى — هوادِيَ للجَماجمِ والهَوَادي
شِدادَ الأَسْرِ سالمَةَ النَّواحي — منَ الإقْواءِ فيها والسِّنَادِ
يُذَلِّلُهَا بِذكرِكَ قِرْنُ فكْرٍ — إذَا حَرَنَتْ، فتَسْلَسُ في القِيَادِ
لهَا في الهَاجِسِ القِدْحُ المُعَلَّى — وفي نَظْمِ القَوافي والعِمَادِ

⇐

وَلاَ سَافَرْتُ فِي الآفَاقِ إلّا وَمِنْ جَدْوَاكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي

وقول أبي الطّيّب:

وَإنِّي عَنْكَ بَعْدَ غَدٍ لَغَادٍ[1] وَقَلْبِي عَنْ فِنَائِكَ غَيْرُ غَادِ

⇐ مُنَزَّهَةً عن السَّرَق المُوَرَّى مُكَرَّمَةً عن المَعْنى المُعادِ
تَنَصَّلَ رَبُّها مِنْ غير جُرْمٍ إليْكَ سِوَى النَّصيحة والوِدَادِ
ومَنْ يأْذَنْ إلى الواشينَ تُسْلَقْ مَسامعُهُ بِأَلْسِنَةٍ حِدادِ

(١) **قوله: «وإنّي عنك بعد غَدٍ لغاد»**. البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضرب المقطوف، والقائل المتنبّي من قصيدة يمدح بها عليّ بن إبراهيم التّنوخي:

أُحادٌ أمْ سُداسٌ في أُحَادِ لُيَيْلَتُنَا المَنُوطَةُ بالتّنادِي
كأنّ بَناتِ نَعْشٍ في دُجَاهَا خَرائِدُ سافراتٌ في حِداد
أُفَكِّرُ في مُعاقَرَةِ المَنَايَا وقَوْدِ الخَيْلِ مُشْرِفةَ الهَوادي
زَعيمٌ للقَنَا الخَطّيِّ عَزْمي بسَفكِ دمِ الحَواضرِ والبَوادي
إلى كَمْ ذا التخلُّفُ والتّواني وكَمْ هذا التّمادي في التّمادي
وشُغْلُ النّفسِ عن طَلَبِ المَعالي بِبَيعِ الشّعرِ في سوقِ الكَسادِ
وما ماضي الشّبابِ بِمُسْتَرَدٍّ ولا يَوْمٌ يَمُرّ بِمُسْتَعادِ
متى لحظَتْ بَياضَ الشّيبِ عيني فقد وَجَدَتْهُ منها في السّوَادِ
متى ما ازْدَدْتُ من بعدِ التّناهي فقد وقَعَ انْتِقاصي في ازْدِيَادِي
أأرْضَى أنْ أعيشَ ولا أُكافي على ما للأميرِ مِنَ الأيادي
جَزَى اللهُ المَسيرَ إلَيْهِ خَيْراً وإنْ تَرَكَ المَطَايا كالمَزادِ
فَلَمْ تَلقَ ابنَ إبْراهيمَ عَنْسِي وفيها قُوتُ يَوْمٍ للقُرادِ
ألَمْ يَكُ بَيْنَنا بَلَدٌ بَعيدٌ فَصَيّرَ طُولَهُ عَرْضَ النِّجادِ
وأبْعَدَ بُعْدَنا بُعْدَ التّداني وقَرّبَ قُرْبَنا قُرْبَ البِعَادِ
فَلَمّا جِئْتُهُ أعْلَى مَحَلّي وأجلَسَني على السّبْعِ الشِّدادِ
تَهَلّلَ قَبْلَ تَسليمي علَيْهِ وألْقَى مالَهُ قَبْلَ الوِسَادِ

⇐

⇐ نَـلُومُكَ يـا عَـليّ لغَـيرِ ذَنْبٍ … لأنّكَ قَـد زَرَيْتَ عـلى العِـبَادِ
وأنّكَ لا تَـجُودُ عـلى جَـوادٍ … هِـباتُكَ أنْ يُـلَقَّبَ بـالجَوادِ
كأنّ سَـخاءَكَ الإسـلامُ تَـخشَى … إذا مـا حُـلتَ عـاقِبَةَ ارتِـدادِ
كأنّ الهَـامَ فـي الهَـيْجا عُـيُونٌ … وقـد طُبِعتْ سُيُوفُكَ من رُقادِ
وقـد صُـغتَ الأسِـنّةَ من هُـمومٍ … فَـما يَـخْطُرْنَ إلّا فـي الفُـؤادِ
ويـوْمَ جَـلَبْتَها شُـعْثَ النّواصِي … مُـعَقَّدَةَ السّـباسِبِ للـطّرادِ
وحـامَ بـها الهَـلاكُ على أُنَاسٍ … لَـهُمْ بـاللّاذِقِيّة بَـغْيُ عَـادِ
فكـانَ الغَـرْبُ بَـحْراً مِـن مِياهٍ … وكـانَ الشّـرْقُ بَـحراً من جِـيادِ
وقـد خَـفَقَتْ لكَ الرّايـاتُ فـيهِ … فَـظَلّ يَـمُوجُ بـالبِيضِ الحِـدادِ
لَـقُوكَ بأكْـبُدِ الإبِـلِ الأبَـايَا … فسُـقْتَهُمُ وحَـدُّ السّـيفِ حـادِ
وقـد مـزّقتَ ثَـوْبَ الغَـيّ عـنهُمْ … وقَـد ألْـبَسْتَهُمْ ثَـوْبَ الرّشَـادِ
فَـما تَـرَكُـوا الإمـارَةَ لاخْـتِيارٍ … ولا انـتَحَلوا وِدادَكَ مـن وِدادِ
ولا اسْـتَفَلُوا لزُهْـدٍ فـي التّعالي … ولا انْـقادوا سُـرُوراً بـانْقِيادِ
ولكـن هَبّ خـوْفُكَ فـي حَشـاهُمْ … هُـبُوبَ الرّيـحِ فـي رِجـلِ الجَـرادِ
ومـاتُوا قَـبْلَ مَـوْتِهِم فـلَمّا … مَـنَنْتَ أعَـدْتَهُم قَـبْلَ المَـعادِ
غَـمَدْتَ صَـوارِماً لَوْ لم يَـتُوبوا … مَـحَوْتَهُمُ بـها مَـحْوَ المِـدادِ
وما الغـضَبُ الطّـريفُ وإنْ تَـقَوّى … بـمُنْتَصِفٍ مـنَ الكَـرَمِ التّـلادِ
فَـلا تَـغْرُرْكَ ألْسِـنَةٌ مَـوالٍ … تُـقَلّبُهُنّ أفْـئِدَةٌ أعـادي
وكُـنْ كـالمَوْتِ لا يَـرْثي لبـاكٍ … بكَـى مـنهُ ويَـرْوَى وهْـوَ صادِ
فـإنّ الجُـرْحَ يَـنْفِرُ بَـعدَ حـينٍ … إذا كـانَ البِـناءُ عـلى فَسـادِ
وإنّ المَـاءَ يَـجْري مِـنْ جَـمادٍ … وإنّ النّـارَ تَـخْرُجُ مـن زِنَـادِ
وكَـيفَ يَـبيتُ مُـضْطَجِعاً جَبانٌ … فَـرَشْتَ لجَـنْبِهِ شَـوْكَ القَـتادِ
يَرَى في النّـوْمِ رُمْحَكَ فـي كُـلاهُ … ويَـخشَى أنْ يَـراهُ فـي السُّـهادِ

⇐

مُحِبُّكَ حَيْثما مَا اتَّجَهَتْ رِكَابِي وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْبِلاَدِ

[الضّرب الثّاني من السّرِقَةِ]

ولمّا فرغ من الضّرب الأوّل من النّوع الظّاهر من الأخذ والسَّرِقة **شرع في** الضّرب الثّاني منه، وهو أن يؤخذ المعنى وحده فقال:

[السّلخ]

﴿ وإن أخذ المعنى وحده ﴾ ـ وهو عطف على قوله: «وإن أخذ اللّفظ» ـ **﴿ سُمِّيَ ﴾** أخذ المعنى وحده **﴿ إلْماماً ﴾** من أَلَمَّه ـ إذا قصده ـ وأصله من «ألمّ بالمنزل» ـ إذا نزل به ـ **﴿ وسَلْخاً ﴾** وهو كَشْطُ الجِلْد عن الشّاة ونحوها، واللّفظ للمعنى بمنزلة الجِلْد، فكأنّه كَشَطَ من المعنى جِلْداً وألبَسَه جلداً آخرَ.

[أقسامُ السَّلْخِ]

﴿ وهو ثلاثة أقسام كذلك ﴾ أي: مثل: ما سمّى إغارةً ومسخاً، يعني: أنّ الثّاني إمّا أبلغ من الأوّل أو دونه أو مثله.

[القسم الأوّل]

﴿ أوّلها ﴾ أي: أوّل الأقسام ـ وهو أن يكون الثّاني أبلغ من الأوّل ـ **﴿ كقول أبي تَمَّامٍ ﴾**:

﴿ هُوَ ﴾ الضّمير للشّأن **﴿ الصُّنْعُ ﴾** أي: الإحسان، وهو مبتدأ خبره الجملة

⇐ أشِرْتَ أبا الحُسَينِ بمَدحِ قوْمٍ نَزَلْتُ بِهِمْ فسِرْتُ بغَيرِ زادِ
وظَنّوني مَدَحْتُهُمُ قَديماً وأنْتَ بما مَدَحْتُهُمُ مُرادي
وإنّي عَنْكَ بَعدَ غَدٍ لَغَادٍ وقَلبي عَنْ فِنائِكَ غَيْرُ غَادِ
مُحِبُّكَ حَيثُما اتّجَهَتْ رِكابي وضَيفُكَ حيثُ كنتُ من البلادِ

الشّرطيّة أعني: قوله: ﴿إنْ يَعْجَلْ فَخَيْر، وَإِنْ يَرِثْ﴾(١) أي: يَبْطُءُ ﴿فَلَلرَّيْثُ في

(١) **قوله: «هو الصّنع إن يعجل فخير وإن يرث»**. البيت من الطّويل على العَروض المقبوضة مع الضّرب المماثل، والقائل أبو تَمَّام حبيب بن أوس الطّائي من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمّد بن يوسف الثَّغْرِيّ وفيها عدد من الشّواهد ولذا أوردناها بتمامها وهي:

أَمَا إنَّه لَوْلا الْخَليطُ المُودِّعُ ... ورَبْعٌ عَفا منه مَصيفٌ ومَرْبَعُ

لَرُدَّتْ على أعقَابِها أَرْيَحيَّةٌ ... منَ الشَّوْقِ وادِيها مِنَ الهَمِّ مُتْرَعُ

لَحِقْنا بأُخْرَاهُمْ وقَدْ حَوَّمَ الهَوَى ... قُلُوباً عَهِدْنا طَيْرَها وَهْيَ وُقَّعُ

فَرُدَّتْ علينا الشَّمْسُ واللَّيْلُ راغِمٌ ... بشمْسٍ لهم مِنْ جانب الْخِدْرِ تَطْلَعُ

نضَا ضَوْؤهَا صِبْغَ الدُّجُنَّةِ فانطَوَى ... لِبَهْجتِها ثَوْبُ السَّماء المُجَزَّعُ

فَوالله ما أَدْرِي أَأَحْلامُ نَائِمٍ ... أَلَمَّتْ بنا أَمْ كانَ في الرَّكْبِ يُوشَعُ؟

وعَهْدِي بها تُحْيِي الهَوَى وتُميتُهُ ... وَتَشْعَبُ أَعْشَارَ الفُؤَادِ وتَصْدَعُ

وأقرَعُ بالْعُتْبَى حُمَيًّا عِتَابها ... وقَدْ تَسْتقيدُ الرَّاحُ حِينَ تُشَعْشَعُ

وتَقْفُو إلى الجَدْوَى بجَدْوَى وإنَّما ... يَرُوقُك بيتُ الشِّعْرِ حِينَ يُصَرَّعُ

أَلَمْ تَرَ آرَامَ الظِّبَاءِ كأنَّما ... رَأَتْ بيَ سِيدَ الرَّمْلِ والصُّبْحُ أَدْرَعُ

لَئِنْ جَزِعَ الوَحْشيُّ مِنْها لِرُؤْيَتِي ... لَأُنْسِيُّهَا مِن شَيْبِ رَأْسِيَ أَجْزَعُ

غَدَا الهَمُّ مُخْتَطّاً بِفَوْديّ خِطَّةً ... طَرِيقُ الرَّدَى مِنْها إلى النَّفْس مَهْيَعُ

هُو الزَّوْرُ يُجْفَى، والمُعاشَرُ يُجتَوَى ... وذُو الإلْفِ يُقْلى، والجَديدُ يُرَقَّعُ

لَهُ مَنْظرٌ في العَيْنِ أبيضُ ناصعٌ ... ولكنَّهُ في القَلبِ أسودُ أسفعُ

ونَحْنُ نُزَجِّيهِ على الكُرْهِ والرِّضَا ... وأَنْفُ الفَتَى مِنْ وَجهِهِ وهْوَ أَجْدَعُ

لقَدْ سَاسَنا هذا الزَّمانُ سياسَةً ... سُدىً لم يَسُسْها قَطُّ عَبْدٌ مُجَدَّعُ

تَرُوحُ علينا كلَّ يَوْمٍ وتَغْتدي ... خُطُوبٌ كأَنَّ الدَّهْرَ مِنْهُنَّ يُصْرَعُ

حَلَتْ نُطَفٌ مِنها لِنكْسٍ وذُو النُّهَى ... يُدَافُ له سُمٌّ مِنَ العيش مُنْقَعُ

فإنْ نَكُ أُهْمِلْنَا فأَضْعِفْ بِسَعْيِنا ... وإنْ نَكُ أُجْبِرْنا فَفيمَ نُتَعْتِعُ؟

لقد آسَفَ الأعدَاءَ مَجْدُ ابنِ يُوسفٍ ... وذُو النَّقْصِ في الدُّنيا بِذِي الفَضْلِ مُولَعُ

⇐

⇐ أخذْتُ بحبلٍ مِنْه لمَّا لَوَيْتُهُ — على مِرَرِ الأيَّام ظَلَّتْ تَقَطَّعُ

هو السَّيْلُ إنْ واجَهْتَه انْقَدْتَ طَوْعَهُ — وتقتادُهُ مِنْ جانبَيْهِ فيَتْبَعُ

ولَمْ أرَ نَفْعاً عندَ مَنْ لَيْسَ ضَائراً — ولَمْ أرَ ضَرّاً عنْدَ مَنْ ليسَ يَنْفَعُ

يَقُولُ فَيُسمِعُ ويمْشِي فيُسْرِعُ — ويَضربُ في ذَاتِ الإلهِ فَيُوجِعُ

مُمَرٌّ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ بَعْضُ نَفْسِهِ — وسَائِرُها للحَمْدِ والأَجْرِ أَجْمَعُ

رَأى البُخْلَ مِنْ كُلٍّ فَظِيعاً فَعَافهُ — على أنَّهُ مِنْه أَمَرُّ وأفْظَعُ

وكلُّ كُسُوفٍ في الدَّرَارِيِّ شُنْعَةٌ — ولكنَّهُ في الشَّمس والبَدرِ أشْنَعُ

مَعَادُ الوَرَى بَعْدَ الْمَمَاتِ وسَيْبُهُ — مَعَادٌ لَنا قبْلَ المَمَاتِ ومَرْجِعُ

لَهُ تالِدٌ قَدْ وَقَّرَ الجُودُ هَامَهُ — فقَرَّتْ وكانَتْ لا تَزَالُ تَفزَّعُ

إذا كَانَتِ النُّعْمَى سَلُوباً مِن امْرِئٍ — غَدَتْ مِنْ خَلِيجَيْ كَفِّه، وَهْيَ مُتبعُ

وإنْ عَثَرَتْ سُودُ اللَّيالي وبيضُها — بوحْدَتِهِ ألفيْتَها وَهْيَ مَجْمَعُ

وإنْ خَفرَتْ أمْوَالَ قَوْمٍ أكفُّهُمْ — مِنَ النَّيْلِ والجَدْوَى فكَفَّاه مَقْطَعُ

ويَوْمٍ يَظَلُّ العِزُّ يُحْفَظُ وَسْطَهُ — بِسُمْرِ العَوَالي والنفُوسُ تُضَيَّعُ

مَصِيفٍ مِنَ الهَيْجَا ومِنْ جاحم الوَغَى — ولكنَّه مِنْ وابِلِ الدَّمِ مَرْبَعُ

عَبُوسٍ كَسَا أَبْطَالَهُ كُلَّ قَوْنَسٍ — يُرَى المرْءُ مِنْهُ وهْوَ أَفرَعُ أنْزَعُ

وأسمَرَ مُحْمَرِّ العَوَالي يَؤُمُّهُ — سِنَانٌ بحبَّات القلُوبِ مُمتَّعُ

مِنَ اللَّاءِ يَشْرَبْنَ النَّجِيعَ مِن الكُلى — غريضاً، ويَرْوَى غَيْرَهُنَّ فيَنْقَعُ

شَقَقْتَ إلى جَبَّارِهِ حَوْمَةَ الوَغَى — وقَنَّعتَهُ بالسَّيفِ وهو مُقَنَّعُ

لَدَى سَنْدَبايا والهِضَابِ وأرْشَقٍ — ومُوقانَ والسُّمْرُ اللِّدَانُ تَزَعْزَعُ

وَأَبْرَشْتَوِيم والكَذَاجِ ومُلْتَقَى — سَنابِكِها والْخَيْلُ تَرْدِي وتَمْزَعُ

غَدَتْ ظُلَّعاً حَسْرَى وغَادَرَ جَدُّها — جُدُودَ أُناسٍ وهْي حَسْرَى وظُلَّعُ

هُوَ الصُّنْعُ إنْ يَعْجَلْ فَنَفْعٌ وإنْ يَرِثْ — فَلَلرَّيْثُ في بعضِ المَوَاطِن أسْرَعُ

أَظَلَّتكَ آمالي وفي الْبطْشِ قُوَّةٌ — وفي السَّهْمِ تَسْديدٌ وفي القَوْسِ مَنْزَعُ

⇐

بعض المواضِعِ أَنْفَعُ ﴾.

﴿ وقول أبي الطّيّب ﴾:

﴿ وَمِنَ الْخَيْرِ بُطْءُ سَيْبِكَ ﴾ أي: تأخّر عطائك ﴿ عَنِّي (١) * أَسْرَعُ السُّحْبِ فـي

⇐ وإنَّ الغِنَى لي إنْ لحظتَ مَطالبي ... مِنَ الشِّعْرِ، إلّا في مَدِيحك، أَطْوَعُ

وإنَّك إنْ أهزَلْتَ في الْمَحْلِ لم تُضِعْ ... ولم تَرْعَ إنْ أَهْزَلْتَ والرَّوْضُ مُمْرِعُ

رَأَيْتُ رَجَائي فيكَ وحْدَكَ هِمَّةً ... ولكنَّهُ في سائِرِ النَّاسِ مَطْمَعُ

وكَمْ عاثِرٍ منَّا أَخذْتَ بضَبْعِهِ ... فأَضحَى له في قُلَّةِ الْمَجْدِ مَطلَعُ

فصَارَ اسمُه في النَّائِباتِ مُدافِعاً ... وكانَ اسمُه مِنْ قبْلُ وهْوَ مُدَفَّعُ

وما السَّيْفُ إلّا زُبْرَةٌ لو تَرَكْتَهُ ... على الخِلْقَةِ الأُولى لَمَا كَانَ يَقْطَعُ

فَدُونَكَها لَوْلا لَيَانُ نَسِيبِها ... لَظَلَّتْ صِلابُ الصَّخْرِ مِنْهَا تَصدَّعُ

لهَا أَخَواتٌ قَبْلَها قد سَمِعْتَها ... وإنْ لم تَزِغْ بي مُدَّةٌ فَسَتَسْمَعُ

(١) قوله: «ومن الخير بُطْء سيبك عنّي». والبيت من الخفيف على العروض الأُولى مع الضّرب المماثل وهو من قصيدة طويلة للمتنبّي، قالوا: خرج أبو الطيّب إلى جبل جرس فنزل بأبي الحسين عليّ بن أحمد المرّي الخراساني وكان بينهما مودّة بطبريّة فقال يمدحه:

لا افْتِخارٌ إلّا لمَنْ لا يُضامُ ... مُدْرِكٍ أوْ مُحارِبٍ لا يَنَامُ

لَيْسَ عَزْماً مَا مَرَضَ المَرْءُ فيهِ ... لَيسَ هَمّاً ما عاقَ عنهُ الظَّلامُ

واحتِمالُ الأذَى ورُؤيَةُ جانِيـ ... ـهِ غِذاءٌ تَضْوَى بهِ الأجسامُ

ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ الذّليلَ بعَيشٍ ... رُبَّ عَيشٍ أخَفُّ منْهُ الحِمامُ

كُلُّ حِلْمٍ أتَى بغَيرِ اقْتِدارٍ ... حُجّةٌ لاجئٌ إلَيها اللّئَامُ

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عَلَيهِ ... ما لجُرْحٍ بمَيّتٍ إيلامُ

ضاقَ ذَرْعاً بأنْ أضيقَ بهِ ذَرْ ... عاً زَماني واستَكرَمَتْنِي الكِرامُ

واقِفاً تحتَ أخمَصَيْ قَدْرِ نَفسي ... واقِفاً تحتَ أخْمَصَيَ الأنَامُ

أقَراراً ألَذُّ فَوْقَ شَرارٍ ... ومَراماً أبْغي وظُلْمي يُرامُ

دونَ أنْ يَشرَقَ الحِجازُ ونَجْدٌ ... والعِراقانِ بالقَنَا والشّامُ

⇐

⇐ شَرَقَ الجَوِّ بالغُبَارِ إذا سَا | رَ عَلِيُّ بنُ أحْمَدَ القَمْقامُ
الأديبُ المُهَذَّبُ الأصْيَدُ الضَرْ | بُ الذَّكيُّ الجَعدُ السَّرِيُّ الهُمامُ
والّذي رَيْبُ دَهْرِهِ مِنْ أسَارَا | هُ ومِنْ حاسدي يَدَيْهِ الغَمامُ
يَتَداوَى مِنْ كَثْرَةِ المَالِ بالإقْـ | ـلالِ جُوداً كأنّ مَالاً سَقَامُ
حَسَنٌ في عُيُونِ أعْدائِهِ أقْـ | ـبَحُ مِن ضَيْفِهِ رأتْهُ السَّوامُ
لوْ حَمَى سَيّداً منَ المَوتِ حامٍ | لَحَماهُ الإجْلالُ والإعْظامُ
وعَوارٍ لَوامِعٌ دِينُهَا الحِلْـ | ـلُ ولٰكِنّ زِيَّها الإحْرامُ
كُتِبَتْ في صَحائِفِ المجْدِ: بِسْمٌ | ثمَّ قَيسٌ وبعدَ قَيسَ السّلامُ
إنّما مُرّةُ بنُ عَوْفِ بنِ سَعْدٍ | جَمَراتٌ لا تَشْتَهيها النَّعامُ
لَيلُها صُبْحُها مِنَ النّارِ والإصْـ | ـبَاحُ لَيْلٌ منَ الدّخانِ تِمامُ
هِمَمٌ بَلّغَتْكُمُ رُتَبَاتٍ | قَصُرَتْ عَنْ بُلُوغِها الأوْهامُ
ونُفوسٌ إذا انْبَرَتْ لِقِتَالٍ | نَفِدَتْ قَبْلَ يَنْفَدَ الإقْدامُ
وقُلُوبٌ مُوَطَّناتٌ على الرّوْ | عِ كأنّ اقْتِحامَهَا اسْتِسْلامُ
قائِدو كُلِّ شَطْبَةٍ وحِصانٍ | قَدْ بَراها الإسْراجُ والإلجامُ
يَتَعَثّرْنَ بالرّؤوسِ كَما مَرْ | رَ بتاءاتِ نُطْقِهِ التَّمتَامُ
طالَ غشْيانُكَ الكَريهَةَ حتّى | قالَ فيكَ الّذي أقُولُ الحُسَامُ
وكَفَتْكَ الصّفائِحُ النّاسَ حتّى | قد كَفَتْكَ الصّفائحَ الأقْلامُ
وكَفَتْكَ التّجارِبُ الفِكْرَ حتّى | قَدْ كَفاكَ التّجارِبَ الإلْهَامُ
فارِسٌ يَشتَري بِرازَكَ للفَخْـ | ـرِ بقَتْلٍ مُعَجَّلٍ لا يُلامُ
نائِلٌ منكَ نَظْرَةً ساقَهُ الفَقْـ | ـرُ عَلَيْهِ لفَقْرِهِ إنْعَامُ
خَيْرُ أعضائِنا الرّؤوسُ ولَكِنْ | فَضَلَتْها بقَصْدِكَ الأقْدامُ
قَد لَعَمري أقْصَرْتُ عَنكَ وللوَفْـ | ـدِ ازْدِحامٌ وللعَطايا ازْدِحامُ
خِفْتُ إن صِرْتُ في يَمينِكَ أن تأْ | خُذَني في هِباتِكَ الأقْوامُ

⇐

المَسِيرِ الجَهامُ ﴾ أي: السَّحَاب الّذي لا ماء فيه.

يقول: لعلّ تأخّر عطاياك عنّي يدلّ على كثرتها كالسَّحَاب إنّما يُسْرِع منها ما كان جَهَاماً لا ماءَ فيه، وما فيه الماء يكون ثَقِيْلَ المَشْي.

فبيت أبي الطّيّب أبلغ؛ لاشتماله على زيادة بيان للمقصود حيث ضَرَبَ المَثَلَ بالسَّحَاب.

[القسم الثّاني]

﴿ **وثانيها** ﴾ أي: ثاني الأقسام ـ وهو أن يكون الثّاني دون الأوّل ـ ﴿ **كقول البُحْتُرِيّ** ﴾:

﴿ **وَإِذَا تَأَلَّقَ** ﴾ أي: لَمَعَ ﴿ **في النَّدِيّ** ﴾[1] أي: في المَجْلِسِ الغاصّ بأشراف

⇐ ومنَ الرُّشْدِ لم أزُرْكَ على القُرْ ... بِ، على البُعْدِ يُعرَفُ الإلمامُ

ومِنَ الخَيرِ بُطْءُ سَيْبِكَ عنّي ... أسرَعُ السُّحْبِ في المَسيرِ الجَهامُ

قُلْ فكَمْ مِنْ جَواهرٍ بنِظامٍ ... وُدُّها أنّها بفيكَ كَلامُ

هابَكَ اللّيْلُ والنّهارُ فلَوْ تَنْـ ... ـهاهُما لم تَجُزْ بكَ الأيّامُ

حَسْبُكَ اللهُ ما تَضِلّ عَنِ الحَقْـ ... ـقِ ولا يَهْتَدي إلَيكَ أثَامُ

لِمَ لا تَحْذَرُ العَواقِبَ في غَيْـ ... ـرِ الدّنَايا، أمَا عَلَيْكَ حَرامُ

كَمْ حَبيبٍ لا عُذْرَ لِلّوْمِ فيهِ ... لَكَ فيهِ مِنَ التُّقَى لُوّامُ

رَفَعَتْ قَدْرَكَ النّزاهَةُ عَنْهُ ... وثَنَتْ قَلْبَكَ المَساعي الجِسامُ

إنّ بَعضاً مِنَ القَريضِ هُذاءٌ ... لَيسَ شَيئاً وبَعضَهُ أحْكامُ

مِنْهُ ما يَجْلُبُ البَراعَةَ والفَضْـ ... ـلُ ومِنْهُ ما يَجْلُبُ البِرْسامُ

(١) قوله: «**وإذا تألّق في النّدي**». البيت من الكامل على العروض الأُولى مع الضّرب المماثل، والقائل البُحْتُريّ من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب:

مَنْ سَائِلٌ لِمُعَذِّلٍ عَنْ خَطْبِهِ ... أَوْ صَافِحٌ لِمُقَصِّرٍ عَنْ ذَنْبِهِ

⇐

⇐ حُمِّلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ نِعْمَةً   ثَقُلَتْ عَلَى ذَلَلِ ٱلثَّنَاءِ وَصَعْبِهِ

وَوَعَدْتُهُ أَنِّي أَقُومُ بِشُكْرِهَا   فَحَمَلْتُ مِنْهُ نَقاً فَلَمْ أَنْهَضْ بِهِ

إِلَّا أَكُنْ حُمِّلْتُ مِنْهُ يَذْبُلاً   فَلَقَدْ مُنِيتُ بِخِدْنِهِ أَوْ تِرْبِهِ

مَا أَضْعَفَ ٱلْإِنْسَانَ لَوْلاَ هِمَّةٌ   فِي نُبْلِهِ أَوْ قُوَّةٌ فِي لُبِّهِ

مَنْ لاَ يُؤدِّي شُكْرَ نِعْمَةِ خِلِّهِ   فَمَتَى يُؤدِّي شُكْرَ نِعْمَةِ رَبِّهِ

وَهَبَ ٱبْنُ وَهْبٍ وَفْرَهُ حَتَّى لَقَدْ   أَوْفَى عَلَى شَرْقِ ٱلثَّنَاءِ وَغَرْبِهِ

سَبَّاقُ غَايَاتٍ إِذَا طَلَبَ ٱلْمَدَى   بِرَسِيلِهِ فَعَدُوُّهُ مِنْ حِزْبِهِ

وَإِذَا تَقَسَّمَ قَبْرَ عَمْرٍو فِي بَنِي ٱلـ   ـدَّيَّانِ صَارَ إِلَيْهِ أَزْكَى تُرْبِهِ

إِنْ شِئْتَ أَنْ تَدَعَ ٱلْفعَالَ لِأَهْلِهِ   فَٱعْرِضْ لِمَجْدِ سَعِيدِهِ أَوْ وَهْبِهِ

تِلْكَ ٱلْخُصُوصُ فَإِنْ عَمَمْتَ أَمَدَّهَا   بِرَبِيعَتَيْهِ وَحَارِثَيْهِ وَكَعْبِهِ

صِيدٌ لِأَصْيَدَ لَسْتَ تُبْصِرُ جَمْرَةً   فِي ٱلنَّاسِ لَمْ تَكُ قَطْرَةً مِنْ صُلْبِهِ

عَرَفَ ٱلْعَوَاقِبَ فَٱسْتَفَادَ مَكَارِماً   يَفْنَى ٱلزَّمَانُ وَذِكْرُهَا فِي عَقْبِهِ

وَكَفَى ٱلْكَرِيمَ بِهَؤلاَءِ مَكَارِماً   مَأْثُورَةً فِي سِلْمِهِ أَوْ حَرْبِهِ

وَإِذَا اسْتَهَلَّ أَبُو عَلِيٍّ لِلنَّدَى   جَاءَ ٱلْغَمَامُ ٱلْمُسْتَهِلُّ بِسَكْبِهِ

وَإِذَا ٱحْتَبَى فِي عُقْدَةٍ مِنْ حِلْمِهِ   يَوْماً رَأَيْتَ مَتَالِعاً فِي هَضْبِهِ

وَإِذَا تَأَلَّقَ فِي ٱلنَّدِيِّ كَلاَمُهُ ٱلـ   ـمَصْقُولُ خِلْتَ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ

وَإِذَا دَجَتْ أَقْلاَمُهُ ثُمَّ ٱنْتَحَتْ   بَرَقَتْ مَصابِيحُ ٱلدُّجَى فِي كُتْبِهِ

بِٱللَّفْظِ يَقْرُبُ فَهْمُهُ فِي بُعْدِهِ   مِنَّا وَيَبْعُدُ نَيْلُهُ فِي قُرْبِهِ

حِكَمٌ فَسَائِحُها خِلاَلَ بَنَانِهِ   مُتَدَفِّقٌ وَقَلِيبُهَا فِي قَلْبِهِ

كَٱلرَّوْضِ مُؤْتَلِقاً بِحُمْرَةِ نَوْرِهِ   وَبَيَاضِ زَهْرَتِهِ وَخُضْرَةِ عُشْبِهِ

أَوْ كَٱلْبُرُودِ تُخُيِّرَتْ لِمُتَوَّجٍ   مِنْ خَالِهِ أَوْ وَشْيِهِ أَوْ عَصْبِهِ

وَكَأَنَّهَا وَٱلسَّمْعُ مَعْقُودٌ بِهَا   شَخْصُ ٱلْحَبِيبِ بَدَا لِعَيْنِ مُحِبِّهِ

كَاثَرْتُهُ فَإِذَا ٱلْمُرُوءَةُ عِنْدَهُ   تُعْدِي ٱلْمُفَاوِضَ مِنْ أَقَاصِي صَحْبِهِ

⇐

النّاس ﴿كَلامُهُ الـ ❊ مَصْقُولُ﴾ المنقّح ﴿خِلْتَ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ﴾ أي: من سيفه القاطع، شبّه لسانه بسيفه ﴿وقول أبي الطّيّب﴾:

﴿كَأَنَّ أَلْسُنَهُمْ فِي النُّطْقِ قَدْ جُعِلَتْ[1] ... عَلَىٰ رِمَاحِهِمُ في الطَّعْنِ خِرْصَاناً﴾

⇐ وَوَجَدْتُ فِي نَفْسِي مَخَايِلَ سُؤدَدٍ ... أَنْ كُنْتُ يَوْماً وَاحِداً مِنْ شَرْبِهِ

فَصَبَغْتُ أَخْلاَقِي بِرَوْنَقِ خُلْقِهِ ... حَتَّى عَدَلْتُ أُجَاجَهُنَّ بِعَذْبِهِ

قَوْمِي فِدَاؤُكَ قَدْ أَضَاءَ لِنَاظِرِي ... بِكَ كُلُّ مُنْكَسِفِ ٱلْأَصِيلِ مُضِيِّهِ

فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَّةٌ مَا بَعْدَهَا ... مَنٌّ يُعَابُ ٱلصَّادِرُونَ بِغِبِّهِ

كَمْ آمِرٍ أَلاَّ تَجُودَ وَعَاتِبٍ ... فِي أَنْ تَجُودَ أَبَتَّهُ فِي عَتْبِهِ

❊ ❊ ❊

(١) قوله: «كَأَنَّ أَلْسُنَهُمْ فِي النُّطْقِ قَدْ جُعِلَتْ». البيت من البسيط على العروض المخبونة مع الضّرب المقطوع، والقائل: أبو الطّيّب المتنبّي من قصيدة يمدح بها أخاه أبا سهل سعيد بن عبيدالله بن الحسن الأنطاكي:

قَدْ عَلّمَ البَينُ مِنّا البَينَ أجْفانَا ... تَدْمَى وألّفَ في ذا القَلبِ أحزانَا

أمّلْتُ ساعةَ ساروا كَشفَ مِعصَمِها ... لِيَلْبَثَ الحَيُّ دونَ السّيرِ حَيرانَا

ولوْ بَدَتْ لأتاهَتْهُمْ فَحَجّبَهَا ... صَوْنٌ عُقُولَهُمُ من لحظِها صانَا

بالواخِداتِ وحاديها وبي قَمَرٌ ... يَظَلُّ من وَخْدِها في الخِدرِ خَشيانَا

أمّا الثّيابُ فَتَعْرَى مِنْ مَحاسِنِهِ ... إذا نَضاها ويَكسَى الحُسنَ عُرْيانَا

يَضُمّهُ المِسكُ ضَمَّ المُسْتَهامِ بِهِ ... حتّى يَصيرَ على الأعكانِ أعكانَا

قد كنتُ أُشفِقُ من دَمعي على بَصري ... فاليَوْمَ كلُّ عزيزٍ بَعدَكمْ هَانَا

تُهدي البَوارِقُ أخلافَ المِياهِ لكُمْ ... وللمُحِبّ مِنَ التّذكارِ نِيرانَا

إذا قَدِمْتُ على الأهوالِ شَيّعَني ... قَلْبٌ إذا شِئْتُ أنْ أسلاكمُ خانَا

أبدو فيَسجُدُ مَنْ بالسّوءِ يذكُرُني ... فَلا أُعاتِبُهُ صَفْحاً وإهْوَانَا

وهكَذا كُنتُ في أهْلي وفي وَطَني ... إنّ النّفِيسَ غَريبٌ حَيثُمَا كَانَا

مُحَسَّدُ الفَضْلِ مكذوبٌ على أثَري ... ألقَى الكَميَّ ويَلقاني إذا حَانَا

⇐

⇐ لا أشرَئِبّ إلى ما لم يَفُتْ طَمَعاً ... ولا أبيتُ على ما فاتَ حَسرَانَا
ولا أُسَرّ بمَا غَيري الحَميدُ بهِ ... ولَوْ حَمَلْتَ إليّ الدّهْرَ مَلآنَا
لا يَجْذِبَنّ رِكَابي نَحْوَهُ أحَدٌ ... ما دُمتُ حَيّاً وما قَلقَلنَ كِيرانَا
لوِ استَطَعْتُ رَكِبتُ النّاسَ كلّهمُ ... إلى سَعيدِ بنِ عَبدِاللهِ بُعْرَانَا
فالعِيسُ أعْقَلُ مِنْ قَوْمٍ رَأيْتُهُمُ ... عَمّا يَراهُ منَ الإحسانِ عُمْيانَا
ذاكَ الجَوادُ وإنْ قَلّ الجَوادُ لَهُ ... ذاكَ الشّجاعُ وإنْ لم يرْضَ أقرانَا
ذاكَ المُعِدّ الذي تَقْنُو يَداهُ لَنَا ... فَلَوْ أُصِيبَ بشيءٍ منهُ عَزّانَا
خَفّ الزّمانُ على أطْرافِ أُنْمُلِهِ ... حتّى تُوُهِّمنَ للأزْمانِ أزْمانَا
يَلْقَى الوَغَى والقَنَا والنّازِلاتِ بهِ ... والسّيفَ والضّيفَ رَحبَ البالِ جذلانَا
تَخالُهُ من ذكاءِ القَلْبِ مُحْتَمِياً ... ومن تَكَرّمِهِ والبِشْرِ نَشْوانَا
وتَسْحَبُ الحِبَرَ القَيْناتُ رافِلَةً ... من جُودِهِ وتَجُرّ الخَيْلُ أرْسَانَا
يُعطي المُبَشِّرَ بالقُصّادِ قَبْلَهُمُ ... كَمْنِ يُبَشّرُهُ بالمَاءِ عَطْشانَا
جَزَتْ بني الحَسَنِ الحُسنى فإنّهُمُ ... في قَوْمِهِمْ مثلُهُمْ في الغُرّ عَدْنانَا
ما شَيّدَ اللهُ مِنْ مَجْدٍ لسالِفِهِمْ ... إلّا ونَحْنُ نَراهُ فيهِم الآنَا
إنْ كوتبوا أوْ لُقوا أو حوربوا وُجدوا ... في الخَطّ واللّفظِ والهَيجاءِ فُرْسانَا
كأنّ ألسُنَهُمْ في النّطقِ قد جُعلَتْ ... على رِماحِهِمِ في الطّعنِ خِرْصانا
كأنّهُمْ يَرِدونَ المَوْتَ مِنْ ظَمَإٍ ... أو يَنْشَقُونَ منَ الخطّيّ رَيحَانَا
الكائِنِينَ لِمَنْ أبْغي عَداوَتَهُ ... أعدَى العِدى ولمن آخيتُ إخوانَا
خَلائِقٌ لوْ حَواها الزِّنْجُ لانْقَلَبُوا ... ظُمْيَ الشّفاهِ جِعادَ الشَّعرِ غُرّانَا
وأنْفُسٌ يَلْمَعِيّاتٌ تُحِبّهُمُ ... لها اضطِراراً ولَوْ أقْصَوْكَ شَنآنَا
ألواضِحينَ أُبُوّاتٍ وأجْبِنَةً ... ووالداتٍ وألْباباً وأذْهانَا
يا صائِدَ الجَحْفَلِ المَرْهوبِ جانِبُهُ ... إنّ اللّيوثَ تَصيدُ النّاسَ أُحْدانَا
وواهِباً، كلُّ وَقْتٍ وقتُ نائِلِهِ ... وإنّما يَهَبُ الوُهّابُ أحْيَانَا

⇐

«خِرْصَانُ الشَّجَر»: قُضْبَانُهَا، و«خِرْصَانُ الرِّماح»: أَسِنَّتُهَا، واحدها «خُرْص» ـ بالضّمّ والكسر ـ يعني: لِفَرْطِ مَضاء أَسِنَّةِ رِماحهم ونَفَاذها كأنّ أَلْسُنَهُم عند النّطق جُعِلَتْ أَسِنَّةً على رِماحهم عند الطّعن، فصارت الأَسِنَّةُ في النَّفَاذ كَأَلْسِنَتِهِم.

فبيت أبي الطّيّب دون بيت البُحْتُرِيّ؛ لأنّه قد فاته ما أفاده البُحْتُرِيّ بلفظَيْ «تألّق» و«المَصْقول» من «الاستعارة[1] التّخييليّة» حيث أثبت «التّألّق» و«الصَّقالة» لـ«الكلام» كإثبات «الأظفار» لـ«المنيّة»[2]، ويلزم من هذا تشبيه كلامه بالسّيف وهو «استعارة بالكناية».

[القسم الثّالث]

﴿وثالثها﴾ أي: ثالث الأقسام ـ وهو أن يكون الثّاني مثل الأوّل ـ ﴿كقول الأعرابيّ﴾ أبي زياد: ﴿ولَمْ يَكُ أَكْثَرَ الْفِتْيَانِ مَالاً﴾[3] وروي: * وما إنْ كَانَ أَكْثَرُهُمْ

⇐ أنتَ الّذي سَبَكَ الأموالَ مَكْرُمَةً ... ثمّ اتّخَذْتَ لها السُّؤّالَ خُزّانَا
عَلَيْكَ منكَ إذا أُخليتَ مُرْتَقِبٌ ... لم تأتِ في السّرّ ما لم تأتِ إعْلانَا
لا أسْتَزيدُكَ فيما فيكَ من كَرَمٍ ... أنا الذي نامَ إنْ نَبَّهْتُ يَقْظَانَا
فإنّ مِثْلَكَ باهَيْتُ الكِرامَ بِهِ ... ورَدّ سُخْطاً على الأيّامِ رِضْوانَا
وأنْتَ أبْعَدُهُمْ ذِكْراً وأكْبَرُهُمْ ... قَدْراً وأرْفَعُهُمْ في المَجدِ بُنْيَانَا
قد شَرَّفَ اللهُ أرْضاً أنْتَ ساكِنُها ... وشَرّفَ النّاسَ إذْ سَوّاكَ إنْسانَا

(١) وفي نسخةٍ: «من الاستعارة بالكناية والتّخييل».

(٢) في قول أبي ذؤيب الهُذَلِيّ:

وإذا المنيّة أَنْشَبَتْ أظفارها ... ألفيتَ كلّ تميمةٍ لا تَنْفَعُ

(٣) **قوله: «ولم يك أكثر الفتيان مالاً»**. البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب المشابه، والقائل اختلف فيه فقيل: مروان بن معن، كما في «الأشباه والنّظائر» للخالديين، وقيل: أبو زياد الأعرابي الكلابي ـ كما في «التّذكرة الحمدونيّة» و«الحماسة المغربيّة».

⇐

سَوَاماً» * «السّائمة»[١] و«السَّوَام» و«السَّوَائم» الإبل الرّاعية. ﴿ وَلٰكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِراعاً ﴾ في «الأساس»[٢]: «فلان رَحْبُ الباعِ والذِّراعِ» و«رحيبهما» أي: سخيّ.

﴿ وقول أشجع ﴾ يمدح جعفر بن يحيى: ﴿ وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الغِنىٰ ﴾[٣]

⇐ وأورده أبو تمّام في باب المديح والأضياف من «ديوان الحماسة» ناسباً لها إلى أبي زياد الأعرابي الكلابي:

له نـارٌ تُشَبُّ على يَفَاعٍ ... إذا النِّيْرَانُ أُلْبِسَتِ القِناعا
ولم يك أكثرَ الفِتْيَانِ مالاً ... ولكن كان أرحبهم ذِراعا

* * *

(١) «السَّوَامُ» و«السّائم» بمعنىً، وهو المال الرَّاعي، يقال: «سَامَتِ الماشيةُ، تَسُومُ، سَوْماً» ـ أي: رَعَتْ ـ فهي: «سائمة» وجمع «السّائم» و«السّائمة»: «سوائم».

(٢) وهذا نصّه في مادّة «رحب» من «أساس البلاغة» ٢٢٤: ومن المجاز «فلان رَحْبُ الذِّراع بهذا الأمر» ـ إذا كان مطيقاً له ـ و«رَحْبُ الباعِ، والذِّراعِ» و«رحيبُهما»: سخيّ، و«هذا أمر إن تراحبت موارده فقد تضايقت مصادره» قال طفيل:

فهيّاك والأمر الّذي إن تراحبت ... موارده ضاقَتْ عليك مصادره

(٣) **قوله: «وليس بأوسعهم في الغنى»**. البيت من المتقارب والقائل أشجع السُّلَمِيّ المتوفّى سنة ١٩٥هـ في جعفر بن يحيى البرمكيّ من قصيدةٍ يقول فيها:

أتصبِرُ للبين أم تجزَعُ ... فإنّ الدّيار غداً بلقَعُ
غداً يتفرّقُ أهل الهوى ... ويكثُرُ باكٍ ومُسْتَرجِعُ

قال:

تُرِيْدُ المُلُوكُ مَدَى جَعْفَرٍ ... ولا يصنعون كما يصنَعُ
وليس بأوسعهم في الغِنَى ... ولكنّ معروفه أوسَعُ
تَلُوْذُ الملوكُ بآرائه ... إذا نابه الحدث الأفظَعُ
وكم قائلٍ ـ إذ رأى ثروتي ... ومافي فضول الغِنَى أصنَعُ ـ:
غدا في ظلالِ نَدَى جعفرٍ ... بجرّ ثياب الغِنَى أشجَعُ
كأنّ أبا الفضل بدر السّما ... لعشر مَضَتْ بعدها أربَعُ

الضّمير في «أوسعهم» للملوك في البيت قبله:

تَرُوْمُ المُلُوْكُ مَدىٰ جَعْفَرٍ — وَلاَ يَصْنَعُونَ كَمَا يَصْنَعُ

﴿ **وَلٰكِنَّ مَعْرُوفَه** ﴾ أي: إحسانه ﴿ **أَوْسَعُ** ﴾ من معروفهم، وكقول الآخر في مرثية ابن له:

وَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا[1] — **إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ**

وقول أبي تَمَّامٍ بعده:

وَقَدْ كَانَ يُدعىٰ لابِسُ الصَّبْرِ حَازِماً[2] — **فَأَصْبَحَ يُدْعىٰ حَازِماً حينَ يَجْزَعُ**

---

(١) **قوله: «والصّبر يحمد في المواطن كلّها»**. البيت من الكامل والقائل أبو عبدالرّحمن محمّد ابن عبيدالله بن عمرو الأموي المعروف بالعتبيّ ١٣٣ ـ ٢٢٨هـ من بني عتبة بن أبي سفيان ـ لعنهم الله جميعاً ـ من قطعةٍ يقول فيها:

أضْحَتْ بِخَدّي للدّموع رُسُومُ — أَسَفاً عليك وفي الفُؤاد كُلُومُ
والصَّبْرُ يُحْمَدُ في المواطن كلّها — إلّا عليك فإنّه مَذْمُومُ
يا واحداً من ستّةٍ أسكَنْتُهُم — حُفَراً تُقَسَّمُ بينهم ورُجُومُ
لولا معالم رُوسِهِنّ لما اهتدى — لحميمه بين القبور حميمُ
من كان أغفله الزَّمَانُ فقد سَطَتْ — كَفُّ عليه من الزَّمَانِ غَشُومُ
حتّى بكى لي من رآني رحمةً — إنّ المصاب نَصِيبُهُ مرحومُ
فَدَعِ الزَّمانَ فليس يُعْتِبُ عاتباً — إنّ الّذي لامَ الزَّمَانَ مَلُومُ

* * *

(٢) **قوله: «وَقَدْ كَانَ يُدعىٰ لابِسُ الصَّبْرِ حَازِماً»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المشابه، والقائل أبو تَمَّام من قصيدةٍ طويلةٍ يرثي بها إدريس بن بَدْر الشاميّ القُرَشيّ:

دُمُوعٌ أَجَابَتْ دَاعِيَ الحُزْنِ هُمَّعُ — تَوَصَّلُ مِنَّا عَنْ قُلُوبٍ تَقطَّعُ
عَفاءٌ عَلَى الدُّنيا طَويلٌ فإنَّها — تُفَرِّقُ مِنْ حَيْثُ ابتَدَتْ تَتَجمَّعُ

⇐

⇐ تَبدَّلَتِ الأَشياءُ حَتَّى لَخِلْتُها ... سَتَثْني غُرُوبَ الشَّمسِ مِنْ حَيْثُ تَطلُعُ

لهَا صَيْحَةٌ في كلِّ رُوحٍ ومُهجَةٍ ... ولَيسَتْ بشَيءٍ مَا خَلا القَلْبَ تُسمِعُ

أَإِدْرِيسُ ضَاعَ المَجْدُ بعْدَكَ كلُّهُ ... وَرَأْيُ الَّذي يَرجوهُ بَعْدَكَ أَضْيَعُ

وَغُودِرَ وَجْهُ العُرْفِ أَسوَدَ بَعْدَما ... يُرَى وَكأنَّهُ كَعَابٌ تَصَنَّعُ

وَأصبَحتِ الأَحْزَانُ لا لِمَبرَّةٍ ... تُسَلِّمُ شَزْراً وَالمَعالي تُوَدِّعُ

وَضَلَّ بِكَ المُرْتادُ مِنْ حَيْثُ يَهتدي ... وَضَرَّتْ بِكَ الأَيَّامُ مِنْ حَيْثُ تَنفَعُ

وأَضْحَتْ قَرِيحاتُ القُلوبِ مِنَ الجَوى ... تُقاظُ وَلكِنَّ المَدامِعَ تُرْبَعُ

عُيونٌ حَفِظْنَ اللَّيلَ فِيكَ مُجَرَّماً ... وأَعطَيْنَه الدَّمعَ الَّذي كَانَ يُمْنَعُ

وَقَدْ كانَ يُدْعَى لابِسُ الصَّبْرِ حازِماً ... فقَدْ صارَ يُدْعَى حازِماً حينَ يَجْزَعُ

وَقالَتْ عَزاءً لَيْسَ لِلمَوْتِ مَدْفَعٌ ... فقلتُ وَلاَ للحُزْنِ للمَوْتِ مَدْفَعُ

لإدْريسَ يَوْمٌ مَا تَزالُ لِذِكْرِهِ ... دُمُوعٌ وإنْ سَكَّنْتَها تَتَفرَّعُ

ولمَّا نَضا ثَوْبَ الحَياةِ وَأَوْقَعتْ ... بِهِ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ مَا يُتَوقَّعُ

غَدا ليسَ يَدْري كيفَ يَصْنَعُ مُعْدِمٌ ... دَرَى دَمْعُهُ في خَدِّهِ كَيْفَ يَصْنَعُ

وَمَاتَتْ نُفوسُ الغَالِبيِّينَ كُلِّهِمْ ... وإلّا فصَبْرُ الغالِبيِّينَ أَجمَعُ

غَدَوْا في زَوايا نَعْشِه وكأَنَّما ... قُرَيشٌ قُرَيشٌ يومَ ماتَ المُجمِّعُ

وَلَمْ أنسَ سَعْيَ الجُودِ خَلْفَ سَريرِه ... بأَكْسَفِ بَالٍ يَسْتَقِيمُ ويَظلَعُ

وَتكبيرَهُ خَمْساً عَلَيْه مُعالِناً ... وإنْ كانَ تَكبيرَ المُصَلِّينَ أَرْبَعُ

وَمَا كُنْتُ أَدْرِي يَعلَمُ اللهُ قَبلَهَا ... بأَنَّ النَّدَى في أَهْلِه يَتَشَيَّعُ

وَقُمْنا فَقُلْنا بعدَ أَنْ أُفرِدَ الثَّرى ... بِهِ مَا يُقالُ في السَّحَابةِ تُقْلِعُ

أَلَمْ تَكُ تَرْعانا مِنَ الدَّهْرِ إنْ سَطا ... وَتَحفَظُ مِنْ آمالِنا مَا يُضَيَّعُ

وَتَلبَسُ أَخلاقاً كِرَاماً كأَنَّها ... عَلَى العِرْضِ منْ فَرْطِ الحَصَانةِ أَدرُعُ

وَتَبْسُطُ كَفّاً في الحُقوقِ كَأَنَّما ... أَنامِلُها فِي البأْسِ وَالجُودِ أَذْرُعُ

وَتَرْبطُ جَأْشاً وَالكُماةُ قُلوبُهُمْ ... تَزَعْزَعُ خَوفاً مِنْ سُيوفٍ تَزعزعُ

⇐

هذا هو النّوع الظّاهر من الأَخْذِ والسَّرِقة.

[النّوع الثّاني وأنواعه]

[النّوع الأوّل منه متشابه المعنيين]

﴿وأمّا غير الظّاهر فمنه أن يتشابه المعنيان﴾ أي: معنى البيت الأوّل ومعنى البيت الثّاني ﴿كقول جرير﴾:

﴿فَلاَ يَمْنَعْكَ مِنْ أَرَبٍ﴾ أي: حاجة ﴿لُحَاهُمْ﴾[1] ـ بالضّمّ جمع

⇒ وَأُمنيَّةُ المُرتَادِ تُحضِرُكَ النَّدَى ... فَيَشفَعُ فِي مِثْلِ المَلَا فَيُشَفَّعُ
فأُنطِقَ فيها حَامِدٌ وهْوَ مُفْحَمٌ ... وَأُفحِمَ فيهَا حَاسِدٌ وَهْوَ مِصْقَعُ
ألاَ إنَّ في ظُفرِ المَنِيَّةِ مُهجَةً ... تَظَلُّ لَهَا عَيْنُ العُلى وَهْيَ تَدْمَعُ
هِيَ النَّفْسُ إنْ تَبْكِ المَكارِمُ فَقْدَها ... فَمِنْ بَيْنِ أَحْشَاءِ المكارِمِ تُنْزَعُ
ألاَ إنَّ أَنفاً لم يَعُدْ وهوَ أجدَعٌ ... لِفَقْدِكَ عندَ المَكْرُماتِ لأَجْدَعُ
وإنَّ آمْرَأً لَمْ يُمْسِ فِيكَ مُفَجَّعاً ... بِمَجْلُودِهِ فِي عَقْلِهِ لَمُفَجَّعُ

(١) قوله: «فلا يمنعك من أرب لحاهم». البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب المماثل، والقائل: جرير بن عطيّة الشّاعر المشهور من قصيدة طويلة يقول فيها متهجّماً على الفرزدق:

سَمَتْ لِيَ نَظْرَةٌ، فَرَأَيْتُ بَرْقاً ... تِهامِيّاً، فَرَاجَعَني ادِّكَارِي
يَقُولُ النّاظِرُونَ إلىٰ سَنَاهُ ... نَرَىٰ بُلْقاً شَمَسْنَ علىٰ مِهَارِ
لَقَدْ كَذَبَتْ عِدَاتُكِ أَمَّ بِشرٍ ... وَقَدْ طَالَتْ أَنَاتي وَانتِظارِي
عَجِلْتِ إلىٰ مَلامَتِنَا، وَتَسرِي ... مَطايَانا، وَلَيْلُكِ غَيرُ سارِي
فَهَانَ عَلَيْكِ ما لَقِيَتْ رِكَابي ... وَسَيْرِي فِي المُلَمَّعَةِ القِفَارِ
وَأيَّامٍ أتَيْنَ عَلى المَطَايَا ... كَأَنَّ سَمُومَهُنَّ أجِيجُ نَارِ
كَأنَّ عَلىٰ مَغَابِنِهِنَّ هَجْراً ... كُحَيْلَ اللِّيتِ أوْ نَبعانَ قارِ
لَقَدْ أَمْسَى البَعيثُ بِدَارِ ذُلٍّ ... وَمَا أمْسَى الفَرَزْدَقُ بالخِيَارِ

⇐

«لِحْيَة»[1] - ﴿سَوَاءٌ ذُو العِمامَةِ والخِمارِ﴾ أي: لا يَمْنَعْكَ من الحاجة كون هؤلاء على صورة الرّجال؛ لأنّ الرّجال منهم والنّساء سواء في الضّعف.

﴿وقول أبي الطّيّب﴾ في سيف الدَّوْلة يَذْكُرُ خُضُوع بني كِلاب وقبائل العَرَب له:

⇐ جَلاجِلُ، كُرَّج، وَسِبَالُ قِرْدٍ ... وَزَنْدٌ مِنْ قُفَيرَةَ غَيرُ وَارِي

عَرَفْنا مِنْ قُفَيرَةَ حَاجِبَيْهَا ... وَجَذّاً فِي أَنامِلِهَا القِصَارِ

تَدافَعْنَا، فَقَالَ بَنُو تَمِيم: ... كَأَنَّ القِرْدَ طُوِّحَ مِنْ طَمارِ

أَطَامِعَةٌ قُيُونُ بَني عِقَالٍ ... بِعُقْبَىٰ حِينَ فَاتَهُمُ حِضَارِي

وَقَدْ عَلِمَتْ بَنُو وَقْبَانَ أَنِّي ... صَبُورُ الوَعْثِ مُعْتَزِمُ الخَبارِ

بِيَرْبُوعٍ فَخَرْتَ وَآلِ سَعْدٍ ... فَلا مَجْدِي بَلَغْتَ وَلا افتخارِي

لِيَرْبوعٍ فَوارِسُ كُلَّ يَوْمٍ ... يُوَارِي شَمْسَهُ رَهَجُ الغُبَارِ

عُتَيْبَةُ والأُحَيْمِرُ وَابْنُ سَعْدٍ ... وَعَتَّابٌ وَفَارِسُ ذِي الخِمَارِ

وَيَوْمَ بَني جَذِيمَةَ إذْ لَحِقْنا ... ضُحىً بَينَ الشُّعَيْبَةِ وَالعَقَارِ

وُجُوهُ مُجَاشِعٍ طُلِيَتْ بِلُؤْمٍ ... يُبَيِّنُ فِي الْمُقَلَّدِ وَالعِذَارِ

وَحالَفَ جِلْدَ كُلِّ مُجاشعيٍّ ... قَميصُ اللُّؤْمِ لَيْسَ بِمُسْتَعَارِ

لهم أُدْرٌ تُصَوِّتُ في خِصَاهُمْ ... كَتَصْوِيتِ الجَلاجِل في القِطَارِ

أَغَرَّكُمُ الفَرَزْدَقُ مِنْ أبيكُمْ ... وَذِكْرُ مَزادتَيْنِ علىٰ حِمَارِ

وَجَدْنَا بَيْتَ ضَبَّةَ فِي مَعَدٍّ ... كَبَيْتِ الضَّبِّ لَيسَ لَهُ سَوَارِي

وَجَدْنَاهُمْ قَنَاذِعَ مُلْزَقَاتٍ ... بِلا نَبْعٍ نَبَتْنَ وَلا نُضَارِ

إذا ما كُنْتَ ملتمساً نِكَاحاً ... فلا تَعْدِلْ بِوَطْءِ بَنِي ضِرارِ

ولا تَمْنَعْكَ مِنْ أَرَبٍ لِحَاهُمْ ... سَوَاءٌ ذو العِمَامَةِ والخِمارِ

(١) «اللِّحْيَةُ»: الشَّعْرُ النّازل على الذَّقَن، والجمع: «لِحى» - بكسر اللّام وفتح الحاء مقصوراً - مثل: «سِدْرَة» و«سِدَر» وتُضَمُّ اللّام أيضاً، مثل: «حِلْيَة» و«حُلىً».

﴿ وَمَــنْ فِــي كَــفِّهِ مِـنْهُمْ قَـنَاةٌ[١] كَــمَنْ فِــي كَفِّهِ مِـنْهُمْ خِـضَابُ ﴾

---

(١) **قوله: «وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ»**. البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضَّرب المماثل، والقائل المتنبّي من قصيدةٍ طويلة في سيف الدّولة وذلك أنّه أحدث بنو كلاب حدثاً بنواحي «بالس» وسار سيف الدّولة خلفهم وأبو الطّيّب معهم، فأدركهم بعد ليلة بين ماءين يعرفان بالغبّارات والخرّارات، فأوقع بهم وملك الحريم فأبقى عليه، فقال أبو الطّيّب بعد رجوعه من هذه الغزوة وأنشده إيّاها في جمادى الأُخرى سنة ثلاث وأربعين وثلاث مائةٍ:

بِــغَيرِكَ رَاعِــياً عَــبِثَ الذِّئَــابُ ... وَغــيرَكَ صَــارِماً ثَــلَمَ الضِّــرَابُ
وَتَــمْلِكُ أنْــفُسَ الثَّــقَلَينِ طُــرّاً ... فكَــيفَ تَــحُوزُ أنــفُسَها كِــلابُ
وَمَــا تَــرَكُــوكَ مَــعْصِيَةً وَلَكِــنْ ... يُــعَافُ الوِرْدُ وَالمَــوْتُ الشَّرَابُ
طَــلَبْتَهُمُ عَــلى الأمْــوَاهِ حَــتَّى ... تَــخَوّفَ أنْ تُــفَتّشَهُ السَّــحَابُ
فَــبِتَّ لَــيَالِياً لا نَــوْمَ فِــيهَا ... تَــخُبّ بكَ المُسَــوَّمَةُ العِــرابُ
يَــهُزُّ الجَــيشُ حَــوْلَكَ جــانِبَيْهِ ... كــمَا نَــفَضَتْ جَــناحَيْها العُــقابُ
وَتَسْأَلُ عَــنهُمُ الفَــلَوَاتِ حــتّى ... أجــابَكَ بَــعضُها وَهُــمُ الجَــوَابُ
فَــقاتَلَ عَــنْ حَــرِيمِهِم وَفَــرّوا ... نَــدَى كَــفّيْكَ وَالنّسَبُ القُــرَابُ
وَحِــفْظُكَ فــيهِم سَــلَفَيْ مَــعَدٍّ ... وَأنّــهُمُ العَشَــائِرُ وَالصِّــحابُ
تُكَــفْكِفُ عَــنهُمُ صُــمَّ العَــوَالي ... وَقَــدْ شَــرِقَتْ بِــظُعْنِهِم الشِّــعابُ
وَأُسْــقِطَتِ الأجِــنَّةُ فــي الوَلايَــا ... وَأُجْــهِضَتِ الحَــوائِلُ وَالسِّــقابُ
وَعَــمْرٌو فــي مَــيَامِنِهِمْ عُــمُورٌ ... وَكَــعْبٌ فــي مَــياسِرِهِمْ كِــعَابُ
وَقَــدْ خَــذَلَتْ أبُــوبَكْرٍ بَــنِيهَا ... وَخــاذَلَها قُــرَيْطٌ وَالضِّــبابُ
إذا مــا سِــرْتَ فــي آثَــار قَــوْمٍ ... تَــخَاذَلَتِ الجَــماجِمُ وَالرِّقَــابُ
فَــعُدْنَ كــمَا أُخِــذْنَ مُكَــرَّماتٍ ... عَــلَيْهِنّ القَــلائِدُ وَالمَــلابُ
يُــثِبْنَكَ بــالّذي أوْلَــيْتَ شُكْــراً ... وَأيــنَ مِــنَ الذي تُــولي الثّــوَابُ
وَلَــيْسَ مَــصيرُهُنّ إلَــيْكَ شَــيْناً ... وَلا فــي صَــوْنِهِنّ لَــدَيْكَ عَــابُ

⇐

⇒ وَلا في فَقْدِهِنّ بَني كِلابِ   إذا أبصَرْنَ غُرّتَكَ اغتِرَابُ
وَكَيفَ يَتِمّ بأسُكَ في أُنَاسٍ   تُصيبُهُمُ فَيُؤلمُكَ المُصَابُ
تَرَفّقْ أيّهَا المَوْلى عَلَيهِمْ   فإنّ الرِّفْقَ بِالجاني عِتَابُ
وَإنّهُمُ عَبيدُكَ حَيثُ كانُوا   إذا تَدْعُو لحَادِثَةٍ أجَابُوا
وَعَينُ المُخْطِئِينَ هُمُ وَلَيْسُوا   بأوّلِ مَعْشَرٍ خَطِئُوا فَتَابُوا
وَأنْتَ حَياتُهُمْ غَضِبَتْ عَلَيهِمْ   وَهَجْرُ حَيَاتِهِمْ لَهُمُ عِقَابُ
وَمَا جَهِلَتْ أيادِيَكَ البَوَادي   ولكِنْ رُبّمَا خَفيَ الصّوَابُ
وَكَمْ ذَنْبٍ مُوَلِّدُهُ دَلالٌ   وَكَمْ بُعْدٍ مُوَلِّدُهُ اقْتِرَابُ
وَجُرْمٍ جَرّهُ سُفَهَاءُ قَوْمٍ   وَحَلّ بغَير جارمِه العَذابُ
فإنْ هَابُوا بجُرْمِهِم عَلِيّاً   فَقَدْ يَرْجُو عَلِيّاً منْ يَهَابُ
وَإنْ يَكُ سيفَ دَوْلَةِ غيرِ قيسٍ   فَمِنْهُ جُلُودُ قَيسٍ والثّيابُ
وَتَحْتَ رَبَابِهِ نَبَتُوا وَأثّوا   وَفي أيّامِه كَثُرُوا وَطابُوا
وَتحتَ لِوائِه ضَرَبُوا الأعَادي   وَذَلّ لهُمْ منَ العَرَبِ الصّعابُ
وَلَوْ غَيرُ الأمير غَزَا كِلاباً   ثَنَاهُ عَنْ شُمُوسِهِم ضَبَابُ
وَلاقَى دونَ ثَايِهِم طِعَاناً   يُلاقي عِنْدَهُ الذّئبَ الغُرابُ
وَخَيْلاً تَغْتَذي ريحَ المَوَامي   وَيَكْفيها مِنَ المَاء السّرَابُ
وَلَكِنْ رَبُّهُمْ أسْرَى إلَيْهِمْ   فَمَا نَفَعَ الوُقُوفُ وَلا الذّهابُ
وَلا لَيْلٌ أجَنّ وَلا نَهَارٌ   وَلا خَيْلٌ حَمَلْنَ وَلا رِكَابُ
رَمَيْتَهُمُ بِبَحْرٍ مِنْ حَديدٍ   لَهُ في البَرّ خَلْفَهُمُ عُبَابُ
فَمَسّاهُمْ وَبُسْطُهُمُ حَرِيرٌ   وَصَبّحَهُمْ وَبُسْطُهُمُ تُرَابُ
وَمَنْ في كَفّه مِنْهُمْ قَنَاةٌ   كَمَنْ في كَفّه منْهُمْ خِضابُ
بَنُو قَتْلى أبِيكَ بأرْض نَجْدٍ   وَمَنْ أبْقَى وَأبْقَتْهُ الحِرابُ
عَفَا عَنْهُمْ وأعْتَقَهُمْ صغاراً   وَفي أعناقِ أكثرهمْ سِخابُ
⇐

فتعبير جَرِيْرٍ عن الرّجل بذي العِمامة كتعبير أبي الطّيّب عنه بِمَنْ في كفّه منهم قَنَاة، وكذا التّعبير عن المرأة بذات الخِمار، وبمن في كفّه منهم خِضاب.

ويجوز في تشابه المعنيين أن يكون أحد البيتين نسيباً[١] والآخر مديحاً، أو هِجاءً، أو افتخاراً، أو غير ذلك، فإنّ الشّاعر الحاذق إذا قصد إلى المعنى المُخْتَلَس لِيَنْظِمَهُ احتال في إخفائه؛ فغيّر لفظه وصَرَفه عن نوعه من النّسيب أو المدح أو غير ذلك، وعن وزنه وعن قافيته.

[النّوع الثّاني منقول المعنى]

﴿ومنه﴾ أي: من غير الظّاهر **﴿أن ينقل المعنى إلى محلّ آخر، كقول البُحْتُرِيّ﴾**:

﴿سُلِبُوا﴾ أي: ثِيَابَهُمْ[٢] **﴿وَأَشْرَقَتِ الدِّماءُ عَلَيْهِم[٣] * مُحْمَرَّةً فَكَأَنَّهُمْ لَمْ**

⇐ وَكُلُّكُمُ أتَى مَأتَى أبِيه وَكُلُّ فَعَالِ كُلِّكُمُ عُجَابُ

كَذا فَلْيَسْرِ مَن طَلَبَ الأعادي وَمِثْلَ سُراكَ فَلْيَكُنِ الطِّلابُ

(١) هو الّذي يقال له: التّشبيب، وتشبيبُ الشِّعْرِ: ترقيق أوّله بذكر النّساء، وهو من تشبيب النّار، و«شَبَّبَ بالمرأة»: قال فيها الغزَل والنّسيب، وهو يُشَبِّبُ بها، أي: يَنْسِبُ بها، قال الشّاعر:

وقد أَرْسَلَتْ في السِّرِّ أن قَدْ فَضَحْتَنِي وقد بُحْتَ باسمي في النّسيب وما تَكْنِي

(٢) بالنّصب على أنّه مفعولٌ ثانٍ والمفعول الأوّل رفع بالنّيابة عن الفاعل والأصل: «سَلَبَهُم قَتَلَتُهُم ثِيابَهم» كما يقال: «سلبتُ زيداً ثوبه» ويجوز أن يكون منصوباً بنزع الخافِضِ، أي: «جرّدوا من ثيابهم».

(٣) **قوله: سُلِبُوا وأشرقَتِ الدِّماءُ عليهم**. البيت من الكامل على العروض الأُولى مع الضّرب المشابه، والقائل البُحْتُرِيّ من قصيدة طويلةٍ يمدح بها إسحاق بن إبراهيم:

عَارَضْنَنَا أُصُلاً فَقُلْنَا ٱلرَّبْرَبُ حَتَّى أَضَاءَ ٱلْأُقْحُوَانُ ٱلْأَشْنَبُ

⇐

⇐ وَٱخْضَرَّ مَوْشِيُّ ٱلْبُرُودِ وَقَدْ بَدَا ... مِنْهُنَّ دِيبَاجُ ٱلْخُدُودِ ٱلْمُذْهَبُ

أَوْمَضْنَ مِنْ خَلَلِ ٱلسُّتُورِ فَرَاعَنَا ... بَرْقَانِ خَالٌ مَا يُنَالُ وَخُلَّبُ

وَلَوَ ٱنَّنِي أُنْصِفْتُ فِي حُكْمِ ٱلْهَوَى ... مَا شِمْتُ بَارِقَةً وَرَاسِي أَشْيَبُ

وَلَقَدْ نَهَيْتُ ٱلدَّمْعَ يَوْمَ سُوَيْقَةٍ ... فأَبَتْ غَوَالِبُ عَبْرَةٍ مَا تُغْلَبُ

وَوَرَاءَ تَسْدِيَةِ ٱلْوُشَاةِ مَلِيَّةٌ ... بِٱلْحُسْنِ تَمْلُحُ فِي ٱلْقُلُوبِ وَتَعْذُبُ

كَٱلْبَدْرِ إِلَّا أَنَّهَا لاَ تُجْتَلَى ... وَٱلشَّمْسِ إِلَّا أَنَّهَا لاَ تَغْرُبُ

رَاحَتْ لِأَرْبُعِكِ ٱلرِّيَاحُ مَرِيضَةً ... وَأَصَابَ مَغْنَاكِ ٱلْغَمَامُ ٱلصيِّبُ

سَأَعُدُّ مَا أَلْقَى فَإِنْ كَذَّبْتِنِي ... فَسَلِي ٱلدُّمُوعَ فَإِنَّهَا لا تَكْذِبُ

أَعْرَضْتِ حَتَّى خِلْتُ أَنِّي ظَالِمٌ ... وَعَتَبْتِ حَتَّى قُلْتُ إِنِّي مُذْنِبُ

عَجباً لِهَجْرِكِ قَبْلَ تَشْتِيتِ ٱلنَّوَى ... مِنَّا وَوَصْلُكِ فِي ٱلتَّنَائِي أَعْجَبُ

كَيْفَ اهْتَدَيْتِ وَمَا ٱهْتَدَيْتِ لِمُغْمَدٍ ... فِي لَيْلِ عَانَةَ وَٱلثُّرَيَّا تُجْنَبُ

عَفَتِ ٱلرُّسُومُ وَمَا عَفَتْ أَحْشَاؤُهُ ... مِنْ عَهْدِ شَوْقٍ مَا يَحُولُ فَيَذْهَبُ

أَتَرَكْتِهِ بِٱلْحَبْلِ ثُمَّ طَلَبْتِهِ ... بِخَلِيجِ بَارِقَ حَيْثُ عَزَّ ٱلْمَطْلَبُ

مِنْ بعْدِ مَا خَلُقَ ٱلْهَوَى وَتَعَرَّضَتْ ... دُونَ ٱللِّقَاءِ مَسَافَةٌ مَا تَقْرُبُ

وَرَمَتْ بِنَا سَمْتَ ٱلْعِرَاقِ أَيَانِقٌ ... سُحْمُ ٱلْخُدُودِ لُغَامُهُنَّ ٱلطُّحْلُبُ

مِنْ كُلِّ طَائِرَةٍ بِخَمْسٍ خَوَافِقٍ ... دُعْجٍ كَمَا ذُعِرَ ٱلظَّلِيمُ ٱلمُهْذِبُ

يَحْمِلْنَ كُلَّ مُفَرَّقٍ فِي هِمَّةٍ ... فَضْلٍ يَضِيقُ بِهَا ٱلْفَضَاءُ ٱلسَّبْسَبُ

رَكِبُوا ٱلْفُرَاتَ إِلَى ٱلْفُرَاتِ وَأَمَّلُوا ... جَذْلاَنَ يُبْدِعُ فِي ٱلسَّمَاحِ وَيُغْرِبُ

فِي غَايَةٍ طُلِبَتْ فَقَصَّرَ دُونَهَا ... مَنْ رَامَهَا فَكَأَنَّهَا مَا تُطْلَبُ

كَرَماً يُرَجَّى فِيهِ مَا لاَ يُرْتَجَى ... عِظَماً وَيُوهَبُ فِيهِ مَا لاَ يُوهَبُ

أَعْطَى فَقِيلَ أَحَاتِمٌ أَمْ خَالِدٌ ... وَوَفَى فَقِيلَ أَطَلْحَةٌ أَمْ مُصْعَبُ

شَيْخَانِ قَدْ سَفَرَا لِقَائِمِ هَاشِمٍ ... قَبْلَ ٱلْخِلاَفَةِ وَهْيَ بِكْرٌ تُخْطَبُ

نَقَضَا بِرَأْيِهِمَا ٱلَّذِي سَدَّى بِهِ ... لِبَنِي أُمَيَّةَ ذُو ٱلْكَلاَعِ وَحَوْشَبُ

⇐

⇐ فَهُمَا إذَا خَذَلَ ٱلْخَلِيلُ خَلِيلَهُ … عَضُدٌ لِملْكِ بَنِي ٱلْوَلِيِّ وَمَنْكِبُ
وَعَلَى ٱلْأَمِيرِ أَبِي ٱلْحُسيْنِ سَكِينَةٌ … فِي ٱلرَّوْعِ يَسْلُكُهَا ٱلْهِزَبْرُ ٱلْأَغْلَبُ
وَلِحَرْبَةِ ٱلْإِسْلاَمِ حِينَ يَهُزُّهَا … هَوْلٌ يُرَاعُ لَهُ ٱلنِّفَاقُ وَيُرْعَبُ
تِلْكَ ٱلمُحَمِّرَةُ ٱلَّذِينَ تَهَافَتُوا … فَمُشَرِّقٌ فِي غَيِّهِ وَمُغَرِّبُ
والْخُرَّمِيَّةُ إذْ تَجَمَّعَ مِنْهُمُ … بِجِبَالِ قُرَّانَ الحَصَى وَالأَثْلَبُ
جَاشُوا فَذَاكَ ٱلْغَوْرُ مِنْهُمْ سَائِلٌ … دُفَعاً وَذَاكَ ٱلنَّجْدُ مِنْهُمْ مُعْشِبُ
يَتَسَرَّعُونَ إِلَى ٱلْحُتُوفِ كَأَنَّهَا … وَفْرٌ بِأَرْضِ عَدُوِّهِمْ يُتَنَهَّبُ
حَتَّى إذَا كَادَتْ مَصَابِيحُ ٱلْهُدَى … تَخْبُو وَكَادَ مَمَرُّهُ يَتَقَضَّبُ
ضَرَبَ ٱلْجِبَالَ بِمِثْلِهَا مِنْ عَزْمِهِ … غَضْبَانَ يَطْعَنُ فِي ٱلْحِمَامِ وَيَضْرِبُ
أَوْفَى فَظَنُّوا أَنَّهُ ٱلْقَدَرُ ٱلَّذِي … سَمِعُوا بِهِ فَمُصَدِّقٌ وَمُكَذِّبُ
نَاهَضْتَهُمْ وَٱلْبَارِقَاتُ كَأَنَّهَا … شُعَلٌ عَلَى أيْدِيهِم تَتَلَهَّبُ
وَوَقَفْتَ مَشْهُورَ ٱلْمَقَامِ كَرِيمَهُ … وَٱلْبِيضُ تَطْفُو فِي ٱلْغُبَارِ وَتَرْسُبُ
مَا إنْ تَرَى إلَّا تَوَقُّدَ كَوْكَبٍ … فِي قَوْنَسٍ قَدْ غَارَ فِيهِ كَوْكَبُ
فَمُجَدَّلٌ وَمُرَمَّلٌ وَمُوسَّدٌ … وَمُضَرَّج ومُضَمَّخٌ وَمُخَضَّبُ
سُلِبُوا وَأَشْرَقَتِ ٱلدِّمَاءُ عَلَيْهِم … مُحْمَرَّةً فكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلَبُوا
وَلَوَ ٱنَّهُمْ رَكِبُوا ٱلْكَوَاكِبَ لَمْ يَكُنْ … لِمُجِدِّهِمْ مِنْ أَخْذِ بَأْسِكَ مَهْرَبُ
وَشَدَدْتَ عَقْدَ خِلاَفَتَيْنِ خِلاَفَةً … مِنْ بَعْدِ أُخْرَى وَٱلْخَلاَئِفُ غُيَّبُ
حِينَ ٱلْتَوَتْ تِلْكَ ٱلْأُمُورُ وَرُجِّمَتْ … تِلْكَ ٱلظُّنُونُ وَمَاجَ ذَاكَ ٱلْغَيْهَبُ
وَتَجَمَّعَتْ بَغْدَادُ ثُمَّ تَفَرَّقَتْ … شِيَعاً يُشَيِّعُهَا ٱلضَّلاَلُ ٱلْمُصْحَبُ
فَأَخَذْتَ بَيْعَتَهُمْ لِأَزْكَى قَائِمٍ … بِٱلسَّيْفِ إذْ شَغِبُوا عَلَيْكَ وَأَجْلَبُوا
اَللَّهُ أَيَّدَكُمْ وَأَعْلَى ذِكْرَكُمْ … بِٱلنَّصْرِ يُقْرَأُ فِي ٱلسَّمَاءِ وَيُكْتَبُ
وَلأَنْتُمُ عُدَدُ ٱلْخِلاَفَةِ إنْ غَدَا … أوْ رَاحَ مِنْهَا مَجْلِسٌ أَوْ مَوْكِبُ
وَٱلسَّابِقُونَ إِلَى أَوَائِلِ دَعْوَةٍ … يَرْضَى لَهَا رَبُّ ٱلسَّمَاءِ وَيَغْضَبُ

⇐

يُسْلَبُوا ﴾ لأنّ الدِّماء المُشْرِقة صارت بمنزلة ثِياب لهم **﴿ وقول أبي الطّيِّب ﴾**:
﴿ يَبِسَ النَّجِيْعُ ﴾ أي: الدّم **﴿ عَلَيْهِ ﴾** أي: على السّيف **﴿ وهو مُجَرَّدٌ[1] * عَنْ**

⇐ وَمُظَفَّرُونَ إِذَا ٱسْتَقَلَّ لِوَاؤُهُمْ ... بِٱلْعِزِّ أَدْرَكَ رَبُّهُ مَا يَطْلُبُ
جِدٌّ يَفُوتُ ٱلرِّيحَ فِي طَلَبِ ٱلْعُلَى ... سَبْقاً إِذَا وَنَتِ ٱلْجُدُودُ ٱلْخُيَّبُ
مَا جُهِّزَتْ لِمُخَالِفٍ رَايَاتُكُمْ ... إِلَّا تَهَدَّمَ كَهْفُهُ ٱلْمُسْتَصْعَبُ
وَإِذَا تَوَثَّبَ خَالِعٌ فِي جَانِبٍ ... ظَلَّتْ عَلَيْهِ سُيُوفُكُمْ تَتَوَثَّبُ
وَإِذَا تَأَمَّلْتَ ٱلزَّمَانَ رَأَيْتَهُ ... دُوَلاً عَلَى أَيْدِيكُمُ تَتَقَلَّبُ

(١) قوله: «**يبس النجيع عليه وهو مجرّد**». البيت من الكامل على العروض الأُولى مع الضّرب المشابه، والقائل المتنبّي من قصيدة يمدح بها شجاع بن محمّد الطّائي المنبجيّ:

اَلْيَوْمَ عَهدُكُمُ فأينَ المَوْعِدُ؟ ... هَيهاتَ ليسَ ليَوْمِ عَهدِكُمُ غَدُ
اَلْمَوْتُ أقرَبُ مِخْلَباً من بَيْنِكُمْ ... وَالعَيشُ أبعَدُ منكُمُ لا تَبعُدُوا
إنّ الّتي سفَكَتْ دَمي بجُفُونِها ... لم تَدْرِ أنّ دَمي الّذي تَتَقَلّدُ
قالَتْ وقَدْ رَأتِ اصْفِراري من بهِ ... وَتَنَهّدَتْ فأجَبْتُها المُتَنَهِّدُ
فَمَضَتْ وقد صَبَغَ الحَياءُ بَياضَهَا ... لَوْني كَما صَبَغَ اللُّجَينَ العَسجَدُ
فرَأيتُ قَرْنَ الشمسِ في قمر الدُّجى ... مُتَأوِّداً غُصْنٌ بهِ يَتَأوّدُ
عَدَوِيّةٌ بَدَوِيّةٌ مِنْ دُونِهَا ... سَلْبُ النّفُوسِ ونارُ حرْبٍ توقَدُ
وَهَواجِلٌ وصَواهِلٌ ومَنَاصِلٌ ... وذَوابِلٌ وتَوَعّدٌ وتَهَدُّدُ
أبْلَتْ مَوَدّتَها اللّيالي بَعْدَنَا ... ومَشَى عَلَيها الدّهرُ وهوَ مُقَيَّدُ
بَرّحْتَ يا مَرَضَ الجُفُونِ بِمُمرَضٍ ... مَرِضَ الطّبيبُ لهُ وَعِيدَ العُوّدُ
فَلَهُ بَنُو عَبْدِ العَزيزِ بنِ الرّضَى ... ولكُلِّ رَكْبٍ عيسُهُمْ والفَدْفَدُ
مَن في الأنامِ مِنَ الكِرامِ ولا تَقُلْ ... مَن فيكِ شأمُ سوَى شجاعٍ يُقصَدُ
أعطى فقُلتُ: لجودِهِ ما يُقْتَنَى ... وَسَطا فقلتُ: لسَيفِهِ ما يُولَدُ
وَتَحَيّرَتْ فيهِ الصّفاتُ لأنّها ... ألْفَتْ طَرائِقَهُ عَلَيها تَبْعُدُ
في كلّ مُعْتَرَكٍ كُلىً مَفْرِيّةٌ ... يَذْمُمْنَ منهُ ما الأسِنّةُ تَحمَدُ

⇐

⇐ نِـقَمٌ عَـلى نِقَمِ الزّمانِ يَصُبّها ... نِـعَمٌ عـلى النّـعَمِ الّـتي لا تُـجْحَدُ
فـي شَـانِهِ ولِسـانِهِ وبَـنَانِهِ ... وَجَـنانِهِ عَـجَبٌ لمَـنْ يَـتَفَقّدُ
أسَـدٌ دَمُ الأسَـدِ الهِـزَبْرِ خِـضابُهُ ... مَـوْتٌ فَـريصُ المَـوْتِ منهُ يُـرْعَدُ
مـا مَـنْبِجٌ مُـذْ غِـبْتَ إلّا مُـقْلَةٌ ... سـهدتْ وَوَجْـهُكَ نـوْمُها والإثْـمِدُ
فـاللّيلُ حـينَ قَـدِمْتَ فـيها أبْـيَضٌ ... والصّـبْحُ مُـنذُ رَحَـلْتَ عـنها أسـوَدُ
مـا زِلْتَ تَـدنو وهْـيَ تَـعْلُو عِـزّةً ... حـتّى تَـوَارَى فـي ثَـراهـا الفَـرْقَدُ
أرْضٌ لهـا شَـرَفٌ سِـواهـا مِـثْلُهَا ... لوْ كـانَ مِـثْلُكَ فـي سِـواهـا يُـوجَدُ
أبْـدَى العُـداةُ بكَ السّـرورَ كأنّـهُمْ ... فـرِحوا وعِـندَهُمُ المُـقيمُ المُـقْعِدُ
قَـطّعْتَهُمْ حَسَـداً أراهُـمْ مـا بِـهِمْ ... فَـتَقَطّعُوْا حَسَـداً لمـنْ لا يَـحسُدُ
حـتّى انـثَنَوْا ولَـو آنّ حـرّ قُلوبهمْ ... فـي قَـلْبِ هـاجِرَةٍ لَـذابَ الجَـلْمَدُ
نَـظَرَ العُـلُوجُ فـلَمْ يَـروْا من حَـوْلهم ... لمّـا رَأوْكَ وقـيلَ هـذا السّـيّدُ
بَـقيَتْ جُـمُوعُهُمُ كأنّكَ كُـلّها ... وبَـقيتَ بَـينَهُمُ كأنّك مُـفْرَدُ
لهـفَانَ يَسْـتوْبي بكَ الغَـضَبَ الوَرَى ... لوْ لم يُـنَهْنِهْكَ الحِـجى والسّـؤدُدُ
كُـنْ حيثُ شئتَ تَسِـرْ إليكَ رِكابُنا ... فـالأرْضُ واحِـدَةٌ وأنتَ الأوْحَـدُ
وَصُـنِ الحُسـامَ ولا تُـذِلْهُ فـإنّهُ ... يَشكُـو يَـمينَكَ والجَـماجمُ تَشـهَدُ
يَـبِسَ النّـجيعُ عَـلَيْهِ وَهْـوَ مُـجَرَّدٌ ... مِـنْ غِـمْدِهِ وكأنّـما هـوَ مُـغْمَدُ
رَيّـانُ لَـوْ قَـذَفَ الّـذي أسْـقَيْتَهُ ... لجَـرَى مـنَ المُـهَجاتِ بَحْرٌ مُـزْبِدُ
مـا شـارَكَـتْهُ مَـنِيّةٌ فـي مُـهْجَةٍ ... إلّا وشَـفْرَتُهُ عـلى يَـدِها يَـدُ
إنّ العَـطايا والرّزايـا والقَـنا ... حُـلَفاءُ طَـيٍّ غَـوّرُوا أوْ أنـجَدُوا
صِـحْ يـا لَـجُلْهُمَةٍ تُـجِبْكَ وإنّـما ... أشـفَارُ عَـينِكَ ذابِـلٌ ومُـهَنّدُ
مِـن كـلّ أكـبَرَ مِـنْ جِـبالِ تِـهامَةٍ ... قَـلْباً ومِـنْ جَـوْدِ الغَـوادي أجْـوَدُ
يَـلْقاكَ مُـرْتَدِياً بأحْـمَرَ مِـنْ دَمٍ ... ذَهَـبَتْ بـخُضرَتِهِ الطُّـلَى والأكْـبُدُ
حـتّى يُشـارَ إلَـيكَ: ذا مَـوْلاهُمُ ... وَهُـمُ المَـوالي والخَـليقَةُ أعْـبُدُ

⇐

غِمْدِهِ فَكَأَنَّمَا هُوَ مُغْمَدُ » لأنّ الدّم اليابس صار بمنزِلة غِمْدٍ له، فنقل المعنى من القَتْلَى والجَرْحَىٰ إلى السّيف.

[النّوع الثّالث أشمل المعنى]

« ومنه » أي: من غير الظّاهر **« أن يكون معنى الثّاني أشمل »** من معنى الأوّل **« كقول جرير »**:

« إذا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ[1] وَجَدْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غِضابَا »

⇐ أنّـى يَكُـونُ أبَـا البَـرِيّةِ آدَمٌ وأبـوكَ والثّـقَلانِ أنْتَ مُـحَمّدُ

يَـفنى الكَـلامُ ولا يُـحيطُ بـفَضْلِكُمْ أيُـحيطُ مـا يَـفْنى بـمَا لا يَـنْفَدُ

(١) **قوله: «إذا غضبت عليك بنو تميم»**. البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب المقطوف، والقائل جرير بن عطيّة من قصيدة طويلة يقال لها القصيدة الدّامغة يهجو بها الرّاعي النّميري، وفي هذه القصيدة دمغ جرير الرّاعي ـ أي: أصاب دماغه ـ وتسمّى قافيتها المنصورة:

أَقِـلّي اللَّـوْمَ عَـاذِلَ وَالعِـتابَا وقـولي إنْ أصَـبْتُ، لقَـدْ أصَابَا

أَجِـدَّكَ مـا تَـذَكّـرُ أهْـلَ نَجْدٍ وَحَـيّاً طَـالَ مـا انـتَظَرُوا الإيَـابَا

بَـلىٰ فـارْفَضَّ دَمْعُكَ غَيرَ نَـزْرٍ كَـما عَـيَّنْتَ بـالسَّرَبِ الطِّـبَابَا

وَهَـاجَ البَـرْقُ لَـيْلَةَ أذْرِعَـاتٍ هَـوىً مَـا تَـستَطيعُ لهُ طِـلابَا

فـقُلْتُ بِـحَاجَةٍ وَطَـوَيْتُ أُخْرَىٰ فَـهَاجَ عَـلَيَّ بَـيْنَهُمَا اكْـتِئَابَا

وَوَجْـدٍ قَـدْ طَـوَيْتُ يكـادُ مِنْهُ ضَـمِيرُ القَـلْبِ يَـلتَهِبُ التِـهَابَا

سأَلْـنَاها الشِّـفَاءَ فَـما شَـفَتْنَا وَمَـنَّتْنَا الْـمَواعِـدَ وَالخِـلَابَا

لَشَـتَّانَ الْـمُجَاوِرُ دَيـرَ أرْوَىٰ وَمَـنْ سَكَـنَ السَّـلِيلَةَ وَالجِـنابَا

أسَـيلَةُ مَـعْقِدِ السِّـمْطَيْنِ مِـنها وَرَيّـا حَـيْثُ تَـعْتَقِدُ الحِـقَابَا

وَلا تَـمْشِي اللّـئَامُ لَـهَا بِسِـرٍّ وَلا تُـهْدِي لجـارَتِها السِّـبَابَا

أبـاحَتْ أُمُّ حَـزْرَةَ مِـنْ فُـؤادي شِـعابَ الحُبِّ، إنَّ لهُ شِـعابَا

⇐

⇐ مَتىٰ أُذْكَرْ بِخُورِ بَني عِقالٍ … تَبَيَّنَ في وُجُوهِهِمُ اكْتِئابَا

إذا لاَقىٰ بَنُو وَقْبَانَ غَمّاً … شَدَدْتُ علىٰ أُنُوفِهِم العِصَابَا

أبىٰ لي ما مَضَىٰ لي في تَميم … وفي فَرْعَيْ خُزَيْمَةَ أنْ أُعابَا

سَتَعْلَمُ مَنْ يَصِيرُ أبُوهُ قَيْناً … وَمَنْ عُرِفَتْ قَصائِدُهُ اجتِلابَا

أثَعْلَبَةَ الفَوارِسِ أوْ رِياحاً … عَدَلْتَ بهمْ طُهَيَّةَ وَالخِشابَا

كَأنَّ بَني طُهَيَّةَ رَهْطَ سَلمىٰ … حِجَارَةُ خارِئٍ يَرْمي كِلابَا

فَلاَ وَأبِيكَ ما لاقَيْتُ حَيّاً … كَيَرْبُوعٍ إذا رَفَعُوا العُقَابَا

وَمَا وَجَدَ الْمُلُوكُ أعَزَّ مِنّا … وَأسْرَعَ مِنْ فَوَارِسِنَا اسْتِلاَبَا

وَنَحْنُ الحاكِمُونَ علىٰ قُلاخٍ … كَفَيْنَا ذا الجَرِيرَةِ وَالْمُصَابَا

حَمَيْنَا يَوْمَ ذي نَجَبٍ حِمَانَا … وَأحْرَزْنَا الصَّنائِعَ والنِّهَابَا

لَنا تحتَ الْمَحامِلِ سابِغاتٌ … كَنَسْجِ الرِّيحِ تَطَّرِدُ الحَبَابَا

وَذي تَاجٍ لَهُ خَرَزاتُ مُلْكٍ … سَلَبْنَاهُ السُّرَادِقَ وَالحِجَابَا

ألا قَبَحَ الإلهُ بَني عِقَالٍ … وَزَادَهُمُ بِغَدْرِهِمُ ارْتِيابَا

أجِيرانَ الزُّبَيْرِ بَرِئْتُ مِنْكُمْ … فألْقُوا السَّيْفَ وَاتّخذوا العِيابَا

لَقَدْ غَرَّ القُيُونُ دَماً كَريماً … وَرَحْلاً ضَاعَ فانْتُهِبَ انْتِهَابَا

وَقَدْ قَعِسَتْ ظُهُورُهُمْ بخَيْلٍ … تُجاذِبُهُمْ أعِنَّتَهَا جِذابَا

عَلامَ تَقَاعَسُونَ وَقد دَعاكُمْ … أهَانَكُمُ الّذي وَضَعَ الكِتَابَا

تَعَشَّوا مِنْ خَزيرِهِمُ فَنامُوا … وَلَمْ تَهْجَعْ قَرائِبُهُ انْتِحَابَا

أتَنْسَوْنَ الزُّبَيرَ وَرَهْطَ عَوْفٍ … وَجِعْثِنَ بَعدَ أعيَنَ وَالرَّبَابَا

وَخُورُ مُجَاشِعٍ تَرَكُوا لَقِيطاً … وَقالوا: حِنْوَ عَيْنِكَ وَالغُرَابَا

وَأضْبُعُ ذي مَعَارِكَ قَدْ عَلِمْتُم … لَقينَ بجَنْبِهِ العَجَبَ العُجَابَا

وَلا وَأبِيكَ مالَهُمُ عُقُولٌ … وَلا وُجِدَتْ مَكاسِرُهُمْ صِلابَا

وَلَيْلَةَ رَحْرَحانَ تَرَكْتَ شِيباً … وَشُعْثاً في بُيُوتِكُمُ سِغَابَا

⇐

⇐ رَضَعْتُمْ ثُمَّ سالَ على لِحَاكُمْ ... ثُعَالَةَ حَيثُ لم تَجِدوا شَرَابَا
تَرَكْتُمْ بالوَقيطِ عُضارِطاتٍ ... تُرَدِّفُ عِندَ رِحْلَتِها الرِّكابَا
لَقَدْ خَزِيَ الفَرَزْدَقُ في مَعَدٍّ ... فأمسَىٰ جَهْدُ نُصرَتِهِ اغْتِيابَا
وَلاقَى القَيْنُ والنَّخباتُ غَمّاً ... تَرَىٰ لوُكُوفِ عَبرَتِهِ انصِبَابَا
فَما هِبْتُ الفَرَزْدَقَ قد عَلِمْتم ... وَما حَقُّ ابْنِ بَرْوَعَ أنْ يُهابَا
أعَدَّ اللهُ للشُّعَرَاءِ مِنِّي ... صَوَاعِقَ يُخْضِعُونَ لهَا الرِّقَابَا
قَرَنْتُ العَبْدَ، عبدَ بَني نُمَيرٍ ... مَعَ القَيْنَينِ إذْ غُلِبَا وَخَابَا
أتَاني عَنْ عَرادَةَ قَوْلُ سُوءٍ ... فَلا وَأبي عَرادَةَ ما أصَابَا
عرادةُ من بَقِيَّة قَوْم لُوطٍ ... ألا تَبّاً لما عَمِلُوا تبابا
لَبِئْسَ الكَسْبُ تكسِبُهُ نُمَيْرٌ ... إذا استَأْنَوْك وَانتَظَرُوا الإيَابَا
أتَلْتَمِسُ السِّبابَ بَنُو نُمَيرٍ ... فَقَدْ وَأبيهِمُ لاقَوْا سِبَابَا
أنا البازي الْمُدِلُّ عَلىٰ نُمَيرٍ ... أُتِحْتُ مِنَ السَّماءِ لها انصِبَابَا
إذا عَلِقَتْ مَخالِبُهُ بِقِرْنٍ ... أصَابَ القَلبَ أوْ هَتَكَ الحِجابَا
تَرَى الطَّيْرَ العِتاقَ تَظَلُّ مِنْهُ ... جَوَانحَ للكَلاكِلِ أنْ تُصَابَا
فَلاَ صَلَّى الإلَهُ علىٰ نُمَيْرٍ ... وَلا سُقِيَتْ قُبُورُهُمُ السَّحابَا
وَخَضْراءِ الْمَغابِنِ مِنْ نُمَيرٍ ... يَشِينُ سَوادُ مَحجِرِها النِّقَابَا
إذا قامَتْ لغَيرِ صَلاةِ وِتْرٍ ... بُعَيْدَ النَّوْمِ أنْبَحَتِ الكِلابَا
وَقَدْ جَلَّتْ نِساءُ بَني نُمَيرٍ ... وَما عَرَفَتْ أنامِلُها الخِضَابَا
إذا حَلَّتْ نِساءُ بَني نُمَيرٍ ... علىٰ تِبراكَ خَبَّثَتِ التُّرَابَا
وَلَوْ وُزِنَتْ حُلُومُ بَني نُمَيرٍ ... على المِيزَانِ ما وَزَنَتْ ذُبَابَا
فَصَبراً يا تُيُوسَ بَني نُمَيرٍ ... فإنَّ الحَرْبَ مُوقِدَةٌ شِهابَا
لَعَمْرُ أبي نِسَاءِ بَنِي نُمَيرٍ ... لَسَاءَ لهَا بمَقْصَبَتي سِبَابَا
سَتَهْدِمُ حائِطَيْ قَرْماء مِنِّي ... قَوَافٍ لا أُرِيدُ بهَا عِتابَا

⇐

⇐ دَخَلْنَ قُصُورَ يَثرِبَ مُعْلِماتٍ وَلَمْ يَتْرُكْنَ مِنْ صَنعاءَ بَابَا

تَطولُكُمُ حِبالُ بَني تَميم وَيَحْمي زَأرُهَا أجَماً وَغَابَا

ألَمْ نُعْتِقْ نِسَاءَ بَني نُمَيْرٍ فَلا شُكْراً جَزَيْنَ وَلا ثَوابَا

ألَمْ ترني صُبِبْتُ علىٰ عُبَيْدٍ وَقَدْ فارَتْ أباجلُهُ وَشَابا

أعِدُّ لَهُ مَوَاسِمَ حامِيَاتٍ فَيَشْفِي حَرُّ شُعْلَتِها الجِرابَا

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلا كَعْبا بَلَغْتَ وَلا كِلابَا

أتَعْدِلُ دِمْنَةً خَبُثَتْ وَقَلَّتْ إليغ فَرْعَيْنِ قَد كَثُرَا وَطَابَا

وَحُقَّ لِمَنْ تكَنَّفَهُ نُمَيرٌ وَضَبَّةُ لا أبَا لَكَ أنْ يُعابَا

فَلَولاَ الغُرُّ مِنْ سَلَفَيْ كِلابٍ وَكَعْبٍ لاغتَصَبْتُكُمُ اغتِصَابَا

فإنَّكُمُ قَطِينُ بَني سُلَيْم تُرَىٰ بُرْقُ العَبَاءِ لكُمْ ثِيابَا

إذاً لنَفَيْتُ عَبدَ بَني نُمَيرٍ وَعَلِّي أنْ أزيدَهُمُ ارتِيابَا

فَيَا عَجَبِي أتُوعِدُني نُمَيرٌ بِراعِي الإبْلِ يَحْتَرِشُ الضِّبابَا

لَعَلّكَ يا عُبَيْدُ حَسِبْتَ حَرْبي تَقَلُّدَكَ الأصِرَّةَ والعِلابَا

إذا نَهَضَ الكِرامُ إلى المعَالي نَهَضْتَ بِعُلْبَةٍ وَأثَرْتَ نَابَا

يَحِنُّ لَهُ العِفَاسُ إذا أفاقَتْ وتَعْرِفُهُ الفِصَالُ إذا أهَابَا

فَأوْلِعْ بالعِفاسِ بَني نُمَيرٍ كَمَا أوْلَعْتَ بالدَّبَرِ الغُرَابَا

وَبِئْسَ القَرْضُ قَرْضُكَ عند قيس تُهَيِّجُهُم وَتَمْتَدِحُ الوِطَابَا

وَتَدْعُو خَمْشَ أُمِّكَ أنْ تَرانَا نُجُوماً لا تَرُومُ لهَا طِلابَا

فلَنْ تَسطيعَ حَنظَلَتي وَسُعدَىٰ ولا عَمْرَىٰ بَلَغْتَ وَلا الرِّبَابَا

قُرُومٌ تَحمِلُ الأعْبَاءَ عَنكُمْ إذا ما الأمْرُ في الحَدَثَانِ نَابَا

هُمُ مَلَكُوا الْمُلوكَ بذاتِ كَهْفٍ وهُمْ مَنَعُوا منَ اليَمَنِ الكُلابَا

يَرَى المُتَعَيِّدُونَ عَلَيَّ دوني أُسُودَ خَفِيَّةَ الغُلْبَ الرِّقَابَا

إذا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَميمٍ حَسِبتَ النّاس كُلَّهُمُ غِضَابَا

⇐

لأنّهم يقومون مقام النّاس كلّهم. ﴿ **وقول أبي نُؤاس** ﴾:

﴿ **لَيْسَ مِنَ اللهِ بِمُسْتَنْكِرٍ**[١] **أَنْ يَجْمَعَ العالَمَ فِي وَاحِدِ** ﴾

⇐ أَلَسْنَا أكْثَرَ الثَّقَلَينِ رَجْلاً — بِبَطْنِ مِنًى، وَأعْظَمَهُ قِبَابَا

وَأجْدَرَ إنْ تَجَاسَرَ ثُمّ نَادَىٰ — بِدَعْوَىٰ يالَ خِنْدِفَ أنْ يُجَابَا

لَنَا البَطحاءُ تُفْعِمُها السَّوَاقِي — وَلَمْ يَكُ سَيْلُ أوْدِيَتِي شِعَابَا

فَما أنْتُمْ إذا عَدَلَتْ قُرُومي — شَقَائِقَها وَهافَتَتِ اللُّعَابَا

تَنحَّ، فَإنَّ بَحْرِي خِنْدِفِيٌّ — تَرَىٰ فِي مَوْجِ جِرْيَتِهِ عُبَابَا

بِمَوْجٍ كالجِبالِ، فإنْ تَرُمْهُ — تُغَرَّقْ ثُمّ يَرْمِ بِكَ الجَنَابَا

فَمَا تَلْقَىٰ مَحَلِّيَ فِي تَمِيمٍ — بِذي زَلَلٍ وَلا نَسَبي انْتِشَابَا

عَلَوْتُ عَلَيْكَ ذِرْوَةَ خِنْدِفِيٍّ — تَرَىٰ مِنْ دونِها رُتَباً صِعَابَا

لَهُ حَوضُ النَّبيِّ وساقِياهُ — وَمَنْ وَرِثَ النُّبُوَّةَ وَالكِتَابَا

وَمِنّا مَنْ يُجيزُ حَجيجَ جَمْعٍ — وَإنْ خاطَبْتَ عَزَّكُمُ خِطابَا

ستَعْلَمُ مَنْ أعَزُّ حِمىً بِنَجْدٍ — وَأعْظَمُنَا بِغَائِرَةٍ انْتِهابَا

أتَيْعَرُ يا ابْنَ بَرْوَعَ مِنْ بَعِيد — فَقَدْ أسمَعْتَ فاستَمعِ الجَوَابَا

فَلا تَجزَعْ فإنَّ بَني نُمَيرٍ — كأقْوَامٍ نَفَحْتَ لَهُمْ ذِنَابَا

شَيَاطِينُ البِلادِ يَخَفْنَ زَأْرِي — وَحَيَّةُ أرْيَحَاءَ ليَ اسْتَجَابَا

تَرَكْتُ مُجَاشِعاً وَبَني نُمَيرٍ — كَدارِ السَّوْءِ أسرَعَتِ الخَرَابَا

أَلَمْ تَرَنِي وَسَمْتُ بني نُمَيرٍ — وَزِدْتُ عَلىٰ أنُوفِهِمُ العِلابَا

إلَيْكَ إلَيْكَ عَبْدَ بَني نُمَيرٍ — وَلَمَّا تَقْتَدِحْ مِنِّي شِهَابَا

(١) **قوله: «ليس من الله بمستنكر»**. البيت من السّريع على العروض المكسوفة المطويّة مع الضّرب الثّاني المماثل، والقائل أبو نؤاس الحسن بن هانئ بن عبدالأوّل بن صُبَاح الحكمي بالوَلاء ١٤٦ ـ ١٩٨هـ من قطعة يمدح بها هارون الرّشيد ـ لعنه الله ـ:

قولا لهارونَ إمامِ الهُدَى — عند احتفال المجلس الحاشِدِ

نصيحةُ الفضل وإشفاقُهُ — أخْلَى له وجهَكَ من حاسِدِ

⇐

والأوّل يختصّ[1] بعض العالَم وهو النّاس، وهذا يَشْمَلُهُم وغيرهم.

روي أنّه **لمّا بَلَغَ** هارونَ الرّشيدَ[2] كثرةُ إفضال الفَضْل[3] البَرْمَكِيّ، وفَرْطُ إحسانه في زمانه **غارَ** عليه غَيْرَةً أفْضَتْ به إلى التّنكّر له والأمر بحَبْسِه، فكتب إليه أبو نُؤاسٍ هذه الأبيات:

قُولاَ لِهٰارُونَ إِمَامِ الهُدىٰ   عِنْدَ احْتِفَالِ الْمَجْلِسِ الحَاشِدِ

أَنْتَ عَلىٰ ما بِكَ مِنْ قُدْرَةٍ   فَلَسْتَ مِثْلَ الْفَضْلِ بِالوَاجِدِ

ليس من الله ...   ... البيت

فأمر هارون بإطلاقه.

⇐ بصادق الطّاعَةِ دَيّانِها   وواحد الغائب والشّاهِدِ

أنت على ما بك من قدرةٍ   فلستَ مثلَ الفَضْلِ بالواجِدِ

أوجده الله فما مثله   لطالبٍ ذاك ولا ناشِدِ

ليس من الله بمستنكر   أن يجمع العالم في واحِدِ

* * *

(١) وفي نسخة سنة ٩٨٧هـ «مختصّ ببعض العالم».

(٢) هو الحاكم الجائر، والفاسق الكافر، قاتل النّفس المحرّمة، والسّكّير الخمّير هارون بن المهديّ العبّاسيّ ـ لعنه الله ـ ولد سنة ١٤٨هـ وانتقل إلى جهنّم سنة ١٩٣هـ عن خمس وأربعين سنةً، وجرائمه وإراقته دماء أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ لا يسعها هذا الكتاب.

(٣) هو الفضل بن يحيى بن خالد بن مالك البرمكيّ وزير هارون ومن أعوان الظَّلَمَة وأنصارهم مات في حبسه سنة ١٩٢هـ قبل الرّشيد بخمسة أشهرٍ، وكان ولادته سنة ١٤٧هـ. قال ابن كثير في حوداث سنة ١٩٢هـ من كتاب «البداية والنّهاية»: ولمّا قتل الرّشيد البرامكة وحبسهم جلد الفضل هذا مائة سوطٍ وخلّده في الحبس حتّى مات في هذه السّنة قبل الرّشيد بخمسة أشهر في «الرَّقّة». وقال فيه بعضهم:

لك الفضل يا فضل بن يحيى بن خالدٍ   وما كلّ من يُدْعَى بفضلٍ له فَضْلُ

رأى الله فضلاً منك في النّاس واسعاً   فسمّاك فضلاً فالتقى الاسم والفعلُ

[النّوع الرّابع مقلوب المعنى]

﴿ ومنه ﴾ أي: من غير الظّاهر **﴿ القلب، وهو أن يكون معنى الثّاني نقيض معنى الأوّل كقول أبي الشِّيْصِ[١] ﴾**:

﴿ أَجِدُ الْمَلاَمَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً[٢] حُبّاً لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ ﴾

﴿ وقول أبي الطّيِّب ﴾:

﴿ أَأُحِبُّهُ ﴾ الاستفهام للإنكار[٣]، والإنكار راجع إلى القيد الّذي هو الحال،

---

(١) أصله في اللّغة: رديء التّمر، كنّي به الرَّجُل.

(٢) **قوله: «أجد الملامة في هواكِ لذيذةً»**. البيت من الكامل على العروض الأُولى مع الضّرب المماثل، والقائل أبو الشّيص محمّد بن عليّ بن عبدالله بن رزين بن سليمان بن تميم الخُزاعي ١٣٠ ـ ١٩٦هـ:

وقف الهوى بي حيثُ أنتِ فليس لي ... متأخّر عنه ولا متقدّمُ
وأهنتِني فأهنتُ نفسي جاهداً ... ما مَنْ يَهُوْنُ عليكِ ممّن يكرِمُ
أشبهت أعدائي فصرتُ أُحبّهم ... إذ كان حظّي منكِ حظّي منهم
أجد الملامة في هواكِ لذيذةً ... حبّاً لذكركِ فليَلُمْنِي اللُّوَّمُ

ونسب الأبيات بتغيير يسيرٍ إلى غيره أيضاً وإن كان متأخّراً عنه وهو ابن سهل الأندلسيّ أبو إسحاق ٦٠٥ ـ ٦٤٩هـ:

وقف الهَوَى لي حيثُ أنت فليس لي ... مـُتأخّر عنه ولا متقدّمُ
أجد الملامة في هواك لذاذةً ... حُبّاً لذكرك إن يَلُمْنِي اللُّوَّمُ
أشبهتَ أعدائي فصرتُ أُحبّهم ... إذ كان حظّي منك حظّي منهم
أَمَّنْتِنِي فأَمِنْتُ نفسي صامداً ... هل مَنْ يهون عليك ممّن يكرم

* * *

(٣) أي: الإنكار الإبطالي وهو ما يقتضي أنّ ما بعده غير واقع وأنّ مدعيه كاذب ـ كما في الرّضي و«المغني» ـ.

أعني: قوله: ﴿ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلامَةً ﴾[١] كما يقال: «أتُصَلِّي وأنتَ مُحدِثٌ».

هذا إذا جعلت الواو للحال ـ إمّا على تجويز تصدير المضارع المثبت بالواو كما

---

(١) **قوله: «أأحبّه وأُحبّ فيه ملامة»**. البيت من الكامل على العروض الأُولى مع الضّرب المماثل، والقائل المتنبّي من قصيدةٍ يمدح بها سيف الدّولة الحمداني ـ رحمه الله ـ وأمره بإجازة أبيات فقال:

ألقَلْبُ أعلَمُ يا عَذُولُ بدائِهِ	وَأحَقُّ مِنْكَ بجَفْنِهِ وبِمَائِهِ
فَوَمَنْ أُحِبُّ لأعْصِيَنَّكَ في الهَوى	قَسَماً بِهِ وَبحُسْنِهِ وَبِهَائِهِ
أأُحِبُّهُ وَأُحِبّ فيهِ مَلامَةً ؟	إنّ المَلامَةَ فيهِ من أعْدائِهِ
عَجِبَ الوُشاةُ من اللُّحاةِ وَقوْلِهِمْ	دَعْ ما نَراكَ ضَعُفْتَ عن إخفائِهِ
ما الخِلُّ إلّا مَنْ أوَدُّ بِقَلْبِهِ	وَأرَى بطَرْفٍ لا يَرَى بسَوَائِهِ
إنّ المُعِينَ عَلى الصَّبابَةِ بالأسَى	أوْلى بِرَحْمَةِ رَبّهَا وَإخائِهِ
مَهْلاً فإنّ العَذْلَ مِنْ أسْقَامِهِ	وَتَرَفُّقاً فالسّمْعُ مِنْ أعْضائِهِ
وَهَبِ المَلامَةَ في اللّذاذَةِ كالكَرَى	مَطْرُودَةً بسُهادِهِ وَبُكَائِهِ
لا تَعْذُلِ المُشْتَاقَ في أشْواقِهِ	حتّى يَكُونَ حَشاكَ في أحْشائِهِ
إنّ القَتيلَ مُضَرَّجاً بدُمُوعِهِ	مِثْلُ القَتيلِ مُضَرَّجاً بدِمائِهِ
والعِشْقُ كالمَعشُوقِ يَعذُبُ قُرْبُهُ	للمُبْتَلَى وَيَنَالُ مِنْ حَوْبَائِهِ
لَوْ قُلْتَ للدّنِفِ الحَزينِ فَدَيْتُهُ	مِمّا بِهِ لأغَرْتَهُ بِفِدائِهِ
وُقِيَ الأميرُ هَوَى العُيُونِ فإنّهُ	مَا لا يَزُولُ بِبَأسِهِ وسَخَائِهِ
يَسْتَأسِرُ البَطَلَ الكَمِيَّ بنَظْرَةٍ	وَيَحُولُ بَينَ فُؤادِهِ وَعَزائِهِ
إنّي دَعَوْتُكَ للنّوائِبِ دَعْوَةً	لم يُدْعَ سامِعُهَا إلى أكْفَائِهِ
فأتَيْتَ مِنْ فَوْقِ الزّمانِ وَتَحْتِهِ	مُتَصَلْصِلاً وَأمَامِهِ وَوَرائِهِ
مَنْ للسّيُوفِ بأنْ يكونَ سَمِيَّهَا	في أصْلِهِ وَفِرِنْدِهِ وَوَفَائِهِ
طُبِعَ الحَديدُ فكانَ مِنْ أجْناسِهِ	وَعَليٌّ المَطْبُوعُ مِنْ آبَائِهِ

هو رأي البعض[١]، أو على تقدير المبتدأ، أي: «وأنا أُحبّ» ـ.

وإذا جعلتها للعطف فالإنكار راجع إلى الجمع بين الأمرين ـ أعني: محبّته ومحبّة الملامة فيه ـ يعني: لا يكون إلّا واحد ﴿**إنَّ المَلاَمَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ**﴾ وما يكون من عدوّ الحبيب[٢] يكون مبغوضاً لا محبوباً، فهذا نقيض معنى بيت أبي الشِّيْص.

والأحسن في هذا النّوع أن يبيِّن السّبب ـ كما في هذين البيتين ـ إلّا أن يكون ظاهراً كما في قول أبي تَمّامٍ:

وَنَغْمَةُ مُعْتَفٍ جَدْوَاهُ أَحْلىٰ[٣] ... عَلىٰ أُذْنَيْهِ مِنْ نَغَمِ السَماعِ

---

(١) والمشهور على خلاف هذا القول كما قال ابن مالك:

وذات بَدْءٍ بِمُضَارعٍ ثَبَتْ ... حَوَتْ ضميراً ومن الواو خَلَتْ
وذاتَ واوٍ بعدها انوِ مُبْتَدا ... له المضارعَ اجعلنَّ مُسْنَدا

(٢) وفي نسخة: «المحبوب».

(٣) **قوله: «وَنَغْمَةُ مُعْتَفٍ جَدْوَاهُ أَحْلىٰ»**. البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب المماثل، والقائل أبو تَمّام من قصيدة يمدح بها مهدي بن أصْرَم:

خُذِي عَبَراتِ عَيْنِكِ عَنْ زَمَاعِي ... وصُونِي ما أَزَلْتِ مِنَ القِناعِ
أقِلِّي قَدْ أضَاقَ بُكاكِ ذَرْعِي ... وما ضَاقَتْ بنازِلةٍ ذِرَاعي
أَآلفةَ النَّحيبِ كم افْتِرَاقٍ ... أَظَلَّ فكانَ داعِيةَ اجْتماعِ!
ولَيْسَتْ فَرْحَةُ الأَوْبَاتِ إلَّا ... لِمَوْقُوفٍ على تَرَحِ الوداعِ
تَوَجُّعُ أَنْ رَأَتْ جِسْمِي نَحِيفاً ... كأَنَّ المَجْدَ يُدْرَكُ بالصِّرَاعِ
فَتَى النَّكَبَاتِ مَنْ يَأوِي إذا ما ... قَطَفْنَ بهِ إلى خُلُقٍ وَسَاعِ
يُثِيرُ عَجاجَةً في كُلِّ ثَغْرٍ ... يَهِيمُ بهِ عَدِيُّ بنِ الرِّقَاعِ
أَبَنَّ مَعَ السِّباعِ الماءَ حتَّى ... لَخَالَتْهُ السِّبَاعُ مِنَ السِّباعِ

⇐

⇐ فَلَبُّ الْحَزْمَ إنْ حَاوَلْتَ يَـوْماً بأَنْ تَسْـطِيعَ غـيرَ المُسْـتَطَاعِ
فـلَمْ تَـرْحَلْ كـناجِية ا لمَـهَارى ولم تُـرْكِبْ هُـمُومَكَ كـالزَّماعِ
بِـمَهْدِيِّ بـنِ أَصْـرَمَ عَـادَ عُـودي إلى إيـراقِـهِ وامـتَدَّ بَـاعِي
أَطَـالَ يَـدِي عـلى الأيَّـام حتّى جَـزَيْتُ صـرُوفَها صَـاعاً بـصَاعِ
إذَا أَكْـدَتْ سَـوَامُ الشِّـعْرِ أَضْـحَتْ عَـطَايَاه وهُـنَّ لَـها مَـرَاعِـي
رِيَـاضٌ لا يَشِـذُّ العُـرْفُ عَـنْها ولا تَـخْلُو مـنَ الهِـمَم الرِّتـاعِ
سَـعَى فـاسْتَنْزَلَ الشَّـرَفَ اقْـتساراً ولَـوْلاَ السَّعْيُ لم تَكُـنِ المسَـاعي
أَمـهْدِيّاً لَـحَيْتِ عـلى نَـوالٍ لَـقَدْ حُكْتِ المَـلامَ لِـغَير وَاعـي
أَرَدْتِ بـحَيْثُ لا تُـعصَى المـعَالي بأَن يُـعْصَى النَّـدَى وبأَنْ تُـطَاعِي
عَـميدُ الغَـوْثِ إنْ نُـوَبُ اللَّـيَالي سـطَتْ وقَـرِيعُها عـندَ القِـرَاعِ
كَـثيراً مـا تُشـوِّقُه العَـوالي وهِـمَّتُه إلى العَـلَق المُـتَاعِ
كأَنَّ بــه غَـدَاةَ الرَّوعِ وِرْداً وقَـدْ وُصِـفَتْ له نَـفْسُ الشُّـجَاعِ
لَحُسْنُ المـوتِ فـي كَـرَمٍ وتَـقْوَى أَحَبُّ إليـهِ مِـنْ حُسْـنِ الدِّفـاعِ
ونَـغْمَةُ مُـعْتَفٍ يَـرْجُوه أَحْـلى عـلى أُذْنَـيْهِ مِـنْ نَـغَمِ السَّـماعِ
جـعَلْتَ الْـجُودَ لأْلاءَ المسَـاعي وهَـلْ شَـمْسٌ تَكـون بِـلاَ شُـعَاعِ
ومـا فـي الأَرْضِ أعْـصَى لامْـتناعٍ يَسُـوقُ الذَّمَّ مِـنْ جُـودٍ مُـطَاعِ
ولم يَـحفَظْ مُـضَاعَ المَـجْدِ شـيءٌ مِـنَ الأشـياءِ كـالمَالِ المُـضَاعِ
رَعـاكَ اللهُ للـمعْرُوف إنّـي أَراكَ لِسَـرْحِ مـالك غَـيْرَ رَاعِـي
فما فـي الأرضِ مِـنْ شَـرَفٍ يَـفاعٍ سُـبِقتَ بـهِ ولا خُـلُقٍ يَـفاعِ
لَـعَزْمُكَ مِـثْلُ عَـزْم السَّـيْلِ شُـدَّتْ قُـوَاهُ بـالمذَانِبِ والتِّـلاعِ
ورأْيُكَ مـثْلُ رَأْيِ السَّـيْفِ صَـحَّتْ مَشُـورَةُ حَـدِّهِ عِـنْدَ المِـصَاعِ
فـلو صَـوَّرْتَ نَـفْسَكَ لم تَـزِدْها عـلى مـا فـيكَ مِـن كَـرَمِ الطِّـباعِ

والبيت الشّاهد يختلف عمّا في الدّيوان كما تراه في كثير من المواضع من هذا الكتاب.

وقول أبي الطّيّب:

وَالْجِرَاحَاتُ عِنْدَهُ نَغَمَاتٌ[1] سَبَقَتْ[2] قَبْلَ سَيْبِهِ بِسُؤَالِ

---

(١) قوله: «والجراحات عنده نغمات». البيت من الخفيف على العروض الأُولى مع الضّرب المماثل، والقائل المتنبّي من قصيدة يمدح بها عبدالرحمن بن المبارك الأنطاكي:

صِلَةُ الهَجْرِ لي وهَجرُ الوِصالِ نَكَساني في السُّقم نُكسَ الهِلالِ
فَغَدا الجِسْمُ ناقِصاً والذي يَنْـ ـقُصُ مِنْهُ يَزيدُ في بَلْبَالي
قِفْ على الدِّمْنَتَينِ بِالدَّوِّ من رَيْـ ـيَا كَخالٍ في وجنةٍ جنبَ خالِ
بِطُلُولٍ كأنّهُنّ نُجُومٌ في عِراصٍ كأنّهُنّ لَيَالِ
ونُؤِيٍّ كأنّهُنّ عَلَيْهِنْـ ـنَ خِدامٌ خُرْسٌ بسُوقٍ خِدالِ
لا تَلُمْني فإنّني أعْشَقُ العُشْـ ـشَاقِ فيها يا أعْذَلَ العُذّالِ
ما تُريدُ النّوَى منَ الحَيّةِ الذوْ واقِ حَرَّ الفَلا وبَرْدَ الظّلالِ
فهوَ أمضَى في الرّوْعِ من مَلَكِ الموْ تِ وأسرَى في ظُلمةٍ من خيالِ
ولحَتْفٍ في العِزّ يَدْنُو مُحِبٌّ ولعُمْرٍ يَطُولُ في الذّلّ قالِ
نحنُ رَكْبٌ مِلْجِنٍّ في زيّ ناسٍ فوْقَ طَيرٍ لها شخوصُ الجِمالِ
من بَناتِ الجَديلِ تَمشي بنا في الـ ـبيدِ مَشْيَ الأيّامِ في الآجالِ
كُلُّ هَوْجاءَ للدّياميمِ فيها أثَرُ النّارِ في سَليطِ الذُّبَالِ
عامِداتٍ للبَذْرِ والبَحْرِ والضِّرْ غامَةِ ابنِ المُبارَكِ المِفْضالِ
مَنْ يَزُرْهُ يَزُرْ سُلَيمانَ في المُلْـ ـكِ جَلالاً ويُوسُفاً في الجَمَالِ
ورَبيعاً يُضاحِكُ الغَيثُ فيهِ زَهَرَ الشّكْرِ من رِياضِ المَعالي
نَفَحَتْنَا منهُ الصَّبَا بنَسيمٍ رَدّ روحاً في مَيّتِ الآمَالِ
هَمُّ عَبدِالرَّحمٰنِ نَفْعُ المَوالي وبَوارُ الأعْداءِ والأمْوالِ
أكبرُ العَيبِ عندَهُ البُخلُ والطّعْـ ـنُ عَلَيْهِ التّشْبيهُ بالرِّئْبَالِ
والجِراحاتُ عِندَهُ نِعَمَاتٌ سُبِقَتْ قَبلَ سَيْبِهِ بِسُؤالِ
ذا السّراجُ المُنِيرُ هذا النّقيُّ الـ ـجَيْبِ هذا بَقِيّةُ الأبْدالِ

⇐

أراد أبو تمّام أنّ الممدوح يستلذّ نَغَمات السّائلين؛ لما فيه من غاية الكرم ونهاية الجود، وأراد أبو الطّيّب أنّه إن سبقت نَغْمَةٌ من سائلٍ عطاءَ الممدوحِ بلغ ذلك منه مبلغ الجِراحة من المجروح؛ لأنّ عادته أن يعطي بغير سؤال.

⇐ فَخُذا ماءَ رِجْلِهِ وانْضِحا في الـ ـمُدْنِ تأمَنْ بَوائِقَ الزِّلْزالِ
وامْسَحا ثَوْبَهُ البَقيرَ على دا ئِكُما تُشْفَيا مِنَ الإعْلالِ
مالِئاً مِنْ نَوالِهِ الشَّرْقَ والغَرْ بَ ومن خَوْفِهِ قُلوبَ الرّجالِ
قابِضاً كَفَّهُ اليَمينَ على الدّنْـ ـيَا ولَوْ شاءَ حازَها بالشّمالِ
نَفْسُهُ جَيْشُهُ وتَدْبيرُهُ النّصْـ ـرُ وألحاظُهُ الظُّبَى والعَوالي
ولَهُ في جَماجِمِ المالِ ضَرْبٌ وَقْعُهُ في جَماجِمِ الأبْطالِ
فَهُمُ لاتّقائِهِ الدّهْرَ في يَوْ مِ نِزالٍ ولَيسَ يَوْمُ نِزالِ
رَجُلٌ طِينُهُ مِنَ العَنبَرِ الوَرْ دِ وطينُ العِبادِ مِنْ صَلْصَالِ
فَبَقِيّاتُ طِينِهِ لاقَتِ المَا ءَ فَصارَتْ عُذوبَةً في الزُّلالِ
وبَقايا وقارِهِ عافَتِ النّا سَ فصارَتْ رَكانَةً في الجِبالِ
لَستُ مِمّن يَغُرّهُ حُبُّكَ السِّلْـ ـمَ وأنْ لا تَرَى شُهودَ القِتالِ
ذاكَ شيءٌ كَفاكَهُ عَيشُ شانيـ ـكَ ذَليلاً وقِلّةُ الأشْكالِ
واغْتِفارٌ لَوْ غَيَّرَ السُّخطُ مِنْهُ جُعِلَتْ هامُهُمْ نِعالَ النّعالِ
لجِيادٍ يَدْخُلْنَ في الحَرْبِ أعرا ءً ويخرُجنَ مِن دَمٍ في جِلالِ
واسْتَعارَ الحَديدُ لَوْناً وألْقَى لَوْنَهُ في ذَوائِبِ الأطْفالِ
أنتَ طَوراً أمَرُّ مِنْ ناقِعِ السَّمْ مِ وطَوْراً أحْلى مِنَ السّلْسالِ
إنّما النّاسُ حيثُ أنْتَ وما النّاس سُ بناسٍ في مَوْضِعٍ منكَ خالِ

وأنت ترى أنّ رواية الدّيوان: «نِعَمَات» جمع «نِعْمَة» ـ بالنّون والعين المهملة والميم ـ وهي غير رواية المصنّف والشّارح.

(٢) هي عند الشّارح بصيغة المعلوم ـ كما يظهر من تفسيره ـ والمراد أنّ الممدوح شجاع كريم وأنّه لا يتألّم بجِراحات السّيوف لصبره وجلادته، وإنّما الجراحات المؤلمة عنده سماع أصوات السّائلين، لكونه غفل عنهم، فأحوجهم إلى سؤاله، وقرئ بصيغة المجهول.

[النّوع الخامس]

﴿ **ومنه** ﴾ أي: من غير الظّاهر ﴿**أن يؤخذ بعض المعنى ويضاف إليه ما يحسّنه كقول الأَفْوَهِ** ﴾:

﴿ **فَتَرَى الطَّيْرَ عَلىٰ آثارِنا**[١] * **رَأْيَ عَيْنٍ** ﴾ أي: عِياناً ﴿ **ثِقَةً** ﴾ حال، أي: واثقةً ـعلى أنّ المصدر أُقيم مقام الصّفة ـ أو مفعول له من الفعل الّذي يتضمّنه قوله: «على آثارنا» أي: «كائِنَةً على آثارنا» لوثوقها واعتمادها ﴿**أَنْ** ﴾ مخفّفة من المثقّلة ﴿ **سَتُمَار** ﴾ أي: ستطعم من لحوم مَنْ يقتلهم من القتلى.

﴿ **وقول أبي تَمَّامٍ** ﴾:

﴿ **وَقَدْ ظُلِّلَتْ** ﴾ أي: أُلقيت عليها الظّلّ ﴿ **عِقْبانُ أَعْلامِه ضُحىً**[٢] * **بِعِقْبانِ طَيْرٍ**

---

(١) **قوله: فترى الطّير على آثارنا»**. البيت من الرّمل على العروض المحذوفة الأُولى مع الضّرب المقصور ـ فاعلان ـ والقائل الأَفْوَهُ الأوديّ ـ كما نصّ عليه أبو بكر الصّولي في «أخبار أبي تمّام» ـ من قصيدةٍ أوّلها:

يا بني هَاجَرَ ساءَتْ خطّةٌ ‏ ‏ ‏ أن تَرُوْمُوْا النِّصْفَ منّا وَمَحارْ

قال:

فَتَرى الطَّير على آثارنا ‏ ‏ ‏ رأي عينٍ ثِقَةً أن سَتُمَارْ

* * *

(٢) **قوله: «وقد ظلّلت عقبانُ أعلامه ضُحىً»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المشابه، والقائل أبو تَمَّام من قصيدة يمدح بها المعتصم والأفشين:

غَدَا المُلْكُ مَعْمُورَ الْحَرَا والمَنازلِ ‏ ‏ ‏ مُنَوَّرَ وَحْفِ الرَّوْضِ عَذْبَ المَناهِلِ

بمُعْتَصِمٍ باللّهِ أَصْبَحَ مَلْجَأً ‏ ‏ ‏ ومُعْتَصَماً حِرْزاً لِكُلِّ مُوائِلِ

لقَدْ أَلْبَسَ اللهُ الإمامَ فَضائِلاً ‏ ‏ ‏ وتَابَعَ فيها باللُّهى والفَواضِلِ

فأَضحَتْ عَطاياهُ نَوازِعَ شُرَّداً ‏ ‏ ‏ تُسَائِلُ في الآفاقِ عَنْ كُلِّ سائِلِ

⇐

⇐ مَواهِبُ جُدْنَ الأَرْضَ حتّى كأنّما أخَذْنَ بآدابِ السَّحابِ الهَواطِلِ
إذا كان فَخْراً لِلمُمَدَّحِ وَصْفُهُ بِيَوْمِ عِقَابٍ أَوْ نَدًى مِنْهُ هَامِلِ
فَكَمْ لَحْظَةٍ أَهْدَيْتَها لابن نَكْبَةٍ فأصبَحَ منها ذَا عِقَابٍ ونائِلِ
شَهِدْتُ أَميرَالمؤمنينَ شَهَادَةً كَثيرٌ ذَوُو تَصْدِيقها في المحافلِ
لَقد لَبِسَ الأَفْشينُ قَسْطَلَةَ الوَغَى مُحِشّاً بنَصْلِ السَّيْفِ غَيْرَ مُواكِلِ
وسَارَتْ بِهِ بَينَ القَنابِلِ والقَنا عَزائِمُ كانَتْ كالقَنَا والقَنابِلِ
وجَرَّدَ مِنْ آرائِهِ حينَ أُضْرِمَتْ بهِ الْحَرْبُ حدّاً مِثْلَ حَدِّ المَناصِلِ
رأى بابَكٌ مِنْه الَّتي لا شَوَى لها فَتُرْجَى سِوَى نَزْعِ الشَّوَى والمَفَاصِلِ
تَسَرَاه إلى الهَيْجاء أوَّلَ رَاكِبٍ وتحتَ صَبيرِ المَوْتِ أَوَّلَ نَازِلِ
تَسَرْبَلَ سِرْبالاً مِنَ الصَّبْرِ وارتَدَى عليه بِعَضْبٍ في الكَريهةِ قَاصِلِ
وقَدْ ظُلِّلَتْ عِقْبَانُ أعلامِهِ ضُحىً بِعِقْبان طَيْرٍ في الدِّماءِ نَواهِلِ
أقَامَتْ مع الرَّاياتِ حتَّى كأنَّها مِنَ الجيْشِ إلَّا أنَّها لَمْ تُقَاتِلِ
فَلمَّا رَآهُ الخُرَّمِيُّونَ والقَنا بِوَبْلِ أعَالِيهِ مُغيثَ الأَسَافِلِ
رأَوْا منه لَيْثاً فابْذَعَرَّتْ حُمَاتُهُمْ وقَدْ حَكَمَتْ فيهِ حُماةُ العَوامِلِ
عَشِيَّةَ صَدَّ البَابَكِيُّ عَنِ القَنَا صُدُودَ المُقَالِي لا صُدُودَ المُجَامِلِ
تَحَدَّرَ مِنْ لِهْبَيْهِ يَرْجُو غَنِيمَةً بسَاحَةِ لا الوَانِي ولا المُتَخَاذِلِ
فكَانَ كشَاةِ الرَّمْلِ قَيَّضَهُ الرَّدَى لِقَانِصِهِ مِنْ قَبْلِ نَصْبِ الْحَبَائِلِ
وفي سَنَةٍ قَدْ أنفدَ الدَّهْرُ عُظْمَها فلمْ يُرْجَ مِنْها مُفْرَجٌ دُونَ قَابِلِ
فكانَتْ كَنابِ شَارِفِ السِّنِّ طَرَّقَتْ بسَقْبٍ وكانَتْ في مَخِيلَةِ حَائِلِ
وعَاذَ بِأَطْرَافِ المَعَاقِلِ مُعْصِماً وأُنْسِيَ أَنَّ اللهَ فوقَ المَعَاقِلِ
فَوَلَّى وما أَبقَى الرَّدَى مِنْ حُماتِهِ له غَيْرَ أسآرِ الرِّمَاحِ الذَّوابِلِ
أَمَا وأبِيهِ وهْوَ مَنْ لا أَبَا لَهُ يُعَدُّ لقَدْ أَمْسَى مُضيءَ المَقَاتِلِ
فُتُوحُ أميرِالمُؤْمِنينَ تَفَتَّحَتْ لَهُنَّ أزاهيرُ الرُّبَا والخَمَائِلِ
⇐

في الدِّماءِ نَواهِلِ ﴾ من «نَهِلَ» ـ إذا رَوِيَ ـ نقيض عَطِشَ **﴿ أَقَامَتْ ﴾** أي: عِقْبَان الطّير **﴿ مَعَ الرَّايَاتِ ﴾** أي: الأعلام؛ اعتماداً على أنّها ستطعم لحوم قَتْلَاه **﴿ حَتّى كأنّها * من الجَيْشِ إلاّ أنّها لم تُقاتِلِ ﴾** يعني: أنّ رايات الممدوح الّتي هي كالعِقْبان قد صارَتْ مُظَلَّلَةً بالعِقْبان من الطُّيور النّواهل في دماء القَتْلَىٰ، لأنّه إذا خرج لِلغَزْوِ تساير العِقْبان فوق راياته، لأكل لحوم القَتْلَى، فتلقي ظِلالها عليها.

﴿ فإنّ أبا تمّام لَمْ يُلِمَّ بشيء من معنى قول الأفوه: «رَأيَ عَيْنٍ» و ﴾ من معنى **﴿ قوله: «ثِقَةً أنْ سَتُمَار» ﴾** يعني: أنّ أبا تَمَّامٍ إنّما أخذ بعض معنى بيت الأفوه، لا كلّه؛ لأنّ الأفوه أفاد بقوله: «رأي عين» قُرْبَ الطّير من الجيش؛ لأنّها إذا بَعُدَت كانت متخيّلةً لا مرئيّةً رأيَ عينٍ، وقُرْبُها إنّما يكون لأجل توقّع الفريسة، وهذا يؤكّد المعنى المقصود ـ أعني: وصفهم بالشَّجَاعة والاقتدار على قتل الأعادي ـ. ثمّ قال: «ثقة أنْ ستمار»، فجعل الطّيرَ واثقةً بالمِيْرَة[1]؛ لاعتيادها بذلك، وهذا أيضاً يؤكّد المقصود.

وأمّا أبو تَمَّامٍ فلم يُلِمَّ بشيء ممّا أفاده قوله: «رأيَ عينٍ» وقوله: «ثِقَةً أن سَتُمَار».

لا يقال: إنّ قول أبي تَمَّامٍ: «ظُلِّلَتْ» إلمام بمعنى قوله: «رأيَ عينٍ» لأنّ وقوع الظِّلّ على الرّايات يُشْعِر بقربها من الجيش.

⇒ وعَادَاتُ نَصْرٍ لَمْ تَـزَلْ تَسْتَعيدُها ... عِصَابَةُ حَقٍّ في عِصَابَةِ بَاطِلِ

ومـا هُـوَ إلَّا الوحْـيُ أَوْ حَـدُّ مُـرْهَفٍ ... تُـمِيلُ ظُـباهُ أَخـدَعَيْ كُـلِّ مَـائِلِ

فـهَذا دَواءُ الدَّاءِ مِـنْ كُـلِّ عَـالِمٍ ... وهَـذا دَواءُ الدَّاءِ مِـنْ كُـلِّ جَـاهِلِ

فـيأيُّهَا النُّـوَّامُ عَـن رَيِّـقِ الهُـدَىٰ ... وقَـدْ جَـادَكُـمْ مِـنْ دِيْـمَةٍ بَـعْدَ وَابِـلِ

هُـوَ الْـحَقُّ إنْ تسْـتَيْقِظُوا فـيهِ تَـغْنَمُوا ... وإنْ تَـغْفُلُوا فـالسَّيْفُ لَـيْسَ بـغافِلِ

(١) بكسر الميم: الطَّعَام.

لأنّا نقول: هذا ممنوع؛ إذ قد يقع ظِلُّ الطّير على الرّاية وهي في جَوِّ السَّمَاء ـ بحيث لا يُرَى أصلاً ـ.

﴿ **لكن زاد** ﴾ أبو تَمَّامٍ ﴿ **عليه** ﴾ أي: على الأفوه زياداتٍ محسّنةً لبعض المعنى الّذي أخذه من الأفوه، وهو تَسَايُرُ الطّير على آثارهم ﴿ **بقوله: «إلّا أنّها لم تقاتل» وبقوله: «في الدِّماء نواهل» وبإقامتها مع الرّايات حتّى كانّها من الجيش، وبها** ﴾ أي: وبإقامتها مع الرّايات حتّى كأنّها من الجيش ﴿ **يَتِمُّ حُسْنُ الأوّل** ﴾ أعني: قوله: «إلّا أنّها لم تقاتل» لأنّه لو قيل: «ظُلِّلَتْ عِقْبان الرَّايَاتِ بِعِقْبانِ الطّير إلّا أنّها لم تقاتل» لَمْ يَحْسُنْ هذا الاستثناء المنقطع ذلك الحُسْن؛ لأنّ إقامَتَها مع الرّايات ـ حتّى أنّها من الجيش ـ مَظِنَّةُ أنّها أيضاً تقاتل مثل الجيش، فيحسُنُ الاستدراك ـ الّذي هودفع التّوهّم النّاشئ من الكلام السّابق ـ بخلاف وقوع ظلّها على الرّايات.

ويحتمل أن يكون معنى قوله: «وبها يَتِمُّ حُسْنُ الأوّل»: أنّ بهذه الزِّيادات يَتِمُّ حُسْنُ معنى البيت الأوّل ـ أعني: «تساير الطّيور على آثارهم» وما ذكرناه أوّلاً هو الموافق لما في «الإيضاح»[1] وعليه التّعويل. ﴿ **وأكثر هذه الأنواع** ﴾ المذكورة لغير الظّاهر ﴿ **ونحوها مقبولة** ﴾.

[النّوع السّادس]

﴿ **ومنها** ﴾ أي: من هذه الأنواع ﴿ **ما يخرجه حسن التصرّف من قبيل الاتّباع إلى حَيِّزِ الابتداع، وكلّ ماكان** ﴾ أي: كلّ نوع من هذه الأنواع يكون ﴿ **أشدّ خَفَاءً** ﴾ بحيث لا يُعْرَف أنّ الثّاني مأخوذ من الأوّل إلّا بعد إعمال رويّة ومزيد تأمّل ﴿ **كان أقرب إلى القُبُول** ﴾ لكونه أبعدَ عن الأخذ والسَّرِقة، وأدخلَ في الابتداع والتصرّف.

---

(١) الإيضاح: ٥٨٩.

[توارد الخاطر]

﴿ **هذا** ﴾ الّذي ذكر في الظّاهر وغيره من ادّعاء سبق أحدهما واتّباع الثّاني وكونه مقبولاً أو مردوداً وتسمية كلّ بالأسامي المذكورة وغير ذلك ممّا سبق ﴿ **كلّه** ﴾ إنّما يكون ﴿ **إذا علم أنّ الثّاني أُخِذ من الأوّل** ﴾ بأن يُعْلَمَ أنّه كان يَحْفَظُ قول الأوّل حين نَظَمَ، أو بأن يُخْبِرَ هو عن نفسه أنّه أخذه منه ﴿ **وإلّا فلا** ﴾ يُحْكَمُ بسبق أحدهما واتّباع الآخر، ولا يترتّب عليه الأحكام المذكورة ﴿ **لجواز أن يكون الاتّفاق** ﴾ أي: اتّفاق القائلين في اللّفظ والمعنى جميعاً، أو في المعنى وحده ﴿ **من قبيل «توارد الخاطر» ـ أي: مجيئه على سبيل الاتّفاق من غير قصد إلى الأخذ ـ** ﴾ كما يُحْكَى عن ابن ميّادة[1] أنّه أنشد لنفسه:

مُفِيدٌ وَمِتْلافٌ إِذَا مَا أَتَـيْتَهُ[2]   تَهَلَّلَ وَاهْـتَزَّ اهْـتِزَازَ المُـهَنَّدِ

---

(١) هو الرّماح بن أبرد بن ثوبان بن سُراقة المرّي المعروف بابن ميّادة وهي أمه وهو شاعر مُجيد من مخضرمي الدّولتين الأمويّة والعبّاسيّة. توفّي سنة ١٤٩ هـ في أيّام المنصور الدّوانيقي ـ لعنه الله ـ.

(٢) **قوله: «مفيد ومتلاف إذا ما أتيته»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المقبوض والقائل الشَّمَّاخُ الذُّبياني بن ضِرار بن حرملة بن سنان المازني المتوفّى سنة ٢٢هـ من قطعة يقول فيها:

تزورُ امرءاً يعطي على المَرْءِ ماله   ومَنْ يُعْطِ أثمان المحامِدِ يُحَمَدِ
وأنت امرؤ من تُعْطِهِ اليوم نائلاً   بكفّك لا يمنعك من نائل الغد
ترى الجُوْدَ لا يُدْنِي من المرء حَتْفَهُ   كما البُخْلُ والإمساك ليس بِمُخْلِدِ
مفيدٌ ومِتْلاَفٌ إذا ما سألته   تهلّلَ واهتزّ اهتزاز المُهَنَّدِ
متى تأته تعشو إلى ضوء ناره   تجد خير نارٍ عندها خير مُوْقِدِ

* * *

فقيل له: أين يُذْهَبُ بك ـ هذا للحُطَيئة[1] ـ؟ فقال: الآن عَلِمْتُ أنّي شاعرٌ؛ إذْ وافقتُهُ على قوله ولَمْ أسمَعْهُ.

وكما يُحْكَى أنّ سليمان[2] بن عبدالملك أُتِيَ بأُسارىٰ من الرّوم وكان الفَرَزْدَق حاضراً، فأمره سليمان بِضَرْبِ عُنُق واحدٍ منهم، فاستعفى، فما أُعفي، وقد أُشير إلى سيفٍ، غير صالحٍ للضّرب، ليستعمله، فقال الفَرَزْدَق: بَلْ أَضْرِبُ

* بسَيْفِ أبي رَغْوانَ سَيْفِ مُجَاشِعِ[3] *

---

(١) جرول بن أوس وهو القائل في الوليد بن عقبة ـ أخي عثمان لأمّه ـ كان والياً على الكوفة فشرِب الخمر وصلّى الصّبح بالنّاس وهو سَكْران:

شَهِدَ الحطيئةُ يومَ يَلْقَى رَبَّهُ ... أنّ الوليدَ أَحَقُّ بِالغَدْرِ
نَادَى، وقد كَمُلَتْ صَلَاتُهُم ... أأَزِيْدُكُم ثَمِلاً وما يَدْرِي
لِيَزِيْدَهُمُ خيراً ولَوْ قَبِلُوْا ... لَقَرَنْتَ بين الشَّفْعِ والوِتْرِ
فأَبَوْا ـ أَبَا وَهْبٍ ـ ولو فَعَلُوْا ... زادَتْ صَلَاتُهُم على العَشْرِ
كَفُّوا عِنانَكَ إذْ جَرَيْتَ ولَوْ ... خَلَّوْا عِنانَك لم تَزل تَجْرِي

(٢) الوَزَغ ابن الوَزَغ، والقِرْد ابن القِرْد، والخنزير ابن الخنزير، سليمان بن عبد الملك الأموي ـ لعنهم الله جميعاً ـ. ولد سنة ٦٠ هـ وتغلّب على الحكم سنة ٩٦ هـ وانتقل إلى جهنّم سنة ٩٩ هـ والنّواصب يرونه من خِيارهم، وهذا الملعون كان سادس ملوك الأمويين وثالث المروانيين ـ لعنهم الله جميعاً ـ.

(٣) **قوله: «بسيف أبي رغوان سيف مجاشع»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المشابه والقائل جرير من قصيدةٍ طويلة يجيب بها الفرزدق ـ رحمه الله ـ وهي:

أَلَا حَيِّ رَبْعَ الْمَنْزِلِ الْمُتَقَادِمِ ... وَمَا حَلَّ مُذْ حَلَّتْ بِهِ أُمُّ سَالِمِ
تَمِيمِيَّةٌ حَلَّتْ بِحَوْمَانَتَيْ قَسَىٰ ... حِمَى الخَيْلِ ذَادَتْ عن قَسًى فالصَّرَائِمِ
أَبَيْتِ، فَلا تَقْضِينَ دَيْناً وَطَالَمَا ... بَخِلْتِ بِحَاجَاتِ الصَّدِيقِ الْمُكَارِمِ
بِنَا كَالجَوَىٰ مِمَّا يُخَافُ وَقَدْ نَرَىٰ ... شِفَاءَ القُلُوبِ الصَّادِياتِ الحَوَائِمِ

⇐

⇐ أعَاذِلَ هِيجِيني لِبَيْنٍ مُصَادِمِ ... غَداً أوْ ذَرِيني مِنْ عِتابِ الْمُلاوِمِ

أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّمَا قَادَني الهَوَىٰ ... إلَيْكِ وَمَا عَهْدٌ لَكُنَّ بِدَائِمِ

ألا رُبَّمَا هَاجَ التَّذَكُّرُ وَالهَوَىٰ ... بِتَلْعَةَ إرْشَاشَ الدُّمُوعِ السَّوَاجِمِ

عَفَتْ قَرْقَرَىٰ وَالوَشْمُ حتّىٰ تَنَكَّرَتْ ... أَوَارِيُّهَا وَالخَيْلُ مِيلُ الدَّعَائِمِ

وَأقْفَرَ وَادي ثَرْمَدَاءَ وَرُبَّمَا ... تَدَانَىٰ بِذي بَهْدَىٰ حُلُولُ الأصَارِمِ

لَقَدْ وَلَدَتْ أُمُّ الفَرَزْدَقِ فَاجِراً ... وَجَاءَتْ بِوَزْوَازٍ قَصِيرِ القَوَائِمِ

وَمَا كَانَ جَارٌ لِلْفَرَزْدَقِ مُسْلِمٌ ... لِيَأْمَنَ قِرْداً، لَيْلُهُ غَيرُ نَائِمِ

يُوَصِّلُ حَبْلَيْهِ إذا جَنَّ لَيْلُهُ ... لِيَرْقَىٰ إلىٰ جَارَاتِهِ بِالسَّلالِمِ

أتَيْتَ حُدودَ اللهِ مُذْ أَنْتَ يَافِعٌ ... وَشِبْتَ فَمَا يَنْهَاكَ شَيْبُ اللَّهَازِمِ

تَتَبَّعُ في الْمَاخُورِ كُلَّ مُرِيبَةٍ ... وَلَسْتَ بِأهْلِ الْمُحصَنَاتِ الكَرَائِمِ

رَأيْتُكَ لا تُوفي بِجَارٍ أَجَرْتَهُ ... وَلا مُسْتَعِفّاً عَنْ لِئَامِ الْمَطَاعِمِ

هُوَ الرِّجْسُ يا أهلَ الْمَدِينَةِ فَاحْذَرُوا ... مَدَاخِلَ رِجْسٍ بِالخَبِيثَاتِ عَالِمِ

لَقَدْ كانَ إخْرَاجُ الفَرَزْدَقِ عَنْكُمُ ... طَهُوراً لِمَا بَيْنَ الْمُصَلَّىٰ وَوَاقِمِ

تَدَلَّيْتَ تَزْني مِنْ ثَمانِينَ قَامَةً ... وَقَصَّرْتَ عَنْ باعِ العُلىٰ وَالْمَكَارِمِ

أتَمْدَحُ يا ابْنَ القَينِ سَعْداً وَقَدْ جَرَتْ ... لِجِعْثِنَ فِيهِمْ طَيْرُهَا بِالأَشَائِمِ

وَتَمدَحُ يا ابنَ القَينِ سَعْداً وَقَدْ تَرىٰ ... أَدِيمَكَ مِنها وَاهِياً، غَيرَ سَالِمِ

وَإنَّكَ يا ابنَ القَينِ لَسْتَ بِنَافِخٍ ... بِكِيرِكَ، إلَّا قَاعِداً غَيْرَ قَائِمِ

فَما وَجَدَ الجِيرَانُ حَبْلَ مُجَاشِعٍ ... وَفِيّاً وَلا ذا مِرَّةٍ في العَزَائِمِ

وَلامَتْ قُرَيْشٌ في الزُّبَيْرِ مُجَاشِعاً ... وَلَمْ يَعْذِرُوا مَنْ كانَ أَهلَ الْمَلاوِمِ

وَقَالَتْ قُرَيْشٌ لَيْتَ جَارَ مُجَاشِعٍ ... دَعَا شَبَثاً أوْ كانَ جارَ ابنِ خازِمِ

وَلَوْ حَبْلَ تَيْمِيٍّ تَنَاوَلَ جَارُكُمْ ... لَمَا كانَ عَاراً ذِكْرُهُ في الْمَوَاسِمِ

فَغَيْرُكَ أدّىٰ لِلْخَلِيفَةِ عَهْدَهُ ... وَغَيرُكَ جَلَّىٰ عَنْ وُجُوهِ الأَهَاتِمِ

فَإنَّ وَكِيعاً حِينَ خَارَتْ مُجاشِعٌ ... كَفَىٰ شَعْبَ صَدْعِ الفِتْنَةِ الْمُتَفَاقِمِ

⇐

⇐ لَقَدْ كُنتَ فيها يا فَرَزْدَقُ تابِعاً ... وَرِيشُ الذُّنَابَىٰ تَابِعٌ لِلْقَوَادِمِ

نُدافِعُ عَنكُمْ كُلَّ يَوْمِ عَظِيمَةٍ ... وَأَنْتَ قُرَاحِيٌّ بِسَيْفِ الكَوَاظِمِ

أَباهلَ! ما أَحْبَبْتُ قَتْلَ ابْنِ مُسْلِمٍ ... وَلا أَنْ تَرُوعُوا قَوْمَكُمْ بِالْمَظَالِمِ

أَباهِلَ! قد أُوفِيتُمُ مِنْ دِمائِكُمْ ... إذا ما قَتَلْتُمْ رَهطَ قَيْسِ بنِ عاصِمِ

تُحَضِّضُ يا ابنَ القَيْنِ قَيْساً لِيَجْعَلُوا ... لِقَوْمِكَ يَوْماً مِثْلَ يَوْمِ الأَرَاقِمِ

إذا رَكِبَتْ قَيْسٌ خُيُولاً مُغِيرَةً ... على القَيْنِ يَقْرَعْ سِنَّ خَزْيَانَ نَادِمِ

وَقَبْلَكَ ما أَخْزَى الأُخَيْطِلُ قَوْمَهُ ... وَأَسْلَمَهُمْ لِلْمَأْزِقِ الْمُتَلاَحِمِ

رُوَيْدَكُمُ مَسْحَ الصَّلِيبِ إذا دَنَا ... هِلاَلُ الجِزَىٰ وَاسْتَعْجِلوا بالدَّرَاهِمِ

وَما زَالَ في قَيْسٍ فَوَارِسُ مَصْدَقٍ ... حُمَاةٌ وَحَمَّالُونَ ثِقْلَ الْمَغَارِمِ

وَقَيسٌ هُمُ الفَضْلُ الذي نَسْتعِدُّهُ ... لِفَضْلِ الْمَسَاعِي وَابْتِنَاءِ الْمَكَارِمِ

إذا حَدِبَتْ قَيْسٌ عَلَيَّ وَخِنْدِفٌ ... أَخَذْتُ بِفَضْلِ الأَكْثَرِينَ الأَكَارِمِ

أنا ابْنُ فُرُوعِ المَجْدِ قَيْسٍ وَخِندِفٍ ... بَنَوْا لِيَ عَادِيّاً رَفِيعَ الدَّعَائِمِ

فَإِنْ شِئْتَ مِن قَيْسٍ ذُرَىٰ مُتَمنِّعٍ ... وَإِنْ شِئْتَ طَوْداً خِنْدِفِيَّ الْمَخَارِمِ

أَلَمْ تَرَنِي أُرْدِي بِأَرْكَانِ خِنْدِفٍ ... وَأَرْكَانِ قَيْسٍ نِعْمَ كَهْفُ الْمُرَاجِمِ

وَقَيْسٌ هُمُ الكَهْفُ الذي نَستَعِدُّهُ ... لِدَفْعِ الأَعَادِي أَوْ لِحَمْلِ العَظائِمِ

بَنُو المَجْدِ قَيْسٌ وَالعَوَاتِكُ مِنْهُمُ ... وَلَدْنَ بُحُوراً لِلْبُحُورِ الخَضَارِمِ

لَقَدْ حَدِبَتْ قَيْسٌ وَأَفْنَاءُ خِنْدِفٍ ... عَلَىٰ مُرْهِبٍ حامٍ ذِمَارَ الْمَحَارِمِ

فَما زَادَنِي بُعْدُ الْمَدَىٰ نَقْضَ مِرَّةٍ ... وَلا رَقَّ عَظْمِي لِلضُّرُوسِ العَوَاجِمِ

تَرَانِي إذا ما النَّاسُ عَدُّوا قَدِيمَهُمْ ... وَفَضْلَ المساعي مُسْفِراً غيرَ وَاجِمِ

بِأَيَّامِ قَوْمِي مَا لِقَوْمِكَ مِثْلُهَا ... بِهَا سَهَّلُوا عَنِّي خَبَارَ الجَرَاثِمِ

إذا أَلْجَمَتْ قَيْسٌ عَناجِيجَ كَالْقَنا ... مَجَجْنَ دَماً مِنْ طُولِ عَلْكِ الشَّكَائِمِ

سَبَوْا نِسْوَةَ النُّعْمانِ وَابنَيْ مُحَرِّقٍ ... وَعِمْرَانَ قَادُوا عَنْوَةً بِالخَزَائِمِ

وَهمْ أنزلوا الجَوْنَينِ في حَوْمةِ الوَغَىٰ ... وَلَمْ يَمْنَعِ الجَوْنَيْنِ عَقْدُ التَّمائِمِ

⇐

⇐ كأنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيطاً وَحَاجِباً ... وَعَمرَو بنَ عَمْرٍو إذ دَعَوْا يا لَدَارِمِ
وَلَمْ تَشهدِ الجَونَيْنِ وَالشِّعْبَ ذَا الصَّفَا ... وشَدَّاتِ قَيْسٍ يَوْمَ دَيْرِ الجَماجِمِ
أَكَلَّفْتَ قَيْساً أَنْ نَبَا سَيْفُ غَالِبٍ ... وَشَاعَتْ لهُ أُحْدُوثَةٌ فِي الْمَوَاسِمِ
بسَيفِ أبي رَغْوَانَ سَيفِ مُجَاشِعٍ ... ضَرَبْتَ وَلَمْ تَضْرِبْ بسَيْفِ ابنِ ظالمِ
ضَرَبْتَ بهِ عِنْدَ الإمامِ فَأُرْعِشَتْ ... يَدَاكَ وَقالوا مُحدَثٌ غَيْرُ صَارِمِ
ضَرَبْتَ بهِ عُرْقُوبَ نَابٍ بِصَوْأَرٍ ... وَلا تَضْرِبُونَ البِيضَ تَحْتَ الغَمَاغِمِ
عَنِيفٌ بِهَزِّ السَّيْفِ قَيْنُ مُجَاشِعٍ ... رَفِيقٌ بأَخْرَاتِ الفُؤوسِ الكَرَازِمِ
سَتُخْبَرُ يا ابْنَ القَيْنِ أَنَّ رِمَاحَنَا ... أبَاحَتْ لَنَا ما بَيْنَ فَلْجٍ وَعَائِمِ
ألا رُبَّ قَوْمٍ قَدْ وَفَدْنَا عَلَيْهِمُ ... بِصُمِّ القَنَا، وَالْمُقْرَبَاتِ الصَّلادِمِ
لَقَدْ حَظِيَتْ يَوْماً سُلَيْمٌ وَعامِرٌ ... وَعَبْسٌ بتَجْرِيدِ السُّيوفِ الصَّوَارِمِ
وَعَبْسٌ وَهُمْ يَوْمَ الفَرُوقَيْنِ طَرَّفُوا ... بِأَسْيَافِهِمْ قُدمُوسَ رَأسِ صُلادِمِ
وَإِنِّي وَقَيْساً، يا ابْنَ قَينِ مُجاشع ... كَرِيمٌ أُصَفِّي مِدْحَتي لِلأَكَارِمِ
إذا عُدَّتِ الأَيَّامُ أَخْزَيْتَ دَارِماً ... وَتُخزِيكَ، يا ابْنَ القَيْنِ، أَيَّامُ دارِمِ
أَلَمْ تُعْطِ غَصْباً ذا الرُّقَيْبَةِ حُكْمَهُ ... وَمُنْيَةَ قَيْسٍ في نَصِيبِ الزَّهَادِمِ
وأنْتُمْ فَرَرْتُمْ عَن ضِرَارٍ وَعَثْجَلٍ ... وَأُسْلِمَ مَسْعُودٌ غَدَاةَ الحَنَاتِمِ
وَفي أيِّ يَوْمٍ فَاضِحٍ لَمْ تُقَرَّنُوا ... أُسَارَى كَتَقْرِينِ البِكَارِ الْمَقاحِمِ
وَيَوْمَ الصَّفا كُنتُمْ عَبِيداً لِعَامِرٍ ... وَبالحَزْنِ أَصْبَحتمْ عَبِيدَ اللَّهَازِمِ
وَلَيْلَةِ وَادِي رَحْرَحَانَ رَفَعْتُمُ ... فِرَاراً وَلَمْ تَلْوُوا زَفِيفَ النَّعَائِمِ
تَرَكْتُمْ أبا القَعقاعِ في الغُلِّ مَعْبَداً ... وَأَيَّ أخٍ لَمْ تُسْلِمُوا لِلأَدَاهِمِ
تَرَكْتُمْ مَزَاداً عِنْدَ عَوْفٍ يَقُودُهُ ... بِرُمَّةِ مَخْذُولٍ على الدَّيْنِ غَارِمِ
إذا نَزَلُوا نَجْداً سَمِعْتُم مَلامَةً ... بِجَمْعٍ مِنَ الأَعْيَاصِ أوْ آلِ هاشِمِ
أحاديثُ رُكْبانِ الْمَحَجَّةِ كُلَّمَا ... تَأَوَّهْنَ خُوصاً دامِياتِ الْمَنَاسِمِ
وَجَارَتْ عَلَيْكُمْ في الحُكومَةِ مِنقَرٌ ... كما جَارَ عَوْفٌ في قَتِيلِ الصَّمَاصِمِ

⇐

يعني: سيفه، وكأنّه قال: لا يستعمل ذلك السّيف إلّا ظالم وابن ظالم، ثمّ ضرب بسيفه الرّوميّ، واتّفق أن نَبَا السّيفُ، فَضَحِكَ سليمانُ ومَنْ حوله، فقال الفَرَزْدَق:

أَيَعْجَبُ النَّاسُ أَنْ أَضْحَكْتُ سَيِّدَهُمْ[1] خَـــلِيفَةَ اللهِ يُسْـــتَسْقَىٰ بِـهِ المَـطَرُ

لَـمْ يَـنْبُ سَيْفِيَ مِـنْ رُعْبٍ وَلاَ دَهَشٍ عَـنِ الأَسِيرِ وَلٰكِـن أُخِّـرَ القَـدَرُ

وَلَـــنْ يُـقَدِّمَ نَـفْساً قَـبْلَ مِـيْتَتِها جَـمْعُ الْـيَدَيْنِ وَلاَ الصَّـمْصَامَةُ الذَّكَـرُ

ثمّ أغمد سيفه وهو يقول:

مَا إِنْ يُعَابُ سَيِّدٌ إِذَا صَبَا[2] وَلاَ يُـعَابُ صَـارِمٌ إِذَا نَـبا

وَلاَ يُعَابُ شَاعِرٌ إِذَا كَبَا

⇐ وَأخْزَاكُمُ عَـوْفٌ كَـما قَـد خَـزِيتُمُ وَأَدْرَكَ عَـــمَّارٌ تِـــرَاتِ البَـــرَاجِـمِ

لَـقدْ ذُقتَ مِـنّي طَـعْمَ حَـرْبٍ مَـريرَةٍ وَمَـــا أَنْتَ إِنْ جـارَيْتَ قَـيساً بِسَـالِمِ

قُـفَيْرَةُ مِـنْ قِـنٍّ لِسَـلْمَىٰ بـنِ جَـنْدَلٍ أبـــوُكَ ابْـنُهَا بَـينَ الإمَـاءِ الخَـوَادِمِ

سَـيُخْبَرُ مَـا أَبْـلَتْ سُـيُوفُ مُـجاشِعٍ ذَوِي الحـاجِ وَالْـمُسْتَعْمَلاتِ الرَّوَاسِـمِ

(١) **قوله: «أيعجب النّاس أن أضحكت سيّدهم»**. البيت من البسيط على العروض المخبونة مع الضّرب المماثل والقائل الفرزدق من قطعةٍ يقول فيها:

أيعجبُ النّاسُ أن أضحكتُ سيّدَهُم خـــليفة الله يُسْـتَسْقَى بـه المَـطَرُ

وما نـبا السَّـيْفُ مـن جُـبْنٍ ولا دَهَشٍ عـــند الإمـــام ولكـــن أُخِّـرَ القَـدَرُ

ولو ضـــربتُ عـــلى عَـمْدٍ مُـقَلَّدةٍ لَـــخَرَّ جُـثْمَانَهُ مـا فـوقه شَـعَرُ

إذا تَـــدَهْدَأَ عـــنه حـين أَضْـرِبُهُ كما تَدَهْدَى عـن الزُّحـلُوفة الحَـجَرُ

ما يُـعْجِلُ السَّـيْفُ نَـفساً قبل مِـيْتَتِها جمعُ اليـدين ولا الصّـمصامة الذَّكَـرُ

* * *

(٢) **قوله: «ما إن يعاب سيّد إذا صبا»**. المصراع من الرّجز المشطور، والقائل الفرزدق ـ كما في «المفتاح» للسكّاكي و«المعاهد» للعبّاسي و«التّنبيه» لابن البديع ـ.

ثمّ جلس يقول: كأنّي بابن المَرَاغة[١] ـ يعني: جريراً ـ قد هَجَاني فقال:

بِسَيْفِ أَبِي رَغْـوَانَ سَـيْفِ مُـجَاشِعٍ ... ضَرَبْتَ ولم تضْرِب بسَيْفِ ابْنِ ظَالِمِ

وقام وانصرف، وحضر جرير فخُبِّرَ الخبر ولم يُنْشَدِ الشّعر، فأنشأ يقول:

بِسَيْفِ أَبِي رَغْـوَانَ سَـيْفِ مُـجَاشِعٍ ... ضَرَبْتَ ولم تضْرِب بسَيْفِ ابْنِ ظَالِمِ

فَأَعْجَبَ سُلَيْمَانَ ما شاهد، ثمّ قال جرير: يا أميرالمؤمنين[٢]، كأنّي بابن القَيْن ـ يعني: الفَرَزْدَق ـ قد أجابني فقال:

وَلاَ نَقْتُلُ الأَسْرىٰ وَلٰكِنْ نَفُكُّهُمْ[٣] ... إِذَا أَثْقَلَ الأَعْنَاقَ حَـمْلُ المَـغَارِمِ

---

(١) تعريض لِأُمِّهِ بكونها زانيةً يتمرّغ في بطنها الرّجال، كما يتمرّغ الحمار في التّراب والرّماد.

(٢) هو أمير الكافرين، وأمّا أمير المؤمنين فلَقَبٌ لَقَّبَ به رسولُ الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ أميرالمؤمنين عليّاً ـ عليه السّلام ـ كما نصّ عليه من العمريين أبو نعيم الإصبهاني في «حلية الأولياء» ولا يجوز تلقيب غيره به عند أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ إلّا في مقام التّقيّة.

(٣) **قوله: «ولا نقتل الأسرى ولكن نفكّهم»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المماثل، والقائل الفرزدق من قصيدة طويلة يهجو بها جريراً ويعرض بالبعيث:

[و] وَدَّ جَـرِيرُ اللّـؤمِ لَـوْ كَـانَ عَـانِياً ... وَلَـمْ يَـدنُ مِـنْ زَأْرِ الأسـودِ الضّـراغِـمِ

فَـإنْ كُـنتُما قَـدْ هِـجتُماني عَـلَيكُمَا ... فَـلَا تَـجْزَعَا وَاسْـتَسمِعا للمُـرَاجِـمِ

لِـمِرْدَى حُـرُوبٍ مِـنْ لَـدُنْ شَـدَّ أَزْرَهُ ... مُحامٍ عن الأحسابِ صَعبِ المَـظَالِمِ

غَـمُوسٍ إلى الغـاياتِ يُـلْفَى عَـزِيمُهُ ... إذا سَـئِمَتْ أقْـرانُـهُ، غَـيرَ سَـائِمِ

تَسُـورُ بِـهِ عِـنْدَ المَكَـارِمِ دارِمٌ ... إلى غَـايَةِ المُسْـتَصْعَباتِ الشّـداقِـمِ

رَأتْـنَا مَـعَدٌّ، يَـوْمَ شَـالَتْ قُـرُومُها ... قِـياماً عَـلى أقْـتَارِ إحْـدَى العَـظَائِمِ

رَأَوْنَـا أحَـقَّ ابْـنيْ نِـزَارٍ وَغَـيْرِهِمْ ... بِـإصْلاحِ صَـدْعٍ بَـيْنَهُمْ مُـتَفاقِمِ

حَـقَنّا دِمَـاءَ المُسلِمينَ، فأصْبَحَتْ ... لَـنَا نِـعْمَةٌ يُـثْنى بِـهَا فـي المَـوَاسِـمِ

عَشِـيّةَ أعْـطَتْنَا عُـمَان أُمُـورَهَا ... وَقُـدْنَا مَـعَدّاً عَـنْوَةً بِـالخَزَائِـمِ

وَمِـنّا الّـذي أعْـطَى يَـدَيْهِ رَهِـينَةً ... لغـارَيْ مَـعَدٍّ يَـوْمَ ضَـرْبِ الجَمَاجِمِ

⇐

⇐ كَفَى كُلَّ أُمٍّ ما تَخافُ على ابْنِها ... وَهُنَّ قِيَامٌ رَافِعاتُ المَعَاصِمِ
عَشِيّةَ سَالَ المِرْبَدانِ كِلاهُمَا ... عَجاجَةَ مَوْتٍ بالسُّيُوفِ الصَّوارِمِ
هُنَالِكَ لَوْ تَبغي كُلَيباً وَجَدْتَهَا ... بِمَنْزِلَةِ القِرْدانِ تَحْتَ المَناسِمِ
وَمَا تَجعَلُ الظِّرْبَى القِصارَ أُنُوفُها ... إلى الطَّمِّ من مَوْجِ البحارِ الخِضَارِمِ
لِهَامِيمُ، لا يَسْتَطِيعُ أحمالَ مثلِهِمْ ... أُنُوحٌ وَلاَ جاذٍ قَصِيرُ القَوَائِمِ
يَقُولُ كِرَامُ النّاسِ إذْ جَدَّ جَدُّنا ... وَبَيّنَ عَنْ أحْسَابِنَا كُلُّ عَالِمِ
عَلَامَ تَعَنّى يا جَرِيرُ، وَلَمْ تَجِدْ ... كُلَيْباً لَهَا عَادِيَّةٌ في المَكَارِمِ
وَلَسْتَ وَإنْ فَقَّأتَ عَيْنيكَ واجداً ... أباً لَكَ، إذْ عُدَّ المَساعي، كدارِمِ
هوَ الشّيخُ وَابنُ الشّيخِ لا شَيخَ مثلَه ... أبُو كُلِّ ذِي بَيْتٍ رَفِيعِ الدَّعَائِمِ
تَعَنّى مِنَ المَرّوتِ يَرْجفو أرُومَتي ... جَرِيرٌ عَلى أُمّ الجِحاشِ التَّوائِمِ
وَنِحْياكَ بالمَرّوتِ أهوَنُ ضَيْعَةً ... وَجَحشاكَ من ذي المأزِقِ المُتَلاحِمِ
فَلَوْ كُنتَ ذا عَقْلٍ تَبَيَّنْتَ أنّما ... تَصُولُ بأيْدِي الأعجَزِينَ الألائِمِ
نَماني بَنُو سَعْدِ بنِ ضَبّةَ فانتَسِبْ ... إلى مِثْلِهِمْ أخوالِ هاجٍ مُراجِمِ
وَضَبّةُ أخْوَالِي هُمُ الهَامَةُ الّتي ... بِهَا مُضَرٌ دَمّاغَةٌ للجَمَاجِمِ
وَهَلْ مِثْلُنا يا ابنَ المَراغَةِ إذْ دَعَا ... إلى البَأسِ داعٍ أوْ عِظامِ المَلاحِمِ
فَمَا مِنْ مَعَدّيٍّ كِفَاءٌ تَعُدُّهُ ... لَنا غَيرَ بَيْتَيْ عَبدِ شَمسٍ وَهَاشِمِ
وَمَالَكَ مِنْ دَلْوٍ تُوَاضِخُني بِهَا ... وَلاَ مُعْلِمٍ حَامٍ عَنِ الحيِّ صَارِمِ
وَعِنْدَ رَسُولِ اللهِ قَامَ ابنُ حابسٍ ... بِخُطّةِ سَوّارٍ إلى المَجْدِ حَازِمِ
لَهُ أطْلَقَ الأسْرَى الّتي في حِبَالِهِ ... مُغَلَّلَةً أعْنَاقُهَا في الأداهِمِ
كَفَى أمّهَاتِ الخائِفِينَ عَلَيْهِمُ ... غَلاءَ المُفَادِي أوْ سِهَامَ المُسَاهِمِ
فَإنّكَ وَالقَوْمَ الّذِينَ ذَكَرْتَهُمْ ... رَبِيعَةَ أهْلَ المُقْرَباتِ الصَّلادِمِ
بَناتُ ابنِ حَلّابٍ يَرُحْنَ عَلَيْهِمُ ... إلى أجَمِ الغابِ الطِّوالِ الغَواشِمِ
فَلا وَأبِيكَ الكَلْبِ مَا مِنْ مَخافَةٍ ... إلى الشّأمِ، أدّوْا خالِداً لَمْ يُسالِمِ

⇐

ثمّ أُخبر الفرزدق بالهجو دون ما عداه، فقال مجيباً:

كَذَاكَ سُيُوفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاتُهَا ... وَتَـقْطَعُ أَحْـياناً مَـنَاطَ التَّـمَائِمِ

وَلاَ نَقْتُلُ الأَسْرىٰ وَلٰكِنْ نَفُكُّهُمْ ... إِذَا أَثْقَلَ الأَعْنَاقَ حَمْلُ المَغَارِمِ

وَهَلْ ضَرْبَةُ الرُّومِيِّ جَاعِلَةٌ لَكُمْ ... أَباً عَنْ كُلَيْبٍ أَوْ أَخـاً مِـثْلَ دَارِمِ

﴿ **فإذا لم يعلم** ﴾ أنّ الثّاني أخذ من الأوّل ﴿ **قيل: قال فلان كذا، وقد سبقه إليه فلان، فقال: كذا** ﴾ لِيُغْتَنَمَ بذلك فضيلةُ الصِّدْقِ، ويُسْلَمَ من دعوى العلم بالغيب، ومن نسبة الغير إلى النّقص.

[ما يتّصل بالسَّرِقات]

﴿ **وممّا يتّصل بهذا** ﴾ أي: بالقول في السَّرِقات الشّعريّة ﴿ **القول في الاقتباس، والتّضمين، والعقد، والحلّ، والتّلميح** ﴾ بتقديم اللّام على الميم، من «لَمَحَه» - إذا أبْصَرَه - ووجه اتّصال القول فيها بالقول في السَّرِقات الشّعريّة أنّ في كلّ منهما[1] أَخْذَ شَيْءٍ من الآخر.

⇐ وَلَكِنْ ثَـوَى فـيهِمْ عَـزِيزاً مكَـانُهُ ... عَـلى أنْـفِ رَاضٍ مـن مَـعَدٍّ وَرَاغِـمِ

وَمَـا سَـيَّرَتْ جَـاراً لهَـا مـن مَـخافَةٍ ... إذا حَـلَّ مـن بَكْـرٍ رُؤوسَ الغَـلاصِمِ

بأيِّ رِشَـاءٍ، يـا جَـرِيرُ، وَمَـاتِحٍ ... تَـدَلَّيْتَ فـي حَـوْماتِ تِـلْكَ القَـماقِمِ

وَمَـالَكَ بَـيْتُ الزِّبْـرِقَانِ وظِـلُّهُ ... وَمَـالَكَ بَـيْتٌ عِـندَ قَـيسِ بـنِ عـاصِمِ

وَلَكِـنْ بَـدا للـذُّلِّ رَأسُكَ قَـاعِداً ... بِـقَرْقَرَةٍ بَـينَ الجِـداءِ التَّـوَائِـمِ

تَـلُوذُ بأحـقَيْ نَـهشَلٍ مـن مُـجاشِعٍ ... عِـيَاذَ ذلِـيلٍ عَـارِفٍ للـمَظَالِمِ

وَلاَ نَـقتُلُ الأسـرَى وَلكـنْ نَـفُكُّهُمْ ... إذا أثْـقَلَ الأعـناقَ حَـمْلُ المَـغارِمِ

فَـهَلْ ضَـرْبَةُ الرّومـيّ جـاعِلَةٌ لكـمْ ... أبـاً عَـنْ كُـلَيْبٍ أوْ أبـاً مِـثلَ دارِمِ

فَـإنَكَ كَـلْبٌ مِـنْ كُـلَيْبٍ لكَـلْبَةٍ ... غَـذَتْكَ كُـلَيْبٌ فـي خَـبيثِ المَطاعِمِ

(١) أي: من السَّرِقات وما يتّصل بها.

[الاقتباس]

﴿**أمّا الاقتباس فهو أن يُضَمَّنَ الكلامُ**﴾ نثراً كان أو نظماً ﴿**شيئاً من القرآن، أو الحديث، لا على أنّه منه**﴾ أي: لا على طريقة أنّ ذلك الشّيء من القرآن أو الحديث، يعني: على وجه لا يكون فيه إشعار بأنّه من القرآن أو الحديث، وهذا احتراز عمّا يقال ـ في أثناء الكلام ـ: قال الله ـ تعالى ـ أو قال النّبيّ ـ صلّى الله عليه [وآله] ـ كذا، وفي الحديث كذا، ونحو ذلك.

[أقسامه]

ومثّل في الكتاب بأربعة أمثلة؛ لأنّ الاقتباس إمّا من القرآن أو من الحديث، وعلى التّقديرين فالكلام إمّا منثور، أو منظوم.

فالأوّل: ﴿**كقول الحريريّ: «فَلَمْ يَكُنْ إلّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ أَقْرَبَ**[1]**، حَتّىٰ أَنْشَدَ**

---

(١) **قوله: «فلم يكن كلمح البصر أو أقرب»**. هذا كلامه في المقامة الحُلوانيّة وهي المقامة الثّانية قال: فابتدر * أحدُ من حَضَر * وقال: أعرِفُ بيتاً لم يُنْسَج على مِنْواله * ولا سمحَتْ قريحة بمثاله * فإن آثرتَ اختلاب القلوب * فانظِمْ على هذا الأُسلوب * وأنشد:

فأمطرَتْ لُؤلُؤاً من نرجسٍ وسَقَتْ ... وَرْداً وعَضَّتْ على العُنّابِ بالبَرَدِ

فلم يكن إلّا كلمح البصر أو أقرب * حتّى أنشد وأغرب:

سألتُها حين زارت نَضْوَ بُرْقَعِهَا الـ ... ـقاني وإيداع سمعي أطيب الخَبَرِ

فزحزحَتْ شَفَقاً غَشّى سَنَا قَمَرٍ ... وساقطَتْ لُؤلُؤاً من خاتمٍ عَطِرِ

فحار الحاضرون لبداهته * واعترفوا بنزاهته * فلمّا آنَسَ استئناسهم بكلامه * وانصبابهم إلى شِعْبِ إكرامه * أطرق كطرفة العين * ثمّ قال: ودونكم بيتين آخرين:

وأقبلَتْ يوم جَدَّ البينُ في حُلَلٍ ... سُودٍ تَعَضُّ بنان النّادمِ الحَصِرِ

فلاحَ ليلٌ على صُبْحٍ أَقَلَّهُمَا ... غُصْنٌ وضَرَّسَتِ البِلَّوْرَ بالدُّرَرِ

⇐

وَأغْرَبَ» ﴾.

﴿ و ﴾ الثّاني: ﴿ مثل قول الآخر: «إنْ كُنْتِ أَزْمَعْتِ ﴾ أي: عزمت ﴿ عَلىٰ هَجْرِنا[1] * مِنْ غَيْرِ مَا جُرْمٍ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾.

﴿ وإنْ تَبَدَّلْتِ بِنَا غَيْرَنَا   فَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلْ» ﴾

﴿ و ﴾ الثّالث: ﴿ مثل قول الحريريّ: «قُلْنَا شَاهَتِ الْوُجُوهُ[2]، وَقَبُحَ اللُّكَعُ وَمَنْ يَرْجُوهُ» ﴾ فإنّ قوله: «شَاهَتِ الوُجُوه» لفظ الحديث على ما روي أنّه لمّا اشتدّت

⇐ فحينئذٍ استسنى القومُ قيمته * واستغزروا ديمته * وأجملوا عشرته * وجَمَّلوا قِشْرَتَه اهمحلّ الحاجة.

(١) **قوله: «إن كنت أزمعت على هجرنا»**. البيت من السّريع على العروض الأُولى المكسوفة المطويّة مع الضّرب الأوّل المطويّ الموقوف ـ فاعلان ـ والقائل: أبوالقاسم بن الحسن الكاتِبيّ ـ كما في «أنوار الرَّبيع» و«المعاهد» ـ.

(٢) **قوله: «قلنا شاهت الوجوه»**. هذا الكلام أنشأه الحريريّ في المقامة العمّانيّة وهي التّاسعة والثلاثون قال: فتمادى اعتياصُ المسير * حتّى نَفِدَ الزّاد غير اليسير * فقال لي أبو زيد: إنّه لن يُحْرَزَ جَنَى العُوْد بالقُعود * فهل لك في استثارة السُّعُود بالصّعود * فقلت له: إنّي لأَتْبَعُ لك من ظلّك * وأطوَعُ من نعلك * فنهدنا إلى الجزيرة * على ضُعْفٍ من المريرة * لِنَرْكُضَ في امتراء المِيْرَة * وكِلانا لا يملِكُ فَتيلا * ولا يهتدي فيهما سبيلا * فأقبلنا نجوسُ خِلالها * ونتفيّأ ظِلالها * حتّى أفضينا إلى قصر مشيد * له باب من حديد * ودونه زمرةٌ من عبيد * فناسَمْنَاهُم لنتّخذهم سُلَّماً إلى الارتقاء * وأرشيةً للاستقاء * فألفينا كُلّاً منهم كئيباً حسيراً * حتّى خِلْنَاهُ كسيراً أو أسيراً * فقلنا أيّتها الغِلْمَةَ * ما هذي الغُمّة * فلم يجيبوا النّداء * ولا فَاهُوا ببيضاء ولا سوداء * فلمّا رأينا نارَهُم نار الحَبَاحِب * وخُبْرَهم كسراب السَّباسِب * قلنا: شاهتِ الوجوه * وقَبُحَ اللُكَع ومَنْ يرجوه * فابتدر خادم قد علته كِبْرَة * وعَرَتْه عَبْرَة *

وقال: يا قوم، لا تُوسِعُونا سبّاً * ولا توجِعُوْنا عَتْباً * فإنّا لفي حُزْنٍ شامل * وشُغْلٍ عن الحديث شاغل اه.

الحربُ يَوْمَ حُنَيْنٍ أخذ النّبيّ ـ صلّى الله عليه [وآله] ـ كَفّاً من الحَصْباء[1] فرمى بها وجوه المشركين وقال: «شاهت الوجوه» أي: قَبُحَتْ ـ بالضّمّ ـ من «القُبْح» نقيض «الحسن» وقول الحريريّ: «قبح اللّكع» أي: لُعِنَ اللّئيم، وقيل: أُبْعِدَ، من «قَبَحَهُ اللهُ» ـ بفتح العين ـ أي: أبْعَدَهُ عن الخير.

﴿و﴾ **الرّابع**: ﴿**مثل قول ابن عَبَّادٍ**: «**قَالَ**﴾ الحبيب ﴿**لي: إنّ رَقيبي**[2] * **سَيِّءُ الخُلْقِ فَدارِه**﴾ من «المداراة» وهي المجاملة والملاطفة، وضمير المفعول للرّقيب ﴿«**قلت: دَعْني وَجْهُك الجَنْـ * ـنَةُ حُفَّتْ بِالمَكَارِه**»﴾ اقتباساً من قوله ـ صلّى الله عليه [وآله] ـ: «حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمَكَاره، وحُفَّتِ النّارُ بالشَّهَوات»، يقال: «حَفَفْتُهُ بكذا» أي: جعلتُهُ محفوفاً مُحَاطاً، يعني: أنّ وجهك جنّة فلابدّ لي من تحمّل مكاره الرّقيب كما لابدّ لطالب الجنّة من تحمّل مشاقّ التّكاليف.

[تقسيم آخر]

﴿**وهو**﴾ أي: الاقتباس ﴿**ضربان**﴾:

﴿**أحدهما: ما لَمْ يُنْقَلْ فيه المُقْتَبَسُ عن معناه الأصلي ـ كما تقدّم**﴾ من الأمثلة الأربعة ـ.

﴿**والثّاني: خلافه**﴾ أي: نقل فيه المُقْتَبَسُ عن معناه الأصلي ﴿**كقوله**﴾ أي: قول ابن الرّوميّ:

---

(١) وفي نسخة سنة ٨٤٩هـ: «من الحَصَى».

(٢) **قوله**: «**قال لي إنّ رقيبي**». البيت من مجزوء الرّمل المدوّر والقائل الصّاحب بن عبّاد الوزير الشيعيّ المعروف ـ كما في «الإعجاز والإيجاز» للثعالبي ـ. والصّورة هكذا:

قال لي: إنّ رقيبي ... سَيِّءُ الخُلْقِ فدارِهْ
قلت: دَعْني وجهك الجَنْـ ... ـنَةُ حُفَّتْ بالمكارِهْ

* * *

﴿لَئِنْ أَخْـطَأْتُ فِـي مَـدْحِيْـ ـكَ مَا أَخْطَأْتَ فِي مَنْعِي﴾[١]
﴿لَـقَدْ أَنْـزَلْتُ حَـاجَاتِي بِـوَادٍ غَـيْرِ ذِي زَرْعِ﴾

فقوله: «بواد غير ذي زرع» مقتبس من قوله ـ تعالى ـ حِكايةً عن إبراهيم ـ عليه السّلام ـ: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾[٢] لكن معناه في القرآن: وادٍ لا ماءَ فيه ولا نَبَاتَ، وقد نقله ابن الرّوميّ عن هذا المعنى إلى جَنَابٍ[٣] لا خيرَ فيه ولا نفعَ.

ومن لطف هذا الضّرب قول بعضهم في صبيح الوجه دخل الحَمَّام فحَلَقَ رأسه:

تَجَرَّدَ لِلْحَمَّامِ عَنْ قِشْرِ لُؤلُؤٍ[٤] وَأُلْبِسَ مِنْ ثَوْبِ الْمَلَاحَةِ مَلْبُوسا
وَقَدْ جَـرَّدَ المُوسىٰ لِتَزْيِين رَأْسِهِ فَقُلْتُ: لَقَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسىٰ

---

(١) **قوله: «لئن أخطأتُ في مَدْحِيْـ ـكَ ما أخطأت في منعي»**. البيت من مدوّر الهزج والقائل أبو الحسن عليّ بن العبّاس الرّومي ٢٢١ ـ ٢٨٣هـ وتمامه ضمن أبياتٍ:

أَلَا قُـلْ للّـذي لم يـهـ ـدِهِ اللهُ إلى نَـفْعي
لئن أخطَأْتُ في مَدْحِيْـ ـكَ ما أخطأتَ في مَنْعِي
لسـاني فيك محتاج إلى التَّخْلِيْعِ والقَطْعِ
وأنيابي وأضراسي إلى التكسير والقَلْعِ
لقد أنزلت حاجاتي بوادٍ غير ذي زَرْعِ

(٢) إبراهيم: ٣٧.

(٣) «الجَنَابُ» ـ بفتح الجيم ـ الفِناء، وما قَرُبَ من مَحَلَّةِ القومِ.

(٤) **قوله: «تجرّد للحمّام عن قشر لؤلؤ»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب التّامّ، والقائل عبدالرّحيم بن عليّ بن إسحاق، سبط القاضي جمال الدّين القرشيّ المتوفّى سنة ٦٢٥هـ بدمشق في السّابع من المحرّم ـ كما نصّ عليه صاحب «النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة» في السّنة العاشرة من سلطنة الملك الكامل محمّد بن العادل أبي بكر بن أيّوب على مصر وهي سنة خمس وعشرين وستّمائة ـ.

﴿ **ولا بأس بتغيير يسير** ﴾ في اللّفظ المُقْتَبَسِ ﴿ **للوزن أو غيره** ﴾ كالتّقفية ﴿ **كقوله** ﴾ أي: قول بعض المَغَاربة عند وفاة بعض أصحابه: ﴿ **قَدْكَانَ** ﴾ أي: وقع ﴿ **مَا خِفْتُ أَنْ يُكُونَا**(١) * **إِنَّا إِلَى اللهِ رَاجِعُونَا** ﴾ وفي القرآن: ﴿ **إِنَّـا لِلَّهِ وَإِنَّـا إِلَـيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾(٢).

[التّضمين]

﴿ **وأمّا التّضمين فهو أن يُضمَّن الشّعر شيئاً من شعر الغير** ﴾ بيتاً كان، أو ما فوقه، أو مِصْراعاً، أو ما دونه ﴿ **مع التّنبيه عليه** ﴾ أي: على أنّه من شعر الغير ﴿ **إن لم يكن**

---

(١) **قوله: «قدكان ما خفت أن يكونا»**. البيت من مخلّع البسيط والوزن: «مستفعلن، فاعلن، فعولن»، والقائل أبو الفوارس أحمد بن كتيلة العلويّ الحسينيّ في ابن عمّ له.

قال غَرْسُ النِّعْمَة في «الهفوات النّادرة»: وحدّثني أبو الفوارس أحمد بن كتيلة العلويّ الحسينيّ قال: مَرِضَ ابن عمّ لي عليّ بن ناصر بن زيد بن كتيلة فجئت أعوده، فلقيتُ ولده، فسألته الوصول فقال: إنّه قد أُغْمِيَ عليه، وقعدنا جميعاً على دَكَّةٍ في دهليز داره فأنشدت على سهوٍ منّي:

إنّـــا إلى الله راجـــعونا ... كان الّذي خفتُ أن يكونا
أضحى المُرَجّى أبو علـيّ ... مُوَسَّداً فـي الثَّـرَى دفـينا
لمّا انتهى واستوى شـباباً ... وحـقّق الرّأي والظُّـنونا
دافـعتُ إلّا المـنونَ عـنه ... والمـرءُ لا يـدفَعُ المـنونا

ثمّ استرجعتُ فرأيتُ انّني قد غَلِطْتُ في إنشادي الأبيات، فقلتُ لابنه معتذراً إليه: واللهِ ما أنشدتُ الأبيات إلّا على سهوٍ منّي، فقال لي: هو أوكد، وخرجتُ من عنده ووصلت داري، ولم ألبث حتّى سَمِعْتُ ناعية ثمّ خرجت مع ولده وجماعة من النّاس خلف جِنَازته، فقال لي ولده: والله إنّني منذ أُنشِدْتُ الأبيات أيِسْتُ منه.

وغَرْسُ النّعمة هو أبوالحسن محمّد بن هلال بن المحسّن بن إبراهيم الصّابئ المتوفّى سنة ٤٨٠هـله كتاب «الهفوات النّادرة».

(٢) البقرة: ١٥٦.

ذلك مشهوراً عند البلغاء﴾ وإن كان مشهوراً فلا احتياج إلى التّنبيه.

وبهذا يتميّز عن الأخذ والسّرقة.

ولو قال ـ مكان قوله: «من شعر الغير» ـ: «من شعر آخر» لكان أحسن؛ ليتناول ما إذا ضمّن الشّاعر شعره شيئاً من قصيدته الأُخرى، لكنّه لم يلتفت إليه لِنُدْرَتِهِ في أشعار العَرَب.

أمّا تضمين البيت مع التّنبيه على أنّه من شعر الغير فكقول عبدالقاهر بن الطّاهر التّميميّ:

إِذَا ضَاقَ صَدْرِي وَخِفْتُ العِدىٰ[1] تَمَثَّلْتُ بَيْتاً بِحَالِي يَلِيقُ

فَبِاللَّهِ أَبْلُغُ مَا أَرْتَجِي وَبِاللَّهِ أَدْفَعُ مَا لاَ أُطِيقُ

وبدون التّنبيه كقول بعضهم:

كَانَتْ بُلَهْنِيَةُ الشَّبِيبَةِ سَكْرَةً[2] فَصَحَوْتُ وَاسْتَبْدَلْتُ سِيرَةَ مُجْمِلِ[3]

وَقَعَدْتُ أَنْتَظِرُ الفِنَاءَ كَرَاكِبٍ عَرَفَ المَحَلَّ فَبَاتَ دُونَ[4] الْمَنْزِلِ

---

(١) **قوله: «إذا ضاق صدري وخِفْتُ العِدَى»**. البيت من المتقارب، والقائل عبدالقاهر بن طاهر التّميمي ـ كما نصّ عليه المصنّف في «الإيضاح».

(٢) **قوله: «كانت بلهنية الشبيبة سكرة»**. البيت من الكامل على العروض الأُولى مع الضرب المشابه، والقائل ـ كما نصّ عليه المصنّف في «الإيضاح» ـ ابن التّلميذ الطّبيب النّصرانيّ أمين الدّولة أبو الحسن هبة الله بن صاعد المتوفّى سنة ٥٦٠ هـ، والبيت الثّاني لمسلم بن الوليد الأنصاري بالوَلاء أبو الوليد المعروف بصريع الغواني المتوفّى سنة ٢٠٨هـ «وبيته هكذا:

وقعدت أرتقب الفِناءَ كراكبٍ عرف المحلّ فبات دون المنزل

* * *

(٣) معتدل غير مُفْرِطٍ ولا مُفَرِّطٍ.

(٤) أي: قريباً منه.

البيت الثّاني لمُسْلِم بن الوليد الأنصاري.

وممّا نبّه فيه على أنّه من شعر الغير مع كونه مشهوراً لا حاجة إليه قول ابن العميد:

كَأَنَّهُ كَانَ مَطْوِيّاً عَلَىٰ إِحَنٍ[1] وَلَمْ يَكُنْ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ أَنْشَدَنِي
إِنَّ الكِرامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ فِي المَنْزِلِ الْخَشِنِ

---

(١) **قوله: «كأنّه كان مطويّاً على إحَنٍ»**. البيت من البسيط على العروض المخبونة مع الضَّرب المشابه والقائل الصّاحب إسماعيل بن عَبّاد بن العبّاس أبوالقاسم الوزير الشيعيّ ٣٢٦ ـ ٣٨٥هـ وهو من قطعةٍ يقول فيها:

أشكو إليك زماناً ظلّ يعركني عَرْكَ الأديمِ ومن يعدِي على الزَّمَنِ
وصاحباً كنتُ مغبوطاً بصحبته دهراً فغادَرَني فرداً بلا سَكَنِ
هَبَّتْ له ريح إقبالٍ فطار بها إلى السُّرورِ وألجاني إلى الحَزَنِ
نأى بجانبه عنّي وصيّرني مع الأَسَى ودواعي الشّوق في قَرَنِ
وباع صفوَ ودادٍ كنت أقصره عليه، مجتهداً في السّرّ والعَلَنِ
وكان غالى به حيناً وأرخصه يا من رأى صفو ودٍّ بِيْعَ بالثَّمَنِ
كأنّه كان مطويّاً على إحَنٍ ولم يكن من قديم الدّهر أنشدني
إنّ الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألَفهم في المنزل الخَشِنِ

والبيت الأخير نسبَ إلى دعبل بن عليّ الخُزاعي ١٤٨ ـ ٢٤٦هـ ضمن بيتين يقول فيهما:

وإنّ أولى البَرَايا أن تُوَاسِيَهُ عند السُّرُور الّذي واساكَ في الحَزَنِ
إنَّ الكِرام إذا ما أسهلوا ذَكَرُوا من كان يَأْلَفُهم في المنزِلِ الخَشِنِ

ونسبت إلى إبراهيم الصّولي ١٧٦ ـ ٢٤٣هـ بلفظٍ يقارب لفظ دعبل وهو:

أَوْلى البريّة طرّاً أن تواسيه عند السّرور الّذي واساك في الحَزَنِ
إنّ الكِرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخَشِنِ

ونسبهما إلى أبي تمّام ابن حمدون في «التّذكرة الحمدونيّة».

البيت الثّاني لأبي تَمَّامٍ.

وتضمين المِصْراع مع التّنبيه على أنّه من شعر آخر ﴿كقوله﴾ أي: قول الحريريّ يَحْكِيْ ما قاله الغلام الّذي عَرَضَهُ أبو زيد للبيع:

﴿عَلىٰ أَنِّي سَأُنْشِدُ يَوْمَ بَيْعِي[1] أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتىً أَضَاعُوا﴾[2]

---

(١) قوله: «على أنّي سأنشد يوم بيعي». البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب المشابه، والقائل الحريريّ في المقامة الزّبيديّة وهي الرّابعة والثّلاثون يقول فيها:

لَحَاكَ الله هل مثلي يُبَاعُ لكيما تشبع الكَرِشُ الجِيَاعُ
وهَلْ في شِرْعَةِ الإنصاف أنّي أُكَلَّفُ خُطَّةً لا تُسْتَطَاعُ
وأَنْ أُبْلَى بِرَوْعٍ بعد رَوْعٍ ومِثْلي حين يُبْلَى لا يُرَاعُ
أَمَا جَرَّبْتَنِي فخَبَرْتَ مِنِّي نَصَائِحَ لم يُمَازِجْهَا خِداعُ
وكم أَرْصَدْتَنِي شَرَكاً لِصَيْدٍ فعُدْتُ وفي حبائِلِيَ السِّبَاعُ
ونُطْتَ بي المَصَاعِبَ فاستقادَتْ مُطَاوِعَةً وكان بها امتناعُ
وأيُّ كريهةٍ لم أُبْلِ فيها وغُنْمٍ لم يكن لي فيه بَاعُ
وما أبدَتْ ليَ الأيّام جُرْماً فيكشفُ في مصارمتي القِنَاعُ
ولم تعثُرْ بحمدِ الله منّي على عيبٍ يُكَتَّمُ أو يُذَاعُ
فَأَنَّى سَاغَ عندك نَبْذُ عهدي كما نَبَذَتْ بُرَايَتَها الصَّنَاعُ
ولِمْ سَمَحَتْ قَرُوْنُك بامتهاني وأَنْ أُشْرَى كما يُشْرَى المَتَاعُ
وهَلَّا صُنْتَ عِرْضِي عنه صَوْني حديثك يومَ جَدَّ بنا الوَداعُ
وقُلْتَ لمن يُسَاوِمُ فيَّ هذا سَكَابِ فما يُعَارُ ولا يُبَاعُ
فما أنا دون ذاك الطِّرْفِ لكن طِبَاعُكَ فوقَها تلك الطِّبَاعُ
على أنّي سأُنشِدُ عند بيعي أضاعوني وأيَّ فَتىً أضاعوا

وهذه المقامة تتضمّن أنّ أبا زيد باع ولده في صفة غلامٍ واشتراه الحارث بن همّام.

(٢) قوله: «أضاعوني وأيّ فتىً أضاعوا». البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب

⇐

المِصْراع الثّاني لِلْعَرْجِيّ وهو عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفّان ـ رضي الله عنهم[١] ـ نسب إلى «العَرْج»[٢] وهو منزل بطريق مكّة، وقيل: هو لأُميّة بن

⇒ المقطوف، والقائل مختلف فيه: فنسب إلى أُميّة بن عبدالله أبي الصّلت بن أبي ربيعة بن عون الثّقفي المتوفّى سنة ٥هـ.

وإلى العَرْجيّ أبي عمر عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفّان الأمويّ المتوفّى سنة ١٢٠هـ من قطعة يقول فيها:

أضاعوني وأيّ فتىً أضاعوا ... ليوم كريهةٍ وسِداد ثَغْرِ
وخَلَّوْني لِمُعْتَرَكِ المَنَايا ... وقد شرعَتْ أسِنَّتُها لِنَحْرِي
كأنّي لم أكن فيهم وسيطاً ... ولا لي نِسْبَةٌ في آل عَمْرِو
أُجَرَّرُ في الجوامع كلّ يوم ... ألاَ للّهِ مظلمتي وصَبْرِي
عسى المَلِكُ المُجِيْبُ لمن دَعَاهُ ... يُنَجِّيْنِي فيعلم كيف شُكْرِي
فأجزِيْ بالكَرَامَةِ أهل وُدِّي ... وأُوْرِثَ بالضَّغائن أهلَ وِتْرِي

قال الأصمعيّ: مررتُ بكنّاسٍ يَكْنُسُ كنيفاً بالبصرة وهو ينشد:

أضاعوني وأيّ فتىً أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

فقلت له: أمّا سِداد الكنيف فأنت مليء به، وأمّا سِداد الثّغر فلا علم لي بك كيف أنت فيه ـ وكنتُ حديثَ السّنّ وأردت العبث به ـ قال: فأعرض عنّي مليّاً ثمّ أقبل علَيّ وأنشد متمثّلاً:

وأكرم نفسي إنّني إن أهنتُها ... وحقّك لم تكرم على أحدٍ بَعْدِي

فقلتُ له: والله ما يكون من الهوان شيء أكثر ممّا بذلتها له، فبأيّ شيءٍ أكرمتها؟ فقال: بلى والله إنّ من الهوان ما هو شرّ ممّا أنا فيه، فقلت: ما هو؟ فقال: الحاجة إليك وإلى أمثالك من النّاس.

(١) كذا كان في نسخة سنة ٨٤٩هـ فضبطناه رِعايةً للأمانة، وأقول: لعن الله الظّالمين لآل محمّد من الأوّلين والآخرين.

(٢) سمّيت بذلك لأنّها يعرج بها عن الطّريق، قال ياقوت في مادّة «عرج» من «معجم البلدان»:

⇐

أبي الصَّلْت، وتمامه:

*** لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِداد ثَغْرِ ***

اللّام في «ليوم» للوقت[1]، و«الكريهة» من أسماء الحرب، و«سِداد الثّغر» ـ بكسر السّين[2] لا غير ـ وهو سَدُّهُ بالخَيْل والرّجال، و«الثّغر» موضع المَخافة من

⇐ هي قرية جامعة في وادٍ من نواحي الطّائف، إليها يُنْسَبُ العَرْجيّ الشّاعر، قال: هي أوّل تهامة وبينها وبين المدينة ثمانية وسبعون ميلاً، وهي في بلاد هُذَيْل.

(١) وفي نسخةٍ: «للتوقيت».

(٢) قال الحريريّ في المسألة الحادية والتّسعين من درّة الغواص من أوهام الخواص: ويقولون: «هو سَداد من عَوَز» فيلحَنُوْن في فتح السّين كما لحم هشيم المحدِّث فيها والصّواب ان يقال بالكسر. وجاء في أخبار النّحويين أنّ النَّضْرَ بن شُمَيل المازني استفاد بإفادة هذا الحرف ثمانين ألف درهم، ومساقُ خبره ما أخبرنا به أبو علي بن أحمد التُّسْتريّ عن حميه القاضي أبي الحسن عبد العزيز بن محمّد العسكريّ اللغويّ عن أحمد بن الحسن بن سعيد العسكريّ عن أبيه عن إبراهيم بن حامد عن محمّد بن ناصح الأهوازيّ قال: حدّثني النّضر بن شميل المازني قال: كنتُ أدْخُلُ على المأمون في سمره، فدخلتُ ذات ليلةٍ وعَلَيَّ قميص مرقوع، فقال يا نَضْرُ ما هذا التّقشّف حتّى تدخل على الأمير في هذه الخُلْقَان؟ قلت: أنا شيخ ضعيف وحَرُّ «مَرْوَ» شديد، فأبترد بهذه الخُلقان، قال: لا، ولكنّك قَشِفٌ، ثمّ أجرينا الحديث، فأجرى هو ذكر النّساء فقال: حدّثنا هشيم عن مجالد عن الشّعبيّ عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «إذا تزوّج الرّجل المرأة لدينها وجَمَالها كان فيها سداد من عَوَز» فأورده بفتح السّين، قال فقلت: صدق ـ يا أمير ـ هشيم حدّثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن عن عليّ بن أبي طالب ـ رضوان الله عليه ـ قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «إذا تزوّج الرّجل المرأة لدينها وجَمَالها كان فيها سِداد من عَوَز» قال: وكان المأمون متّكئاً فاستوى جالساً، وقال: يا نضرُ كيف قلت: «سِداد» ـ بالكسر ـ؟ قلت: لأنّ «السَّداد» هاهنا لحنٌ، قال: أو تُلَحِّنُنِي؟ ⇐

فُرُوْج البلدان.

أي: أضاعوني في وقت الحرب وزمان سدّ الثّغور ولم يراعُوْا حقّي أحوج ما كانوا إليّ، وأيَّ فَتىً ـ أي: كاملاً من الفِتْيَان ـ أضاعوا؛ وفيه تنديم.

وأمّا بدون التّنبيه فكقول الآخر:

قَدْ قُلْتُ لَمَّا أَطْلَعَتْ وَجَنَاتُهُ[1] حَوْلَ الشَّقِيقِ الغَضِّ رَوْضَةَ آسِ

⇐ قلت: إنّما لحن هشيم وكان لحّانةً فتَبِعَ الأمير لفظه، قال: فما الفرق بينهما؟ قلت: «السَّداد» بالفتح القصد في الدّين والسّبيل، و«السِّداد» ـ بالكسر ـ البُلْغَة، وكلّ ما سَدَدتَ به شيئاً فهو سِداده، قال: أو تعرف العرب ذلك؟ قلت: نعم هذا قول العَرْجِيّ يقول:

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ليوم كريهة وسِداد ثَغْرِ

فقال المأمون: قبّح الله من لا أدَبَ له، وأطرق مليّاً ثمّ قال: ما مالُكَ يا نَضْرُ؟ قلت: أُرَيْضَةٌ، قال: أفلا نفيدك مالاً معها؟ قلت: إنّي إلى ذلك لمحتاج، قال: فأخذ القِرْطَاسَ وأنا لا أدري ما يكتُبُ ثمّ قال: كيف تقول إذا أمرت أن يُتْرَب قلت: «أتْرِبْهُ» قال فهو ماذا؟ قلت: مُتْرَبٌ، قال: فمن «الطِيْن»؟ قلت: «طِنْهُ» قال: فهو ماذا؟ قلت: «مَطِيْنٌ» قال: هذه أحسَنُ من الأولى ثمّ قال: «يا غلام أَتْرِبْهُ وطِنْهُ» وقال لخادمه: تبلُغُ معه إلى الفضل بن سهل، قال: فلمّا قرأ الفضل الكتاب قال: يا نَضْر إنّ الأمير أَمَر لك بخمسين ألف درهم فما كان السّبب؟ أخبرتُهُ ثمّ أمر الفضل من خاصّته بثلاثين ألف درهم، فأخذت ثمانين أُلف درهم بحرفٍ استفيد منّي. وهذه الحكاية أوردها الزّجاجيّ في «مجالس العلماء» والياقوت وابن خلّكان في ترجمة النّضر من كتاب «معجم الأُدباء» و«الوفيات».

(١) **قوله: «قد قلت لمّا أطلعت وجناته»**. البيت من الكامل على العروض الأُولى مع الضّرب المقطوع، والقائل: أبو العبّاس ابن خَلِّكان أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر الأربليّ النّاصبيّ ٦٠٨ ـ ٦٨١هـ:

كم قلتُ لمّا أطلعت وجناته حول الشّقيق الغضّ روضة آسِ

لعذاره السّاري العجول بِخَدِّهِ ما في وقوفك ساعة من باسِ

⇐

أَعِذَارَهُ السَّارِيْ[١] العَجُولَ تَـوَقَّفَا ... مَا فِي وُقُـوفِكَ سَـاعَةً مِـنْ بـاسِ

فالمِصْراع الأخير لأبي تَمَّام.

واعلم أنّ تضمين ما دون البيت ضربان:

أحدهما: أن يَتِمَّ المعنى بدون تقرير الباقي ـ كما مرّ آنفاً ـ.

والثّاني: أن لا يَتِمَّ بدونه كقول الشّاعر:

كُنَّا مَعاً أَمْسِ فِي بُـؤْسٍ نُكَـابِدُهُ[٢] ... وَالْعَيْنُ وَالْقَلْبُ مِنّا في قَـذىً وأَذىً

⇐ والبيت الثّاني لأبي تمّام في مطلع قصيدة طويلةٍ في أحمد بن المعتصم يقول فيها:

مـا فـي وقـوفك سـاعةً مـن بـاسِ ... نـقضي ذِمـام الأرْبُـعِ الأدراسِ

فـلعلّ عـينَك أن تُـعِيْنَ بـمائها ... والدّمـع مـنه خـاذِلٌ ومُـوَاسِ

لا يُسْعِدُ المُشْتَاقَ وَسْنانُ الهَوَى ... يَـبِسُ المـدامع، بـاردُ الأنـفاسِ

من كلّ ضـاحكة التّـرائب أُرْهِـفَتْ ... إرْهـافَ خُـوط البـانة المَـيَّاسِ

قال:

أبـليتَ هـذا المـجدَ أبـعد غـايةٍ ... فـيه، وأكـرم شـيمةٍ ونِـحاس

إقـدامَ عـمروٍ فـي سماحة حـاتمٍ ... في حـلم أحـنف فـي ذَكَـاء إيـاسِ

لا تـنكروا ضـربي له مـن دونـه ... مـثلاً شَـرُوْداً فـي النَّدَى والبَـاسِ

فـاللّه قـد ضـرب الأقـلّ لنوره ... مـثلاً مـن المشكـاة والنِّـبْراسِ

* * *

(١) منصوب على أنّه صفة «عذَاره» ـ المنادى المضاف ـ والإسكان ضرورة، و«تَـوَقَّفَا» في الأصل: «توقّفَنْ» بالنّون الخفيفة، ثمّ قلبت ألفاً وقفاً، كما قال ابن مالك:

وأَبْـدِلَنْهَا بـعد فـتحٍ أَلِـفَا ... وَقْفاً كما تقول في «قِفَنْ»: «قِفَا»

(٢) **قوله: «كنّا معاً أمس في بؤس نكابده»**. البيت من البسيط على العروض المخبونة مع الضّرب المشابه، والقائل تاجر كان يعيش في عهد بدر الدّين بيليك بن عبدالله الظّاهريّ ⇐

والآنَ أَقْبَلَتِ الدُّنْيا عَلَيَك بِما تَهْوىٰ، فلا تَنْسَنِيْ «إنّ الْكِرَامَ إذا»

أشار إلى بيت أبي تَمَّامٍ، ولابدّ من تقرير الباقي منه؛ لأنّ المعنى لا يَتِمُّ بدونه.

﴿ **وأحسنه** ﴾ أي: أحسن التّضمين ﴿ **ما زاد على الأصل بنكتة** ﴾ أي: يشتمل البيت أو المصراع المضمّن في شعر الشّاعر الثّاني على لطيفة لا توجد في شعر الشّاعر الأوّل ﴿ **كالتَّوْرِيَة** ﴾ ـ وهي أن يذكر لفظ له معنيان: قريب وبعيد، ويراد البعيد ـ ﴿ **والتّشبيه في قوله** ﴾ أي: قول صاحب «التّحبير»:

﴿ **إِذَا الْوَهْمُ أَبْدىٰ** ﴾ أي: أظهر ﴿ **لِي لَمَاهَا**[1] ﴾ أي: سُمْرَة شَفَتَيْهَا ﴿ **وَثَغْرَها**[2] ﴾ ❊

⇐ المعروف بـ«بيليك الخزندار» افتقر آخر عمره فكتب إليه هذين البيتين فوصله بعشرة آلاف درهم، وبدر الدّين الظّاهريّ من ملوك مصر والقاهرة.

فقوله: «إنّ الكرام إذا» إشارة إلى بيت أبي تمّامٍ أو دعبل أو الصّوليّ:

إنّ الكِرامَ إذا ما أَسْهَلُوْا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يألَفُهُم في المنزل الخَشِنِ

* * *

(١) بفتح اللّام وضمّها أيضاً والفعل: «لَمِيَ، يَلْمَى، لَمىً» والرّجل: «أَلْمَى» والمرأة: «لَمْيَاء» والجمع: «لُمْيٌ».

(٢) **قوله: «إذا الوهم أبدى لي لماها وثغرها»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المقبوض والقائل الزّكيّ بن أبي الإصبع صاحب «التحرير والتحبير» وابن أبي الإصبع هو عبدالعظيم بن عبدالواحد بن ظافر بن أبي الأصبع العدواني البغداديّ المصريّ ٥٩٥ ـ ٦٥٤هـ قال في «باب الإيداع» من كتاب «تحرير التّحبير، في صناعة الشّعر والنّثر»: وكنت نظرتُ إلى بيت لأبي الطّيّب وهو طويل:

تذكّرت ما بين العذيب وبارق مجرّ عوالينا ومجرى السّوابق

فأودعت كلّ قسيم منه بيتاً من قصيدةٍ مطلعها طويل:

أعِزْ مُقْلتي إن كُنت غير مرافقي دموعاً لتبكي فقد حيٍّ مُفَارِقِ

فقد نَضَبَتْ يومَ الوَداع مَدَامِعِي وشابت لتشتِيت الفراق مفارقي

⇐

«تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعُذَيْبِ وَبَارِقِ»[1] * وَيُذْكِرُني ﴾ من الإذكار ﴿ مِنْ قَدِّهَا

⇐ والبيتان منهما:

إذا الوهم أبدى لي لماها وثغرها	«تذكّرتُ ما بين العذيب وبارِقِ»
ويُذْكِرني من قدّها ومدامعي	«مجرّ عوالينا ومجرى السّوابق»

اهـ كلام ابن أبي الإصبع.

(١) قوله: «تذكّرت ما بين العذيب وبارق». البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المماثل، والقائل المتنبّي من قصيدةٍ يمدح سيف الدّولة ويذكر إيقاعه ببني عقيل وهي:

تَذَكَّرْتُ ما بَيْنَ العُذَيبِ وَبَارِقِ	مَجَرَّ عَوَالِينَا وَمَجْرَى السَّوَابِقِ
وَصُحْبَةَ قَوْمٍ يَذبَحُونَ قَنيصَهُمْ	بِفَضْلَةِ ما قد كَسَّرُوا في المَفارِقِ
وَلَيْلاً تَوَسَّدْنَا الثَّوِيَّةَ تَحْتَهُ	كأنّ ثَرَاهَا عَنْبَرٌ في المَرَافِقِ
بِلادٌ إذا زارَ الحِسَانَ بغَيرِهَا	حَصَى تُرْبِهَا ثَقّبْنَهُ للمَخانِقِ
سَقَتْني بِهَا القُطْرُبُليَّ مَليحَةٌ	على كاذِبٍ مِنْ وَعدِها ضَوْءُ صَادقِ
سُهادٌ لأجفانٍ وَشَمْسٌ لِنَاظِرٍ	وَسُقْمٌ لأبدانٍ ومِسْكٌ لِناشِقِ
وَأغْيَدُ يَهْوَى نَفْسَهُ كلُّ عاقِلٍ	عَفيفٍ وَيَهوَى جسمَهُ كلُّ فاسِقِ
أدِيبٌ إذا ما جَسّ أوْتارَ مِزْهَرٍ	بَلا كُلَّ سَمْعٍ عن سِواها بعائِقِ
يُحَدِّثُ عَمّا بينَ عادٍ وَبَيْنَهُ	وَصُدْغاهُ في خَدّيْ غُلامٍ مُراهِقِ
وَمَا الحُسْنُ في وَجْهِ الفتى شَرَفاً لَهُ	إذا لم يكُنْ في فِعْلِهِ وَالخَلائِقِ
وَمَا بَلَدُ الإنْسانِ غَيرُ المُوافِقِ	وَلا أهْلُهُ الأدْنَوْنَ غَيرُ الأصادِقِ
وَجائِزَةٌ دَعْوَى المَحَبّةِ وَالهَوَى	وَإنْ كانَ لا يخفَى كَلامُ المُنافِقِ
بِرَأيِ مَنِ انْقادَتْ عُقَيلٌ إلى الرّدَى	وَإشْماتِ مَخلُوقٍ وَإسخاطِ خالِقِ
أرَادوا عَلِيّاً بالذي يُعجِزُ الوَرَى	وَيُوسِعُ قَتلَ الجحفَلِ المُتَضايِقِ
فَمَا بَسَطُوا كَفّاً إلى غَيرِ قَاطِعٍ	وَلا حَمَلُوا رَأساً إلى غَيرِ فَالِقِ
لَقَد أقدَمُوا لَوْ صادَفُوا غيرَ آخِذٍ	وَقد هرَبوا لوْ صَادَفوا غيرَ لاحِقِ

⇐

⇒ وَلَمَّا كَسَا كَعْباً ثِياباً طَغَوْا بِهَا ... رَمَى كلَّ ثَوْبٍ مِنْ سِنانٍ بخارِقِ

وَلمّا سَقَى الغَيْثَ الّذي كَفَرُوا بِهِ ... سَقَى غَيرَهُ في غَيرِ تلكَ البَوَارِقِ

وَما يُوجِعُ الحِرْمانُ من كَفِّ حارِمٍ ... كمَا يُوجِعُ الحِرْمانُ من كَفِّ رازِقِ

أتَاهُمْ بِهَا حَشْوَ العَجَاجَةِ وَالقَنَا ... سَنَابِكُهَا تحشُو بُطُونَ الحَمالِقِ

عَوَابِسَ حَلّى يَابِسُ الماءِ حُزْمَها ... فَهُنّ على أوْساطِها كالمَنَاطِقِ

فَلَيْتَ أبَا الهَيْجا يرَى خَلْفَ تَدْمُرٍ ... طِوَالَ العَوالي في طِوال السَّمالِقِ

وَسَوْقَ عَليٍّ مِنْ مَعَدٍّ وَغَيرِها ... قَبَائِلَ لا تُعْطي القُفِيَّ لِسَائِقِ

قُشَيرٌ وَبَلْعَجْلانِ فيها خَفِيّةٌ ... كَرَاءَينِ في ألْفاظِ ألثَغَ ناطِقِ

تُخَلّيهِم النّسْوانُ غَيرَ فَوَارِكٍ ... وَهُمْ خَلّوُ النّسْوانَ غَيرَ طَوَالِقِ

يُفَرِّقُ ما بَينَ الكُماةِ وبَيْنَهَا ... بِطَعْنٍ يُسَلّي حَرُّهُ كلَّ عاشِقِ

أتَى الظُّعْنَ حتّى ما تَطيرُ رَشاشَةٌ ... مِنَ الخَيلِ إلّا في نُحُورِ العَوَاتِقِ

بكُلِّ فَلاةٍ تُنكِرُ الإنْسَ أرْضُهَا ... ظَعائنُ حُمْرُ الحَلْيِ حمرُ الأيانِقِ

وَمَلْمُومَةٌ سَيْفِيَّةٌ رَبَعِيّةٌ ... تَصيحُ الحَصَى فيها صِياحَ اللّقالِقِ

بَعيدَةُ أطْرَافِ القَنا مِنْ أُصُولِهِ ... قَريبَةُ بَينَ البَيضِ غُبرُ اليَلامِقِ

نَهَاهَا وَأَغْنَاهَا عَنِ النّهْبِ جُودُه ... فَمَا تَبْتَغي إلّا حُماةَ الحَقائِقِ

تَوَهّمَهَا الأعْرابُ سَوْرَةَ مُترَفٍ ... تُذَكِّرُهُ البَيْداءُ ظِلَّ السُّرادِقِ

فَذَكّرْتَهُمْ بالمَاءِ ساعَةَ غَبّرَتْ ... سَماوَةُ كَلبٍ في أُنوفِ الحَزَائِقِ

وكانُوا يَرُوعونَ المُلُوكَ بأنْ بَدَوْا ... وَأنْ نَبَتَتْ في المَاءِ نَبْتَ الغَلافِقِ

فهاجُوكَ أهْدَى في الفَلا من نُجُومه ... وَأبْدَى بُيُوتاً من أداحي النّقانِقِ

وَأصْبَرَ عَنْ أمْوَاهِهِ من ضِبابِهِ ... وَآلَفَ منْها مُقْلَةً للوَدائِقِ

وَكانَ هَديراً مِنْ فُحُولٍ تَرَكتَها ... مُهَلَّبَةَ الأذنابِ خُرْسَ الشّقاشِقِ

فَما حَرَمُوا بالرّكضِ خَيلَكَ راحةً ... وَلَكِنْ كَفَاهَا البَرُّ قَطعَ الشّوَاهقِ

وَلا شَغَلُوا صُمّ القَنَا بِقُلُوبِهِمْ ... عنِ الرَّكْزِ لكِنْ عن قلوبِ الدماسقِ

⇐

وَمَدامِعي * «مَجَرَّ عَوَالِينا وَمَجْرَى السَّوابِقِ» ﴾ انتصب «مجرّ» على أنّه مفعول «يذكرني» وفاعله ضمير يعود إلى «الوهم».

وقوله:

تذكّرت ما بين العُذَيْبِ وبـارِقِ   مجرّ عواليـنا ومجرى السَّوَابِـقِ

مَطْلَعُ قصيدة لأبي الطّيّب، و«العذيب» و«بارق» موضعان معروفان، و«ما بين» ظرف للتذكّر[1]، أو للمجرّ[2]، والمَجْرَى[3]، وقد عرفت جواز تقديم الظّرف على المصدر.

ويجوز أن يكون «ما بين العذيب» مفعول «تذكّرت» و«مجرّ عوالينا» بدلاً منه.

والمعنى: أنّهم كانوا نُزُولاً[4] بين هذين الموضعين وكانوا يَجُرُّون الرِّماح عند مطاردة الفُرْسَان ويسابقون على الخَيْل.

فهذا الشّاعر أراد ـ في تضمينه ـ بـ«العذيب» و«بارق» معنييهما البعيدين؛ لأنّه

⇐ ألمْ يحذَروا مَسْخَ الذي يَمسَخُ العِدى   ويـجعَلُ أيـدي الأُسـدِ أيـدي الخـرانِـقِ
وَقـد عـايَنُوه فـي سِـواهُـمْ وَرُبّـمَا   أرَى مـارِقاً فـي الحَـرْبِ مـصرَعَ مـارِقِ
تَـعَوّدَ أنْ لا تَـقْضَمَ الحَبَّ خَـيْلُهُ   إذا الهَـامُ لم تَـرْفَعْ جُـنُوبَ العَـلائِقِ
وَلا تَـرِدَ الغُـدْرانَ إلّا وَمَـاؤهَا   مِـنَ الدّمِ كـالرّيحَانِ فَـوْقَ الشّـقائقِ
لَـوَفْدُ نُـمَيرٍ كـانَ أرْشَـدَ مِـنْهُمُ   وَقـد طَـرَدوا الأظْـعانَ طَـرْدَ الوَسـائقِ
أعَـدّوا رِمـاحاً مِـنْ خُـضُوعٍ فـطاعَنُوا   بِـهَا الجَـيشَ حـتّى رَدّ غَـرْبَ الفَـيالِقِ
فَـلَمْ أرَ أرْمَـى مِـنهُ غَـيرَ مُـخاتِلٍ   وَأسـرَى إلى الأعـداءِ غَـيرَ مُسـارِقِ
تُـصِيبُ المَـجانيقُ العِـظامُ بكَـفِّهِ   دَقـائِقَ قـد أعْـيَتْ قِسِـيَّ البَـنادِقِ

(١) أي: «تذكّرتُ».

(٢) أي: «مجرّ عوالينا».

(٣) أي: «مَجْرَى السَّوَابق».

(٤) جمع مكسر «نازل» مثل «قُعُود» جمع «قاعد» و«شُهُود» جمع «شاهد».

جعل «العذيب» تصغير «العَذْب» وعنى به شَفَةَ الحبيبة، وبـ«بارق» ثغرها الشّبيه بالبَرْقِ، وبما بينهما رِيْقها، وشبّه تبختر قدّها بتمايل الرُّمْح وجَرَيان دَمْعِهِ على التّتابع بجريان الخَيْل السّوابق، فزاد على أبي الطّيّب بهذه التّورية والتّشبيه.

﴿ولا يضرّ﴾ في التّضمين ﴿التّغيير اليسير﴾ لِمَا قُصِدَ تضمينه؛ ليدخل في معنى الكلام كقول بعضهم في يهوديّ به داء الثّعلب:

أَقُولُ لِمَعْشَرٍ غَلِطُوا وَغَضُّوا[1] ... مِنَ الشَّيْخِ الرَّشِيدِ وَأَنْكَرُوهُ

هُوَ ابْنُ جَلا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا ... مَتىٰ يَضَعِ الْعِمَامَةَ يَعْرِفُوهُ

فالبيت لِسُحَيْم بن وَثِيْلٍ، أصله:

أَنَا ابْنُ جَلا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا[2] ... مَتىٰ أَضَعِ العِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

---

(١) **قوله: «أَقُولُ لِمَعْشَرٍ غَلِطُوا وَغَضُّوا»**. البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضَّرب المقطوف، والقائل: ضياء الدّين موسى بن ملهم الكاتب في عمر الغويّ ـ كما في «الخزانة» ـ وكان به داء الثّعلب، وهو من نوادر ما قيل في أقرع ـ كما نصّ عليه ابن أبي الإصبع في «تحرير التّحبير» ـ ولمّا صنّف ابن أبي الإصبع كتابه «تحرير التّحبير» نَسَخَه الضّياء موسى بن ملهم الكاتب وكتب في آخره:

هذا كتاب بديع ما رأى أحد ... مثلاً له في مبانيه ومعناه

حوى تصانيف هذا العلم أجمعها ... وزادنا جُمَلاً عمّا سمعناه

لا تعجبوا من لطيف الحجم قام بِهـ ... ـذا الفنّ أجمع أقصاه وأدناه

فقد رأيتم عصا موسى كم التقفت ... ولم يزد قدرها عمّا عهدناه

يقال: «غَضَّ منه، يَغُضُّ» ـ بالضمّ ـ إذا وضع ونقص من قدره، و«الرّشيد» أراد به الغويّ تهكّماً واستهزاءً.

* * *

(٢) **قوله: «أنا ابن جَلا وطَلّاعُ الثّنَايا»**. البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب ⇐

فغيّره إلى طريق الغَيْبة[1] ليدخل في المقصود.

وقوله: «غَلِطُوا وغَضُّوا» أي: وقعوا في الغَلَط في حقّه، وحَطُّوا من رتبته، ولم يعرفوا مقداره، وفيه تهكّم، ولهذا وصفه بالرّشيد وأراد به الغويّ ـ على طريق التهكّم ـ.

﴿ **وربّما يسمّى تضمين البيت فما زاد** ﴾ على البيت ﴿ **استعانة، وتضمين المِصْراع فما دونه إيداعاً** ﴾ لأنّ الشّاعر الثّاني قد أودع شعره شيئاً من شعر الأوّل، وهو بالنّسبة إلى شعره قليل مغلوب ﴿ **ورَفْواً** ﴾ لأنّه رَفا خَرْقَ شعره بشعر الغير.

⇐ المقطوف، والقائل: سُحَيْمُ بن وَثِيْلٍ بن عمرو الرّياحيّ اليربوعيّ الحنظليّ التميميّ المتوفّى سنة ٦٠هـ وكان مولده سنة ٤٠ قبل الهجرة، عاش أربعين سنة في الجاهليّة وستّين في الإسلام وهو من الشعراء المخضرمين والبيت من قطعةٍ يقول فيها:

أنا ابنُ جَلَا وطلّاع الثّنايا ... مَتَى أَضَعِ العِمَامَةَ تَعْرِفُوْني

وإنّ مكانَنَا مِنْ حِمْيَرِيٍّ ... مكانُ الليث من وَسَطِ العرينِ

وإنّي لا يعود إليّ قِرْنِي ... غداة الغِبِّ إلّا في قرينِ

بذي لِبَدٍ يَصُدُّ الرّكبُ عنه ... ولا تُؤْتَى فريستُهُ لِحِيْنِ

عَذَرْتُ البُزْلَ إذا هي خاطرتني ... فمالِيَ وبالُ ابنَيْ لَبُوْنِ

وماذا يَدَّرِي الشّعراء منّي ... وقد جاوزتُ حدّ الأربعينِ

أخو خمسين مجتمعاً أَشُدِّي ... ونَجَّذَني مداراة الشّؤون

فإنّ عُلَالَتِي وجِراءَ حَوْلي ... لَذُوْ شِقٍّ على الضَّرَعِ الظَّنُوْنِ

سأحيى ما حييتُ وإنّ ظهري ... لمُسْتَنِدٌ إلى نَضَدٍ أَمِيْنِ

كريمُ الخال من سلفي رِياح ... كنصل السّيف وضّاح الجبين

فإنّ قَنَاتَنَا مَشِظٌ شَظَاها ... شديدٌ مَدُّها عُنُقَ القرين

* * *

(١) أي: غيّر «تعرفوني» المخاطب إلى «يعرفوه» الغائب.

[العقد]

﴿ **وأمّا العقد فهو أن ينظم نثر** ﴾ قرآناً كان، أو حديثاً، أو مَثَلاً، أو غير ذلك ﴿ **لا على طريق الاقتباس** ﴾ ـ وقد عرفت أنّ طريق الاقتباس هو أن يضمَّن الكلام شيئاً من القرآن، أو الحديث، لا على أنّه منه ـ فالنّثر الّذي قصد نظمه إن كان غير القرآن والحديث فنظمه **عقد** على أيّ طريق كان؛ إذ لا دخل فيه للاقتباس ﴿ **كقوله** ﴾ أي: قول أبي العَتَاهية:

مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ[1] **وَجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ**

حال[2]، أي: «ما باله مفتخراً» ﴿ **عقد قول عليّ ـ عليه**[3] **السّلام ـ**:

---

(١) **قوله: «ما بالُ من أوّله نطفة»**. البيت من السّريع على العروض الأُولى من الضّرب المماثل، والقائل أبو العتاهية من قطعة يقول فيها واعظاً:

يـا عَـجَباً للنَّاسِ لَوْ فَكَّرُوا ... وحاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ أبصَرُوا
وعَبَرُوا الدُّنْيا إلى غَيرِهَا ... فَإنَّما الدُّنْيا لهُمْ مَعْبَرُ
وَالخَيرُ ما لَيسَ بِخَافٍ هوَ الـ ... ـمَعرُوف والشَّرُّ هوَ المُنْكَرُ
والمَوْرِدُ المَوْتُ، وما بَعدَهُ الـ ... ـحَشْرُ، فذاكَ المَوْرِدُ الأكبرُ
والمَصدَرُ النَّارُ، أوِ المَصْدَرُ الـ ... ـجَنَّةُ، ما دُونَهُما مَصْدَرُ
لا فَخْرَ إلّا فَخْرُ أهلِ التُّقَى ... غَداً، إذا ضَمَّهُمُ المَحْشَرُ
لِيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أنَّ التُّقى ... والبِرَّ كانَا خَيرَ ما يُذْخَرُ
ما أَحْمَقَ الإنسانَ في فَخرِهِ ... وهوَ غَداً في حُفرَةٍ يُقْبَرُ
ما بالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ ... وجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ
أَصبَحَ لا يَمْلِكُ تَقديمَ مَا ... يَرْجو، ولا تأخيرَ ما يَحْذَرُ
وأصْبَحَ الأَمْرُ إلى غَيرِهِ ... في كُلِّ ما يُقْضَى وما يُقْدَرُ

(٢) أي: «يَفْخَرُ» في آخر البيت حال.

(٣) كذا في نسخة سنة ٩٨٧ هـ وفي نسخة سنة ٨٤٩ هـ: «رضي الله عنه».

«وما لابنِ[١] آدمَ والفَخْرَ[٢] وإنّما أوّلهُ نُطفة وآخرهُ جيفة» ﴾.

وإن كان قرآناً أو حديثاً فإنّما يكون عقداً إذا غيّر تغييراً كثيراً لا يتحمّل مثله في الاقتباس.

أو لم يغيّر تغييراً كثيراً ولكن أُشير إلى أنّه من القرآن أو الحديث وحينئذٍ لا يكون على طريق الاقتباس كقول الشّاعر:

أَنِلْنِي بِالَّذِي اسْتَقْرَضْتَ خَطّاً[٣] ... وَأَشْهِدْ مَعْشَراً قَدْ شاهَدُوهُ

فَإِنَّ اللهَ خَلّاقُ البَرايا ... عَنَتْ لِجَلالِ هَيْبَتِهِ الوُجُوهُ

يَقُولُ إذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ ... إلى أَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ

وكقول الإمام الشّافعيّ[٤]:

عُمْدَةُ الْخَيْرِ عِنْدَنَا كَلِماتٌ[٥] ... أَرْبَعٌ قالَهُنَّ خَيْرُ الْبَرِيَّهْ

اِتَّقِ المشبهاتِ وازْهَدْ وَدَعْ ما ... لَيسَ يَعْنِيكَ وَاعْمَلَنَّ بِنِيَّهْ

---

(١) وهذا نصّه في أواخر باب الحكمة من كتاب «نهج البلاغة» ٧٢٢: «ما لابنِ آدمَ والفَخْرِ: أوّلُهُ نُطْفَة، وآخِرُهُ جِيْفَةٌ، لا يَرْزُقُ نَفْسَهُ، ولا يدفَعُ حَتْفَهُ».

(٢) بالجرّ على العطف فقط عند ابن الحاجب، والجرّ والنّصب معاً عند المحقّق الرّضيّ كما في «شرح الكافية» ١: ١٩٦ ـ ١٩٧.

(٣) **قوله: «أَنِلْنِي بِالَّذِي اسْتَقْرَضْتَ خَطّاً»**. البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب المشابه، والقائل الحسين بن الحسن بن وَاسَان بن محمّد أبوالقاسم الوَاسَانيّ الدمشقيّ المتوفّى سنة ٣٩٤هـ ـ كما نصّ عليه ياقوت البغداديّ في ترجمته من كتاب «معجم الأُدباء» ـ.

(٤) محمّد بن إدريس بن العبّاس بن عثمان بن شافع ولد سنة ١٥٠ هـ وتوفّي سنة ٢٠٤ هـ.

(٥) **قوله: «عُمدَةُ الخيرِ عِندَنا كَلماتٌ»**. البيت من الخفيف على العروض الأُولى مع الضّرب الأوّل المماثل والقائل محمّد بن إدريس الشّافعيّ صاحب المذهب الشّافعيّ في فروع النّواصب اللئام ـ كما في «التّنبيه» لابن البديع ـ.

عقد قوله ـ صلّى الله عليه [وآله] ـ: «الحلالُ بَيِّنٌ والحرام بيّن وبينهما أُمور متشابهات»[١]، وقوله ـ صلّى الله عليه [وآله] ـ: «ازْهَد في الدُّنيا يحبّك الله»[٢]، وقوله ـ صلّى الله عليه [وآله] ـ: «ومِنْ حُسنِ اسلام المرء ترك ما لا يَعنيه»[٣]، وقوله ـ صلّى الله عليه [وآله] ـ: «إنّما الأعمالُ بالنّيات»[٤].

[الحلّ]

﴿ **وأمّا الحلّ فهو أن يُنْثَرَ نظم** ﴾ وشرطه كونه مقبولاً أن يكون سَبْكه مختاراً لا يتقاصر عن سَبْك النّظم، وأن يكون حسن الموقع، مستقرّاً في محلّه، غيرَ قَلِقٍ ﴿ **كقول بعض**[٥] **المغاربة: «فإنّه لَمَّا قبُحَتْ فَعَلاتُهُ، وَحَنْظَلَتْ نَخَلَاتُهُ»**[٦] ﴾ أي:

---

(١) أخرجه البخاريّ الناصبيّ في كتاب الإيمان من صحيحه عن حديث النّعمان بن بشير.

(٢) أخرجه الشّوكاني في باب ما جاء في الشّبهات من «نيل الأوطار» عن حديث سهل بن سعد مرفوعاً.

(٣) أخرجه مالك في كتاب حسن الخلق من «المُوَطَّأ» عن حديث علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ بلفظ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

(٤) أخرجه البخاريّ في باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ من مطلح «صحيحه» السّقيم عن حديث عمر بن الخطّاب.

(٥) هو أبو نصر الفتح بن محمّد بن عبيد الله بن خاقان ابن عبد الله القيسيّ ٤٨٠ ـ ٥٢٨ هـ في ترجمة ذي الوزارتين أبي بكر بن عمّار من كتاب «قلائد العقيان في محاسن الأعيان».

(٦) **قوله: «حنظلت نخلاته»**. قال الشّريف الرّضيّ ـ رحمه الله ـ في قصيدةٍ مفتخِراً:

بنو هاشمٌ عينٌ ونحن سوادها ... على رغم من يأبى وأنتم قَذَاتها

وأعجَبُ ما يأتي به الدَّهْرُ أنّكم ... طَلَبْتُم عُلّى ما فيكم أَدَوَاتُها

وأمّلتُمُ أن تدركوها طوالعاً ... دَعُوْهَا ستسعى للمعالي سُعَاتها

غرستُ غروساً كنتُ أرجو لقاحها ... وآمُلُ يوماً أن تطيب جَنَاتُها

⇐

صارت ثِمار نَخَلاته كالحنظل في المَرَارة ﴿ **لم يزل سوء الظنّ يقتاده** ﴾ أي: يقوده إلى تخييلات فاسدة، وتوهّمات باطلة ﴿ **ويُصَدِّقُ هو توهّمه الّذي يعتاده**(١) ﴾ أي: يعاوده ويراجعه فيعمل على مقتضى توهّمه ﴿ **حلّ قول أبي الطيّب** ﴾:

﴿ **إذا ساءَ فِعْلُ المرءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ(٢)   وصَدَّق ما يَعْتادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ** ﴾

⇐ فإن أَثْمَرَتْ لي نلتُ ما كنتُ آمِلاً   ولا ذَنْبَ لي إن حَنْظَلَتْ نَخَلاتُها

* * *

(١) قال ابن خاقان: فبَقِيَ ابن عمّار ضاحياً من ظلّ غبطته، لاحياً نفسه على غلطته، ولمّا استبهم أمره ولم يعلم له تفسيراً، وعاد جناحه الوافر مهيضاً كسيراً، أراد الرّجوع إلى المعتمد، فخاف أن يوبقه غدره، وعزم على القعود فضاق بفقد ما عهده عنده صدره، فكتب إليه:

أأَسْلُكُ قَصْداً أم أعوج عن الرّكب   فقد صرتُ من أمري على مركَبٍ صَعْبِ
وأصبحتُ لا أدري أفي البُعْدِ راحتي   فأجعَلَهُ حَظِّيْ أم الحَظُّ في القُرْبِ
أَهَابُكَ للحقّ الّذي لك في دَمِيْ   وأرجوك للحبّ الّذي لك في قَلْبِي

قال: فرّق له المعتمد وأشفق، وأقشع نوء حقده عليه وأخفق، فكتب إليه مراجعاً:

لديّ لك العُتْبَى تزاح من العَتْبِ   وسعيك عندي لا يضاف إلى ذَنْبِ
وأَعْزِزْ علينا أنْ تصيبك وَحْشَةٌ   وأنسك ما تدريه فيك من الحبّ
فَدَعْ عنك سوء الظَّنّ بي وتَعَدَّهُ   إلى غيره فهو الممكّن في القلبِ

قال: فما أورثته هذه المراجعة إلّا نفاراً، ولا زادت قلبه من الثّقة به إلّا خلوّاً وإقفاراً، فإنّه لمّا قبحت فعلاته، وحنظلت نخلاته، ولم يزل سوء الظّنّ يقتاده، ويصدّق توهّمه الّذي يعتاده، فلذلك لم يقبل ما رجعه به من رفع إيحاش، ولا أَمِنَ عاقبة ما عامله من قُبْح وإيحاش، فكرّ إلى «سَرَقُسْطَة» لاحقاً بالمؤتمن، وسائقاً له الدّنيا بأيسر ثمن اهمختصراً.

(٢) **قوله: «إذا ساءَ فِعْلُ المرءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المماثل، والقائل المتنبّي من قصيدة يمدح بها كافوراً لمّا قاد إليه فرساً فقال

⇐

⇐ يمدحه:

فِــراقٌ وَمَــنْ فَــارَقْتُ غَـيرُ مُـذَمَّمِ ... وَأَمٌّ وَمَــنْ يَــمَّمْتُ خَـيرُ مُـيَمَّمِ

وَمَــا مَــنزِلُ اللّـذّاتِ عِـندي بِـمَنْزِلٍ ... إذا لم أُبَــجَّلْ عِــنْدَهُ وَأُكَـرَّمِ

سَــجِيّةُ نَــفْسٍ مَــا تَــزَالُ مُـليحَةً ... مِــنَ الضّـيمِ مَـرْمِيّاً بِـها كـلّ مَـخْرِمِ

رَحَــلْتُ فكَــمْ بَــاكٍ بأجْـفانِ شَـادِنٍ ... عَــلَيّ وَكَــمْ بَــاكٍ بأجْـفانِ ضَـيْغَمِ

وَمَــا رَبّــةُ القُــرْطِ المَـليحِ مَكـانُهُ ... بأجـزَعَ مِــنْ رَبّ الحُسَـامِ المُـصَمِّمِ

فَـلَوْ كـانَ مـا بـي مِـنْ حَـبيبٍ مُـقَنَّعٍ ... عَـذَرْتُ وَلكـنْ مـن حَـبيبٍ مُـعَمَّمِ

رَمَـى وَاتّـقى رَمـيي وَمـن دونِ مـا اتّـقى ... هـوىً كـاسرٌ كـفّي وقـوْسي وَأسـهُمي

إذا سـاءَ فِـعْلُ المـرْءِ سـاءَتْ ظُـنُونُهُ ... وَصَـدَّقَ مَـا يَـعتَادُهُ مِـن تَـوَهُّمِ

وَعَـادَى مُـحِبّيهِ بِـقَوْلِ عُـداتِـهِ ... وَأصْـبَحَ فـي لَـيلٍ مـنَ الشّكّ مُـظلِمِ

أُصَـادِقُ نَـفسَ المـرْءِ مـن قبلِ جسـمِهِ ... وَأعْـرِفُهَا فـي فِـعْلِهِ وَالتّكَـلّمِ

وأحْـلُمُ عَـنْ خِـلّي وَأعْـلَمُ أنّـهُ ... مـتى أجـزِهِ حِـلْماً عـلى الجَـهْلِ يَـندَمِ

وَإنْ بَـذَلَ الإنْسـانُ لي جـودَ عـابِسٍ ... جَـزَيْتُ بِـجُودِ التّـارِكِ المُـتَبَسِّمِ

وَأهْـوَى مِـنَ الفِـتيانِ كـلّ سَـمَيذَعٍ ... نَـجيبٍ كـصَدْرِ السّـمْهَريّ المُـقَوَّمِ

خـطتْ تـحتَهُ العيسُ الفـلاةَ وَخـالَطَتْ ... بـهِ الخَـيلُ كَـبّاتِ الخـميسِ العـرَمرَمِ

وَلا عِــفّةٌ فــي سَـيْفِهِ وَسِـنَانِهِ ... وَلَكِـنّهَا فـي الكَـفّ وَالطّـرْفِ وَالفَـمِ

وَمَــا كُــلّ هَــاوٍ للـجَميلِ بِـفاعِلٍ ... وَلا كُــلّ فَــعّالٍ لَــهُ بِــمُتَمِّمِ

فِــدىً لأبــي المِسْكِ الكِـرامُ فـإنّهَا ... سَـوَابِـقُ خَـيْلٍ يَـهْتَدينَ بأدْهَـمِ

أغَــرَّ بِــمَجْدٍ قَــدْ شَـخَصْنَ وَرَاءَهُ ... إلى خُــلُقٍ رَحْبٍ وَخَــلْقٍ مُـطَهَّمِ

إذا مَـنَعَتْ مِـنكَ السّـياسةُ نَـفْسَها ... فَـقِفْ وَقْـفَةً قُـدّامَـهُ تَـتَعَلّمِ

يَـضِيقُ عـلى مَـن راءَهُ العُـذْرُ أن يُـرَى ... ضَـعيفَ المَسـاعي أوْ قَـليلَ التّكَـرّمِ

وَمَـن مـثْلُ كـافورٍ إذا الخـيلُ أحـجَمَتْ ... وَكـانَ قَـليلاً مَـنْ يَـقُولُ لهـا اقـدِمِي

شَـديدُ ثَـباتِ الطِّـرْفِ والنـقعُ وَاصِـلٌ ... إلى لَــهَواتِ الفَــارِسِ المُـتَلَثِّمِ

⇐

يشكو سيف الدّولة واستماعه لقول أعدائه، أي: إذا قَبُحَ فعل الإنسان قَبُحَتْ ظُنُونه، فيسيء ظنّه بأوليائه وصدّق ما يَخْطِرُ بقلبه من التوهّم على(١) أصاغره.

⇐ أبا المسكِ أرْجو منك نصراً على العِدى ... وآمُلُ عِزّاً يخضِبُ البِيضَ بالدّمِ
وَيَوْماً يَغيظُ الحاسِدينَ وَحَالَةً ... أُقيمُ الشَّقا فِيها مَقامَ التَّنَعّمِ
وَلم أرْجُ إلّا أهْلَ ذاكَ وَمَنْ يُرِدْ ... مَواطِرَ من غَيرِ السّحائِبِ يَظلِمِ
فَلَوْ لم تكنْ في مصرَ ما سرْتُ نحوَها ... بقَلْبِ المَشُوقِ المُستَهامِ المُتَيَّمِ
وَلا نَبَحَتْ خَيلي كِلابُ قَبائِلٍ ... كأنّ بها في اللّيلِ حَمْلاتِ دَيْلَمِ
وَلا اتّبَعَتْ آثَارَنَا عَينُ قَائِفٍ ... فَلَمْ تَرَ إلّا حافِراً فَوْقَ مَنْسِمِ
وَسَمْنَا بها البَيْداءَ حتّى تَغَمّرَتْ ... منَ النّيلِ وَاستَذرَتْ بظلّ المُقَطَّمِ
وَأبْلَجَ يَعصِي باختِصاصي مُشِيرَهُ ... عَصَيْتُ بقَصْدِيهِ مُشيرِي وَلُوَّمي
فَساقَ إليّ العُرْفَ غَيرَ مُكَدَّرٍ ... وَسُقْتُ إلَيْهِ الشكرَ غيرَ مُجَمجَمِ
قدِ اخترْتُكَ الأملاكَ فاخترْ لهمْ بنا ... حَديثاً وَقد حكّمتُ رَأيَكَ فاحكُمِ
فأحْسَنُ وَجهٍ في الوَرَى وَجهُ مُحْسِنٍ ... وَأيمَنُ كَفٍّ فيهِم كَفُّ مُنعِمِ
وَأشرَفُهُمْ مَن كانَ أشرَفَ هِمّةً ... وَأكثرَ إقداماً على كلّ مُعْظَمِ
لمَنْ تَطْلُبُ الدّنْيا إذا لم تُرِدْ بها ... سُرُورَ مُحِبٍّ أوْ مَساءَةَ مُجرِمِ
وَقَدْ وَصَلَ المُهْرُ الذي فوْقَ فَخْذِهِ ... منِ اسمِكَ ما في كلّ عنقٍ وَمِعصَمِ
لكَ الحَيَوَانُ الرّاكبُ الخَيلَ كلُّهُ ... وَإنْ كانَ بالنّيرانِ غيرَ مُوَسَّمِ
وَلَوْ كنتُ أدرِي كم حَياتي قَسَمتُها ... وَصَيّرتُ ثُلثَيها انتِظارَكَ فاعْلَمِ
وَلَكِنّ ما يَمضِي منَ الدّهرِ فائِتٌ ... فَجُدْ لي بحَظّ البادِرِ المُتَغَنِّمِ
رَضِيتُ بمَا تَرْضَى بهِ لي مَحَبّةً ... وَقُدْتُ إلَيكَ النّفسَ قَوْدَ المُسَلِّمِ
وَمِثْلُكَ مَن كانَ الوَسيطَ فُؤادُهُ ... فَكَلّمَهُ عَنّي وَلَمْ أتكَلّمِ

(١) متعلّق بـ«التّوهّم» والضّمير المجرور عائد إلى الإنسان، والإضافة لأدنى التلبّس، والمراد بأصاغره هم الّذين يكونون تحت يده محتاجين إليه ـ كما قرّره الرّوميّ ـ.

[التّلميح]

﴿وأمّا التّلميح﴾ صحّ بتقديم اللّام على الميم من «لَمَحَهُ» ـ إذا أَبْصَرَه، ونظر إليه ـ وكثيراً ما تسمعهم يقولون في تفسير الأبيات: «في هذا البيت تلميح إلى قول فلان» و«قد لمّح هذا البيتَ فُلَانٌ» إلى غير ذلك من العِبارات.

وأمّا «التَّمْلِيحُ» ـ بتقديم الميم على اللّام ـ فهو مصدر «مَلَّحَ الشّاعِرُ ـ إذا أتى بشيء مليح ـ وقد ذكرناه في «باب التّشبيه» وهو هاهنا خطأ محض نشأ من قِبَل الشّارح[١] العلّامة حيث سوّى بين «التّلميح» و«التّمليح» وفسّرهما بأن يشار إلى قصّة أو شعر، ثمّ صار الغلط مُسْتَمِرّاً وأُخذ مذهباً لعدم التّمييز.

﴿فهو أن يشار في﴾ فحوى ﴿الكلام إلى قصّةٍ، أو شعرٍ﴾ أو مَثَلٍ سائرٍ ﴿من غير ذكره﴾ أي: ذكر تلك القصّة، أو الشّعر، أو المَثَل، فالضّمير لواحد من «القصّة» و«الشّعر».

وأقسام التّلميح ستّة: لأنّه إمّا أن يكون في النَّظْمِ أو في النَّثْرِ، وعلى التّقديرين فإمّا أن يكون إشارة إلى قصّةٍ، أو شِعْرٍ، أو مَثَلٍ.

[التّلميح إلى القصّة]

أمّا في النّظم فالتّلميح إلى القصّة ﴿كقوله﴾ أي: قول أبي تَمّامٍ:

لَحِقْنَا بِأُخْراهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الْهَوىٰ[٢] قُلُوباً عَهِدنا طَيْرَهَا وَهْيَ وُقَّعُ

---

(١) وهذا نصّه في «شرح المفتاح» ٣٠٦: ومنها: التّمليح، ويسمّيه بعضهم بالتّلميح ـ كما تقدّم ـ وهو أن تشير في فحوى الكلام إلى مَثَلٍ سائرٍ، أو شعر نادرٍ، أو قصّة مشهورة من غير أن تذكره اهـ.

(٢) **قوله: «لحقنا بأُخراهم»**. الأبيات لأبي تَمّام من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المماثل، وقد تقدّمت القصيدة كاملةً فراجعها.

فَــرُدَّتْ عَــلَيْنَا الشَّــمْسُ وَاللَّــيْلُ رَاغِــمٌ ... بِشَــمْسٍ لَــهُمْ مِــنْ جَـانِبِ الْـخِدْرِ تَـطْلَعُ

نَـضَا ضَــوْءُهَا صِــبْغَ الدُّجُــنَّةِ وَانْــطَوىٰ ... لِــبَهْجَتِها ثَــوْبُ السَّــماءِ المُــجَزَّعُ

﴿فَــوَاللهِ مَــا أَدْرِي أَأَحْـلاَمُ نَـائِمٍ ... أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرَّكْبِ يُوشَعُ[1]﴾

---

(١) قوله: «أم كان في الرّكب يوشع». وردّ الشمس ليوشع بن نون معروف ومشهور نظمه غير واحـدٍ مـن الشّـعراء فـي أشـعارهم، قـال السّـيّد الحِـمْيَرِيّ ـ رحـمه الله ـ ذاكـراً ردّهـا لأميرالمؤمنين ـ عليه السّلام ـ من قصيدته المذهّبة المعروفة:

رُدَّتْ عــليه الشّــمسُ لمّـا فـاته ... وقتُ الصّلاة وقد دَنَتْ للـمغرب

حــتّى تــبلّج نـورها فـي وقـتها ... للعصر ثم هوت هـويّ الكـوكب

وعــليه قـد حُـبِسَتْ بـبابل مـرّةً ... أُخـرى ومـا ردّت لخـلق مُـغْرِبِ

إلّا ليــوشع أو له مــن بــعده ... ولردّهــا تأويــل أمــر مــعجب

والأبيات الثّلاثة الأُولى ذكرها من النّواصب اللّئام ابن كثير في «البداية والنهاية» منكراً لفضيلة أميرالمؤمنين ـ عليه السّلام ـ.

وقال ابن أبي الحديد المعتزليّ في قصيدته العينيّة معترفاً بفضل أميرالمؤمنين ـ عليه السّلام ـ:

يا مَنْ له ردّت ذُكَاءُ ولم يَفُزْ ... بنظيرها من قـبل إلّا يُـوْشَعُ

وينبغي أن نذكر أمرين:

الأوّل: ما ذكره الشّريف المرتضى ـ رضوان الله عليه ـ في كتاب «الغُرَر والدُّرَر» فـي شرح بيت السّيّد الحميريّ.

والثّاني: ما ذكره العلّامة المعاصر الشيخ محمّد جواد مغنية ـ رحمه الله ـ في قضيّة ردّ الشّمس.

أمّا الأمر الأوّل: فقال الشّريف المـرتضى فـي كـتاب «غُـرَرُ الفـوائـد ودُرَرُ القـلائد» المعروف بـ«الأمالي» ٢: ٢٨٦ ـ ٢٨٩: تفسير البيت الّذي ذكره السيّد ابن محمّد الحِمْيَرِيّ في قصيدته المذهّبة، وهو:

رُدَّتْ عــليه الشّــمسُ لمّـا فـاته ... وقتُ الصّلاة وقد دَنَتْ للـمغرب

⇐

⇐ قال ـ رضي الله عنه ـ: هذا خبرٌ عن ردّ الشمس له ـ عليه السّلام ـ في حياة النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لأنّه رُوي أنّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ كان نائماً، ورأسُه في حِجْرِ أميرالمؤمنين ـ عليه السّلام ـ فلمّا حان وقت صلاة العصر كَرِه أن ينهض لأدائها، فيزعج النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ من نومه، فلمّا مضى وقتُها وانتبه النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ دعا الله ـ تعالى ـ بردّها له فردّها، فصلّى ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ الصلاةَ في وقتها.

فإن قيل: هذا يقتضي أن يكون ـ عليه السّلام ـ عاصياً بترك الصّلاة.

قلنا: عن هذا جوابان:

أحدهما: أنّه إنّما يكون عاصياً إذا ترك الصّلاة بغير عذر، وإزعاجُ النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وترويعُه لا يُنكر أن يكون عذراً في ترك الصّلاة.

فإن قيل: الأعذار في ترك جميع أفعال الصّلاة لا تكون إلّا بفقد العقل والتّمييز، كالنّوم والإغماء وما شاكلهما، ولم يكن ـ عليه السّلام ـ في تلك الحال بهذه الصّفة؛ فأمّا الأعذارُ الّتي يكون معها العقل والتّمييز ثابتين؛ كالزّمانة، والرِّباط والقيْد، والمرض الشّديد، واشتداد القتال؛ فإنّما يكون عذراً في استيفاء أفعال الصّلاة، وليس بعذر في تركها أصلاً، فإنّ كلَّ معذور ممّن ذكرناه يصلّيها على حسب طاقته؛ ولو بالإيماء.

قلنا: غير منكَر أنْ يكون ـ عليه السّلام ـ صلّى مُومئاً وهو جالس؛ لما تعذّر عليه القيام، إشفاقاً من إزعاجه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وعلى هذا تكون فائدة ردّ الشّمس ليصلّي مستوفياً لأفعال الصّلاة؛ ولتكون أيضاً فضيلةً له، ودلالة على علوّ شأنه.

والجواب الآخر أنّ الصَّلاةَ لم تفته بمضيّ جميع وقتها؛ وإنّما فاته ما فيه الفضلُ والمزيّة من أوّل وقتها. ويقوّي هذا الوجه شيئان:

أحدهما: الرّواية الأُخرى؛ لأنّ قوله: «حين تفوته» صريح في أنّ الفوتَ لم يقع؛ وإنّما قارب وكاد.

والأمر الآخر: قوله: «وقد دَنَتْ للمغرب» يعني الشّمس؛ وهذا أيضاً يقتضي أنّها لم

⇐

⇐ تغرُب وإنّما دنت للغروب.

فإن قيل: إذا كانتْ لم تفتْه؛ فأيّ معنى للدّعاء بردّها حتّى يصلّي في الوقت؛ وهو قد صلّى فيه!

قلنا: الفائدة في ردّها ليُدرك فضيلَة الصّلاة في أوّل وقتها؛ ثمّ ليكونَ ذلك دلالة على سموّ مجده، وجَلالة قدره في خَرْق العادة من أجْله.

فإن قيل: إذا كان النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ هو الدّاعي بردّها له، فإنّ العادة انخرقت للنبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لا لغيره.

قلنا: إذا كان النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ إنّما دعا بردّها لأجل أميرالمؤمنين ـ عليه السّلام ـ وليدرك ما فاته من فضل الصّلاة فشرفُ انخراقِ العادة والفضيلة به ينقسم بينهما ـ عليهما السّلام ـ.

فإن قيل: كيف يصحُّ ردُّ الشّمس، وأصحاب الهيئة والفلك يقولون إنّ ذلك مُحال لا تنالُه قدرةٌ! وهَبْه كان جائزاً على مذاهب أهل الإسلام، أليس لو رُدَّت الشّمس من وقت الغروب إلى وقت الزّوالِ لكان يجب أن يعلم أهلُ الشّرق والغرب بذلك؛ لأنّها تبطئ في الطّلوع على بعض البلاد؛ فيطول ليلهم على وجهٍ خلاف العادة، ويمتدّ من نهار قوم آخرين ما لم يكن ممتدّاً؟ ولا يجوز أن يخفى على أهل البلاد غروبُها ثمّ عودُها طالعةً بعد الغروب، وكانت الأخبارُ تنتشر بذلك، ويؤرَّخ هذا الحادث العظيم في التّواريخ، ويكون أبهر وأعظم من الطّوفان.

قلت: قد دلّت الدّلالة الصّحيحة الواضحة على أنّ الفلَك وما فيه من شمس وقمر ونجوم غير مُتحرّك لنفسه ولا طبيعةٍ؛ على ما يهذي به القوم؛ وإنّ الله ـ تعالى ـ هو المحرّك له، والمتصرّف باختياره فيه؛ وقد استقصينا الحجج على ذلك في كثير من كتبنا؛ وليس هذا موضع ذكر.

فأمّا علمُ أهل الشّرق والغرب والسّهل والجبل بذلك ـ على ما مضى في السؤال ـ فغيرُ واجب؛ لأنّا لا نحتاج إلى القول بأنّها رُدَّت من وقت الغروب إلى وقت الزّوال وما يقاربه ⇐

⇐ ـ على ما مضى في السؤال ـ بل نقول: إنّ وقت الفضل في صلاة العصر هو ما يلي ـ بلا فصل ـ زمان أداء المصلّي فرضَ الظّهر أربع ركعات عقيب الزّوال؛ وكلُّ زمان وإن قصر وقلّ يجاوز هذا الوقت؛ فذلك الفضل فائت فيه. وإذا رُدَّت الشّمس له هذا القدر اليسير الّذي نَفْرِض أنّه مقدار ما يؤدّى فيه ركعة واحدة خَفِيَ على أهل الشّرق والغرب ولم يشعروا به؛ بل هو ممّا يجوز أن يخفى على مَنْ حضر الحال وشاهدها؛ إن لم يُنعِم النّظر والتّنقير عنها، فبطل السؤالُ على جوابنا الثّاني المبني على فوت الفضيلة.

فأمّا الجواب الآخر المبنيُّ على أنّها كانت فاتت بغروبها للعُذر الّذي ذكرناه فالسّؤال أيضاً باطل عنه؛ لأنّه ليس بين مغيب جميع قرص الشّمس في الزّمان، وبين مغيب بعضها وظهور بعضها إلّا زمانٌ يسير قصير؛ يخفى فيه رجوعُ الشّمس بعد مغيب جميع قُرْصها إلى ظهور بعضها على كلّ قريب وبعيد. ولا يُفْطَن إذا لم يُعْرَفْ سبب ذلك على وجه خارقٍ للعادة؛ ومن فطن بأنّ ضوء الشّمس غاب، ثمّ عاد بعضه جوّز أن يكون ذلك لغيمٍ أو حائلٍ.

تفسير قول السّيّد في هذه القصيدة أيضاً:

وعليه قد حُبستْ ببابلَ مَرّةً … أُخرى، وما حُبستْ لخلْقٍ مُعْرِب

هذا البيت يتضمّن الإخبار عن ردّ الشمس ببابلَ على أميرالمؤمنين ـ عليه السّلام ـ والرّواية بذلك مشهورة؛ وأنّه ـ عليه السّلام ـ لمّا فاته وقت العصر رُدّت له الشّمس حتّى صلّاها في وقتها، وخرق العادة هاهنا لا يمكن نسبُه إلى غيره ـ عليه السّلام ـ كما أمكن ذلك في أيّام النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ والصّحيح في فوت الصّلاة هاهنا أحدُ الوجهين اللّذيْن تقدَّم ذكرهما في ردّ الشّمس على عهد النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وهو أنّ فضيلةَ أوّل الوقت فاتته لضرْبٍ من الشُّغْل، فردّت عليه الشّمس، ليدرك الفضيلةَ بالصّلاة في أوّل الوقت. وقد بيّنّا هذا الوجه في تفسير البيت الّذي أوّله: «رُدّت عليه الشّمس»، وأبطلنا قولَ مَنْ يدّعي أنّ ذلك كان يجب أن يَعُمّ الخَلقَ في الآفاق معرفتُه؛ حتّى يدوِّنوه ويؤرّخوه.

⇐

⇐ فأمّا من ادّعى أنّ الصّلاة فاتته بأن تقضّى جميعُ وقتها؛ إمّا لتشاغلِه بتعبئة عسكره، أو لأنّ بابل أرضُ خَسْفٍ لا يجوز الصّلاة عليها فقد أبطِل؛ لأنّ الشُّغل بتعبئة العسكر لا يكون عذراً في فَوْت صلاة فريضة؛ وإنّ أميرالمؤمنين ـ عليه السّلام ـ أجلُّ قدراً، وأثْمَنُ ديناً من أن يكون ذلك عذراً له في فوت فريضة.

وأمّا أرض الخَسْف فإنّما تكرَه الصّلاة فيها مع الاختيار؛ فإذا لم يتمكّن المصلّي من الصّلاة في غيرها، وخافَ فوتَ الوقت وجبَ أن يصلّي فيها، وتزولَ الكراهية.

فأمّا قول الشّاعر: «وعليه قد حبِست ببابل» فالمراد بـ«حبست» ردّت؛ وإنّما كره أن يعيد لفظة الرّدّ لأنّها قد تقدّمت.

فإن قيل: «حبست» بمعنى وقفت، ومعناه يخالف معنى «ردّت».

قلنا: المعنيان هاهنا واحد؛ لأنّ الشّمس إذا ردَّت إلى الموضع الّذي تجاوزتْه فقد حُبستْ عن السّير المعهود وقطع الأماكن المألوفة.

فأمّا المُعرِب فهو الناطق الفصيح بحجّته؛ يقال: «أعرب فلان عن كذا» ـ إذا أبان عنه ـ.

وأمّا الأمر الثاني: فهو ما ذكره العلّامة مغنية في كتابه الموسوم بـ«معالم الفلسفة الإسلاميّة» ١٣٧ ـ ١٣٩: الخوارق الّتي جاءت على أيدي الأنبياء قد نقلت إلى الأجيال بالتّواتر، وعرفنا بها، كما عرفنا وجود أفلاطون وأرسطو، ودلّت عليها الأرقام والآثار العلميّة. ولإثبات هذه الحقيقة أنقل هنا ما ذكرته في كتابي «الإسلام مع الحياة» بعنوان العلم الحديث وردّ الشّمس:

١ ـ جاء في قصص الأنبياء أنّ يوشع بن نون كان في معركة مع أعداء الله، وكادت تغرب قبل أن ينتهي القتال، فخشي أن يعجزوه إذا امتدّ القتال إلى اليوم التّالي، فقال للشّمس أنت في طاعة الله، وأنا في طاعته، فأسالك أن تقفي حتّى ينتقم الله من أعدائه قبل الغروب، فاستجاب الله الدّعاء، ووقفت الشّمس، وزيد في النّهار حتّى تمّ النّصر ليوشع.

٢ ـ قال الله ـ تعالى ـ في الآية ٦٣ من سورة الشّعراء: ﴿**فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ**﴾ قال المفسّرون: إنّ موسى ـ عليه السّلام ـ

⇐

⇐ ومن معه هربوا من فرعون خوف القتل، ولمّا انتهوا إلى البحر، ولم يجدوا سبيلاً إلى ركوبه أوحى الله إلى موسى أن يضرب البحر بعصاه، وحينما امتثل ما أمر به تجمّع الماء على الطّرفين بعضه فوق بعض، حتّى صار كالجبل، وخرج منه موسى وأنصاره، وتبعهم فرعون وقومه في نفس الطّريق فأغرقهم الله، وكان البحر يبساً في حقّ موسى، وماءً في حقّ فرعون.

وكذّب الكافرون كلّاً من المعجزتين أو الحادثتين. أوّلاً: لأنّها خرق لقوانين الطّبيعة. وثانياً: لو صحّت لجاء ذكرها في غير الكتب الدينيّة، لأنّها من الأحداث العالميّة العجيبة.

وقرأت في جريدة الجمهوريّة المصريّة عدد ١٣ ـ ١٢ ـ ٥٧ أنّ كتاباً في علوم الطّبيعة صدر حديثاً، وقد أثار ضجّة كبرى في الأوساط العلميّة ولدى المؤرّخين، حيث أثبت بالأرقام المحسوسة واقعة انشقاق البحر ووقوف الشّمس في كبد السّماء.

أمّا المؤلّف فهو عالم رُوْسِيّ من علماء الطّبيعة اسمه «إيمانويل فليكوفسكي» درس العلوم الطّبيعيّة في جامعة «أدنبورج» ودرس التّاريخ والقانون والطّبّ في جامعة «موسكو» ودرس علم الأحياء في «برلين» وفي «زيورخ» ودرس الطّبّ النفسي في «فينا» لقد خرج المؤلّف من أبحاثه الّتي استمرّت أكثر من عشر سنوات إلى استنتاجات علميّة تؤيّد ـ بدون قصدٍ ـ ما جاء في القرآن الكريم وسيرة الأنبياء ـ عليهم السّلام ـ.

وقد رأيت أن أنقل إلى القرّاء مقتطفات من الكتاب كما ترجمتها ونشرتها جريدة الجمهوريّة.

قالت الجريدة: يقول المؤلّف: «إنّ نيزكاً هائلاً مرّ إلى جِوار الكُرَة الأرضيّة في عهد يوشع خليفة موسى ـ عليه السّلام ـ ثمّ عادت هذه الظّاهرة إلى الوجود بعد ذلك بسبع مائة عام. وهذه الظّواهر الكونيّة الهائلة الّتي تسيّرها قوى خارقة غير مرئيّة تفسّر المعجزات الّتي جاء ذكرها في الكتب السّماويّة التّوراة والإنجيل والقرآن. إنّ اقتراب كوكب أو نيزك كبير من الأرض يحدث ظواهر متعدّدة.

منها: أنّ دوران الأرض حول نفسها يَقِلُّ أو يقف حتّى يخيّل إلى النّاس أنّ الشّمس

⇐

الضّمير في «أُخراهم» و«لهم» لِلأَحِبَّةِ المُرْتَحِلِيْنَ وإن لَمْ يُجْرَ لهم ذِكْرٌ في اللّفظ، و«حَامَ الطّيرُ على الماء» دار، وحَوَّمَهُ غيرُهُ «نَضا» ذهب به وأزاله، الضّمير

⇐ قد وقفت في كبد السّماء.

ومنها: انشقاق البحر، وانعقاد أعمدة من الغمام في النّهار واللّيل، ولقد مرّ كوكب في عهد الفراعنة فأمطر الأرض سيلاً أحمر صبغ الأرض والنيل والبحر بلون الدّم».

وهذا ما يؤيّد ما جاء في الآية ١٣٢ من سورة الأعراف ﴿ **وَأَرْسَلْنَا الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالقُمَّلَ والضَّفَادِعَ والدَّمَ** ﴾. وقد تساقط هذا التّراب الأحمر في جهات متفرّقة من الأرض. إنّ المعرفة الّتي تخرق كلّ قوانين الفلك والطّبيعة لا تصنعها سوى قدرة الخالق وحده. لقد تمّت المعجزة حين هرب موسى من اضطهاد فرعون مصر، فتابعه فرعون بجيوشه، ولكن البحر انشقّ فمرّ موسى ومن معه بسلام، حتّى إذا أتبعهم فرعون وجنده عاد البحر إلى سيرته الأُولى فانطبق على المطارِدين وابتلع الرِّجال والفُرْسان، ولم ينج منهم أحد.

ويقول المؤلّف: «إنّه في العهد الّذي يقابل عهد موسى يقول المؤرّخون الصّينيّون: إنّ الشّمس آنذاك لم تغرب حتّى لقد احترقت الغابات، وذاب الجليد. وهكذا لبثت الأرض ساكنة كأنّ قوّة جبّارة قد صنعتها، ولا يعرف على وجه كم استمرّ وقوفها قبل أن تتابع دورانها حول نفسها مرّة أُخرى.

ولكن هل تابعت الأرض دورانها في نفس الاتّجاه؟ إنّ الأرض الآن تدور من الغرب إلى الشّرق فهل كانت هكذا دائماً، إذا رجعنا في الإجابة على هذا السّؤال إلى الخرائط القديمة فإنّ الإجابة هي لا، لأنّ الخرائط الّتي رسمها القدماء المصريّون في سقف أحد المعابد تدلّ على أنّ الأرض كانت تدور قبْل وقوفها من الشّرق إلى الغرب، وهذا ما أكّده أفلاطون في حواره عن السّياسة حين قال: «إنّ الشّمس من قبل كانت تغيب حيث نراها تشرق الآن».

وهذا يفسّر الآية الكريمة ١٧ من سورة الرّحمن ﴿ **رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ** ﴾ فلقد حار المفسّرون بالمشرقين والمغربين وأوّلوهما تارةً بمشرق الصّيف والشّتاء، وأُخرى بمشرق الشّمس والقمر، وجاء العلم اليوم يظهر الحقيقة، ويبيّن مشرقها، الأوّل الغربي والثّاني الشّرقي، ورضي الله عن ابن عبّاس حيث قال: «لا تفسّروا القرآن، الزّمان يفسّره».

في «ضَوْءُهَا» و«بهجتها» للشّمس الطّالعة من الخِدر، «الدُّجُنَّة» الظُّلْمَة «انطوى» انضمّ، «المُجَزَّع» ذو لونين. وقوله: «أأحلام نائم» استعظام لما رأى واستغراب **﴿أشار إلى قصّة يُوْشَع بن نُوْن﴾** فتى موسى -عليه السَّلَام- **﴿واستيقافه الشّمس﴾** أي: طلبه وقوف الشّمس، فإنّه روي أنّه قاتلَ الجَبَّارين[1] يوم الجمعة، فلمّا أَدْبَرَتِ الشَّمْسُ خاف أن تَغِيْبَ الشَّمْسُ، قبل أن يَفْرُغَ منهم، ويدخُلَ السَّبْتُ ولا يَحِلَّ له قِتالهم فيه، فدعا الله - تعالى - فردَّ له الشّمس حتّى فَرَغَ من قِتالهم.

[التّلميح إلى الشّعر]

﴿و﴾ التّلميح إلى الشّعر **﴿كقوله﴾**:

﴿لَعَمْروٌ مَعَ الرَّمْضَاءِ﴾ أَرْضٌ رَمْضَاء، أي: حارّة يَرْمَضُ فيها القَدَم - أي: يحترق - **﴿وَالنَّارُ تَلْتَظي[2] * أَرَقُّ﴾** مِن «رَقَّ له» - إذا رَحِمَهُ - **﴿وَأَحْفىٰ﴾** من «حَفِيَ عليه» تلطّف وتشفّق **﴿مِنْكَ في ساعة الكَرْبِ﴾**.

---

(١) الفَرَاعِنَةُ، والطَّوَاغِيْتُ والمتكبّرين والمفسدين ومدينتهم «أريحا» قال ابن الأثير في الكامل لمّا توفّي موسى بعث الله يوشع بن نون نبيّاً إلى بني إسرائيل وأمره بالمسير إلى «أريحا» مدينة الجبّارين فتوجّه إليها ففتحها.

(٢) **قوله: «لعمرو مع الرّمضاء والنّار تلتظي»**. البيت لأبي تَمَّام من قطعةٍ من الطَّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب التّامّ، وعروض البيت الأوّل استعملت تامّة للتّصريع بالضّرب ويقال لهذا: التّصريع بالزّيادة، وتمامه:

بعقلي هذا صِرْتُ أُحْدُوثَةَ الرَّكْبِ ... وقد كنتُ في سَلْمٍ فأصبحتُ في حَرْبِ
لعمرو مع الرَّمْضَاء والنَّارُ تلتظي ... أَرَقُّ وأَحْفَى منكَ في ساعة الكَرْبِ
متى أَتَبَغَّى النِّصْفَ من قلب صاحبٍ ... إذا لم يكن قلبي شفيقاً على قلبي
فمن مات من حُبٍّ فإنّي مَيِّتٌ ... لئن دام ذا من شدّة البغض لِلحُبِّ

* * *

اللّام للابتداء، و«عمرو» مبتدأ، خبره «أرقّ» و«مع الرّمضاء» حال من الضّمير في «أرقّ» و«النّار» عطف على «الرّمضاء» و«تلتظي» حال من «النّار».

﴿أشار إلى البيت المشهور﴾:

﴿**المُسْتَجِير**﴾ أي: المستغيث ﴿**بِعَمْرو عندَ كُرْبَتِهِ**﴾[1] الضّمير للموصول، أي: الّذي يستغيث عند كُرْبَتِهِ بعمرو ﴿**كالمُستَجيرِ مِنَ الرَّمْضاءِ بالنّار**﴾.

و«عمرو» هو جَسَّاس بن مُرَّة، ولهذا البيت قصّة، وهي: أنّ «البَسُوسَ» زارت أُخْتَهَا «الهائلة»[2] ـ وهي أُمّ جسّاس ـ بجارٍ لها من جَرْمِ[3] بن رَبَّان له ناقة، وكُلَيْب

---

(١) **قوله: «المستجير بعمرو عند كربته»**. البيت من البسيط على العروض المخبونة مع الضّرب المماثل، والقائل: التّكلام الضُّبَعِيّ ـ كما نصّ عليه أبو عبيد البكريّ في كتاب «فصل المقال في شرح كتاب الأمثال» ـ. قال أبو الفرج: إنّ قائداً من قوّاد أحمد بن عبدالعزيز بن أبي دلف هرب إلى عمرو بن اللّيث وهو يومئذٍ بخراسان فغمّ ذلك أحمد وأقلقه فدخل عليه أبو نجدة لخيم بن ربيعة بن عوف العجليّ وكان شاعراً فأنشده:

يابن الذين سَمَا كسرى لجمعهم ... فجلّلوا وجهه قاراً بذي قار
دوّخ خراسان بالجُرْد العِتاق وبالـ ... ـبيضِ الرِّقاق بأيدي كلّ مِسْعَارِ
يا مَنْ تَيَمَّمَ عمراً يستجير به ... أما سَمِعْتَ ببيتٍ فيه سيّارِ
المستجير بعمروٍ عند كربته ... كالمستجير من الرَّمْضاءِ بالنّارِ

فسرّ أحمد وسرّي عنه وأجزل صلة أبي نجدة.

(٢) ضبطه أبو الفرج في «الأغاني» هيلة بنت منقذ بن سليمان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم. وكذا المبرّد في التّعازي والمراثي، وأوردها العسكري في «جمهرة الأمثال» وضبطه ابن دريد ـ في «الاشتقاق» ـ «الهائلة» وقال: «الهائلة والبَسُوْس ابنتا مُنْقِذ» وهو الّذي أثِق به في مثل هذه المسائل.

(٣) جَرْمُ بن رَبَّان ـ بالرّاء المفتوحة والباء الموحدة المشدّدة ـ من قبائل قُضَاعة ـ كما في «اشتقاق ابن دريد» ـ وقال الشّاعر:

سيكفيهم أوْداً ومَنْ لَفَّ لِفَّها ... فوارِسُ من جَرْمِ بن رَبَّانَ كالأُسْدِ

قد حَمَى أرضاً من ناحية العالية، فلم يكن يرعاها إلّا إبل جَسَّاس؛ لِمُصَاهَرَةٍ بينهما، فخرجت في إبل جَسَّاس ناقةُ الجَرْمِيّ تَرْعَى في حِمَى كُلَيْبٍ، فأنكرها كُلَيْبٌ فرماها، فاختلّ ضَرْعها، فولّت حتّى بَرَكَت بِفِناء صاحبها وضرعها يَشْخُبُ دماً ولَبَناً، وصاحت «البَسُوْس»: «وا ذُلّاه، وا غربتاه» فقال جَسَّاس: «أيّتها الحُرَّةُ: اِهْدَئِيْ فوالله لَأَعْقِرَنَّ فَحْلاً هو أعزّ على أهله منها» فلم يزل جسّاس يتوقّع غِرّة[1] كُلَيْبٍ حتّى خرج وتباعد عن الحيّ، فبلغ جسّاساً خروجه فخرج على فرسه واتّبعه فدقّ صلبه، ثمّ وقف عليه فقال كليب: «يا عَمرو، أغِثْنِي بِشَرْبَةِ ماءٍ» فأجهز عليه، فقيل: «المُستجير بعمرو» البيت. ونَشِبَ الشّرّ بين تَغْلِبَ وبَكْرٍ أربعين سنةً، كلّها لِتَغْلِبَ على بَكْرٍ، ولهذا قيل: «أَشْأَمُ من البَسُوْسِ»[2].

---

(١) ـبكسر الغين ـ: الغفلة.

(٢) **قوله: «أشأمُ من البَسُوْسِ»**. هي البَسُوس بنت منقذ التّميميّة خالة جَسَّاس بن مُرَّة قاتل كليب، وكان من حديث ذلك أنّه كان للبَسُوسِ جارٌ مِنْ جَرْم يقال له سعد بن أبي شُمَيْسٍ وكانت له ناقة يقال لها: سَراب. وكان كليب بن ربيعة قد حَمَى أرْضاً من أرض العالية في أُنُفِ الرّبيع، فلم يكن يرعاه أحد إلّا إبل جسّاس بسبب الصّهر بينهما، وذلك أنّ جليلة بنت مُرَّة أُخت جسّاس كانت تحت كُلَيْب.

فخرجت سَراب ناقة الجَرْمِيّ في إبل جسّاس تَرْعَى في حِمَى كُلَيْبٍ، ونظر إليها كُلَيْبٌ فأنكرها فرماها بسهم فاختلّ ضرعها فوَلَّتْ تَشْخَبُ دماً ولَبَناً حتّى بَرَكَتْ بفِناء صاحبها، فلمّا نظر إليها صَرَخَ بالذُّلِّ فخرجت جارته البَسُوس فأقبلَتْ حتّى نظرت إلى النّاقة، فلمّا رأت ما بها ضربت يدها على رأسها ونادت: وا ذُلَّاه. ثمّ أنشأَتْ تقول وجَسَّاسٌ يسمع:

لَعَمْرُكَ لو أَصْبَحْتَ في دار منقذ	لما ضِيْمَ سَعْدٌ وهو جارٌ لأبياتي
ولكنّني أصبَحْتُ في دار غُرْبَةٍ	مَتَى يَعْدُ فيها الذِّئْبُ يَعْدُ على شَاتِيْ
فيا سَعْدُ لا تغرر بنفسك وَٱرْتَحِلْ	فإنّك في قومٍ عن الجارِ أمواتِ

⇐

⇐ ودُوْنَكَ أذوادي فـإنّي عـنهم لَـــرَاحِـلـةٌ لا يُـفْقِدُوْني بُـنَيَّاتِي

فلمّا سمِعَ جَسَّاسٌ قولها سَكَّنَها وقال: أيّتها المرأة ليقتلنّ غداً جَمَلٌ هو أعظمُ عقراً من ناقة جارك، ولم يَزَلْ جَسَّاسٌ يتوقّع غِرَّةَ كليب حتّى خرج كليب لا يخاف شيئاً، وكان إذا خرج تباعد في الحيّ، فبلغ جسّاساً خروجه، فخرج على فرسه وأخذ رمحه، وأتبعه عمرو بن الحارث فلم يدركه حتّى طعن كُلَيْباً فَدَقَّ صُلْبَهُ ثمّ وقف عليه، فقال كليبٌ: يا جسّاس أغثني بشربةٍ من ماءٍ، فقال جَسَّاس: تركت الماء وَرَاءَك، وانصرف عنه، ولحقه عمرو، فقال لعمروٍ: أغثني بشربة ماءٍ، فنزل إليه فأجهز عليه. فقيل:

المستجير بعمروٍ عند كربته كالمستجير من الرَّمْضَاءِ بالنَّارِ

وأقبل جسّاس يَرْكُضُ حتّى هجم على قومه، فنظر أبوه إليه ورُكْبَتُهُ بادية، فقال لمن حوله: لقد أتاكم جسّاس بداهيةٍ، قالوا: ومن أين تعرف ذلك؟ قال: لظهور رُكْبَته، فإنّي لا أعلَمُ أنّها بَدَتْ قبل يومها، ثمّ قال: ما وراءك يا جسّاس؟ فقال: والله لقد طَعَنْتُ طَعْنَةً لتجمعنّ منها عجائز وائل راقصات. قال: وما هي ثَكِلَتْكَ أُمّك؟ قال: قتلتُ كُلَيْباً، قال أبوه: بئس لعمر الله ما جنيتَ على قومك! قال جسّاس:

تأهَّبْ عنك أُهْبَةَ ذي امتناع فإنّ الأمر جَلَّ عن التَّلاحِي
فإنّي قد جنيتُ عليك حَرْباً تَغُصُّ الشّيخ بالماءِ القَرَاحِ

فأجابه أبوه:

فإن تَكُ قد جنيتَ عليّ حرباً فلا وَانٍ ولا رَثُّ السِّلَاحِ
سألبَسُ ثَوْبَهَا وأَذُبُّ عَنِّي بها يوم المَذَلَّةِ والفِضَاحِ

ثمّ قوّضوا الأفْنِية وجمعوا النَّعَمَ والخيلَ وأزْمَعُوا الرَّحِيلَ، وكان هَمَّامُ بن مُرَّة أخو جسّاس نديماً لمهلهل بن ربيعة أخي كليب، فبعثوا جاريةً لهم إلى همّام لِتُعْلِمَهُ الخبر، وأمروها أن تسرّه من مهلهل، فأتتهما الجاريةُ، وهما على شَرَابهما، فسارَّتْ همّاماً بالّذي كان من الأمر، فلمّا رأى ذلك المهلهل سال هَمَّاماً عمّا قالت الجاريةُ، وكان بينهما عهدٌ ألّا يكتم أحدهما صاحبه شيئاً، فقال له: أخبرتني الجاريةُ أنّ أخي قتل أخاكَ، فقال مهلهل:

⇐

[التّلميح إلى المَثَل]

والتّلميح إلى المَثَل كقول عمرو بن كلثوم:

*** ومِن دون ذلك خَرْطُ القتادِ** (١) *

⇐ «أخوك أضيق استاً من ذلك» وسكت هَمَّام، وأقبلا على شرابهما فجعل مهلهل يشرَبُ شُرْبَ الآمِن، وهَمَّام يشرَبُ شُرْبَ الخائف، فلم تلبث الخمر مهلهلاً حتّى صرعته فانسلّ همّام، فأتى قومه وقد تحمّلوا فتحمّل معهم، وظهر أمر كُلَيْب، فلمّا أصبح مهلهل إذا هو بالنّساء يَصْرُخْنَ على كُلَيْبٍ، فقال: ما دهاكنّ؟ قلن: العُظْمُ من الأمر، قتل جسّاسٌ كُلَيْباً ونشب الشرّ بين تغلب وبكر أربعين سنةً، كلّها تكون لتغلب على بكرٍ وكان الحارث بن عبّاد البكريّ قد اعتزل القوم فلمّا استحرّ القتل في بكرٍ اجتمعوا إليه وقالوا: قد فني قَوْمُكَ، فأرسل إلى مهلهل ببُجَيْرٍ ابنه فقال له: قل: أبو بُجَيْر يُقْرِئُكَ السَّلام، ويقول لك: قد علمت أنّي اعتزلتُ قومي لأنّهم ظلموكَ وخَلَّيْتُكَ وإيّاهم، وقد أدركت وِتْـرَكَ، فأنشدك في قومك. فأتى بُجَيْرٌ مُهَلْهِلاً وهو في قومه فأبلغه الرّسالة، فقال: ومَنْ أنت يا غلام؟ قال: بُجَيْرُ بن الحارث بن عبّاد. فقتله، ثمّ قال: بُؤْ بشِسْعِ كليب. فلمّا بلغ فعله الحارث قال:

قَـرِّبَا مَـرْبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حِيَالِ
لم أكن مِنْ جُنَاتِها علم اللّـ ـهُ وإنّي بِحَرِّها اليومَ صالي
لا بُجَيْرٌ أغنى فتيلاً ولا رَهْـ ـطُ كُلَيْبٍ تزاجَروا عن ضلال

ثمّ جمع قومه فالتقى هو وبنو تغلب على جَبَلٍ يقال له: «قِضَة» فقتلهم وهزمهم ولم يقوموا لبكر بعدها ـ هكذا روى القصّة المفضّل بن سلمة بن عاصم اللغويّ المتوفّى سنة ٢٩٠هـ في كتاب «الفاخر» ـ.

(١) **قوله: «ومِن دون ذلك خَرْطُ القتادِ»**. البيت من المتقارب والقائل: كعب بن جعيل التغلبيّ انتقل إلى جهنّم سنة ٥٠ هـ وكان في حرب صفّين من شعراء الطّاغية معاوية به حرب ـ لعنه الله ولعن معاوية وأباه وأبناءه وقبيله عن بكرة أبيهم، ولعن بني أُميّة سفيانيّين ومروانيّين ـ:

⇐

أشار إلى المَثَل السّائر «دون عُلَيَّانَ القَتَادة والخَرْطُ»[(١)] و«دونه خَرْطُ القَتَاد»

⇐ أرى الشّامَ تكرَهُ أهلَ العِراقِ وأهلُ العِراقِ لهم كارهونا
وكلّ لصاحبه مُبْغِضٌ يرى كلّ ما كان من ذاك دينا
إذا ما رَمَوْنا رَمَيْنَاهُمُ ودِنَّاهُمُ مثل ما يُقْرِضُوْنَا
وقالوا: عليٌّ إمامٌ لنا فقُلْنَا: رَضِيْنَا ابن هندٍ رِضِيْنَا
وقالوا: نرى أن تَدِيْنُوا لَنَا فقلنا لهم لا نرى أن نَدِيْنَا
ومن دون ذلك خَرْطُ القَتَادِ وطَعْنٌ وضربٌ يُقِرُّ العُيُونا
وكلّ يُسَرُّ بما عنده يَرَى غَثَّ ما في يديه سمينا
وما في عليٍّ لمستعتبٍ مقالٌ سوى ضمّه المُحْدِثينا
وإيثاره اليوم أهلَ الذّنوب ورفع القِصاص عن القاتلينا
إذا سِيْلَ عنه زَوَى وجهه وعَمَّى الجوابَ على السّائلينا
فليس براضٍ ولا ساخطٍ ولا في النُّهَاة ولا الآمرينا

قال الجعفريّ: لعنه الله من مغالطٍ كيف يرضى بابن هند الزّانية، وأمير المؤمنين عليّ ـ عليه السّلام ـ أهل آيات التّطهير، والمباهلة، والقربى، والسّبق، والهجرة، ومعاوية من الشّجرة الملعونة والطّلقاء، وسبب قتل عثمان أفعاله، والمباشرون له عائشة وطلحة والزّبير أصحاب الشرّ وأرباب الفتن، والرّاضي بقتله والمُحَرِّض له معاوية؛ لأنّ عثمان الميّت كان أنفع له من عثمان الحيّ، لأنّه كان يطلب الحكم بمخادعة النّاس ولم يكن إلى الخدعة سبيل إلّا قتل عثمان، وأميرالمؤمنين كان مع الحقّ والحقّ معه.

(١) **قوله: «دون عُلَيَّانَ القَتَادَة والخَرْطُ»**. عُلَيَّانُ: اسم فحل، يضرب للمتمنّع، وكان في النّسخ المعتمدة «غليان» بالغين المعجمة، وفي شعر أبي العَلَاءِ بالعين غير المعجمة في قوله:

إذا أنا عاليتُ القَتْوْدَ لِرِحْلَةٍ فدون عُلَيَّانَ القَتَادَةُ والخَرْطُ

قالوا: هو فحل لكليب بن وائل، ولمّا عقر كليب ناقة جارة جسّاس، قال جسّاس: ليقتلنّ غداً فحل هو أعظم من ناقتك، فبلغ ذلك كُلَيْباً فظنّ أنّه يعني فحله الّذي يسمّى «عُلَيَّان» فقال: «دون عُلَيَّان»... المثل، و«عُلَيَّان» ضُبِطَ بضمّ العين وفتح اللّام بعده الياء ⇐

يُضْرَبُ للأمر الشّاقّ؛ قاله كُلَيْبٌ إذ سَمِعَ قول جَسَّاس: «لَأَعْقِرَنَّ فَحْلاً» يَظُنُّ[١] أنّه يعرّض لفحل له يسمّى «عُلَيَّان» والخَرْطُ: أن تمرّ يدك على القتادة من أعلاها إلى أسفلها حتّى ينتشر شوكها.

وأمّا في النّثر فالتّلميح إلى القصّة وإلى الشّعر كقول الحريريّ: «فَبِتُّ بِلَيْلَةٍ نابِغيّةٍ[٢] وَأحزانٍ يَعقوبيّة» أشار إلى قول النّابغة:

فَبِتُّ كَأنّي ساورَتْنِي ضَئيلة[٣] ... مِنَ الرُّقْشِ في أنيابها السّمّ ناقع

⇐ المفتوحة المشدّدة وبعده الألف والنّون الزّائدتان. وقال المعرّي أيضاً:

أُريد عَلِيَّاتِ المراتب ضِلَّةً ... وخرطُ قتاد اللّيل دون عُلَيَّانِ

وضبطه جميع الشرّاح في بيتي المعرّي «عُلَيَّان» بضمّ العين وفتح اللّام وتشديد الياء ـ كما ذكرت ـ.

(١) وفي نسخةٍ: «وظنّ».

(٢) **قوله: «فبتّ بليلةٍ نابغيّةٍ»**. أورده الحريريّ في المقامة الوَبَرِيَة وهي السّابعة والعشرون ويقال له: البدويّة أيضاً. تتضمّن طلب الحارث ناقته الضّالّة وما حصل من أبي زيدٍ معه في ذلك، قال: «فَلَمْ أُفِقْ إلّا واللّيل قد تَوَلَّجَ * والنّجم قد تَبَلَّج * ولا السَّرُوجيّ ولا المُسْرَج * فَبِتُّ بليلةٍ نابغيّةٍ * وأحزانٍ يعقوبيّة * أُسَاوِرُ الوُجُوم * وأُسَاهِرُ النُّجُوم * أُفَكِّرُ تارةً في رُجْلَتِي * وأُخْرَى في رَجْعَتي».

(٣) **قوله: «فبتّ كأنّي ساورتني ضئيلة»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المماثل والقائل النّابغة الذُّبياني من قصيدةٍ يعتذر فيها إلى النّعمان بن المنذر ملك العِراق وهي من عيون أشعار العرب وأجودها في باب الاعتذار ولذا يقال: النّابغة أشعر شعراء العرب على الإطلاق إذا رهب فاعتذر. قال جامِعُوا ديوانه: يمدح النّعمان ويعتذر إليه ويهجو مرّة بن ربيع بن قريع. وكان النّعمان قبل ذلك غاضباً على النّابغة، ولم يكن يجهز إليه جيشاً تعظم عليه فيه النفقة، ولكنّ النّابغة ذكر ما كان يعطيه وكان أسخى العرب، فلم يصبر، فقدم مع منظور وزبان ابني سيّار بن عمرو الفزاريّين، فضرب عليهما قبّة ⇐

⇐ ليخصّهما مع قبّته، فجعلا لا يؤتيان بشيءٍ إلّا بدأا بالنّابغة. ثمّ دّس النّابغة إلى قينة للنّعمان بثلاثة أبيات من أوّل قصيدته: «من آل ميّة» وقال لها: غنيّه إذا أراد أن ينام، وكذلك كان يفعل بملوك الأعاجم. فلمّا سمع النّعمان الأبيات قال: هذا شعر علوي، هذا شعر النّابغة. ثمّ قبل عذره وعفا عنه.

عفا ذو حُساً مِنْ فَرْتَنَى فالفوارِعُ ... فجَنْبَا أريكٍ فالتّلاعُ الدّوافِعُ
فمُجتَمَعُ الأشراجِ غَيَّرَ رَسْمَهَا ... مصايفُ مَرّتْ بَعدَنا ومَرابِعُ
توَهّمْتُ آياتٍ لها فَعرَفْتُها ... لِستّةِ أعْوامٍ وذا العامُ سابعُ
رَمادٌ ككُحْلِ العينِ لأياً أُبينُهُ ... ونُؤيٌ كجَذْمِ الحَوْض أثلمُ خاشعُ
كأنّ مَجَرّ الرّامِساتِ ذُيُولَها ... عليه حَصِيرٌ نَمّقَتْهُ الصّوانِعُ
على ظَهْرِ مِبْنَاةٍ جَديدٍ سُيُورُها ... يَطوفُ بها وسْطَ اللّطيمةِ، بائِع
فكَفْكَفْتُ منّي عَبْرَةً فرَدَدتُها ... على النّحرِ منها مُستَهِلٌّ ودامِعُ
على حينَ عاتَبتُ المَشيبَ على الصِّبا ... وقلتُ: ألَمّا أصْحُ والشّيبُ وازعُ؟
وقد حالَ هَمٌّ دونَ ذلكَ شاغلٌ ... مكانَ الشّغافِ تَبْتَغيهِ الأصابعُ
وعيدُ أبي قابوسَ، في غيرِ كُنهِهِ ... أتاني، ودوني راكسٌ فالضّواجِعُ
فَبِتُّ كأنّي ساوَرَتْني ضَئيلَةٌ ... من الرُّقْشِ في أنيابِها السُّمُّ ناقِعُ
يُسَهَّدُ من لَيلِ التّمامِ سَليمُها ... لِحَلْيِ النّساءِ في يديهِ قعاقِعُ
تناذرَها الرّاقُونَ مِنْ سُوءِ سُمّها ... تُطَلِّقُهُ طَوراً وطَوراً تُراجِعُ
أتاني ـ أبَيْتَ اللّعنَ ـ أنّكَ لُمْتَني ... وتِلكَ التي تَسْتَكّ منها المَسامِعُ
مَقالَةُ أنْ قد قلتَ: سوفَ أنالُهُ ... وذلك من تِلقاءِ مِثْلِكَ رائِعُ
لَعَمْري وما عُمْري عليّ بهَيّنٍ ... لقد نَطَقَتْ بُطْلاً عليّ الأقارِعُ
أقارِعُ عَوْفٍ لا أُحاوِلُ غيرَها ... وُجُوهُ قُرُودٍ تَبتَغي مَنْ تجادِعُ
أتاكَ امرُؤٌ مُسْتَبْطِنٌ ليَ بِغْضَةً ... له من عَدوٍّ مثل ذلك شافِعُ
أتاكَ بقَوْلٍ هلهلِ النّسجِ كاذبٍ ... ولم يأتِ بالحَقّ الذي هو ناصِعُ

⇐

وإلى قصّة يعقوب ـ عليه السَّلام ـ.

والتّلميح إلى المَثَل كقول العُتْبِيّ[(١)]:

* فَيَالَها مِنْ هِرَّةٍ تَعُقُّ أوْلادَها *

أشار إلى المَثَل: «أعقّ من الهِرّة تأكُلُ أولادها»[(٢)].

⇒ أتـاكَ بـقَوْلٍ لم أكُـنْ لأقُـولَهُ ... ولو كُـبِلَتْ فـي سـاعِدَيّ الجَـوامِعُ

حَـلَفْتُ فـلم أتـرُكْ لنَفسِكَ رِيبةً ... وهـلْ يأثَـمَنْ ذو أُمّةٍ وهـوَ طائِعُ؟

بـمُصْطَحِباتٍ مِـنْ لَـصافٍ وثَـبْرَةٍ ... يَـزُرْنَ إلالاً سَـيْرُهُنّ التّـدافُـعُ

سَماماً تُباري الرّيـحَ خُـوصاً عُـيونُها ... لَـهُنّ رَذايـا بـالطّريقِ ودائِـعُ

عـليهِنّ شُـعْثٌ عـامِدونَ لحَـجّهِمْ ... فـهُنّ كأطـرافِ الحَـنيّ خَـواضِعُ

لكَـلّفْتَني ذنْبَ امـرئٍ وتَـركْتَه ... كذي العُـرّ يُكـوَى غـيرُهُ وهـو راتـعُ

فإن كنتُ لا ذو الضِّغنِ عنّي مكـذِّبٌ ... ولا حَـلفِي عـلى البـراءَةِ نـافِعُ

ولا أنـا مأمـونٌ بشـيءٍ أقُـولُهُ ... وأنتَ بأمـرٍ لا مَـحالَةَ واقِـعُ

فـإنّكَ كـاللّيلِ الّـذي هـو مُـدْرِكي ... وإنْ خِـلْتُ أنّ المُـنْتَأى عـنك واسِعُ

(١) من ولد عُتْبَة بن أبي سُفْيان وكان من رُوَاة أخبار الجاهليّة والإسلام، واسمه محمّد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان الأمويّ البصريّ، والضّمير في «لها» للدّنيا، وإنّما قال هذا الكلام لمّا توفّي ولده وكان مستهتراً بالشّراب مثل سائر الأمويين ـ لعنهم الله ـ توفّي سنة ٢٢٨ هـ.

(٢) **قوله: «أعقّ من الهرّة تأكل أولادها»**. وأفضل بيت في ذلك قول السّيّد الحميريّ حيث يقول هاجياً عائشة بنت أبي بكر بن أبي قُحافة التيميّ حيث خرجت مع خوارجها على إمام الهدى أميرالمؤمنين ـ عليه السّلام ـ وقادت جيشاً جرّاراً إلى البصرة وأثارت فتنةً كبيرة ابادت النّفوس والأموال وأمرت بقتل آلافٍ من الأبرياء ذبحاً وقتلاً حتّى هُزِمَت بإذن الله ـ تعالى ـ وأرجعها أميرالمؤمنين ـ عليه السّلام ـ إلى المدينة وما زالت فيها، ولمّا أن استشهد أميرالمؤمنين وبلغها الخبر سجدت شكراً وتمثّلت بقول القائل:

⇐

[نوع آخر من التّلميح]

ومن التّلميح ضَرْبٌ يشبه اللُّغَز كما روي أنّ تميمياً قال لشريك النُّمَيْري: «ما في الجوارح أحبُّ إليّ من البازي» فقال النّميري: «وخاصّةً إذا كان يصيد القَطَا» أشار التّميميّ إلى قول جرير:

أَنَا الْبَازِي الْمُطِلّ على نُمَيْرٍ [(١)] أُتيحَ من السّماءِ لها انْصِبابا

وأشار شريك إلى قول الطِّرِمّاح:

⇐ فألقت عَصَاها واستقرّ بها النَّوَى كما قَرَّ عيناً بالإيابِ المُسَافِرُ

قال الحميريّ:

جاءَتْ مع الأَشْقَيْنَ في هَوْدَجٍ تُزْجِي إلى البَصْرَةِ أجنادَها

كأنّها في فعلها هِرَّةٌ تريد أن تأكل أولادها

ويروى: «تزجي إلى النُّصْرَةِ أجنادها» أي: تُرِيْدُ الانتصار على الحقّ وأميرالمؤمنين ـ عليه السّلام ـ.

(١) **قوله: «أَنَا الْبَازِي الْمُطِلّ على نُمَيْرٍ»**. البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب المماثل، والقائل جرير من قصيدة طويلة تقدّم نقلها قبل ذلك فراجعها وأوّل هذه القصيدة:

أَقِلِّيْ اللّومَ عاذل والعِتابا وقُوْلِيْ ـ إن أَصَبْتُ ـ: لقد أصابا

وفيها يقول:

أتلتمس السّباب بنو نميرٍ فقد ـ وأبيهم ـ لاقوا سبابا

فلا صَلَّى المليكُ على نُمَيْرٍ ولا سقى قلوبهم السّحابا

ولَوْ وُزِنَتْ حلومُ بني نُمَيْرٍ ولا سقى قلوبهم السّحابا

ولَوْ وُزِنَتْ حلومُ بني نُمَيْرٍ على الميزان ما وُزِنَتْ ذُبابا

أنّ البازي المُطِلُّ على نُمَيْرٍ أُتِيْحَ من السَّمَاء لها انصِبابا

تَميمٌ بِطُرْقِ اللُّؤْمِ أهدىٰ مِنَ القَطا[١] ولو سَلَكَتْ طُرْقَ المَكارِمِ ضَلَّتِ

وروي أنّ رجلاً من بني مُحَارِب دخل على عبدالله بن يزيد الهِلاليّ، فقال عبدالله: «ماذا لَقِيْنَا البارحة من شيوخ مُحَارِب، ما تركونا ننام» وأراد قول الأخطل:

تَنِقُّ بِلا شَيءٍ شُيُوخُ مُحارِبٍ[٢] وَمَا خِلْتُهاكانَت تَرِيشُ وَلا تَبْري

---

(١) قوله: «تَميمٌ بِطُرْقِ اللُّومِ أهدىٰ مِنَ القَطا». البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المشابه، والقائل الطِّرِمَّاح بن حُكَيْم بن الحكم الطّائي المتوفّى سنة ١٢٥هـ من قصيدةٍ طويلةٍ يهجو بها تميماً وتيماً يقول فيها:

فأيـن تـميمٌ يـومَ تَـخْطِرُ بـالقَنَا كَـتَائِبُ مِـنَّا أَظْـعَنَتْ وأَحَـلَّتِ
كتائِبُ من قَحْطَانَ بالعَفْرِ أَوْقَعَتْ وَقَـائِعَ فـيها أَعْـظَمَتْ وأَجَـلَّتِ
تميم بِطُرْقِ اللُّؤْمِ أهدى من القَطَا ولو سَلَكَتْ طُرْقَ المَكَارِمِ ضَلَّتِ
أرى اللّيل يجلوه النّـهارُ ولا أرى خِلَالَ المَخَازي عن تميم تَجَلَّتِ
وضَـبَّةُ تَـهْجُوني وكـانت لِـطَيِّئٍ قطيناً فأَضْحَتْ غيرهم قدْ تَـوَلَّتِ
وعُكْلُ عـبيد التّـيم والتَّـيْمُ أَعْـبُدٌ إذا قيل خَلّي عن حِيَاضِكَ خَـلَّتِ
ولو أنّ بـرغوثاً عـلى ظـهر قـملة يَكُـرُّ عـلى صفّي تـميم لَـوَلَّتِ
ولو أنّ حُـرْقُوصاً يُـزَقُّقُ مَسْكُـهُ إذن نَـهَلَتْ مـنه تـميمٌ وعَـلَّتِ
ولو جَمَعَتْ يوماً تميمٌ جُـمُوعَهَا عـلى ذَرَّةٍ مـعقولةٍ لاسـتقلَّتِ
ولو أنّ أُمّ العـنكبوت بَـنَتْ لهـا مِـظَلَّتَها يـوم النَّـدَى لَأَكَـنَّتِ

وهي طويلة جدّاً لا حاجة إلى إيراد الباقي.

(٢) قوله: «تَنِقُّ بِلا شَيءٍ شُيُوخ مُحارِبٍ». البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب التّامّ، والقائل الأخطل النّصراني من قصيدة يمدح بها عبدالملك بن مروان وسائر قُرُوْد بني أُميّة ويهجو قيس عيلان ويفخر بقومه:

أَلا يـا اسْلمي يـا هِـندُ هِـندَ بـني بَـدْرِ وإنْ كـان حـيّانا عِـدىً آخِـرَ الدَّهْـرِ
وإن كُـنتِ قـدْ أقْـصَدْتِني إذ رَمـيْتِني بسَـهْمِكِ والرَّمـي يُـصيبُ ومـا يَـدْرِي

⇐

⇐ أسيلَةُ مجرَى الدَّمعِ أمّا وشاحُها ... فجارٍ وأمّا الحِجْلُ منها فما يجري

تَموتُ وتَحْيا بالضَّجيعِ وتَلْتوي ... بِمُطَّرِدِ المَتْنَيْنِ مُنْتَبِرِ الخَصْرِ

وكُنْتُمْ إذا تَنأَون مِنّا تَعَرَّضَتْ ... خيالاتُكُمْ أوْ بِتُّ مِنْكُمْ على ذُكْرِ

لقَدْ حَمَلَتْ قَيسَ بنَ عَيلانَ حرْبُنا ... على يابِسِ السِّيساء، محدَوْدبِ الظَّهرِ

وقَدْ سرّني مِن قَيْسِ عَيْلان أنّني ... رَأيْتُ بني العَجْلانِ سادوا بني بدْرِ

وقَدْ غَبرَ العَجْلانُ حِيناً، إذا بكى ... على الزّادِ، ألْقَتْهُ الوليدَةُ في الكَسْرِ

فيُصْبحُ كالخُفّاشِ يَدْلُكُ عَيْنَهُ ... فقُبِّحَ مِنْ وَجْهٍ لئيم ومَنْ حَجْرِ

وكُنْتُم بَني العَجْلانِ ألأمَ عِنْدَنا ... وأحْقَرَ مِن أن تشهدوا عاليَ الأمْرِ

بني كُلِّ دَسْماء الثّياب كأنّما ... طلاها بنو العَجْلانِ مِن حُمَمِ القِدرِ

تَرَى كعْبَها قد زالَ مِن طولِ رَعيِها ... وَقاحَ الذُّنابى بالسّويّةِ والزِّفْرِ

وإن نَزَلَ الأقْوامُ مَنْزِلَ عِفّةٍ ... نَزَلْتُمْ بَني العَجْلانِ مَنزِلَةَ الخُسرِ

وشارَكَتِ العجلانُ كعباً ولمْ تكُنْ ... تُشارِكُ كَعباً في وفاءٍ ولا غَدْرِ

ونَجّى ابنَ بَدْرٍ رَكضُهُ مِنْ رماحِنا ... ونَضّاحَةُ الأعطافِ مُلهَبةُ الحُضرِ

إذا قُلتُ نالَتْهُ العوالي، تقاذفَتْ ... بهِ سَوْحقُ الرّجلَينِ صائِبَةُ الصَّدْرِ

كأنّهما والآلُ يَنجابُ عَنهُما ... إذا انغَمسا فيهِ يَعومانِ في غَمْرِ

يُسِرُّ إلَيها، والرّماحُ تَنُوشُهُ: ... فدىً لكِ أُمّي، إن دأبتِ إلى العَصرِ

فظَلَّ يُفَدِّيها، وظَلَّتْ كأنّها ... عُقابٌ، دعاها جُنحُ لَيْلٍ إلى وَكرِ

كأنَّ بِطُبْيَيْها ومَجرى حِزامِها ... أداوايَ تَسُحُّ الماءَ مِنْ حَوَرٍ وُفْرِ

رَكُوبٌ على السّوءاتِ قَدْ شَنَّمَ استَه ... مُزاحمَةُ الأعداء والنَّخسُ في الدُّبْرِ

فطاروا شِقاقاً لاثْنَتَيْنِ فعامِرٌ ... تَبيعُ بَنيها بالخِصافِ وبالتَّمْرِ

وأمّا سُلَيْمٌ، فاستَعاذَتْ حِذارَنا ... بحَرَّتِها السَّوْداءِ والجَبلِ الوَعْرِ

تَنِقُّ بلا شيءٍ شُيوخُ مُحارِبٍ ... وما خِلتُها كانَتْ تَريشُ ولا تَبري

ضَفادعُ في ظَلْماءِ لَيْلٍ تجاوَبَتْ ... فدَلَّ علَيْها صَوْتُها حيّةَ البَحْرِ

⇐

⇐ ونحنُ رفَعْنا عَنْ سَلولٍ رِماحَنا … وعَمْداً رَغِبْنا عَنْ دماء بني نَصْرِ
ولَوْ بِبَني ذُبْيانَ بَلَّتْ رِماحُنا … لقَرَّتْ بهمْ عَيْني وباءَ بهِمْ وِتْري
شفى النّفْسَ قَتْلى مِنْ سُليم وعامرٍ … ولمْ تَشْفِها قَتْلى غَنِيّ ولا جَسْرِ
ولا جُشَم شَرِّ القَبائلِ إنّها … كبَيْضِ القطا ليسوا بسودٍ ولا حُمْرِ
وما تركَتْ أسْيافُنا حينَ جُرِّدَتْ … لأعْدائنا قَيْسِ بنِ عَيْلانَ مِنْ عُذْرِ
وقَدْ عَرَكَتْ بابْني دُخانٍ فأصبَحا … إذا ما احزَألّا مِثْلَ باقيَةِ البَظْرِ
وأدْرَكَ عِلْمي في سُواءَةَ أنّها … تُقيمُ على الأوْتارِ والمشْرَبِ الكَدْرِ
وظَلَّ بَجِيسُ الماء مِنْ مُتَقَصِّدٍ … على كُلِّ حالٍ مِنْ مذاهِبِهِ يَجْري
فأُقْسِمُ لَوْ أدْرَكْنَهُ لقَذَفْنَهُ … إلى صَعْبَةِ الأرْجاء مُظْلَمَةِ القَعْرِ
فوَسّدَ فِيها كفَّهُ أوْ لحجّلَتْ … ضِباعُ الصَّحاري حَوْلَهُ غيرَ ذي قبرِ
لعَمْري لقَدْ لاقَتْ سُلَيْمٌ وعامِرٌ … على جانبِ الثَّرْثاء راغِيَةَ البَكْرِ
أعِنّي أميرَالمؤمنين بنائِلٍ … وحُسْنِ عطاء، ليْس بالرَّيِّثِ النَّزْرِ
وأنْتَ أميرالمؤمنين وما بِنا … إلى صُلْحِ قَيْسٍ يابنَ مَرْوان مِن فَقْرِ
فإنْ تكُ قيسٌ، يابْنَ مرْوان بايعَتْ … فقَدْ وَهِلَتْ قيسٌ إليك، مِن العُذْرِ
على غيرِ إسلامٍ ولا عَنْ بَصيرَةٍ … ولكنّهُمْ سِيقوا إليكَ على صُغْرِ
ولمّا تَبَيّنّا ضَلالَةَ مُصْعَبٍ … فتَحْنا لأهْلِ الشّامِ باباً مِنَ النّصْرِ
فقَدْ أصْبَحَت مِنّا هَوازِنُ كُلُّها … كواهي السُّلامى، زِيد وقْراً على وَقْرِ
سَمَوْنا بِعِرْنينٍ أشمَّ وعارِضٍ … لنَمْنَع ما بينَ العِراقِ إلى البِشْرِ
فأصْبَحَ ما بَينَ العِراقِ ومَنْبجٍ … لتَغْلِبَ تَرْدى بالرُّدَيْنِيَةِ السُّمْرِ
إلَيْكَ أميرَالمؤمنينَ نَسيرُها … تخُبُّ المطايا بالعَرانينِ مِنْ بَكْرِ
برأسِ امرئٍ دَلّى سُلَيماً وعامِراً … وأوْرَدَ قَيْساً لُجَّ ذي حَدَبٍ غَمْرِ
فأسْرَين خَمساً، ثمَّ أصبحنَ غُدوَةً … يُخَبِّرْنَ أخْباراً ألذَّ مِنَ الخَمْرِ
تَخَلَّ ابنَ صَفّارٍ فلا تذْكُرِ العُلى … ولا تَذْكُرَنْ حَيّاتِ قومِكَ في الذِّكْرِ

⇐

ضَفَادِعُ في ظَلْماءِ لَيلٍ تَجَاوَبَتْ　　فَدَلَّ عَلَيها صوتُها حَيَّةَ الْبَحْرِ

فقال: «ـ أصلحكَ اللهُ ـ أضلّوا البارحة بُرْقُعاً، وكانوا في طلبه» أراد قول القائل:

لِكُلِّ هِلالِيٍّ مِنَ اللُّؤْمِ بُرْقُعٌ [(١)]　　ولابـن يـزيدَ بُـرْقُعٌ وَجِـلالُ

⇐ فَـقَدْ نَـهَضَتْ لِلتَّغْلِبِيِّين حَـيَّةٌ　　كَـحيَّةِ مُـوسَى يَـوْمَ أُيِّـدَ بِـالنَّصْرِ

يُـخَبِّرُنَا أنَّ الأراقِـمَ فَـلَّقُوا　　جَـماجمَ قَـيْسٍ بَـيْنَ راذانَ فـالحَضْرِ

جَـماجمَ قَـوْمٍ لمْ يَـعافُوا ظُـلامَةً　　ولمْ يَـعْلَمُوا أيْـنَ الوفـاءُ مِـنَ الغَـدْرِ

(١) **قوله: «لِكُلِّ هِلالِيٍّ مِنَ اللُّؤْمِ بُرْقُعٌ»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المحذوف، والقائل يهجو عبدالله بن يزيد الهلالي ـ كما في «عقود الدّرر» للعامليّ ـ. قال الجاحظ في كتاب «البيان والتّبيّن»: ودخل رجل من مُحَارِبِ قيسٍ على عبدالله بن يزيد الهِلاليّ وهو عامل على «أرمينيّة» وقد باتَ في موضعٍ قريبٍ منه غدير فيه ضفادع، فقال عبدالله للمحاربيّ: ما تَرَكَنا أشياخ بني مُحَارِبٍ نَنَامُ في هذه اللّيلة لشدّة أصواتها، فقال المحاربيّ: أَصْلَحَ اللهُ الأمير، إنّها أَضَلَّتْ بُرقُعاً لها فهي في بُغَائه أراد الهلاليّ قول الأخطل:

تَـنِقُّ بـلا شـيءٍ شـيوخُ مُـحَارِبٍ　　وما خِلْتُهَا كانت تَرِيْشُ ولا تَبْرِي

ضفادعُ في ظلماءِ ليلٍ تـجاوبت　　فـدلّ عـليها صـوتها حـيّةَ البـحر

وأراد المحاربيّ قول الشّاعر:

لكـلّ هِـلاليٍّ مـن اللـؤم بـرقع　　ولابـن يـزيد بـرقع وقـميصُ

وأورد مثله ابن عبد ربّه في «العقد الفريد» والرّاغب في «المحاضرات».

وقال ابن عبد ربّه في «العقد الفريد»: قال المأمون ليحيى بن أكثم: أَخْبِرْني من الّذي يقول:

قاضٍ يَرَى الحَدَّ في الزّناء ولا　　يَرَى على من يَلُوْطُ من بَاسِ

قال: يقول الّذي يقول:

لا أحسب الجـور يـنقضي وعـلى الـ　　ـأُمّـة والٍ مـن آل عـبّاسِ

وأشار المأمون إلى بيتي أبي حكيمة راشد بن إسحاق الكاتب:

وكـنّا نـرجّـي أن نـرى العـدلَ ظـاهراً　　فأعـقبنا بـعد الرَّجَـاءِ قُـنُوط

⇐

⇐ متى تصلح الدّنيا ويصلح أهلها وقاضي قُضَاة المسلمين يَلُوْطُ

وأشار يحيى بن أكثم قاضي بني العبّاس إلى أبيات أحمد بن أبي نعيم:

أنطقني الدّهر بعد إخراس بحادثاتٍ أطلن وسواسي
قاضٍ يرى الحدّ في الزّناء ولا يرى على مَنْ يلوطُ من باسِ
أميرنا يرتشي وحاكمنا يلوطُ والرَّأْسُ شرّ ما رَاسِ
ما إن أرى الجور ينقضي وعلى الـ ـأُمّة والٍ من آل عبّاس

وقال ابن خلّكان في ترجمة يحيى بن أكثم من «وفيات الأعيان» ناقلاً عن تاريخ الخطيب:

أنطقني الدَّهْرُ بعد إخراس لنائباتٍ أَطَلْنَ وَسْوَاسي
يا بُؤْسَ للدّهر لا يزال كما يرفع ناساً يَحُطُّ من نَاسِ
لا أَفْلَحَتْ أُمَّةٌ وحُقَّ لها بطول نَكْسٍ وطُوْلِ إتْعَاسِ
ترضى بيحيى يكون سائِسَهَا وليس يحيى لها بِسَوَّاسِ
قاضٍ يرى الحَدَّ في الزّناءِ ولا يرى على من يلوطُ من باسِ
يحكم للأمرد الغرير على مثل جريرٍ ومثل عبّاسِ
فالحمد للّه كيف قد ذهب الـ ـعدلُ وقَلَّ الوفاءُ في النّاسِ
أميرنا يرتشي وحاكمنا يلوط والرّأس شرّ ما رَاسِ
لو صلح الدّين فاستقام لقد قام على النّاس كلّ مقياس
لا أحسب الجور ينقضي وعلى الـ ـأُمّة والٍ من آل عبّاس

وذكر القصّة أيضاً الثعالبي في الباب الثّامن من «ثمار القلوب».

وروى ابن دريد في كتاب «الأمالي» عن أبي حاتم عن العُتْبِيّ عن أبيه أنّه عُرِضَ على معاوية فَرَسٌ وعنده عبدالرّحمن بن الحكم بن أبي العاصي، فقال: كيف ترى هذا الفرس يا أبا مطرف؟ قال: «أراه أَجَشَّ هزيماً». قال معاوية: «أجل لكنّه لا يطّلع على الكنائن». قال ابن دريد: أراد عبدالرّحمن التّعريض بمعاوية بما قاله النّجاشيّ يوم «صِفّين»:

⇐

﴿فصلٌ﴾

من الخاتمة في حسن الابتداء، والتّخلّص، والانتهاء.

[مواضع ينبغي التأنّق فيها]

﴿**ينبغي للمتكلّم**﴾ شاعراً كان أو كاتباً ﴿**أن يتأنّق**﴾ أي: أن يفعل فعل المُتَأَنِّقِ في الرِّياض ـ من «تَتَبَّعَ الآنَقَ والأحسن» ـ يقال: «تأنّق في الرّوضة» ـ إذا وقع فيها متتبّعاً لِمَا يُوْنِقُهُ، أي: يُعْجِبُهُ ـ ﴿**في ثلاثة مواضع من كلامه، حتّى تكون**﴾ تلك المواضع الثّلاثة ﴿**أعذب لفظاً**﴾ بأن يكون في غاية البُعد من التّنافر والثِّقَلِ.

﴿**وأحسَنَ سَبْكاً**﴾ بأن يكون في غاية البُعد من التّعقيد والتّقديم والتّأخير المُلْبِس، وأن تكون الألفاظ متقاربة في الجَزَالة والمَتَانة، والرِّقّة والسَّلَاسة، وتكون المعاني مناسبة لألفاظها، من غير أن يُكْسَى[1] اللّفظُ الشّريفُ المعنى السّخيف، أو على العكس، بل يصاغان صِيَاغَةَ تناسبٍ وتلاؤُمٍ.

﴿**وأصحّ معنىً**﴾ بأن يَسْلَمَ من التّناقض، والامتناع، ومخالفة العُرْف، والابتذال، ونحو ذلك.

وممّا يجب المحافظة عليه أن يستعمل الألفاظ الرّقيقة[2] في ذكر الأشواق،

⇐ ونَجَّى ابنَ حَرْبٍ سابحٌ ذو عُلَالَةٍ ... أَجَشُّ هَزِيْمٌ والرِّمَاحُ دَوَانِي
إذا قُلْتُ أطراف الرّماح تنوشه ... مرته له السّاقان والقَدَمَانِ

ومعاوية عرّض بعبدالرّحمن أيضاً لأنّ عبدالرّحمن كان يتّهم بنساء إخوته.

وذكر مثلها أبوالفرج في أخبار عبدالرّحمن ونسبه من كتاب «الأغاني» وروايته: «إذا خلت أطراف الرّماح تناله» ولا فرق في الباقي.

(١) وفي نسخة: «يَكْتَسِيَ».

(٢) وفي النّسخ: «الدّقيقة» بالدّال المهملة، وهو غير مضبوط، يقال: «لفظ رقيق، ومعنىً دقيق».

ووصف أيّام البِعاد، وفي استجلاب المودّات، وملاينات الاستعطاف، وأمثال ذلك.

[الموضع الأوّل]

﴿**أحدها: الابتداء**﴾ لأنّه أوّل ما يَقْرَعُ السَّمْعَ، فإن كان عَذْباً، حَسَنَ السَّبك، صحيحَ المعنى، أقبل السّامع على الكلام فوعىٰ جميعه، وإلّا أعرض عنه ورَفَضَه، وإن كان الباقي في غاية الحسن.

فالابتداء الحسن في تذكار الأحبّة والمنازل ﴿**كقوله**﴾ أي: قول امرئ القيس:

﴿**قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرىٰ حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ**﴾[1] **بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمِلِ**

«السِّقْطُ» منقطع الرّمل حيث يدقّ، و«اللِّوى» رَمْل معوّج يلتوي «الدَّخول» و«حَوْمَل» موضعان، والمعنى: «بين أجزاء الدَّخُوْل» فيصير «الدَّخول» كاسم الجمع[2] ـ مثل «القوم» ـ وإلّا لم يصحّ الفاء[3].

---

(١) **قوله: «قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرىٰ حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المماثل، والقائل امرؤ القيس من مطلع المعلّقة وقد تقدّم قبل ذلك.

(٢) وهو الّذي ليس له مفرد من لفظه مثل «القوم» و«الرّهط» وقد شرحت الفرق بينه وبين الجمع وبين اسم الجنس في حاشية «شرح النّظام» فراجعها.

(٣) قال الجَرْميّ: لا تفيد الفاء التّرتيب في البِقاع ولا في الأمطار بدليل قوله: «بين الدَّخول فحومل» وقولهم: «مُطِرْنَا مكان كذا فمكان كذا» وإن كان وقوع المطر فيهما في وقتٍ واحدٍ. وقيل: الفاء في البيت بمعنى الواو، وزعم الأصمعيُّ أنّ الصّواب روايته بالواو؛ لأنّه لا يجوز: «جلست بين زيد فعمروٍ» وأجيب: بأنّ التّقدير «بين مواضع الدَّخول فمواضع حومل» كما يجوز «جلست بين العلماء فالزّهّاد» وقال بعض البغداديين: الأصل «مابين» فحذف «ما» دون «بين» قال ابن هشام: ويحتاج على هذا القول إلى أن يقال: وصحّت إضافة «بين» إلى «الدّخول» لاشتماله على مواضع، أو لأنّ التّقدير: «بين مواضع الدّخول».

⇐

وقدح بعضهم في هذا البيت بما فيه من عدم التّناسب؛ لأنّه وقف، واستوقف، وبكى، واستبكى، وذكر الحبيب، والمنزل، في نصف بيتٍ، عَذْبِ اللّفظ، سَهْلِ السَّبْك، ثمّ لم يتّفق له ذلك في النّصف الثّاني، بل أتى فيه بمعانٍ قليلة في ألفاظ غريبة، فباين الأوّل.

وأحسن من هذا بيت النّابغة:

كِلِينِي لِهَمٍّ ـيا أُمَيْمَةُ ـناصِبِ[1]   وَلَيلٍ أُقاسِيهِ بَطِيء الكَواكِبِ

⇐ وكون الفاء للغاية بمنزلة «إلى» غريب، وقد يستأنس له عندي بمجيء عكسه في نحو قوله:

وأنتِ الّتي حَبَّبْتِ «شغباً» إلى «بدا»   إليّ وأوطاني بِلاد سواهما

إذ المعنى: «شغباً فبدا» وهما موضعان، ويدلّ على إرادة التّرتيب قوله بعده:

حَلَلْتِ بهذا حلَةً، ثمّ حَلَّةً   بهذا، فطابَ الواديانِ كلاهُمَا

وهذا معنى غريب؛ لأنّي لم أرَ من ذكره اهـ.

(١) **قوله: «كِلِيني لِهَمّ يا أُمَيْمَة ناصِبِ»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المقبوض، والقائل النّابغة الذُّبياني من قصيدة يمدح بها عمرو بن الحارث الغسّاني بعد أن هرب إلى دمشق لمّا بلغه أنّ مرّة بن قريع وَشَى به إلى النُّعمان بن المنذر ملك الحيرة في أمر المتجرّدة، يقول فيها:

كِلِيْني لِهَمّ يا أُمَيْمَة ناصِبِ   وليلٍ أُقَاسِيْهِ بطيء الكواكِبِ

تطاول حتّى قلتُ ليس بِمُنْقَضٍ   وليس الّذي يرعى النُّجُومَ بآيِبِ

وصدرٍ أراح اللّيْلُ عازِبَ هَمِّهِ   تضاعَفَ فيه الحُزْنُ من كُلِّ جانِبِ

قال:

ولا عيبَ فيهم غير أنّ سُيُوفَهُمْ   بهنّ فُلُوْلٌ من قِراعِ الكتائِبِ

تُوَرِّثْنَ من أزمان يوم حليمةٍ   إلى اليومِ قد جُرِّبْنَ كلّ التَّجارِبِ

قال:

⇐

﴿ وكقوله ﴾ أي: وحسن الابتداء في وصف الدّيار كقول أَشْجَعَ السُّلَمِيّ:

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيّة وسَلامٌ[1] خَلَعَتْ عَلَيْهِ جَمالها الأيّامُ

⇐ رِقَاقُ النِّعَالِ طيّب حُجُزَاتُهم يُحَيَّوْنَ بالرَّيْحَانِ يوم السَّبَاسِبِ
تُحَيِّيهِمْ بِيْضُ الوَلَائِدِ بينهم وأَكْسِيَةُ الإضْرِيجِ فوق المَشَاجِبِ
يصونون أجساداً قديماً نَعِيْمُهَا بخالصةِ الأَرْدَانِ، خُضْرِ المَنَاكِبِ
ولا يَحْسَبُوْنَ الخَيْرَ لا شَرَّ بعده ولا يَحْسَبُوْنَ الشَّرَّ ضربة لازِبِ

* * *

(١) **قوله: «قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيّة وسَلام»**. البيت من الكامل على العروض المقطوعة مع الضّرب المشعّث، والقائل أشجع بن عمرو السُّلَمِيّ أبو الوليد من بني سليم من قيسِ عَيْلَان المتوفّى سنة ١٩٥هـ من قصيدةٍ طويلةٍ أنشدها بين يدي هارون الرّشيد ـ لعنه الله ـ لمّا دخل عليه في قصرٍ لَهُ بـ«الرَّقّة»:

قَصْرٌ عليه تحيّةٌ وسَلامٌ نَشرَتْ عليه جَمَالَهَا الأَيَّامُ
فيه اجتلى الدُّنيا الخليفةُ والتقَتْ للمُلْكِ فيه سلامة ودَوَامُ
قَصْرٌ سُقُوفُ المُزْنِ دون سُقُوفِهِ فيه لأعلامِ الهُدَى أَعْلَامُ
نَشَرَتْ عليه الأرضُ كِسْوَتَها الّتي نَسَجَ الرَّبِيْعُ وزَخْرَفَ الإرْهَامُ
كانت كُنُوْزَ مآثِرٍ فأثارها مَلِكٌ على آرائه عَزَّامُ
مَنْ لِيَ بالعَصْرَيْنِ يَعْتَوِرانِني والعامُ يدفَعُ في قَفَاهُ العامُ
أَدْنَتْكَ من ظِلِّ النّبيّ وصيّةٌ وَقَرَابَةٌ وَشَجَتْ بها الأَرْحَامُ
برقت سماؤك في العدوّ فَأَمْطَرَتْ هاماً لها ظلّ السُّيُوف غمامُ
رأيُ الإمامِ وعزمُهُ وحُسَامُهُ جُنْدٌ وراء المسلمين قِيَامُ
وإذا سيوفُكَ صافَحَتْ هام العِدَى طارَتْ لهنّ عن الرّؤوسِ الهامُ
أثنى على أيّامك الأيّامُ والشّاهدان الحِلُّ والإحرامُ
وَصَلَتْ يداك السّيف حين تعطّلَتْ أيدي الرّجالِ وزَلّتِ الأقدامُ
وعلى عدوّك يابن عمّ محمّدٍ رَصَدانِ ضوءُ الصُّبْحِ والإظْلَامُ
⇐

في «الأساس»[(١)]: «خلع عليه» ـ إذا نزع ثَوْبَه وطَرَحه عليه ـ.

وفي ذكر الفِراق قول أبي الطَّيِّب:

فِراقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غير مُذَمَّمِ[(٢)] وَأَمٌّ وَمَنْ يَمَّمْتُ خَيْرُ مُيَمَّمِ

وفي الشّكاية أيضاً:

فُؤاد ما تُسَلِّيهِ المُدامُ[(٣)] وَعُمْرٌ مِثْلُ ما تَهَبُ اللِّئامُ

⇐ فإذا تنبّه رُعْتَهُ وإذا غفا سلَّتْ عليه سيوفك الأحلامُ

فقال الرّشيد ـ لعنه الله ـ: هكذا فليمدح الملوك.

(١) وهذا نصّ الزّمخشريّ في «أساس البلاغة» ١٧٢: «خلع الرّجل ثوبه ونعله» و«خلع الفرس عِذاره» و«خَلَعَ عليه» ـ إذا نزع ثوبه وطرحه عليه ـ و«كَسَاهُ الخِلْعَةَ» و«الخِلَع» اهـ.

(٢) **قوله: «فِراقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غير مُذَمَّمِ»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المشابه، والقائل المتنبّي من قصيدة طويلةٍ تقدّم نقلها، ومنها:

فراق ومن فارقتُ غيرُ مذمَّمِ وأَمّ ومَنْ يَمَّمْتُ خيرُ مُيَمَّمِ

وما منزِلُ اللَّذَّاتِ عندي بمنزِلٍ إذا لم أُبَجَّلْ عنده وأُكَرَّمِ

سجيّة نفسٍ ما تزالُ مُلِيْحَةً من الضَّيْمِ مَرْمِيّاً بها كُلُّ مَخْرَمِ

رَحَلْتُ فكم باكٍ بأجفانِ شَادِنٍ عَلَيَّ وكم باكٍ بأَجْفَانِ ضَيْغَمِ

قال:

إذا ساء فعلُ المرء ساءَتْ ظُنُونُهُ وصَدَّقَ ما يعتاده من تَوَهُّمِ

* * *

(٣) **قوله: «فُؤاد ما تُسَلِّيهِ المُدامُ»**. البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب المماثل، والقائل المتنبّي من قصيدةٍ تقدّم نقلها قبل ذلك يقول فيها:

فُؤادٌ ما تُسَلِّيهِ المُدَامُ وعمرٌ مثلُ ما تَهَبُ اللِّئَامُ

ودهرٌ ناسُهُ ناسٌ صِغار وإن كانت لهم جُثَثٌ ضِخَامُ

وما أنا مِنْهُمُ بالعيش فيهم ولكن معدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامُ

⇐

وفي الغَزَل أيضاً قوله:

أريقُكِ أمْ ماءُ الغَمامَةِ أمْ خَمْرُ[١] بِفيَّ بَرُودٌ وَهْوَ فـي كَـبِدي جَـمْرُ

⇒ أرانِبُ غـيرَ أنّـهم مـلوكٌ مـفتّحةٌ عُـيُوْنُهُمُ نِـيَامُ

قال:

وشِـبْهُ الشّـيء مُنْجَذِبٌ إليـه وأشـبهنا بـدنيانا الطَّـغَامُ
ولم أرَ مثل جـيرانـي ومـثلي لمـثلي عـند مـثلهم مُـقَامُ
بأرضٍ ما اشتهيت رأيت فيها فـليس يَـفُوْتُهَا إلّا الكِـرامُ
فهلّاكان نـقصُ الأهْـلِ فـيها وكـان لأهـلها مـنها التَّـمَامُ

وهي طويلة لا حاجة إلى تكرار الباقي.

(١) **قوله**: «**أريقُكِ أمْ ماءُ الغَمامَةِ أمْ خَمْرُ**». البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب التّامّ، والقائل المتنبّي من قصيدةٍ طويلةٍ يمدح بها أبا أحمد عبيدالله بن يحيى البحرانيّ المنبجيّ حيث يقول:

أرِيْـقُكِ أم مـاءُ الغَـمَامَةِ أم خَـمْرُ بـفيَّ بَـرُوْدٌ وهـو فـي كَـبِدِي جَـمْرُ
أذَا الغُصْنُ أم ذا الدَّعـص أم أنت فـتنة وذَيَّـا الّـذي قَـبَّلْتُهُ البـرقُ أم ثَـغْرُ
رَأَتْ وجهَ مَـنْ أهْـوَى بـليلٍ عـواذلي فقُلْنَ نَـرَى شَـمْساً ومـا طلع الفَـجْرُ
رَأَيْـنَ الّـتي للسّـحر فـي لحظاتها سُـيُوفٌ ظُـبَاهَا مـن دَمِـي أبـداً حُـمْرُ
تَنَاهَى سُكُونُ الحُسْنِ فـي حـركاتها فـليس لِـرَاءٍ وَجْـهَهَا لَـمْ يَـمُتْ عُـذْرُ
إليك ابنَ يحيى بن الوليـد تـجاوزَتْ بي البِيْدَ عِـيْسٌ لحـمها والدَّمُ الشِّـعْرُ
نَـضَحْتُ بـذكراكـم حـرارةَ قـلبها فسارَتْ وطول الأرض في عينها شِبْرُ
إلى لَيْثِ حـربٍ يُـلْجِمُ اللّـيثَ سـيفُهُ وبحرِ نَدىً فـي مَـوْجِهِ يَـغْرَقُ البَـحْرُ
وإن كـان يُـبْقِي جُـوْدُهُ مـن تـليده شبيهاً بما يُـبْقِي مـن العـاشق الهَـجْرُ
فـتىً كـلّ يـومٍ تـحتوي نَـفْسَ مالِهِ رِمـاحُ المـعالي لا الرُّدَيْـنِيَّةُ السُّـمْرُ
تـباعَدَ مـا بـين السَّـحاب وبـينه فـنائِلُهَا قَـطْرٌ ونـائِلُهُ غَـمْرُ
ولو تـنزِلُ الدُّنـيا عـلى حكم كـفّه لأصـبحت الدُّنـيا وأكـثرها نَـزْرُ

⇐

﴿ وينبغي أن يجتنب في المديح ما يتطيّر به ﴾ أي: يُتَشَاءَمُ ﴿كقوله ﴾ أي: قول أبي مُقَاتل الضّرير[1] في مطلع قصيدة أنشدها للدّاعي العلويّ: ﴿ مَوْعِدُ أحبابِكَ بالفُرْقَةِ غَدْ ﴾[2] فقال له الدّاعي: «موعِدُ أحبابِكَ يا أعمى ولك المَثَلُ السَّوْءُ».

ورُوي أيضاً أنّه دخل على الدّاعي يوم المِهْرَجَان وأنشده:

لا تَقُلْ بُشرىٰ ولٰكِنْ بُشْرَيَانِ[3]   غُرَّةُ الدّاعي ويَوْمُ المِهْرَجانِ

⇐ أراه صغيراً قدرَها عُظْمُ قَدْرِهِ   فما لعظيم قدرُهُ عنده قَدْرُ
متى ما يُشِر نحو السَّمَاءِ بوجهه   تَخِرَّ له الشِّعْرَى وينخسف البَدْرُ
تَرَ القَمَرَ الأرضيّ والمَلِكَ الّذي   له المُلْكُ بعد الله والمَجْدُ والذِّكْرُ
كثير سُهَادِ العين من غير علّةٍ   يُؤَرِّقُهُ فيما يشرّفه الفِكْرُ
له مِنَنٌ تُفْني الثَّنَاءَ كأنّما   به أقسمت أن لا يؤدَّى لها فِكْرُ
أبا أحمدٍ ما الفخر إلّا لأهله   وما لامرئٍ لم يُمْسِ من بُحْتُرٍ فَخْرُ
هُمُ النَّاسُ إلّا أنّهم من مكارمٍ   يُغَنّي بهم حَضْرٌ ويحدو بهم سَفْرُ
بمن أضرِبُ الأمثالَ أم من أقيسه   إليك وأهلُ الدَّهْرِ دونك والدَّهْرُ

* * *

(١) قوله: «أبي مقاتل الضّرير». هو نصر بن نصير الحُلْواني الشّاعر المشهور شاعر الدّاعي أبي محمّد الحسن بن زيد الحسني الحسينيّ. قال البديعيّ في كتاب «الصّبح المنبي»: كان شاعراً للحسن بن زيد بن محمّد من أولاد زيد بن عليّ واستولى على «طبرستان» وما يليها في خلافة المستعين -لعنه الله- ويسمّى بالدّاعي الأكبر، وقد ولي الأمر بعده أخوه محمّد بن زيد إلى أن قتل بـ«جرجان» ٢٧٠هـ -كما ذكره ابن الأثير في كتاب «الكامل»- في رجب وكانت ولايته تسع عشرة سنةً وثمانية أشهر وستّة أيّام.

(٢) قوله: «موعد أحبابك بالفرقة غَدْ». المصراع من الرَّجز والقائل أبو مقاتل الضّرير من قصيدة في مدح الدّاعي لم نعثر على تمامه.

(٣) قوله: «لا تَقُلْ بُشرىٰ ولٰكِنْ بُشْرَيَان». البيت من نادر الرَّمَل، والقائل أبو مقاتل الضّرير وقد تقدّم نقلها في الباب الثّامن من «علم المعاني» بطولها عن كتاب «نسمة السّحر» فراجعه.

فتطيّر به الدّاعي وقال: أعمى تبتدء بهذا يوم المِهْرَجان؟ وقيل[١]: بَطَحه ـ أي: ألقاه على وجهه ـ وضربه خمسين عَصاً، وقال: إصلاح أدبه أبلغ من ثوابه.

[براعة الاستهلال]

﴿**وأحسنه**﴾ أي: أحسن الابتداء ﴿**ما ناسب المقصود**﴾ بأن يكون فيه إشارة إلى ما سبق الكلام لأجله، ليكون الابتداء مشعراً بالمقصود والانتهاء ناظراً إلى الابتداء.

﴿**ويُسمّى**﴾ كون الابتداء مناسباً للمقصود ﴿**براعة الاستهلال**﴾ من «بَرَعَ[٢] الرّجل، بَرَاعةً» ـ إذا فاق أصحابه في العلم وغيره ـ ﴿**كقوله في التّهنئة**﴾ أي: قول أبي محمّد الخازن يهنّئ الصّاحب بولدٍ لابنته:

﴿**بُشْرىٰ فَقَدْ أَنْجزَ الإِقْبَالُ مَا وَعَدَا**﴾[٣] **وكَـوْكَبُ المَـجْدِ فِـي أُفْـقِ العُـلىٰ صَـعِدا**

---

(١) هذا القول وضعه العُمَريّون اللُّعَنَاء تنقيصاً لآل عليّ ـ عليه السّلام ـ وكذبوا ـ لعنهم الله ـ لأنّ صاحب الدِّرَة والعصا هو صاحبهم حتّى اشتهر ـ كما في «ثمار القلوب» ـ: «دِرّة عمر أهيَبُ من سيف الحجّاج» والعلويّون لم يستخدموا السّوط والعصا لضرب الحيوان فَضلاً عن الإنسان وهكذا أدّبهم جدّهم رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وأبوهم أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ وقد روينا قبل ذلك أنّه لما أنشده القصيدة قال: لو قدّمت المِصْراع الثّاني لكان أفضل، وأجاب الشّاعر بأنّ أفضل كلمة على وجه الأرض هي كلمة التّوحيد وهي مبدوءة بـ«لا». فاستحسنه الدّاعي وأجازه ـ رحمه الله ـ.

(٢) «بَرَعَ، يَبْرَعُ، بَرَاعَةً» من باب «نفع» ومن باب «شَرُفَ» أيضاً.

(٣) **قوله: «بُشْرىٰ فَقَدْ أَنْجزَ الإِقْبَالُ مَا وَعَدَا»**. البيت من البسيط على العروض المخبونة مع الضّرب المشابه، والقائل أبو محمّد لخازن من قصيدةٍ يهنّئ بها الصّاحب بن عبّاد بولد بنته، وذلك أنّه زوّج بنته من الشّريف عليّ الحسنيّ فأولدها ولداً سمّاه عَبَّاداً وكنّاه أبا الحسن ولمّا بلغه الخبر قال:

أحـــمد الله لبشـــرى أقــبلت عــند العشــيّ

⇐

⇐ مرحباً ثمّة أهلاً … بغلام هاشميّ
نبويّ علويّ … حَسَنيّ صاحبيّ

ثمّ قال:

الحمد للّه حمداً دائماً أبدًا … إذا صار سبط رسولِ اللهِ لي وَلَدا

فقال أبو محمّد الخازن على وزنه ورويّه قصيدة يقول فيها:

بُشْرَى فقد أنجز الإقْبَالُ ما وَعَدا … وكوكب المجد في أُفْق العُلاَ صَعِدا
وقد تفرّع في أرض الوِزارة عن … دَوْح الرِّسالة غُصْنٌ مُوْرِقٌ رَشَدا
للّه آيةُ شمسٍ للعُلاَ وَلَدَتْ … نجماً وغابة عَزٍّ أطلعت أَسَدا
وعُنْصُرٌ من رسول الله واشجة … كريم عنصر إسماعيل فاتّحدا
وبَضْعة من أميرالمؤمنين زَكَتْ … أصلاً وفرعاً وصَحَّتْ لُحْمَةً وسُدَى
ومثل هذي السّعادات القويّة لا … يحوزها غيره دامت له أَبَدا
يا دهره حُقَّ أن تزهى بمولده … فمثله منذ كان الدّهر ما وُلِدا
تعجّبوا من هلال العيد يطلع في … شعبانَ أمرٌ عجيبٌ قَطُّ ما عُهِدا
فمن مُوالٍ يُوالِي الحمدَ مُبْتَهِلا … ومخلصٍ يستديم الشّكر مجتهدا
وكادت الغادة الهَيْفَاءُ من طَرَبٍ … تُعْطِي مُبَشِّرَهَا الأَهْيَافَ والغَيَدا
فلا رعى الله نفساً لم تَسُرَّ بها … ولا وقاها وغَشَّاها رِداء رَدَى
وذي ضغائن طارت روحه شَفَقاً … منه وطاحت شظايا نفسِه قِدَدَا
عِلْماً بأنّ الحُسام الصّاحبيّ غَدَا … مجرّداً والشِّهَابَ الفاطميّ بَدَا
وأنّه انسَدَّ شعب كان منصدِعا … به، وأمرع شعبٌ كان مُحتصِدا
وأرفع المجد أعياناً وأسعده … مجد يناسب فيه الوالد الولدا
فليهنأ الصّاحب المولود ولترد الـ … ـسعود تجلو عليه الفارس النَّجُدَا
لم يتّخذ ولداً إلّا مبالغةً … في صدق توحيد من لم يتّخذ ولدا

قال الثعالبيّ: ما أشرف معنى هذا البيت وأبدعه وأبرعه. أقول: وفيه ردّ العجز على ⇐

﴿ وكقوله في المرثية ﴾ أي: وقول أبي الفَرَج السّاوي في مرثية فخر الدّولة: ﴿ هِيَ الدُّنيا تقولُ بِمِلْءِ فِيها[1] * حَذارِ حَذارِ ﴾ أي: احذَرْ ﴿ مِنْ بَطْشي ﴾ أي: أَخْذِيَ الشّديد ﴿ وَفَتْكِي ﴾ أي: قتلي بغتة.

⇐ الصّدر.

أهديتها عَفْوَ طَبْعي وانتحيتُ بها	سِحْراً وإن كُنْتُ لم أنفث لها عُقَدا
وازنتُ ما قلتَهُ شكراً لربّك إذ	جَاءَ المُبَشِّرُ بيتاً سَارَ واطَّرَدَا
«أحمد للّه حمداً دائماً أبدا	إذ صار سبط رسول الله لي ولدا»

* * *

(١) قوله: «هي الدُّنيا تقول بملء فيها». البيت من الوافر على العروض المقطوفة مع الضّرب المقطوف، والقائل أبو الفَرَج السّاوِيّ في مرثية فخر الدّولة من قصيدة يقول فيها:

هي الدّنيا تقول بِمِلْء فيها	حَذَارِ حَذَارِ من بَطْشِي وفَتْكِي
فلا يَغْرُرْكُمُ حُسْنُ ابتسامي	فقولي مُضْحِكٌ والفعلُ مُبْكِي
بفخر الدّولةِ آعْتَبِرُوا فإنّي	أخذتُ المُلْكَ منه بسيف هُلْكِ
وقد كان استطالَ على البرايا	ونَظَّمَ جمعهم في سِلْكِ مُلْكِ
فلو شَمْسُ الضُّحَى جَاءَتْهُ يوماً	لقال لها عُتُوّاً أُفٍ مِنْكِ
ولو زُهْرُ النُّجُوم أَبَتْ رِضَاهُ	تأبّى أن يقول: رَضِيْتُ عنكِ
فأمسى بعد ما قَرَعَ البَرَايا	أسيرَ القبر في ضِيْقٍ وضَنْكِ
أُقَدِّرُ أنّهُ لَوْ عَادَ يوماً	إلى الدُّنيا تَسَرْبَلَ ثَوْبَ نُسْكِ
دَعِيْ يا نفسُ فِكْرَكِ في مُلُوكٍ	مَضَوْا بل لانقراضكِ ويلكِ فَآبْكِيْ
فلا يغني هلاكُ الليث شيئاً	عن الظّبي السّليب قميص مِسْكِ
هي الدّنيا أُشبّهها بشهدٍ	يسمّ وجيفة طليت بِمِسْكِ
هِيَ الدُّنيا كمثل الطِّفْلِ بَيْنَا	يُقَهْقِهُ إذ بَكَى مِنْ بَعْدِ ضِحْكِ
ألا يا قومَنَا آنْتَبِهُوْا فإنّا	نُحَاسَبُ في القِيَامَةِ دُوْنَ شَكِّ

أورده الثّعالبيّ في «اليتيمة» والبيتان الأوّلان نُسِبَا إلى أبي الفرج البَبْغَاء عبدالواحد بن نصر بن محمّد المخزوميّ من شعراء سيف الدّولة وتوفّي سنة ٣٩٨هـ.

وكقول أبي تَمَّامٍ يُهَنِّئُ المعتصم بالله في فتحْ عمُّورِيّة وكان أهل التّنجيم زعموا أنّه لا يفتح في ذلك الوقت:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ[(١)] فِي حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ وَاللَّعِبِ

بِيضُ الصَّفائحِ لا سُودُ الصَّحائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلاءُ الشَّكِّ والرِّيَبِ

وكقول ابي العلاء فيمن عَرَضَتْ له شَكَاةٌ:

عَظيمٌ لَعَمْري أنْ يُلِمَّ عَظِيمُ[(٢)] بآل علِيٍّ والأنامُ سَلِيمُ

---

(١) البيتان من البسيط على العروض المخبونة مع الضّرب الماثل، والقائل أبو تمّام وقد تقدّم تمام القصيدة قبل ذلك.

(٢) **قوله: «عَظيمٌ لَعَمْري أنْ يُلِمَّ عَظِيمٌ»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المحذوف، وعروض المطلع استعملت محذوفة للتّصريع بالضّرب ويقال له التّصريع بالنّقصان، وهو مطلع قصيدة الخامسة والعشرين من «سقط الزّند» يخاطب بها بعض العلويّين وقد عرضت له شكاة فاعتذر أبو العلاء في ترك العيادة:

عظيمٌ ـ لَعَمْري ـ أنْ يُلِمّ عظيمُ بآلِ علِيّ، والأنامُ سَليمُ

ولكِنَّهُمْ أهلُ الحَفائظِ والعُلى فَهُمْ لمُلِمّاتِ الزمانِ خُصوم

فإنْ باتَ منها فيهمُ وَعْكُ عِلّةٍ ففيها جِراحٌ منهمُ وكُلُوم

هَنيئاً لأهلِ العَصْرِ بُرْءُ محَمَّدٍ وإنْ كانَ منهمْ جاهِلٌ وعَليم

ألَدُّ بِحَدّيْ سَيْفِهِ وسِنانِهِ إذا لم يُغَلَّبْ غيرَ ذَيْنِ خَصِيم

لكَ الله! لا تَذْعَرْ وَلِيّاً بِغَضْبةٍ لعَلّ له عُذْراً وأنتَ تَلُوم

فلو زارَ أهْلَ الخُلْدِ عَتْبُكَ زوْرَةً لأوْهَمَهُمْ أنّ الجِنانَ جَحيم

إذا عَصَفَتْ بالرّوْضِ أنفاسُ ناجرٍ فأيُّ وَميضٍ للغَمامِ أشيم؟

وهل ليَ في ظِلّ النّعامِ تَقَيّلٌ إذا مَنَعَتْ ظِلَّ الأراكِ سَموم؟

وما كُنْتُ أدري أنّ مثلكَ يشْتكي ولم يَتَغَيَّرْ للرّياحِ نَسيم!

ولم تُطبِقِ الدّنيا الفِجاجَ على الوَرَى فيَهْلِكَ محمودٌ بها وذَميم

⇐

وكقول أبي الطّيّب في التَّهْنِئَةِ بِزَوَال المرض:

المجدُ عُوفِي -إذْ عُوفيتَ -وَالكَرَمُ[١] وزَالَ عَنْكَ إلى أعدائِكَ الأَلَمُ

ومنه ما يشار في ابتداء الكتب إلى الفنّ المُصَنَّفِ فيه، كقول جار الله العلّامة في «الكشّاف»[٢]: الحمد للّه الّذي أنزل القرآن كلاماً مؤلَّفاً منظَّما.

وفي «المفصّل»[٣]: اللَّهَ أَحْمَدُ أَنْ جَعَلَني من علماء العربيّة.

⇐ فإنْ نالَ منكَ السُّقْمُ حظّاً فطالما رأيتُ هِلالَ الأُفْقِ وهْوَ سَقيم
إذا أدركَ البَيْنُ السِّماكَ ظعَنْتُمُ وخُوضوا المَنايا والسِّماكُ مُقيم
فآلُ الثُّرَيّا والفَراقِدِ أنْتُمُ وإنْ شَبَهَتْكُمْ بالعِبادِ جُسوم
فإنَّ نُجومَ الأرضِ ليس بغائبِ سَناها وفي جَوِّ السماء نُجوم
فلَيْتَكَ للأفْلاك نورٌ مُخَلَّدٌ يَزُولُ بنا صَرْفُ الرّدى وتَدوم
يَراهُ بَنو الدهرِ الأخيرِ بحالِهِ كما أبصرتْهُ جُرْهُمٌ وأَميم

(١) **قوله: «المجدُ عُوفِي إذْ عُوفيتَ وَالكَرَمُ»**. البيت من البسيط على العروض المخبونة مع الضَّرْب المماثل، والقائل المتنبّي من قطعةٍ قالها في سيف الدَّولة لمّا عوفي ممّا كان به، وهي:

اَلْمَجْدُ عُوفيَ إذْ عُوفيتَ وَالكَرَمُ وَزَالَ عَنكَ إلى أعدائِكَ الألَمُ
صَحّتْ بِصِحّتكَ الغاراتُ وَابتَهَجتْ بها المكارِمُ وَانهَلّتْ بها الدِّيَمُ
وَرَاجَعَ الشّمسَ نُورٌ كانَ فارَقَها كأنّمَا فَقْدُهُ في جِسْمِهَا سَقَمُ
وَلاحَ بَرْقُكَ لي من عارِضَيْ مَلِكٍ ما يَسقُطُ الغَيثُ إلّا حينَ يَبتَسِمُ
يُسْمَى الحُسامَ ولَيستْ من مُشابَهَةٍ وَكيفَ يَشتَبِهُ المَخدومُ وَالخَدَمُ
تَفَرّدَ العُرْبُ في الدّنْيا بمَحْتِدِهِ وَشارَكَ العُرْبَ في إحسانِهِ العَجَمُ
وَأخْلَصَ اللهُ للإسْلامِ نُصْرَتَهُ وَإنْ تَقَلّبَ في آلائِهِ الأُمَمُ
وَمَا أخُصّكَ في بُرْءٍ بتَهْنِئَةٍ إذا سَلِمْتَ فكُلّ النّاسِ قد سَلِموا

(٢) الكشّاف بحاشية الجرجاني ١: ٣.

(٣) «الإيضاح في شرح المفصل» ١: ٤٧.

[الموضع الثّاني]

[التّخلّص]

﴿وثانيها﴾ أي: ثاني المواضع الثّلاثة الّتي ينبغي للمتكلّم أن يتأنّق فيها ﴿التّخلّص﴾ أي: الخروج ﴿ممّا شُبِّبَ الكلامُ به﴾ أي: ٱبْتُدِئَ وَٱفْتُتِحَ.

قال الإمام الواحِدِيّ[1]: معنى «التّشبيب»: ذكر أيّام الشَّبَاب واللَّهْوِ والغَزَل، وذلك يكون في ابتداء قصائد الشّعر فسمّي ابتداءُ كُلِّ أَمْرٍ تشبيباً، وإن لم يكن في ذكر الشّباب ﴿من نسيب﴾ أي: وصف للجمال ﴿أو غيره﴾ كالأدب والافتخار والشّكاية وغير ذلك ﴿إلى المقصود، مع رعاية المُلَاءَمَة بينهما﴾ أي: بين ما شبّب به الكلام وبين المقصود، واحترز بهذا القيد عن «الاقتضاب».

وقوله: «التّخلّص» أراد به المعنى اللّغوي، وإلّا فالتّخلّص هو الانتقال ممّا افتتح به الكلام إلى المقصود مع رعاية المناسبة.

وقوله: «ممّا شبّب الكلام» كان ينبغي أن يقول: ممّا ابتُدِئَ به الكلام أو افتتح، لأنّ «التّشبيب» هو النّسيب بعينه وهو أن يصف الشّاعر حال المرأة وحاله معها في العشق، يقال: «هو يُشَبِّبُ بفلانة» ـ أي: يَنْسِبُ بها ـ فتشبيب الكلام بالنّسيب أو نحوه ممّا لا يظهر معناه في اللغة.

---

(١) أبو الحسن عليّ بن أحمد الواحديّ النّيسابوريّ المتوفّى سنة ٤٦٨ هـ وهذا نصّه في شرح قول المتبنّي:

حتّى أصابَ من الدّنيا نِهَايَتَهَا وهَمُّهُ في ابتِداءاتٍ وتَشْبِيْبِ

: يقول: أصاب نهاية الدّنيا وهي المُلْك، لأنّ لا شيء في الدّنيا فوق المُلْك ولم يَبْلُغْ بعدُ نهايةَ همّته، فهمّته مع إصابته الملك في ابتدائها وأوّل أمرها، ومعنى التّشبيب: ذكر أيّام الشّباب واللّهو والغَزَل، وذلك يكون في ابتداء قصائد الشّعر، يُبْدَأُ به أوّلاً، هذا هو الأصل، ثُمّ يسمّى ابتداء كلّ أمرٍ تشبيباً وإن لم يكن في ذكر الشّباب.

اللّهمّ إلّا أن يقال: إنّه لمّا كان أكثر ما يفتتح به القصائد والمدائح تشبيباً ونسيباً ذكر التّشبيب وأراد مجرّد الابتداء والافتتاح[١].

وإنّما كان «التّخلّص» من المواضع الثّلاثة الّذي ينبغي للمتكلّم أن يتأنّق فيها؛ لأنّ السّامع يكون مترقّباً للانتقال من الافتتاح إلى المقصود كيف يكون، فإذا كان حسناً متلائم الطّرفين حرّك من نَشَاط السّامع وأعان على إصغاء ما بعده، وإلّا فبالعكس.

ثمّ «التّخلّص» قليل في كلام المتقدّمين وأكثر انتقالاتهم من قبيل «الاقتضاب» وأمّا المتأخّرون فقد لَهِجُوا[٢] به، لما فيه من الحُسن والدّلالة على بَرَاعة الشّاعر ﴿**كقوله**﴾ أي: قول أبي تَمَّام في عبدالله بن طاهر: ﴿**يَقُولُ فـي قُـوْمِسٍ**﴾ اسم موضع[٣] ﴿**قَوْمِي وقد أَخَذَتْ**[٤] * **مِنَّا السُّرىٰ**﴾ أي: أخذ منه، أي أثّر فيه ونقصه، و«السُّرى» مصدر «سَرَيْتُ» ـ إذا سِرْتَ ليلاً ـ يُقال: «سَرَيْنا سَرْيَةً واحِدةً» والاسم «السُّرْية» بالضمّ و«السُّرَىٰ».

وبعض العرب يؤنّث «السُّرى» و«الهُدى» ـ وهم بنو أسد ـ توهّماً أنّهما جمع

---

(١) هذه الفقرة بأكملها ساقطة من جميع النّسخ المطبوعة إلى زماننا هذا.

(٢) أي: أُوْلِعُوْا به.

(٣) قال أبو عبيد البكريّ: «قُوْمِس» بضمّ أوّله وبالميم مكسورة، بعده سين مهملة، موضع معروف ببلاد فارس، قال الجرجانيّ: إنّما هو «كُومِش» بالفارسيّة، أي: سكّة الماشية. وقال غيره معناه: موضع الماء، وهو قصبة «دامغان».

(٤) **قوله: «يقول في قومسٍ قومي وقد أخذت»**. البيت من البسيط على العروض المخبونة مع الضّرب المقطوع، والقائل أبو تمّام قال في عبدالله بن طاهر وقد خرج إليه:

يقُولُ في قُومِسٍ صَحْبي وقدْ أَخذَتْ ... بِـنَا السُّـرى وخُـطا المَـهْريَّةِ القُـودِ

أمَــطْلَعَ الشَّــمْسِ تَـنْوي أَنْ تَـؤمَّ بِـنا ... فـقلتُ كـلَّا ولكــنْ مَــطْلِعَ الجُـودِ

«سُرْية» و«هُدْية» لأنّ هذا الوزن من أبنية الجمع، ويَقِلّ في المصادر؛ كذا في «الصّحاح»[١]. ﴿وَخُطَى الْمَهْرِيَّةِ الْقُودِ﴾ «الخُطَى» جمع «خُطْوَة» وهي ما بين القدمين، والمَهْرِيّة المنسوبة إلى مَهْرَة بن حَيْدَان أبي قبيلة يُنْسَبُ إليها الإبل المَهْرِيّة، و«القُوْد» الطّويلة الظّهور والأعناق، والواحد «أَقْوَد» أي: يقول: قومي والحال أنّ مزاولة السُّرَى ومسايرة المطايا بالخُطَى قد أثّرت فينا ونقصت من قُوَانا.

فقوله: «وخُطَى المَهْرِيّة» عطف على «السُّرَى» لا على قوله: «منّا» بمعنى: أنّ السُّرى أخذت منّا وأخذت خُطَى الإبل ـ على ما يتوهّم ـ.

ومفعول «يقول» قوله: ﴿أَمَطْلَعَ الشَّمْسِ تَبْغِي أَنْ تَؤُمَّ بِنا * فَقُلْتُ كَلّا﴾ ردع للقوم وتنبيه ﴿وَلٰكِنْ مَطْلِعَ الجُودِ﴾.

وأحسن التّخلّص ما وقع في بيت واحد كقول أبي الطّيّب:

نُودِّعُهُمْ وَالْبَيْنُ فِينَا كَأَنَّهُ[٢] **قَنَا ابْنِ أبي الْهَيْجَاءِ فِي قَلْبِ فَيْلَقِ**

---

(١) قال في مادّة «سري» عند ذكر «السُّرى»: وهو مصدر، ويقلّ في المصادر أن تجيء على هذا البناء؛ لأنّه من أبنية الجمع، يدلّ على صحّة ذلك أنّ بعض العرب يؤنّث «السُّرَى» و«الهُدَى» وهم بنو أسد توهّماً أنّهما جمع «سُرْيَة» و«هُدْيَة». صحاح اللّغة ٦: ٢٣٧٦.

(٢) **قوله: «نُودِّعُهُمْ وَالْبَيْنُ فِينَا كَأَنَّهُ»**. البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المماثل، والقائل المتنبّي من قصيدةٍ في سيف الدّولة يقول فيها:

لعَيْنَيْكِ ما يَلقَى الفُؤادُ وَمَا لَقي ... وللحُبّ ما لم يَبقَ منّي وما بَقي
وَما كنتُ ممّنْ يَدْخُلُ العِشْقُ قلبَه ... وَلكِنّ مَن يُبصِرْ جفونَكِ يَعشَقِ
وَبينَ الرّضَى وَالسُّخطِ وَالقُرْبِ وَالنَّوَى ... مَجَالٌ لِدَمْعِ المُقْلَةِ المُتَرَقرِقِ
وَأحلى الهَوَى ما شكّ في الوَصلِ رَبُّهُ ... وَفي الهجرِ فهوَ الدّهرَ يَرْجو وَيَتّقي
وَغضْبَى من الإدلالِ سكرَى من الصّبى ... شَفَعْتُ إلَيها مِنْ شَبَابي بِرَيِّقِ

⇐

⇐ وَأشنَبَ مَعْسُولِ الثّنِيّاتِ وَاضِحٍ   سَتَرْتُ فَمي عَنهُ فَقَبّلَ مَفرِقي
وَأجيادِ غِزْلانٍ كجيدِكِ زُرْنَني   فَلَمْ أتَبَيّنْ عاطِلاً مِنْ مُطَوَّقِ
وَما كلّ مَن يهوَى يَعِفّ إذا خَلا   عَفَافي وَيُرْضي الحُبّ وَالخَيلُ تلتقي
سَقَى اللهُ أيّامَ الصّبَى ما يَسُرّهَا   وَيَفْعَلُ فِعْلَ البَابِليّ المُعَتَّقِ
إذا ما لَبِسْتَ الدّهْرَ مُستَمتِعاً بِهِ   تَخَرّقْتَ وَالمَلْبُوسُ لم يَتَخَرّقِ
وَلم أرَ كالألحَاظِ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ   بَعثنَ بكلّ القتل من كلّ مُشفِقِ
أدَرْنَ عُيوناً حائِراتٍ كأنّهَا   مُرَكَّبَةٌ أحْداقُهَا فَوْقَ زِئْبِقِ
عَشِيّةَ يَعْدُونَا عَنِ النّظَرِ البُكَا   وَعن لذّةِ التّوْديعِ خوْفُ التّفَرّقِ
نُوَدّعُهُمْ وَالبَيْنُ فينَا كأنّهُ   قَنَا ابنِ أبي الهَيْجاءِ في قلبِ فَيلَقِ
قَوَاضٍ مَوَاضٍ نَسجُ داوُدَ عندَها   إذا وَقَعَتْ فيهِ كنَسْجِ الخَدَرْنَقِ
هَوَادٍ لأمْلاكِ الجُيُوشِ كأنّهَا   تَخَيَّرُ أرْوَاحَ الكُماةِ وتَنْتَقي
تَقُدّ عَلَيْهِمْ كلّ دِرْعٍ وَجَوْشنٍ   وَتَفري إليهِمْ كلّ سورٍ وَخَندَقِ
يُغِيرُ بهَا بَينَ اللُّقَانِ وَوَاسطٍ   وَيَرْكُزُهَا بَينَ الفُراتِ وَجِلّقِ
وَيَرْجِعُهَا حُمْراً كأنّ صَحيحَهَا   يُبَكّي دَماً مِنْ رَحمَةِ المُتَدَقِّقِ
فَلا تُبْلِغَاهُ ما أقُولُ فإنّهُ   شُجاعٌ متى يُذكَرْ لهُ الطّعنُ يَشْتَقِ
ضَرُوبٌ بأطرافِ السّيُوفِ بَنانُهُ   لَعُوبٌ بأطْرافِ الكَلامِ المُشَقَّقِ
كسَائِلِهِ مَنْ يَسألُ الغَيثَ قَطرَةً   كعاذِلِهِ مَنْ قالَ للفَلَكِ ارْفُقِ
لقد جُدْتَ حتّى جُدْتَ في كلّ مِلّةٍ   وحتّى أتاكَ الحَمدُ من كلّ مَنطِقِ
رَاى مَلِكُ الرّومِ ارْتياحَكَ للنّدَى   فَقامَ مَقَامَ المُجْتَدي المُتَمَلِّقِ
وخَلّى الرّماحَ السّمْهَرِيّةَ صاغِراً   لأدْرَبَ منهُ بالطّعانِ وَأحْذَقِ
وكاتَبَ مِنْ أرْضٍ بَعيدٍ مَرامُهَا   قَريبٍ على خَيْلٍ حَوَالَيكَ سُبّقِ
وَقَد سارَ في مَسراكَ مِنها رَسُولُهُ   فَمَا سارَ إلاّ فَوْقَ هامٍ مُفَلَّقِ
فَلَمّا دَنَا أخْفَى عَلَيْهِ مَكانَهُ   شُعَاعُ الحَديدِ البارِقِ المُتَألّقِ

⇐

[الاقتضاب]

﴿وقد ينتقل منه﴾ أي: ممّا شبّب به الكلام **﴿إلى ما لا يلائمه، ويُسمّى ذلك﴾** الانتقال **﴿الاقتضاب﴾** أي: الاقتطاع والارتجال.

﴿وهو﴾ أي: الاقتضاب **﴿مذهب العرب﴾** الجاهليّة **﴿ومَنْ يليهم من المُخَضْرَمِيْنَ﴾** ـ بالخاء والضّاد المعجمتين ـ وهم الّذين أدركوا الجاهليّة والإسلام مثل لبيد. قال في «الأساس»[1]: ناقة مخضرمة جُدِع نصف[2] أُذنها، ومنه

⇐ وأقْبَلَ يَمشِي في البِساطِ فَما درَى ... إلى البحرِ يَسعى أمْ إلى البَدْرِ يرْتَقي

ولَمْ يَثْنِكَ الأعْداءُ عَنْ مُهَجاتِهِمْ ... بِمِثْلِ خُضُوعٍ في كَلامٍ مُنَمَّقِ

وَكُنْتَ إذا كاتَبْتَهُ قَبْلَ هذِهِ ... كَتَبْتَ إليْهِ في قَذالِ الدِّمُسْتُقِ

فإنْ تُعْطِهِ مِنْكَ الأمانَ فَسائِلٌ ... وَإنْ تُعْطِهِ حَدَّ الحُسامِ فأخلِقِ

وَهَلْ تَرَكَ البِيضُ الصّوارِمُ منهُمُ ... حَبِيساً لِفادٍ أوْ رَقيقاً لمُعْتِقِ

لَقَد وَرَدوا وِرْدَ القَطَا شَفَرَاتِها ... وَمَرّوا عَلَيْها رَزْدَقاً بعدَ رَزْدَقِ

بَلَغْتُ بسَيْفِ الدَّوْلَةِ النُّورِ رُتْبَةً ... أنَرْتُ بِها مَا بَينَ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ

إذا شاءَ أنْ يَلْهُو بِلِحيَةِ أحْمَقٍ ... أراهُ غُبَاري ثمّ قالَ لَهُ الحَقِ

وَما كَمَدُ الحُسّادِ شيءٌ قَصَدْتُهُ ... وَلكِنّهُ مَن يَزْحَمِ البَحرَ يَغرَقِ

وَيَمْتَحِنُ النّاسَ الأميرُ برَأيِهِ ... وَيُغضِي على عِلْمٍ بكُلّ مُمَخْرِقِ

وَإطراقُ طَرْفِ العَينِ لَيسَ بنافعٍ ... إذا كانَ طَرْفُ القلبِ ليسَ بمطرِقِ

فيا أيّها المَطلوبُ جاوِرْهُ تَمْتَنِعْ ... وَيا أيّهَا المَحْرُومُ يَمِّمْهُ تُرْزَقِ

وَيا أجبنَ الفُرْسانِ صاحِبْهُ تجترئْ ... ويا أشجَعَ الشجعانِ فارِقْهُ تَفرَقِ

إذا سَعَتِ الأعْداءُ في كَيْدِ مَجْدِهِ ... سعى جَدُّهُ في كيدهم سعيَ مُحْنَقِ

وَما ينصُرُ الفضْلُ المُبينُ على العِدَى ... إذا لم يكُنْ فضْلَ السّعيدِ المُوَفَّقِ

(١) «أساس البلاغة»: ١٦٦.

(٢) في الصّحاح: «ناقة مُخَضْرَمَةٌ»: قطع طرف أُذُنها وقال ابن منظور في مادّة «خضرم» من ⇐

«المُخَضْرَم» الّذي أدرك الجاهليّة والإسلام كأنّما قطع نصفه حيث كان في الجاهليّة.

و«الاقتضاب» وإن كان مذهب العَرَب والمُخَضْرَمِيْنَ لكنّ الشّعراء الإسلاميّة أيضاً قد يتّبعونهم في ذلك ويَجْرُوْنَ على مذهبهم وإن كان الأكثر فيهم التّخلّص ﴿كقوله﴾ أي: قول أبي تَمَّامٍ وهو من الشّعراء الإسلاميّة في الدّولة العبّاسيّة:

﴿لَوْ رَأَى اللهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ خَيْراً[١] جاوَرَتْهُ الأبْرارُ في الخُلْدِ شِيْبَا﴾

⇐ اللّسان: «الخَضْرَمَةُ»: قطع إحدى الأُذُنَيْنِ، وهي سِمَةُ الجاهليّة. قال ابن برّي: أكثر أهل اللّغة على أنّه «مُخَضْرِمٌ» بكسر الرّاء؛ لأنّ الجاهليّة لمّا دخلوا في الإسلام خَضْرَمُوا آذانَ إبلهم، ليكون علامةً لإسلامهم إن أُغير عليها، أو حُوْرِبُوا، ويقال لمن أدرك الجاهليّة والإسلام «مُخَضْرِمٌ» وأمّا مَنْ قال: «مُخَضْرَمٌ» بفتح الرّاء، فتأويله عنده أنّه قطع من الكفر إلى الإسلام.

(١) **قوله: «لَوْ رَأَى اللهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ خَيْراً»**. البيت من الخفيف على العروض الأُولى مع الضّرب المماثل، والقائل أبو تمّام من قصيدةٍ قالها مادحاً أبا سعيد محمّد بن يوسف الثغريّ وهو واحد من قوّاد حميد الطّوسي كان يحمي الثّغور، ثمّ ولّي الجزيرة والشام، وقد عزله المتوكّل:

مِنْ سَجايا الطُّلُولِ أَلّا تُجِيبَا فَصَوابٌ مِن مُقْلَةٍ أَنْ تَصُوبَا
فاسأَلَنْها واجْعَلْ بُكَاكَ جَواباً تَجِدِ الشَّوْقَ سَائِلاً ومُجيبا
قَدْ عَهِدْنا الرُّسُومَ وهيَ عُكَاظٌ لِلصِّبَى تَزْدَهِيكَ حُسْناً وطِيبَا
أكْثَرَ الأَرضِ زَائِراً وَمَزُوراً وَصَعوداً مِن الهَوَى وَصَبُوبَا
وكِعَاباً كأَنَّما أَلبَسَتْهَا غَفَلاتُ الشَّبَابِ بُرْداً قَشِيبَا
بَيَّنَ البَيْنُ فَقْدَها قَلَّمَا تَعْـ ـرِفُ فَقْداً للشَّمْسِ حَتَّى تَغِيبا
لَعِبَ الشَّيْبُ بالمَفارِقِ بَلْ جَدْ دَ فأَبْكَى تُماضِراً وَلَعُوبَا
خَضَبَتْ خَدَّهَا إلى لُؤلُؤ العِقْـ ـدِ دماً أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيبَا

⇐

⇒ كُلُّ دَاءٍ يُرْجَى الدَّوَاءُ لَهُ إلْـ   ـلا الفَظيعَيْنِ: ميتَةٌ وَمشِيبَا

يَا نَسيبَ الثَّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى   حَسَنَاتِي عِنْدَ الحِسَانِ ذُنُوبَا

وَلئِنْ عِبْنَ مَا رَأَيْنَ لَقَدْ أَنْـ   ـكَرْنَ مُسْتَنْكَراً وعِبْنَ مَعِيبا

أو تَصَدَّعْنَ عَنْ قِلًى لَكَفَى بالـ   ـشَّيْبِ بَيْنِي وبَيْنَهُنَّ حَسِيبا

لَوْ رَأَى اللهُ أنَّ لِلشَّيْبِ فَضْلاً   جَاوَرَتْهُ الأَبْرَارُ في الخُلْدِ شيبَا

كُلَّ يَوْمٍ تُبْدِي صُرُوفُ اللَّيَالي   خُلُقاً مِن أَبِي سَعِيدٍ رَغيبَا

طابَ فيهِ المَدِيحُ والتَذَّ حَتَّى   فاقَ وَصْفَ الدِّيارِ والتَّشْبيبَا

لو يُفَاجَا رُكْنُ النَّسِيبِ كُثَيِّرٌ   بِمَعَانِيهِ خَالَهُنَّ نَسِيبَا

غَرَّبَتْهُ العُلَى على كثرةِ النَّا   سِ، فَأَضْحَى في الأقْرَبينَ جَنِيبا

فليَطُلْ عُمْرُهُ، فَلَوْ مَاتَ في مَرْ   وَ مُقيماً بِهَا لَمَاتَ غَريبَا

سَبَقَ الدَّهْرَ بالتِّلَادِ ولمْ يَنْـ   ـتَظِرِ النَّائِبَاتِ حَتَّى تَنُوبَا

فإذَا مَا الخُطُوبُ أَعفَتْهُ كَانَتْ   رَاحَتَاهُ حَوادِثاً وخُطُوبَا

وَصَلِيبُ القَنَاةِ والرأيِ والإسْـ   ـلامِ، سَائِلْ بِذَاكَ عَنْهُ الصَّلِيبَا

وَعَّرَ الدِّينَ بالجِلَادِ وَلكِنْـ   ـنَ وُعُورَ العَدُوِّ صَارَتْ سُهُوبا

فَدُروبُ الإشْرَاكِ صَارَتْ فَضَاءً   وَفَضَاءُ الإسلامِ يُدْعَى دُرُوبا

قَدْ رَأَوْهُ وهُوَ القَريبُ بَعِيداً   ورَأَوْهُ، وَهْوَ البَعِيدُ، قَريبَا

سَكَّنَ الكَيْدَ فِيهمُ إنَّ من أَعْـ   ـظَمِ إرْبٍ أَلَّا يُسَمَّى أَرِيبا

مَكْرُهُمْ عِنْدَهُ فَصيحٌ وإنْ هُمْ   خَاطَبُوا مَكْرَهُ رَأَوْهُ جَلِيبَا

ولَعَمْرُ القَنَا الشَّوارعِ تَمْري   مِنْ تِلاعِ الطُّلَى نَجيعاً صبيبَا

في مَكَرٍّ للرَّوْعِ كُنْتَ أَكيلاً   لِلْمَنايا في ظِلِّهِ وَشريبَا

لَقَدِ انصَعْتَ والشِّتاءُ لَهُ وَجْـ   ـهٌ يَرَاهُ الكُماةُ جَهْماً قَطُوبَا

طَاعِناً مَنْحَرَ الشَّمَالِ مُتِيحاً   لِبلادِ العَدُوِّ مَوْتاً جَنُوبَا

في لَيَالٍ تَكَادُ تُبْقِي بِخَدِّ الـ   ـشَّمْسِ مِنْ ريحها البَلِيلِ شُحوبا

⇐

⇐ سَبرَاتٍ إذا الحُـروبُ أُبِـيخَتْ ... هَـاجَ صِـنَّبْرُهَا فَكَـانَتْ حُـروبَا
فَـضَربْتَ الشِّـتَاءَ فـي أخـدَعَيْهِ ... ضَـرْبَةً غَـادَرَتْهُ عَـوْداً رَكُـوبَا
لو أصَـخْنا مـن بَـعْدِها لَسَـمِعْنَا ... لِـقُلُوبِ الأيَّـام مِـنْك وَجِـيبَا
كُلُّ حِصْنٍ مِن ذِي الكَلاَعِ وأَكْشـو ... ثَـاءَ أَطـلَقْتَ فـيهِ يَـوْماً عـصيبَا
وصَـلِيلاً مِـنَ السُّـيوفِ مُـرِنّاً ... وشِـهَاباً مِـنَ الحـريقِ ذَنُـوبَا
وأَرَادُوكَ بـالبَيَاتِ ومَـنْ هـ ... ـذا يُـرادِي مُـتالِعاً وعَسِـيبَا
فَـرَأوْا قَشْـعَمَ السِّـيَاسَةِ قَـد ثَـقْـ ... ـقَفَ مِـنْ جُـنْدِهِ القَـنَا والقُـلُوبَا
حَـيَّةُ اللَّـيْلِ يُشْـمِسُ الحَـزْمُ مِـنهُ ... إنْ أَرَادَتْ شَـمْسُ النَّـهارِ الغُـروبَا
لَـوْ تَـقَصَّوْا أَمْـرَ الأَزارِقِ خَـالُوا ... قَـطَرِيّاً سَـمَا لَـهُمْ أَوْ شَـبِيبَا
ثُـمَّ وَجَّـهْتَ فَـارِسَ الأَزْدِ وَالأَوْ ... حَـدَ فـي النُّـصْحِ مَشْـهَداً وَمَغِيبَا
فَـتصَلَّى مـحمَّدُ بـن مَـعَاذٍ ... جَمْرَةَ الحـرْبِ وامـتَرَى الشُّـؤْبُوبَا
بـالعَوالِـي يَـهْتِكْنَ عَـنْ كُـلِّ قَـلْبٍ ... صَـدْرَهُ أَوْ حِـجَابَهُ المَـحْجُوبَا
طَـلَبَتْ أَنْـفُسَ الكُـمَاةِ فَشَـقَّتْ ... مِـن وَراءِ الجُـيُوبِ مِـنهُمْ جُـيُوبَا
غَـزْوَةٌ مُـتْبِعٌ ولَـوْ كَـانَ رَأْيٌ ... لَـمْ تَـفَرَّدْ بِـهِ لَكَـانَتْ سَـلُوبَا
يَوْمَ فَتْحٍ سَـقَى أُسُـودَ الضَّـواحـي ... كُـثَبَ المَـوْتِ رَائِـباً وحَـلِيبا
فـإذَا مَـا الأَيَّـامُ أَصْـبَحْنَ خُـرْساً ... كُـظُماً فـي الفَـخَارِ قَـامَ خـطِيبَا
كَـانَ دَاءَ الإِشْـرَاكِ سَـيْفُكَ واشْـتَدْ ... دَتْ شَـكَاةُ الهُـدَى، فَكُـنْتَ طَـبِيبَا
أَنْـضَرَتْ أَيْكَـتِي عَـطَايَاكَ حَـتَّى ... صَـار سَـاقاً عُـودِي وكَـانَ قَـضِيبَا
مُـمْطِراً لي بـالجَاه والمَـالِ لاَ أَلْـ ... ـقَاكَ إلَّا مُسْـتَوْهِباً أَوْ وَهُـوبَا
فـإذَا مـا أَرَدْتُ كُـنْتَ رِشَـاءً ... وإذَا مـا أَرَدْتُ كُـنْتَ قَـلِيبَا
بَـاسِطاً بـالنَّدَى سَـحَائِبَ كَـفٍّ ... بِـنَدَاهـا أَمْسَـى حَـبِيبٌ حَـبِيبَا
فـإذا نِـعْمَةُ امْـرِئٍ فَـرِكَتْهُ ... فـاهتَصِرْها إلَيْك ولْـهَى عَـرُوبا
وإذَا الصُّـنْعُ كـانَ وَحْشـاً فَـمُلِّيْـ ... ـتَ بِـرَغْمِ الزَّمـانِ صُـنْعاً رَبـيبا
وَبَـقَاءً حَـتَّى يَـفُوتَ أَبُـو يَـعـ ... ـقُوبَ فـي سِـنِّهِ أَبَـا يَـعقُوبَا

جمع «أَشْيَب» وهو حال من «الأبرار» ثمّ انتقل من هذا الكلام إلى ما لا يلائمه، فقال:

﴿كُلَّ يَوْمٍ تُبْدِي صُرُوْفُ اللّيالي خُلُقاً مِنْ أبي سعيدٍ رَغِيْبَا﴾

[الاقتضاب القريب من التخلّص وفصل الخطاب]

﴿ومنه﴾ أي: من الاقتضاب ﴿**ما يقرُبُ من التخلّص**﴾ في أنّه يشوبه شيء من المُلَاءَمَة ﴿**كقولك بعد حمد الله**: «**أمّا بعد**﴾ فإنّي قد فعلت كذا وكذا» فهو اقتضاب من جهة أنّه قد انتقل من حمد الله والثّناء على رسوله إلى كلام آخر من غير رِعاية مُلَاءَمَةٍ بينهما، لكنّه يشبه التّخلّص من جهة أنّه لم يُؤْتَ بالكلام الآخر فَجْأَةً من غير قصد إلى ارتباط أو تعلّق بما قبله، بل أتي بلفظ «أمّا بعد ـ أي: مهما يكن من شيء بَعْدَ حمدِ الله ـ فإنّي فعلت كذا وكذا» قصداً إلى ربطٍ لهذا الكلام بما سبق عليه.

﴿**قيل: هو**﴾ ـ أي: قولهم ـ بعد حمد الله ـ: «أمّا بعد» ـ ﴿**فَصْلُ الخِطَاب**﴾.

قال ابن الأثير: والّذي أجمع عليه المحقّقون[1] من علماء البيان أنّ فصل

---

(١) **قوله: «قال ابن الأثير: والّذي أجمع عليه المحقّقون»**. قال في النّوع الثّالث والعشرين من المقالة الثّانية من كتاب «المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر» ٣: ١٣٩: وأمّا الاقتضاب فهو الّذي أشرنا إليه في صدر هذا النّوع وهو قطع الكلام واستئناف كلام آخر غيره بلا علاقةٍ تكون بينه وبينه، فمن ذلك ما يقرب من التخلّص وهو فصل الخطاب.

والّذي أجمع عليه المحقّقون من علماء البيان أنّه «أمّا بعد» لأنّ المتكلّم يفتتح كلامه في كلّ أمرٍ ذي شأنٍ بذكر الله وتحميده، فإذا أراد أن يخرُجَ إلى الغرض المسوق إليه فَصَلَ بينه وبين ذكر الله ـ تعالى ـ بقوله: «أمّا بعد».

ومن الفصل الّذي هو أحسن من الوصل لفظة «هذا» وهي علاقة وكيدة بين الخروج ⇐

الخطاب هو «أمّا بعد»[1] لأنّ المتكلّم يفتتح كلامه في كلّ أمر ذي شأن بذكر الله

⇐ من كلام إلى كلام آخر غيره كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ * وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الأَخْيَارِ * هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ** ﴾ [ص: ٤٥ ـ ٥٠].

ألا ترى إلى ما ذكر قبل «هذا» ثمّ ذَكَرَ مَنْ ذَكَرَ من الأنبياء ـ عليهم السّلام ـ وأراد أن يذكر على عقبه باباً آخر غيره وهو ذكر الجنّة وأهلها، فقال: «هذا ذكر». ثمّ قال: ﴿ **وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ** ﴾ [ص: ٤٩]، ثمّ لمّا أتمّ ذكر أهل الجنّة وأراد أن يعقّبه بذكر أهل النّار قال: ﴿ **هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ** ﴾ [ص: ٥٥]. وذلك فصل الخطاب الّذي هو ألطف موقعاً من التخلّص اهـ كلامه.

(١) **قوله: «أمّا بعد»**. ويقال له: فصل الخطاب ـ كما رواه ابن الأثير في «المثل السّائر» ـ والاقتضاب القريب من التخلّص أيضاً، وأوّل من قاله قُسّ بن ساعدة الإيادي كما في قوله:

لقد علم الحيّ اليمانون أنّني   إذا قيل: «أمّا بَعْدُ» أنّي خطيبُها

وقال المحقّق الشيعيّ رضي الدّين الأستراباذي: اعلم أنّ «أمّا» موضوعة لمعنيين:

أ ـ لتفصيل مجمل نحو قولك: «هؤلاء فضلاء أمّا زيد ففقيه وأمّا عمرو فمتكلّم وأمّا بشر فكذا» إلى آخر ما تقصد.

ب ـ ولاستلزام شيءٍ لشيءٍ، أي: أنّ ما بعدها شيء يلزمه حكم من الأحكام، ومن ثمّ قيل: إنّ فيه معنى الشّرط، لأنّ معنى الشرط أيضاً هو استلزام شيءٍ لشيءٍ، أي: استلزام الشّرط للجزاء، والمعنى الثّاني ـ أي: الاستلزام ـ لازم لها في جميع مواقع استعمالها، بخلاف معنى التّفصيل، فإنّها قد تتجرّد عنه. قال: وأمّا بيان معنى الشّرط فيها فبأن نقول: هي حرف بمعنى «إن» وجب حذف شرطها لكثرة استعمالها في الكلام، ولكونها في الأصل موضوعة للتّفصيل وهو مقتضٍ تكرّرها فيؤدّي إلى الاستثقال لهذا أيضاً.

وأيضاً حذف ذلك وجوباً لغرض معنويّ، وذلك أنّهم أرادوا أن يقوم ما هو الملزوم

⇐

⇐ حقيقةً في قصد المتكلّم مقام الشّرط الّذي يكون هو الملزوم في جميع الكلام، تفسير ذلك:

أنّ أصل «أمّا زيد فقائم»: «أمّا يكن من شيء فزيد قائم» يعني: «إن يكن» أي: «إن يقع في الدّنيا شيء يقع قيام زيد» فهذا جزم بوقوع قيامه وقطع به؛ لأنّه جعل وقوع قيامه وحصوله لازماً لوقوع شيء في الدّنيا، وما دامت الدّنيا باقية فلابدّ من حصول شيءٍ فيها.

ثمّ لمّا كان الغرض الكلّي من هذه الملازمة بين الشّرط والجزاء لزوم القيام لزيد، حذف الملزوم الّذي هو الشّرط ـ أي: «يكن من شيء» ـ وأُقيم ملزوم القيام ـ وهو زيد ـ مقام ذلك الملزوم وبقي الفاء بين المبتدأ والخبر، لأنّ فاء السببيّة ما بعدها لازم لما قبلها، فحصل غرضك الكلّيّ وهو لزوم القيام لزيد، فلهذا الغرض وتحصيله جاز وقوع الفاء في غير موقعها.

وحصل من حذف الشّرط وإقامة جزء الجزاء موقعه شيئان مقصودان مهمّان:

أحدهما: تخفيف الكلام بحذف الشّرط الكثير الاستعمال.

والثّاني: قيام ما هو الملزوم حقيقةً في قصد المتكلّم مقام الملزوم في كلامهم ـ أعني الشرط ـ وحصل أيضاً من قيام جزء الجزاء موضع الشّرط ما هو المتعارف عندهم من شغل حيّز واجب الحذف بشيءٍ آخر.

وحصل أيضاً منه بقاء الفاء متوسّطة للكلام ـ كما هو حقّها ـ ولو لم يتقدّم جزء الجزاء لوقعت فاء السّببيّة في أوّل الكلام.

وكذا يقدّم على الفاء من أجزاء الجزاء المفعول به أو الظّرف وغير ذلك من معمولات الجزاء كالحال والمفعول المطلق وله. فلا يستنكر عمل ما بعد فاء السّببيّة فيما قبلها وإن كان ممتنعاً في غير هذا الموضع؛ لأنّ التّقديم لأجل الأغراض المهمّة المذكورة، ولا تُقدّمُ من أجزاء الجزاء شيئين فصاعداً؛ لأنّك لا تتجاوز قدر الضّرورة.

وقد تقع كلمة الشّرط مع الشّرط ـ من جملة أجزاء الجزاء ـ مقام الشّرط كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ**﴾ [الواقعة: ٨٨ ـ ٨٩]، أي: أمّا يكن ⇐

ـ تعالى ـ وبتحميده، فإذا أراد أن يَخْرُجَ منه إلى الغَرَض المسوق إليه فصل بينه وبين ذكر الله ـ تعالى ـ بقوله: «أمّا بعد».

﴿و﴾ من الاقتضاب الّذي يَقْرُبُ من التّخلّص ما يكون بلفظ «هذا» ﴿كقوله ـ تعالى ـ﴾ بعد ذكر أهل الجنّة: ﴿﴿ هٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِيْنَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴾[1]﴾ فهو اقتضاب لكن فيه نوع ارتباط، لأن الواو بعده للحال.

ولفظ «هذا» إمّا خبر مبتدأ محذوف ﴿أي: «الأمر هذا» أو﴾ مبتدأ محذوف الخبر، أي: ﴿«هذا كما ذكر»﴾.

﴿و﴾ قد يكون الخبر مذكوراً ﴿مثل قوله ـ تعالى ـ﴾ حيث ذكر جمعاً من الأنبياء وأراد أن يذكر عقيبه الجنّة وأهلها ﴿﴿ هٰذا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾[2]﴾.

قال ابن الأثير[3]: لفظ «هذا» في هذا المقام من الفصل الّذي هو أحسن من الوصل، وهي علاقة وكيدة بين الخروج من كلام إلى كلام آخر. ثمّ قال: وذلك من «فصل الخطاب» الّذي هو أحسن موقعاً من «التخلّص».

﴿ومنه﴾ أي: من الاقتضاب الّذي يَقْرُبُ من التخلّص ﴿قول الكاتب﴾ ـ عند إرادة الانتقال من حديث إلى حديث آخر ـ: ﴿هذا باب﴾ فإنّ فيه نوع ارتباط؛ حيث لم يبتدء الحديث الآخر فَجْأَةً.

⇐ شيء فإن كان من المقرّبين فروح وريحان، فقوله: «فروح» جواب استغني به عن جواب «إن» اهـ باختصار.

(١) ص: ٥٥.

(٢) ص: ٤٩.

(٣) المثل السّائر ٣: ١٣٩.

ومن هذا القبيل لفظ «أيضاً»[١] في كلام المتأخّرين من الكتّاب.

[الموضع الثّالث]

﴿ وثالثها ﴾ أي: ثالث المواضع الّذي ينبغي أن يُتَأَنَّق فيها ﴿ الانتهاء ﴾ فيجب على البليغ أن يَخْتِمَ كلامه ـ شعراً كان، أو خطبة، أو رسالة ـ بأحسن خاتمة؛ لأنّه آخِرُ ما يعيه السّمع، ويرتسم في النّفس، فإن كان مختاراً حَسَناً تلقّاه السّمع واستلذّه حتّى جبر ما وقع فيما سبق ـ من التّقصير ـ كالطّعام اللّذيذ الّذي يتناول بعد الأطعمة التَّفِهَة، وإن كان بخلاف ذلك كان على العكس، حتّى ربّما أنساه المَحَاسِن المُوْرَدَة فيما سبق ﴿ كقوله ﴾ أي: قول أبي نؤاس في الخطيب بن عبدالحميد: ﴿ وَإِنِّي جَدِيرٌ ﴾ أي: خليقٌ ﴿ إذْ بَلَغْتُكَ بِالمُنىٰ ﴾[٢] أي: جدير بالفوز

---

(١) وقديماً مَا كان أهل الأدب يكرهون كلمة «أيضاً» ويعدّونها من ألفاظ العلماء فلم يستعملوها في شعر أو نثرٍ، حتّى قال أبوبكر دلف بن جحدر الشبليّ ٢٤٧ ـ ٢٣٤ هـ:

رُبَّ وَرْقَاءَ هَتُوْفٍ في الضُّحَى ... ذاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ في فَنَنِ
ذَكَرَتْ إلفاً ودَهْراً سالِفاً ... فبَكَتْ حُزْناً فهاجَتْ حَزَنِي
فَبُكَائِي رُبَّمَا أَرَّقَها ... وبُكَاها رُبَّمَا أَرَّقَنِي
ولقد تَشْكُوْا فما أَفْهَمُهَا ... ولقد أَشْكُو فما تَفْهَمُنِي
غير أنّي بالجَوَى أعرِفُهَا ... وَهْيَ «أيضاً» بالجَوَى تَعْرِفُني

فوضع الشّاعر كلمة «أَيْضاً» في مكان لا يتطلّب سواها، ولا يتقبّل غيرها، فحصل لها من الرَّوْعة والجمال في نفس الأديب ما يدرك ولا يوصف والأبيات نسبها الشّيخ في «الكشكول» إلى أبي الحسن التّهامي، وما ذكرته هو قول ابن منظور في «مختصر تاريخ دمشق».

(٢) **قوله**: «**وإنّي جدير إذ بلغتك بالمنى**». البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المحذوف، والقائل أبو نؤاس الحَكَمي بالوَلاَء من قصيدةٍ طويلة في الخطيب بن ⇐

بالأمانيّ ﴿وأَنْتَ بِمَا أَمَّلْتُ مِنْكَ جَدِيرُ * فَإِنْ تُولِني﴾ أي: تعطني ﴿مِنْكَ الجَميلَ فَأَهْلُهُ﴾ أي: فأنت أهل لإعطاء ذلك الجميل ﴿وَإِلَّا فَإِنِّي عَاذِرٌ﴾ إيّاك من هذا المنع ـ عمّا صدر عنّي من الإبرام ـ ﴿وَشَكُورُ﴾ لما صدر عنك من الإصغاء إلى المديح، أو من العطايا السّابقة.

[حسن المقطع]

﴿وأحسَنُه﴾ أي: أحسن الانتهاء ﴿ما أَذِنَ بانتهاء الكلام﴾ حتّى لَمْ يَبْقَ للنّفس تشوّق إلى إدراكه ﴿كقوله﴾ أي: الغَزِّيّ:

⇐ عبدالحميد يقول فيها:

أجارة بَيْتَيْنا أبوكِ غيورُ ... وميسورُ ما يُرْجَى لديكِ عَسِيْرُ
وإنْ كُنْتِ لا خِلْماً ولا أنتِ زوجةٌ ... فلا برحت دوني عليك سُتُورُ
وجاورتُ قوماً لا تزاوُرَ بينهم ... ولا وصلَ إلّا أن يكون نُشُورُ

قال:

فلم تَرَ عيني سُؤْدُداً مثل سُؤْدُدٍ ... يَحِلُّ أبو نصرٍ به ويسيرُ
وأَطْرقُ حيّاتِ البِلادِ لَحَيَّةٌ ... خُضَيْبِيّة التّصميم حين تَسُوْرُ

قال:

من القومِ بَسَّامٌ كأنّ جبينَهُ ... سَنَا الفَجْر يَسْرِي ضوءه ويُنِيْرُ
زها بالخصيبِ السّيفُ والرُّمْح فيالوَغَى ... وفي السَّلم يزهو مِنْبَرٌ وسريرُ
جَوادٌ إذ الأيدي كففنَ عن النَّدَى ... ومن دون عورات النّساء غَيُورُ
له سَلَفٌ في الأعجمين كأنّهم ... إذا استُؤْذِنُوا يوم السّلام بُدورُ
وإنّي جدير إذ بلغتُك بالمُنَى ... وأنتَ بما أمَّلْتُ منك جديرُ
فإن تُوْلِنِي منك الجميلَ فأهلُهُ ... وإلّا فإنّي عاذِرٌ وشَكُوْرُ

* * *

بَقِيتَ بَقاءَ الدَّهْرِ يَاكَهْفَ أَهْلِهِ[1] وَهٰـذا دُعـاءٌ لِـلْبَرِيَّةِ شَـامِلُ

لأنَّ بَقَاءَكَ سبب لكون البريّة في أَمْنٍ، ونِعْمَةٍ، وصلاح حال.

وقد قلّت عناية المتقدّمين بهذا النّوع، والمتأخّرون يجتهدون في رعايته ويسمّونه «حُسْنَ المَقْطَع» و«بَرَاعة المَقْطَع».

﴿ وجميع فواتح السُّوَر وخواتمها واردة على أحسن الوجوه ﴾ من البلاغة **﴿ وأكملها ﴾**.

فإنّك إذا نظرتَ إلى فواتح السُّوَر ـ جُمَلِها ومفرداتها ـ رأيتَ من البلاغة،

---

(١) **قوله**: «**بَقِيتَ بَقاءَ الدَّهْرِ يَاكَهْفَ أَهْلِهِ**». البيت من الطّويل على العروض المقبوضة مع الضّرب المشابه، والقائل الأديب الغزّي أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن محمّد الكلبيّ الأشهبيّ المعروف بالغزّيّ ولد بغزّة الشّام وتجوّل في البلدان من قصيدة طويلةٍ قالها في مُجاراة قصيدة المعرّي:

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعِلُ عفافٌ وإقدامٌ وحزم ونائِلُ

يقول الغزّيّ فيها:

أقلني فقد ضاقت عليّ مذاهبي وأثقل منّي الظّهر ما أنا حامِلُ
وجاوز ما قد حلّ في كلّ غايةٍ وعند التّناهي يقصر المتطاوِلُ
ودَعْنِيَ أَدْعُو والأنامُ تُجِيْبُنِي بـ«آمِيْنَ» إذ تصغى لِمَا أنا قائِلُ
بقيتَ بقاء الدّهر يا كهف أهله وهذا دعاء للبريّة شامِلُ

ومنها في وصف الكتابة ـ كما في «خريدة القصر» لعماد الدّين الكاتب ـ:

كأنّ المعاني في محاريب كُتْبِهِ قَنَادِيْلُ لَيْلٍ والسُّطُورُ سَلَاسِلُ
كواكبُ عَجْمٍ في أَهِلّةِ أحرُفٍ بُدورُ المعاني بينهنّ كواسِلُ

ومنها:

ولي عادة التّخفيف، والوصلُ في الهوى لكثرته يُقْلَى الحبيبُ المُوَاصِلُ
وقد تكثُرُ الألفاظ من ذي فَهَاهَةٍ وما تحتها إلّا المعاني القلائِلُ
قَنَا المَجْدِ ما ثقّفتَ بالحمد والنُّهَى أَسِنَّتَهُ، والمكرُماتُ العوامِلُ

والتفنّن وأنواع الإشارة، ما يَقْصُرُ[١] عن كُنْهِ وصفه العبارة.

وإذا نظرتَ إلى خواتمها وجدتَها في غاية الحسن، ونهاية الكمال؛ لكونها بين أَدْعِيَةٍ، ووَصَايا، ومواعِظَ، وتحميد، ووَعْدٍ، ووعيد، إلى غير ذلك من الخواتم الّتي لا يَبْقَى للنّفوس بعدها تطلّع ولا تشوّق إلى شيء آخر.

وكيف لا، وكلام الله ـ عزّ وجلّ ـ في الطَّرَف الأعلى من البلاغة، والغاية القُصْوَى من الفصاحة، وقد أعجز مَصَاقِع البُلَغاء، وأخرس شَقَاشِقَ الفُصَحَاء.

ولمّا كان في هذا نوع خَفَاء بالنّسبة إلى بعض الأذهان حيث افتتحت بعض السُّورَ بذكر الأهوال والأفزاع، وأحوال الكفّار، وأمثال ذلك، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ** ﴾[٢] وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ** ﴾[٣] وغير ذلك، وكذا خواتم بعض السُّور مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** ﴾[٤] و: ﴿ **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ** ﴾[٥] ونحو ذلك، **أشار** إلى أنّ هذا إنّما يظهر عند التّأمّل والتّذكّر للأحكام المذكورة في علمي المعاني والبيان، فإنّ لكلّ مقام مقالاً لا يحسن فيه غيره، ولا يقوم مقامه.

وهذا معنى قوله: ﴿ **يظهر ذلك بالتّأمّل مع التّذكّر لما تقدّم** ﴾ من الأُصول المذكورة في الفنون الثّلاثة، وتفاصيل ذلك ممّا لا تفي بها الدّفاتر، بل لا يمكن الاطّلاع على كنهها إلّا لعلّام الغيوب.

هذا آخر ما أردنا جمعه من الفوائد * ونظمه من الفرائد * مع توزّع البال * وتشتّت الأحوال * وتفاقم الأحزان والمِحَن * وتكاثر الأفزاع والفِتَن * وتواتر

---

(١) أي: «يَعْجُزُ» بدليل التّعدية بـ«عن».

(٢) الحج: ١. (٣) المسد: ١.

(٤) الفاتحة: ٧. (٥) الكوثر: ٣.

حوادث أورثت الطّبع ملالاً * والخاطر كلالاً * لكنّ الله ـ جلّت حكمته ـ قد وفّقنا للإتمام * ورزقنا الفوز بهذا المرام * وتهيّأ الفراغ من نقله إلى البياض * في يوم الأربعاء الحادي عشر من صفر سنة ثمان وأربعين وسبع مائة بمحروسة «هراة»[(١)] صانها الله ـ تعالى ـ عن الآفات * وكان الافتتاح يوم الإثنين الثّاني من شهر رمضان، الواقع في سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة، بـ«جُرْجَانيّة خَوْارَزْم» ـ حماها الله ـ تعالى ـ عن البليّات ـ * والحمد للّه على التّوفيق * ومنه الهداية إلى سَوَاء الطّريق * والصّلاة على محمّد خير البريّة * وآله وأصحابه ذوي النّفوس الزّكيّة * والله أعلم بالصّواب * وإليه المرجِعُ والمآب * .

---

(١) **قوله: «بمحروسة «هراة»»**. ونقل عن الشّارح أنّه قال: قد فرغتُ من تأليف شرح التّصريف للزنجانيّ سنة ٧٢٨هـ وأنا ابن ستّ عشرة سنةً، ومن شرح التّخليص سنة ٧٤٨هـ، ومن شرح الشّمسيّة في جمادى الآخرة سنة ٧٥٢هـ، ومن اختصار شرح التّلخيص المعروف بالمختصر في سنة ٧٥٦هـ في «غجدوان»، ومن «شرح التّنقيح» في ذي القعدة سنة ٧٥٨هـ، ومن شرح العقائد النّسفيّة في شعبان سنة ٧٦٨هـ، ومن حاشية المختصر للعضديّ في ذي الحجّة سنة ٧٧٠هـ، ومن مقاصد الكلام وشرحه في ذي القعدة سنة ٧٨٤هـ في محروسة سمرقند. وأمّا «حاشية الكشّاف» فقد كان مشتغلاً بها في محروسة «هراة» إلى أن توفّي سنة ٧٩١هـ ولم يكملها.

قال الجعفريّ صاحب هذا التّعليق: الحمد للّه ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله الطّاهرين، ولعنة الله على أعدائهم من الأوّلين والآخرين والسّابقين واللّاحقين، لقد وفّقني الله ـ تبارك وتعالى ـ بالفراغ عن وضع هذا التّعليق في عشر خلون من ربيع الأوّل سنة ١٤٣٣هـ بالمشهد الشّريف الرّضويّ ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ مع تشتّت الحال، واشتغال البال، بأكثر ممّا يتصوّره المتصوّر، وأبعد ممّا يذهب إليه ذهن المتغوّر، لأنّي في زمن ركدت من الأدب ريحه، وخَبَتْ مصابيحه، وطالبه أعزّ من الكبريت الأحمر، وراغبه أعوز من الياقوت الأحمر وصاحبه أنزر من العيش الأخضر، وفي أُناسٍ عالمهم مُلْجَمٌ، وجاهلهُم مُكْرَمٌ، وحاكمهم جاهل، وعالمهم غير عامل، فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون.

المحتويات